

العرب والكشف العلمي

المؤلف: الدكتور محمد يحيى الهاشمي

رئيس جمعية الأبحاث العلمية
حلب (سوريا)

خلق الموتى ، واتخاذ الماضين أربابا من دون الله وقدوة في كل أمور حياتهم ، بل تطلعوا الى الأفق البعيد ، حيث يكمن النور ، مبددين الظلمات الحالكة التي تمنع رؤية الشعاع الواضح .

يروى لنا تاريخ العلم ما قاساه هذا النفر من الناس في استخلاص الحقائق . ولنا في سير غاليله وكوبرنيكوس ولافازيه من العظات البيئات التي هي تذكرة لاولي الالباب . ولولا الصراع الفكري من حكماء ، امثال ديكارت وسبينوزا وباسكال وغيرهم ، لما كان لجهد العلماء من ثمرة مرجوة .

لم يكن الشرق العربي في القرون الوسطى بهذا التأخر الذي هو عليه في العصر الحاضر ، بل خاض غمار العلم في كل ميدان من ميادينه ، وكان له فضل التقدم والسبق وان نعته بعض الجاهلين بالتقليد المحض والنقل عن الاوائل . نعم انه كان في البدء متقبسا ثم اصبح مبتكرا فذا . حتى ان مبدا التحرر الفكري يعزوه بعض المحققين الى العرب الاوائل وهكذا ذكر الاستاذ مصطفى نظيف في كتابه عن ابن الهيثم انه من الشائع المتواتر ان البحث العلمي على الطريقة الحديثة لم يبدأ في تاريخ تطور الفكر الانساني الا بعد عصر النهضة في اوربا ، وينسب اكبر قسط من الفضل في نشوء طريقة البحث الحديث الى فرنسيس بيكون ، فهو يعد اول من بين ان الطريقة المثلى هي الاعتماد على الحقائق المشهودة والمضي في جمع المشاهدات وتبويبها وترتيبها بغية الوصول بالاستقراء الى المعلومات التي تتفق والواقع . والاستقراء من الدعائم الاساسية التي يقوم عليها العلم الحديث (ويقصد بالاستقراء طبعا الاستقراء الموسع لا استقراء ارسطو المعروف بالصوري) وقد نقل

منذ مطلع القرن الثامن عشر يتمخض الغرب عن اكتشافات علمية هائلة في شتى ميادين العلوم . ولم تكن هذه الكشف وليدة يومها ، بل تقدمتها جهود جبارة اسفرت عن نتائج ذات بال . ولم يتح للغرب السير في هذا الطريق الا بعد ان قام باطلاق الفكر من قيوده ودك مبدا السلطة ، ذلك المبدأ الذي يعطل قوى الحواس . والنقد النزيه يقضي على الاحكام القبلية والمقيدة قضاء مبرما ، ودابه وديدنه التحري عن الحقيقة الناصعة دون طلاء خداع ولا برتقع غشاش (كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء) ان العلم اذن لم يتقدم الا بعد ان اعلن ثورته على الاوهام الزائفة وعلى كل ما يؤخر ركب التقدم والاطلاع الشخصي ، سواء كان ذلك بعين البصر او البصيرة . نالحق حق بقطع النظر عن مصدره ، سواء كان القائل اميرا او حقيرا . لقد كان علماء النهضة « ريسانس Renaissance » هم اولئك النفوس من العلماء الذين اوقدوا الشعلة الوهاجة لمعلمين اليقظة الروحية والثورة الباطنية على ما يؤخر الفكر والاستنباط ، ناكرين الاحتكار العلمي وطأطأة الراس لسلطان اناس معينين كانت لهم مكانتهم في العلم . امثال هؤلاء هم الذين خدموا العلم خدمة حقيقية نزيهة مجردة ايضا ، وقد اعلنوا على رؤوس الاشهاد ان لا ضرورة لان تكون الحقيقة مدعومة بقول عالم كبير ، بل يشترط فقط ان تكون واضحة للعالم اجمع ، فهي ملك لكل انسان . وهم لا يرون الكون بعيون السلف ، غير حاكمين على انفسهم بالعمى في الوقت الذي خلق الله لهم عيوننا ليصروا بها وآذانا ليسمعوا بها ، وعقولا ليفكروا بها . وانه في كثير من الاوقات « لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » . ابوا الرجوع الى الوراء ، والسير

لنا هذا الاستاذ طريقة ابن الهيثم التي تتفق وطريقة العلم الحديث .

« ونبتدىء في البحث باستقراء الموجودات ، وتصنف احوال المبصرات ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشبهه من كيفية الاحساس . ثم نترقى في البحث والمتايبس على التدرج والترتيب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج . ونجعل غرضنا في جميع ما نستقره وننصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى . ونتحري في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » . وختم كلامه بقوله : « وما نحن مع جميع ذلك براء مما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله نستمد المعونة في جميع الامور » . ويعلق مصطفى نظيف على قول ابن الهيثم ، بعد ان سرد تفسيره لمظاهر النور واعتماده على المثل الميكانيكية دون ان يتقيد كما تقيد نيوتن من بعده :

« وما اشبه ابن الهيثم في هذا بموقف بعض اساطين علم الطبيعة في اواخر القرن التاسع عشر ، الذين راوا ان يمثلوا الامور الطبيعية بمثل ميكانيكية جعلوها صورا تبين بالمحسوسات المعاني الخفية التي تنطوي عليها تلك الامور التي تتضمنها البحوث النظرية او المعادلات الرياضية التي تتعلق بها . وهم يتميزون في تاريخ تطور علم الطبيعة بمذهبهم هذا ، وليس اليق من ان نسهمهم (اصحاب المثل الميكانيكية) . وليس من الخطأ ان نجعل ابن الهيثم من ثلثهم ، فهو قد رأى مثل رايبهم ونهج مثل منهجهم .

يكون خروجنا عن الموضوع ولاشك ان نتكلم عن الجهود العلمية للاوائل من العرب ، امثال جابر ابن حيان والكندي وابناء شاكر وغيرهم ، الذين اتخذوا النسب الرياضية اساسا لفهم القانون العلمي . حتى ان قانون النسب الرياضية عند بروسست في التراكيب الكيميائية نجده عند جابر . ان المبدأ الذي هو اشد اصالة هو مبدأ الميزان عند جابر ، لان خواص الاشياء في مملكة الكيمياء حسب مبدئه قابلة للقياس ، ولا يكون تناسب المواد مع بعضها بعضا الا بنسب عددية . وهكذا يرى جابر النسب العددية في الاجسام ، وان القانون الرياضي هو الذي يعطي ترتيب الاجسام وانسجامها ، وهو المفهوم المجرد لعالمنا . فالميزان عنده رمز النظام في العالم . وقد استعاض عن المتولات العشر لارسطاطاليس بمبدأ واحد واتجاه واحد هو سيادة النظام الطبيعي او الميزان . ويرى بعض المحققين ان في نظرية جابر الطرانة والعمق لاننا نجد الشغل الشاغل والههم

الأكبر للعلم الحديث بكل أنواعه وفروعه يتجه الى احلال النسب الكمية محل الخواص الكيفية في كل تفسير لاي مظهر من مظاهر الوجود ، ويكفي ان يكون جابر قد شعر شعورا واضحا قويا بهذا الاتجاه لكي يتبوء مركز الصدارة في تاريخ العلم كله قديمه وحديثه . ويضيق المجال لذكر المنهج الواقعي وثمراته المختلفة عند كل من الجاحظ والكندي وابن سينا واخوان الصفاء والبيروني وغيرهم من العلماء الافذاذ . ولا بد لي من تأدية الامانة فأنقل ما قاله البروفسور نويرات مدير معهد المينرالوجيا في جامعة بون اثر محاضرة القيتا عن الجغرافيين العرب في بحثهم عن المعادن :

« اننا لم نتسلك سلم الجدل على اكتاف اليونان كما كنا نظن بل على اكتاف العرب » .

منذ القرن السابع الهجري او الثالث عشر الميلادي اخذ الشرق يضيع تراثه . فقلما نجد في هذه الفترة من الزمن بحثا علميا له قيمته . وانتقل التراث بالتدرج الى الغرب الذي عرف الاستفادة منه وتنميته . في هذه الحقبة كان الشرق العربي في ظلام دامس ، وقلما نجد في بطون الكتب بحثا علميا مبتكرا ، اذا استثنينا من ذلك طبعا الفكر الاجتماعي وواضع اساسات النقد التاريخي ابن خلدون ، والطبيب ابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية ، والذي خالف في نظرياته آراء جالينوس وابن سينا ، والذي بقيت نظريته في زوايا النسيان والاهمال الى ان بعثت منذ مدة قريبة من مرقدتها وكذلك نظرية التبلور عند التيتاشي ، ويعثر العلماء بين آونة وأخرى على بعض الابحاث التي لها قيمتها . وليس طابع هذا العصر خلوه تماما من المواضيع العلمية .. ولكن عدم متابعة البحث بصورة متواصلة وبداب لا يعرف الانقطاع لان المعول في النهضة العلمية ليس على وجود افراد قلائل بعقريّة غدة .. بل على التعميم والتواصل ، تينك الميزتين الهامتين اللتين لا نجدهما في عهد سقوط المدينة العربية وتدهورها .

في مطلع القرن التاسع عشر دبّت في الشرق العربي نهضة جديدة كان مصدرها البعثات العلمية الاولى التي ارسلتها مصر الى اوروبا . وكانت هذه النهضة تبشر بمستقبل باهر للعرب اجمع لو انها كانت متواصلة وسائرة بنفس السرعة التي بدأت فيها . ان هذه الميظنة كانت قبل يقظة اليابان . وأنه ليعترينا الاندهاش اذا اطلعنا على المشاريع التي تمت في تلك البرهة القصيرة ، وعلى الكتب العلمية

التي ترجعت الى اللغة العربية . وقد اطلعت على بعض الكتب من الكيمياء المنقولة الى اللغة العربية ، في المكتبة الوطنية بـ حلب ، لا اخال انه خفي شيء عن المترجم مما عرف عن هذه المادة في ذلك العصر . ولو ان الامة العربية تابعت الاقتباس بتلك الخطوات لكان لها اليوم شأن غير شأنها الحالي ، ولكانت لا تقل عن اليابان في مجارة الامم الغربية ان لم تزد عليها ، ولا يبعد ان يكون لها في الابداع الذاتي نصيب وافر .

ان النهضة العربية العلمية كانت قبل نهضة اليابان ، فان البعثات التي ارسلتها مصر الى اوربا كانت في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، فنهضة اليابان الحديثة تتبدى باعتلاء العاهل الياباني مايجي العرش وذلك عام 1857 وكان يبلغ من العمر ست عشرة سنة ، فكان رجلا حاد التفكير فارسل رجال حكومته الى اوربا ليطلعوا على حضارتها ومدنيتها وليرجعوا الى بلادهم وقد اغتموا ما وجدوه خيرا لهم . وفي عام 1889 سن هذا العاهل دستورا جديدا تناول اصلاح في جميع النواحي وكان من نتائجه هذه النهضة المتتابعة حتى اليوم . وليس من العجب العجيب ان يستيقظ اليابان بعدنا بسنين ويسبقنا مراحل عديدة ؟ ...

ان النهضة العلمية العربية التي يمكننا اعتبارها متتابعة الى حد ما هي تلك النهضة التي حدثت بعد الحرب العالمية الاولى والتي كانت ولا تزال تبشي مع النهضة القومية جنباً الى جنب . ورغم اننا نجد في بعض منا احساسا عميقا بضرورة اللحاق بالغرب فالمسافة بيننا وبينهم لا تزال بعيدة جدا . وقد ذكر عبد الرحمن الكواكبي قبل نصف قرن من الزمن بأن تنصيرنا عن اللحاق سوف يكون وبالا علينا (1) واننا لنقرأ في كتابه « ام القرى » صيحة مدوية ، هي في الحقيقة كما وصفها هو نفسه صيحة في واد أو نفخة في رماد . ولقد بين فيه : « والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقتصارات المتأخرين وتباعدهم الشرقيين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم احط بكثير من الامم . ولا شك اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما اخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها ما بين الانسان وباقي انواع

الحيوانات ... » وما قد مضى اكثر من خمسين سنة على هذا القول واننا لم نتقدم في العلم كما ينبغي ، رغم ان التعميم في العلوم خطأ خطوات لا بأس بها . علينا اذن ان نتحرى الاسباب في ذلك .

يظن بعض المفكرين في الغرب ان هذا التأخر هو حتمي ، لانه على زعمهم من الخصائص العرقية . وتبجح في ذلك الكثيرون . وقد ذكر احد الكتاب المعاصرين في الغرب ، الا وهو « هرمان كارغة » في كتاب نشره باللغة الالمانية : « الانسان والشعب » قوله هذا : « ان اكبر المساهمات والاشترك الفعلي في مضمار الرقي لا قيمة لها اذا لم تفهم فهمها جيدا . » وهذا على زعمه ما يجعل العرق الابيض يتميز عن بقية العروق . وهو على ما يدعيه سر تفوق هذا العرق ووصوله الى اعلى الدرجات في الحضارة . لان فيه قوى فعالة ، وهو جدير بفهم جهود المبدعين من ذويه ، وقادر على جمع القيم وتمييزها والاستفادة منها . لذلك كان هذا العرق على دعواه في ارقى الدرجات . »

اذا امعنا النظر في هذا القول وجدنا ان الشق الاول من هذا الحكم صحيح ، لان اكبر المساهمات في مضمار الرقي لا جدوى منها اذا لم تقترن بالتقدير اللائق . اما الشق الثاني من هذا الحكم فهو غير صحيح ، وناجم عن النتائج المشاهدة . ولكن هذه النتائج ليست حتمية ولا ضرورية ، لان كثيرين من ابناء امتنا قد اتيح لهم ان يكونوا من السابقين في ميادين العلوم والفنون، عندما كانوا يدرسون في تلك الديار . اما هذا الجود الذي نراه فهو ليس من الخصائص العرقية ، بل هو ناجم عن عدم صقل المواهب عندنا ، في الوقت الذي اتيح ذلك في الغرب ، ويضيق المجال عن ذكر العدد الكبير من علماء العرب في شتى انحاء العالم الغربي من اوربا وامريكا والذين يقومون هناك بمهام علمية جسيمة .

ان الغرب قطع طريقا طويلا للوصول الى هذه النتائج التي نراها اليوم . وليس من المنطق في شيء ان نقوم فنقطع الطريق نفسه ، بل اننا مضطرون الى اخذ النتائج كما هي لذلك كان الاقتباس من اجلنا ضرورة لابد منها . واذا اردنا تشبيه عصرنا بعصر

(1) اقامت مدينة حلب في عام 1952 حفلة تكريمية بمناسبة مرور مائة عام على ولادة ذلك العبقري العربي الكبير عبد الرحمن الكواكبي، وقد تكلم بالحفلة حفيده وزير الاوقاف السابق ، والقيت كلمة بعنوان « الكواكبي باعث النهضة العلمية » .

من العصور العربية الاولى .. فيقتضي تسمية هذا العصر بعصر الترجمة ، الذي كان في أواخر العهد الأموي واولئ العهد العباسي . ومما يؤسف له حقا انه لم يتم في العصر الحديث حركة ترجمة منظمة كتلك التي قامت في الماضي وكانت السبب في النهضة العلمية المعروفة ، ولعبت دورها أيضا في تاريخ الثقافة العالية . لانه لا يمكن الحصول على الإبداع الا بعد قطع مرحلة الاقتباس بفهم جيد واسلوب موحد لا بلبلة فيه ولا تشتت ، على ان نأخذ هذا الموضوع بصورة جدية لا أن نعالجه على الهامش .

لمكانته ، لانه كثيرا ما يرى نفسه اعظم من أن يحصر
فعالته الذهنية بالمشاهدة المحسوسة التي يقدر
عليها كل فرد عادي ، وهو يرغب في التحليق في أفق
الخيال ، ويتوهم اشياء غير واقعية . يريد التحليق
في السماء وهو لم يتعود السير بالصورة ، ولعل هذه
النزعة التي تبعدنا عن تفهم العلوم بالصورة المضبوطة
انت الينا من الادب الوهمي ، ولا اقول الخيالي ، لان
في الخيال الخصب ثمة مرجوة أيضا . وقد تغافل
هذا الاتجاه في نفوسنا حتى وصل بصورة لا
شعورية الى دراستنا للعلوم الطبيعية . وقد غاب عن
مكر الكثيرين ان الهرب الى الخيال المحض ، او
بالاخرى الى الوهم كما بينا ، ناتج عن ضيق معين
الفهم عن استيعاب خفقات الطبيعة الحية ، ومن
الجهل بان آيات الكون الاصيله هي اعرق واجدى
وانفع من الخيال الذي لا يرتكز على اساس .

بعض الاغلاط التي هي في الكتاب وارتدت تنبيههم عليها يغضبون ويقولون لي هم يريدون التعلم كما جاء في الكتاب ضمانا لنجاحهم .

ان اول ما يجب علينا عمله تحري الطريق الواضح للاخلاص للعلم ، وان كان هذا الطريق شاقا عسيرا . وان ايجاد هذا الطريق وغرسه في نفوس الناشئة لهو اشد اهمية واكبر فائدة واعظم عائدة من تثقيف الادمغة بالمعلومات الكثيرة التي يشعر الانسان بثقل ظلها على النفس ، او من اتخاذ هذه المعلومات وسيلة للريح المادي فقط بحيث تصبح ميكانيكية آلية خالية من شعور بالرسالة ومن تلك اللذة المعنوية العميقة التي تفوق كنز الارض . ان هذا الهوى وهذه الهواية هما اللذان يسوقان الانسان الى البحث والاستقصاء . اتنا لنجد هوايات عديدة عندنا في مختلف الالعب ، ولكن قلما نجد مثل هذه الهواية في العلم بحيث لا نقبل عنه بديلا ، فاذا رأى احدا الاشتغال في تجارة اضمن ربحا من العلم طلقه طلاقا لا رجعة فيه . ولعل من ضاقت به سبل العيش معذور في هجر العلم او في عدم الاشتغال الكلي به ، ولكن ما عذر اولئك الذين رحبت تجارتههم ومع ذلك لم يكلفوا انفسهم عناء متابعة الدراسة ؟ نرى في وطننا كثيرا من اطباء الذين راجت مهنتهم من الوجهة المادية بدرجة لا يحلم بمثلها امثالهم في الغرب ، ومع ذلك فقلما يخطر ببال احد منهم الاطلاع على الجديد من المكتشفات العصرية او القيام بدراسة الامراض المستعصية بشتى الوسائل الممكنة ، او ايجاد معهد خاص للبحث لبعض الغسل التي ننن تحتها . في عام 1956 كنت مراقبا للطبوعات الاجنبية عن محافظة حلب ، فلم اجد الا طبيبين فقط ومهندسا واحدا ممن اشترك من المواطنين في مجلات الاختصاص .

ان يقظة ضمير الحر هي من اهم اسباب الرقي في العلم ، وهي التي تجبرنا ان نكون مخلصين لقابلتنا الذاتية ؛ ساعين لاكتشاف الميول عند غيرنا وبذل الجهد في انمائها . ذلك التعليم الموجه الذي اعتنى به الغرب واهملناه ، اذ (كل ميسر لما خلق له) . والنبوغ كما هو معلوم لا يهبط من السماء ، بل هو كالبذرة : ان لم تجد التربة الخصبة والمواد الانبائية الصالحة ذبلت وماتت واصبحت نسيا منسيا .

ما يجب الالتفات اليه بصورة خاصة .. الروح الحركية السائدة في الغرب والتي كانت من اهم العوامل في تقدمه وسيره الى الامام . ان هذه

حتى يغيروا ما بأنفسهم) . اذا عقلنا ذلك كان لنا المطمح في ان لا نكون عالة على الغربي في يوم من الايام في اليجاد الذاتي . ان هذه الخبرة الذاتية لها قيمتها ، فليس القصد ان يقلد الانسان تقليدا اعمى ، بل ان يدع الشيء يتغلغل الى داخل نفسه وينبع بعد ذلك بصورة عفوية منها . ويقول نيتشه في هذا الصدد على لسان زردشت عندما التقى به مريدوه وقالوا له : (ايها المعلم ، اتنا نؤمن بك) ، فوقف زردشت هازنا متكهما قائلا لهم : (انكم لم تجدوا انفسكم بعد ، فكيف وجدتموني ؟ .. ابحثوا عن انفسكم بادىء ذي بدء ، فان وجدتموها سهل عليكم عند ذلك الوصول الي ، وان كنتم قد اضعتم انفسكم فانكم لن تجدوني) . ويضيف هذا المفكر الى ذلك قوله : (اريد البقاء احمق اعتمادا على زندي ، دون ان اكون عبقريا اتكالا على غيري) . ويقول اقبال الشاعر الباكستاني :

اذا حلك الظلام كعين ظبي

انرت بنور اضلاعي طريقني

اذا كنا نريد حقا ان نتبع هذه العلوم من انفسنا فعلىنا معرفة نقلها الى ساحة اللاوعي والاشعور ، وان نرى المشاكل العلمية حتى في احلامنا . وكمن مبتكرات علمية انبعثت من العقل الباطن فقدمت العلم عصورا عديدة . واذا كان الاخلاص رائدنا والصدق دليلنا فيجب علينا الاعتراف بأن العلم لم يشكل بمعد هوى باطنيا عيقا عندنا لدرجة لا نستطيع هجرانه سواء قلنا منه فائدة ام لم نل . ويقول الشاعر فريد الدين العطار :

فان تقرا علوم الناس الفا

بلا عشق فما حصلت حرفا

وكمنحن بعيدون عن ذلك المثل اللاتيني القائل : (نتعلم من اجل الحياة لا من اجل المدرسة) ومن الواضح الجلي ان الكثيرين يتعلمون للمدرسة ولاجتياز الفحص فقط ، فاذا انتهى ذلك انتهت مهمة العلم ولم يشأ احد ، الا القليل قراءة الكتب بينه وبين نفسه للثقافة الخاصة وللانتقال من ظلمات الجهل الى النور والاستبصار . حتى ان الشغل الشاغل في العلم عندنا هو استظهار امثولات لكتابتها بالفصحى وان كانت مغلوطة ، لان المعول عندما هو على الشهادة لا على العلم الصحيح . كان يراجعني بعض الطلاب في حل بعض امور لهم في الكيمياء لاجتياز محووس الشهادة ، فاذا ما وجدت

اللزعة (كما سبق لنا وبيننا) تود تسخير قوى الطبيعة، فالرياح والماء والحرارة والكهرباء والمادة والقوى المختلفة والطاقات الذرية كلها تحت تصرف الانسان الحركي وفي قبضة يده . وهذا الانسان لا يكتفى برقعة الارض الضيقة ، بل يحاول الاتصال بالعالم العلوي ، عالم الكواكب .

لعل هذه اللزعة قد دبت عند افراد قلائل منا ، فمما يجب علينا عمله ضم تلك الجهود الفردية الى بعضها بعضا لتكون جهودا جماعية متعاونة . ومما يجب الاشارة اليه انه يجب علينا عدم اقتباس هذه اللزعة دون قيد ولا شرط بل ينبغي تجنب سيطرة الآلية العمياء التي يشكو منها الغرب والتي احدثت ازمة هائلة زادت في بلاء الانسان ومحتنته وتفتنت في ايجاد وسائل التدمير . وعلى كل فان الحركة لا تأتي عفوا من تلقاء نفسها . ولنعلم ان الإبطاء في البت بالامور والتسويق الذي يلينا به هو من اكبر آفاتنا ومن اكبر عوامل تأخرنا . فالزمن ليس مرور شيء موهوم ، فاذا لم توجد هناك حركة في اذهانتنا وتقدير لسر الزمن .. لفظنا سيره السريع جانبنا واصبحنا اسطورة من اساطير الماضي . فالامة التي ليس بمقدورها خلق الجديد في العلم لا تسير مع الزمن . ولا فائدة من ذهابنا الى الغرب ما لم نقيم بتجديد نفوسنا . اننا لنجد الشعب اللابي مثلا (ذلك الشعب الذي يعيش بين السويد والنرويج والدانمارك) لا يزال على تأخره وبدأته مع انه يعيش في قلب الامم الاستاينديناوية التي قطعت شأوا بعيدا في مضمار التقدم العلمي . هناك المهمة الكبرى الملقاة على كواهل مثقفينا وقادة الراي فينا ، الا وهي خلق الاسباب وتوفير الوسائل لجعل الفكر حريسا بالاعتباس . اننا نشعر طبعيا بتأجج بصيص ضئيل من هذه الروح الحركية ، ولكننا نخشى على هذا البصيص ان ينطفئ بتعاقب الزمن ان كان المحيط باردا ولم نتأثر على النفخ في كل فرصة سانحة لان المعول عليه في كل رقي وتبديل هو الانقلاب النفسي.

ان روح المغامرة والطموح هي من اهم الاسباب في التقدم العلمي . فلو لم تكن هذه الروح سائدة عند كريستوف كولومبس لما اتيح له الكشف عن امريكا . ولو لم تكن عند باستور لما توفيق للكشف عن الجراثيم . ولو لم تكن عند لانوازييه لما توفيق الى معرفة تركيب الهواء ، وكيفية الاحتراق ، واكتشاف قانون بقاء المادة الذي لم يتزعزع الا في العصر الحاضر . عندما ساد قانون التبادل بين الكتلة والطاقة ، ولولا تلك

الروح ايضا لما توفيق الزوجان كوري الى الكشف عن معدن الراديوم العجيب . ولولاها كذلك لما عرف هرتس سر الموجات الاثرية التي كان من نتائجها الاذاعة اليوم . والامثلة على ذلك في تاريخ العلم الحاضر لا يحصى عد . هذه الروح نشاهدها عند اسلافنا الماضين الذين شددوا الرحال وجابوا الافاق للارتشاف من معين العلم وللكشف عن الحقائق . عندما زرت قبيل الحرب العالمية الثانية منطقة (نورد كاب) اقصى نقطة في شمال اوربا ، وارتدت ان اسطر في كتاب الضيوف هناك اني اول عربي جاء الى هذه المنطقة .. جلب دقة نظري عالم سويدي الى انه يجب علي ان اكتب اني اول عربي يقوم بذلك في القرن العشرين ، وقد سبقني منذ الف سنة الرحالة العرب القدامى . وقد تأكدت من ذلك عند زيارتي متحف برغن الذي وجدت فيه نقودا عباسية من عهد المتوكل على الله . وفي كتب الجغرافيين قصص وتفاصيل هامة عن هؤلاء الرواد الى تلك الاماكن النائية مع ضعف وسائل النقل . ان هذا المثال وحده يرينا مدى التقاعس الذي يلينا به بالنسبة للماضي ، وما ذلك الا لضعف روح الاطلاع ، تلك الروح التي متى ما تغفلت في النفس لا يهدأ صاحبها الا بالوصول الى الهدف وسبر غور اعجوبة من اعاجيب العلم .

ان التعلم في ديارنا يكون غالبا لاجتياز الفحص فقط ، لا حبا بالاطلاع . ذلك الهدف القريب الذي يقتل فينا نشاطا وفعالية . وكثيرا ما نشاهد الطلاب اذ يحدثهم احد اساتذتهم عن نبذة جديدة اطلع عليها .. يسألونه على الفور : وهل هذا الشيء داخل في الفحص ؟ .. فان علموا ان لا دخل له في ذلك اظهروا التأفف من السماع . ولعل قساوة الحياة هي التي فرضت عليهم ان يكونوا قانعين بالهدف القريب وان تكون المواضيع العلمية بالنسبة اليهم وسيلة لا غاية .

شباب قنع لا خير فيهم
وبورك بالشباب الطامحين

هكذا يكتبون بالكتب المقررة غير راغبين في توسيع افق اطلاعهم . وفي الحقيقة ان العلم القليل مع تقوية روح الاطلاع له فائدة اكبر من العكس ، اي سعة العلم مع ضعف روح الاطلاع .

اذا درسنا قصص العباقرة والذين خلدوا اسماءهم في تاريخ العلم نجد عندهم روح الاطلاع قوية حتى انها عند بعضهم اقوى من الحياة التي هي اعز

شيء على الانسان . فكم من ضحايا ذهبت ثمنها لاكتشاف الجراثيم ومفعول بعض العقاقير . ويروي عن ذلك الذي كان يريد معرفة تأثير أول أوكسيد الفحم في جسم الانسان انه قدم نفسه ضحية وأخذ يدون ما يجري معه ، وعند شعوره بالاعياء أوما إلى زميله ليتابع تدوين ما حصل له . واثنا لنقرأ في ترجمة حياة محمد بن احمد البيروني ، من علماء القرن الخامس الهجري ، انه كان يجهل قضية من القضايا الرياضية ، وقد أتاه زائر وهو في مرضه الاخير ، فطلب منه البيروني ان يشرح له تلك الغوامض . فقال له الزائر : اني مثل هذه الحالة ؟ فاصر عليه البيروني فشرح الزائر الكيفية . وما كاد يبتعد بضع خطوات عن منزل ذلك العالم حتى سمع صراخ النساء بالحادث الجلل . وكان البيروني كان يريد ان لا يغمض عينيه الى الابد وهو جاهل لذلك . هنا نجد العلم غاية لا وسيلة . وليس هذا شأن البيروني أو العلماء الذين ذكرناهم وحدهم ، بل هو شأن جميع الذين اتيح لهم الخلود عبر العصور . ان من اسباب تأخرنا رغم وجود جيوش جرارة من المتعلمين بيننا ، ضعف هذه الروح . وان التعلم دون يقظة روح الاطلاع قوية في النفس هو نصف العلم . وان نصف العلم لاشد ضررا على النفس من الجهل ، فالجاهل الذي يعرف حدوده متواضع ، ونصف العالم غر أحق ، يحب الدعوى الفارغة التي لا لب فيها هو أشبه بالسنبلة الفارغة التي تقف منتصبه أما المليئة فتبيل من ثقلها . ويذكر الشاعر احمد الصائفي انه يريد ان يموت بلا وعي مخافة الالم ، وانما يستدرك بعد ذلك ويقول :

ولكنني اخاف علي نقصا

بحرمانني من الدرس الاخير

ان الصراع من اجل الشهادة قوي عندنا ، وقد فاثنا معرفة ان هناك كثيرا من العباقرة شقوا طريقهم الى مجد الخلود دون ان يكونوا من حملة الشهادات . فما هو « سيمنس » الذي ركب أول محرك كهربائي كان حدادا بسيطا . وان « ديزل » مركب المحرك المعروف باسمه كان ميكانيكا بسيطا عرف التحرر من ريقة الآلية فاهتدى الى محركه . وان « اديسون » ابا الاختراعات والكشف كان عاملا بسيطا في ادارة البرق ، ولكن نشاطه وعبقريته لم يعرفا حدا يقفان عنده . وان الذي حل لغز الخزف الصيني بعد ان ظل قرونا عديدة في الغرب لغزا من الالغاز كان عاملا

فاخورة بسيط ، وبحدة ذكائه توصل الى معرفة السر واثقذ معلمه من الموت .

اننا كثيرا ما نضيق رحمة الله الواسعة ، فالنبوغ لا يعرف حدا . فبدلا من طلب المجد الحقيقي ننام على الالقاب ، ونقف عن متابعة العمل . وكما نادى المصلح الديني محمد عبده نداءه الشهير :

ولكن ديننا قد اردت صلاحه

مخافة أن تقضي عليه المآثم

فنحن بحاجة ماسة الى مصلح علمي يقول :

« ولكن علما قد اردت انتاذه مخافة ان تقضي علي الشهادات » .

لا نريد ان ندعي ان الشهادة من معهد علمي لا قيمة لها ، ولكن ما نود الإشارة اليه هو ان العلم الحقيقي حركة دائمة لا تعرف الوقوف ابدا . فان كنا مخلصين فاننا نبغي دوما المزيد : « قتل ربي زدني علما » . ومن لم يرغب في الاستزادة وظن انه بلغ الذروة وقع على الارض صريعا . من اجل ذلك كانت شهادة الدكتوراه في الغرب هي بدء العلم وعندنا نهايته فنحن ننتهي من حيث يبدأ غيرنا . وان كثيرا من افراد امتنا مع الاسف (كما قال الشاعر حافظ) « يعيشون الالقاب في غير العلى » ويفدون بالنفوس الرتبيا » .

يحدثنا تاريخ العلم عن دور بريق الفكر ، كما حدث ذلك مع ارشميدس عندما اكتشف شروط الفوص في الماء والوزن النوعي وهو يغتسل في الحمام ، فركض صارخا في شوارع سيراكوز من جزيرة صقليا : « وجدتها ، وجدتها » (« اريكا ، اريكا ») . ولم يكن هذا هو الحادث الوحيد من نوعه ، بل تكرر امثاله مرات عديدة ، ويصور واشكال متباينة يبعثها الى حيز الوجود توارد الخواطر وتداعي الافكار ، كما حدث للكيميائي « ككوله » عندما حل لغز صيغة البنزين وكان في غفوة ينظر الى لهب النار ، فترأى له كان أفعى بعض ذنبها ، فخطر له ان هذه الصيغة لا يمكن ان تكون الا اذا قبلنا انها دورية مغلقة واديسون قد اعجزته الحيل في عمل المصباح الكهربائي . ففي جلسة هادئة ، وهو يتناول الطعام مع زوجته وولده ، قالت له زوجته ان ابنه بليد فارغ الدماغ . فاجاب : نعم يجب علي تفريغ المصباح من الهواء .

في الصباغات الانيلية وان مكتشف السلفرسان الجديد « ارليخ » ، او الدواء المعروف بـ 606 - ، قد وصل الى هدفه وكانت الافكار المولدة تنبجس من نفسه وسط موسيقى الرقص . وكانت السيدة « كوري » مكتشفة الراديو ، مفرمة باشعـار هاينريخ هايني وموسيقى بيتهوفن ، وكانت جديرة بتواصل نشاطها بعد هذه الاستراحة الفنية . وقد كان ديفي ، مكتشف المعادن القلوية التي هي فاتحة عصر جديد في عالم الكشوف المعدنية ، له ميل عظيم لقرض الشعر . وكانت قريحته تجود في العمل الفني . وقد قال عنه أحد سفراء الانكليز لو لم يصبح من اكبر علماء الكيمياء في عصره لكان من اكبر الشعراء . وقد استمال السامعين بسحر بيانه وان الفكرة التي خامرت (وهلر) وهي مجابهة الفرضية القائلة : «ان هناك عقبة كآداء لا يمكن اجتيازها بين عالم الحياة واللاحيـاة » ، هي من وحي فني استمدته من خياله الفياض ، لانه كان يعتقد في قرارة نفسه ان القوة الحيوية المزعومة ليست الا ستارا لما نجعل ، وكان يردد في نفسه ذلك الشوق العظيم : « آه لو تمكنت من تركيب احدي هذه المواد التي لم يؤثر تركيبها الا في الجسم الحي ، لاستطعت ضرب الفكرة السائدة ضربة قاضية ، اقوى من الضربة التي وجهها لانوازييه للنظريات القديمة » .

ويعد من اكبر الفلاسفة الذين وضعوا المفهوم الكمي اساسا للكون .. الفيلسوف اليوناني « فيثاغوروس » وهو الذي قال بانسجام انغام الافلاك . كان هذا من اكبر العلماء والفلاسفة وفي الوقت نفسه من اكبر الفنانين . اتنا لنجد هذا التوازي ايضا في العصر الحاضر ، فان هناك تشابها عظيما بين تنسيق العناصر للعالم الروسي مندليف والالماني لتر ماير ، وتناسق الالـحان . ومن اغرب ما حدث في هذا الشأن ما ادعاه احد العلماء البريطانيين « جون نيولندز » : (اتنا اذا رتبنا العناصر حسب اوزانها الذرية لاحظنا ان كل عنصر ثان يشبه العنصر الاول) . ووجد في ذلك غرابـة تسترعي النظر فـشبه جدول العناصر بأصابع البيانو الثمانية والثلاثين . ولكن هذه الفكرة التي سخر منها اعضاء الجمعية الملكية البريطانية تابعها العالم الروسي مندليف ، فجاءت قريبة من الواقع . فانه قد اوجد طرائف عديدة للعناصر وهي وان اختلفت بعد ذلك من حيث التنظيم - الا انها تظل متفقة في الاصل ، وتنتهي اخيرا بالعدد الذري الذي هو العمدة في تنظيم العناصر اليوم .

لا تزال كيفية انبجاس المعرفة بفتة ويصـورة مفاجئة لغزا من الالغاز . هناك عوامل نفسية أصبحت واضحة على ضوء النهار ، ولكن هناك امورا لا تزال غامضة . واذا تساءلنا : يا ترى لماذا نسمع صراخ « وجدتها » في عالم الغرب ، ولم نسمع مثل هذا الصراخ في عالمنا اليوم مع انه كان لنا نصيب منه في الماضي ، كما نقرأ ذلك في الكتب التي تبحث عن تاريخ العلوم ، امثال « كتاب الحكماء » لابن القفطي ، و « عيون الانباء في طبقات الاطباء » ، وغيرها من الكتب ؟ .. فالجواب على ذلك هو ان هناك عوامل يقوى فيها هذا البريق ، وعوامل يضعف فيها ، فلنختبر أي العوامل يسيطر علينا .

ان تفرغ التوتر ، وانتقال المعرفة الى اللاوعي ، والاهتمام بالموضوع ، والشعور بالرضى والحرية وراحة البال والضمير ، والتنظيم في العمل ، هي من اهم الاسباب في تفجر ينبوع المعرفة والكشف الجديد . اما وضعنا الحاضر فليس مناسباً لذلك : فاننا لنجد أعصابنا متوترة وقلما تنتقل المشاكل العلمية الى ناحية اللاوعي ، وكذلك الاهتمام فهو ضعيف جدا . واذا أردنا التفتيش عن الرضى عن النفس ، وراحة البال والضمير ، وجدناها امرين صعبين التحقيق في محيطنا . لذلك كان مثل هذا الجو لا يساعد على الكشف والإبداع . وكثير من الحقائق يخشى بعضنا الجهر بها خوفا على مستقبله . وقد يضطر بعضنا ان يقول عن اللبن انه اسود اذا اقتضت مصلحته ذلك . فمن اجل ذلك « فاز المتعلقون » . ان مثل هذا الجو الخائق لا يساعد على فتق القابلية وتقدمها ، بل يكون عاملا من عوامل التقليد الاعمى ، عدو كل ازدهار في الكون . فالعمل في جو مثبط للهم هو عمل آلي عقيم ان لم يكن هداما .

لعل من اغرب الامور في فتق القابلية على العلم - الصلة بين العلم والفن بالمعنى الواسع . ان المدقق السطحي يزعم ان لا صلة بين العلم والفن او بين العلم والادب ، ولكن لدى ايمان النظر نجـد العالم المبدع فنانا بالطبع . واذا درسنا قصص المخترعين والمكتشفين فاننا نجدهم وثيقي الصلة بالناحية الثانية . حتى انه يمكننا التصريح والقول انه يكاد لا يوجد مكتشف له قيمته الا وله ميل خاص لفن او ادب ، لان ابداع شيء جديد ، سواء كان ذلك في مملكة العلم او الادب او الفن ، لا يتاح الا لروح فنية فذة . فبين انغام بيتهوفن ولد تشكل الانيلين في بون ، تلك المادة الهامة التي هي الحجر الاساسي

بطل يرثي نفسه قبل الموت) الخ.. فكلها موت ورثاء
ويأس . ولا نجد من القراءات الحافزة للهمم الا الشيء
القليل ، مثل : اكتشاف العالم الجديد ، والرحلة
في الصحراء . وعدا ذلك فنكاد لا نجد شيئا من سير
اولئك الذين شقوا طريقا جديدا في الحياة ولقد تغير
الوضع بعد ذلك ولكن لا تزال كتبنا خلوة من اللوحات
الفنية الفريدة والتوجيه المثمر .

ان نفخ روح الموت في البراعم التي لم تتفتح بعد
لا يتفق والروح التربوية التي من شأنها بعث الامل
في النفوس . وهنا ينطبق ما يقوله نيتشه في حق وعاظ
الموت : « هؤلاء هم الذين سئمت نفوسهم من الحياة
ويكادون لم يلدوا بعد . يأخذون بالموت ويشتاقون الى
تعاليم الاعياء والحرمان . يريدون تقوية ارادة الموت
ويلزموننا بدعم ارادتهم . احترسوا من ايقاظ ارادة
الموت وفتح التواييت التي فرضت عليها الحياة فرضا»
ويقصد بذلك اولئك الذين هم احياء في اجسامهم
واموات في نفوسهم . ان اكبر كارثة وقعت فيها
الماتيا لا نجد لها رثاء في كتبهم واشعارهم . بدلا من
سألناهم عن السبب يجيبوننا على الفور : بدلا من
الرثاء والحزن نقوم ونبني ما تهدم . وهذه لعمري هي
الطريقة المجدية ، وشتان بين العمل المثمر والعمل
المقيم .

هذا ويلزم ان لا ننسى بان الغلو في تقدير الفن
وعدم الالتفات الى العلم الصحيح وتطبيقه العملي قد
يكون فيه كل الضرر ، يمكننا تشبيه الفن بالملح
والانفاويه للطعام التي تبعث الشهوة على الاكل وتساعد
في افراز الغدد الضرورية للهضم ، ولكننا اذا غاليينا
ووضعنا كميات كبيرة منها في الطعام ، فيكون ضررها
اكثر من نفعها وتنج النفس هذا الطعام مجا ، فان
الغلو والتطرف في الامور الثانوية واهمال الامور
الحوية المفيدة يبعدنا عن الهدف ويولد فينا الشلل في
العمل ، وكذلك الامر في الغلو في الرياضة ، نعم ان
العقل الصحيح في الجسم الصحيح ، ولكن اذا
اعتنينا بالجسم فقط واهملنا العقل فنكون جسما لا
عقل فيه :

اتبل على النفس واستكمل فضائلها

فانت بالروح لا بالجسم انسان

ان من اهم الاسباب في تقدم الغرب سيادة روح
التعاون ، والاهتمام بالمنتسب الى العلم وتقديم المسد
له ماديا ومعنويا . فاذا ما فاجأنا الغرب باكتشافات

حتى ان اينشتاين الشهير هو من كبار علماء
الموسيقى ، وله تأليف فيها . وان الطبيب الانساني
الكبير (البرت شوايتزر) الذي اكتشف دواء مرض
النوم في افريقيا وقاسى في سبيل ذلك ما قاسى ،
والذي منحته السويد « وسام الاستحقاق الدولي » ،
هو في الوقت نفسه من كبار الموسيقيين ، وعرف
في عالم الفن قبل ان يعرف في عالم الطب . وقد
انبثق نجم جديد في سماء سويسرا في هذا الوقت
هو طفل صغير في مدينة « بازل » يقول عنه العلماء
انه سوف ينضم الى قائمة العباقرة الرياضيين في
العالم ، اظهر في الوقت نفسه ميلا عظيما للموسيقى
حتى انه لقب بالفيثاغوري الصغير .

لا يخدم الفن العلم من هذه الناحية فقط ، بل
يخدمه من ناحية التشويق بالعلم للناس فوسائل
الايضاح هي عمل فني ، وتدوين سيرة العلماء
والمخترعين هو عمل ادبي مجد فنحن مقصرون في
هذه الناحية من جهتين :

1 — اننا مبتعدون عن الروح الفنية المولدة .
فيوم كنا مبدعين في الفن كنا ايضا من المبدعين في
العلوم . ولما اصبحنا قتلدين ، سواء كان ذلك للوائل
او للغرب ، دون فهم قابليتنا الخاصة - اصبح الابداع
بعيدا عنا بعد الارض عن السماء .

2 — كان باستطاعة الادب والفن خدمة العلم ،
فينقلنا لنا ، سواء عن طريق الرسوم والتماثيل او
القصص ، سير الذين ابتكروا في العلوم .

اذا قارنا بين الكتب المعدة للقراءة التي تدرس في
مدارسنا ، وتلك التي تدرس في مدارس الغرب ، رأينا
الفرق شاسعا . ففي كتاب القراءة لمدارس الصناعة
في الماتيا مثلا نجد ما يلي : قصة ذلك الفلكي الكبير
الذي كان عاملا بسيطا . الجهود الصناعية في العالم
القديم . قصة الميكانيكي وايمرلر . ما يمكن عمله بكيلو
من الحديد . قصة « ديزل » . اغنية المطرقة . رسالة
المهندس . سرور العمل . العمال الذين اقدرهم .
البناء الجديد قصة اسرة نجار عصامية . المعمل
الذي فيه روح . النور على النافذة . وقصص عديدة
عن الفنانين والادباء والمغامرين والانسانيين الكبار
الذين يقوون رغبة الحياة من ناحية ابداعية . اما
كتبنا فقد وقع في يدي عن طريق المصادفة الكتاب المعد
للف السابع الثانوي عندنا منذ بضع سنين فوجدت
المواضيع الآتية : (الملك السجين . انه امير اسير .
السجن والاسر . مصطفى كامل على فراش الموت .

سواء كان ذلك في اشراكهم بالاعمال او في وصلهم بالمعاهد الراقية . وان الاهتمام والثقة والتدريب المتواصلة تصقل مواهب الإنسان ، وقلة الاهتمام تعمل عكس ذلك . ولضعف روح التعاون عندنا في السابق فاننا كنا نهمل خبراينا اهمالا تاما .

فالنجاح ، ليس في بروز الكشوف العلمية فحسب بل في جميع مرافق الحياة ، لا يكون الا بالتعاون . ويقول المربي الكبير ساطع الحصري في هذا الصدد : « ان تأثير الانظمة والترتيبات الاجتماعية في الحياة البشرية تشبه شبها عظيم الدور الذي تلعبه الآلات البخارية والكهربائية . فكما ان هذه الآلات زادت قوى الانسان زيادة هائلة ، فالترتيبات الاجتماعية ايضا قد زادت قوى افراد زيادة مذهشة :

يعجبني في هذا الصدد ما قرأته لشاعر غربي معاصر : « لودفيك فينك » بعنوان « الى الشباب » :

اصعد الى اعلى ذروة تستطيعها .

لا يزال الطريق يقود الى ثمرات يانعة .

والى كل ما تصبو اليه .

نمسك لك سلم الصعود .

ويقول الشاعر ابن الوردي :

لا تقل قد ذهب اربابك

كل من سار على الدرب وصل

بلينا مع الاسف ايضا بانعزالية قليلة الشبه . نحن نرسل البعثات العلمية الى الغرب لا للتعلم بل للتخصص والاطلاع على مباحث جديدة بل للوصول الى حد معين لا يتجاوز المهنة الآلية . وان تبادل الافكار مع المعاهد الغربية الراقية يرفع سويتنا ، لان بريق الحق يشع من تصادم الافكار . ان مثل هذه الاتصالات الفعلية تقدح زناد الفكر ، ولعلها تولد فينا الطموح الى الاحتذاء بغيرنا في النشاط والحيوية .

ان تخلفنا عن الكشوف العلمية ، بجانب انخذالنا في قضية فلسطين ، والدعايات المغرضة في حقنا ، جعل اسمنا في عالم الغرب حتى الى فترة قصيرة مشوها مع الاسف الشديد . ولا يمكن تلافي ذلك ان بالعلم الصحيح ، والتعاون الصادق على خير العمل . والشعوب لا تنظر الى ماهية الامة وجوهرها ، ولا الى ماضيها وسلفها ، بل تنظر الى

واختراعات جديدة فاننا نجد ، اذا تعمقنا في الحقيقة ، ان ذلك غير ناجم عن جهد فردي ، بل تضافرت جهود عديدة لابرازه الى حيز الوجود . هناك معاهد عديدة في الغرب وظيفتها البحث والتنقيب واكتشاف الغوامض . وان جميع الجامعات العالمية تهدف دوما لهذا . فضلا عن ذلك فهناك مؤسسات وجمعيات خيرية غايتها تشجيع العلم والبحث ، حتى انه في جميع المعامل الكبيرة ادارة خاصة لفحص المقترحات ومكافأة اصحابها . ولحفظ حقوق امثال هؤلاء تأسست دائرة التسجيل التي اقتبسناها ايضا من الوجة الاسمية ، ولكننا لم نسمع حتى الان بتسجيل شئ له قيمة عالمية . اذا شئنا السير في هذه الطريق فلا بد لنا من ان نبتدىء بتأسيس معهد خاص للبحث التطبيقي . فمن التطبيق يمكننا بعد ذلك ان نصل الى العلم المحض . لانه يجب ان لا يعزب عن بالنا ان كثيرا من الابحاث العلمية تنتهي ان قريبا او بعيدا بالاستعمال الصناعي ، فان اقدم المعارف الكيميائية والفيزيائية والميكانيكية كانت تستعمل لاجاد مواد جديدة ولتحسين المواد المعروفة ، ولتقسيم او تحسين طرائق العمل الصناعية . فني طريق النهضة وفي كل بناء يكون له قيمة دائمة يلزم ان نبدأ فيه من الاسفل ونتردد الى الاعلى . اما اذا وضعنا احجار البناء في الاعلى دون ان يكون لها اساس سفلي متين فنتع على رؤوسنا وتحططنا .

ان اهتمام العلماء بالعامل الانساني في الصناعة ازداد توسعا يوما بعد يوم الى ان احدث فرع جديد في علم النفس غايته دراسة المشاكل النفسية المتعلقة به ، وهو الفرع المسمى بعلم النفس الصناعي . ان مخابر البحث تهتم بالطرائق العلمية المختلفة ، وهي عبارة عن مخابر جامعية وحكومية ، ومؤسسات خيرية ، ومخابر لشركات صناعية محدودة (عامية وخاصة) ، واخرى فردية . ان المخبر الفيزيائي والوطني في بريطانيا ، ومؤسسة الرايخ في المانيا قبل الحرب .. التي ورثتها اليوم عدة مؤسسات ، والمخبر المركزي للكهرباء في فرنسا ، والمكتب النموذجي للولايات المتحدة في واشنطن ، ومؤسسات البحث في روسيا السوفياتية ، هي امثلة للمخابر الحكومية التي ادت لمزروعات عديدة من مجموع فروع البحث العلمي التأسيسي خدمات جلى في حقل الصناعة .

ناتي في كثير من الاحياء ببعض الخبراء الاجانب دون ان نشرك ابناءنا في ذلك فاذا لم يكن عندنا من خبراء فيلزم ايجادهم ، وان كانوا ضعفاء فيلزم تقويتهم

اننا سنعيش على الهامش في العلم ، وبين محافل
الشعوب .

وقديما قال الشاعر العربي :

لا تحسب الجد تمرا انت آكله
لن تبلغ الجد حتى تلعق الصبرا

هذا ما اردت بيانه على صفحات اللسان
العربي ، المنبر الحر للذكرى والاعتبار ، وللتوجيه
والعمل ، وما ذلك على حنكة الموجهين الافاضل
وهمة الشباب بعزيز .

والرائد لا يكذب اهله ، والنقد النزيه البناء
هو خير من التعلق الرخيص الهدام .

وضعها الحاضر ومساهمتها في وضع لبننة في الرقي
العلمي . والمعول دوما على الساعة التي فيها الانسان.

اذا قمنا برسالتنا حق القيام نأمل عند ذلك
ان يتاح لنا تحقيق ما قاله احد وزراء التربية في
الغرب : « انه من دلائل القوى الحيوية في شعب
عريق ، وصحيح غير فاسد ان ينبري من بين ابناء
امته اناس مجهولون قد ضربوا في النشاط السهم
الاوامر ، يأتون بجهود يجتاز تقديرها ارض الوطن ،
موجهين ابصار العالم اليهم » . وذلك لا لتقف عند
المستوى الذي وصل اليه الغرب ، بل لنكمل ما نقص
من حضارته تحقيقا للمثل الاعلى الانساني . فنحن على
الحك : هل نحن اهل لما يتطلب منا هذا العصر ، ام



علم التأسيس

للاستغفار عبر الحزن فاضلك

التائيل :

العلوم اللغوية التي يشملها « فقه اللفة »
العالمي كثيرة ، احدها سماه الاوربيون « Etymology »
وترجمه المعاصرون من اللغويين العرب « علم
اصول الالفاظ » لانه يبحث عن الاصل الذي تانت منه
كل لفظة في المعجم من لفظة اخرى ، من لغة اخرى
على الاغلب .

والعادة حين يؤصلون الالفاظ في الانكليزية مثلا
ان يرجعوها الى السكونية او الفرنسية او بعض
اللغات الاخرى ، وقد يعودون بها بعيدا الى احدى
اللغات القديمة كالسنسكريتية او اللاتينية ، وفي بعض
الاحيان يردونها الى الاغريقية . وكثيرا ما تكون
اللاتينية هي طريق انتقال الكلمة من الاغريقية الى
الانكليزية او غيرها من اللغات الاوربية الحديثة .

وكنا ارتابنا في كلمة سالفة ان نستعمل كلمة
« التائيل » اصطلاحا مقابل كلمة Etymology
الاوربية هذه بمعنى « التاصيل » لان لكلمة « الاصل »
ومشتقاتها معاني عامة نستعملها في مختلف الاغراض
من حياتنا اليومية ، فلا نريد ان نحملها الان معنى
آخر له صبغته العلمية التخصصية ، في حين ان لغتنا
العربية قد كنزت لنا ذخيرة طالما تحدثنا عن غزارتها
وباهينا بها الامم . وبماكاننا الان ان ننتفع بمفرداتها
ومتشابهاتها التي تتخم جوف المعجم حتى ليكاد ينفجر

امتلاء ، ويكاد اكثر الفاظه حتى المائوس السائغ
منها يموت اهمالا . ومنها هذه الكلمة التي نقترحها
« الاثل » والتي لا نذكر ان احدا من كتابنا استعملها او
استعمل احد مشتقاتها الا في وصف الجسد بالاثيل او
المؤثل . اما بقية الصيغ والاستقاقات منهجورة لا يعبا
بها احد .

ومهما يكن فان هذه الكلمة تفي بالدقة بغرضنا
في تسمية علم التاصيل اللغوي . فان « الاثلة » في المعجم
الاصل ، وقائل الشيء واثل : تأصل .

والكلمة بعد تزخر بطامة اشتقاقية سخية
لا تملكها نظيرتها الاوربية (Etymology) التي
لا توجد لها عندهم صيغ اخرى فيما يظهر . فني وسعنا
ان نشق من كلمتنا العربية هذه : (1) الاثل : بمعنى
الاصل اللغوي ، و(2) الاثلة : الكلمة الام ، و(3)
التائيل : علم التاصيل اللغوي ، و(4) المؤثلة : الكلمة
المؤصلة ، و (5) المؤثل : من يؤثلها ، و (6) الاستئثال :
البحث عن الاثل او المطالبة به . ويمكن النسبة الى
بعض الصيغ بالياء كالاثلي و التائيلي ...

و «التائيل» بهذا المعنى علم اوربي في الواقع
وان كان العرب قد سبقوا اليه . وانما اهتم الاوربيون
بتائيل لغاتهم لان اكثر الفاظها مقتبس من لغات اخرى
فكان طبيعيا ان يبحثوا عن اثول الكلمات الاجنبية
الدخيلة في لغاتهم . ولم يعظم امر التائيل عند العرب

الصوت ، أو الشيء الذي انتجه ، وما الى ذلك من أمور تتصل به .

فالتأثيل (Etymology) اذن رد الكلمة الى امها المباشرة او الى جذتها المباشرة او القريبة . اما **الترسييس** فاعادة اللفظة الى جذتها الاولى — حواء — في صورتها التي نطق بها اول انسان نطق بها ، مع تعقيب المراحل التطورية التي قطعتها تلك اللفظة حتى وصلت الى الصورة التي نعرفها بها الآن ، في احدى اللغات .

ويمكننا ان نضرب من تطور الاحياء مثلا على التطور اللغوي ، فنقول ان التأثيل يشبه البحث عن الاصل المباشر الذي نشأ منه الانسان أو الكلب أو غيرها من الاحياء . فائل الكلب مثلا هو الذئب .

واذا كان « أثل » الانسان حيوانا شبيها بالقرود فان « رس » الانسان هو الخلية الفردة ، على قول التطوريين . ولترسييسه علينا ان نبحث عن جميع حلقات السلسلة حتى نصل من الانسان الى الامية المائية الاولى .

ونفترح كلمة **Radixation** للانكليزية وغيرها من اللغات الاوربية مقابل كلمتنا العربية « **الترسييس** » باعتبار ان **radix** هو « **الرس** » بالانكليزية ، واثلها من اللاتينية بنفس اللفظ والمعنى .

ولئن وقف اللغويون الاوربيون عند حدود التأثيل فلانهم لا يعرفون حدودا أبعد منها ، ويتعبر آخر لانهم لا يعرفون اللغة الام التي انحدرت منها تلك الالفاظ الائلة ، ويتعبر ثالث لانهم لم يتعمقوا في درس العربية التي قلنا غير مرة ان تقليينا النظر فيها وفي ظروفها القبتاريخية (= قبل التاريخية) كشف لنا انها ام اللغات الآريات ، لا الساميات والحاميات فقط . بالرغم من انقراض الكثير من انواع الاحياء ، ما تزال تعيش الامية الاولى والكثير من ذرائها من الاحياء التي تسليطت في التطور حتى كان منها ارقى المخلوقات الانسان . فكذا الامر في اللغة العربية : بالرغم من انقراض الكثير من الفاظها ما تزال توجد

لان الكلمات الدخيلة في العربية قليلة نسبيا ، لا تكاد تبلغ الثلاثة من المائة من مجموعة الالفاظ العربية (1).

الترسييس :

هذا **التأثيل** الاوربي ليس لنا فيه مقنع ولا كفاية. فلئن قال المؤثلون الانكليز مثلا ان **sing** (يغني) اثلها **singam** بالسكونية و **river** (نهر) اثلها **ripa** (ساحل) باللاتينية ، و **copper** (نحاس) اثلها **kupros** (قبرص) بالاغريقية ... قلنا : ولكن هذه الاثول الاجنبية لم تثبت من عدم . اننا نروم ان نعرف الرس البدائي الاول الذي نجمت منه هذه الالفاظ السكونية واللاتينية والاغريقية التي وقف عندها اللغويون كانوا هي بداية اللغة كما وقف الاقدمون عند ساحل المحيط كانه نهاية العالم .

من حقنا ان نسألهم : هذه الاثول ما اثلوها ؟ كيف نطق بها الناطق الاول فظلت تتطور وتنقل على السنة الاجيال والشعوب حتى صارت في الانكليزية : **river** و **sing** و **plough** و **air** و **copper** و **calcium** ؟ .. هذا ما يجب عليه علم **الترسييس** .

وعسى الا يذعر القارئ الكريم لهذه الكلمة الغريبة ، فانها لا عيب فيها سوى انها جديدة عليه . لكنها تجري على قياس معروف معقول ومقبول ومجرب ، ولا تحتاج الا الى شيء من التكرار ليصقلها الاستعمال فتغدو مألوفة مأنوسة . فكما قالوا التأسيس من الاس نقول « **الترسييس** » من « **الرس** » وهي كلمة نقترحها الآن اضافة الى « **التأثيل** » الذي لم يعد معناه الاوربي يفي بحاجتنا في البحث اللغوي .

والذي نعنيه بالترسييس هو ارجاع اللفظة العربية او الاعجية الى رسها ، اي بدايتها . فان « **الرس** » في المعجم : ابتداء الشيء .

وابتداء الكلمة هو بذرتها ، اي الصوت الطبيعي الذي حاكاه الانسان الاقدم بحروف نطقية عبر بها عن ذلك الصوت ، او عن الحادثة التي سببت ذلك

(1) الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، في كتابه « غرائب اللغة العربية » — ط 2 ، جمع 2515 كلمة قال انها تتضمن اكثر ما تيسر جمعه من الالفاظ الدخيلة في العربية من مختلف اللغات ، وارتأى ان مجموعها قد يبلغ ثلاثة آلاف كلمة على اكبر الاحتمالات . لكننا نجد اكثر هذه الالفاظ غير مستعمل وغير معروف لدى معظم القراء . كما اننا نخالف جمهرة اللغويين في تأثيلها جميعا من لغات اجنبية لاننا نعتقد ان عددا منها اثل في العربية غير دخيل ، وان الاعجيبات هي التي اقتبسته من العربية . وربما كانت له عودة الى الموضوع . وسنمر في حديثنا هذا لتصحيح تأثيل بضع منها .

في المعجم بدايات كثيرة من الالفاظ الصوتية الاولى وما يليها من الحلقات الموصلة التي تسلسلت في التطور حتى تكونت منها الالفاظ الحضارية في العربية وغيرها من اللغات المتفرعة منها .

وايضاحا للفكرة .. اليك بعض النماذج الانكليزية من تائيلهم وترسيسنا .

RIVER : نهر .

ويؤثرونها من الفرنسية القديمة rivier وهذه من اللاتينية : ripa : ساحل .

هذا تائيلهم .

اما ترسيسنا فيتساءل : من اين جاءت ripa اللاتينية هذه ؟ ما علاقتها (الساحل) بهذه الحروف : r - i - p - a ؟ بديهي ان الكلمة ليست من صنع الناطق الاول .

فلجل ترسيسها نقتح ان نسير في تائيلها خطوة اخرى .

يقول المعجم العربي ان لديه كلمة عربية مبنية بنفس اللفظ والمعنى : « الريف : ما قارب الماء من الارض » وهذا يعني الساحل ، والدليل الصراح على ذلك ان كان الامر بحاجة الى دليل صراح هو ان « الساحل » ايضا يعني في المعجم : « ريف البحر وشاطئه » . ومن هذا المعنى قالوا : ريف مصر ، وريف البصرة ، وريف المغرب .. بالضبط كما يقول الاوربيون : الريفيرا (riviera) الإيطالية والريفيرا الفرنسية . ثم ان العرب اطلقوا « الريف » مجازا على « الارض فيها زرع وخصب » ، لان ذلك شأن الارض القريبة من الماء . ثم ساروا خطوة اخرى في تطوير المعنى فاطلقوا « الريف » في المشرق على المناطق القروية بوجه عام .

ان « الريف » كلمة مائية من اسرة الريق (كالعيد)، والريق (كالعين)، والريل (كالعين)، والري .. وغيرها من الالفاظ المائية التي سبق ان رسسناها من صوت الهواء عند هبويه : هوووو .. (2)

وعلى ذكر الري نقول ان (الريف) تنطق بالاسبانية (ريو - rio)

نعملى هذا نظن ان في وسعنا ترسيس كلمة river الانكليزية هكذا : هو - هواء - هباء - هباب - اباب - آب - آل - رال (ومنها الريل) - راف (ومنها الريف) - ripa (لاتيني) : ساحل - riviera (ايطالي) : ساحل - rivier (فرنسي) قديما : ساحل ، وحديثا : نهر ايضا - rive (فرنسي) : ساحل - (river) (انكليزي) : نهر ..

والمقصود بهذا الترسيس طبعاً هو القول ان كل واحدة من هاته الالفاظ تمثل صورة لمرحلة اجتازتها الكلمة منذ بدا الوحش العربي الاقدم يحاول التعبير عن الاشياء بحكاية اصواتها فغال في الغابة (هوووو) ليمثل صوت هبوب الريح .. الى ان قال المتنبى (ريف) .. ثم قال شكبير من بعده river !

SING : يغني

يؤثرونها من السكونية singan ولا يقول المعجم الانكليزي الذي لدينا الآن من اين جاءت هذه الاخيرة .

لكن المعجم العربي يحل لنا المشكلة ، حيث يقول لا فض فوه : (الصج : ضرب حديدا على حديد فصوتا) والكلمة فعلا ادق تصوير نطقي لصوت الحديد المسطح اذا صك حديدا مثله . وكل واحد منا قد مرت به تجربة ما من هذا النوع فلاحظ مثل هذا الصوت . ويمكننا ان نفهم من هذا ان الكلمة حديثة نسبيا بالقياس مثلاً الى قدم (الهو) من صوت الهواء ، لان (الصج) نجمت في العصر الحديدي ، او ربما قبل ذلك في العهد النحاسي ثم انتقل المعنى الى الحديد . وهذا ما نرجحه ترجيحاً ليس لدينا عليه برهان دامغ .

وعسى الا يتمجل القارئ فيرفض هذا الترسيس بسبب زيادة النون في اللفظة الانكليزية (sing) بالاضافة الى اختلاف معناها . ذلك ان النون من العربية نفسها ، التي تطورت فيها الكلمة مبنى ومعنى قبل ان تنتقل الى السكونية . فمن (الصج) بالمعنى الانف صاغ العرب (الصنج) : آلة الطرب المعروفة ، اي القرص المعدني يضرب ببثله فيحدث صجا حسن الوقع في السمع . ومن باب الجواز التطوري سموا به

(2) للاطلاع على ترسيس اللفظة بشيء من التفصيل تراجع كلمة لنا بعنوان « لمحات من التائيل اللغوي »

— اللسان العربي — العدد 4 — ص 14 — العمود 1 .

آلة عزيمة وتربة ايضا . والصناج (كالطيار) والصناجة (كالطيارة) : ضارب الصنج . وقد اسيفوا على شاعرهم المشهور اعشى قيس لقب « صناجة العرب » لانهم كانوا يحدون شعره مطربا كعزف الصنوج .

song لا عجب ان ان يكون معنى
بالانكليزية : اغنية ، مثل شعر الاعشى . وربما
كانت صيغة الماضي sang (غنى) هي الصورة
الانكليزية الاثلة لانها اقرب الى (الصنج) ، ثم صاغوا
منها المضارع sing والمفعول sung . ربما ..

على هذا يكون ترسيمها : **صج** — **صنج** —
sang بالـ **سكونية** — **sing** و **sung** بالـ **انكليزية** .

وقد زعموا — اللغويون ، العرب وغيرهم — ان الصنّج كلمة دخيلة في العربية ومعربة عن الفارسية (سنكه) — بالكاف الفارسية — وهي العيار أو الوزن ، وقالوا ان هذه من (سنك) : الحجر ، بالفارسية أيضا . وهذا شأنهم في ادانة العربية كلما وجدوا كلمة مشتركة بينها وبين احدى اللغات المرموقة ، وحتى غير المرموقة احيانا ، بالرغم من اشادتهم اجمعين باصالة العربية وتعجبهم من ثرائها الفاحش .
وها نحن قد رأينا في ترسيم هذه الكلمة مصداق خطئهم فيها .

فالذي يبدو بعد ان وجدنا في العربية رس الكلمة
بجلاء لا يتطرق اليه ريب ان العرب من (الصنـج)
صاغوا (الصنـجة) وهي القرص المتعر الذي جعلوه
كفة للميزان ، وهذه انجبت (سنـجة الميزان) أي الثقل
الذي كانوا يستعملونه عيارا ويضعونه في الكفة ،
ومن هذه اخذت الفارسية (سنـكه) بنفس المعنى . ولما
كانوا في التقديم يتخذون العيار من الحجر على الاغلب
كما لا يزالون يفعلون في بعض القرى ، فقد صاغ
الفرس منها (سنـك) بمعنى الحجر .

نعملى تخريجنا هذا ، ان صح ، تكون (سنگ) :
الحجر ، من (سنگه) : العيار ، من (السنگه) : العيار ،
من (السنگه) : كنة الميزان ، من (الصنج) : اي بعكس
المظنون تماما .

بحرث : PLOUGH

يؤثّلونها من السكونية ploh : قطعة
 أرض . والذي يزعمه ترسيبنا ان الكلمة العربية
 (فلح) اقرب الى الانكليزية . معنى والى السكونية
 مبنى ، ومنها (الفلاحة) : الحراثة ، و(الفلاح) :

ploh (بالسكونية) — plough (بالانكليزية) .

أما نطق هذا الفعل وأمثاله بتسكين أوله في السكونية والانكليزية فعادة عربية قديمة فيما نظن . وهي ما زالت موجودة في لغة المغرب مثلا ، ومن ذلك انهم ينطقون هذا الفعل الماضي بالذات بتسكين الفاء : (فلح — filah)

SOLICIT : يناشد ، يفري .

اثلها من اللاتينية solicitare بنفس هذين المعنيين اللذين يطابقان الاثل العربي للكلمة اللاتينية وهو (السؤل ، والسؤال) . فتقولك « لى اليك مسالة » يعني لي اليك رجاء ، وقولك « اسالك المغفرة » يعني اناشدك المغفرة ، بل ان « السؤل » يعني حتى الاستجداء . واما معنى الاغراء فمن قولك : سولت له نفسه ، وسول له الشيطان . ومعنى التسويل متطور من معنى السؤل والسؤل ، ومما يؤيد ذلك ان (سال يسأل) ينطقونها في المغرب (سول يسول) .

أما رس الكلمة فتقول الفروج العربي : صي صي صي .. (كما كنا ذكرنا في حديث سابق) (3) . يمكن ترسيبها اذن بشيء من هذا القبيل : صي صي صي — صاى الفرخ (صات) — صال (سهل) — سعل — سأل (وبنها : سول) — solicit : E. - solicitare : L. (ونظن جذر الكلمة هو « sol » وحسب) .

PLATE : صحيفة ، لوحة ، صحن .

يؤثلا المعجم من platta : طبقة أو صفيحة ، باللاتينية الدنيا اي الحديثة (600 — 1500م) . ونحن لا نعرف في الترسيب فرقا بين اللغات عليها ودنياها ، لان الدنيا والدارجة والعامية والمولدة — وما الى ذلك من تعابير — قد تكون انصح من الفصحى كالذي قلنا في اكثر من مناسبة .

وفي الانكليزية كلمة اخرى هي plateau : السهل من براح الارض ، وهي من الفرنسية . وتوجد في الفرنسية والانكليزية كلمة place

: الساحة أو الميدان أو المكان ، ويؤثلونها من الاغريقية platus : مسطح ، عريض .

ونخال هذه الكلمات كلها من رس واحد كما يوحي تصاقب مبانيها ومعانيها ، ولعلها قد دخلت الفرنسية والانكليزية عن طريق واحد أو طرق مختلفة ، لكن أقدمها فيما يظهر هي platus الاغريقية . ويبدو ان platta اللاتينية هي اثل الكلمة الإيطالية piazza : الساحة أو الميدان . وهذه الكلمة الإيطالية دخلت في الدارجة العراقية بصيغة (بياسه — pyasah) بمعنى الشمسي للرياضة أو التسلية .

ننتقل الآن الى العربية لنجد ان قولك (بط الجرح) يعني شقه . ويخيل لنا ان لفظة (بط) ليست الا محاكاة لصوت انبعاث حيوان صغير — ونحسبه الضفدع — حين يطؤه انسان . وما زال العراقيون يقولون : يبط فؤاده أو قلبه ... بمعنى ينشق غيظا أو كيدا .

والباء حرف انفجاري لكنه غير قوي الصوت فهو يمثل بداية الانبعاث ، أما الطاء فحرف انفجاري ومفرقع صخاب . وان الاعرب الاقدم — الرسام الصوتي — الذي صور هذه الكلمة بنمط لمثل الصوت الذي أحدثه بقدمه — ويبدو انه كان صبيا — لجدير بالكثير من اعجابنا برهافته الموسيقية وكنائيته النطقية . وانا نرجح انه كان صبيا لان وطء الضفادع استمتعا بفرقة انبساطها من عمل الصبيان في غالب الاحوال ، ولو اتنا لا نبريء وحش الغاب (الراشد) — عربيا كان أو اعجميا — من امثال هذا العبث بما فيه من قسوة ، لان اهل الحضرة والحضارات ما زالوا يلهون بما هو اشنع من ذلك من قتل مختلف صنوف الحيوان ومنها المسالم والجميل باسم الصيد استمتعا بالفتك والعبث الذي يسمونه (رياضة) تمويها لشعورهم بالاثم ودعاية جوفاء لانفسهم .

وواضح ان الكلمة قديمة من عهد الفايصات والفايضا التي تكثر فيها الضفادع ، اي في احقاب خصوبة المعربة (= الجزيرة العربية) قبل جفافها عند انحسار الجليد عن اوريا .

وربما كان اسم (البطة) ناجما من تكرور جسدها ككل شيء يبط أو يفريهم شكله بأن يبطوه . غير اننا نرجح ان الضفدع هي التي سميت (بطة) اول الامر ، ثم اطلق الاسم على هذا الطائر المائي لانه بالاضافة الى ما تقدم يعوم ويغوص في الماء كالضفدعة . وقد

(3) « فضل اللغة العربية على الحضارات القديمة » — اللسان العربي — العدد : 3 ص 229 .

TABLE : منصدة

انلها من اللاتينية tabula : لوح ، منصدة . وقد أصبحت في الإيطالية tavola ، وربما كانت منها كلمة (طبله) المستعملة في العربية الدارجة بمعنى المنصدة الصغيرة التي توضع عليها أطباق الحلوى والنقل للضيوف . ولما كانوا يضعون عليها كذلك منفضة السكاير فقد صارت المنفضة أيضا تدعى (طبله) .. في العراق ، وربما في غيره أيضا .

ومن هذه الكلمة الإيطالية — ربما عن طريق التركية — يطلتون في سورية وبعضهم في العراق وغيره كلمة (طاولة) على المنصدة عامة، وعلى علبة الخشب المستطيلة التي يلعبون بها النرد خاصة ، ويسمونها في العراق (طاولي) تأثرا بالطريقة الموصلية. والسورية في النطق ، على ما يبدو (أي كسر آخر الاسم المؤنث) .

ونؤمل الكلمة اللاتينية (tabula) في العربية من (الطبل) ، وهو عادة مسطح وأجوف ، لكن التسطح هو الصفة الأساسية فيه ، وأما جوفه فيها بعد تضخيم لصوته فيما نطق . فكثيرا ما كانوا ولا يزالون يقرعون أي شيء مسطح من المعدن — أو حتى الخشب عند بعض القبائل الإفريقية مثلا — لأحداث الضجة المطلوبة .

وليس هذا كل ما يدل على الصلة التائيلية بين الكلمتين الأوربية والعربية ، وأما توجد بينهما صلة أخفى وأشد تعقيدا . ذلك أنهم في الدارجة السورية يقولون « (طبل في المشي) » أي أعياء ، وهي في الفصحى « (بلط) » ، فكيف جاء هنا معنى الأعياء ؟

نجد من تطورات كلمة (بط) التي تكلمنا عنها ، قولهم (بطو) بمعنى تأخر . وعند انعام النظر يلوح أن سبب ذلك على الأرجح هو أن التوم حين كانوا يسيرون أو يرحلون كانت كثرة الضفادع في تلك الأحرش تستهوي الصبيان فينهمكون في مطاردتها ، يطؤونها بأقدامهم لاعبين ليطوها ، فكانوا بذلك يتخلفون عن زمرة الكبار الذين يريدونهم على الإسراع واللحاق . ويظهر أن هذا هو الذي أفضى إلى اكتساب (البطء) معنى التأخر . ومن ثم اكتسبت (بلط) معنى الأعياء الذي يسبب البطء والتخلف بدوره . وربما كان معنى البطء قد توزع على ألفاظ أخرى من هذه المجموعة .

ولما كانت (بلط) تعني التسطيح أيضا فقد صارت مقلوبتها (طبل) تعني الأعياء بالسورية

زال الاسم عن الضفدة نفسها لغلبة اسم الضفدع والقرة ... عليها .

ومما يؤكد أن لفظة (بط) ناشئة من صوت الانبطاط أي الانبعاج الذي يحدثه وطء الضفدع هو أنهم صاغوا منها بعد أزمان لا نعرف مداها كلمة تعني الفعل الذي أحدث الانبعاج : (وطا) ، وكلمة أخرى تعني الشيء الذي أصابه الانبعاج : (بطن) . فإذا أنت قلت « وطا بطه فبط بطنها » فقد عبرت عن مرامك بأربع لفظات هي في الأثر كلمة واحدة تطور بعضها من بعض مع تشاكل المبني وتقارب المعنى .

هذا إلى أن كلمة (بط) — التي أبدعها العربي الصغير — انجبت للفاظا أخرى بمعنى شق الشيء مثل : بطر (ومنها : البيطرة) وقطر وبض وبضع (ومنها : بعض) ...

ولما كان وطء الضفدع ويط بطنها يجعلها مسطحة الشكل ولاسيما بعد جفافها فقد نشأت من الكلمة الفاظ أخرى تدل على معنى الضغط والتسطيح والتعريض منها : فطىء الرجل : دخل ظهره وخرج صدره (كانها تشبها بالضفدة الموطأة) ، ومنها : بطح : فطح ، فرطح ، قطح ، بلطح .. بط .

و (بلط) هذه هي التي تعيننا في هذا المقام . فالبلط هو : « الأرض المستوية الملساء » ، على تعبير المعجم . وقد قالوا بلط الدار (بتخفيف اللام أو تشديده) : فرشها بالبلط . ومن هنا جاء (البلاط) بمعنى الجص أو الحجارة التي تبلط بها الدار لتسوية باحتها ، ومن ثم استعيرت الكلمة للقصر الملكي بمعناه الرسمي ، وربما كانت قد أطلقت أولا على قاعة المعبد أو دار الكاهن أو الرئيس الذي كانت داره تبلط من دون الدور في احتباب ما قبل التاريخ .

ومن (البلاط) بمعنى الأرض المستوية الملساء أطلقوا « (بلاط الشهداء) » على السهل الذي وقعت فيه معركة (بواتيه) بقيادة عبد الرحمن الغافقي لكثرة من استشهد فيها من جيش المسلمين .

كذلك من (البلاط) أو إحدى أخواتها جاءت الكلمات الأوربية الأنفة الذكر : piazza (ساحة) صفيحة باللاتينية ، و plate (طبق) بالفرنسية والإنكليزية ، و flat (مسطح) بالانكليزية .

واقرب منها جميعا إلى (البلاط) مبنى ومعنى كلمة plateau : السهل ، أي الأرض المستوية .

والتسطيح الذي بقي منه في الفصحى الاداة المسطحة التي يقرعونها طلبا لصوتها المدوي . لذلك كانت tabula تعني اللوح باللاتينية اصلا مثل مقلوبتها pialta التي سبق الحديث عنها ، ثم اطلقت على المنضدة اي اللوح ذي الارجل ، مجازا اي تطورا .

هكذا ترسبها اذن : بط — بلط — طبل —

table : E., F. - Tavola : It. - tabula : L.

CALCIUM : كالسيوم

اتلواها من اللاتينية : calx او calsis ، وهما من الاغريقية : khalix . ويظن اللغويون — العرب وغيرهم — ان كلمة (الكلس) دخيلة في العربية ، وقد احصاها الاب نخلة ضمن مقتبسات العربية من الاغريقية (4) . غير اننا نرى انها عربية وانها الالة ، وهي من (الكس) — كالس — اي دق الشيء حتى يكون كالسويق ، ومنه بالمغربية طعام (الكسكس) المشهور . والسويق (اي : الناعم من دقيق الحنطة) شبيه بالكلس كما هو معلوم من حيث كونه مدقوقا ومن حيث انه ابيض اللون . ويخيل لنا ان الكس كان يعني الكلس ، لا لانه يعني السويق الشبيه بالكلس فقط بل لانه اثلا من (القص) وهو الذي يعني الكلس بالذات ، ومنه (تقصيص) الدار : تجميعها .

ويظهر ان العرب سموا هذه المادة قصا لانها (تقص) جلدة راحة اليد حين يعمل الفعلة فيها جبلا . وخطا لاستعمالها في البناء . ولعل في تسمية الكلس بالقص شيئا من مبالغة ، لكن امثال هذه المبالغة مألوفة في التطورات اللغوية ، وما زال العراقيون يعبرون عن مثل هذه الحال بقولهم : تذبحت يده .

ومعلوم ان بعض العرب كانوا ينطقون القاف جيبا وما زال البدو والجنوبيون من اهل العراق يفعلون ذلك ، ومن هنا ظهرت كلمة (الجص) ، وشبيهه بذلك ان بعض البدو يقولون (جط راسه) اي قطه . فالجص ايضا عربية اذن — بنت القص — وليست معربة من (كج — gatch) (الفارسية كما قال اللغويون ومنهم حتى المجد الفيروزآبادي فالعكس الصحيح .. اي ان (كج) الفارسية هي المتبسة من (الجص) او (القص) .

(4) الحاشية : 1 — آنفا .

ورد ترسييس «الاس» في حديث آخر لنا من هذا العدد بعنوان « اسرار الضمائر » .

على ما تقدم بنا من القول ترسس الكلمة من صوت القطع — قطع عظم او عصا بضرية سيف او فأس — وقد صور العرب هذا الصوت بهذين الحرفين القويين : القاف والطاء . والكلمة حديثة ، اي مما بعد انتضاء العهد الحجري ، لانها نشأت في ابان استعمال اداة حادة متينة للقطع — من النحاس او الحديد ، ونستبعد ان يكون مثل هذه الالة من الحجر :

قط — قص (ومنها : جص) — كس — كلس —
calcium : E. - calx : L. - khalix : G.

OS : عظم

ومنها osseous : عظمى او متعظم ، و osein : المادة العضوية اللينة التي يتكون منها العظم .

و(العص) — كالتص — في العربية : الاصل ، ومنه مجازا (العصص) — بضم العين وفتح الصاد او ضمه : اصل الذنب . ومنه (العصص) — كالببل — و (العصص) — كالمرمر — و (العصصوص) كالصفور : عظم الذنب .

وقد اخذ اللاتين كلتا الصيغتين : os من العص ، و ossis من العصص ، فيها يظهر ، (مع العلم بان العراقيين ينطقون العص بضم العين كاللاتين) .

و(العص) نؤثله من (الاس) (5) . وهكذا نرى كيف انتقل المعنى من الاصل ، الى اصل الذنب ، ثم الى عظم الذنب خاصة ، ثم الى العظم عامة . رسها اذن من همزة التنبيه : آ — اس — عص
os : E. - ossis os : L.

AIR : هواء

المعجم الانكليزي يؤثله من الاغريقية - aer : طبقة الهواء السفلى القريبة من الارض . ولا ندري لماذا تخطى معجنا اللاتينية هذه المرة ، فمن عادتهم رفع الكلمة الى اللاتينية أولا ومنها الى الاغريقية كلها وجدوا كلمة لهم في هاتين اللغتين معا . ذلك ان هذه الكلمة وردت في اللاتينية ايضا : aer . ومن يتسلم رسالة من ايطاليا بالبريد الجوي يجد عليها لصيقة : (via aerea)

CAESARISM : حکم استبدادی

اكتسبت الكلمة معناها هذا في الانكليزية من اسم يوليوس قيصر (Caesar) ، وهو اول من سمي به .

يقول معجم هوف : « ربما سمي بذلك لان رحم
 ابيه شق عند موتها لآخراجه » (6) .

فما علاقة شق الرحم بهذه التسمية التي
صارت تعني العظمة والجبروت حتى لقد انتحل
اسم قيصر كثيرون من حكام الرومان الذين خلفوه
وأولهم ربيبه وابن أخته أوكتافىوس قيصر ، ثم انتحل
اللقب بعد انتراضه في موطنه حكام الروس والامان
أيضا ؟

قالوا ان الكلمة في اللاتينية من مادة caesum ومعناها القطع ، ونحن نقول بتعبير ترسيبي ادق انها من العربية : القصم و القص . وهم يقولون ان caesum هذه من مادة caedo : قطع . غير اننا نستطيع ان نصحح لهم هذا ايضا فنقول ان هذه الاخيرة من (القد) وهو القطع ايضا ، غير انها كلمة مستقلة عن (القص) ولو انهما من رس واحد : (ق ط) .

وهذا يعني أن الرومان كانوا يستعملون
الترادفين العربيين : (قد) و (قص) كليهما .

فعلی هذا نرسي الكلمة هكذا : قط — قصص
 (و : قد) caesum : L. — (و : caedo) Caesar : L. —
 Caesarism : E. —

TOP

لها في الانكليزية معنيان : (1) قمة ، ويؤثلوها بنفس اللفظ والمعنى من السكسونية ، (2) خذروف ، ويؤثلوها من الجرمانية topf

ويمكننا تتبع المحطات التي نزلت فيها الكلمة خلال هجرتها الطويلة في الزمان والبعدة في المكان ،
وبتعبير آخر يمكننا تشخيص الصور التي تجسدت فيها اثناء تطورها ، على هذا النحو :

الكرة بالفارسية (توب — tūp) ، وهي
 بالعراقية الدارجة (طوبية — tobah) . فلهذا
 يعتقد كل انسان كما كنا نعتقد شخصيا قبل
 اهتدائنا الى فكرة الترسيس ، ان الكلمة العراقية
 مقتبسة من الفارسية ، ولاسيما انها وردت في العراقية

يرون - ومنهم الاب نخلة اليسوعي ، وهو
 من محبي اللغة العربية المجيبين بمناقبتها كما يتفصح
 من كتابه الأنف الذكر - ان العرب اقتبسوا من
 هذه الكلمة الاغريقية (الهير) - كالطير - و(الهير)
 كالسيد : ربح الشمال .

والذي نعتقد ان اثل هذه الكلمات جميعا هو
(الايس) - كالهبر - الذي كنا قرانا في مقابيس
ابن فارس انه يعني الريح الباردة أو الحارة . ولا ننكر
أيهما كان أرجح عنده لان الكتاب ليس في متناول يدنا
الآن . والاصح عندنا على كل حال أن الاصل منهما
هو الريح الحارة ، ثم شمل الريح الباردة تطورا .
ذلك بأن اثل الكلمة هو **(الأل)** - كالشر - وهو
اضرام النار ، وهو رسها أيضا ، اي جذرها الصوتي
الاول . فان النار حين تتأجج تنبثق من حطبها غفشات قوية
تقول **(أرررررررر ..)** وما زال العراقيون يقولون :
(ورث النار) ، او : **(فلان يور مثل النار)** ، اي سرعان
ما يحتاج . ومنها في الفصحى : **وريت الزند وأوريته:**
أخرجت ناره . ومنها أيضا **(الأوار)** : اللهب ، وحر
النار أو الشمس ، والدخان ، والعطش ، وريـح
الجنوب .

والذي نتوهمه ان العرب قالت اولاً : **ار الحطب** ،
اي احتتم ضرامه حتى خرج منه صوت : **ارررررر** .
لكن هذا المعنى قد انقضى في الفصحى وبقيت منه
الكلمة العراقية (ور) ، ولعلها مستعملة في اقطار
عربية أخرى . أما الذي بقي في المعاجم فصيغة الفعل
المتعدي (**ار النار**) : أوقدها . ولا يصعب علينا ان
نتخيل كيف نشأت من (**الار**) كلمة (**الأيسر**) بمعنى
الريح الحارة ، وقد رأينا انهم اطلقوا (**الاور**) على
الريح الجنوبية ومعان حرارية أخرى . ولاشك انهم في
أول الامر تصدوا بها الريح الحارة لا الباردة ، فما
زال الريح الجنوبية كذلك في العراق ، وهي أسوأ
الارواح وأوخها . ولعل ذلك شأنها في جميع الساحل
الجنوبي من جزيرة العرب . وقد استعيرت
من (**الار**) معان أخرى تفرعت منها كلمات أخرى ليس
هنا محل ذكرها .

فترسيس air اذن شئ من هذا النحو :
 أر - أير (ومنها : الهير) - aër في الاغريقية
 ،اللاتينية - aerea في الايطالية - air
 في الفرنسية والانكليزية .

Caesar : ملادة Hugh's Dictionary of Islam (6)

بالدارجة ولا سند لها من الفصحى . لكننا اذا انتقلنا مرحلة اخرى غربا ، الى الشام ، وجدناهم يسمونها (طابة) . فاذا نحن سافرنا القهقرى في الشام نفسها ثلاثين أو أربعين قرنا وجدنا الكنعانيين يسمونها (طاو) ، وهو اسم حرف الطاء أيضا عندهم لانهم كانوا يرسمونه على شكل الكرة ، كالذي كنا نقلناه عن « المعجم الكبير » . ويقول هذا المعجم ان الكلمة من مادة (طوى) .

نبعد هذا التسلسل في اللفظ والتدرج في المكان لم يعد في وسعنا ان نخطئ اثلها العربي . ونخال ان رسها قد ثبت من محاكاة صوت انكسار غصن دون انفصال طرفيه احدهما عن الآخر : (طو) . وهذا الصوت مفقود في المعجم العربي ، لكننا نفترض ان كلمة (طو) كانت موجودة ثم انقرضت قبل ان يدركها المعجميون ، او وجدوها في احدى الدارجات فانفوا من تدوينها فاهملوها كما فعلوا بأمثالها . وما يؤيد لنا انها كانت موجودة هو وجود بناتها ، واولاهن فعل (طوى طيا) وثانيتها (طاو) الكنعانية . ومن بناتها أيضا : التو و الزو . اما (التو) فمختصت بمعنى الفرد الواحد من القرنيين من أي نوع (كانها المقصود أحد طرفي الغصن المطوي) . والطبي في الفارسية (تا) التي يظهر ان اثلها من الطبي نفسها ، او الطاو ، او التو ..

واما (الزو) فتعني القرنيين معا ، من معنى طرفي الغصن المطوي كليهما . ومنها تطور فعل (زوى) ومنه (الزاوية) لانها تتكون من ضلعيين كطرفي الغصن المكسور ، ثم فعل (وزى) ومنه (وازي) ثم (وزن) . ومن (وازي) قالوا : واسى ، ثم ساوى ، وتساوى الشيطان فكل منهما سي الآخر أي صنوه ، ومن ثم قالوا : هما سيان ..

ومن (الزو) أيضا صاغوا (الزوج) بمعنى القرنيين أو الواحد منهما ، أي أن كلمة (الزوج) تجمع معني الزو والتو . ثم اتهم قلبوا (الزوج) فصارت (الجوز) كما ينطقها بعض العرب اليوم ولاسيما في سورية ومصر .. ومنها (الجوزة) الثمرة المعروفة لان قشرتها فلقنتان كالزوجين .. ومنها في الفارسية (جفت — joft) بمعنى القرنيين . وهذه أيضا اقتبستها العراقية الدارجة في بعض الاسماء .

ومن (الطو) صاغوا كذلك (الطوق) و (الطاق) وكلتاها تحمل معنى الانتشاء والانحاء . وربما كان بعضهم قد صور صوت انكسار الغصن بلفظة (طق) الى

جانب من صوره بلفظة (طو) ، وما زال العراقيون يقولون (طق الصحن) مثلا بمعنى انكسر أو انفطر . فان صح ذلك يكون (الطوق والطاق) من (طق) كما ان (طاو وطوى) من (طو) .

و(الطاق) بمعنى القوس في البناء يظنونها من الفارسية بينما كان وجود شقيقتها — الطوق — في العربية خليقا بأن يهديهم الى عكس ما توهبوا . و(الطاق) الى جانب معنى الانحاء تحمل معنى التفرد أيضا مثل التو كقولهم «طاق نعل» أي طبقة منها . والكلمة مستعملة في الموصل في مثل « طويت الورقة أو الثوب أو الفصن طاقين » ، وفي مثل « فتل الحبل طاقين » . وفي بغداد ينطقونها مقلوبة (قاط) . ومن (الطاق) بهذا المعنى اقتبست الفارسية كلمة أخرى هي (تك) : وحيد . وهذه أيضا عادت العراقية الدارجة فاقبستها من الفارسية .

ومن (طوى) نجد في السكسونية (توا — twa) : اثنان . ولا غرابة في استعارة معنى الاثنين من الطبي بعد الذي رأينا ، ولاسيما ان (الاثنين) في العربية أيضا من نفس المعنى : (ثنى) . ومن (twa) صيغت في الانكليزية (two) . ونجد نفس الكلمة (طوى) بمعنى الاثنين في اللغات الآرية بوجه عام بابدال طائها دالا ، فهي في السنسكريتية والفارسية (دو — dū) ، وفي الاغريقية واللاتينية (duo) وفي الايطالية (دوه — due) ، وفي الفرنسية (deux)

وعدا (توب — tup) توجد في الفارسية من هذه المادة (تبه — tappeh) : القمة ، مثل (top) الانكليزية .

اما قول المؤثرين الانكليز ان الاثل الثاني لكلمة (top) التي تعني الخدوف هو (topf) الجرمانية ، فيبدو ان الجرمان هم الذين استعملوا الكلمة مجازا بمعنى الخدوف فأخذ الانكليز عنهم هذا المعنى .

وتوجد في العراقية الدارجة كلمة (طوب — tōb) بمعنى المدفع ، وهي مقبسة من الفارسية (توب) التي سبق ذكرها بمعنى الكرة ، لان الفرس استعملوها مجازا بمعنى المدفع أيضا ، والارجح انهم اطلقوها اول الامر على قنبرة المدفع ثم انتقل معناها الى المدفع نفسه .

يكون ترسيبها حسب المراحل التي تسيرت لنا معرفتها اذن شيئا كهذا : طو (منقرضة ؟) : صوت

ونرجح ان الاغريق — عرب تلك المنطقة في تلك الحقبة ؟ — تصدوا بكلمة kupros ، : النحاس أيضا ، لا اسم الجزيرة فقط ، بدليل ان كلا — الانكليز واللاتين صاغوا من هذه الكلمة اسم النحاس ، بالاضافة الى ان العرب كذلك اعتبروا (القبرس) اجود النحاس .

اما الخطأ في نطق (الصفير) بكسر اوله — اذا عدنا ذلك من الخطأ — فقديم عند العرب فيما يظهر لان اللاتين ايضا نطقوا الكلمة بالكسر Cyp (us) كما رأينا .

ونعود لترسييس كلمة (الصفير) نفسها . انها من (الصفير) . ولقد احسن العرب — مرة أخرى — حين مثلوا صوت الصفير بالصاد والفاء (صف) لانه في واقع الامر مزيج من هذين اللوين ، نعني الحرفين . ويلوح ان هذا المعنى قد اندثر من هذه الصيغة الثنائية (صف) التي كسعت بالراء فيما بعد فصارت : صفير يصفر صفيرا .

وكان ان انتقل معنى الكلمة من الصوت الى اللون ، عن طريق النبات . وتفسير ذلك ان النبات اذا ينس اكتسب صفتين : صفرة اللون وصوت الصفير اذا هبت به الريح . فعلى هذا يكون معنى الصفرة منقولاً من (صفير) النبات عند جفافه ، اي اصفراره .

ولا يستبعدن القارئ الكريم هذا التخرج منا ، فلقد قالت العرب فعلاً : « صيحت الشمس البقل » بمعنى جففته . والذي نفهمه من هذا ان جفاف شجيرات البقول بحرارة الشمس يجعلها (تصبح) اذا دهبتها الريح ، ولا سيما حين تجف فيها حبوبها . ومن هذا قالوا تطويراً للكلمة « صوخته الشمس » فزال عن الكلمة معنى الصباح وثبت معنى الجفاف .

ونذكر نموذجاً آخر من ملاحظتهم لصوت النبات في الريح واهتمامهم به ، وهو نبات (العشوق) — بكسر العين والراء — الذي شبهوا وسوسة الحلي بصوته . والله يعلم كم طرب صاحبنا صناجة العرب حين ذكره العشوق بوسوسة الحلي عندها تتبختر فائنة ليه — هريرة — بالذات ، الى حد انه كرم هذا النبات في شعره فنعتته بالزجل — بكسر الجيم — يوم قال :

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل !

انكسار الغصن — طوى طيا — طاو (كنعانية) — طابطة (سورية) — طوبة (عراقية) — توب (فارسية) : وكلها بمعنى الكرة — تبه (فارسية) : قمة — (1) top (انكليزية) : قمة — topf (جرماتية) : خدروف — (2) top (انكليزية) : خدروف .

COPPER : نحاس

اثلها Cypress ، وهو اسم جزيرة قبرص . وهذا غاية ما يذكره معجنا الانكليزي (the New Manifold Dictionary) المتيسر لدينا الآن على علته في ظروفنا الراهنة — على علته علانها ايضا . ولدى مراجعة المعجم اللاتيني المختصر الآخر الذي لدينا (6) — وجدنا ان الكلمة في اللاتينية Cyprus وتعني جزيرة قبرص ايضا . ومنها Cyprium : نحاس ... ويؤثلها هذا المعجم من الاغريقية (kupros) قبرص ايضا .

اما في العربية فان (القبرس) — كالفنند : اجود النحاس . ومعلوم ان النحاس الاصفر يسمى في العربية (الصفير) ، وهي الكلمة المستعملة في العراق بمعنى النحاس عموماً — لكن بكسر الصاد بدلا من ضمه .

والذي يلوح لنا ان العرب كانوا قد سموها جزيرة قبرص باسم هذا المعدن (الصفير) لشهرتها به ، والاغلب انهم اطلقوا الكلمة اولا على النحاس الذي كانوا يجلبونه منها ، ثم شمل الاسم الجزيرة . وهذه احدى الحقائق التاريخية التي يكشفها لنا البحث الترسيسي — ان صح استنتاجنا . ولقد نطقها الاغريق بضم اولها kupros مثل فصاحنا — لغة قريش ومن شاكلها لغويا من العرب — خلافا للعراقيين وغيرهم من العرب المعاصرين الذين ينطقونها اكثرهم بالكسر . اما (os) في آخر الكلمة الاغريقية فعلامة اعراب تلحق بالاسماء عندهم ، فهي ليست من اصل الكلمة ، اي ان متن الكلمة الاغريقية هو kupr وحسب — كالعربية : صفير . ومثل ذلك يقال عن متن الكلمة في اللاتينية : cyp (us) . والحرف (p) في امثال هذه الكلمات يقابل حرف الفاء بالعربية كما هو معلوم . ومن الطريف ان الفاء يقابلها الحرف (p) في البابلية ايضا .

(6) نوهنا بقصور المراجع لدينا الآن لكي يعذرنا القارئ ان كانت هناك حقائق مهمة أخرى نجهلها . نرجو التوصل اليها . وعسى الا يكون فقدانها لدينا قد اوقعنا في اغلاط كبيرة .

فهكذا اكتسب (الصفير) معنى (الصفرة) .
وانما اطلتوا (الصفير) على « النحاس الاصفر » ، بل
والذهب لصفرة لونها .

على ماتقدم يكون رس الكلمة الانكليزية copper
من صوت الصفير ، ويكون تتابع المراحل التي
اجتازتها والصبغ التي تمصتها شيئا يشبه «تناسخ
الارواح » على هذه الوتيرة ، او ما يقاربها : صف
(مندثرة بهذا المعنى ؟) — صفير (صفيرا) —
الصفرة (اللون) — الصفير (النحاس) ، ومن ثم جزيرة
قبرص) — kupros : G. (قبرص) ، والنحاس
ايضا على الأرجح) — Cyprus : L. (قبرص) —
Cyprium : L. (نحاس) — Cypress : E.

(قبرص) — Copper : E. (نحاس) — القبرص
(اجود النحاس) — قبرص (اسم الجزيرة) .

وجائز ان الكلمة الانكليزية قد تطورت من
(الصفير) مباشرة او عن طريق آخر ، فالشبه بين
الكلمتين واضح على كل حال .

اقتبس الاغريق والرومان ، وبعدهم الانكليز
وغيرهم ، هذه الكلمة من العربية ، لكن العرب عادوا
كما نرى فاقبسوا منهم اسم الجزيرة (قبرص) واجود
النحاس (القبرص) . بضاعتهم ردت اليهم .

* * *

ان كان (القائيل) علما اوربيا الى حد كبير — ومن
قبل كان علما عربيا الى حد ما — فان (الترسييس)
علم عربي محض ، وسيبقى عربيا ابدا . فما من لغة
غير العربية جعلتها ظروفها الخاصة التي نأمل ان
نتحدث عنها في مجال آخر ، قادرة على النهوض بهذه
المهمة لنفسها ولغيرها من اللغات ، بايجاد الارساس
الحية للكثير من الكلمات الآرية ، واكثر منها للكلمات
الحامية ، واكثر منها للكلمات السامية ، واكثر بطبيعة
الحال للكلمات العربية نفسها .. مع ما يصل هذه
الارساس البدائية بالالفاظ الحضارية الراقية العصرية
من حلقات ، غير مفقودة ، في تسلسل تطوري منطقي
جذاب يرينا بعض المراحل التي تجسدت فيها الالفاظ
معنى ومبنى ، او كلها في بعض الاحوال .

وكل لغوي اجنب يروم دراسة علم الترسييس
لا يحصيل لمن تعلم العربية والغوص في معجمها الى الاعماق
لكي يصل الى الجذور ثم الى البذور التي نبتت منها
لغته .

وفي امكاننا الآن ان نتكهن الى اي مدى سيكون
اقبال علماء اللغة من مختلف الامم على تعلم العربية ،
بالتفهم الذي ستلجئهم اليه هذه البدعة الترسييسية
المتواضعة التي نرزيها هنا الى القاريء الكريم .

ولما كان الترسييس هو الاساس الذي سيقوم
عليه علم نشأة اللغة وما يتصل به من علوم اللغة ،
وبما ان الترسييس سيهدم كذلك بعض النظريات
اللغوية السائدة ويجلو بعض الغوامض ويلا بعض
الثغرات في « فقه اللغة » البشري — فاننا نرائنا
مضطرين الى تصحيح ما قلناه توا من ان اللغة العربية
ستكون اساسا لعلم الترسييس ، فالصواب ان العربية
وتطوراتها وتفرعاتها وهجراتها ستكون الاساس المكين
لعلم فقه اللغة العالمي العام الذي سيعاد النظر
فيه بجملته ومختلف فروعه ويعاد تخطيطه وتشبيده
صرحه على تصميم جديد من قوانين اللغة العربية
واحياءاتها .

وسيتضح كم سيرتقي علم اللغة ويصح من
اخطائه ويتضي على الكثير من تلكه هنا وتردده هناك ،
ويأتي سرعة ، حالما يأخذون بسلوك الطريق
الاستقرائي العلمي الصحيح في دراسته .. ابتداء
من اللغة العربية ..

نرجو الا يظن القاريء اننا نقول هذا بدافع من
وطنية او قومية او اي نوع من انواع العصبية ، فان
البحث العلمي لا يخضع لدوافع من هذا الطراز .
وما من عربي او غير عربي يستطيع ان يعرف مقدار
الداء الاجنبية في شرايينه عبر الوف السنين ، ان لم
يكن من جهة الآباء فمن جهة الامهات ، وخصوصا
في عصور التشري واختلاط الشعوب
بالهجرات والمهاجرات وغيرها . فان كان في الامر
مفخرة أصلا فهي ليست للعرب وحدهم بل لجميع
الشعوب التي يزعم علم الترسييس انها انحدرت منهم
او امتزجت بهم .

ومرجع الامر كله على أية حال هو الظروف التي
جعلت الصحراء العربية تصون لنا أوائل البدايات
اللغوية كما جعلت الاقطار الخصبة المجاورة لها
تتلقي الهجرات العربية من قلب البادية وتشيد
الحضارات حوالى تلك الرمال في داخل الجزيرة
العربية وخارجها ، وتصنع الانفاظ الحضارية
والمصطلحات الثقافية الراقية من تلك اللغة البدوية
وما تفرع منها من لهجات ولفات .

ونحن شخصا كنا قبل ان نتمعن في درس
العربية نظننها هي التي اقتبست المفردات المهمة
المشتركة بينها وبين اللغات الاعجمية القديمة البانخة ،
كما لا يزال يظن سائر اللغويين الاعاجم والاعارب ،
القدامى والمحدثين .

عبد الحق فاضل

الضاد الخالدة

لفضيلة الشيخ الحاج إبراهيم نياس

مفتي الديار السنغالية

توصلنا من فضيلة الشيخ الاستاذ الحاج إبراهيم نياس مفتي الديار السنغالية وحامل مشعل الدعوة الاسلامية في البلاد الافريقية يبحث قيم حول اعجاز لغة القرآن وتطوراتها التاريخية ، وقد ابى حفظه الله الا ان يشيد بمجلة « اللسان العربي » ذلك « المنبر المبارك الذي يتعاقب عليه باستمرار المستعدون من اصحاب الغيرة على لغة القرآن يشيدون بعظمتها ويبرزون خصائصها ويدافعون عن حماها ويسخرون من المحاولات التي تستهدف تعطيل رسالتها الخالدة ، ولكن لغة الضاد مضمونة البقاء لانها بالقرآن عاشت وتحدثت العصور والمقبات وبالقرآن تخلد » .

قال حفظه الله ما ملخصه :

اللغة العربية اقدم اللغات الحية فليس ثمة في العالم لغة محكية اقدم منها ولا تزال اللغة العربية تحتفظ بالاعراب تاما كاملا كما كان شأن جميع اللغات القديمة ، اما معظم اللغات الاخرى فقد فقدت الاعراب ولكننا نجد الاعراب شبه تام في اللغتين الالمانية والايسلندية كما نجد بعض الاعراب في اللغة الدنمركية واللغة الروسية ، وهناك آثار للاعراب في عدد من اللغات الباقية .

ويبدو أن اللغة العربية انفصلت مع اخواتها الشماليات من اللغة السامية الام منذ زمن بعيد جدا ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية ايضا منذ زمن بعيد واذا نحن نقفنا النظر في اللغة العربية وجدناها اكثر اخواتها الساميات مفردات واتمها صيفا واكملها صرفا ونحوا وارقاها بيانا وبلاغة واحسنها اسلوبا من اجل ذلك لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الام الفصحى وان سائر اللغات السامية من شمالية كالبابلية والكنعانية والارامية ومن جنوبية كالحيثية والحيبرية لهجات ومع كثرة الصلات التي كانت بين عرب الشمال وعرب الجنوب

منذ اقدم الازمنة فان لغة حير اليمن ابتعدت كثيرا عن اللغة المضربة العربية الشمالية التي نزل بها القرآن الكريم حتى قال ابو عمرو ابن العلاء منذ صدر الدولة العباسية : « ما لسان حير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » .

وكان جميع العرب الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي من شبه الجزيرة في البحرين واليمامة ونجد والحجاز سواء اكانوا ينتسبون الى مضر او الى اليمن يتكلمون لغة واحدة وينظمون فيها اشعارهم فلقد رأينا شعراء الجاهلية من أي المواطن كانوا ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كل شيء ثم يحملون تلك القصائد لينشدوها في جميع اقسام بلاد العرب وفي العراق والشام حتى اليمن نفسها مما يدل على أن لغة مضر كانت في الجاهلية اللغة العامة للعرب كلهم .

على أن هذا لم يمنع أن يكون للعرب لهجات محلية مأنوسة في قبيلة قبيلة على أن معنى اللهجة هنا انها هو استعمال الفاظ مختلفة للمعنى الواحد في بعض الاحيان والمجىء بصيغ متباينة لتلك الالفاظ أحيانا أما التركيب والنحو والمنطق اللغوي فكانت كلها واحدة .

من هذه الالفاظ : قرطاس درهم دينار سجل
برنس كرسي ديمقس استبرق قصر ، وهذه الكلمات
الاعجية دخلت في الشعر الجاهلي وبعضها ورد في
القرآن الكريم .

وبينما كانت اللغة العربية تتمثل هذه الالفاظ
الاعجية كانت ثمة الفاظ عربية خالصة تخرج من
الاستعمال وتصبح غريبة بعد أن كانت دائرة في
الشعر الجاهلي وبعد أن كان بعضها قد جاء في
القرآن الكريم من هذه الالفاظ الحبك (بضمهين) الحبي
(بفتح الحاء وضمة و) وبكسر الباء بعدها باء مشددة)
الفند (بفتحين) الكذب المحال (بكسر الميم) .

ومع ان عرب الجاهلية لم يكونوا اهل كتابة فان
الكتابة عندهم لم تكن نادرة كما يتخيل بعضهم. لقد
كان العرب يكتبون بينهم العقود والمواثيق ويكتبون
الرسائل في بعض الاحوال ويبدو ان الشعراء كانوا
يدونون اشعارهم ايضا ومع ان الكتابة كانت معروفة
في الجاهلية فانها لم تكن مألوفة وخصوصا في البادية.

وكثر اللحن بعد الاسلام بعوامل كثيرة منها
اختلاط العرب بغيرهم من الروم والفرس والنبط بعد
ان دخل هؤلاء في الاسلام وبعد ان نزل العرب بالفتح
في الشام والعراق وفارس والهند واfrica والاندلس.

ومن اسباب اللحن سكنى المدن التي يكثر فيها
الاعاجم ومنها كثرة الجوارى في الحياة العربية وقد
كن عجميات أو مولدات ومنها تنفسي الجهل بتترك
نفر من اهل المدن دراسة اللغة والنحو ومنها
الجوازات في الشعر فقد كانت تبدأ اضطرابا ثم
تعم بطول القراءة والرواية وعم اللحن حتى ان
الحجاج ابن يوسف كان يستدرك عليه اللحن بعد
اللحن ، أما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد كان
لحانا .

وقال الفخر الرازي في تفسيره عند قوله تعالى:
أو يأخذكم على تخوف وعن عمر انه قال على المنبر
« ما تقولون في هذه الآية فسكتوا فقام شيخ من هذيل
فقال هذه لغتنا التخوف التفتق فقال عمر هل تعرف
العرب ذلك في اشعارها ؟ قال نعم ، قال شاعرنا :

تخوف الرجل منها تانكا فردا
كما تخوف عود النبعة السفن

وقد خطاوا المتنبي وإبا تمام والبحري في اشياء
كثيرة كما هو مسطور في شروح تلك الدواوين وفي
الاقتراح للجلال السيوطي : « اجمعوا على ان

ففي الحجاز مثلا كانوا يسهلون الهجزة فيقولون
سال سل وكذا كلاك بينما كان اهل نجد يقولون سال
اسال اكد كلاك وكان اهل الحجاز يقولون وعد بمعنى
هدد وكان بعضهم يقول سكنين بينما بعضهم الآخر
كان يسمى السكنى مدية ، ولقد كانت هذه الالفاظ
المختلفة في القبائل المختلفة مألوفة على
كثيرة أو قليلة في جميع بلاد العرب
ودائرة على السنة شعراء الجاهلية فلما جاء
اصحاب المعاجم عدوا جميع هذه الالفاظ عربية تامة
فضموها الى معاجمهم من غير تفريق بينها .

ومن هنا نشأت المترادفات الكثيرة حتى رأينا
للسيف في القاموس العربي ألف اسم وحتى رأينا كلمة
خال تدل على أربعين معنى .

وخضعت لغة مضر لما كانت قد خضعت له
اخوانها من قبل بعوامل من الهرم ويتأثير من العوامل
الاجنبية فبدأ فيها اللحن قال ابو عمرو بن العلاء :
« فحلان من الشعراء كانا يخطئان في حركة الروى
الحرف الذي تبنى عليه القافية النابغة وبشر بن ابي
خازم وهذا معروف عند امرئ القيس وعند غيره
ايضا فاذا كانوا يلحنون فمباالك بسائر اهل الجاهلية».

وفي خصائص ابن جنى (ص37): «ونزل القرآن الكريم
بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم ويلقون
فيها خطبهم ويتخاطبون بها فيها بينهم ومصدق ذلك
قوله تعالى في سورة ابراهيم وما أرسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم » .

وجاءت صفة مبين نعتا للسان العربي وللقرآن
وللكتاب وللرسول اثنى عشرة مرة في القرآن الكريم
منها « ولقد نعلم انهم يقولون اننا يعلمه بشر لسان
الذي يلحدون اليه اعجبي وهذا لسان عربي مبين »
ومنها ايضا « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون
من المنذرين بلسان عربي مبين » . ومع نزول القرآن
الكريم ولاهتمام المسلمين بتدوين كل آية عند نزولها
ثم بالمحافظة على كل جملة ولفظة وحركة ووقف عليه.

وقفت لغة مضر عن التفتق وحفظت الى اليوم
كما كانت في عهد الرسول لغة لنا فصحي صحيحة
مانوسة ومنذ الجاهلية دخلت على اللغة العربية
كلمات اعجمية لمسيات لم تكن عند العرب ثم طرأت
عليهم فآخذوها باسمائها غير أن اللسان العربي
استطاع ان يصقل هذه الالفاظ الاعجمية حتى أصبح
بعضها وكأنه عربي خالص .

لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية وفي الكشف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير ائمة اللغة ورواتها فإنه استشهد على مسألة بقول أبي تمام الطائي .

وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا إليه لأنه كان هجاء لتركه الاحتجاج بشعره ذكره الرزياني وغيره ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج اهـ

ومن جهة أخرى يجوز الاستشهاد بمتواتر القرآن وشأذه .

وكذلك الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوزه ابن مالك ، ومنعه ابن الضائع وأبو حيان وسندهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما رويت بالمعنى وإن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشيء منه ورد الأول على تقدير تسليمه بأن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف ، ورد الثاني بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط الفاظه ويلحق به ما روي عن الصحابة .

وتجوز الرواية بالمعنى هو السبب — كما قال أبو الحسن بن الضائع في شرح الجمل — في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا ذلك لكان الأولى في إثبات نصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أفصح العرب على أن ابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا .

وانتقد أبو حيان في شرح التسهيل على مصنّفه الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب ملاحظا أنه ما رأى أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كابي عمرو ابن العلاء وعيسى ابن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وحذا حذوهم المتأخرون

من الفريقتين وغيرهم من نحاة الأتالم كنحاة بغداد وأهل الاندلس .

ولو وثق الناس أن الحديث هو لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لجري مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية . غير أننا نجد قصة واحدة تدجرت في زمانه صلى الله عليه وسلم تروى بالفاظ مختلفة نحو ما روي من قوله زوجتكها بما معك من القرآن أو ملكتكها بما معك من القرآن أو خذها بما معك من القرآن ، فنعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ بل لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الالفاظ غيرها فأنت الرواية بالمرادف ولم تأت بلفظه إذ المعنى هو المطلوب ولا سيما مع تقادم السماع وعدم ضبطها بالكتابة، والاتكال على الحفظ والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما من ضبط اللفظ فبعيد جدا لاسيما في الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثوري إن قلت لكم اني احديثكم كما سمعت فلا تصدقوني انما هو المعنى ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين انهم يروون بالمعنى، وهناك شيء آخر وهو أنه وقع اللحن كثيرا فيها روى من الحديث لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو فوق اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصح من لسان العرب ، ونعلم قطعا من غير شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح الناس فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها وإذا تكلم بلغة غير لغته فأنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز وتعليم الله ذلك له من غير معلم اهـ

وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام أولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال .

واليك نبذة من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم :

— المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

— الناس كاسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار من

وهو بالخيار ما لم يتكلم . ورحم الله عبدا قال خيرا
فغنى أو سكت عن شر مسلم .

— اسلم تسلم واسلم بوثك الله اجرک مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا الموطأون اكثافا الذين يالفون ويؤلفون
— لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن
تيل وتال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات وواد البنات .

— اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تحمها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور
اوسطها .

— احب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة .

الى غير ذلك من بيانه مما روته الكافة عن
الكافة مما لا يقاس به .

وقال صلى اله عليه وسلم بيد اني من قريش
ونشأت في بني سعد فجمع الله بذلك قوة عارضة
البادية وجزالتها ونضارة الفاظ الحاضرة ورونق
كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي .

وقد تواترت الروايات بقصة الوليد بن المغيرة :
انطلق الوليد بن المغيرة حتى اتى مجلس قومه
من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آثفا
كلما ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لثمر وان اسفله
لغذق وانه يعلو ولا يعلى عليه ، ثم انصرف الى
منزله فقاتل قريش صبا والله الوليد والله لتصبأ
قريش كلهم الى آخر القصة اهـ

قال الاستاذ الشيخ طنطاوي الجوهري :

جوهرة في اعجاز القرآن (ص 111) حديث عجب
في بلاغة آية « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل
من مزيد » .

في يوم 13 يونيو سنة 1932 قابلني الاديب
المصري الاستاذ كامل كيلاني فحدثني حديثا عجيبا
كان اثار اليه قبيل ذلك بمدة قبيل تقديم هذه السورة

الى الطبع وهذا الحديث راجع الى البلاغة التي ظهرت
في آية يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد
فذاك حديثه :

قال كنت مع الاستاذ فنكل وهو من افاضل
المستشرقين الامريكين وكانت بيني وبينه صلات ادبية
وثيقة وكان يأخذ برأيي في ذكر المشاكل التي تقابل في
الادب لما يعتقده في من الصراحة ، ففي ذات يوم
همس في أذني متبينا فقال خبرني عن رأيك بصراحتك
المعروفة ، اامن يعتقدون اعجاز القرآن أنت ام لعلك
تجاري جمهور المسلمين الذين يتلقنون ذلك كابرا عن
كابر ، وابتم ابتسامة كل معانيها لا تخفى على
أحد وهو يحسب أنه قد ألقى سهما لا سبيل الى دفعه
فابتسمت له كما ابتسم لي وقلت لكي نحكم على بلاغة
اسلوب بعينه ، يجب ان نحاول ان نكتب مثله او نقلده
فلنحاول ليظهر لنا انحن قادرون ام عاجزون عن
محاكاته وتقليده فلنجرب ان نعبر عن سعة جهنم
فماذا نحن قائلون؟ فأمسك بالقلم وأمسكت به فكتبنا
نحو عشرين جملة متخيرة الاسلوب نعبر بها عن
هذا المعنى .

فقلت له مبتسما ابتسامة الظافر الواثق :

الآن تتجلى لك بلاغة القرآن واعجازه بعد
ان حاولنا جهدنا ان نحكيه في هذا المعنى فقال هل
أدى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما أديناه فقلت لقد
كنا اطفالا في تأديته .

فقال مدهوشا وماذا قال قلت له يوم نقول
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد .

نصفق أو كاد وفتح فاه كالإبله أمام هذه البلاغة
المعجزة وقال لي : « صدقت نعم صدقت وأنا اقرر
لك ذلك مفتبها من كل قلبي » هذا لفظه فقلت له :

« ليس عجيبا ان تدعن للحق وانت اديب خبير
بقيمة الاساليب » .

وهذا المستشرق يجيد الانجليزية لانها لغة بلاده
في امريكا والالمانية لانها اللغة التي درس بها الادب
والعبرية لانها لغة الامومة والعربية لانها اللغة
التي وقف حياته على درس ادبها فهو رجل متخصص
للادب وقد جعل حياته وثقا عليه .

عروبة عريقة

من المحيط إلى الخليج

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ويبحثنا في « اللسان العربي » العدد الثاني ص 34 عام 1965 حيث نشرنا رسماً كشف في البرازيل عن حجارة مكتوبة بالعربية البونية تحمل تاريخ 125 ق.م) قد سادت كثيراً من الأقاليم العربية التي استوطنها الكنعانيون منذ الألف الثانية قبل الميلاد وهو تاريخ انطلاق حضارتهم وهذه الأقاليم تنتشر من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ويرى ابن خلدون (المقدمة ج 1 ص 58 طبعة مصر 1936) أن إبراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بقنطورة بنت يقظان الكنعانية فولدت له ستة أولاد منهم يقشان جد البربر الذين انتقلوا من جنوب فلسطين عن طريق مصر حوالي 1300 ق.م. ثم تتابعت الجاليات الكنعانية ولهذا اعتبر الحسن الوزان الفاسي (وهو ليون الإفريقي Léon l'Africain) الفينيقيين عنصراً هاماً في سكان إفريقيا القدمين ، وقد انتقل فوج ثان من الكنعانيين صحبة مصريين إلى إفريقيا الشمالية عام 1215 ق.م. عندما أجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم فوج ثالث ممن أجلاهم أيام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق.م. ومعلوم أن العرب كانوا يملأون هضاب ويطاح

أن من أبرز ما تمتاز به العامية في جناحسي العروبة ما بين المغرب وإقطار الخليج العربي — وخاصة في الكويت والبحرين وقطر التي تشرعنا بزيارتها خلال فصل الربيع الماضي بدعوة من حكوماتها الموقرة — هي اصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى ولا بدع فالخليج عريق في العروبة وقد استعمل سترابون Strabon (1) كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب (2) وكان للعرب الكنعانيين جولات في هذا الخليج قبل التاريخ الميلادي بالف عام وما زالت آثارهم قائمة إلى الآن وتحمل إحدى مدن الخليج العتيقة اسم صور أي تير Tyr عاصمة الفينيقيين على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط على نسق المدن التي أسسها الكنعانيون في الجناح الغربي للعروبة منذ عام 101 قبل الميلاد بالمغرب الأقصى (ليكسوس Lixus) وتونس (Utique) والاندلس (مالقة وقادس) وهبو Hippo (عنابة وينزرت) وكانت اللغة البونية langue punique الشبيهة بعامية إفريقيا الشمالية (راجع كتابنا معطيات الحضارة المغربية

- (1) جغرافي إفريقي ولد عام 58 قبل الميلاد وتوفي بين سنتي 21 و 25 ميلادية كتب جغرافية ما زال معظمها موجوداً إلى الآن ولكن قيمة هذا العالم المؤرخ لم تعرف إلا منذ القرن السادس عشر الميلادي
- (2) جواد علي في « تاريخ العرب قبل الإسلام » ج 2 ص 380 وكذلك المقدسي البشاري الذي عاش عام 985م استعمل كلمة « بحر العرب » في تقسيمه للبحر السبعة (كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 17) .

ويرجع إطلاق المؤرخين الخليج الفارسي على الخليج العربي إلى القائد اليوناني نيركس لما عاد من الهند مبعوثاً من سيده الإسكندر الأكبر لأنه لم يمر إلا من الساحل الشرقي فقط (كتاب قطر ماضيها وحاضرها لمصطفى مراد الدباغ ص 24) راجع مجلة « الاقلام التي تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد ج 8 ص 64 السنة الأولى .

جنوب افريقيا فقد كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبر في مقاطعة رديسيا آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدلت بها على أن العرب قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمارها اسلافهم عرب اليمن قبل ذلك بعهد طويل ولاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) (3) ان الحضارة ظهرت في بلاد آسيا الغربية وبخاصة في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة قبل ظهورها في مصر وما بين النهرين ومنها انتشرت في صورة مثلث ثقافي الى سومر وبابل واشور والى مصر (4) وقد تحدث ابن خلدون (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة الاطلس المغربي فاشار الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من ان صنهاجة (سكان الاطلس الأوسط) ومصمودة (الاطلس الكبير) وكتامة (السهول الشمالية والشرقية بالمغرب) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة على هذه الرواية اعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانهم من بني افريقش بن قيس بن صيفي الحميري (5) والعامل الجوهري الذي يؤكد تلك الرابطة الموصولة بين عرب افريقيا الشمالية وبين الخليج العربي الى البصرة ، ان القوائيل التجارية كانت تربط بين بصرة المغرب (6) وبين بصرة المشرق عن طريق الخليج العربي مما ضاعف الاتصال والتبادل الفكري واللغوي بين هاته المراكز وان هذا الاثر العربي ربما وصل الى بابـل وخوزستان منذ ما قبل الميلاد اذا صدقنا الرأي القائل بأن قانون حمورابي عربي وان العربية كانت لها

جولات في هذه الاصقاع فلفظ الحوز مثلا يطلق في المغرب على ناحية مراكش اي الاقليم المحيط بها والاهواز — كما جاء في معجم البلدان — جمع هوز واصله حوز لانه ليس في كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد في محمد .. وعلى هذا يكون الاهواز اسما عربيا سمي به في الاسلام وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان واصل الحوز في كلام العرب من الحيازة اي الحصول والمملك وقد نص سالوست Scalluste (7) على ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على ايبيريا (اي اسبانيا) في عهد هيروكولس Heracles (هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت اشراعتهم بالريح الى المحيط الاطلنطيكي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيوتل Getules (وهم جزولة على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس او سوسة (8) باسم سوسانة Susiane (او ارض عيلام Elam) بالاهواز وقد اشتهر الفرس بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم واطلق على سكان الجزائر وقسم من تونس (اي نوميديا الشرقية وعاصمتها قرطاج) .

وهكذا نرى ان الوصلة موثوقة بين عاميتي المغرب العربي والخليج العربي قبل الاسلام بأزيد من ألف عام بفضل بني كنعان وبني قحطان من حميري اليمن .

وهاكم امثلة عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين هذه اللهجات العربية (راجع قسم المعاجم) .

(3) نقلا عن Child, Ancient East, p. 216 :

- (4) مما يدل على عروبة مصر كما قيل وجود اسماء عربية فملك مصر في عهد يوسف عليه السلام هو الريان بن الوليد الذي خلفه قابوس بن مصعب ابن معاوية (الكامل لابن الاثير ج 1 ص 72 طبعة 1348)
- (5) ذكر التلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) ان افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام الى المغرب كما رجحه ابن خلدون وان اكثر الاقوال جانحة الى ان البربر عرب وان لم يتحقق من اي عرب هم وقد انكر عروبتهم ابو عمرو بن عبد البر وابن خزم وابن خلدون السذي نقل عن جبهة ابن خزم (التاريخ ج 6 ص 96) انه ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم وصحراء السودان والتشاد فالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى نهر النيجر الى مراكش تلك الطريق التي حكى الحسن الوزان انه سلكها مع القوافل التجارية في اواخر القرن العاشر الهجري فرارا من قرصنة طريق سواحل البحر الابيض المتوسط ومعلوم ان سجلاسة كانت مركزا تجاريا تتوارد عليه قوافل البصرة والكوفة وبغداد .
- (6) التي تقع بالقرب من القصر الكبير بشمال المغرب والتي هدمها ابو الفتوح عام 368هـ وكانت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان (البيان المغرب لابن عذارى ج 1 ص 330) .
- (7) مؤرخ روماني 35-86 ق.م. في كتابه Guerre de Jugurtha (يوغورطا هو ملك نوميديا ولسد عام 154 ق.م. وهو ابن اخ Micipsa نجل ماسينيا امير البربر .
- (8) ولعل اسم مدينة سوسة التونسية يرجع لنفس المصدر اذا صحت الرواية .

امثلة من الدلالة التاريخية للفظ العربي

لا استاذ عبد الله كشتون

عضو مجمع اللغة العربية (القاهرة)

القنداق

الله ، لقد جالسناك دهرًا طويلًا فما رأيناك ذاكرتنا بشيء من هذا .

وقد استوقف نظري في هذه الجمل لفظ قنداق وجمعه قناديق ، ولم اكن سمعت به من قبل ، فرجعت الى لسان العرب فوجدته يقول : « القنداق: صحيفة الحساب » ولم يذكره في القاموس ، لكن صاحب التاج استدركه عليه بهذه الصورة :

« وما يستدرك عليه القنداق صحيفة الحساب كما في اللسان وأورده المصنف تبعًا للصاغاني في فندق (هنا موضعه) وقد رجعت الى القاموس في فصل الفاء من باب القاف فاذا نصه : والقنداق بالضم صحيفة الحساب) وزاد عليه في الشرح قوله : « وقال الاصمعي أحسبه معربًا قلت والمشهور بالقاف كما يأتي (2) » ثم رجعت الى اللسان في فصل الفاء من حرف القاف فاذا هو يقول : « الليث : القنداق هو صحيفة الحساب قال الاصمعي أحسبه معربًا » .

هملت من هذه الاقوال ان القنداق هو صحيفة الحساب ولكن لا على سبيل القطع فان بعضها يجعله بالفاء بدل القاف فيبقى علي تحقيق ذلك ، ثم النظر في وجه تسمية هذه الصحف التي تخلفت عن مالك والتي رفعت اليه وفيها مسائل الفقه والعلم بالقنداق وهو صحيفة الحساب ، وبعد ذلك معرفة أصله إذا كان معربًا ، فان هذه الاقوال لم تنص على اللغة التي عرب منها .

وقد استنجدت بكتاب المعرب للجواليقي فوجدته قد ذكره في باب الفاء ولم يزد شيئًا على قوله « والقنداق

قرأت من مدة طويلة في القنراق كتاب المدارك للقاضي عياض أثناء ترجمته للإمام مالك ، والكتاب من أمهات كتب التراجم لعلماء المالكية وهو ما يزال مخطوطًا غير مطبوع كما لا احتاج ان اقول ، قرأت ما يلي :

« قال ابو مصعب قال لنا المغيرة تعالوا نجتمع ونستذكر كل ما بقي علينا مما نريد ان نسأل عنه مالكا فمكننا نجتمع ذلك وكتبناه في قنداق ووجه به المغيرة اليه وسأله الجواب فأجاب في بعضه وكتب في الكثير منه لا ادري . فقال المغيرة يقوم لا والله ما رفع الله هذا الرجل الا بالتقوى من كان منكم يسأل عن هذا يرضى ان يقول لا ادري ؟

وقرأت فيه هذه النبذة ايضا :

« قال القطان لما مات مالك رحمه الله خرجت كتبه فأصيب فيها قنداق عن ابن عمر ليس في الموطأ منه شيء الا حديثان .

وهذه النبذة الثالثة :

« قال عتيق : قال مالك أخذت عن ابن شهاب تسعة قناديق في بطونها وظهورها . ان منها أشياء ما حدثت بها منذ أخذتها بالمدينة . وأخيرا قرأت هذا الخبر :

« لما دفن مالك أخرجت كتبه فاذا فيها سبع قناديق من حديث ابن شهاب ظهورها وبطونها ملأى وعنده (1) قناديق وصناديق من كتب أهل المدينة . فجعل الناس يقرأون ويقولون : رحمك الله ابا عبد

(1) كذا بالأصل ولعل التصواب وعدة .

(2) أي في فصل القاف من باب . وهو النص السابق مما استدركه على المتن .

« غنداغ : الخرقعة يلف بها الطفل الرضيع ،
اصل الكلمة في السنسكريتية بمعنى اللف » .

ولاحظ الاستاذ الخالسي ان كلمة غنداغ لا تزال
مستعملة في اللغة الفارسية الدارجة بمعنى القمط
الذي يلف فيه الوليد وقد تلفظ قنداغة أو غنداغة ، كما
ان العراقيين ما زالوا يطلقون على اخمص البندقية
كلمة القنطاق .

هذا فيما يتعلق بالقنطاق بالقاف وأما القنطاق
بالفاء فقد نقل لي الاخ المذكور من المعجم الفارسي
(فرهنگ نفيسي) قوله عنه في ص 2589 من الجزء
الرابع انه (نامة حساب) وترجمتها ورقة الحساب .
فيؤخذ من هذه النصوص أن القنطاق هو غير
القنطاق ، وأن الاول أصله الفين وقد حرف الى القاف
وعرب بالقاف خلاف الثاني فانه بالفاء أصلا .

أما من حيث المعنى فان الذي يطلق على صحيفة
الحساب هو القنطاق بالفاء كما اقتصر عليه معجم
فرهنگ نفيسي ولم يذكر هذا المعنى لذي القاف هو ولا
صاحب الدراري اللامعات . وعليه فان المجند
الفيروزيادي على صواب في ذكره في فصل الفاء من باب
القاف بهذا المعنى مقتصرًا عليه تبعا للصاغانى كما
قال صاحب التاج . واعتراض هذا عليه بأن موضعه
القاف وأنه هو المشهور غير صحيح .

ويتأيد هذا بذكر الجواليقي له في الفاء غير
متردد كما تردد ابن منظور حين ذكره في الحرفين معا .
وعلى كل حال فنحن نطلب تفسير لفظ القنطاق
الذي ورد في تلك العبارات المتعددة من كتاب المدارك
بالقاف افرادا وجمعا ، ومعنى ورقة الحساب بعيدة
عن المراد به فضلا عن أنها انها تفسر ذا الفاء وليس
هو مطلوبنا .

ونرى أن ما ورد في تفسير القنطاق من أنه
القمط واللفافة وقول صاحب معجم (فرهنگ نظام) أن
اصل الكلمة في السنسكريتية بمعنى اللف ، يوحي لنا
بأنهم كانوا يطلقون اللفظ على الصحيفة التي تلف
وتلوى كالانبوبة والجعبة ، وأن هذه القناديق التي
وجدت في تركة الامام مالك أو التي وجهت اليه كانت
صحفا مكتوبة تارة من وجهين وتارة من وجه واحد
وهي ملفوفة كما يلف القمط على الوليد وذلك على
مثال ما لا يزال الكثير منا يفعله في الوثائق والخرط
ونحوها . وهو من مجاز التشبيه كما لا يخفى .

ان هذا هو ما وصلت له بعد البحث الدقيق
في معنى هذا اللفظ واذا كان عند أهل الذكر شيء غير
هذا فليخرجوه لنا مشكورين .

صحيفة الحساب اعجبية معربة « وأملت أن يكون
عند صاحب شفاء الغليل مزيد من علم يشفي غلتي فاذا
هو لم يذكر اللفظ اطلاقا في حرف الفاء ولا في حرف
القاف .

ازاء هذه المعلومات المضطربة والمراجـع
الشحيحة لم يبق أمامي الا اللجوء الى ارباب المعرفة
باللغات الشرقية التي يظن ان العربية أخذت ذلك
اللفظ منها ولما لم احصل على جواب كاف قررت البحث
في معاجم اللغات المشار اليها ، ولم يكن عندي منها
الا معجم واحد صغير يسمى الدراري اللامعات في
منتخبات اللغات وهو كما قال صاحبه محمد علي
الانسي قاموس للغة العثمانية يحتوي على الكلمات
التركية والالفاظ الفارسية والافرنجية المتداولة في تلك
اللغة ، مطبوع في بيروت سنة 1318هـ ، وقد جاء
فيه اثناء حرف القاف ما يلي :

« قونداق : مشدود ، قمط ، لفافة ، مؤخر
البارودة . شعلة ثم زاد قائلا :

« قونداتجي : مصلح البواريد ، محرق » .
ونستفيد من هذا النص أن التعريب الذي حصل
في لفظ الكلمة هو حذف الواو من بعد القاف ، وأن
صحيفة الحساب ليس من جملة معاني اللفظ وقد
نقلت كلام هذا المعجم في القونداتجي لانه كان عندنا
في طنجة أسرة من قباء مهاجري الجزائر اسمها
العائلي هو القونداتجي ، وكان بعض الناس يحرفه
الى الخندقجي فكلمت رئيسها يوما في ذلك وكنت اعتقد
أن الخندقجي صواب وأنه نسبة الى الخندق ، فقال
لي بل هو بالقاف وأنه يرجع الى احدى الصنائع
المتعلقة بالبندقية او المكحلة كما نقول نحن في المغرب
للبنديقية . وقد صحح هذا المعنى النقل المذكور من
قاموس اللغة العثمانية ، وبين لنا أن تلك الصنعة
تتعلق بخشبة البندقية التي عبر عنها في هذا
القاموس بمؤخر البارودة وعن صانعها بمصلح
البواريد » .

وبعد هذا أوقفني الاخ الاستاذ محمد الخالسي
من أفاضل علماء بغداد على النص الآتي من المعجم
الفارسي « فرهنگ نفيسي ج 4 ص 2713 : « قنطاق
من التركية : الخشبة توضع فيها انبوبة البندقية .
الخرقة تلف بها يدا الطفل ورجله وتشد بشريط .

ثم على نص آخر من معجم فارسي لسيد محمد
علي، اسمه (فرهنگ نظام) ج 4 ص 142 وهو «قنطاق:
محرف غنداغ » .

ونقل التفسير الآتي عن هذا المعجم في لفظ
غنداغ من ج 3 ص 747 ونصه :

التقييم

كرر استعمال هذا اللفظ في الأيام الأخيرة ، وخاصة من النقاد المحدثين كثرة ملحوظة تنبئ عن الإصرار على مخالفة القياس به ، وعدم الأخذ بتوجيهات علماء النحو والصرف الذين لم يفتأوا ينهون على خطأ ذلك الاستعمال ، ويبينون أن صوابه هو التقويم بالواو لا بالياء .

ويظهر أن الأدباء والنقاد من الجيل الجديد وجدوا له جرسا يتلاءم مع ما يدعون إليه من مذاهب جديدة ، ودلالة أدق على التجارب التي يستهدفون تدعيمها للناس .

إن التقويم في نظرهم أصبح عملية تختص بتقدير الثمنات وقياس المثليات على ما يفهم من كلامهم ، أما الأعمال الأدبية والمذاهب الفكرية فإن وزننا وتحليلها يجب أن يعبر عنه بلفظ آخر يكون أكثر استجابة للبواعث المعنوية والمعايير الفنية ، وليس هو إلا التقييم .

لست بصدد مناقشة هذا الرأي ، ولكني أحب أن ألفت النظر إلى نص قديم ورد فيه هذا الاستعمال ، ولم يثر كثير اهتمام من الذين تناولوه بالشرح مع أنهم جميعا من أهل العلم الذين لا يخفى عليهم أمره . وهذا النص هو أثر روي في صحيح البخاري عن الزهري في كتاب الإكراه وبالضبط في باب إذا استكرهت المرأة على الزنا . وهو : « قال الزهري في الإمة البكر ، يفترعها الحر ، يقيم ذلك الحكم من الإمة العذراء بقدر قيمتها ويجلد . »

وأنا وإن كنت لا أجهل ما قيل في الاستشهاد بالحديث على مسائل النحو واللغة ، وأعرف أن لفظ الشاهد يحتمل قراءتين ولعلمها روايتان : يقيم (المهموز) ويقيم (المضغف) فإني أسوق هنا ما كتبه شراح البخاري على هذا اللفظ واستخلص منه النتيجة الطبيعية التي يؤدي إليها .

فالتسلائي لم يزد على أن يفسر يقيم بيقوم (المضغف) وابن حجر قال : « ومعنى يقيم يقوم » أما العيني فنصرا كتب : « قوله يقيم ، قال الكرمانى ويقيم أما بمعنى يقوم وأما من قامت الإمة مائة دينار إذا بلغست قيمتها : » وبقية الشراح الذين راجعناهم لم يتكلموا على اللفظ أصلا ، فكانهم مسلمون له ، كما أن الآخرين وجهوه ولم يعترضوه .

1 — وازيد على هذا قول الفيومي في المصباح : « قام بالامر يقوم به قياما فهو قوام وقائم ، واستقام

الامر ، وهذا قوامه بالفتح والكسر . وتقلب الواو ياء جوازا مع الكسرة أي عماده الذي يقوم به وينتظم . ومنهم من يقتصر على الكسر ومنه قوله تعالى (التي جعل الله لكم قياما) ..

فقد قلبوا الواو ياء مناسبة للكسرة مع أن التصحيح لا ينافيها وهو وارد معها ومع الفتحة .

2 — وقال الفيومي أيضا : « وقام المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به . والقيمة الثمن الذي يقاوم به المتاع أي يقوم مقامه ، والجمع القيم مثل سدره وسدر ، وشيء قيمى نسبة إلى القيمة على لفظها لأنه لا وصف له ينضبط به في أصل الخلقة حتى ينسب إليه ، بخلاف ما له وصف ينضبط به كالحيوب والحيوان المعتدل فإنه ينسب إلى صورته وشكله فيقال مثلي أي له مثل شكلا وصورة من أصل الخلقة .

والشاهد منه في قوله نسبة إلى القيمة على لفظها يعني لأنه لو كان نسبة لها على القاعدة النحوية المعروفة لقليل قومي بفتح ثانيه بعد رده إلى أصله الواوي . وليس قوله لأنه لا وصف له تعليلا لهذه النسبة وإنما هو بيان لمعانها بدليل مقابلته بالمثل ... وهذا اصطلاح فقهي كما لا يخفى ، فإذا صح للفقهاء أن يخالفوا قاعدة النسب في قيمى مع مثلي فلا مانع أن يصطلح الأدباء على جعل تقييم بالياء وأن خالف القاعدة لغرض بياني واضح .

3 — ثم أضيف إلى ذلك ما جاء في البحر المحيط لأبي حيان على الآية الأنفة الذكر (ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيا) قال :

« وقرأ نافع وابن عامر قيا وجمهور السبعة قيا وعبد الله بن عمر قواما بكسر القاف والحسن وعيسى بن عمر قواما بفتحها ورويت عن أبي عمرو وقرئ شاذا قوما ، فأما قيا فمصدر كالقيام (3) قاله الكسائي والفراء والأخفش وليس مقصورا من قيام . وقيل هو مقصور منه . قالوا وحذفت الألف كما حذفت في خيم وأصله خيام . أو جمع قيمة كديم جمع ديمة قاله البصريون غير الأخفش ورده أبو علي بأنه وصف في قوله دينا (4) قيا والقيم لا يوصف به ، وإنما هو مصدر بمعنى القيام الذي يراد به الثبات والدوام . ورد هذا بأنه لو كان مصدرا لما أعل كما لم يعلو حولا وعوضالاته على غير مثال الفعل لاسيما الثلاثي المجرد وأجيب بأنه تبع فعله في الاعلال لأنه مصدر بمعنى القيام فكما أعل القيام أعل هو . وحكى الأخفش قيا وقوما قال والقياس تصحيح الواو وإنما اعتلت على وجه الشذوذ كتولهم ثيرة (5) وقول بني ضبة طييال

(3) في الأصل فمقدر كالقيام والقيام ونظن أن ذلك من خطأ الطبع .

شجيب

جاء في المعجم الوسيط ما يلي : شجب الشيء يشجب شجبوا هلك ، وفلان حزن والغراب شجبيا نطق بالبين وفلانا شجبيا أهلكه ، ويقال شجب الصيد رماه بسهم فأصابه وأعجزه عن الحراك ، وفلانا أحزنه والشيء فلانا شغله والشيء جذبته ، يقال شجب اللجام . وشجبه عن حاجته . وشجب القارورة بالشجباب شدها . الخ

وهذه المعاني التي ذكرها المعجم الوسيط لشجب وما تصرف منه هي بعينها الواردة في التاموس وغيره من معاجم اللغة . ولعلنا نلاحظ أن المعنى الوحيد الذي يستعمل فيه هذا الفعل بكثرة اليوم ، لم يرد في المعاجم وهو شجب بمعنى انتقد وندد . يقال شجب الخطة أو السياسة الفلانية يشجبها شجباً أي انتقدها وندد بها وهاجمها وحمل عليها . وهذا كثيراً ما يرد في الصحف اليومية معبراً به عن المواقف المضادة التي يقفها مندوبو بعض الدول في المنظمات السياسية من سلوك بعض الساسة والحكومات في دول أخرى . وظاهر أن معنى هلك وأهلك وحزن وأحزن غير موافق للمعنى المراد هنا ، اللهم إلا أن يستعار له معنى رمى الصيد الوارد لذلك الفعل وحينئذ فينبغي النص عليه في المعاجم اللغوية الجديدة ، والا وجب (شجبه) أي هلاكه فنعدنا ما يغني عنه ما ذكرناه كندد به وهاجمه وما إلى ذلك.

وديان

لا يكاد الكتاب اليوم يستعملون في جمع واد ، إلا هذه الصيغة أعني صيغة وديان وهي صيغة لا قياسية ولا واردة عن العرب في جمع هذا المفرد . فجموعه التي ذكرتها المعاجم ثلاثة هي أوداء وأودية وأوداية ، ويمكن أن يزداد عليها أوداه بقلب الهزة هاء في أوداء وهي لغة طيء . وصحف بعضهم الجمع الأخير وهو أوداية إلى أودية وانشد عليه . وأقطع الأبحر والأودية ، لكن ابن سيده نبه على هذا التصحيف وقال أن صوابه والأودية بدليل ما قبله وهو قوله : أما تريني رجلاً دغكية .. فنحن أولاء نرى أن ليس بين هذه الجموع المنصوصة وديان .

وأما القياس فقد أشار ابن مالك في الكافية إلى ما يجمع على -فعلان بقوله :

في جميع طويل وقول الجميع جباد في جمع جواد ، وإذا أعلو ديباً لاعتلال ديمة فإن أعلال المصدر لاعتلال فعله أولى . ألا ترى إلى صحة الجمع مع اعتلال مفردة في معيشة ومعائش ومقامة ومقاوم ، ولم يصحوا مصدرها أعلوا فعله .

ففي هذا الكلام أكثر من سند لاعتلال تقييم . ولاسيما قوله الأخير ولم يصحوا مصدرها أعلوا فعله . وإن كان ليس على إطلاقه ، ولكن يكفي في الاعتضاد مجيء قيبا بالياء من قام الواوي مصدرًا قرئ به في السبع .

4 — وأخيراً قال في لسان العرب بعد أن ذكر من أسماؤه تعالى القيوم والقيام : وقال الفراء صورة القيوم من الفعل النيعول وصورة القيام النيعال وهما جميعاً مدح ، قال وأهل الحجاز أكثر شيء قولاً للنيعال من ذوات الثلاثة مثل الصواغ يقولون الصياغ . وقال الفراء في القيم هو من الفعل فعمل أصله قويم وكذلك سيد سويد وجيد جويد بوزن ظريف وكريم . وكان يلزمهم أن يجعلوا الواو الفا لانفتاح ما قبلها ثم يسقطونها لسكونها وسكون التي بعدها فلما فعلوا ذلك صارت سيد على فعل ، فزادوا ياء على الياء ليكمل بناء الحرف . وقال سيبويه : قيم وزنه فيعمل وأصله قيوم ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكنين أبدلوا من الواو ياء وادغموا فيها الياء التي قبلها فصارت ياء مشددة . وكذلك قال في سيد وجيد وميت وهين ولين . قال الفراء ليس في ابنية العرب نيعل والحي كان في الأصل حيوا ، فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن جعلتا ياء مشددة .

ثم قال في جمع قوم : « والجمع اقوام وأتاوم وأتايم ، كلاهما على الحذف . قال أبو صخر الهذلي ، أنشده يعقوب :

فان يعذر القلب العشية في الصبا

فؤادك لا يعذرك فيه الاقاوم

ويروى الاقايم . وعنى بالقلب العقل .

فهذا الكلام كله يدل على تقارض الواو والياء في هذه المادة تقارضا يكاد يكون اعتباطيا لا يرجع إلى قاعدة ، مما يضطر العلماء معه إلى التماس الوجوه والمخارج له ، فهلا يسع الذين يقولون تقييم ما وسع أجدادهم هؤلاء ؟

(4) أي في قراءة ابن عامر وعاصم وحجة والكسائي

(5) يعني في جمع ثور .

لتسجيل الدلالة التاريخية التي مر بها للانتفاع بذلك
في المعجم التاريخي للغتنا الضادية الذي ينوي الجمع
اللغوي وضعه في المستقبل القريب أعانه الله على
ذلك .

فقد تعرض القاضي رحمه الله لمحنة أحد الفقهاء
فقال : « إن الوالي ضربه وجبسه ، فتحاشد الناس ،
وكان بعضهم يقع عليه ليقيه بنفسه .. وأخرج اليهم
الاجناد ففضوهم » فتحاشد هنا قد استعمل في تمام
المعنى الذي نستعمل نحن فيه اليوم تظاهر .. وأما
فضوهم فيغلب أن نقول بدله فرقوهم . ولكنه مستعمل
أيضا .

التكميد

وهذا لفظ آخر من وادي ما قبله .. وقفت عليه في
كتاب أجوبة فقهاء للقاضي عبد الوهاب ضمن مجموع
في المكتبة الوطنية بمديرية يحمل رقم 4950 وقد تعرض
فيه لضمان الصانع والكماد بالخصوص . وأطلق التكميد على
ما نسميه اليوم بكبي الثياب وهو تعبير أخواننا في
المشرق أو تحديدها وهو تعبيرنا في المغرب ، وأطلق
الكماد على المكوجي ، وكنت أحسب أن الكماد فيما
أتى من أسماء بعض أهل العلم يرجع إلى الكميد
والحزن .. فإذا به يرجع إلى هذه الصناعة ولذلك
سجلت هذه الفائدة ، وهي أيضا من الدلالة التاريخية
للالفاظ .

فعلان لاسم كفعال (1) وفعل (2)
وفعل (3) الواوي عينا وفعل (4)
وفي فعال (5) وفعال (6) قد يرد
كذا ففعل (7) وفعل قد وجد (8)
في فاعل (9) وففعلة (10) وفعل (11)
وففعلة (12) ففعلة (13) وفعل (14)
في فعلان (15) وفعل (16) قد نقل
والثاني نادر ولكن احتمال
وهي ستة عشر وزنا ليس فيها وزن واد كما
نرى ، فماذا إذن ؟
لا شك أن هذا الجمع غلط ، ولعله كان قياسا
من قائله الأول على مفردات الوزن الثالث مثل نار
ونيران وغار وغيران وتاج وتيجان وجار وجيران
ولكن هذه ثلاثة صحيحة اللام بخلاف واد .
أما سر انتشاره فيرجع فيما أظن إلى الترجمة ،
لأن المعجم الوحيد الذي أثبتته هو معجم الأب بيلو
الفرنسي العربي ، وقد أثبتته في هذا المعجم بين
قوسين إشارة إلى التحفظ بشأنه ، ولكنه في الفرائد
الدرية الذي هو النسخة العربية الفرنسية من هذا
المعجم حذف القوسين فبقى وديان على قدم المساواة
مع الجوع الصحيحة ، فاعتده التراجمة وسار هذه
السيرورة التي غطت على غيره .

تحاشد الناس

هذا تعبير ورد في المدارك للقاضي عياض عما
نقول فيه اليوم تظاهر الناس . وأنا لم أوردته هنا إلا

- (1) نحو غلام وغلما .
- (2) كصرد وصردان .
- (3) مفتوح الفاء ومضمومها كجاج وتيجان وعود وعيدان .
- (4) كخرب وخريان .
- (5) كفضال وفضلان .
- (6) كصوار وصران .
- (7) كظليم وظلمان .
- (8) كخروف وخرقان .
- (9) كحائط وحيطان .
- (10) كنسوة ونسوان .
- (11) كتنو وثنوان .
- (12) كبركة وبركان .
- (13) كفضفة ومضفان .
- (14) كضيف وضيفان .
- (15) نحو كروان وكروان .
- (16) كضفن وضفنان .

مزالق التعريب

مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير
الدار البيضاء

ونحن لا ننكر على المستهلكين تصرفهم هذا من الوجهة الاصولية فانهم قد لا يعوزهم سند من اللغة لتدعيم استعمالهم لفظ « التقييم » بمعنى « التقويم » ولكن الذي نود أن نلفت اليه انظار هؤلاء الكرام هو أنه لا يسوغ لنا ابناء العروبة العدول عن لفظ « التقويم » بدون ايها ضرورة ولا حاجة خصوصا وان هذا اللفظ القرآني ما زال واثقا بجميع معانيه في وضوح تام .

وسنوضح فيما يلي بالامثلة والشواهد الفرق بين الكلمتين

١ - التقييم (Valorisation)

«تقييم شيء هو اكسابه قيمة لم تكن له بالمرءة او لم يكن له منها الا بعضها »

هذا أحد المدلولين اللذين أوردهما « لاروس » للكلمة الفرنسية (Valorisation) وضرب مثلا لذلك ضمن شرحه فعل (Valoriser) أي « قيم » بقوله : « محطة جديدة للسكك الحديدية تقيم الأراضي المجاورة » يعني ترفع من قيمتها .

ويتمثل عندنا بالدار البيضاء مدلول هذا اللفظ في مناهج تقييم الأراضي الذي تسلكه شركة عقارية معروفة تراول بيع الأراضي ومجموعة الدور التي تبنيها في مساحة كبيرة من الأرض رخيصة لبعدها عن المدينة وعن جميع مرافقها العمرانية فتبدأ فيها ببناء مسجد وحمام فاذا بالرقعة من هذه الأرض تكسب قيمة لم تكن لها من قبل ويصبح ثمن المتر المربع منها يساوي أضعافه مضاعفة .

نعم ان للتعريب مزالق يلتوي فيها الكلام ويضطرب مدلوله وتشوه الفكرة وينحرف المعنى ان لم يتبدد ويندثر . ومن هذه المزالق ما هو من فعل المنتجين أي المعربين ونعني أولئك الرواد الذين يصوغون الفاظا عربية جديدة أو يحدثون معاني جديدة للفاظا عربية قديمة من أجل التعبير عن مفهوم علمي أو حضاري لم يكن معروفا عند العرب من قبل . ومن هذه المزالق ما هو من فعل المستهلكين لهذه المصطلحات ونعني أولئك الذين يتناولون هذه المصطلحات بأقلامهم فيستعملونها في معظم الأحيان استعمالا صحيحا أي للدلالة على المعنى الذي قصده المعربون ، أو يبتعدون بها في بعض الأحيان عن هذا المعنى من جراء سوء فهم . وكثيرا ما يصدر ذلك عن أولئك الذين لا يعرفون سوى اللغة العربية فيعسر عليهم استبانة المدلول الاصطلاحي المقتبس من لغة الاعاجم .

وتحت هذا العنوان سنتحدث ان شاء الله عن هذه المزالق كلها سنحت لنا الفرصة .

١ - الخلط بين « التقويم » و « التقييم »

من المزالق التي وقع فيها المستهلكون استعمالهم لفظ « التقييم » بمعنى « التقويم » على سبيل الترادف ظانين أنهم يرضون بذلك الذوق العربي المعاصر الذي أخذ في العدول عن « التقويم » الى « التقييم » بينما لم يستعمل المعربون هذا اللفظ الاخير حسبا نفهم الا لاداء معنى مغاير تماما لمدلول اللفظ الاول ، وهو ما يدل عليه اللفظ الفرنسي (Valorisation) الذي يعني فيما يعنيه اكساب القيمة او الزيادة فيها .

فهذه الشركة بعملها هذا قد « قيت » أرضها ولم « تقومها » .

أما المدلول الثاني لكلمة (Valorisation) الفرنسية فهو حسب (لاروس) كما يلي :

« ارتفاع قيمة بضاعة أو إنتاج أو مادة ارتفاعا مصطنعا بواسطة مناورات اقتصادية » .

وهذا المدلول الثاني هو الذي عبر عنه مجمع اللغة العربية في القاهرة بـ « تعليية السعر » وشرحه بقوله « الطرق المتبعة لرفع الاسعار » وذلك بصدد تعريبه كلمة (Valorisation) ضمن مصطلحات الاقتصاد السياسي .

وضرب (لاروس) مثلا لهذا المدلول الاخير بقوله : « لقد عمدت البرازيل في سنتي 1907 و 1917 الى « تعليية سعر » (Valorisation) حاصلاتها من البن » .

ب - التقويم

1) Maladie des bestiaux

2) { Redressement
Revalorisation

3) Evaluation

4) Calendrier

5) Disposition des pays de la terre d'après leur latitude et longitude

لهذا اللفظ معان مختلفة منها القديم ومنها المولد نذكرها فيما يلي :

1 - مصدر فعل « قوم » اللازم :

قومت الشاة : أصابها القوام وهو داء يأخذها في قوائمها وتقوم منه فلا تنبعث .

2 - مصدر فعل « قوم » المتعدي الذي يفيد جعل الشيء قويا أي مستقيما .

نقول : « قوم الشيء : ثقفه ، عدله ، ازال عوجه .

وفي (اساس البلاغة) : « قوم المود وأقامه فقام واستقام وتقوم ورمح قويم » .

وورد هذا المعنى في القرآن الكريم ضمن قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

و « التقويم » بهذا المعنى الثاني العام يقابله في الفرنسية لفظ (Redressement)

وله في الاقتصاد معنى خاص تتضمنه عبارة « تقويم النقود » وهو اعادتها الى قيمتها الاصلية وثبيتها ، ويقابل هذا المعنى الخاص في الفرنسية لفظ (Revalorisation)

3 - مصدر « قوم السلعة : سعرها وثمنها »

وجاء في (لسان العرب) « قوم السلعة واستقامها : قدرها - وفي الحديث : قالوا يا رسول الله لو قومت لنا فقال : (الله هو المقوم) أي لو سعرته لنا وهو من قيمة الشيء أي حددت لنا قيمتها » .

و« التقويم » بهذا المعنى يقابله في الفرنسية لفظ (évaluation)

4 - التقويم : تقسيم الازمنة وحساب الاوقات

وما يتعلق بها ويقابله في الفرنسية لفظ (Calendrier) فنقول مثلا « التقويم الهجري » (Calendrier de l'hégire) والتقويم الميلادي (Calendrier grégorien) والتقويم الزراعي (Calendrier agricole)

وهو جدول مواعد الاعمال الزراعية المختلفة .

5 - تقويم البلدان : بيان طولها وعرضها وخراج اراضيها .

* * *

يتضح من هذا ان ليس فيما ذكرته المعاجم العربية من معاني « التقويم » معنى اكساب القيمة الذي وضع لادائه لفظ « التقييم » فلا ينبغي في رأينا أن يستعمل هذان اللفظان مترادفين ولا أن يحل أحدهما محل الآخر بدون ضرورة لغوية ثابتة .

الدار البيضاء

العربية فلسفة وحياة

للمؤلف: الأستاذ أحمد عبد الرحيم الطايح

من شيوخ جامع الأزهر (القاهرة)

هذه اللغة العربية وسعت مبادئ ومثلاً وقيماً مساوية لم تنشق بها ، ولم تنطل عن احتساب اعبائها . بل في ظل حضارة الاسلام مرنت وامتصت وتفاعلت ونبت نهائها الطبيعي المتطور من داخلها .

ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط آسيا الى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم تستطع لغة من لغات هذه البيئات أن تثبت لها ، أو تحول بينها ، وبين سيادتها ، وقد يكون من أسباب ذلك أنها لغة القرآن الكريم ، وقد يكون من أسبابه قوتها وجمالها الفني . ومهما تكن الأسباب فإنها أصبحت لغة قومية لامم وشعوب قد تختلف وتتباين في اجناسها وأصل نشأتها ، ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها فهي جميعاً تنضوي تحت لوائها وتتلقن لسانها ، وتعجب من قرأتها وشعرها وبيانها ، وتستطيع أن تعيش لها وبها ، وتحب فيها حياتها المعنوية : الأدبية والعقلية ، وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي ، تتوهج جذوتها ، وترسل ضوءها وشررها الى كل مكان حتى في أمريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية أقباساً لا تزال تضيء في مجلاتهم وآثارهم الأدبية .

وواضح أنها اجتازت آماداً واحقبا متطاولة من الزمن ، وقد ألت بها خطوط كثيرة ، ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل ، يلم بها ثم يزايها ، وليس معنى ذلك أنها ظلت جامدة لا تتطور ، بل لقد تطورت أطوارا كثيرة بحكم ما التقت به من ثقافات ، وقد حولت إليها وصبت فيها ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية ، فوسعتها ، وتمثلتها تمثلاً منقطع النظير ، وكأنها

لقد تفضلت مجلة اللسان العربي بنشر مقالنا الذي جعلنا عنوانه « العربية » في عددها الرابع ، ويسرني جدا أن أتابع الحديث والكتابة عن اللغة العربية فإنها — بلا مرأ — اللغة الوحيدة التي فتحت صدرها لتراث الانسانية الخالد ، ومعارف البشرية كلها ، كما اتسعت لمقومات الامة الاسلامية التي شرقت بالحضارة وغربت ، برزت في اواسط القرن السادس بغتة تتمتع بقوة باللغة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة ولا نموا ، وما بدت الا لتكون لسان التمدن فانطلقت من شبه الجزيرة العربية تنتقل الى الامصار القصية مفرداتها ، وخصائصها ، وبفضل حضارة الاسلام صارت ابعد اللغات مدى وأوسعها أفقا ، وستظل العربية حية ما دام الاسلام حيا . فمن ذا الذي لا يعرف للقرآن فضله في بقاء العربية حية ؟ ومن ذا الذي يجهل أن اللغة العربية باقية ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذي لا يعترف بما أدته هذه اللغة من خدمة للانسانية ، وبأنها كانت ولا زالت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارة اليوم .

لقد اندثرت جميع أخواتها السامية من آرامية ، وكنعانية ، وكلدانية ، وسريانية ، واشورية ، وعبرانية قديمة ، وغيرها ، في حين بقيت هي على رغم ما مر بها من عصور الركود والجهود ، وما فشت تفيض بالقوة والحيوية والحياة .

إنها الحصن المنيع الذي تحتمي فيه العروبة من طغيان العامية واللهجات المحلية . إنها الرابطة النفسية التي تجمع بين أهل البلاد المتباعدة ، والصيغة الجيلة التي نودعها مكونات العقول والقلوب جيلا بعد جيل .

ما لم تخضع لأوزانها وقوانينها ، للأسماء أوزان ، وللأفعال أوزان ، فما لا تزنه هذه الأوزان فهو اجنبي ، وبهذا بقيت على الدهر المتناول خالصة نقية صحيحة قوية .

وقد امتحنت هذه اللغة : الحضارة الواسعة ، واختبرها التاريخ الطويل ، فلم تعجز ولم تضق بكل ما أدركه الانسان من علم ، وثقفه من صناعة ، بل وسعت حضارة القرون المتطاولة ، والامم المختلفة غير كارهة ، ولا مكروهة ، وقد أراد الله لها أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه ، وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا في كلمات وآيات ، وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب ، وما استقام له احساس وادراك .

وتقلب الزمن وتوالت المحن واثارت الفتن ، وهي ثابتة ناضرة رائعة ثبات قوانين ، وروعة كواكبه .

محيت لغات ، وبدلت لغات ، وحرفت لغات والعربية هي العربية ، لم تح ولم تغير ولم تبدل . ما آية الخلود في هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم ، بل ثقفتها الامم الاخرى ، وأولتها من العناية والحفاوة أكثر مما أولت لغاتها أحيانا ، فصارت لغة العلوم والآداب للعرب ، وغير العرب ، حقا طويلة ، ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق ولا تزال لغة أدب وعلم في الامم الاسلامية غير العربية .

وقد حوت على مر العصور أدبا لا تحويه لغة أخرى ، ما بين الصين الى بحر الظلمات .

فالعربية بأهلها وموطنها وخصائصها وآدابها وتاريخها ، العربية بقرآنها خالدة باقية على الخطوب والعصور ، لغة دين وعلم وأدب وحضارة وانسانية (2)

ولقد اشترك مع العربية لغتان أخريان بكونهما لغتين عموميتين - لأفكار دينية وآداب اجتماعية ، ومذاهب سياسية ، انتشرت بين أمم مختلفة ، هاتان اللغتان هما : اللغة اللاتينية . واللغة اليونانية .

لقد كانت اللاتينية تستعمل من (كمبانيا) في ايطاليا الجنوبية ، الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

أصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ، ولا يغير وجهته ، بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود ، ولقد وحدت اللغة العربية بين الامم والشعوب ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت أو تباعدت ومهما شرقت أو غربت (1)

نعم انها لغة عجيبة أنضجها الزمن المتطاوّل في البقاع الشاسعة من الجزيرة وأخرجتها الفطيرة السلية ، والاحساس المرهف ، والادراك النافذ ، لغة كاملة معجبة عجيبة ، تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة ، وتمثل كلماتها خطرَات النفوس ، تكاد تتجلى معانيها في اجراس الالفاظ ، وتمثل في نبرات الحروف ، كأنها كلماتها خطرَات الضمير ، ونبضات القلوب ، ونبرات الحياة . فالمعاني المحسنة والمعقولة مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين الاشياء المتشابهة ، فتضع للشبيه لفظا غير ما وضعته للشبيه ، ادراكا للفرق الدقيق بينهما ، فاذا وضعت بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة ، وضعت العربية كلمات تختلف باختلاف آلة الضرب وموضعه من الجسم ، واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني مثلا بكلمات مركبة لكل صيغة دلت العربية على كل حلية في الانسان وكل صفة في عينيه ، وحاجبه وأنفه وفمه واسنانه وغيرها بأسماء خاصة ، ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل في المفردات يتجلى في التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها في الجملة مكان يحس بها المتكلم ، أو تحس بها الكلمة نفسها فتعطي أوتاخذ صوتا مكافئا لهذه المكانة ، فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو الضم ، والاخرى لها الفتحة والجر ، وما أرى هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ والتركيب يبين عن أدق الاحساس والطفه .

واذا اشتملت اللغات على كلمات هي : مادتها . ففي اللغة العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ، فيها مادة ووزن ، فخذ المادة أو اخلقها أو استعمرها من لغة أخرى ، ثم صبها في قالب من قوالب الاسماء والانفعال وصورها بالقوالب أو الاوزان ، فمن سمع فاعلا أو مفعولا أدرك أن هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلزمه في المواد كلها ، وبهذا امتازت اللغة العربية واستبانست خصائصها ، حتى نفت عن نفسها كل كلمة اجنبية

(1) انظر مقال : د/شوقي ضيف . مجلة العربي رقم 58 .

(2) انظر : كتاب (مهد العرب) للدكتور عبد الوهاب عزام . اقرأ رقم (40) القاهرة .

واستعملت اليونانية من اتصا صقلية الى شاطئ دجلة ، ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة . لكن ما اضيق هذا الانتشار اذا ما توسل بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء ، وجنوب آسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتر .

لقد امست اللاتينية واليونانية في صف اللغات الضعيفة منذ هبطت مدينتاهما في الذي حفظ اللغة العربية حية رغم ما مر بها من محن وأهوال ؟

ان الذي كان باعنا على قيام الحضارة العربية الاسلامية ، هو الذي ما زال حافظ العربية الى اليوم هو القرآن الكريم ، والاسلام يرمي الى التوحيد توحيد الانسانية في الاخاء الانساني ، وتوحيد البشرية في الانتاج المادي ، وتوحيد المسلمين في الحديث بالعربية . ولغة الاسلام : العربية .

وستظل العربية حية ما دام الاسلام حيا ، وستزداد قوة العربية كلما ازداد المسلمون تقدما وفلاخا ونجاحا .

خصائص اللغة العربية ومميزاتها :

ولغة العربية خصائص ومميزات ، بزت بها غيرها ، لا تدانيها فيها لغة من لغات العالم ، فانت تستطيع أن تصنع من كلماتها الخلاقة ومفرداتها المأنوسة قطعا تسحر الالباب ، وتأخذ بالانهمام ، وتشحذ الهمم ، وتنبيه العقول .

وقد اعتنت اللغة العربية بجمال اللفاظ وحسن هيئتها ، وذلك اهتماما منها بالمعنى حتى يقع القول من نفس السامع المتوقع المرجو . الذي يهيب له الحالة النفسية التي تحفزه الى الحركة واليقظة والعمل . والحق يقال ان العربية بهذا أصبحت من اكثر لغات العالم دلالة معنوية .

قال جورج زيدان : « الفعل (قضى) معناه (حكم) والاصل فيه القطع الحسي ، والفعل (عقل) معناه (فهم) وهو مأخوذ من : عقل الناقة ، أي ربطها ، والفعل (أدرك) الاصل فيه البلوغ الحسي ، فيقال فلان أدرك القطار أي لحقه ، والفعل (بلغ) وضع أصلا للدلالة على الوصول الحسي في المكان والزمان ، بل ان الاصل في معنى (الفصاحة) قولهم : فصيح

اللبن ، اذا ذهبت رغوته ، ثم قيل : فصيح بمعنى وضوح ، و(الرأي) صله من (رأى) أي شهد بعينه (3) .

وفي اللغة العربية صيغ وقوالب وابنية ، تدل على معان وصفات وأحوال ، فما كان على (فعلان) دل على الحركة والاضطراب ، كالنزوان والغليان ، والضريران ، والهيجان ، وما كان على (فعلان) دل على صفات تقع من أحوال كالعطشان والغرثان والشبعان والريان والغضبان ، وما كان على (أفعل) دل على صفات بالالوان نحو : أبيض وأحمر واسود وأصفر وأخضر ، وكذلك العيوب تكون على (فعل) نحو : أزرق وأحول وأعور وأترع وأقطع وأعرج وأضيق ، وتكون الادواء على (فعال) : كالصداع والزكام والسمعال والخنق والكباد ، والاصوات اكثرها على هذا : كالصراخ والنباح والضباغ والرقاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على (فعليل) : كالضجيج ، والهريس والهدير والصهيل والنهيق والضغيب والزئير والنعيق والنعيب والخير والصوير ، وحكايات الاصوات على (فعللة) : كالصرصرة والقرقرة والفرغرة ، وأطعمة العرب على (فعللة) : كالسحنة والعصيدة ، واللبنية ، والنقيعة ، والعقيقة ، واكثر الادوية على (فعلول) : كاللعوق ، والسعوط ، والوجود ، والدود ، والذرور ، والقطور ، واكثر العادات في الاستكثار على (منعال) نحو مطعمان ومطعم ، ومضربا ومضيق ، ومكثار ، ومهذار ، وأمرأة معطار ، ومذكرا ، ومثاث (4) .

وابنية الافعال عامل قوي من عوامل ثروة اللغة العربية . وتقدرتها على الدلالة على فرق وظلال تنضاف الى المعنى الاصلي دون زيادة في اللفظ وقد عقد النعالي في فقه (اللغة وسر العربية) فصلا في ابنية الافعال ، فقال : في الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكرير كقوله — عز ذكره — : « وغلقت الابواب » وقوله : « يذبجون ابناعكم » ، و(فعل) يكون بمعنى أفعل نحو : خبر وأخبر ، وكرم وأكرم ، ونزل وانزل ، ويكون فعل بنية لا لمعنى ، نحو : كلم ، ويكون بمعنى نسب ، نحو (ظلمة بتشديد اللام) اذا نسبته الى الظلم .

(وأفعل) يكون بمعنى فعل ، نحو : أسمى وسقى ، (وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه ، ويكون بمعنى (فعل) كقول الله عز وجل : « قاتلهم

(3) راجع كتاب (الفلسفة اللغوية) لجرجي زيدان . الطبعة الثالثة القاهرة ص 110 .

(4) انظر ص 552 — 554 من فقه اللغة للنعالي ط . المكتبة التجارية بالقاهرة .

الله « أي قتلهم ، (وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة ، نحو : تجادلا ، وتناظرا ، ويكون من واحد نحو : تراءى له ، ويكون بمعنى أظهر ، نحو : تغافل وتجاهل ، إذا أظهر غفلة وجهلا ، (وتفعل) يكون بمعنى (فعل) نحو : تخلصه إذا خلصه . (واستفعل) يكون بمعنى التكلف ، نحو : استعظم أي تعظم ، ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب ، نحو : استعظم ويكون بمعنى صار ، نحو : استسوق الجمل (5) .

وشئ آخر يجعل اللغة العربية أكثر مرونة في الواقع من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهو أنها أكثر اللغات قبولا للاشتقاق ، والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة أن تؤدي معاني الحضارة الحديثة على اختلافها ، والاشتقاق في العربية يقوم بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الأصلي وتلوينه ، إذ يكسبه خواص مختلفة بين طبع وتطبع ومبالغة وتعديدية ومطاوعة ، ومشاركة ، ومبادلة مما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية مثلا ، إلا بالفاظ خاصة ذات معان مستقلة ، ولا نزاع في أن منهج اللغة العربية الفريد في الاشتقاق ، قد زودها ب ذخيرة من المعاني لا يسهل اداؤها في الأخرى . وقد لاحظ السيوطي هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف الاشتقاق بأنه « أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة وهيئة تركيب ، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة ، لاجلها اختلفا هيئة أو حروفا » وجلي أن هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها من بعض تجعل من اللغة جسما حيا ، تتوالد أجزاؤه ، ويتصل بعضها ببعض ، بأواصر قوية واضحة ، وتغني عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنعزلة التي كان لابد منها لو غدم الاشتقاق ، وان هذا الارتباط بين الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية ظاهرة ، وهي الحروف أو الاصوات الثلاثة وثبات قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرا ، أو مختفيا مستترا ، خصيصة عظيمة لهذه اللغة تشعّر متعلمها بما بين الالفاظها من صلوات حية ، تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي ، وأن طريقتها حيوية توليدية ، وليست آلية جامدة .

وهي تدل بالحركات على المعاني المختلفة ، من غير أن تكون تلك الحركات اثرا لقطع أو بقية من أداة فيكون ذلك في وسط الكلمة وأولها وآخرها : فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل مكرم ، ومكرم ، وبين فعل المعلوم وفعل المجهول ، نحو : كتب وكتب ، وبين الفعل والمصدر ، في مثل : علم وعلم ، وبين الوصف والمصدر ، في مثل غرح وغرح ، وبين المفرد والجمع في مثل : أسد وأسد (6) .

هذه العلامات الاعرابية اشارة الى معان يقصد اليها . فاللغة العربية إذن تجعل الصدارة للمعنى . ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسة اللغوية ، لان مخارج حروفها مستوفاة متميزة (7) .

قال ابن جني : فكان العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتشبها وترخفها ، عناية منها بالمعاني التي وراءها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا) فاذا كان رسول الله يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم ، التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب ، وسببا وسلا الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك أن الالفاظ خدم للمعاني ، والمخدوم — لا شك — اشرف من الخادم (8) .

فاذا رايت العرب قد اصلحوا الفاظها — أي العربية — وحسنوها ، وجموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غروبها وأرهفوها ، فلا ترين أن العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه وتشريف ، ونظير ذلك ، وانما الوعاء وتحسينه ، وتركيبه وتقديسه ، وانما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بنشره ، ولا يمر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ، ويفص منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه (9) .

وفي باب (اصلاح اللفظ) قال ابن جني : « اعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة وعليها أدلة واليها

(5) انظر ص 549 — 551 من فقه اللغة للثعالبي نفس الطبعة السابقة .

(6) انظر ص 47 — 49 من فلسفة اللغة العربية د. عثمان أمين ، المكتبة الثقافية 144 ، القاهرة .

(7) من كتاب اشئآت مجتمعات — عباس العقاد ص 49 — دار المعارف بمصر .

(8) الخصائص لابن جني ص 228 ج 1 مطبعة الهلال بمصر 1912 م .

(9) المرجع السابق ص 225

الى الاصله والابتكار والابداع مثل اللغة العربية ؟ ولعلنا نعرف ان هذا هو السر في بلوغ المسلمين اوج العظمة والحضارة في قيادة الدنيا ، وذلك حينما كانوا عاملين ببغديء تعاليم الاسلام .

قال الدكتور عثمان امين : اما عن الحركية فاللغات الغربية لا ترى مانعا من البدء بالحروف الساكنة ، فاسم (افلاطون) في جميع تلك اللغات مبدوء بحرفين ساكنين ، أما في اللغة العربية ، فقد امتنع النطق بالحرف الساكن في أول الكلمة ، ولذلك أضاف العرب ألفا أو همزة الى حروف اسم افلاطون ، كيما يتيسر النطق به تمثيلا مع فلسفة اللغة العربية ، التي تمنع الناطق بها من النطق بالحروف الساكنة في أول الكلام ، لان تلك الفلسفة تفترض أن كل قول اذا كان قولا جادا ، ينبغي أن يكون بمنزلة الفعل ، أو أن يهييء قائله أو سامعه للفعل المرتقب ، والفعل يقتضي الحركة ويستلزم الخوف كما قال ابن جني ، وأي قول لا يكون فيه حركية أو تهيؤ للفعل فهو عبث أو لهو ، وفلسفة العربية تريد أن تنزه أهلها عن لغو الكلام (13) .

والحركية في العربية حركية حياة خلّاقة مبدعة، ذات عبقريّة خاصة، وهي لاكتفي بمسيرة التطورات المستحدثة ، كما تنفل بقية اللغات ، بل يجد الباحث النصف فيها حركة بشرية في تفاعلها ، فكانها كائن يذهب ويجيء وتموج فيه العواطف والاحاسيس ، ومن ابرز الميزات في العربية أن كلماتها تنعم بهذه الحياة وبهذه الحركية ، في الحين الذي نجد الكلمات في سائر اللغات أدوات جامدة ، لا يعرف فيها شيء من الحياة ، الا بعد أن تجتمع طائفة منها الى بعضها ، وتؤلف عبارة .

ان العربية في عبريتها ، لم تكتف بهذا المنطق الذي هو في حد ذاته قاعدة بل عمدت الى أكثر من ذلك . وها هي ظاهرة من ظواهر حياتها وحركتها حتى في الكلمات ، فهي تتساهل اشمل ما يكون التساهل خيال من يتكلمها ، كما يفعل الرجل الشهم ازاء صاحبه تماما ، خذ مثلا كلمة (غضروف) ان اجتماع الغين والضاد يُثقل أحيانا على اللفظ وتناسق الكلمات في الكلمة يجعلها سريعة الانفصال عن

أرايت لفة تبيء الحالة النفسية في الانسانية ،
وتحتجز الهمم الى الوثوب والحركة ، وتشحذ النفوس

- 44

أخواتها في العبارة ، وفي السرعة ، فماذا تفعل
اللغة العربية لتتلافى هذا الأمر ؟ انها تتساهل معك ،
وتقول لك ، اذا لم تستطع أن تلفظ كلمة (غضروف)
غالظ كلمة (غرضوف) فانها هي نفسها .

ان اللغة العربية لا تتعنت الى الدرجة التي
تشعر بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى ،
فاذا انت من نبالة عواطفها ، ومن شهامة اخلاقها
أسير لا تكاد تملك من امرك شيئا . والحياة التي
فيها حياة ذات مقاصد ، تريد أن يكون التعبير جميلا
وتريد أن يمتد هدفها الى أكثر من ذلك فيتحول الى
فكرة مستمرة للجمال والذوق والذكاء ، فكرة تندفع
بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية
سواء بسواء (14) .

وانتقل بالقارئ العربي الى خاصة أخرى من
خصائص العربية . هذه الخاصية هي الاعراب
والاعراب هو : الإبانة عن المعاني بالالفاظ ولفظة
اعراب مصدر من اعربت عن الشيء اذا أوضحت
عنه يقال فلان معرب عن ما في نفسه : أي مبين له ،
وموضح عنه .

الا ترى أنك اذا سمعت اكرم سعيد أباه ،
وشكر سعيدا أبوه ، علمت برفع احدهما ونصب الآخر
الفاعل من المفعول ولو كان الكلام شرعا واحدا
لاستبهم احدهما من صاحبه .

وأصل هذا كله تولهم « العرب » وذلك لما يعزى
اليه من الفصاحة ، والاعراب والبيان . ومنه تولهم
في الحديث « الثيب تعرب عن نفسها » والمعرب
صاحب الخيل العرب ، وعليه قول الشاعر :

ويصهل في مثل جوف الطو

ي صهيلا تبين للمعرب

أي اذا سمع صاحب الخيل العرب صوته علم أنه
عربي (15) .

فالاعراب فلسفته : الإبانة عن نظم تكوين
الجميل بالحالات المختلفة للكلمة ، وعن صلات
الكلمات بعضها ببعض ، ويمكن أن نقول : ان الاعراب
دعوة الى الترابط والتآلف واعطاء كل ذي حق حقه
دون ما ليس أو ابهام .

والعربية لغة وضوح وجلاء ، والاعراب احدى
وسائلها لتحقيق هذه الغاية . وفي اللغات الخالية من
الاعراب يعتمد أهل اللغة على القرائن ، وعلى اضافة
كلمات الى الجملة لفهم المقصود من المعاني ، ولكن
الانتكال على القرائن ، وعلى اضافة بعض الكلمات ،
ربما لا يطرد . فاجبت لغة العرب التفريق بين الفاعل
والمفعول بالاعراب والا وقع الإبهام وبهذا الصدد يحكى
أن رجلا دخل على أمير المؤمنين علي - كرم الله
وجهه - فقال له من غير اعراب : (قتل الناس عثمان)
فقال له علي أمير المؤمنين : بين الفاعل من المفعول
رمن الله فاك وكذلك لا تستطيع التفريق بين النفسي
والتعجب والاستفهام الا بالاعراب لان الصيغة فيها
جميعا واحدة ، وحكاية أبي الاسود الدؤلي مع ابنته
مشهورة ، اذ كانت تشاهد السماء ، وتعجب لمنظرها ،
فقال : ما احسن (بضم النون) السماء فقال أبوها :
نجومها فقال : ما عن هذا أسأل ، وانما انا أعجب .
فقال : لها اذن قلتي : ما أحسن السماء . وافتحى
فاك ، وهكذا وضع باب التعجب ، وباب الاستفهام في
العربية .

الاعراب اذن مطلب العقل في اللغة ولذلك نرى
ان الاعراب ارقى ما وصلت اليه اللغات في الإبانة
والوضوح . وهذه المرتبة قد بلغتها العربية
الفصحى ، ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة الا
اليونانية واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات
الحية الا الالمانية . اما اللغات الآرية الحديثة -
وتشمل معظم لغات اوربا الحديثة - فقد خلت من
الاعراب ، ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر ،
وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها
من حروف الجر ، أو بتقديم الالفاظ وتأخيرها ، مما
لا يخرج عن الوضع الخارجي ، في المكان ، هذا في
حين ان اللغة العربية ، قد استلزمت من أول الامر ،
أن يكون الفكر الواعي مجددا للوضع الخارجي ، وأن
يكون النظر الى المعنى : هو المبرر للتقديم والتأخير
وتأكيد الاسناد وغير ذلك (16) .

ونحن نعني بالاعراب تغيير اواخر الكلم بتغيير
العوامل عليها بالرفع والنصب والجر والسكون ،
واللغات الحية في العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات
ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية

(14) انظر مقال الياس قنصل - مجلة الاقلام المجلد الاول - بغداد .

(15) الخصائص ج 1 ص 22 - 24 .

(16) انظر : كتاب (فلسفة اللغة العربية) الدكتور عثمان أمين المكتبة الثقافية عدد 144 القاهرة .

العربي من مادة الفاظه ومفرداته في اسلوب الواقع
واسلوب المجاز (19) .

ولقد شهد للغة العربية كبار الباحثين والعلماء
والمستشرقين ، من غير العرب . وكان هذا منهم
اعرابا عن الحقيقة التي لا يسوغ انكارها ، ومرضاة
للعلم في ذاته .

قال : اغناطيوس كراتشكوفسكي : أول ما
نلاحظه من أول نظرة نلقينا على هذه اللغة — اي
العربية — الغنى العظيم في الكلمات ، والاتقان في
الشكل والليوننة في التركيب .

وقال الدكتور (ستجاس) : ولنسائل انفسنا
ماذا كان مصير هذه اللغة العربية ، لو لم يكن محمد.
ولو لم يكن القرآن ؟ ونحن لا ننكر ان اللغة العربية
انتجت قبل الاسلام الوانا عديدة من الشعر ، وهي
غاية في الحسن والرقعة الا انها كانت كلها محفوظة
في اذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك ان
الشعر العربي ، ليس هو الادب كله .

وقال المستشرق (ارنست رينان) : من اغرب
المدعشات أن تنبت تلك اللغة العربية القوية ، وتصل
الى درجة الكمال وسط الصحارى ، عند أمة من
الرحل ، تلك اللغة التي فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها،
ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه
اللغة مجهولة عند الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا
في حلل الكمال ، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا
طفولة ولا شيخوخة ، لا نكاد نعلم من شأنها الا
فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ، ولا نعلم
شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين من غير
تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة .

وقال (شينجلر) : ان اللغة العربية لعبت ،
دورا أساسيا كوسيلة لنشر المعارف وآلة للتفكير ،
في خلال المرحلة التاريخية التي بدأت ، حين احتكر
العرب — على حساب الرومان واليونان — طريق
الهند .

وقال العلامة (فريتاج الالماني) : ان اللغسة
العربية ليست أغنى لغات العالم فحسب ، بل ان
الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد ،

وابنتها الحبشية واللغة الالمانية (17) وقد أشار
عبد الرحمن بن خلدون الى مكانة العرب من كلام
العرب فقال : فان كلامهم — اي العرب — واسع ،
ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب
والإبانة . الا ترى ان قولهم زيد جاعني مغاير لقولهم :
جاعني زيد ، من قبل أن المتقدم منهما هو الهم عند
المتكلم ؟ فمن قال : زيد جاعني ، أفاد أن اهتمامه
بالشخص قبل المجيء المسند . وكذلك التعبير عن
اجزاء الجملة ، بما يناسب المقام من موصول أو مبهم
أو معرفة . وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم :
زيد قائم ، وان زيدا قائم ، وان زيدا لقائم ، متغايرة
كلها في الأدلة وان استوت من طريق الاعراب ، فان
الاول العاري عن التأكيد انها يفيد الخالي الذهن ،
والثاني المؤكد يفيد المتردد ، والثالث يفيد المفكر ،
فهي مختلفة (18) .

واذا كانت العربية عنيت بالاعراب توضيحا
للمخاطب والسماع وراحة للمتكلم ، فخرصا منها
على وقت السماع والمتكلم توخت التركيز في المعنى
والإيجاز في الجملة اقتدارا واختصارا وتوسعا وثقة
بفهم المخاطب . قال الله تعالى : « كل من عليها فان »
أي على الأرض ، وقال عز وجل : « حتى توارت
بالحجاب » يعني الشمس . وقال « كلا اذا بلغست
الترامي » يعني الروح .

وقد تستعمل العربية حرفا واحدا يدل على
معان كثيرة ويعبر عن اغراض متنوعة . مثال ذلك
حرف (اللام) فمنه : لام التوكيد ، ولام الاستغناء ،
ولام التعجب ، ولام الملك ، ولام السبب ، ولام الوقت
ولام التخصيص ، ولام الامر ، ولام الجزاء ، ولام
القسم ، على أن في اللغة العربية مرونة وحسنا
موسيقيا يجعلانها لا تتردد في أن تزيد أو تحذف ،
حفظا للتوازن ، وإيثارا له ، فالزيادة مثل : قوله
تعالى « وتظنون بالله الظنونا » . « فأضلونا السبيلا »
والحذف مثل : قوله تعالى : « والليل اذا يسر »

ولهذا كله قال صاحب العبريات : « واللغة
العربية في طليعة اللغات المعبرة بين لغات العالم
الشرقية او الغربية : فلا يعرف علماء
اللغات لغة قوم تتراعى لنا صفاتهم وصفات اوطانهم
من كلماتهم والفاظهم ، كما تتراعى لنا اطوار المجتمع

(17) راجع كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) جرجي زيدان ج 1 ص 42 الطبعة الثالثة — القاهرة .

(18) مقدمة ابن خلدون ط/ دار التحرير للطبع والنشر ، 1966 م — القاهرة .

(19) انظر مجلة الازهر مارس 1959 مقال عباسي العقاد .

وان اختلافنا عنهم في الزمان والسجيا والاخلاق اقام بيننا ونحن الغرباء عن العربية — وبين ما الفـوه حجابا لا يتبين ما وراءه الا بصعوبة .

وقال (ريتشارد كويتهيل) : انه لا يعقل ان تحلل اللغة الفرنسية أو الانجليزية محل اللغة العربية ، وان شعبا له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية ، ولغة مرنة ذات مادة تكاد لا تفتنى ، لا يخون ماضيه ، ولا ينبذ اراثا اتصل اليه بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده ، وان التباين الجزئي الذي يبدو بين اللهجات العربية ، لا بد ان يزول .

وقال (وليم رول) : ان اللغة العربية لم تتقهقر قط فنيا مضى أمام اي لغة من اللغات التي احتكت بها ، وأنها ستحافظ على كيانها في المستقبل ، كما فعلت في الماضي وان لها لينا ومرونة يمكنانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر .

وقال (ماجليوت) : ان اللغة العربية لا تزال حية حياة حقيقية ، وأنها احدى ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاء لم يحصل عليه غيرها الانجليزية والفرنسية ، وهي تخالف اختيها بأن زمان حدوثها معروف ، ولا يزيد سنها على قرون معدودة ، أما اللغة العربية فابتدأها أقدم من كل تاريخ .

وقال ادوارد فان ديك : اللغة العربية من أكثر لغات الأرض امتيازاً، وهذا الامتياز من وجهين، الأول: من حيث ثروة معجمها ، والثاني من حيث استيعاب آدابها .

وقال (بروكلمان) : ولغة الشعر العربي هذه ، قد تميزت بميزة عظمى من الصور النحوية ، وقد

بلغت من حيث دقة التعبير عن علاقات الاعراب والنحو ، ذروة التطور في اللغات السامية ، ومعجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه ، انه نهر تقوم على ارفاده منابع اللهجات الخاصة التي تنطق بها القبائل العربية .

وقال (لوي مسينيون) : في حين ان اللغة السريانية نقلت اجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا ، استطاعت لغة الضاد ان تشيد بناء فخما من الاعراب يضع أمام الابصار مشهدا فلسفيا ذا أصالة وابتكار . ويفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اي لغة أخرى من لغات الدنيا والمسلمون جميعا ، مؤمنون بأن العربية هي : وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم ، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقمت جميع اللغات الأخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية .

وقال (رانكه) الفيلسوف الألماني : ان الثقافة الانسانية تعتمد على لغتين كلاسيكيتين هما : العربية واللاتينية ، وبينما اشتقت اللغات الغربية من اللاتينية ، فقد نشت اللغة العربية في الشرق روحا فنية . ولا يمكن فهم المصنفات الادبية الفارسية او التركية بدون العودة الى الكلمات العربية وخاصة : ان وحي القرآن الكريم الذي لا يجارى ، يعد — بلا راء — اساس العقيدة الانسانية والثقافة البشرية .

وبعد . هذه هي اللغة العربية المتدفقة . وهذا هو مجمل آراء وشهادات المستشرقين وتلك خصائصها كما عرفناها ، فما اعرقها لغة ، انها لغة المسلمين والاسلام .



اللغة العربية

على المحلح

الأستاذ خليل الفنداوي
حلب (سوريا)

ويبدو أن الغزو نفسه يمهّد لانتشار لغة الغازي، أما تقريبا من الغازي ، وإما طلبا لاتمام النقص الذي تشعر به ، والا فان هنالك لغات أخرى واسعة ، لا تقل طواعية ومرونة وغنى عن اللغة الانجليزية ، ولكن لم يرافقتها غزو واسع ، يمكن لها ما مكنه الغزو للغة الانجليزية .

ولذلك تحيا اللغة العربية الآن في حيز ضيق، هو رقعة العالم العربي ، وهذه الحياة نفسها غير موحدة باصطلاحاتها ، ولا مستقرة في اشتقاقاتها ، لاختلاف هذا العالم في وجهات ثقافته .

ولعل من العوامل البارزة في استقرار اللغات الاجنبية أنها تصدر في اشتقاقها من منبع واحد ، هو اللغة اللاتينية ، واليونانية القديمة ، وهذا المنبع وحد مصطلحاتها العلمية والفلسفية ، بينما اللغة العربية قل اتصالها بهذا المنبع ، فلذلك جباعت المشكلة وتمعدت من نتيجة هذا الانقطاع .

* * *

والذي يتأمل تطور اللغة العربية يجد أنه تطور لا يتخطى الشكلية ، والدوران على النفس ، فأما البناء فهو باق لا يتبدل ، وما اشبهه ببناء عتيق ، قد تأكلت حجراته ، شأن آثارنا القديمة الشاخصة ، وغطاها طحلب القدم . فالقواعد لا تزال واحدة ، لم يجرؤ احد أن يخفف ، أو ييسر من قيودها ، أو يقلل من شواذها المتقلبة . ولم يبق منها الا عملية الاشتقاق ، وهي عملية ناجعة ، لو وجدت من يستغلها ، ويفيد منها . ولكن هذه العملية ليست موحدة في الاقطار ، اذ نرى كل مجمع لغوي يشق وفق هواه واجتهاده ، ثم لا يأخذ أحد بهذا الاشتقاق . ولا تفكر وزارة من وزارات التعليم والثقافة في تطبيق هذه المشتقات ، واذاعتها في الكتب المدرسية التي يأخذ بها الطلاب .

ولذلك: اذا اردنا خيرا وحياة لهذه المصطلحات، يجب :

حقا لكل لغة مشاكلها ، ومن يطلع على مسيرة اللغات في العالم ير أن هناك فئة من اللغات تحيا حياة عامة ، مناسبة ، وفئة منها تحيا في حيز ضيق ، يتناول اصحاب هذه اللغة ، وأهلها .

وهذا ينطبق على اللغة العربية انطباقه على بقية اللغات . واللغة العربية اليوم تحيا في هذا الجزء الضيق ، واذا ابتعدت قليلا عنه كان انفراجها في دائرة الدراسات التاريخية والاجتماعية وقليل منه في الدراسات العلمية ، والمصطلحات التقنية .

وقد مرت اللغة العربية بدور ، كانت فيه لغة انسانية ، حين تجاوزت التخوم العربية ، وأصبح ادبها والعلم فيها ذائعا في الاقطار التي مسحها الفتح العربي أولا ، والدين ثانيا .

والاسلام ، بطبيعته ، مرتبط باللغة العربية ، ولا غنى للمسلم منها كان اصله ومنشؤه عن الماهة باللغة العربية سواء كان قارئا للقرآن في تأدية شعائر الدين ، أو متفهما لاصوله . وهذه مزية لم تحظ بها لغة أخرى في العالم . وكان من وراء ذلك ان عم نفوذ اللغة العربية وأسهم في التأليف بها جماعات عربية ، وغير عربية .

ولما انحسر النفوذ العربي عن هذه الاقطار انحسر نفوذ اللغة فيها ، كوسيلة للتعبير ، والتأليف . ولم يبق منها الا رمزها المتصل بالدين .

وقد ينطبق هذا المثل على لغة ، تعد أكثر اللغات انتشارا اليوم ، هي اللغة الانجليزية ، فان تغفل الاحتلال الانجليزي في الاقطار الدانية والنائية ، مهد لهذه اللغة أن تنتشر وتتوسع ، وتقدم اللغة العلمية بها على الأقل . وقد ظل تأثير هذه اللغة في الاوساط العلمية والدراسية بهذه الاقطار ، قائما ، حتى بعد انحصار الاحتلال ، لان هذه الاقطار المتخلفة وجدت فراغا كبيرا ، وجدبا في لغتها القومية وثقافتها ، فظلت مثابرة على تبني اللغة الانجليزية في مدارسها العالية ، وجامعاتها . ولا ندري : الى متى تدوم هذه التبعية ؟

أولا : العمل على تهذيب القواعد وتخفيف أعبائها .

ثانيا : توحيد جهات الاشتقاق بها يجري مع النطبع والعصر والحاجة .

ثالثا : اذاعة هذه المصطلحات المشتقة ، بكل وسيلة فعالة ، في أبناء الجيل الآتي .

* * *

وأما الذين يزعمون أن اللغة العربية عقيمة ، لا تستجيب إلى الحياة الحديثة ، تعصبا أو لهوى خبيث فيهم ، فقد فاتهم أن اللغة العربية ، بطبيعتها ، لغة مرنة ، غنية ، يدل على ذلك مفرداتها الدقيقة ، وقد امتحنت - أيام النهضة العلمية في العصور العباسية - وثبتت لهذا الامتحان ، وعبرت أحسن تعبير عن كل خاطرة ، وتجربة ، ومعنى هذا أنها صالحة للتدريس الجامعي بأوسع ما يريد منها هذا التدريس ، ومستعدة للوفاء بالتزامات التعبير عن كل شيء .

وقد أراد الشاعر - حافظ إبراهيم - مرة أن ينبري لهذه المشكلة ، ويعالجها بروح شعرية ، فوضع قصيدته المشهورة ، عن لسان اللغة العربية ، في الشكوى من أهمال ابنائها ، ومما قاله :

إيطريكم من جانب الغرب ناعب

ينادي بوادي في ربيع حياتي ؟
وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن أي بها ، وعظمت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ؟

وتسجيل أسماء لمخترعات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا

فيا ليتكم تأنون بالكلمات
فالمشكلة التي عاناها الشاعر منذ خمسين سنة ، لا تزال هي مشكلتنا اليوم ، بل ربما زادت عليها صعوبة وتعقدا ، لأنها ليست بمشكلة العجبة التي امتدت زمتنا إلى لغة المخاطبة ، بتأثير العوامل الغربية الزائفة التي ضعفت ، وكادت تضحل ، وأما هي ، في الدرجة الأولى ، مشكلة استحداث اللغة العلمية التي تجري النهضة العلمية الوثابة .

ومن هذه المشكلة مسألة إيجاد المفردات العلمية الدقيقة للنجزات والمخترعات المستحدثة وبخاصة في علوم الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والاجتماع.

واللغة العربية وقفت موقفا طبيعيا من هذه المستحدثات ، فقد رأيناها تعرب بعضها ، فتنجح في البعض ، وتخفق في البعض . فمثلا ، كلمة السيارة والطيارة والباتف والمذياع كلمات موفقة سائرة ، وهناك كلمات أخرى كتبت ، ولم ينطق بها لغيرها وبعدها عن المرونة اللفظية ، والروح العلمية .

وان من الواجب على ذوي الاختصاص من علماء وفقهاء لغويين أن يتأملوا في جيراننا ، ممن حالهم كحالنا ، ومشكلتهم كمشكلتنا ، ولغتهم عزيزة عليهم كما لغتنا عزيزة علينا ، كيف قابلوا هذه المشكلة ، وحلوها .

ولكن جل ما في الأمر أن نقابل المشكلة بتجرد ، بدون تحيز ولا تعصب !

وفي الحق أن لكل لغة وجهين : وجهها الأدبي الخاص الذي لا تنفصل عنه ، وهذا له مميزات الشخصية في التعبير والجاز والتشبيه ، ووجهها العلمي الذي أصبح ، بفضل اتصال أجزاء العالم ، بعضها ببعض وجهها عاما متحدا ، ونحن ، فيما نشق في هذا المجال نتكلف ما لا يستطاع ، لأنه تسمية لأشياء لم نخلتها . ولذلك ، كحل صحيح للمشكلة ، يجدر بنا أن نبقى على المصطلحات العلمية ، كما وردت بلغتها الأصلية . وهي - غالبا - مصطلحات تستخدمها كل لغة في العالم ، دون أن تجد في ذلك غضاظة على لغتها . واللغة العربية ذاتها فتحت صدرها أكثر من مرة ، لأمثال هذه المصطلحات ، وللألفاظ الغربية عنها ، في عصور نهضتها ، واحتضنتها وعربتتها .

وان في القرآن الكريم الذي أنزل عربيا ، الكثير من هذه المفردات التي انتقلت إلى العربية من اللغات السريانية المجاورة لها .

هذا ويوفر علينا الزمن ، ويجنبنا الفوضى في التعبير ، ويجعلنا ذلك أقرب إلى التيار العلمي العالمي ، كما يجعل المختص منا أقرب إلى روح هذه الأشياء ، وأيسر اتصالا بمراجعها الغربية التي غدت جزءا لا يتجزأ من دراستنا العلمية

اللغة العربية والعالم الحديث شارل بيلا

الاستاذ بجامعة السربون (باريس)

الوجود أم لا ، فيمكنني أن أجيب عفويا على هذا السؤال قائلا أن جملة من المصطلحات غير موجودة الى حد الآن ، إلا أن أغلب ما يحتاج اليه منها ممكن الوضع جائز الاختراع، ومثل هذا التصريح من شأنه أن يقر العيون ويثلج الصدور ، غير أنني بحاجة الى ضرب مثل بسيط أفهما للموافقين وأفحبا للمخالفين: هبوا أن حارة جديدة قد بنيت في مدينة من المدن الكبار، فلا غرو أن أحداثها يثير مشاكل شتى منها مشكلة النقلات العمومية مثلا ، فما هي واجبات المسؤولين عند ذلك ؟ فيجب عليهم أولا أن يدرسوا العضلة ويتأملوا معطياتها ، أي أن يقدروا الحوائج الجديدة ثم يعددوا ويحصوا الوسائل الموجودة فان لم يكف ما لديهم من سيارات النقل التمسوا مركبات أخرى على حسب ما يقتضيه عدد السكان وهلم جرا ، إلا أن النقلات لها إدارة منظمة وموظفون متدربون يعرفون موارد الامور ومصادرها ويتخذون الترتيب اللازمة ، أما اللغة فليس لها ديوان حكومي ولا يخدمها موظفون يطبقون مبادئ معلومة ويسلكون مسالك محدودة ، بل يخدمها افراد ليس لهم من الحيلة الا حبهم للغة ومن المنهاج الا ما خطر ببالهم ، فعدم المنهاج او اتباع منهاج اختبائي لا يفضي في القرن العشرين الا الى الفوضى (I) ، وخلاصة القول ففي جميع الميادين ينبغي لمن اراد القيام بالحوائج الجديدة الناجمة عن

قيل ان العرب لم يتصوروا الزمان كما نتصوره نحن ابناء القرن العشرين ، الا ان المؤرخين المسلمين شعروا بفردانية الوقائع التاريخية ، او بعبارة أخرى علموا ان التاريخ لا يعود ولا يستعاد ، بالرغم من ذلك كله نرى جزءا من تاريخ العرب ، بل من تاريخ اللغة العربية ، كأنه يتكرر في وقتنا هذا اذ ان الناطقين بالضاد تعترضهم — والاولى ان اقول : تعترضهم مشاكل شديدة التعقد شبيهة بما اضطر اجدادهم في صدر الاسلام الى تذليله من الصعوبات فيها يخص اللغة ومقتضياتها .

فلقد دعيت الى تبين هذه العضلات وتوضيحها اي الى الحديث حول امكانيات اللغة العربية وهل هي جديرة بان تستعمل في التعليم العالي والتقني ، فهذا باب من ابواب العلم بعيد المرام صعب الطرق دقيق الفتح لان مكانة العربية وموقفها من العالم الحديث موضوع يبعث على المجادلة والمشاجرة ويضرم نار الاهواء ، فيستوجب الخوض فيه بعض الاحتياطات والتحفظات .

فالمسألة التي طرحت على بساط البحث ترجع الى التساؤل عن روح العربية — ولم اقل عبقرية العربية لان العبقرية شيء آخر لا يمت الى مرادنا بسبب — ، وعن المصطلحات المستعملة في التعليم الفني والعلمي اتوجد وتستطيع أن تظهر الى حيز

(I) لقد كتبت هذه الاسطر قبل انشاء مكتب التعريب الذي نشر معاجم موقته لها اهمية كبرى في سبيل التعريب ووضع المصطلحات المحتاج اليها .

تغير الاحوال ان يحصي هذه الحوائج ويستخدم جميع ما لديه من الوسائل لسد الثلمة الظاهرة : فان نجح فله الحمد وان اخفق فقد ابلغ العذر .

ومن شأن الانسانية من بدنها الى آخر الابد ان تتغير احوالها وتتطور فتتقدم وتترقى ، ولولا ذلك لعشنا في الكهوف والغيران وغطينا اجسادنا بجلود الوحوش والسباع ، غير ان الحضارة ليست بنصيب امة من الامم بل انها نعمة عامة ينتفع بها من شاء وبتركها من شاء اعني بذلك ان البشرية ان تقدمت جملة فان الامم المختلفة تناوبت على المدنية وتداولتها ، فنشأت حضارات وكهلت ثم هربت وماتت ، فقامت مقامها حضارات اخرى صارت مصيرها وهكذا الى يومنا هذا ، ومن ناحية اخرى فمن المعلوم ان المدينيات المعاصرة بعضها كانت تتباين بقدر تباعد البلدان وتفاوت الاحوال الجغرافية والاقتصادية الى غير ذلك من العوامل الفعالة ، فلم تزل هذه العوامل تعمل عملها وتؤثر في شكل المدينيات ، ولكن الدنيا بعد ان كانت فسيحة الاقطار اصبحت ضيقة الانحاء متأسكة الاجزاء رغما عن النزاع السياسي او الديني الظاهر الذي يكاد يخفي بواطن الامور ، والحاصل ان جميع المدينيات المختلفة تميل الآن - في بعض نواحيها على الاقل - الى شئ من الائتلاف والتشابه لا يخلو من ان يثير مشاكل شتى فيما يتعلق بمظاهر الحياة عامة وباللغات المتكلم بها في مختلف اقطار العالم خاصة .

ثم ان التاريخ الكوني يعلمنا ان التقدم كان في اغلب الاوقات بطيئا تدريجيا لا يستعجل الاجيال المتتالية في وضع الكلام المناسب للحضارة التي هو آلة لها واداة ، وكذلك كانت الحال في اوروبا الى عهد الثورة الصناعية التي اندلعت في القرن التاسع عشر ، فمهد ذلك الوقت وخصوصا منذ الحرب العالمية الاولى ثم الثانية تهاطلت علينا المخترعات الصناعية والمكتشفات العلمية حتى قبل ان الشئ يكاد يؤخذ قبل ان يوضع اسمه وان المدلول يسبق الدال عليه .

فلا يخفى على احد ان الدول الغربية لها اليد البيضاء في اكثر هذه المخترعات والمكتشفات ، ولحسن الحظ تكون ولا يزال يتكون كلام علمي مستمدة عناصره من اللاتينية واليونانية اللتين اصبحتا معدنين لا ينضبان بعد ان كانتا اصلين اساسيين من اصول

اللغات الغربية ، ففي اغلب الاحوال يجوز ان تصير كلمة موضوعية في امريكا مثلا فرنسية محضا بغير تبديل الا في النطق ، ولكن الآفة التي لا مفر منها هي الاقتباس من اللغات الاجنبية في ميادين تستغني عن ذلك كالتجارة والرياضة ، فالصحف الفرنسية وبعض الكتب مشحونة بالفاظ انجليزية او امريكية لا حاجة اليها اللهم الا في الاوساط النفاجة المثبلة ، ويشتهي انصار الفرنسية هذا الاجتياح السلمي الذي اصبحت خطرا خطيرا على فصاحة اللسان (2) : يدل ذلك كله على ان لغة عالية كالفرنسية التي كانت الى عهد قريب لغة الاوساط المثقفة في جميع اقطار اوروبا ولم تزل في بعض البلدان لغة الدبلوماسية لوضوحها وبلاغتها ، لا تستطيع ان تتبّع التقدم وتوافقه الا بجهد جهيد ، ولكنها لم تتأخر بعد وعليها ان تقوم بالحوائج الناشئة كل يوم فقط ، فما ظنكم باللغات التي كان يتكلم بها رجال انتقلوا فجأة من حضارة بائت بروحيتها الى مدنية تتميز بماديتها ؟ فهذه هي المأساة ومنها نتج القلق الذي يشعر به الناطقون بالضاد ، فليس داء بلا دواء الا الموت ، وبما ان اللغة العربية لم تمت ولن تموت فالامل ممكن ، بل انه لاجباري ، ولو خامرني ادنى شك في حيوية العربية لما تناولت هذا الحديث .

فحالة العربية الآن غير حالة اللغات الغربية لانها لغة عريقة في التقادم بلغت اوجها في القرون الوسطى ثم ركعت عصورا طويلا وانتعشت في القرن الماضي لاسباب معروفة تغني استفاضتها عن اعادتها هنا ، فتغيرت حينذاك الحضارة العربية تغيرا ملموسا واخذ سكان الشرق الاوسط من كل شئ غربي بطرف حتى انهم يفتقرون الآن الى وضع عدد واقر من الالفاظ للدلالة على امور موجودة في الغرب منذ امد طويل ويحتاجون علاوة على ذلك الى تتبع الترقى السريع المستمر .

فان نحن القينا نظرة اجمالية على ما تحتاج اليه اللغة العربية من الكلام رأينا امس الاشياء تنحصر فيما يلي :

اولا - العربية تحتاج الى امور واشياء غير معهودة في المدينة العربية من ملابس وماكل ومشارب وادوات وغير ذلك فقدما كان في الحضارة الغربية او حديثا كالراديو والتلفون والتيليفون وغيرها مما يدخل في

(2) حتى لقد نشر اخيرا احد زملائي بجامعة السريرون (Etiemble) كتابا ممتعا عنوانه : «هل تتكلمون بالفرنجليزية » (نحن من فرنسية وانجليزية) ينتقد فيه الذين يكثرون من استعمال الفاظ وتراكيب انجليزية فيما يقولون ويكتبون .

نطاق الحياة اليومية ، او بعبارة اخرى فاللغة بحاجة ماسة الى الفاظ دالة على مدلولات حسية .

ثانيا - الحاجة الى الدلالة على مفاهيم غير معروفة من قبل متعلقة بالحياة الفكرية والادارية والسياسية الخ.. فاهم المشاكل في هذا الميدان هو ان تتفق جميع البلدان العربية على « مصطلحات » مقبولة فلا يقال مثلا هنا « دراجة » وهناك « عجلة » للدلالة على (Bicycle)

ثالثا - الحاجة الى المصطلحات العلمية والتقنية، فهذه المصطلحات هي التي تشغل اذهان الناطقين بالضاد فيتحيرون ويتساءلون عن سبب ما يظهر من تقصير في لسانهم وعن واجبه في هذا المضمار ، غير منتبهين الى امور من شأنها ان تشفي غليلهم .

ذلك اننا ان تأملنا لغة من اللغات في وقت معين من تاريخنا رأينا انها تنقسم الى قسمين رئيسيين : فالقسم الاول ما يجب على انسان مثقف غير متخصص ان يعرفه من المفردات ليعبر عن افكاره ويؤدي دوره في المجتمع ويقرأ الكتب والجرائد ، فيتراوح عدد هذه الالفاظ حسب اللغات والاشخاص من بضعة آلاف الى ما يقرب العشرين من الآلاف ومن هذه الكتلة اللغوية تثبت روح اللغة وتظهر خاصيتها وميزاتها.

واما القسم الثاني فهو عبارة عن السنة متبينة ضمن لغة واحدة ، اعني بذلك كلام الاطباء مثلا والفلاسفة والنجارة والحدادة والمتخصصين في مختلف الصنائع والعلوم والفنون ، فيعلم تلامذة صف الفلسفة في المدارس الثانوية انه لا يمكنهم ادراك ما في كتبهم الفلسفية دون مراجعة معجم خاص يتضمن الالفاظ كثيرة لا توجد في قواميس اللغة ، وهكذا أصبح من اليسور ان نميز في هذا القسم الثاني فرعين : فالفرع الاول هو ما يجب على جميع الناس وبالأحرى المتقنين منهم ان يعرفوه من المصطلحات الفنية والعلمية ليقال انهم من الادباء، لان الادب كما تعلمون هو الاخذ من كل شيء بطرف ، واما الفرع الثاني فهو خاص الخاص وقديس الاقداس اذ يشتمل على المصطلحات الواجبة معرفتها لنيل شهادات التعليم العالي .

اما القسم الاول والفرع الاول من القسم الثاني فلا بأس بها فيما يخص العربية لان الجهود التي بذلها الكتاب والعلماء والصحفيون والخبراء قد افضت الى نتائج مرضية رغبا عن عدم الاتفاق التام بين كثير من الالفاظ وما يناسبها في اللغات الاخرى ، فلا

انكر هذه الاصالة ولا استكرها ، غير ان المكروه هو عدم الثبوت في المعنى لان كلمة عربية ربما تدل على مدلولات ومفاهيم تنتقل بين حدين متباعدين ، لقد حاولت في معجم صغير نشرته منذ اعوام ان احدد معنى بعض الكلمات المترادفة ظاهرا المتباينة باطنا كافتراض واحتمال وغيرها ، ثم رأيت ان الكتاب لا يراعون تدريج المعاني وربما يضعون الكلام غير موضوعه بدون ورع ولا حرج ، فعلى كل حال يبدو ان جملة اللغة وافرة غزيرة ومع ذلك يجدر بي ان اعترف بأن الثلم لم تسد بعد تماما وان مفاهيم عديدة ظل من العويص التعبير عنها بعربية فصحة ، ولكننا ان قارنا بين حالة اللغة في اواخر القرن الماضي وبين حالتها الحاضرة لاحظنا انها تقدمت تقدما باهرا فيها يخص الاعراب عن مظاهر الحياة الحديثة ، واني لا اعتقد ان الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرف الناطقين بالضاد جدرة بأن توسع اللغة وتغنيها وترقيها وترفعها الى مستوى عال سام .

اما الفرع الثاني فهو الذي يهنا الآن لان العربية متأخرة في هذا الميدان تاخرا نسبيا لا يجوز ان يعاب به العرب انفسهم ، ذلك ان التعليم التقني والعالي كان يتكفل به غالبا في الاقطار العربية اساتذة انجليزيون او فرنسيون وكان الطلاب يحسنون لفظة غريبة فما زالوا لحسن الحظ يجيدونها، ولكن الاقطار الموصى اليها قد نالت استقلالها التام بعد الحرب العالمية الثانية ، نازدت الحكومات ان تعرب التعليم في جميع درجاته ونواحيه دون استعداد كاف بل دون اعداد الاحوال الصالحة ، فلتقت بغتة صعوبات شديدة ظنت في اوقات اليأس انها لن تذلل ابدا ، فهذه المصاعب - والحق يقال - مخيفة هائلة غير ان اهل اللغة لم يواجهوا المشاكل من وجوها ولم يشمروا عن ساعد الجد والكد لحلها حتى ادعى بعضهم انها محلولة فلا حاجة اذن الى اعتبارها ، فهذه حقيقة مرة من واجبي ان ابرزها .

وقد قلت ايضا ان التاريخ يتكرر احيانا ، فينبغي الان ان ابدي رأيي في هذا الشأن : يعلم الحفاظ ان القرآن الكريم لا يتضمن كثيرا من المصطلحات الاسلامية التي يرجع فضل وضعها الى علماء القرن الاول والقرن الثاني الذين اجهدوا انفسهم في افراغ الالفاظ اللازمة في قوالب عربية حتى تصبح اللغة آلة صالحة للحضارة الاسلامية الناشئة اذ كان من الاكيد ان لهجة الحجاز ونجد كانت تقوم في الجاهلية بحوائج الشعراء والخطباء وسكان الوبر والمدر ولكنها

أضحت غير كافية بمجرد ما ارتقى العرب — مدارج المدنية الرفيعة المتفتنة التي نالوا بها مجدا خالدا .

فنشأت الى جانب العلوم الإسلامية التي تتطلب مصطلحات كثيرة ، علوم أخرى كالجغرافية والتاريخ فضلا عن الرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم ، فلما تسلم بنو العباس عرش الخلافة شجعوا حركة الترجمة حتى أن لفيفا من المترجمين نقلوا من البهلوية واليونانية والسريانية عددا جبا من الكتب الادبية والتاريخية والعلمية والفلسفية ، فنهت اللغة وتوسعت بفضل المترجمين ثم المتكلمين والفلاسفة الذين وضعوا أسس الكلام الفلسفي ، ومن العجيب أن أكثر المصطلحات الادارية والسياسية والفلسفية عربية الاصل — ان استثنينا اسماء النقاد القديم اقتباسها كالدرهم والدينار والفلس ، وعددا يسيرا من الالفاظ للفلسفة كالفلسفة نفسها واليهولي مثلا — فترك هذه الملاحظات الخاطفة على سعة الجهد المستمرة التي بذلت لكي تعرب المفاهيم المأخوذة من مدنيات أخرى ، ولسوء الحظ لم يعتن احد بالاساليب والطرائق التي طبقت عفوا او عن قصد في سبيل هذا التعريب .

ومع ذلك فاذا تصفحنا مثلا كتاب ميولى الطب في الحشائش والسموم لدياستوريديوس الذي نقل الى العربية في القرون الوسطى ونشر مؤخرًا في تطوان (المغرب) راينا أن المترجم لم يجد لعدد كثير من اسماء الحشائش والسموم ما يقابلها في اللغة العربية فابقها على حالها أي اقتصر على كتابتها بالحروف العربية ، ومما يجدر بالملاحظة أن هذه اسماء كتابية صحفية لا رواج لها الا في الاوساط المتخصصة من العطارين والصيدالة . فاننا سنصادف في مجرى بحثنا ما يشبه تمام الشبه بما قد مر فكره ، وبالعكس فان نظرنا الى التحفة التي نشرها وترجمها الى الفرنسية الدكتور رينو والاستاذ كولن وادرجاها في منشورات معهد الدراسات العليا في الرباط بعنوان: « تحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب » اضطررنا الى الاعتراف بأن اللغة العربية كانت في القرون الوسطى تشتمل على كثير من اسماء النبات والاعشاب التي تنبت في الارض حول البحر المتوسط ، فمن اعتنى من العلماء المعاصرين بخص علمي لهذين الكتابين واشباههما وباقامة لائحة الاسماء المذكورة فيها ؟

ولعلكم فهمتم من كل هذا الغرض الذي أرمي اليه والغاية التي اهدف اليها : فان ما يعترضنا من مشاكل يمكن التماس حلول لها وليس ذلك بممكن

فحسب بل هو ضروري اجباري اذا اردنا ان تدوم هذه اللغة الجميلة العزيزة وتحل محلها بين اللغات الكبرى ، فالوسائل التي هي لدينا مختلفة وسأذكرها — بدون ترتيب منطقي لياخذها من شاء ويتركها من شاء :

أولا — رغبا عما يزعم بعض الناطقين بالفساد فان اللهجات العربية حية موجودة غير معدومة ، فهي غنية واسعة تتضمن هنا وهناك الفاظا عامية يومية الاستعمال لا توجد في اللغة الفصحى ، منها خاصة مصطلحات أهل الصنائع ، فلاي سبب لا يمكن الرجوع اليها عند الحاجة بشرط أن يتفق على معناها؟

ثانيا — رغبا عن افتخار العرب بماضيهم الجيد لم يستغلوا حق الاستغلال ثروة قريبة المنال كثيرة المنافع الا وهي اللغات الاجنبية التي أخذت من العربية في القرون الوسطى وبعدها الفاظا لم تزل حية الى الآن ، فلعل أهم هذه اللغات التركية التي ردت للعربية « جمهورية » و « لسان الحال » وغير ذلك وتستطيع أن ترد لها ايضا قسطا من المصطلحات الطبية والعلمية ، ثم تليها الفارسية التي أخذت أيضا كثيرا من المفردات ثم خصصت معانيها وحددتها ، فكثيرا ما لجأ الى قاموس فارسي اذا ما صادفت كلمة عربية لا توجد في المعاجم العادية بالمعنى الذي كانت تستعمل به في القرون الوسطى لان اصحاب القواميس العربية لم يقيّدوا المولدات ، فأظن أن معاصرنا لم يكثرثوا بمثل هذا المعدن كما انهم لم ينتفعوا باللغات الغربية كالاسبانية والفرنسية وغيرها ، فانني اعتقد مثلا ان اللفظة المعروفة (chèque) التي صارت في العربية « شيك » هي في الاصل « صك » ولنتقس على ذلك .

ثالثا — وبالعكس من ذلك لا تتورع العربية عن الاقتباس ، ومن المعلوم ان الدخيل فيها غير قليل الا ان المسلمين انفسهم يقرون بأن في القرآن الفاظا غير عربية الاصل كمنبر وصراط وصلاة وغير ذلك مما ذكره النحويون ، حتى ذهب السيوطي الى ان في القرآن بضع كلمات بربرية .

ولكن مسألة الاقتباس من اللغات الاخرى مسألة دقيقة صعبة ، فان اللهجات ، بما انها حية ، يمكنها ان تقبل جميع المفردات الاجنبية فتعربها تعريبا نسبيا حتى يقال قبطان (capitaine) على وزن قرمان ، وجن النار (général) أو تبقيا على حالها كطمويل (automobile) واوتيل (hôtel) ، اما الفصحى فلا تتمتع بحرية تامة وان بدلت الكلمة

الدخيلة لتفرغها في صيغة من الصيغ شوهتها وجعلتها غير مفهومة ، فان اخذتها اللغة كما هي لم يعرف من جهل اللغة الاصلية كيف يقرأها وقال مثلا تلفون (بضمين) ، وزيادة على ذلك فمن الصعب ان يجمع اهل اللغة على مثل هذا الدخيل الا بعد طول المدة ، ان لم تمت الكلمة في اثناء ذلك ، فالأفضل اذن ان يقتصر على اخذ الالفاظ التي لها اشباه في اللغة فتتضم بسهولة تامة الى السلاسل اللغوية كتكلم على وزن علم ، وتلفزة على وزن فلسفة وغاز على وزن نثار .

واما الالفاظ التي لا تعرب بسهولة فاعتقد ان الكف عنها احسن والناس كلمات عربية أصوب ، فاذا تنافست كلمتان احدهما عربية والاخرى دخيلة فالأفضل ان تستعمل الاولى بدلا من الثانية ، فقد قرأت في محضر من محاضر الدرك السوري : « كلمناه هاتنيا » ومن العجيب ان اكثر الناس يقولون تلفونيا او بالتلفون مفضلين كلمة غير عربية بدون جدوى ولا منفعة ، فهذا مظهر من مظاهر الفوضى السائدة في الوقت الراهن ، وبالعكس فان تنافست كلمة دخيلة واضحة كتكلم واخرى عربية ذات معان شتى مثل شريط ، فالاولى ان تقدم الاولى على الاخرى .

فلا يجوز وانا بصدد هذه الدراسة الوجيزة لتصريف الدخيل من الكلام الان الا ان لاحظ ان الخط العربي قلما يحتفظ بأصوات الكلمات المأخوذة ، وعلى سبيل المثال فاني لا ادري كيف اكتب اسمي حينما امضي كتابا او مقالا بالعربية ؟

فان الاتفاق الذي ذكرته آنفا بين (فلم) والجهاز الصوتي العربي قليل الوجود نادر الحدوث ، ولذلك قد تجاوز بعض الناس الحق الى الباطل فاقترحوا استبدال الحروف اللاتينية بالابجدية العربية ، ولكنني اعتقد ان مثل هذا المشروع مكتوب عليه الفشل لان العربية غير التركية وايقنت ان الخط العربي سيدوم الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، ومع ذلك لقد تأملت هذه القضية فرايت ان تستعمل الحروف اللاتينية في احوال معينة واوقات محدودة معلومة ونسواح خاصة من التعليم العالي ، اي في كليات العلوم والصيدلة اذا ما طرق باب المركبات الكيماوية مثل : (methylaminoethanol) لاني اظن انه ليس من الضروري ان يلتبس الاساتذة تعريب هذه المولدات - بمعنى الكلمة الاصلية - الحوشية ،

فيكني اذ ذاك ان يعرف الطلاب الخط اللاتيني ، وبما انهم مضطرون لاسباب اخرى الى معرفة لغة اجنبية فليس في ذلك عظيم الضرر .

ومن جهة اخرى يعلم الجميع ان علماء النبات والحيوان يستعملون في العالم اجمع اسما ونعتا لاتينيين لكل جنس ونوع منه النبات والحيوان ، فهذه الاسماء والنعوت مجمع عليها ، كما قلت في العالم كله والروس انفسهم الذين يكتبون بخط خاص يذكرون لكل حيوان ونبات اسمه ونعته باللاتينية ، ومع ذلك ارى بعض الناطقين بالضاد ينفردون وينفصلون عن سائر العالم فيريدون ان ينقلوا هذه المصطلحات من اللاتينية الى العربية بدون فائدة .

ولكن لا ارى مانعا من تعريب بعض المصطلحات المستعملة في التعليم الثانوي ، واستحسن المنهاج الذي قد طبق منذ امد طويل في سوريا حيث تستعمل اسماء مركبة من اللفظة العربية الاصلية والنهاية الفرنسية كمثال كبريتور وكبريتات .

رابعا - ان اللغة العربية غنية جدا ولكن اللغويين الذين الفوا المعاجم على حسب نظريتهم اللغوية جمعوا ما استطاعوا جمعه من لغات القبائل وكلام الشعراء ولم يلتفتوا الى الالفاظ المولدة التي قد يحتاج اليها في الوقت الحاضر ، ولقد جعلتني مطالعة الكتب القديمة اعتقد ان تنقيبا دقيقا في مؤلفات القرون الوسطى سيجلب غلات وافرة ذات قيمة لا تقدر .

خامسا - ان اللغة العربية مرنة جدا بفضل الاشتقاق ، فلها المصادر واسماء الآلات والامكنة والازمنة وغير ذلك مما يسهل وضع كلمات جديدة ، فلا استنكر مثلا « مكتب » على وزن « منشار » للدلالة على الآلة الكاتبة ، و « نحال » لربي النحل ، والذي استثنعه هو ما يسمى بالنحت كمثال « تحتره » (Underground) او « مافوسجي » (ultraviolet) (ما فوق البنفسجي) ، اما الالفاظ المركبة من « لا » وكلمة اخرى (لامبالاة) ، لاشيء ، لانهائي) فلا بأس بها لان هذا التركيب قديم لا يخالف روح العربية مخالفة منكرا .

سادسا - لاكثر المفردات القديمة معان شتى يجوز ان يستخرج منها معنى ملائم لما يحتاج اليه تمام الملازمة ، ولما يسمى التضمين دور هام في توسيع اللغة واغنائها .

تلك بعض الوسائل الصالحة لسد الثلم الباقية في اللغة العربية وقد استخدمت قليلا أو كثيرا منذ القرن الماضي ، ولكنني اعتقد أنه من الواجب على الناطقين بالضاد أن يدركوا أن وقت المنهاج التجريبي قد مضى ، وحين زمن المنهاج المنطقي العلمي لأن الحالة الراهنة لا تفضي إلا إلى القلق والغصة ولا تنتج إلا الاضطراب والفقر ، فإن عثر أحدهم على كلمة جيدة أو اخترعها من تلقاء نفسه لم يلبث منافسوه وحساده أن يستبحروها فيحاولوا أن يروجوا مكانها كلمة أخرى أقل جودة وفصاحة وهلم جرا ، فهكذا تتعدد العبارات الدالة على مدلول واحد في حين أن عدة مفاهيم لا يمكن التعبير عنها .

فإن أراد المسؤولون تنمية العربية وتوسيع نطاقها وترقيتها إلى مستوى اللغات الكبرى فعليهم أن يتخذوا مختلف الترتيب دون أن يتكلموا على الجامع العلمية رغم ما تبذله من الجهود في هذا المضمار ، فإني لم أزل منذ ربع قرن موقنا بأن اللغة العربية جديرة بأن تصبح لغة عالمية ، ولكنني أتأسف على ضياع الوقت وعدم المنهاج واضطراب المساعي الفردية التي تذهب أحيانا إدراج الرياح ، فمن المرغوب فيه أن تؤلف جامعة الدول العربية عدة لجان (1) مركبة من متخصصين في علم من العلوم وصناعة من الصنائع وفن من الفنون وتكلفها بتأليف قاموس يوزع بعد في جميع المدارس من الابتدائية إلى العالية لكي توحد اللغة ويذول الاختلاف

شارل بيلا (باريس)

(1) هذا اقتراح كان قبل أن يؤسس المكتب الدائم لتشويق التعريب في العالم العربي

هل اللغة العربية صعبة ؟ كيف يمكن تسهيلها ؟

للمتأذنة : ساد دار غوث
- بيروت -

فاستبدلت بها لغاتها الاصلية . وذلك بالاضافة الى كونها لغة القرآن .
وليس ادل على تلك الحيوية المرنة ، من تقبلها الاشتقاق ، على اوسع نطاق ، يمكن ان ترضخ له اللغات . (اطلب كتاب الاشتقاق والتعريب ، للعلامة « المغربي » (1) .)

ولنذكر هنا ان اللغات السامية الشقيقة للفتنا قد انقرضت ، منذ مئات السنين ، باستثناء العبرانية . كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية ، كاللاتينية وسواها .

كما يحسن ان نذكر ، على هامش التيسود والشواذ التي توفرت في اللغة العربية ، ان اكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب ، حتى في عصور الازدهار الاولى . ولهذا الواقع التاريخي دلالتة الخاصة ، وآثاره المموسة في ما وصلت اليه قواعد اللغة ، من تعقد بعد البساطة .

خطوات أولى للتيسير

1 - وقد يسر الاولون القراءة ، بتشكيل الحروف ، أي بوضع الحركات المعروفة عليها (الفتحة والضمة والكسرة) . ويرجع الفضل في ذلك الى أبي الاسود الدؤلي ، الذي كان يعمل ، بتوجيه الامام علي ، على وضع قواعد اللغة الاساسية . فكانت هذه الخطوة موفقة كل التوفيق ، اذ يسرت القراءة والفهم معا على القارئ ، كما يسرت وتيسر حفظ

(1) اجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الاجانب ، سواء كانوا مستشرقين او ديبلوماسيين . حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبسه ثوب الحقيقة . ولاسيما ان الطرق والاساليب المتبعة ، حتى الآن ، في تدريس لغتنا ، للمبتدئين ولسواهم ، لم تتطور بالقدر الكافي . كما ان الكتب الموضوعية لذلك الغرض ، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتدى اليها الاختصاصيون .

ب - والامر الذي لا شك فيه ، هو ان اللغة العربية ، في اوضاعها الراهنة ، وما تراكب على قواعدها من بقايا الثقافات التي احتضنتها ، ليست هذه اللغة العربية من اللغات السهلة ، سواء في دراستها ، نحوا وصرفا ، او في كتابة حروفها ، او قراءة تلك الحروف .

ولئن كانت هذه اللغة ، في الاصل ، لغة منطقية ، وبالتالي سهلة التداول ، فهي ، بما اجتمع لها من القيود ، في مدى تاريخها الطويل ، بتأثير الشعوب المتنوعة التي اعتنقتها ، قد صارت الى ما صارت اليه اللغة اللاتينية ، قبل ان تنقرض ، وينبثق عنها فروعها الحديثة (الفرنسية والاطالية والاسبانية) .

ج - وما حفظ اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها ، وهي التي حببتها الى شتى الشعوب والامم المستعربة ،

(II) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

هـ — ولابد من القول ، بأن بعض الفضل ، في ذلك ، يرجع الى التلاقح الحاصل بين أساليب لغتنا العربية ، وأساليب اللغات الأجنبية ، التي تعلمناها واتقناها .

وهو تلاقح تم مثله في العهد العباسي ، بين هذه اللغة واللغات الأخرى (الفارسية ، والرومية ، والسريانية وسواها) . فجنحت لغتنا من ذلك التلاقح ، في الماضي والحاضر ، اطيح الثمرات .

بقيت الحروف العربية نفسها ، ووضعية اشكالها المطبعية ، فهي بين حروف « الاول » وحروف « الوسط » وحروف « الآخر » ، والحروف المنفصلة ، تتضاعف عددا . في حين أنها لا تتجاوز في الاصل ، السبعة والعشرين . وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة ، ورواج الكتاب العربي .

و — الا أن الحلول التي عرضت ، حتى الآن ، لهذه المعضلة ، لم تكن عملية . سواء منها الاقتراح القاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، أو وضع حروف جديدة لا تمت الى الحروف القديمة بصلة ، أو الاكتفاء بشكل واحد ، من اشكال الحروف الحالية ، لكتابتها به باستمرار .

فأي من هذه الاقتراحات ، اذا أخذنا به ، يقود بالنتيجة الى طفرة ، لا تحمد عواقبها ، ولا قبل للشعوب العربية بتحملها ، وهي في مستواها الراهن ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وثقافيا .

فضلا عن ان الاخذ بتلك المقترحات ، أو بأحدها امر يخرج عن مدى امكان هذه الشعوب ، لان الحروف العربية مرحلة من تطور (الابجدية) ، من جهة ، ولأنها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم ، من جهة ثانية .

وقد جاء اقتراح الامير آغا خان ، أخيرا في المؤتمر الاسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951) باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ، في البلاد الاسلامية الى جانب لغاتها القومية ، دليلا على صحة ما نذهب اليه .

المفردات والتراكيب العربية ، على وجهها الصحيح ، وتساعد على النطق بها سليمة من الرصانة الشائعة ب — وكان اعجام الحروف ، أي تنقيط الحروف المتشابهة (كالباء والتاء والياء ، وما إليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة . وقد تم ذلك في العهد الأموي ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، يوم اعترم تعزيز اللغة العربية ، فجعلها لغة الدواوين ، أي لغة الدولة الرسمية .

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال ، لا تعرف — ولاسيما المتشابهة منها — الا من سياق الكلام . « فباب » مثلا كانت تقرأ كذلك ، كما تقرأ تاب ، أو ناب ، أو بات أو ثاب ...

ج — وجاء التوقيف ، أو استعمال علامات الوقف ، حينها دون القرآن ، خطوة ثالثة لتيسير القراءة . واتنا لنجد في المصاحف ، الموجودة بين ايدينا ، أولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف ، وان كان المترئون مجمعين على القول بأنه « ليس في القرآن من وقف وجب » .

د — وللبنانيين ، على مر العصور ، سبق في هذا الصعيد ، لابد من الاشارة اليه . ففي العهد الفنيقي ، اتحفوا العالم بحروف الهجاء ، وهي أعظم نتاج تمخض عنه العقل البشري . فجاءت تلك الحروف الصوتية المحدودة ، بعد الحروف الهيروغليفية والمسمارية الكثيرة ، دليلا على ما يهدف اليه الفكر الانساني المتطور ، في وسائل التعبير عن ذاته ، من اقتضاب ، ويسر ، وبساطة .

وفي العهد العربي عمل اللبنانيون ، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسواهم ، على طبع هذه اللغة بالطابع الحضاري ، وتيسير الفهم بها ، بعد تيسير اساليب التعبير . ويكفي أن نذكر النهضة الادبية ، التي بعثها مفكروننا في مصر ، وفي الأمريكتين ، لنسجل فضل لبنان العميم على هذه اللغة ، في الوطن وفي المهجر . حتى صار اللسان العربي ، في الكتاب الحديث ، كما نعهده الآن ، مستساغ الألوان حلو الجرس ، من السياق ، جميل الاسلوب . وبات بإمكان القارئ أن يتابع المطالعة ، دون توقف عند كل خطوة ، أو رجوع الى المعجم في كل جملة .

خطوات تالية لابد منها

أ - لابد من خطوات أخرى نتخذها ، لتيسير اللغة العربية ، ولكن بصورة تدريجية . واننا سنلخص ما نرى امكان الاخذ به ، في الوقت الحاضر ، بسبيل ادراك تلك الغاية ، على الوجه التالي :

ب - يتحتم علينا الإبقاء على الحروف العربية ، بأشكالها الراهنة . على أن نضيف اليها بعض الاصطلاحات التي تمكننا من تصوير الاصوات المعروفة ، في اللغات الأجنبية : مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

وقد جرى الكتاب على استعمال الباء ، بثلاث نقط ، لتصوير الصوت الثاني . ونقترح نحن استعمال الواو ، تلوها نقطة ، لتصوير الصوت الاول .

ج - ولابد لنا من تشكيل الحروف ، اي وضع علامات الاعراب عليها ، بسبيل تسهيل القراءة وضبط الكتابة واللفظ . لا فرق في ذلك بين الكتب المدرسية الموضوعة للبتدئين ، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمثقفين ، وبين الصحف والمجلات وسواها ، من المنشورات الدورية .

فقد حمل الاولين ، على وضع هذه العلامات ، حرصهم على سلامة اللغة ، من رطانة الاعاجم . ونحن ، على الرغم من الفارق الزمني ، نجد أن ذلك الباعث لم يبرح قائماً . فما علينا الا أن نقيد الكلمات بالحركات ، فنحفظها صحيحة من جهة ، ثم نقرأها ببسر وسهولة من جهة ثانية .

د - ولكن كيف نحرك الحروف ؟

منذ نحو عشرين سنة ، طبقتنا القواعد التالية ، في جميع الكتب التي ألفناها ، أو اشتركنا في تأليفها :

(1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيثما وردت هذه العلامة التي يغنيها عنها عدم وجودها . ونصطلح على أن غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهكذا نخفف ربع الحركات ، على أقل تعديل ، في ضبط الكتابة .

(2) نستغني عن تحريك الحرف الذي نقف

عنده ، فلا حركة اذن حين الوقف ، عملاً بالمصطلح العام ، لدى علماء التجويد .

وهذه القاعدة تخفف جزءاً غير يسير من الحركات التي لا لزوم لها ، ما دمت لا تلفظ بحركة الحرف الذي نقف عنده .

(3) نحذف الحركات قبل حروف المد . وهي ثلاثة : الالف والواو والياء . أما اذا كان الحرفان الاولان للقطع ، فاننا نقرن الحرف الذي يسبقهما بالحركة اللازمة .

ومثال ذلك : (باب ، ونور ، وطيب) . فالالف والواو والياء ، في هذه الالفاظ ، حروف مد ، تغني عن الفتحة على الباء ، والضمة على النون ، والكسرة على الطاء . أما في هاتين الكلمتين : « ثوب وطير » فلا بد من وضع الفتحة على كل من التاء والطاء ، لان الواو والياء فيهما هما حرفا قطع ، لا حرفا مد .

ومن السهل ادراك الصعوبات التي نتفادها بلجونا الى تطبيق هذه القاعدة .

(4) لا لزوم للعلامة الخاصة الدالة على همزة الوصل (ا) اذ ان همزة القطع وحدها هي التي ترسمها على الالف ، حين الكتابة .

(5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التأنيث ، سواء كان ذلك في الاسم أو في الفعل . ومثال ذلك لفظنا : كتابة ، وشريت . ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقها .

(6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمسية . ومثال ذلك : الصورة ، الشمس . ان وضع الشدة على الصاد أو الشين ، كما جرت العادة ، لا مبرر له ، لان اللفظتين ليستا من الكلمات المضاعفة ، مثل «مد أو شدد » التي تستلزم هذه العلامة .

(7) نظهر الالف المضمرة ، وسواها من الحروف المتروكة ، في مثل « هذا ، وذلك ورحمن » وسواها من الفاظ شائعة ، فنستغني عن بعض الصعوبات . وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ ، دون زيادة ولا نقصان : هاذا ، وذاك ورحمان ، وسواها .

(9) كتابة الهمزة ، وهي ، من أعقد مشكلات الكتابة العربية . ويكفي أن نعلم أن أكثر الأدباء . والصحفيين يخطئون في تصويرها ، في كثير من المواضع . كما أن الاجتهادات في بعض قواعدها المعقدة ، تختلف بين قطر وقطر ، وبلد وبلد .

ومن رأينا أن نوحدها اشكالها : فنجعلها بكرسي الالف ، في بدء الكلمة وفي وسطها ، ودون كرسى في ما عدا ذلك .

(10) وعلى ذكر التوحيد ، لابد من الإشارة الى الفوارق التي نشاهدها في رسم بعض الحروف ، في هذا البلد أو ذاك ، من بلاد العربية . فبينما نرسم نحن في لبنان ، حرف الباء معجماً أي مع النقطتين ، هكذا (ي) ، يرسمه اخواننا المصريون مهملاً أي دون تنقيط هكذا (ى) . أي أنهم يرسمونه شبيهاً بالالف المقصورة عندنا . وهكذا يقع القارئ في الالتباس ، كلما شاهد هذه اللفظة مثلاً (أري) ، مكتوبة على الطريقة المصرية . فهل هي (أرى) ، للمتكلم بصيغة المضارع أم (أري) للمخاطبة ، بصيغة الامر !

ومثل هذا كثير ، في رسم الحروف ، في مختلف البلاد العربية .

(هـ) هذه الطرق التي طبقناها ، فأتت بأفضل النتائج ، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته ، الى فرصة ثانية ، يمكننا فيها أن نسهب في ما أجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارئ . كما أنها توفر للمطالع جزءاً غير يسير من قوة الانتباه ، فيصرفه الى تفهم المعنى في النص الذي يطالع . فضلاً عما توفره من جهود عامل المطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة اجماعية ، في ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوع الثقافة بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى في أوساط المثقفين .

كما نكتب داوود بالواوين ، (ومئة) على هذه الصورة بالذات ، وعمر دون واو . وفيها وما وعلام ، وسواها دون اتصال أو ادغام أو حذف .

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة ، التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها ، أو الصورة التي كانت عليها قبلاً . وهي بمجموعها تؤلف إحدى الصعوبات التي تعترض سبيل دارسي اللغة العربية .

والواقع أنه ليس من مبرر للاستمرار على الاخذ بهذه الشواذ ، أو الاخطاء المتوارثة ، بعد أن تحللت لغتنا من امثالها في العصور السابقة (لنذكر كتابة القرآن ، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول : ان كتابة القرآن لا يقاس عليها) .

فنحن أحوج الى التحرر من تلك الاعباء ، ولاسيما في عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه .

(8) ومن هذا القبيل تجنب الالفاظ المشتركة أو التي تقبل الإبهام . ومثال ذلك لفظة : « الازر » فهي تحتل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروضة ، والسماة كذلك « الرز » ، كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف ، والذي اتخذ لبنان شعاراً له .

لذلك نعهد الى تخصيص لفظة « الرز » بالفلال الزراعية المذكورة ، ونترك اللفظة الأخرى للدلالة على الشجر المشار اليه .

هذه الالفاظ كثيرة في اللغة العربية . وأكثر منها المترادفات ، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد . بل هي ، في الاصل ، نعوت تدل على حالات معينة . فيحسن بنا أن نصرّفها الى وجوهها التي تصلح لها . وحينئذ نتجنب صعوبة أخرى ، صارت من الأدلة على فقر اللغة العربية ، بعد أن كانت من مظاهر غناها ، ونعني وفرة الاسماء لبعض الدولوات ، كالسيف ، والناقاة ، والاسد وسواها ، وانعدام الاسماء لكثير من المسميات القديمة والحديثة ، على حد سواء .

و — واننا نورد فيما يلي الفقرة السابقة ، مضبوطة بالحركات ، وفاتنا للطريقة القديمة ، وإلى جانبها النص نفسه مشكولا بالطريقة التي اتبعناها في

كتبنا المطبوعة ، وفي هذه الرسالة ، وشرحناها فيها مر باقتضاب ، وذلك على سبيل المقارنة :

الطريقة الجديدة

هذه الطرق التي طبّقناها ، فأتت بأفضل النتائج ، وسواها مما نحفظ بتفصيلاته ، إلى فرصة ثانية ، يمكننا فيها أن نسهب في ما أجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القاري . . كما إنها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه ، فيصرفه إلى تفهم المعنى النص الذي يطالعه . فضلا عما توفره من جهود عاملي المطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة إجماعية ، في ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوع الثقافة ، بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى في أوساط المثقفين .

الطريقة القديمة

هذه الطرق التي طبّقناها ، فأتت بأفضل النتائج ، وسواها مما نحفظ بتفصيلاته ، إلى فرصة ثانية ، يمكننا فيها أن نسهب في ما أجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القاري . . كما إنها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه ، فيصرفه إلى تفهم المعنى النص الذي يطالعه . فضلا عما توفره من جهود عاملي المطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة إجماعية ، في ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوع الثقافة ، بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى في أوساط المثقفين .

علامات الوقف

١ - يضاف الى ما تقدم علامات الوقف الشائعة في الكتابة ، لدى الامم العربية . وقد شعر العرب الاقدمون بالحاجة الى مثلها ، في تلاوة القرآن الكريم ، فاصطلحوا على علامات للوقف ، نجدها في المصاحف ، كما سبق القول ، وان كانوا قد اصططلحوا ايضا على انه ليس في القرآن من وقف وجب .

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيرا محسوسا ، كما تقرب النصوص المقروءة من الافهام .

وقد اخترنا ذلك في كتبنا المنشورة ، المدرسية منها والادبية . فأتى بأفضل النتائج . وان كان أحد النقاد قد عد ذلك ، في رواية « خطيئة الشيخ » المنشورة عام 1938 - خطيئة لا تفتنر .

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع ، وضرورة جعل تلك العلامات جزءا من الكتابة العربية ، في « مجلة التعليم » الصادرة بالفرنسية ، عن مديرية المعارف العامة ، في المفوضية الفرنسية عام 1928 .

هذه العلامات ، من الفاصلة الى النقطة ، ومن علامة التعجب الى علامة الاستفهام ، ومن المعترضتين الى القوسين .. كلها وسائل لتيسير القراءة ، وتيسير الفهم . فضلا عما تكسبه الكتابة العربية من مظهر فني في الاخراج ، لا نجده في الكتب التي تخلو من تلك العلامات ، او يقتصر فيها على بعضها الشائع ، حتى في الصحف اليومية .

ب - وبما يلي انموذجان للمقارنة ، نخترهما من « مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق » .

فقد ورد في كتاب « تاريخ الحكماء » (1) - الصفحة 56 الفقرة التالية :

« فسأل الأمير نوح بن منصور الرئيس ابو علي الاذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فقال الإيجاب

فطالع من جملتها فهرست كتب الاوائل وطلب ما احتاج اليه فرأى من الكتب ما لم يقرع اسماع الناس اسمه لابي نصر الفارابي وغيره . فقرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل في علمه من المتقدمين » .

وورد في « ديوان ابن عنيـن » (2) - في الصفحة 6 وما يليها - من قصيدة مدح بها الشاعر الملك العادل :

« ملك اذا خنت حلوم ذوي النهي
في السروع زاد رزائـة وتوقرا
ثبت الجنان ترعاع من وثباته
يوم الوغى وثباته اسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما في غد
بيديه اغنته ان يتفكرا
حلم تخف له الجبال وراءه
عزم ورأي يحقر الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكريما
ويصد عن قول الخنا متكبـرا »

ففي تلك الفقرة النثرية « نقطتان » فحسب من علامات الوقف ، وفي هذا المقطع الشعري ، لا اثر لتلك العلامات على الاطلاق .

ج - واذا نحن نشرنا ، فيما يلي ، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف ، على الطريقة التي نقترحها ، أمكن للمطالع ادراك معانيها ، دون عناء ، ولو اغفلنا ، كما فعل الناشر ، حركات الاعراب .

كما ان هذا المقطع الشعري ، اذا نشرناه مقرونا بعلامات الوقف ، صار أوضح معنى ، وساهمنا ، الى حد ، في ابراز الصورة العامة التي اراد الشاعر ان يعطيها لملك عظيم ، صورة تشبه لوحة زيتية متجانسة الالوان ، وان كانت ألوانها ، في الاصل ، شتى متنافرة .

- (1) عني بنشره وتحقيقه المرحوم الاستاذ محمد كرد علي .
(2) عني بنشره وتحقيقه الاستاذ المرحوم خليل مردم بك .

وفينا يلي الفقرة والمقطع ، مقرونين بعلامات الوقف ، وبالحركات على طريقتنا المقترحة .

١ - « قَالَ الْأَمِيرُ نُوحُ بْنُ مَنصُورٍ ، الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ ،
الْأَذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ دَارِهِ لَهُ ، فِيهَا يُبَوِّتُ الْكُتُبَ
قَالَ الْإِيْجَابُ . قَطَّاعٌ ، مِنْ جُلَّتْهَا ، فَبَرَسَتْ كُتُبُ
الْأَوَائِلِ ، وَطَلَبَ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ . قَرَأَ مِنْ الْكُتُبِ مَا لَمْ
يَقْرَأُ سِوَاكَ النَّاسِ اسْمُهُ ، لِأَنِّي نَصِرَ الْفَارَابِيَّ ، وَغَيْرِهِ . فَقَرَأَ
تِلْكَ الْكُتُبَ ، وَظَهَرَ بِفَوَائِدِهَا . وَغَرَفَ مَرْقَبَةً كُلِّ رَجُلٍ ،
فِي عَلَيْهِ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ .

٢ - « مَلِكٌ ، إِذَا خَفَتْ حُلُومُ ذَوِي النَّهْيِ ،
فِي الرَّوْعِ ، زَادَ رَزَانَةً ، وَتَوَقَّرَا
تَبَتْ الْجَنَانُ ، تُرَاعُ مِنْ وَتَبَاتِهِ
يَوْمَ الْوَعَى ، وَتَبَاتِهِ ، أَسَدُ الشَّرَى .
يَقِظُ ، يَكَاذُ يَقُولُ عَمَّا فِي غَدَا
بِبِدْيَةٍ أَغْتَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَا .
حُلْمٌ تَخِفُّ لَهُ الْجِبَالُ ، وَرَأَاهُ
عَزَمُ ، وَرَأَى يَجْمَعُ الْإِسْكَندَرَا
يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ، تَكْرُمًا
وَيَصُدُّ عَنِ قَوْلِ الْخَنَا ، مُتَكَبِّرًا »

وسائل ايجابية وسلبية

١ - هذه القواعد التي أوجزنا الكلام عليها ،
تهدف الى ضبط الكتابة العربية ، وتيسيرها معها ،
كما تهدف الى تسهيل القراءة والفهم . وقد ثبتت لدينا
فائدتها ، بعد تطبيقها عمليا ، منذ عشرين سنة ونيف .
وهي كما يبدو وسائل ايجابية ، تساهل النزعة
التطورية ، دون تهديم ، أو تنكسر لماض عظيم ،
وتساوق اتجاه الفكر ، لدى الشعوب العربية ، التي
تمتكت الطفورات ، ولا تستسيغ الثورات ، كما لا
ترفضي أن يقوم بينها وبين ماضيها أي حجاب .

وفي تطبيق هذه القواعد ، نسير بلغتنا الى
الامام . ونتم ما بدأ به الاولون ، في مطلع النهضة
العربية ، اذ شكلت الحروف بالحركات ، خشية

الרטانة الشائعة اليوم ، حتى بين المثقفين ، ثم
اعجبت الحروف المتشابهة ، باضافة التنقيط عليها .

ب - ولكن لابد لنا من أن نضيف الى ما فكرنا ،
من وسائل التيسير الايجابية ، وسيلة « سلبية »
- اذا صح التعبير - وهي الوسيلة التي تلجأ اليها
الام مع طفلها ، والمعلم مع تلميذه والصحفي اللبق
مع قرائه ، والاديب الموهوب مع المطالعين من عامة
المثقفين . ونعني الامتناع عن « الاغراب » ، في اللفظ
وفي المعنى .

هذا الاغراب نوعان : اغراب في المفردات ،
واغراب في التراكيب . والمهم هو الابتعاد عن النوع
الثاني . لان اللفظة مهما بعد مدلولها عن مصطلح
الناس ، تجد الى افهامهم سبيلا ، ولاسيما اذا كانت
تدل على المحسوسات .

نحن نجد الكلام ، باللغات الاجنبية ايسر فهمها ،
منه باللغة العربية . كما نجد انفسنا اسرع ادراكا
لما يقال بتلك اللغات . ويرجع ذلك ، في رأينا ، الى
ان الاغراب في التركيب ، في تلك اللغات ، لا وجود له
الا نادرا . فالفعل يتبعه الفاعل ، ثم ما يتم المعنى .
اما في اللغة العربية ، فأساليب البيان والبلاغة
منوعة ، حتى يكاد يطنى المبني ، على المعنى ،
والظاهر على الحقيقة ، في كل ما يقال ويكتب بهذه
اللغة .

فيحسن بالكاتب العربي أن يعلم هذه الحقيقة
الاولية . وهي ان تلك الاساليب البيانية ليست كلها
في متناول عامة القراء . فلتطبق للاختصاصيين ،
وللتباري بالفصاحة وآيات الاعجاز ، في المجالات
الصالحة لتلك المبالاة .

ب - حينئذ ، ومتى لجأ الكاتب الى الاسلوب
الملائم ، انتفى أساس الزعم القائل بصعوبة اللغة
العربية ، وخاصة ذلك القول الشائع بأن على قارئ
اللغة العربية أن يفهم كي يقرأ ، بينما يقرأ الناس
في لغاتهم كي يفهموا !

وبالاسلوب الملائم نعني الاسلوب البسيط ، أي
الاسلوب الذي لا تفسده الجوازات والشواذ ، ولا
تثقله الاستطرادات والتحشيات .

واكرر القول بأن العدول عن الاخذ بتلك
الاساليب ، التي تبقى للاختصاصيين ، لا يعني
استقاطها أو ابطال ما لها في النفوس من سحر . بل
يعني أننا نتركها لعلباء اللغة ، وجهابذة البيان .
اذ ليس مفروضا في كل قارئ أو متعلم مبتدئ ، أن
يكون سيئويه زمانه ، أو عضوا في مجمع لغوي .

الخلاصة

أ - أن تيسير الكتابة والقراءة ، باللغة العربية ، من الأغراض التي يجب أن نهدف إليها ، لا إقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة ، بل سيرا مع سنن التطور .

ولما كانت الحروف الطبيعية الحالية غير كافية ، فإن إضافة بعض الحروف الجديدة ، المنبثقة عن الأشكال المعروفة ، ضروري ، لرسم الأصوات التي لا عهد للعرب بها ، مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواهما .

ب - والحروف العربية نوعان : منفصلة ، ومتصلة . أما المنفصلة ، وعددها أحد عشر ، فهي : أ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ق ، و ، لا ، ي . وفي اعتقادي أنه يمكن إبقاؤها على حالها .

وأما المتصلة ، وعددها تسعة عشر . وهي : (ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن) ، فيحسن توحيد شكلها الطبيعي ، حيثما وردت . ولا فرق بين أن يكون شكلها الموحد هو شكلها في أول الكلمة ، أو في آخرها . وحينئذ تصبح جميع الحروف منفصلة . وهذا ممكن .

ج - يضاف إلى ذلك وجوب استعمال الحركات ، وعلامات الوقف ، على اعتبارها جزءا متما للحروف وللکلام .

د - وفي اعتقادي أن أشكال الحروف العربية الثلاثين ، الآتية ذكرها ، والحركات الأربع المطلوب استعمالها (الفتحة والضمة والكسرة والشدة) ليست أوفر عددا ، ولا أصعب استعمالا ، في الكتابة والطباعة ، من أمثالها ، في اللغات الأجنبية .

ولاسيما إذا اعتبرنا أن تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية ، بشكليها : العادي والكبير (ماجسكول ، كابيتال) وتصور تلك الحروف في الكتابة ، على صور تختلف عن صورها الطبيعية . وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة . وفي الواقع ، فإن حروف الكتابة العربية ، كما وصلت إلينا في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

فإذا اصطلحنا على استعمال حروف « الأول » أو حروف « الآخر » للطباعة ، تيسيرا لعمل المنضدين الطباعي ، وترويجا للكتاب العربي ، وبالتالي خدمة للفكر والعلم ، في أوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة - فيجب أن نحصر ، في الوقت نفسه ، على الإبقاء على حروف الكتابة ، بأشكالها الفنية التي تطورت إليها . فصارت الألفاظ الجامدة قطعا من الفن الحسي .

وفيما يلي ، نورد الفقرة الأخيرة ، مطبوعة بحروف منفصلة ، على سبيل المثال :

وحينئذ تسلم للغة العربية مزية حروفها ، التي لا تشاركها فيها حروف ، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة : وفي الواقع ، فإن حروف الكتابة العربية ، كما وصلت إلينا في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

كما نورد الجملة الأخيرة ، من الفقرة السابقة ، مكتوبة بالخط النسخي ، دون زوائد يحشرها الخطاطون عادة للزينة ، فتجيء لتعقيد الخط العربي وتشويهه ، في اعتقادنا :

يَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى الْأَبْقَاءِ عَلَى حُرُوفِ الْكِتَابَةِ بِأَشْكَالِهَا الْفَنِيَّةِ ،
الَّتِي تَطَوَّرَتْ إِلَيْهَا ، فَصَارَتْ الْأَلْفَاظُ الْجَامِدَةُ قِطْعًا مِنَ الْفَنِ الْحَيِّ

اللائق بها ، في مجموعة الأمم الواعية الحرة !

واننا نسال الله في الختام ، أن يهدينا إلى ما يفيد بلادنا ، وينهض بالشعوب العربية ، إلى المكان

تفسير اللغة العربية للمطران

الدكتور الطاهر مكي

استاذ الادب الاندلسي في كلية دار العلوم
(جامعة القاهرة)

النهائي . وترجمات هؤلاء الغريباء لا تكاد تفهم ، لركاكة لغتها اللاتينية ، والبعد الواضح بين المعاني التي تضمنتها والمعاني الاصلية للنص العربي . وما لبث ان انضم الى الاعجاب بالثقافة العربية دافع ديني ، وكان الدين في العصور الوسطى — وما يزال — يغطي الجانب الاعظم من اهتمامات الناس ، يهدف من دراسة العربية الى فهم الاسلام ، التماسا لحجج يقارع بها اهل ، ويحاول عن طريق فهمها علماء ، أو يشكك الناس في مبادئه ويحاول أن يوقف تيار مده ، وكانوا بين متعصب وقف بقصد عند هذا الحد فلم يتجاوزه مثل رايونندو مارتين المشار اليه سابقا ، وبين من أدى به اتقانه العربية وتعايشه مع آدابها الى حب اهلها والحنو عليهم ، ويأتي رايونندو لـ Raimundo Lui في مقدمة هؤلاء ، فقد أقبل على الفكر الاسلامي بقلب مفتوح وعقل متحرر ، وترك ذلك اثرا واضحا فيما خلف من تراث ديني كاثوليكي ، كان معجبا بتقوى المسلمين مأخوذا بفضائلهم ، ودعا قومه الى ان يستهلوا كتبهم ورسائلهم باسم المسيح كما يستهلها المسلمون باسم الرسول ، والى فصل الرجال عن النساء في الكنائس ، وازدري الهيئات الرهبانية المنظمة والجماعات الدينية الرسمية ، والف بعض كتبه بالعربية اولا ثم ترجمها بنفسه الى اللغة القطلونية ، وعندما اشرف على كلية « ميرمار » للربان جعل تعليم اللغة العربية فرضا على طلابها .

مرت اللغة العربية كلفة مطلوبة من غير بنيتها بمراحل ثلاث ، تأثرت في كل منها بالهدف من تعليمها وبالفلسفة التربوية السائدة في عصرها .

ويمكن أن نرد اقدم محاولة للمرحلة الاولى الى مدرسة المترجمين في طليطلة ، وقد اقامها الفونسو العالم Alfonso El Sabio (1252 — 1284) واحتضنها رايونندو المطران (I) ، وهدفها نقل التراث العربي من رياضيات وفلك وطب وكيمياء وطبيعة وفلسفة ومنطق وسياسة الى اللغة اللاتينية ، ويقوم على العمل فيها أناس من أجناس مختلفة ، ولغات متباينة ، عرب واسبان ويهود ، وطريقة الترجمة ان يملئ المترجم النص العربي بالاسبانية الدارجة ، ثم يقوم آخر بنقله منها الى اللاتينية ، وعلى هذا النحو ترجم جانب من مؤلفات ابن سينا وابن رشد ، وبعض آثار الغزالي ، وكتب أخرى في الفلسفة شهت بها المدرسة ، فهرع الى طليطلة نفر من الاوربيين المتعطشين الى العلوم الاغريقية ، ولم تكن توجد الا في اللغة العربية ، يطلبونها لانفسهم ويدرسونها لحسابهم ، ولما كان حظهم من العربية متواضعا ، أو كانوا لا يعرفون منها شيئا ، فقد استعانوا بعمامة سكان المدينة ، يترجمون لهم حرفا بحرف مادة الكتاب الراغبين فيه الى الاسبانية الدارجة ، أو يعبرون لهم عن معناه في لاتينية ركيكة ، يقومون هم بصوغها في طابعها اللاتيني

- (1) Raimundo Martin قس من طائفة الدومينكان ، عاش من 1230 الى 1286 ، واصبح مطرانا لطليطلة ، ورجل الدين الاول في اسبانيا المسيحية ، عرف بتشجيعه لدراسة العربية وترجمة آثارها ، وكان هو نفسه يجيدها ، والف فيها معجبا لاتينيا عربيا ، وربما كان الاول في نوعه ، وقد نشره المستشرق الايطالي سكياباريلي Schiaparelli عام 1872 .

التعرف على روح المسلمين لتفتيت روح المتأومة فيهم، والامام بعدادتهم لحكمهم بأيسر السبل ، ونبش نقاط الضعف في تاريخهم لاثارة الخلاف ، وترجمة الكتب التي يحتاجون اليها لادارة البلاد المفتوحة ، ككتب المواريث والمعاملات والاحوال الشخصية ، وكثير منها كانت تجري ترجمته بأوامر صريحة من وزارات المستعمرات ، وترك هذا الاتجاه بصماته واضحة فيما كانت تعالج كل دولة من شـؤون المسلمين . عكنت فرنسا وإيطاليا على دراسة المذهب المالكي لانتشاره في شمال افريقية ، وانجلترا على دراسة المذهب الحنفي لانه السائد في الهند . وهولندا على دراسة المذهب الشافعي لان جمهرة المسلمين تسير على احكامه في اندونيسيا .

وبقي الهدف الديني قائما الى جانب الهسدف الاستعماري ، واتخذ شكلا اوسع وأقوى مما كان عليه قبلا ، فمع الاستعمار اتسعت حركة التبشير واصبحت أكثر شراسة وطعما ، وكان الفارق بينهم أن السياسي كل غايته أن يستطيع قراءة العربية ، وأن المثقف العامل له كل بغيته أن يستطيع الترجمة ، أما رجل الدين المبشر فكان عليه أن يتكلم ، وأن يجيد الكلام بلغة العامة ، لان اللسان طريقه الوحيد الى التأثير ، فعنى رجال الدين بالكلام واتاموا لهم أديرة عدة في جوانب مختلفة من العالم الاسلامي حيث تتكلم العربية ، هناك يستطيعون أن يتعلموها وأن يبرنوا جيدا على الحديث بها وفي لغاتها المختلفة .

وفي هذه المرحلة حدث القليل من التطور في طرق تدريس اللغة ، لكن اجادتها بلغت قدرا عاليا بفضل انتشار الطباعة ورخص الكتب نسبيا ، والاتفاق على تدريسها بسخاء ، واغداق المرتبات على عارفيها ، وتاليف المعاجم ، والحاجة الى التدقيق في ترجمة ما ينقل من العربية الى اللغات الاخرى ، لاقبال الاوربيين الشديد على الطب العربي ، وكانت اللغة العربية احدى اللغات التي يدرس بها الطب في أشهر مدارسه الاوربية في العصر الوسيط ، في مدرسة سالرن Salerno في ايطاليا ، ويقوم على تدريسها استاذ عربي لم يحفظ لنا التاريخ غير اسمه مجردا وهو عبد الله ، ثم خلفه في منصبه عربي آخر لعل اسمه يونس الفاسي العربي Ioannes Affilacius Saracenus

ولم يكد الاستعمار يثبت اقدمه في دنياه الجديدة حتى اثار تقاليد هذا العالم وأهله وتاريخه وآدابه فضول جامعات اوربا وعلمائها ، فكان أن نشروا

لكن « ل » لم يقف بجهده عند هذا القدر ، فمتقدم مدنوعا بأغراض تبشيرية الى المجمع المسكوني الذي عقد في فيينا عام 1311 بعدة إقتراحات ، كان تدريس اللغة العربية في الجامعات الاوربية الاقتراح الوحيد الذي قبل منها ، فصدر قرار المجمع بتدريس اللغة العربية في جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وسلمنقة ، وقبل هذا القرار كانت تدرس في مرسية وأرغون وشاطبة ومدن اسبانية أخرى . واذا كانت اسبانيا قد اندفعت في تعلم اللغة العربية مأخوذة بالتراث الاندلسي المتفوق ، فان ايطاليا — وكان البابا هو السيد الأمر فيها اذ ذاك — بدأت تشارك اسبانيا اهتمامها باللغة العربية ، فقد كان بين رجال الكنيسة من يحلم بفكرة ضم الكنائس الشرقية وتوحيدها في اطار الكاثوليكية ، وجانب كبير من هذه الكنائس كانت لغته العربية ، فانخفضت السياسة الدينية العناية بها .

ليس لدينا الآن معلومات كافية عن الطريقة التي كان يتعلم بها العربية الاجانب الوافدون الى اسبانيا ، او الاسبان المنعزلون عن المسلمين هناك ، وان غلبه على الظن أنها كانت تحمل طابع أواخر العصور الوسطى الاسلامية ، من استظهار القواعد والامام بالمفردات ، كل على حدة ، والامادة من ذلك في القراءة والترجمة ، اما الذين كانت تضطرهم ظروفهم الى التكم مع المسلمين فكانوا يأخذون لغتهم من الحياة بالاندماج مع الناس ، والاحتكاك بالجماعات ، والديرة على القول ، ولدينا اشارات كافية على أن « ل » اشترى عبدا مثقفا في احدى جولاته بالمشرق يعلمه العربية ويحادثه بها . كذلك نعرف ان الدراسات العربية اصطدمت بعقبة عدم وجود حروف عربية في أية مطبعة حتى قريب من نهاية القرن السادس عشر ، فاذا اريد نسخ نص عربي استخدموا قطع الخشب ، ونقشوا عليها النصوص بحروف عربية مكلفة لعدم تيسر خطاطين عرب آنذاك ، وفي عام 1580 تقريبا أعد فرديناندو فون ميدتيشي كرينال ثم دوق توسكانا مطبعة عربية في روما مزودة لأول مرة بحروف عربية ، فكان ذلك خطوة هامة في تقدم الدراسات العربية وانتشارها .

المرحلة الثانية صاحبت عصر التوسع الاوربي ، سقطت الهند في يد انجلترا ، واستولت هولندا على اندونيسيا ، وبلغ الصراع اشده بين تركيا وأوربا ، وفي هذه المرحلة توارى الهدف من تعليم العربية كأداة لنقل الثقافة ، وحل مكانه غرض سياسي يرمي الى

مناخا ملائها لكي تزدهر في رعايتها دراسات كبار مستشرقها ، وفي مقدمتهم سيلفستر دي ساسي De Sacy (1758 - 1838) ، وقدر لدراسة اللغة العربية وآدابها أن تساهم مصلح فرنسا في العالم العربي اتساعا وعمقا .

وما لبثت ألمانيا أن نافست فرنسا ، وتحولت لبيزج في القرن التاسع عشر ، على يد هاينريش لوبيريشست فليشر (1801 - 1888) انجب تلاميذ دي ساسي الى مركز هام لدراسة الحضارة العربية ، فقد كان فليشر أعظم مستشرق على أيامه ، وقدر له أن يكون ذا تأثير لم يتيسر مثله إلا للزور القليل من المستشرقين ، فاجتذب العديد من الطلاب من خارج ألمانيا وداخلها ، وغطت شهرته على معاصريه من المستشرقين الألمان .

نفس الشيء حدث في إسبانيا ، ومع أن دراسة اللغة العربية فيها بدأت قبل أي بلد أوروبي آخر ، إلا أن المتعصبين من رجال الدين الكاثوليك سيطروا عليها بعد إجلاء المسلمين عن إسبانيا فانحرفوا بها عند الهدف العلمي المستقيم ، واتخذوها وسيلة للحط من كل ما هو إسلامي وعربي ، فلما كان القرن التاسع عشر وهبت إسبانيا في مطلعها ونهايتها بمستشرقين عظيمين : فرانسيسكو كوديرا وخليان ريبيرا ، يجمعان إلى العلم الواسع بالعربية صفاء الضمير ، واستقامة الفكرة ، ونبل الغرض ، والإيمان بشرف الكلمة ، فعوضا إسبانيا في مجال الدراسات الإسلامية ما خسرته على امتداد خمسة قرون منذ أن بدأت مدرسة المترجمين في طليطلة تنقل روائع التراث العربي واليوناني المترجم إلى العربية .

إلا أن الذين جددوا في بلادهم كل شيء فاخترعوا المثير في عوالم المادة ، وابدعوا الرائع في دنيا الفن ، ودخلوا ما كان قبل عسيرا أو مستحيلا ، ونشروا المطوى من المخطوطات العربية ، وحققوا ما أصابه التشويه منها ، وتركوا تدريس اللغة العربية كما تلقوه ، لم يتقدموا به خطوة ولا أضافوا إليه جديدا . وعلى الجانب الآخر كان العالم العربي فقيرا متهاككا في بداية يقظته ، على عينه وقلبه وعقله بقايا وسن الرقعة الأخيرة ، ليس لديه ما يعطيه ، وقد استعانت

تراثه على هدى من مناهجهم الجديدة ، ودرسوا حضارته بروح محايدة في أحيان كثيرة ، ولكنه حياد لا يحول دون الخطأ متصودا أو لجهل في القياس والاستنتاج ، وانضم اليهم طائفة أخرى من المستكشفين والمغامرين والرحالة أغرموا بهذا الشرق العجيب المثير الساحر ، والعرب جل أهله ، وبلادهم أقرب مناطقهم ، فتعلموا العربية لغة يتفاهمون بها مع سكانه ، فلم يكن عامة الناس في هذه البلاد هاتيك الأيام ، يحسنون غير لغتهم الوطنية شيئا (1) .

لتحقيق هذا الغرض بدأت العربية تلقى اهتماما أكبر ، يتمثل في دراسة الأدب والتاريخ والحضارة إلى جانب قواعد اللغة ، فانشئ قسم اللغات الشرقية في جامعة ليدن عام 1613 ، وبه تحولت إلى مركز ضخم للاستشراق طوال القرن السابع عشر ، واشتهر بها توماس ارنيوس Erpenius (1584 - 1624) ، ثم خلفه فيها يعقوب جوليوس Golius فكان أول من أنشأ قسما للمخطوطات العربية نواة 250 مخطوطة عربية اشتراها أثناء سياحته في سوريا وتركيا وما تزال محفوظة في مكتبة ليدن حتى الآن ، ثم أضاف إليها وارنر Warner أحد تلاميذه ما يقرب من ألف مخطوطة قيمة ، وهكذا تحولت ليدن إلى مركز استشراقي عظيم يردده كل الراغبين في دراسة التراث العربي ، وكانت هذه المخطوطات الزاد الذي ازدهر بينه مستشرق هولندي عظيم هو رينهاردت دوزي . إلا أن دراسة العربية في جامعة ليدن لم تنفصل في البدء عن الدراسات اللاهوتية فظلت روح المبشرين مهيمنة عليها ، وجعل عالم مثل البرشت شولتنس Schultens (1686 - 1750) العربية وسيلة لدرس ما غمض في النص العبري للعهد القديم ، وكانت الفكرة السائدة إذ ذاك أن العربية لهجة عبرية .

وفي آخر القرن الثامن عشر آلت إلى فرنسا زعامة الاستشراق دون خلاف ، وكان انشاء مدرسة اللغات الشرقية في باريس عام 1795 خطوة هامة في طريق توطيد هذه الزعامة ، فقد أصبحت قبله الراغبين في تعلم اللغة العربية من كل جهات أوربا ، وكانت الدراسة بها قائمة لذاتها لا تهدف إلى خدمة اللاهوت ، ولا تخضع لنفوذ رجال الدين ، وكانت

(1) أصدق مثل لهذه المغامرة يتجلى في Domingo Badia الأسباني فقد درس العربية وأجادها كاهلها ، واتخذ لنفسه اسم علي بك العباسي ، وبه جاب العالم الإسلامي كله ، من المغرب الأقصى إلى العراق ، انظر مقالنا عنه في : المجلة ، ص 15 إلى 21 ، العدد 39 ، القاهرة مارس 1960 .

الجامعات الأوروبية في تلك الفترة بمدرسين عرب لرفع مستوى التدريس فيها ، فغسل الياس بقطر (1784 — 1821) كرسي اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وقام بنفس المهمة محمد عياد الطنطاوي (1810 — 1861) في كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبرج ، على حين تولى احمد فارس الشدياق (1805 — 1887) تدريسها في الجامعات البريطانية ، لكن احدا منهم لم يأت بجديد في طرق تدريس العربية او محاولة تذليل صعابها .

فلما كانت الحرب العالمية الثانية ، ومعها دال سلطان الاستعمار السياسي عن العالم العربي الا قليلا ، واحتلت شعوبه من اهتمام الدول مكانا رحيبا ، للموقع الذي تحتله على ظهر البسيطة ، وللدور الذي تضطلع به في مجال السياسة ، ولما تملك من ثروات مستغلة أو مخبأة لم تمسها يد بعد ، ولتقدم وسائل المواصلات ، وزوال الحواجز المانعة والمعوقة ، وانتشار السياحة ، وتطور الحروب النفسية واتخاذها من الكلمة المكتوبة والمذاعة سلاحا تغزو به وتهاجم وتحطم ، كل ذلك جعل من العربية واحدة من اللغات التي يزداد عليها الإقبال كل يوم اتساعا . واصبحت تطلب لاكثر من غاية : هدف سياسي لسم يتغير منذ أن كانت السياسة وان اخذ دائما شكل العصر الذي يوجد فيه ، وهدف ثقافي هو في خدمة السياسة كثيرا ويستقل عنها في قليل من الاحيان . وهدف اقتصادي هو الجديد على عصرنا ، يتمثل في عدد من الشركات الأجنبية الكبيرة تعمل على امتداد أرضنا . تدرس العربية لموظفيها ، وتدرس العرب لحسابها ، تدرس العربية جادة لان ذلك يرتبط بالانتاج والارباح ، وتدرس العرب علميا في حيدة لتستطيع في ضوء ما ينتهي اليه الباحثون ان تتعامل معهم ، وان تخطط لمعاركها بوعي . واختفى النشاط التبشيري أو كاد ، لان مجاله سد الى الابد في العالم العربي ، وفي غير العربي يجري بلغات أهله ، ولهم الاسلام ومواجهة مبادئه ، يعتد الفاتيكان على الكاثوليك من العرب ، والعربية لغتهم ، ومنهم فيها أدباء ومفكرون .

لكن الرجل المصري ، وقد نال من تطويع السكون ما اراد ، ومن تذليل الطبيعة ما جعله سيدا ، يريد أن يصنع الشيء نفسه في المجالات الثقافية ، لم يعد ذلك العاكف على كتابه في مكان قصي من الحياة ، يمضي معه اياما وشهورا . يستظهر كلمات وصورا وصفحات ، وتمضي الدنيا حوله ، لا يحس انها اختلست منه أجمل أيام عمره ،

وازهى سني شبابه ، انه يريد أن يبلغ من تعلم اللغة الشيء الكثير في الزمن القليل بالجهد اليسير ، ما دام يملك أن يدفع وفي ضوء هذه الفلسفة بذلت محاولات كثيرة ، من جانب الهيئات الأجنبية ، على امتداد اللغات الحية كلها ، لتذليل صعاب اللغات أمام الراغبين في تعلمها ، وفيما يختص باللغة العربية فان المؤسسات المالية الكبرى في الولايات المتحدة ، مثل « ارامكو » و « مؤسسة غورد » تنفق بسخاء على دراسات متوالية تقوم بها الجامعات هناك ، والهيئات المتخصصة مثل : « مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة هارفارد » و « لجنة الدراسات الخاصة بالشرقين الاوسط والادنى » التابعة لمجلس أبحاث العلوم الاجتماعية لتيسير سبل تعلم اللغة العربية ، وآخرها الحلقة الدراسية التي عقدت في جامعة ميتشجان عام 1961 لدراسة القضايا المتعلقة بالمصطلحات النحوية العربية ، ويسهم اليونسكو عادة بإمكانياته المادية والفنية في مثل هذه الدراسات ، ولو أن أحدا في العالم العربي لم يفكر في استغلالها بعد .

أما العالم العربي بجامعاته ومعاهده ، والجامعة العربية وهيئاتها الثقافية . فلم تعط الأمر أية عناية . ولم تقم بأية محاولة جادة لتيسير دراسة اللغة العربية للاجانب ، على الرغم من اعداد الطلاب الوفيرة التي بدأت تتجه الى جامعات الجمهورية العربية ومعاهدها وغيرها من جامعات العالم العربي ، من اقطار مختلفة ، تتكلم لغات متباينة ، وعلى الرغم من معاهدنا الثقافية الكثيرة ، المنتشرة في بلاد عديده لا تتكلم اللغة العربية ، وتجعل من تدريس العربية بعض رسالتها ، وعلى الرغم من الشقاء المسذل الذي يعانيه الطلاب الوافدون وهم يواجهون ، وربما لأول مرة ، لغة جديدة ، بلا كتاب معد ، ولا مدرس متخصص ، ولا معاجم ميسرة .

من الواضح ان لنا هدفا من تعليم العربية يلتقي مع أغراض الهيئات الأجنبية أحيانا ويخالفها أحيانا ، نحن نود أن يدرك الناس حضارتنا وواقعنا ، وأن تكون صلتهم بثقافتنا مباشرة ، لا تعبر اليهم عن طريق لغة أجنبية أخرى ، والا يقف جهد الدارس لها عند ماضي العرب الثقافي ، وانما يتجاوزها الى حاضرم المائل أيضا ، وأن يدرسها على نحو يدرك معه روح الامة العربية ادراكا يؤدي الى شعور بالوادة والقربى — كالذي كان من رايونددل — واذا كان الاقتصاد والسياسة يقفان وراء اغلب الجهود الأجنبية المعاصرة،

اليسير على أي عقل استيعابها لكن مشكلة النحو تبدأ عندما يرتبط باللغة نفسها ، أو بعبارة أصبح بالجانب التطبيقي منه .

ولدينا الآن حصيلة وأفرة من كتب النحو في كل اللغات ، منها الموجز المركز ، والمطنب الشامل ، من يجعل النحو غرضاً لذاته ، ومن لا يعطي منه غير القليل ، وفي كل منها جانب من خير ، لو جمع في كتاب واحد لاعطى خلاصة مفيدة ، لجهد عقول دراسة ، ومن هذا الخير حل مشكلة المجرّد والمزید ، فقد اتفق على أن صيغ الافعال — الثلاثي والمزید منه — عشرة ، لكل صيغة رقم تعرف به ، دون حاجة الى ذكر ما لحق الكلمة من تغيير أو زيادة ، وكان أول من اهتدى الى هذه الطريقة وطبقها فيما اعرف المستشرق الاسباني ميغيل اسين بلاثيوس استاذ اللغة العربية السابق في جامعة مدريد ، ومهد لها بمقدمة تجعل منها شيئاً عادياً في نظر الطالب الدارس لها ، يقول : كما يحدث في الافعال اللاتينية — أو الاسبانية — حيث تشتق من الصيغة الاصلية للفعل صيغاً أخرى بزيادة تلحق الصيغة الاولى ، وتعطيها معنى مخالفاً مثل Currere ففي اصل للانفعال الآتية incurrere أو concurrere و discurre و Transcurrere الخ كذلك يحدث في العربية ، تلحق بعض الزوائد الصيغة الثلاثية فتعطيها معنى جديداً ، قد يختلف عن معنى الثلاثي الذي اشتقت منه واورد الصيغ على النحو التالي :

الصيغة الاولى كُ كُر كَر فعل — بفتح العين
أو ضمها أو كسرهما
الصيغة الثانية كَتَّ كَرَّ كَرْ فعل — بتشديد العين
الصيغة الثالثة كَا كَرَّ كَرْ فاعل .
الصيغة الرابعة كَا كَرَّ كَرْ فاعل بتشديد الفاء
الصيغة الخامسة كَتَّ كَرَّ كَرْ فعل بتشديد العين
الصيغة السادسة كَا كَرَّ كَرْ فاعل .
الصيغة السابعة كَا كَرَّ كَرْ فاعل
الصيغة الثامنة كَا كَرَّ كَرْ فاعل
الصيغة التاسعة كَا كَرَّ كَرْ فاعل بتشديد اللام
الصيغة العاشرة كَا كَرَّ كَرْ فاعل

فعلينا ان نفيذ من هذه الجهود وان نحولها لصالحنا ، فاجادة الاجانب للغة العربية هي الطريق الوحيد ، وليس ثمة طريق آخر ، لعالمية الادب العربي ، فقبل ان يصبح ادب ما عالمياً ، لابد ان يكون هناك من يحسن قراءته وتذوقه وفهمه وترجمته ، من غير بنيه ، واعنني هنا الترجمة التي تأتي عن اقتناع ، لا التراجم الشبيهة بالرسمية ، فاتها قد تختار نصوصاً ، ليست هي الافضل دائماً ، من شعر أو قصص أو ابحاث ، ثم يعهد بها الى مصريين ينقلونها الى الانجليزية أو الفرنسية مثل هذه التراجم لا تقرأ ، وانما تأخذ مكانها بعد قليل اكوام من الورق في المخازن ، لان اجادة المصري للغة الاجنبية لا تعني انه قادر على ان يكتب بها ادباً ، بل ليس كل انجليزي أو فرنسي بقادر على ان يكتب في لغته ادباً ، ومن هنا فمان العملي ان تنفق الاموال المرسودة لمثل هذه التراجم على كراسي تنشأ للغة العربية في جامعات العالم الكبرى ، اذا لم تكن ، فان كان بها كراسي عاضدناها بالمال والكتاب والاستاذ ، ووطدنا صلة القائمين عليها بأدبنا ، وسهلنا لطلابنا بالمنح المجيء الى بلادنا ، لتعميق دراستهم للغة ، وربطهم بالادب ، وعندما يكون لنا في كل لغة طليعة من الشبان المثقفين الجيدين للغة العربية ، ويومئذ ، سيأخذ الادب العربي بمختلف طعومه طريقه الى العالمية ، دون قرار من مؤتمر أو توصية من لجان (1) .

ادراك الصعوبات التي تواجه الاجنبي في تعلمه اللغة العربية هي الخطوة الاولى في تطوير طرائق تدريسها ، والواقع ان كثيرين منا بحكم التربية التي تعلموا على اساسها في المدارس ، أو استجابة لرد فعل نفسي ضد القواعد ، يتصورون ان النحو هو اشق ما يواجه الطلاب الاجانب . ومن تجربتي مدرسا للغة العربية في كلية الآداب بجامعة مدريد لبعض الوقت ، ولعابن في جامعة الجزويت بكولومبيا ، فان اسهل ما يواجه الطالب الاجنبي هو النحو ، اذا درس قواعده مجردة ، ذلك ان احكامه المنطقة تجعل من

- (1) ان اثنين من الاسبان الشبان جاءا القاهرة على منحة ، هما الآن اُلع عالين بالعربية في دنيا الاستشراق ، اما اولهما Pedro Martinez المدرس في كلية الآداب بجامعة مدريد ، فقد نشر ترجمة لاختارات من الشعر العربي مع مقدمة دراسية . ثم مجموعة من القصص لطائفة من الكتاب المصريين والثاني هو Federico C. de Cordoba ويعمل مدرسا في كلية الآداب في تطوان بالمغرب ويقوم الآن بترجمة عودة الروح لتوفيق الحكيم ، ومنديل ام هاشم ليحيى حتي ، والمعلقات السبع من الشعر الجاهلي ، وكلاهما شارك في ترجمة مسرح الحكيم الى الاسبانية ، واعمال اخرى لا تحضرني الآن .

أصبح استخدام الأرقام لهذه الصيغ مقبولا من الطالب ، ويجري عليه العمل كشيء مسلم به ومفهوم بذاته ، ويرمز بها في المعاجم اختصارا ، بدلا من إيراد صيغة الفعل نفسها ، أو تكرارها كلها اختلف المعنى بحسب الزيادة التي لحقت . وقد يكون من المفيد لنا أن نضمنها كتبنا التي نعلم بها اللغة العربية للجانب ولأبنائها ، فإن استخدام الأرقام للصيغ أوفر في الوقت والجهد ، واستخدامها في المعاجم العربية يختصر ثلث حجها على الأقل ومن هذه الصيغ على الترتيب السابق يجرى المضارع والامر واسم الفاعل والمفعول والمصدر ، وإذا استثنينا الصيغة الأولى في اضطراب مصادرها ، فالبقية تجيء مصادرها على القياس دون خلل أو اضطراب . ولا يجد الأجنبي عسرا في فهم أسماء الزمان والمكان والآلة ، لأنها تجري في اشتقاقها على قانون لا يختلف ، وتجاوز عدد من الحالات الشاذة مندوحة حسنة ، لا يخسر معها الأجنبي منها من اللغة ، ويربح كثيرا من التيسير والتيسيل .

لكن المشكلة العويصة التي يدور معها رأس الأجنبي ، ويجد نفسه أزاعها غريبا في طوفان من الصيغ والإشكال والتواعد فتأتي من جموع التكسير ، إنها تجري على غير قاعدة ثابتة ، وصيغة كثيرة العدد ، واستخدامه في الشعر والنصوص كثير ، ويرد في الأدب وفي الحياة اليومية بأكثر مما يرد أي جمع آخر ، ومن هنا يحسن أن نقوم بعملية استقراء للجموع الأوفر ورودا في لغة الحياة اليومية وأن نبوها ، ونقيم لها الأسس التي تجري عليها ، ونهمل ، في المراحل الأولى على الأقل ، تدريس الصيغ الأخرى للأجنبي .

من العسير علينا أن نستعرض في صفحات محدودة النهج الذي نريده كاملا لتعليم النحو للأجانب ، فلا بأس أن نقف عند النقط الجوهرية ، وأن نترك التفاصيل لمكانها . والمنهاج كما اتصوره يجري على مرحلتين ، الأولى للبتدئين ، وتتطلب أن نأخذ الطالب برفق وعناية ، نهد بالامل ، ونحبه على الجهد ، فإذا وجد نفسه خاتمة المطاف قد تعلم شيئا ، وأنياد جديدا شجعه ذلك على المزيد من القراءة ، والادب على الدروس ، والاستمرار في نفس الطريق . وهي قبل ، حصيلة تجارب يمكن أن تعدل في ضوء تجارب الآخرين إضافة وحذف وتحوير . وأول ما نبدأ به هو كيفية نطق الأصوات ومخارج الحروف ، وتركيب الكلمات ، ثم أداة التعريف على أن نقرنها بما أهله القداء وهو أداة التنكير ، وقد تعورف على

دراستها في العربية تحت اسم « التثوين » وفي الدروس الأولى يتلقى الطالب اللغة تلقينا ، أمثلة مسلمة ، ينطقها ويفهم معناها ويحفظها تاركا التعلييل والتفسير لمرحلة تالية .

ومن هذه الخطوة إلى أقسام الكلمة : الاسم والفعل والحرف ، نهد بها مباشرة إلى الجملة بقسميها ، الفعلية والاسمية ، على قاعدة البدء بالكل والانتقال منه إلى الأجزاء والتفاصيل ، وفهم الجملة اسهل من فهم الكلمة ، والكلمة اسهل من الحرف . ومع الجملة الفعلية تبدأ دراسة الفعل الثلاثي الصحيح . المفتوح العين أولا ، فالمكسور منه ، ثم المضموم ، وأعني بدراسة الأفعال هنا استخدامهما في الجمل ، وهي تكون جل أفعال اللغة ، فإذا أمضى الطلاب أيامهم الأولى يدرسون ، وينبهون إلى شواذه ، أمكنهم أن يواجهوا خطواتهم الأولى بحصيلة هائلة من الأفعال ، ثم مجيء المضارع من هذه الأفعال مع المزاوجة بين شرح قاعدة التصريف وتلقين الضبط الداخلي للفعل ، واشتقاق اسم الفاعل والمفعول ، وقاعدتها وهي لا تختلف ، وبالتدريب على اشتقاق هذين الاسمين يبدأ الطلاب المران على الجملة الاسمية ، ومع دراسة الجملة الفعلية يدرسون الأمر ، ونفي الماضي والمضارع ، والضمائر التي تلحق الفعل ، ومع الاسمية يدرسون جمع المذكر ، وجمع المؤنث ، والصور الجارية لجمع التكسير ، والضمائر المنفصلة وضمائر الملكية ، ثم المثني أخيرا ، وعلى امتداد الفترة كلها يدرس الطلاب أسماء الإشارة ، للفرد أولا ، ثم للجمع ، وللمثنى أخيرا ، وحروف الجر الشائعة الاستعمال ، والأرقام والتذكير والتانيث . في المرحلة الثانية ، يبدأ الطلاب ، وبالتدريج ،

دراسة صيغ الثلاثي المزيد ، ماضيها ومضارعها . وما يشتق منها من أسماء الفاعل (ويتضمن صيغ المبالغة) وأسماء الزمان والمكان والآلة ، ومصادر الأفعال المزيدة وجلها قياسي ، أما مصادر الثلاثي نفسه فتلقن كأمثلة للطلاب طوال فترة الدراسة ، ثم تعطى لها بعض الضوابط في آخر المرحلة ، ويدرس الطلاب أيضا المبني للمجهول ، والأفعال المعتلة ، وليس من الضروري الضغط على كلمة علة هذه ، فيمكن أن يقال إنها حروف ذات وضع خاص ، وجودها في الكلمة يعطيها وضعها خاصا في التصريف والتغييرات التي تطرأ على المضارع عندما يسبقه ناصب أو جازم ، ويقال عنها أنها أداة وليس من الضروري أن يعرف الطالب أي حروف أم أسماء ، والشرط وجوابه ، والأسماء الموصولة والنسب ، والتغييرات التي تدخل

على الجملة الاسمية عندما تسبقها ان واشباهها ، دون تعرض للافعال الناسخة ، ويكتفي بدراسة هذه كأفعال عادية تماما .

أما التراكيب التي لا تعرض الا قليلا كصيغ التعجب والتصغير . فيكتفي بالإشارة اليها في آخر المرحلة ، على أن تدرس مع بعض القضايا النحوية الأخرى في المراحل التالية .

مع هذه القواعد فإن الضبط الخارجي للكلمة ، وهو الذي يحدده الاعراب ، لن يكون عسيراً ، وتبقى مشكلة الضبط الداخلي ، وبخاصة عند التفرقة بين أنواع الفعل الثلاثي وعند صوغ المضارع منه ، وهو ما لا سبيل الى معرفته غير شكل الكلمات وقراءتها وتكرارها .

فاذا تركنا النحو فما يأتي بعده في الاهمية هو اللغة نفسها ، اعني مفرداتها .

والهدف منها أن نمكن الطالب من أن يتحدث بلغة عربية صحيحة غير متعمرة ، وأن يفهم الاذاعة ، ويتذوق الادب ، ويدرك مرمى القصة ، ويحسن استخدام المصادر القديمة اذا تقدم في الدرس ، وأمن في التحصيل ، مستعينا بالمعاجم العربية الخالصة أو ذات الشروح الأجنبية .

ولتحقيق هذا الهدف يجعل بنا احصاء الكلمات الأكثر دورانا على اللسنة ، باستقراؤها من الصحف والمجلات والاذاعة ، والنصوص الادبية المعاصرة ، وكلمات الحياة العادية ، والامر ليس بجديد ولا عسير فهناك بعض مؤلفات اجنبية كتبت في هذا الامر ، بعضها جمع مفردات من العالم العربي كله ، وبعضها قام على احصاء ما يدور في حياة دولة واحدة ، وكلا الاتجاهين محاولة طيبة ، لكنها غير كاملة ، لنقص امكانيات القائمين بها ، على الصعيدين العلمي والمادي . في البدء علينا أن نعني بتعليم الطالب اللغة المكتوبة ، لا اللغة الادبية ، وهما معنيان يجتمعان أحيانا في لغة واحدة ، ويختلفان أحيانا ، فاللغة المكتوبة هي لغة الحياة العادية ، غير العامية ، وتتميز اللغة الادبية عنها في غالب الاحيان ، لان رجال الادب في كل الاقطار من شعراء وقصاص وكتاب ، يكونون طبقة لها تقاليدها وعوائدها ، وللغتهم خصائص متميزة ، تتطلب تهيئة وترويضاً وتثقيفاً عالياً ، وهي تغاير اللغة المكتوبة ، رغم تنوعها

العديد فيها بينها . وعلينا أن نعطي اهمية قصوى للكلمات ذات المعاني المحددة ، الخاصة بالمفاهيم المادية العملية ، ثم تأتي بعد ذلك الكلمات التي تدل على معان أكثر تجريداً ، على الا تقدم للمبتدئ مفردات لا تجديه شيئا ، لان الهدف في المرحلة الاولى ان تكون لديه حصيلة من كلمات مفيدة ، والكلمات التي يتيسر وجودها في نص ادبي ، ولا تستخدم في الصحف أو الاذاعة ، وانما يقتصر مجالها على الحديث العام ، يمكن أن تضمن بطريقة طبيعية في حوار أو نصوص للقراءة تدور حول بعض المشاكل المعاصرة .

هناك حاجات مشتركة بين جميع الناس ، ولهذه الحاجات مفردات تكاد تتساوى في عدد الكلمات ، على امتداد العالم طوله وعرضه ، ومن دراسات قام بها قس في احدى القرى الانجليزية تبين أن الكلمات التي يستخدمها فلاح امي لا تتجاوز 300 كلمة ، وهي الحد الأدنى لما يعرفه انسان في مثل ظروفه ، ومن جانب آخر أجريت احصاءات لبعض الكتب الادبية ، فوجد ان العهد القديم يضم 5642 كلمة ، وان العهد الجديد يضم 4800 كلمة ، وان مفردات ادب شكسبير تبلغ 15 ألف كلمة ، والفاظ ملتن تبلغ 7 آلاف كلمة . ومن هنا يمكن أن نستنتج ان امداد الطالب بحصيلة من المفردات تبلغ ثلاثة آلاف كلمة في مؤلفين ، الاول يضم ألف كلمة ، والثاني الفين ، يقضي الطالب بعد دراستها مرحلة تعمق واجادة ، يكفي لان يبدأ مرحلة التخصص والعكوف على الادب القديم لمن يريد .

لم تجر عملية احصاء هذه المفردات في العالم العربي بعد ، ولم يتم احد بدراسة معاجم ادبائنا ، كم يستخدمون من الالفاظ وماذا يؤثرون ، والى أن يتم ذلك ، يمكن أن نستعين بالاحصاءات التي قام بها الاجانب ، ويمكن أن نعهد الى القائمين بالعمل في اذاعتنا الموجهة اعداد جذاذات للكلمات التي تمر بهم يوميا في تراجهمم للاخبار والاحداث ، يكتبونها بالعربية الى جانب اللغة الاجنبية التي اذيعت بها ، وترتب هذه الجذاذات وتدرس على نحو منهجي ويختار من بينها الالفاظ الأكثر دورانا ، وقد تصلح في الوقت نفسه لعمل معاجم لبعض اللغات التي لا توجد فيها معاجم للعربية ، كالاسبانية والبرتغالية (1)

(1) في صيف 1964 زرت القسم العربي في محطة الاذاعة الفرنسية ، فوجدتهم يصنعون شيئا كهذا باشراف المستشرق الفرنسي شارل بل ، الاستاذ في جامعة باريس ، وفيما قيل لي فان لجنة مماثلة تقوم بنفس العمل في محطة الاذاعة البريطانية .

عند توالي حروف متشابهة ، لاعطاء الكلمة شكلا أكثر جمالا وانسجاما في عين القارئ ، فيصعدون ببعض الحروف لغير ضرورة ، مما ترك أثرها في حروف الطباعة ، فكلية يتبينون مثلا يمكن أن تكتب بالصعود بالتاء ثم بالباء ثم بالياء ثم بالنون مما يوقع القارئ المبتدئ في اضطراب ، ويحسن أن تلتزم صورة الحرف العربي شكلا موحدا ، كانت في وسط الكلمة ، كما سبق ، أو في أولها ، على نحو ما تكتب عليه النون في « نهر » و « نهر » أو آخر كما تكتب الميم في « قلب » و « قلم » أو وفي الكتاب الاول ، وربما الثاني أيضا ، من المفيد أن يؤدي الرسم دوره الى جانب اللفظ في توضيح المعنى ، وبخاصة في الاسماء ، وأن رسم قط الى جوار حروفه ، يجعلها اثبت في الذهن ، وادل على المعنى ، واوفر في الشرح .

من المؤسف أن تدريس اللغة العربية للاجانب يقوم على كتب مؤلفوها في معظمهم من الاجانب ، وأغلبها عتيق النص والمنهج وهي ضارة ومؤذية وجارحة لكرامة الانسان العربي وشعوره ، تتحدث عن قضايا عفا عليها الزمن ، وتستخدم أسلوبا مسجوعا ركيكا ، انطوى عصره وذهبت أيامه ، واذن فلا بد لنا من كتب نصنعها نحن ، كتب للقواعد بتدريباتها ، وللقراءة المبسطة ، وللادب المعاصر ، وللادب العربي في زاهر أيامه ، ولن يؤدي كتاب واحد من هذه الكتب الادبية رسالته ما لم يضبط الضروري من الفاظه ، ويلحق بآخره معجم صغير Glossaire تترجم فيه الالفاظ الصعبة وغير المتداولة الى اللغة التي يعد لطلابها ، انجليزية أو فرنسية ، على قواعد الفصحى ونهجها .

وقد اثبتت التجارب ان الطلاب الاوروبيين يقبلون على دراسة اللغة العربية بحاسة ثم ينصرفون عنها عندما يشعرون ان اللغة التي يبدلون الجهد في دراستها ليست هي اللغة التي يتحدث بها الناس في اي بلد عربي يمكن أن يذهبوا اليه مستقبلا ، ولسد هذه الثغرة علينا أن ننشر عددا من المسرحيات المعاصرة لكبار كتابنا ، على النحو المتقدم ، ففيها لغة الحياة ، وفيها الحوار الذي تأنس اليه النفس وتألفه ، ويعين الاجنبي على أن يلتقط من كتاب ادبي الكثير من التماثيل الدارجة ، الجارية على قواعد الفصحى ومنهجها .

واعتقد ان على الجامعة العربية ان تعطي هذا الامر بعض جهدها ، من اعداد اللجان ، وتاليف

يراعى في القطع الموضوعية والمختارة ان تكون مفيدة للطلاب ، تمده الى جانب اللغة بالجديد في معارفه عن حياة الشعوب التي يدرس لغتها ، وان تتجه هذه المعرفة الى الحضارة ما امكن ، وان تتعد عن المعالجة المباشرة لقضايا السياسة ، وان تلتزم جانب الصدق دون مغالاة . وكتب تعليم اللغة العربية التي وزعها خصومنا في الخارج لا تهاجننا مباشرة ، ولا تتعرض للسياسة ، لكن الدارس يخرج بعد دراستها وفي ذهنه صورة كريمة للعالم العربي تحتاج الى جهد سنين لانتزاعها من اعمائه . انها تعطي القاعدة العلمية وهي محايدة ، ثم تنتقل الى القراءة وهي موحية ، فلا تكون نصا ادبيا جميلا ، ولا قطعة شعرية نابضة بالانسانية ، ولا حقيقة تاريخية ثابتة ، وانما تتحدث عن امثال : « الاعرابي والنخلة » ، « بدوي يتيه في الصحراء » ، « الراعي وغنمه » ، من كل ما يهدف الى تحقير المتكلمين بالعربية وابرازهم في صورة المجردين من كل حضارة عصرية .

وتشكل الكلمات كاملة ، وبصفة خاصة في المراحل الاولى ، لان الشكل — في نظر الاجنبي — جزء من بنية الكلمة ، اهماله يجعل الكلمة تفقد احد عناصرها ، فيعجز الطالب عن فهم المراد من اللفظ ، فلا يدري في مثل « جمع » اهي اسم أم فعل ، واذا كانت فعلا اهو للمعلوم أم للمجهول ، ثم نتخفف من الحركات شيئا فشيئا ، الى ان يتعود الطالب القراءة دون غير الضروري من الشكل في المرحلة الاخيرة ، وليكن ذلك من الكتاب الرابع مثلا ، ويمكن التخفف بدءا من بعض الحركات بما لا يتعارض مع الغاية منها ، فلا تكتب الفتحة مثلا وتكون مفهومة عند اهمالها ، الا اذا كانت حركة للواو أو الياء في مثل (صور — جيل) ، وتعتبر حروف العلة مدا ما لم تضبط بالشكل ، اما الشدة والمدة وهمزة القطع فانباتها أمر جوهري ، ولا ضير ، بل يكون ضروريا ، أن يكتب نطق الكلمة بحروف لاتينية في المرحلة الاولى ، وأن يوضع للحركات قاعدة يتفق عليها ، وتصبح محتذاة عالميا ، وأن يتفق على رأي ، هل يكون النقل حرفيا ، فنكتب الكلمة دون اعتبار للنطق الحقيقي ، فيقال al-Dâr أم يكون النقل صوتيا وصفيا ، وحينئذ ننقل الكلمات كما ينطق بها ، فيقال ad-Dâr

عند الكتابة للاجانب يحسن ، في المراحل الاولى ، التخلص من الزخارف الخطية التي يلجأ اليها البعض

الكتب ، وإقامة المعاهد ، وتنسيق الخطط بين دولها في هذا المجال وحث المتخلف منها على أن يأخذ بحظ من هذه الرسالة الجادة ، وأن تعين دور النشر الكبرى التي تخصصت في إصدار كتب اللغات ، بالخبراء والفنيين ، وأن تخطو الخطوة التي شملت لغات كثيرة وما زالت العربية محرومة منها ، وهي التعليم عن طريق الاسطوانة والاذاعة والاشترطة المسجلة ، وأن تحيط دوائر الاستشراق في الخارج بما تنتهي اليه الدوائر العلمية في العالم العربي من تطوير في مناهج اللغة العربية ، يتصل باللغة أو الكتابة أو النشر ، كاختصار اشكال الحروف العربية ، وإصدار المجمع اللغوي في القاهرة كتاب « المعجم الوسيط » وأن تفكر على المدى البعيد ، فتقوم بتوحيد كثير من المترادفات التي تستخدم للمعاني الجديدة ، ففي كل دولة من دولها لفظ والمعنى واحد ، فيتحتس على الطالب الاجنبي أن يحفظ لمقابل الكلمة الاجنبية الواحدة عددا من الكلمات العربية ، فكلمة Vice-Président يعبر عنها بكلمات : نائب ، ووكيل ، وخليفة ، وكاهية ، ومساعد .

ذلك ، في ظني ، عمل أولى بالالفوف من الجنيهات التي رصدت لترجمة أعمال شكسبير !

لكن هذه النيات الطيبة يمكن أن تنتهي كلها الى لا شيء اذا لم يسبقها الاهتمام بتكوين جيل من الاساتذة يتخصص في تدريس اللغة العربية للاجانب ، والتخلي عن فكرة ان كل من تكلم العربية قادر على تدريسها ، فمعرفة اللغة شيء ، وتدريسها للآخرين شيء آخر ، فاذا كان هؤلاء الآخرون اجانب يتكلمون لغة أخرى كانت الحاجة الى التخصص اشد . والعناية بالاعداد ادعى ، وقيام مدرسين تاريخ - مثلا - بتدريس اللغة العربية ، أو ارسال خريج في مدرسة الالسن ليشغل كرسي اللغة العربية في إحدى الجامعات الاسبانية ، مجرد أنه درس الاسبانية ، ضار باللغة وبنا وسبعة الادب العربي ، وبثقافتنا المعاصرة بوجه عام . وترك تعليم اللغة العربية في رعاية الاساتذة الاجانب ، يجعل منها امام الطلاب شيئا أشبه بالظلام ، وبمعني شهدت راهبا يدرس الادب العربي ، في إحدى جامعات أوربا ، ولا يعرف من العربية غير قراءة الرسم ، واستخدام المعاجم ، لا يحسن نطق كلمة ، ولا يتذوق تعبيراً جميلاً .

ولابد من اعداد المدرس العربي في اللغة التي يستخدمها الطلاب الذين يدرس لهم ، وأن يكون على قدر من ثقافة يدرك معه وجوه الخلاف بين اللغات الهندية الاوربية واللغات السامية - مثلا - ويعي المفاهيم المختلفة للتحليل النحوي بين هاتين المجموعتين ، والمصطلحات النحوية المتعلقة بالالفاظ وتركيب الجمل على نحو اخص ، وما يوجد في العربية وليس له مقابل في هذه اللغات أو العكس . وأن أشق ما يواجه الاجنبي هو أن طريقة التفكير تختلف من لغة الى أخرى اختلافاً بينا ، وأن تركيب اللغة في العربية يختلف عنه في اللغات الاوربية الحديثة ، وسوف يحس الطالب بسرور ، وهو يواجه للمرة الاولى الاشكال الغربية للرسم العربي ، اذا عرف أن خمسة حروف من الابجدية العربية لها شكل واحد ، وانها تختلف فيما بينها بالنقط ، وهي بثلاثة ، وأن ثلاثة أخرى لها نفس الشكل ويفرق بينها بالنقط وهي : ج ح خ ، وهكذا . وأن المثني ، على دهشة الاجنبي منه ، ليس شيئا خاصا باللغة العربية ، فقد كان موجودا في الهندية الاوربية قديما ، وما يزال موجودا بعد في اللهجة السلوفينية في يوغوسلافيا ، وفي صوراوية اللوزاس (اقليم بين المانيا وتشيكوسلوفاكيا) والحق أن صورة المثني بدأت تختفي في لغة الحياة العادية من زمن طويل ، ولولا القرآن لاختفت من اللغة الادبية ايضا .

وأن يعرف أن العربية تعبر عن الفكرة الرئيسية بالسواكن ، وعن تفرعاتها الثانوية بالحركات ، ومن ثم فإن التصريف يتم داخل الكلمة غالبا ، مما يسمح لها بصوغ عدد من المشتقات دون حاجة الى لواحق ، فنحن نقول كتب ، كاتب ، كوتب ، كتاب ، كاتب ، وهو ما لا يمكن بلوغه في لغة أخرى دون التجاء الى اللواحق . وأن الصعوبات التي تواجه الطالب الاجنبي تتمثل في تعلم الكلمة الاولى ، وفي الانتقال من قراءة النصوص المبسطة بالشكل الى النصوص المجردة منه ، وفي تخطي قراءة الجمل المتفرقة الى قراءة نص كامل ، وأن تكرار المفردات والجمل البسيطة يعين الطالب على اجادة النطق ، وارهاف السمع ، مختارا من الالفاظ اكثرها دورانا على اللسان وشيوعا في الحياة ، متجنباً المفردات القليلة الفائدة ، أو النادرة الاستعمال فاذا استطاع طالب بعد قليل من الزمن أن يقرأ عنوانا في صحيفة أو يلتقط جملة من اذاعة فيسكون ذلك دافعا له على الاستمرار في الدرس ، والمضي في الطريق الى نهايته .

إقليمية اللهجات العامية

أكبر محطة على علم صلاحياتها

الأستاذ إلياس زنتيس

الجامعة الحرة (امستردام)

تري فيه فارقا بين لهجة دمشق ولهجة حلب مثلا .
حتى في فلسطين القطر الصغير يوجد فرق بين
لهجة غزة ولهجة حيفا والجليل .

فما بالك بأقطار متعددة متباعدة جاورت وخالطت مع
الزمن شعوبا متعددة، ومن هذا الاختلاط تولدت فيها
لهجات ودخلت فيها كلمات خاصة بذلك القطر
لقرته من أحد الشعوب التي تجاور حدوده . فالمعراق
الذي يجاوره الترك والفرس والقوقاز له لغة عامية
غير التي في الشام او مصر او غيرها وكذلك المغرب
وشمال افريقيا له لغة عامية لا تفهم تماما في باقي
الأقطار العربية . فاي من هذه اللهجات هي اللغة
العامية التي نريد أن نتخذها أداة للتفاهم
كما يقول البعض : فالدكتور انيس فريضة يريد أن
يكتب باللغة العامية اللبنانية وهو لا يقدر أن يكتب
بغيرها . والاستاذ محمد تيمور يعني باللغة العامية
المصرية والفرق بينهما كبير . وإذا قام كل قطر
يكتب بلغته العامية ففي ذلك لمعري بليلة وأي بليلة
ونحر اللغة العربية بيد أصحابها وأبنائها .

وقد أحسن عهد الادب العربي الدكتور طه
حسين الرد على فكرة اتخاذ اللغة العامية اذ قال :

« أحب ان ألقت نظر ادبائنا الذين يطالبون
بالالتجاء إلى اللهجات العامية إلى شيء خطير ما
أرى أنهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير . هو أن
العالم الغربي الآن ، وكثيرا من أهل العالم الشرقي
كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير
عن ذات نفسه وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره
المتباعدة فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية
فيمعن كل قطر في لهجته وتمعن هذه اللهجات في
التباعد والتدابير ، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن

كثر الكلام والجدال في الآونة الأخيرة حول اللغة
الفصحى واللغة العامية وكيف يمكن الوصول إلى
اتفاق بينهما والفرق البعيد في الكتابة والتخاطب بينهما
ودعا بعضهم إلى التأليف في اللغة العامية لسهولة
وتعبيرها عن أفكار العامة ببساطة وطرح اللغة
الفصحى جانبا لصعوبتها للذين لم يتعلموا هذه
اللغة في المدارس ولتعتيدها كما يقولون . كما دعا
بعضهم إلى الكتابة بالأحرف اللاتينية أسوة بالأتراك .
ودعم بعضهم حججة بأقوال بعض الأجانب الذين
يتغلبون اللغة العربية في أوروبا على الطريقة
الفصحى فإذا قدموا إلى بعض الأقطار العربية
متعجب عليهم التفاهم والتخاطب مع عامة الناس
فيها .

ولمعري ان الموضوع ذو أهمية كبيرة ليس في
البحث عن أي من الطريقتين يجب أن نتبع ، بل ان
أهمية الموضوع كامنة في أن نحسم الجدل فيه ونقل
من الكلام حوله حتى لا يتشعب الرأي وحتى لا
يتسلل أدنى شك في لغتنا الفصحى يدعو إلى وصفها
أو يرميها بالعقم وعدم مجاراتها لروح العصر
وعجزها عن مجارة اللغات الأخرى في العلوم
والفنون . ولذلك أرى أن لا تترك مجامعنا اللغوية
هذه الفكرة تنمو في عقول الناس بفتح باب
الجدل والنقاش حول هذا الموضوع إلى ما لا نهاية له .

أين توجد اللغة العامية ؟

ان البلاد العربية اقطار شاسعة واسعة
تبتد من المحيط إلى المحيط . فهي ليست قطرا واحدا
حتى يكون له لغة عامية واحدة . وحتى في القطر
الواحد توجد فيه عدة لهجات . فالمصعيد المصري
له لغة عامية غير التي في البحري وكذلك السوري

يترجم الى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين ويحتاج اهل سوريا ولبنان والعراق الى مثل ما يحتاج اليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية الى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الايطاليين والاسبانيين وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين .

ولنسأل انفسنا آخر الامر ايها خير ان تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى يفهمها اهل مراكش كما يفهمها اهل العراق ، ام ان تكون لهذا العالم لغات بعدد الاقطار التي تتألف منها ، وان يترجم بعض عن بعض ؟ اما انا فاثور وحدة اللغة هذه فهي خليقة بان يجاهد في سبيلها المؤمنون بها وبان يضحوا في سبيلها بكل ما يملكون .. »

هذا هو رد زعيم الادب العربي ولعمري انه احسن رد على الداعين لاتخاذ اللغة العامية .

ما هي اللغة العامية ؟

كانت اللغة في الجزيرة العربية لغة فصحي رغم تعدد اللهجات التي كانت في المناطق المتعددة من الجزيرة وكانت ارتقاها لغة الحجاز ونجد . وبما ان الحجاز كان ممرًا للتجارة وكانت مكة مكانا للحج فقد كانت قرى اقوى البطون العربية واكثرها نفوذا من اثر التجارة والحج فقد غلبت لهجتها على غيرها من اللهجات . فلما جاء الاسلام نمت لها واصبحت لهجتها هي العليا وصارت لسان النبوة والملك والعلم والفصاحة . فلما خرج العرب من جزيرةهم وعاشروا غيرهم من الشعوب في الممالك التي اخضعوها لسلطاتهم خافوا على لغتهم من التحريف واللحن . ولما جاء احدهم الى زياد بن ابيه والي العراق وقال له : « اصلح الله الامير ، توفي ابانا وترك بنون » اوعز الامير الى ابي الاسود الدؤلي ان يضع للناس ما يقيمون به كلامهم فقام بوضع علم النحو . واخذت الفيرة غيره من العلماء فوضعوا ما اشكل من ابواب اللغة . وهكذا اصبحت اللغة ذات قواعد ثابتة وكثرت المؤلفات في مختلف علوم اللغة والبلاغة وكثر الشعراء واصحاب الرسائل فامدوا اللغة بكنوز وافرة من بنات افكارهم وقام الائمة في جميع الاحاديث النبوية وكتبوا التفاسير ووضعوا الفقه . وقام التراجمة بنقل العلوم عن اليونان والهنود وغيرهم ، وهكذا مع الزمن صار للعربية رصيد عظيم في العلوم والآداب لم يكن لامة من الامم واصبحت خزائن الكتب في العالم تمتلك مئات بل آلاف المؤلفات العربية في شتى العلوم والآداب .

فماذا نعمل بهذا الميراث العظيم وهل تقطع صلتنا به ونتخذ العامية لغة لنا ؟

واذا اخذنا باللغة العامية ودرجنا عليها وانخلناها مناهج التدريس بدل اللغة الفصحى ثم اراد الواحد منا ان يدرس مناهج دينه في القرآن والحديث والفقه او دراسة الادب العربي والبحث فيه وجد ذلك من اصعب الامور واضطر ان يدرس لغة غير التي درسها وتعود عليها . ان الاخذ باللغة العامية سوف يبعدنا عن فهم الادب العربي قبل الاسلام ويغده ويضيع منا تراث ضخم تحسدها عليه جميع الامم .

وقد قام احد الذين ينادون بالعامية الى استخلاص الاحكام التالية ، قال :

(1) ان اكثر الالفاظ العامية عربية اصابتها التحريف في النطق للتخفيف والتيسير

والرد على هذا الحكم هو ان المتعلم الذي اعتاد النطق السليم لا يسعى لان يحرفه حتى لا يشذ وقعه في اذنه .

(2) ان اسلوب العامية قد استقر على صورة تعودها الناس وهو يختلف عن الاسلوب العربي الصحيح :

والرد على ذلك ان اسلوب الفصحى قد استقر على صورة وضعها علماء اللغة بعد البحث والاستقراء وان اسلوب العامية له صور متعددة بتعدد الاقطار العربية وهو يختلف عن الاسلوب العربي العامي .

(3) ان العامية لا تزال تتطور ، وهذا التطور ناشئ عن حياة الناس ، فهي وليدة الحياة نفسها وفيها من المرونة ما في الكائن الحي .

الجواب ان العامية تتطور وهذا التطور ناشئ عن الجهل بالثقافة والتعليم فهي وليدة الجهل بلا جدال ومرونتها لا تعادل مرونة الفصحى .

(4) ان العامية ليست مسخا مجردا عن الفصحى وانما هي لغة قائمة بنفسها لها قواعدها واصولها فاذا شذ عنها فكأنه خرج عن طريقة مقرر .

الجواب ان العامية مسخ وتحريف عن الفصحى كما اعترف في الحكم الاول وهي ليست لغة قائمة بنفسها بل لغات متعددة بتعدد الاقطار وكل قطر له قواعد واصول غير التي في القطر الاخر وليست لها طريقة مقرر الا في القطر الواحد وهذه الطريقة

تعتبر شذوذا في باقي الاقطار وهنا نعود الى السؤال المهم وهو اي لغة عامية من لغات الاقطار المتعددة يعني ؟

هذا ولو اردنا ان نرد على الداعين الى اللغة العامية لندحض مزاعمهم لاحتجنا الى وقت طويل او الى كتاب كبير ، وان الذين يناصرون العامية يفكر كل منهم في لغته او بالاحرى في لهجته التي درج عليها مع العلم انها لا توافق لهجة اخوانه في الاقطار الاخرى وجاء لاحدهم في كتاب « نحو عربية ميسرة » الفقرة التالية :

« .. انك لا تستطيع ان تقول بالفصحى ما تقوله بالعامية ، واذا نقلته الى الفصحى اتى جافا قاسيا خلوا من العنصر الانساني اللطيف في اللغة . تصور على المسرح فلاحا يتكلم بالفصحى او سكيما يتكلم بالفصحى او خادمة تخاطب سيدتها بالفصحى ، او نجيب حنكس يقص اقصيصه الزحلاوية البرازيلية بلغة الزمخشري ، وسعيد فريحة في نكات يقصها بالفصحى او المجلات المصرية تنقل كلام ابن البلد الى اللغة الفصحى ... »

ان الكاتب يتجنى على اللغة العربية وهي براء منه وما كان منه ان ينكر افضال اللغة العربية بـل وامجادها في الحياة الفكرية الانسانية وانها عبرت ولا تزال تعبر عن الحياة بحلاوتها ومرارتها ولينها وشذنتها ، وان كتبها الادبية من نثر وشعر فيها من التعابير التي يهتز لها القلب فرحا من حلاوتها ويهطل لها الدمع من مرارتها وان العربية لم تدع بابا من ابواب الحياة الا ولجته وعبرت عنه احسن التعبير لينة وشذنته .

اما تصوره فلاحا على المسرح يتكلم بالفصحى او سكيما او خادمة تخاطب سيدتها بالفصحى فهذا كله لاننا اعتدنا ان نعرف ان فلاحنا الجاهل او خادمتنا او غيرها من عامة الناس قد حرموا من الثقافة وعاشوا القرون الطوال في جهل وتأخر والتعليم لم يصلح حديثهم ولذلك فقد تعودنا ان نسمع فلاحنا يتكلم بلغته البعيدة عن اصل اللغة لانه لم يتعلم اللغة فيخرج الفاظا اصطلح عليها هو وآبؤه في بيئته لاداء المعنى المطلوب . ومع ان فلاحا اوروبا لهم لهجة غير التي في المدن غير ان الفلاح الاوروبي اذا اراد ان يتكلم مع مثقف او رئيس دائرة من سكان المدن فانه يقدر ان يتكلم بلغته المثقفة .

اما اذا قص نجيب حنكس احاديثه الزحلاوية ، وهي لبنانية اللهجة ، على مسمع من عراقي او مراكشي او يماني ، فانهم سوف لا يفقهون منها شيئا وسوف لا يطربون لها لانها ليست من المصطلح الذي اعتادوه وكذلك قل عن سعيد فريحة اللبناي او ابن البلد المصري .

فما لا ريب فيه ان اللغة العامية تمتد حين يصيب التعليم جزر . اي ان اللغة العامية وصلت الى هذا الفرق بينها وبين الفصحى بعد ان انحصر التعليم في الاقطار العربية وقلت المدارس وساد الجهل وقلت الفئة المتعلمة . وان عصور التخلف التي تتابعت على الاقطار العربية وهي ترزح تحت نير اجنبي او نير سلطة محلية لا تهتم لصالح شعوبها خلقت في هذه الاقطار اكثرية امية جاهلة لم يصلحها التعليم وابتمدت عن اصول اللغة ومصطلحاتها تجهلها بها ، فانكبت على لغتها العامية لتستعير بها عما هي فيه من النقص ومع توالي الاجيال كثر البعد بينها وبين الفصحى الى ان صارت كما هي عليه اليوم . الا ان لهذه العلة دواء ، فـ اذا احسنا استعمال هذا الدواء ، — وهو احسن دواء — فاننا نتمكن به اولا من الحفاظ على لغتنا من الانقراض وثانيا على امة العرب من الفوضى التي سوف تنشأ اذا اخذ كل قطر يكتب بلغته العامية ، واعوذ بها من فوضى وليتذكر الذين يهتمون بهذه المسألة ان الورد لا يجنى بدون وخز شوكة والعسل بدون وخز ابره . وليتذكر الذين يهتمون بذلك اننا سوف لا نجني ثمارها يانعة في وقت قصير ولكن سوف نجني ثمارها بعد جيل او جيلين من الزمن وهي ليست حقبة طويلة بالنسبة للتاريخ واعني هنا اننا سوف نجني ثمارها مع الجيل القادم وثمارا احسن مع الجيل القادم ان شاء الله . مع اننا اذا اتبعنا الطريقة العامية فسوف لا نجني اية ثمار سوى ضياع اللغة وسوي الفوضى من زعم كل قطر ان لغته العامية هي المثلى .

ان الدواء الوحيد لانتقائنا من الفوضى وانتقاذ لغة الضاد من الانقراض هو التعليم ، والتعليم فقط . فاذا اتبعنا طرق التعليم بالمعنى المعروف اي التعليم الاجباري مع وضع برامج خاصة لمحاربة العامية وتقريب الثقافة الى كافة الجماهير من فلاحين وحضر فاننا نستطيع بعد جيل او جيلين ، تقويم الموج من السنة العرب المعوجة وجعل الفلاح والخادمة وسواهما يقدران على التفاهم والتخاطب

عند الصغار حتى إذا صاروا رجالا في المستقبل كانت مناهج التعليم والكتب الموحدة قد وجدت من افكارهم وذهبت بالمصيبة وقللت من البعد بينهم .

ثالثا : وضع نظام في المدارس في جميع الاقطار يحض الطلبة على التخاطب بالفصحى ما امكن واقامة حلقات خطابية ومحاربة او تقليل التكلم بالعامية مع افهام الطلبة فائدة ذلك لهم ولبلادهم .

رابعا : عقد مؤتمرات لغوية يحضرها ممثلون عن جميع الاقطار العربية لوضع مصطلحات لتوحيد اسماء الاشياء المختلف في الاصطلاح عليها في بعض الاقطار من عامية او فصحى .

خامسا : كل البحوث الخاصة باللغة العربية يجب ان يعود البت فيها الى مجامع اللغة لا الى افراد .

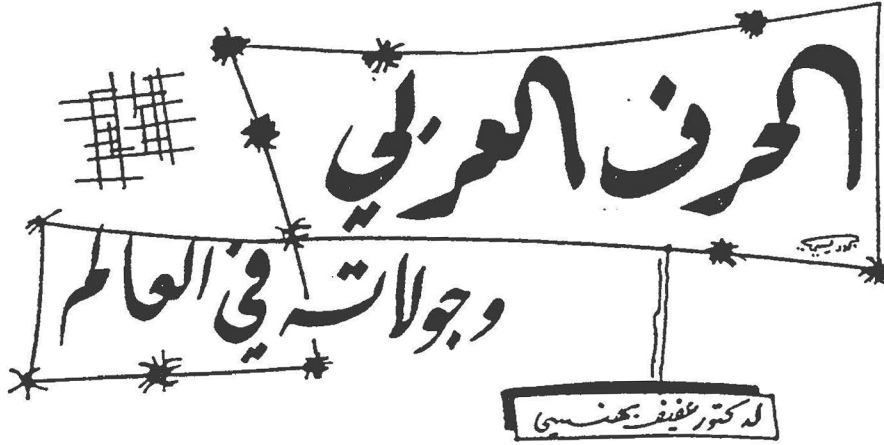
بالفصحى بعد ان يكون قد شيلهم نظام التعليم واخذوا قسطهم من الثقافة ، وعندئذ اذا تقدم احد الاوروبيين الى اي بلد من بلاد العرب فانه سوف يرى ان كل الامة رجالها ونساءها يتكلمون او يتدرون على الخطابة بالفصحى فيفهمونه ويفهمهم .

وبالختام اضع هنا بعض الحلول للخروج من هذه المشكلة راجيا ان تلاقي من اولي الامر بعض الاهتمام :

اولا : العمل على تسهيل قواعد اللغة وعقد مؤتمرات من اللغويين لوضع نظام جديد لدراسة اللغة وتبسيط النحو .

ثانيا : توحيد التعليم الخاص باللغة العربية مع وضع كتب خاصة موحدة للنحو والتاريخ والعلوم يقوم بوضعها نخبة من المعلمين او المؤلفين من جميع الاقطار وتدرس في جميع الاقطار وبذلك تتوحد الافكار





مدير الفنون الجميلة (دمشق)

تبييناه قبل قليل ، من ان الكلمة هي الصورة الصوتية او الشكلية العنوية في بدايتها ، والمعبرة عن حالة عاطفية معينة ، فاننا نقف امام تعريف الفن بكل وضوح .

ولست الصورة الشكلية ، وقد تدرجت من رسم الشكل ذاته الى صور هيروغليفية او الى رموز ، الا الكتابة ذاتها التي خضعت فيما بعد الى مخارج الحروف فكانت هجائية او غاريت بداية التركيب اللغوي القاعدي .

هنا تأخذ اللغة طريقها الى التقنيات القاعدية والصرفية والبلاغية كما يأخذ الفن طريقه الى تقنيات اخرى ترتبط بقواعد الرسم والتلوين ، او بأصول التنعيم والطباق وغيرها . ولكن مهما تكاثرت تلك القواعد التقنية فانها لن تختلط مطلقا بالاصول المبدعة ولن تأخذ مكانها ، ولن يحول هذا دون ان نقول بوحدة طبيعة اللغة والفن ، بل اننا نستطيع ان نعكس القول السائر (الفن لغة) لكي نقول (اللغة فن) . ويبدو ذلك اكثر وضوحا في الكتابة الهيروغليفية ، فلقد لعبت دورا رئيسيا في تحديد خصائص الفن المصري القديم ، كذلك كان شأن الكتابة المسمارية الاولى التي ابتدأت تصويرية رمزية ، فاذا اراد السومري القديم التعبير عن شرب الماء مثلا ، رسم شكلا مجوفا يعبر عن الفم وفي وسطه يرسم خطا عموديا صغيرا باسفله دائرة صغيرة يرمز بها الى نقطة الماء الساقطة من السحاب .

اما الكلمة العربية ، فليس بإمكاننا ان ننظر اليها هذه النظرة التصويرية بعد ان أصبحت مؤلفة من حروف هجائية مركبة . الا اننا اذا ما استعرضنا تفنن الخطاطين في زخرفة ورقش هذا الخط لتبين

ليس منا من يعرف كيف تعلم لغة المخططة التي ينقل عن طريقها افكاره . والذي نذكره عن اطفالنا انهم منذ نشأتهم الاولى كانوا يحاولون التعبير عن حالة عاطفية معينة ، فعندما يحاول الطفل ان يلفظ كلمة (ما) او (ماما) فانه يكثف بهذا الجرس القصير كل ما يختزنه وجدانه من عاطفة الانتفاء وتحقيق الرغبات . ومن المؤكد ان هذا الطفل ، واي طفل ، لا يلقي اصول الكلام وفق الامول القاعدية التي تلقن بها اللغات في المدارس ، بل انه يتلقن في الواقع الجرس المنسجم مع الاشارة التي يرغب التعبير فيها عن خياله الفطري .

هنا نجد انفسنا امام فروق لا يبد من ايضاحها ، بين الجرس وهو المظهر الصوتي للاشارة وبين الاشارة ذاتها وهي انبثاق الحدس من الوجدان ، وبمعنى آخر ان الاشارة هي الانفعال في طور التكون ، وهو انفعال مجرد ، هو حالة وجدانية لم يصرح عنها بعد ، ولذلك فهي تبحث عن صورة صوتية او صورة شكلية ، وفي هذه المرحلة تنتقل خطوة خطوة من العنوية التصويرية الى العقلانية التقنية .

قد يكون من واجبي ان اتف قليلا هنا لكسي اتساع ، لماذا نسر ونفرح وندهش امام التبررات او الخطوط التي تصدر مفاجئة عن اطفالنا — بينما نقدر تقديرا المعارف التي تزداد في ذهن كبار اطفالنا دون ان يرافق ذلك النشوة التي تصاحب سماعنا للحن الجليل ...!

يخيل الي ان تفسير ذلك ممكن جدا ، فكلمات الطفل وخطوطه الاولى هي ابداع ، هي كشف عن زاوية جديدة من الحياة . واذا اضفنا الى ذلك ما

لنا ان الحرف العربي حمل خصائص الفن العربي وكان رسول هذا الفن في جميع هجراته واسفاره .

ولسوف يقتضينا الحديث في هذا الموضوع العودة الى البحث عن جذور الحرف العربي في بدوات التاريخ .

ثمة اصول للغة العربية لفظا وصورة ، اشتهت درسا من قبل علماء اللغة ، ولكن لابد من تصحيح الخطأ الذي انتشر منذ عام 1871 استنادا الى ما جاء في سفر التكوين ، يقوم على اعتبار اللغات التي انتشرت وتطورت على الارض العربية فيما بين النهرين وحتى الجنوب العربي هي لغات سامية نسبة الى سام بن نوح ، ومن المؤكد ان نسبة هذه اللغات او اللهجات الى سام أمر مجازي وليس من المنطق او الواقعية التاريخية في شيء ، واذا ما لجأت الكتب القديمة الى الالتصاق بهذا النعت فلانها لم تجد ضمن اطار القصص الديني الا اسماء الاوائل مصدرا ونعتا ، وكان ذلك نتيجة تسمية الاقوام العربية بالاقوام السامية تجوزا أيضا . ومن حسن الحظ ان العلماء والمؤرخين المعاصرين من امثال شبنغلر وتونبسي ودروزة (1) اخذوا باعادة النظر في تسمية الارض واللغات والاقوام التي عاشت بين الرافدين ووادي النيل ، فأصبحت العروبة هي الصنف الاقوى لجميع مقومات هذه الشعوب والحضارات ، وهكذا نقول انه نشأت على هذه الارض العربية لغة عربية تطورت منذ عهد الاكاديين حتى يومنا هذا مارة عبر الاموريين الى الكنعانيين والاراميين ، تاركة وراءها لهجات واضحة منها الاوغاريتية والكنعانية القديمة والمؤابية والعبرية والفينيقية التي اطلق عليها أيضا في افريقيا (قرطاجنة) اسم البونية ، ثم ظهرت اللغة التدمرية والنبطية التي منها العربية الحديثة وهي اكمل اللغات السابقة واقربها الى الاصل واطولها استمرارا . ولقد حاول فيشر (2) وضع معجم عربي عني فيه بتاريخ الكلمة وتطورها دلالة وصوتا مع مقارنة الاصل العربي لهذه الكلمة بما يقابله في اللغات التي اطلق عليها السامية . وقد

توقف هذا العمل الجليل بسبب الحرب العالمية الاخيرة ، ثم توفي العالم فيشر قبل ان ينتهي القاموس .

ولئن اردنا اعادة تتبع تطور اللغة من ناحية تطور الحرف وحسب ، لرأينا انه منذ بداية الالف الثالثة قبل الميلاد نزحت اولى القبائل العربية من جنوبي الجزيرة لكي تستقر فيما بين الرافدين وقد افلت حضارة السومريين ، فانخذوا آكاد عاصمة لهم ثم عرفوا باسمها وكانت لهم لغة ذات كتابة . ولكنهم اخذوا فيما اخذوا من تراث السومريين الكتابة المسارية التي استفادوا منها ولاشك لتسهيل تعاملهم مع السومريين الذين استمروا في معاشة الاكاديين .

ولان التاريخ لم يقطع بعد في تفريق الاكاديين عن الاموريين (سكان الغرب) فان اللغة التي استعملها اولئك وهؤلاء واحدة او متقاربة وان استعمل الاموريون كتابة اخرى غير المسارية هي من بدوات الكتابة العربية الاصلية التي تاكد انها كانت اصل الكتابات العربية الاخرى من كنعانية و آرامية وسريانية وعربية حديثة .

بيد ان الكتابة العربية قد سارت في الجنوب وفق تطور آخر ، فانتقلت من ثمودية الى صفوية الى الكتابة المسندية فالنبطية التي التقت بالعربية الحديثة.

وهكذا كانت الكتابات في الجنوب مختلفة حتى ان قرابة الكتابة الكوفية بالكتابة الآرامية تبدو أكثر وضوحا مما بين الكتابتين العربية الكوفية والحميرية ، ويزيد في تأكيد الرابطة بين الخط العربي والخط الآرامي ، الابجدية ووحدة اسماء الحروف = الالف - الجيم - الدال - الزاي - الشين والصاد والضاد . ومنها ان كل حرفين يلفظان من مخرج واحد يتشابه رسمهما في العربية وفي الآرامية السريانية كالصاد والضاد ، والطاء والظاء .. وثمة دليل آخر على تفرع الحرف العربي من الآرامي هو أن الحرف الآرامي يكتب متصلا وله ثلاثة اشكال بحسب موقعه من الكلمة كما هو الامر في الكلمة العربية ثم انهم يفصلون فيما بعد بعض الحروف كالراء والواو والالف والدال .

(1) محمد عزة دروزة - تاريخ الجنس العربي - بيروت 1964 .

(2) فيشر أوغست مستشرق ألماني ، ابتدا منذ عام 1907 بأعداد هذا القاموس ، في القاهرة ، وانشاء الحرب اعتقد ان اوراقه نفذت في مجمع اللغة العربية ، ويبلغ عددها 26 الف بطاقة ثم قام المجمع بنشرها عام 1950 تحت عنوان « معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري » . وكان العالم كوكوخ قبل ذلك .

لبادرة صوت الطبيعة كما يقول الارسوزي (3) ، وان رائدها الملا الاعلى ، وان مثل اللسان العربي كمثل هيكل عظمي يوحى بكل من عظامه المبعثرة في طبقات الارض لنوع منشئه . فاننا نقول بأن صورة الكلمة العربية ذاتها هي انعكاس لصورة الطبيعة بحسب رؤية حدسية توليدية وبذهنية وفوقية خاصة نسميها هنا ذوقية عربية .

ويوضح ذلك ما يقوله الارسوزي (4) « ان الاسماء تنزل من السماء - الحس ، حدس اجدادنا في اصول كلامنا ، الحدس الذي يتضمن الانسجام مع الفرائز والاشياء من جهة وبينها وبين المفاهيم التي تتلخص بها الفرائز والاشياء من جهة ثانية » .

على ان اهمية صورة الحرف العربي تبدو في الواقع من خلال ارتباطها بكتابة القرآن الذي انتشر بانتشار الدين الاسلامي ، والواقع ان الدين الاسلامي لارتباطه باللغة والكتابة العربية حمل خصائص العرب الى كل مكان اصبح عقيدة عامة فيه ، ويؤكد ذلك ارنست كونل (5) فيقول : « لقد منح العرب الدين الاسلامي اللغة والخط ، وانتشر الخط العربي في العالم الاسلامي فاصبح رابطة لجميع الشعوب الاسلامية رغم الحدود الحاضرة . » ولقد اعتنى بالخط العربي منذ نشأة الاسلام ، فلقد روى ابن الاثير (6) أن الرسول اقام في المدينة قبل اي شيء مسجد المدينة وجعله للتعليم وكلف عبد الله بن سعد ابن العاص وعبادة بن الصامت بتعليم الكتابة ، ولقد اوفد الرسول معاذ بن جبل لتعليم الكتابة والخط فآخذ ينتقل في عمالة كل عامل ، وقال علي « عليكم بحسن الخط فانه مفتاح الرزق » ، كما قال ابن العباس « الخط الجميل يزيد الحق بيانا » .

وتطور الحرف الجميل بسرعة بعد ان اضيف اليه الاعراب والرقش . ولقد روى البلاذري عن ابن النديم في كتابه الفهرست « اختلف الناس في اول من وضع الخط العربي فقد قال ابن عباس : اول من كتب بالعربية ثلاثة رجال .. سكنوا الانبار .. وهم مرارة بن مرة ، واسلم بن سدره ، وعامر بن جذرة . فأما مرارة فوضع الصور ، وأما اسلم ففصل ووصل وأما عامر فوضع الاعجام » .

ان هذا النسب القديم للكلمة العربية دفع العرب الى الاعتقاد بأولية الكلمة (في البدء كانت الكلمة) وفي حديث شريف (ان اول ما خلق الله القلم) ولابد من الإشارة الى ان كلمة قلم توجد في كثير من اللغات العربية السامية ولقد انتقلت الى اليونانية (كلاموس) عن طريق الفينيقية ، ومنها الى الفرنسية Calame . وفي رواية ان اخنوخ عليه السلام انها سمى ادريس لانه اول من درس الخط وخط بالقلم.

ان هذه المقدمة العاجلة توضح لنا اصالة اللغة العربية وخاصة كتابتها وارتباطها المتلازم بتطور التاريخ العربي منذ بداية التاريخ الى اليوم ، ولان الحرف العربي وصل الى كماله في العربية الحديثة التي ظهرت منذ بداية الميلاد ، فانها وحدها ستكون موضوع حديثنا الآن .

ان اول الخطوط العربية الحديثة التي عثر عليها نقوش في وادي المكثب (صحراء سيناء) تؤكد العلاقة مع الآرامية وفيها تبدو بعض المقاطع مثل بن ويعلي عربية الصياغة والرسم ويرجع هذا النقش الى عام 210م .

ثم يتطور الخط العربي نحو الوضوح شيئاً فشيئاً كما يبدو في لوح مدائن صالح الذي يرجع الى عام 267م. وفي القرن الرابع الميلادي نرى الخط العربي قريب الصلة بالخط المائل كما في لوح النمارة (حوران) الذي يشير الى قبر امرئ القيس بن عمرو والمؤرخ في عام 328 ميلادي .

وهكذا فان الخط العربي قد تدرج بوضوح عن الخطوط السابقة للخط العربي الحديث ولعل هذا ايضا يفسر تدرج اللغة ذاتها وقد كان مجهولاً ، بل كان يعتقد ان اللغة العربية ولدت كاملة دون أن تعرف لها طفولة نامية أو نقص تكامل على الايام ، كما يقول ارنست رينان . ويؤكد جميع المؤرخين فوق ذلك ان العربية قبيل الاسلام كانت لهجات مختلفة وذات كتابة واحدة وان اختيار القرآن للهجة تميم كان مبداً لتوحيد اللغة العربية الادبية والدارجة لفظاً وكتابةً .

ونحن لا نعتقد أن هناك خلافاً في جذور الكلمة العربية صورة وجرباً فاذا كان صوت الكلمة امتداداً

- (3) زكي الارسوزي (بعث الامة العربية) دمشق ص 8 .
- (4) زكي الارسوزي نفس المرجع ص 9 .
- (5) ارنست كونل انظر فن الخط العربي المقدمة 1943 .
- (6) ابن الاثير - اسد الغابة ص 175 .

ثم اخذ الخط اشكالا غنية بل اساليب بعضها تزييني صرف والاخر قاعدي . واول الخطوط التزيينية الخط الكوفي ومنه المضع الهندسي والمشجر والمضفر ، وهناك خطوط زخرفية اخرى كالطفرائي والديواني والفارسي ايضا .

اما الاسلوب القاعدي فخلد ابتداء مزيجا من الكوفي والحجزي ، ثم ظهر قلم الطومار والثلاث والثلاثين والنصف ثم الرقعي او الرقاع .

وتم ظهور الخط النسخي على يد الوزير بن مقله واخيه الحسن . وفي المغرب حافظ الحرف على شكله الحجزي القديم . وابتكر العثمانيون الخط الهمايوني .

ولم يكن انتحال الحرف العربي خلال العالم الاسلامي وغيره الا انتقالا للفن العربي ذاته ، ذلك ان الوحدة بين الفن والحرف التي عرضنا لها في بداية هذا الحديث تبدو اكثر تماسكا بين الفن والحرف العربي ، ولعل التصاق الخط العربي بالفن الزخرفي له تفسير ديني وجداني ايضا .

يقول كاسير (7) ان الفن هو الصورة التي تساعد على التعبير عن الكلمة - اللوغوس والتي تعجز صورة الحرف المنطقية المحددة عن التعبير عنها، واتقدم مثال على ذلك خط كوفي يرجع الى عام 784 م وهو نسخة قرآن كريم محفوظ في دار الكتب المصرية في القاهرة وفيه يبدو امتزاج الخطوط بالزخرفة في عناوين السور والاحزاب .

ويقول لويون (8) كان للغة العرب مثل ما للدين من حظ فتد ظلت اللغة العربية في بلاد فارس ، لغة اهل الادب والعلم ، وظل الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية ، ولقد كتبت ما عرفته بلاد فارس من علم الكلام والعلوم الاخرى بلغة العرب ، وللغة العربية في هذا الجزء من آسيا شأن كالذي كان للغة اللاتينية في القرون الوسطى .

« وانتحل الترك انفسهم ، الخط العربي ، ولا تجد في تركيا انسانا على شيء من التعليم لا يستطيع ان يفهم لغة القرآن بسهولة » .

ولقد حور الايرانيون الخط الكوفي فأصبحت المدات فيه أكثر وضوحا من الجرات . ومن الخطاطين

المشهورين أبو القاسم بن ابراهيم (في القرن الحادي عشر) ومير علي تبريزي (في القرن الخامس عشر) وسليمان مشهدي وعبد الكريم الخوارزمي .

كذلك انتقل الخط الى الاتراك فحولوا خط الرقاع وابتكروا الهمايوني ومن أشهر خطاطيهم الشيخ حميد الله الاماسي امام الخطاطين العثمانيين، وجلال الدين الحافظ عثمان الذي كتب المصحف الشريف بأروع الخط .

وفي الاندلس ذكر الضبي (بغية الملتبس) ان الوزير الشاعر حسان بن مالك بن أبي عبيدة وزير المنصور بن أبي عامر ، ألف وصور ونسخ كتابا من تأليفه في مدة اسبوع وقدمه هدية للمنصور .

وهكذا اعتبر الخط كما يقول كونسل (9) اشرف الفنون وارتفعت مكانة الخطاطين واحتل عدد منهم منصب الوزارة كما تبين .

ولقد لقي الحرف في هجرته الى الاراضي الفارسية او التركية ، وفي الاندلس وسائر اوربا من الاحتفال ما وازى تقديره في ارض العرب ذاتها .

فلقد كان الامراء في فارس هم اول من اهتم بالخط العربي ونسخ القرآن . فلقد انشأ الوزير المغولي رشيد الدين ضاحية اسمها « ربع رشيد » قرب تبريز ، وفيها عهد الى مهرة الخطاطين والصورين نسخ الكتابة الهامة وتصويرها ، من أهمها كتاب (جامع التواريخ) الشبير ، كذلك اصبحت هراة في عهد الصفويين عاصمة الخط والتصوير وكان بهزاد معلم التصوير وموجه الخطاطين .

وكان الحكام يقضون ساعات فراغهم بنسخ القرآن بجهد واجتهاد ، وهم يفتخرون بانتمائهم لاساتذة الخط ، ومن هؤلاء عضد الدولة البويهى ، والشاه طهماسب ، بل كان الامراء منهم يتسابقون لمساعدة الخطاطين يان يمسكوا لهم بالمحبرة او يقدموا معونة بوضع الوسائد بمكانها او بامسك الشمعدان .

ولم يكن احتفاء الاسبانيين اقل من احتفاء الايرانيين بالحرف العربي ، بل ان الاسبان هجروا لغتهم كما يقول دوزي (10) كي يتعلموا العربية

(7) كاسير مدخل فلسفة الحضارة الانسانية ترجمة احسان عباس ص 206 .

(8) لويون حضارة العرب ترجمة اكرم زعيتر ص 441 .

(9) ارنست كونل نفس المرجع ، المقدمة .

(10) دوزي ، في كتاب تاريخ المسلمين في اسبانيا مطبعة ليدن 1932 .

لغة وكتابة حتى لم يعد يوجد من يقرأ الكتب المقدسة باللاتينية بل ترجمت الى العربية كي يقرأها نصارى الاندلس .

وكان اسحق فلاسكز القرطبي ممن ترجم انجيل لوقا من اللاتينية عام 946 ، ولعله ترجم الاناجيل الثلاثة الاخرى ايضا ، اما التوراة فلقد نقلت الى العربية بعد الفتح الاسلامي مباشرة .

ويقول بالانسيا Palencia كان المستعربون يتكلمون اللغة العربية ويدينون بالنصرانية ، وفي المدن الكبرى مثل طليطلة بقيت اللغة العربية يعمل عليها القوم للكتابة ويستعملونها في القضاء والتجارة زهاء قرنين بعد رجوع النصرانية على يد الفونس السادس عام 1085 .

ويؤيد ذلك ما قدمه دوزي وانغلما من كلمات اسبانية وبرتغالية ذات اصل عربي ما زالت حتى اليوم ، صنفت في معجم خاص .

ولقد كانت الاندلس مصدر اشعاع الثقافة العالمية والعربية فلقد اصبح الاهتمام بالكتب شديدا وابتكرت لذلك طرائق اشبه بالطباعة ويذكر ابن الابار (11) (انه كان لعبد الرحمن كاتب اعتاد ان ينشئ الرسائل الرسمية في منزله ثم ينفذها الى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو نوع من الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة) .

وهكذا امتلأت المكتبات بالمخطوطات وكانت المكتبة الاموية في قرطبة قد وصلت ذروتها ايام المستنصر بن عبد الرحمن الناصر عام 961 وقد حوت ما يزيد عن اربعة آلاف مجلد مخطوط ، ثم نهبت وتبددت بعد حصار قرطبة عام 1009 وما زالت بقاياها في مكتبة الاسكوريال قرب مدريد حتى اليوم .

ولقد اهتم سواد الناس في الاندلس بالمخطوطات ذات الخط الجميل ، ويذكر المقرئ (12) قصة عن الحضرمي قال : اتمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطله اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به اشد الفرح فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي

المنادي بالزيادة علي ، الى ان بلغ فوق حده فقلت له يا هذا ارني من يزيد في هذا الكتاب حتى ابلغه الى ما لا يساوي . قال فاراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له : اعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدها . فقال : لست بفقيه ولا ادري ما فيه ولكن اتمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رايت حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه .

كذلك امتد الحرف العربي الى انحاء لا يحكمها العرب في الجزيرة اليبيرية . يقول جورج غراف (Graff) « سلك الفنس على غرار بعض اسلافه فكتب بالعربية على النقود التي سكها . وكان بطرس الاول المتوفى عام 1104 من ملوك الاراغون لا يحسن الا العربية كتابة . واستعمل المستعربون الحروف العربية بكتابة اللاتينية ايضا » .

على ان هجرة الحرف الجميل الى الاندلس لم تنقطع بانقطاع سيادة العرب على هذه الارض الواسعة بل ان هذا الحرف وقد تمكن كعنصر من عناصر الزخرفة الجميلة ، قام بسياحات بعيدة المدى وترك اثارا ما زالت ماثلة في كل مكان انتقلت اليه الاشياء ذات الرقش والكتابة العربية .

ففي عام 1491 استسلمت غرناطة وغادر عبد الله الصغير قصر الحمراء وكان قد اتفق مع الاسبان على حفظ نفوس المسلمين واهلهم ومالهم وشريعهم ، ولكن فرديناند وايزابيلا نكثا العهد وقال الكاردينال زيمانس دوسيس فيروس de Cisneros يحمل المسلمين على التنصر وامر بحرق الكتب العربية في غرناطة .

ولقد اصبح اسم المسلمين الذين لم يهجروا البلاد بعد سقوط غرناطة (الموريסקو) . وكان لهؤلاء لهجة رومانسية (اي محرفة عن اللاتينية) الا انهم استخدموا الحروف العربية لكتابته . ويطلق على هذا الادب واللغة عبارة الجيادو Al Jamiado وهي تحريف للفظ (الاعجمية) العربية ولقد عثر على مجموع مخطوطات بهذه اللغة تحت الارض في بيت قديم بالاراغون لعلها اخفيت عن عيون رجال

(11) ابن الابار - الحلة ص 137 .

(12) المقرئ نفع الطيب ، ج 1 ص 32 .

المستعربين Les Mozarabes في الاندلس الذين عاصروا المسلمين ونظاهروا بالاسلام واخفوا دينهم ولكنهم تبنوا تقاليد العرب ولغتهم . ومن منشأتهم التي شيدها الكنيس المنشأ في طليطلة عام 1200 والذي اصبح فيما بعد كنيسة سانت ماري لابلائش . وينتسب الطراز فيها الى فن الموحدين كما تؤكد الكتابات العربية الثابتة عليها اهتمام نصارى الاندلس بالحرف العربي .

كذلك زين هنري الثاني دوترانستامار de Transtamare الكنيسة التي اضيفت الى المسجد الاموي في قرطبة بالزخرفات العربية والكتابات البديعة .

وفي كنيسة الترانسيتو في طليطلة نقوش امتلأت بكتابات عربية ذات موضوعات دينية اسلامية .

ثالثا - والطريق الاهم الذي انتقل عليه الحرف العربي هو طريق المدجنين Les Mudéjars وهم المسلمون العرب الذين دجنوا في الاندلس بعد نزوح العرب عنها فاستمروا على تمسكهم بالتقاليد العربية ونقلوا التراث العربي الى الآثار الرومانية والفوطية ، وكانوا جسرا في نشر ذلك خلال اوربا .

والفن المدجن هو صورة مطابقة تماما للفن العربي الاسلامي الذي كان سائدا ايام الحكم العربي . ولقد حفظ طابعه الاصيل في العمارة والزخرفة والكتابات ويبدو ذلك واضحا في تزيينات قصر اشبيلية Alcazar de Séville الذي انشئ عام 1354 من قبل بيير لوكرويل Le Cruel في نفس مكان مخطط القصر العربي القديم الذي انشاه العرب في القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

ويقول مارسيه (13) (رغم ان هذا القصر الاندلسي قد رمم كليا في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر والقرن التاسع عشر ، فانه ما زال يكشف عن مشاركة الفنانين الغرناطينيين ويؤكد بصورة قاطعة تأثير طابع الفن الاسلامي على الملووك المسيحيين) ونضيف خاصة بالكتابات العربية عبارة (لا غالب الا الله) .

على ان الطريق السريع الفعال لنقل الحرف العربي كان في الاشياء الفنية التي انتشرت من الاندلس .

فلقد انتشر الخزف العربي من بلانسيه في الشمال ووصل الى هولاندة ثم ايطاليا حاملا رقتشا وكتابات عربية واستمرت هذه الاواني تحمل

التفتيش ، ولقد جمعت هذه المخطوطات في كتاب تحت عنوان (المخطوطات العربية والجيادو) في مكتبة الجونتا صدر في مدريد عام 1912 .

وانتقل الحرف العربي مع عناصر الخط والزخرفة الى اوربا بواسطة عدة طرق :

اولا - عن طريق الحروب الصليبية في المشرق العربي . فلقد نقل الصليبيون وملوكهم العديد من الاشياء الفنية ذات النقوش والكتابات العربية اعتبرت اساسا لتقليد الحرف العربي في بعض الزخرفات الاوربية . وما زالت بعض تلك الاشياء الفنية موجودة في متاحف اوربا ، نذكر منها الاناء الزجاجي الذي يعود الى الفسفاط من العهد الفاطمي ويمثل كتابة خطية وصورة تيوس وحشية متقاتلة . وثمة طاس رائع منقوش مزين بنسج واسدين ، وهما محفوظان بمتحف امستردام .

وفي كنائس سان مارك في البندقية وكنيسة سان دونيس مجموعة من الاكواب والاباريق منقوشة بالزخرفات والخط العربي .

وفي بيزا ابريق يطلق عليه اسم عقاب كاهبو سانتو ، ويقال ان اموري ملك القدس قد استحضره معه من مصر .

وفي اللوفر ابريق عربي من البلور يرجع الى القرن العاشر من الميلاد محلي عند عنقه بكتابات كوفية .

وفي متحف شارتر قدح يعرف بقدح شارلمان وقد جاء به من الشرق ايام الحروب الصليبية .

وعدا هذه الاشياء هناك المنسوجات التي نقلت من الشرق والتي استخدمت في تغطية رموس الشخصيات الدينية باعتبارها اشياء ثمينة ، ومثالها القطع الحريرية الرائعة المزينة والموجودة في كادوين مقاطعة بيريفورد في فرنسا والتي تحمل اسم الخليفة الفاطمي المستعلي (الذي حكم من 1094 الى 1101) .

وكذلك الوشاح المنسوب للقديسة حنه والموجود في كاتدرائية آبت Apt ، وهو قطعة من الطراز مصنوعة من الكتان والحرير عليها اسم نفس الخليفة .

ثانيا - كذلك انتقل الفن العربي ومعه عناصر الخط والحرف الجميل الى اوربا عن طريق

الكتابات العربية حتى بعد انتهاء الحكم العربي وسرى تقليد هذه الكتابات دون التعرف على مضمونها أو الاهتمام بمعالجتها . ولقد أطلق على الخزف أو الزليج اسم (ازليخو) بالاسبانية كاستمرار لهذا الفن العربي وتقاليدته .

كذلك كانت الانسجة التي تصدرها غرناطة (غرنادين) بما تحمل من كتابات عربية موضع اهتمام رجال الكنيسة والبلاط في الغرب مما دعا الصناع الغربيين الى تقليدها . ويذكر مارسيه (14) أن كنيسة سانت اتيين في غورماس تحوي نقابا من الكتان المطرز بالحبر الملون يحمل اسم هشام الثاني (976 - 1015) .

وكما هو الامر في صناعة الزجاج والخزف والعمارة فلقد نقل النساجون الاوربيون منذ القرن الثامن عشر المواضيع العربية والزخرفات واصبحت صورة الحرف العربي هي المقصودة بذاتها .

وثمة طريق آخر انتقل بواسطته الحرف العربي الى مهاجرة في مراكز الفن العالمية ، هو طريق صقلية التي حكمها الاغالبية ثم الفاطميون من عام 827 وحتى عام 1091 ، ثم استمرت عربية في عهد النورمان . فلقد اعتد روجر الاول المتوفى عام 1101 على المسلمين في جيشه كما شمل العلوم العربية باهتمامه فقترب الفلاسفة والاطباء العرب واستعان بشؤون الدولة بموظفين من العرب وكان بلاطه شرقيا صرفا . واستمر العرب قرنا كاملا بعد ذلك يديرون الوظائف العامة .

اما روجر الثاني فكان يلبس لباس العرب وكانت جيبته مزينة بالحروف العربية ، وما زالت محفوظة في باليرمو حتى الآن . واستمر الزي الاسباني العربي سائدا في صقلية حتى ولاية وليم الثاني الذي مات عام 1689 .

ويقول الرحالة العربي ابن جببر : « لقد كان الملك روجر الثاني ينصت بكل انتباه لجميع النصائح التي كان يقدمها له العرب وكان يقرأ ويكتب العربية بطلاقة . وكانت نساء باليرمو المسيحيات يقلدن السلما فكانت تتحجبن ويطلين اصابعهن بالحناء وكن يتكلمن ايضا اللغة العربية » .

اما فريديريك الثاني (1215 - 1250) والذي امتد حكمه الى المانيا والى القدس واصبح اعظم ملك مسيحي ، فلعله كان اكثر تعلقا بالعادات العربية . فقد اقام لنفسه بيت حريم وارخى لحيته وارتندي ملابس المسلمين وتهادن وتعاون مع السلطان الايوبي الكامل . ولقد قرب اليه المترجمين مثل ثاذري وميخائيل سكوت لكي ينقلوا له عن العربية كتب التنجيم والفلسفة وعلم الحياة والحيوان وقصة كلية ودمنة

ولعل اقدم وثيقة اوربية مكتوبة باللغتين اليونانية والعربية هي الامر الاداري الذي اصدرته زوجة روجر الاول عام 1109 .

ولدينا من عهد الملك روجر الثاني اقدم النقود التي تحمل تاريخا مكتوبا بالارقام العربية 1138 ومعهما نقش عربي .

وما زالت الكتابات الموجودة في سقف كنيسة البالاتين في باليرمو أو بلرم تذكرنا بهجرة منتصرة للحرف العربي في اوربا .

وكنيسة البالاتين في باليرمو انشئت عام 1140 وزينت خلال السنوات التي تلت هذا التاريخ مباشرة ، وهي عبارة عن مطلى بيزنطي الطراز محلى بالفسيفساء مزين بمشاهد من العهد القديم ، اما السقف فهو من الخشب المصنوع وفق الطراز الاسلامي ومحلى بمقرنصات . وعلى هذا السقف مجموعة من الصور تنسب بوضوح الى اسلوب الفن العباسي في سامراء ومنها صورة روجر الثاني وقد ارتدى معطفا كتبت عليه كلمات عربية هي (مسرات الليل والنهار دون انقطاع أو تغيير) (15) .

ويقول ايتنهاوسن (15) Ettinghausen انه ثمة كتابات على سقف كنيسة القصر تتضمن عبارات اسلامية كتبت بالخط الكوفي رغم انها تمت في عهد مسيحي كما تضمنت واجهة الساعة الشمسية في ساحة القصر دعاء الى الله بالعربية بان يطيل حياة وسعادة الملك . ولقد ارخ ذلك بالهجري . ثم يقول : « كذلك نقش اسم الله والتاريخ الهجري على حجرة قبر اقامه كاهن الملك ، غريسانت لاه عام 1149 » .

(13) مارسيه في كتابه الفن الاسلامي طبعة 1962 ص 169

(14) مارسيه نفس المرجع ص 97 .

(15) ايتنهاوسن - التصوير العربي - سكيلا ص 44 .

وكان قد نال شهرة واسعة مما دعا البابا اوجين الرابع ان يطلب من أحد مساعديه وهو انطونسي افيرلينو Averlino والمدعو فيلاريتي Filareté ان ينفذ له اكبر واعقد مشروع فني نحتي في مقر البابوية وهو الباب البرونزي في كنيسة القديس بطرس (سان بيتر) .

ولم يكن فيلاريتي مرتبطا بأي اسلوب من اساليب عصر النهضة ، الا أنه نشأ في فلورنسا والم بالثقافة الكلاسية في روما بين عامي 1433 - 1445 كما يؤكد ذلك غازاري Vasari وفي ذلك الوقت قام فيلاريتي ومساعدوه بانهاء هذا الباب خلال اثني عشر عاما .

ويتألف الباب من درفتين وكل درفة مؤلفة من ثلاثة الواح متواضعة ويمثل اللوحين الوسطيين القديس بطرس والقديس بولس وفوقهما لوجان متضمنان وجهي حواريين . ولقد عولج النحت البارز بكثير من الزخرفة التي تذكرنا بالقرش العربي كما تفصل اللوح الستة مشاهد صغيرة تذكرنا بقمص الاساطير الكلاسية والرومانية .

ونحن نميل الى الاعتقاد بان بعض مساعدي فيلاريتي كان عربيا من شمالي افريقيا او من الاندلس وذلك لوفرة الكتابات العربية التي كانت تحيط اطارات اللوحين الكبيرين ، والتي تحيط الهالات المحيطة برؤوس القديسين الاربعة .

ولم يتح لنا قراءة هذه الخطوط جيدا فقد تكون كتابة تصويرية او تكون من لغة الاعاجم الجيادو

ومن المحتمل ان تكون هذه الكتابات منقولة عن كتابات عربية او فارسية احاطت بعض السجاجيد الشرقية ، ذلك ان خلفية كل لوح مفروشة بنقوش السجاد ذات الطابع الشرقي وان كانت التفاصيل والصيغ غريبة . ولكن هذا لا يخفف من اعتقادنا بوجود صانع عربي او مستعرب اشترك بتصميم هذا الباب ، وقد يكون فيلاريتي نفسه قد زار الاندلس او شمالي افريقيا . وسنفرد لهذا الباب دراسة مستقلة .

ويقول مارسية (18) « لقد كانت الحضارة العربية الاسلامية شديدة التفلفل في عالمنا حتى ان العناصر الاسلامية طفت منذ نهاية القرن الحادي

ويقول مارسية (16) ، « لقد أصبحت صقلية في عهد الاسلام وفي عهد النورمان وسيلة انتقال الطرز العربية الى الغرب المسيحي » .

ولقد كان معمل الحياكة المشهور الذي انشأه امراء المسلمين في قصر باليرمو الملكي يجهز العائلات الملكية في اوربا بالملابس الرسمية التي طرزت عليها الكتابات العربية وأصبح هذا تقليدا بدا واضحا في البندقية وبيزا . وازداد الطلب على المنسوجات الشرقية وأصبح الاوربي انما يعتبر اثيقا بامتلاكه الزي العربي .

ويقول لوبون Le Bon (17) : ولقد بلغ الخط العربي من الصلاح للزينة ما جعل رجال الفن في القرون الوسطى وفي عصر النهضة يكثر من استنساخ ما كان يقع تحت ايديهم اتفاقا من قطع الكتابات العربية فيزينون بها المباني المسيحية سائرين في ذلك مع الهوى . ثم يقول : « لقد شاهد السيدان لونغبيري long perier ولاموا La vox وغيرهما الشيء الكثير منه في ايطاليا . وما شاهده السيد لاموا في مكان الامتعة في كاتدرائية ميلانو باب مبني على طراز رسم البيكارين يحيط به افرز حجري مزين بكلمة عربية مكررة عدة مرات ، وكتابة عربية أخرى حول رأس المسيح المصور فوق ابواب كنيسة القديس بطرس التي امر بانشائها البابا اوجين الرابع بالاضافة الى خطوط كوفية طويلة على قميص القديس بطرس والقديس بولس » . وتابع لوبون قوله : ومن دواعي اسني عدم ترجمة هذا الكاتب لهذه الكتابات فقد تكون الكتابة التي حول رأس المسيح هي عبارة (لا اله الا الله محمد رسول الله) .

ولقد لفت انتباهنا هذه الملاحظة فتمننا بالتحقيق الممكن وكان ههنا التأكد من وجود مثل هذه الكتابات العربية على مصراعي باب كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان .

واحب ان المح هنا الى ان ملاحظة لاموا على لسان لوبون لم تكن واضحة ودقيقة بل كانت مختلفة عما توصلنا اليه .

وقصة هذا الباب تبدى منذ ان قام (غيرتي) Ghiberti بتصميم الباب الثاني لمعمودية فلورنسا

(16) مارسية نفس المرجع ص 99 .

(17) غوستاف لوبون - نفس المرجع ص 531 .

(18) مارسية نفس المرجع ص 98 .

عشر في واجهات الكنائس الرومية ثم رايناها فيما بعد تختلط في الكنائس القوطية مع العناصر الواردة من فرنسا » .

ويوضح هذا القول ما نراه في واجهة كاتدرائية انغوليم في فرنسا حيث نرى تمثال المسيح وحوله أسد مجنح مستوحى من الزخرفة النباتية في الفنون العربية، أما المسيح فإن أسلوبه شرقي محض .

وفي لانغدوك في ساحة مواسك اعمدة مزدوجة كتلك الموجودة في الاندلس ذات تيجان مزخرفة برقش عربي وكتابات عربية بالخط الكوفي تعلو التاج ، ولكنها كتابات منقولة تصعب قراءتها وقد لا تكون لها دلالة قط .

وهكذا انتقل الحرف العربي الى أماكن متفرقة من العالم وتصدر واجهات الكنائس والاديرة، ولقد كانت صفاته الفنية كعنصر غذ من عناصر التزيين سبب انتقاله واحلاله المكانة اللائقة من التقدير ولم يحل مضمونه الديني المخالف دون استعارته في أهم الاعمال الفنية والآثار . واستمر ذلك ما بقيت تلك الآثار والابواب قائمة مئات السنين ولم تستطع حتى المعصبيات المتزمنة ان تحي آثاره مع الأيام .

ومنذ بداية القرن الماضي كان ثمة اهتمام من قبل الفنانين والمفكرين بالفن والرقش العربي .

وفي مستهل هذا القرن ، وقد بدت الأمة العربية شيئاً فشيئاً أقدر على التعبير عن نهضتها وتراثها ، اشدت الاهتمام بالعرب وآثارهم وتقاليدهم الفنية . وتركز هذا الاهتمام بالرقش العربي لقربته من مفهوم التجريدية التي سرت تقليداً فنياً قوياً في هذا القرن .

مما لا شك فيه يبقى الحرف العربي من أجمل الصيغ المجردة خاصة بالنسبة للإنسان لا يفقه دلالة هذا الحرف أو ينسى هذه الدلالة لكي يستفيد من الشكل الجمالي للحرف .

وهكذا ظهر من الفنانين التجريديين المعاصرين في أوروبا من استعمل الحرف العربي فكان مدرسة

مستقلة ذات إطار مستقل متميز ولقد تجلّى هذا الاتجاه قوياً ووضوحاً عند بول كلي P. Klee ونالارد Nallard وهوفر Hoeffler وديغوتكس Degottex وتروكس Trox ومانوسيه Manessier

أما أعمال كلي التي تتضمن نماذج عن الخط الجميل العربي أو غيره من الخطوط فهي كثيرة وتمتاز بالتطوير والتحويل . ولقد استمر كلي الخط العربي الذي يكتب من اليمين الى اليسار (19) نظراً لان كلي كان أعسر بل كان يستطيع التصوير باليد اليسرى بنفس قوة اليد اليمنى ، وكان يطيب له ان يكتب جملاً برمتها باللغة العربية بأشكال الخط العربي الجميل ولكن دون ان يكون بمقدوره قراءتها أو فهمها مع أنه حاول ان يتعلم العربية .

ولقد امتاز أسلوب لويس نالارد (المولود في الجزائر عام 1918) باستعمال الكتابة العربية مع التصوير مستوحياً ذلك من الرقش العربي .

أما كارل جورج هوفر Hoeffler (المولود في سيليسيا عام 1914) فلقد جذبته رشاقة الخط العربي وخاصة النسخي منه فأقام أسلوبه على أساس هذا الخط . وفي مدينة أوفنباخ في ألمانيا متحف للكتابة وحسن الخط ضم مجموعات رائعة للخطوط العربية الاثرية كما ضم بعض أعمال هوفر للمقارنة وتحديد التأثير العربي على أسلوبه .

ولم يقتصر الفنانون العرب الحديثون في الإفادة من الحرف العربي في أعمالهم التصويرية الحديثة نذكر منهم أدهم اسماعيل ومحمود حماد وسامي برهان في القطر السوري وحامد عبد الله وسعد كامل من القطر المصري واحمد شبرين من القطر السوداني وغيرهم .

ولقد جال الحرف العربي في انحاء العالم مع لوحاتهم والتقى فيما التقى بالحرف العربي في مهاجرة على لوحات الفنانين المعارضين المعاصرين .

(19) انظر فيلكنس كلي في كتابه — الكتابة والفن في أعمال بول كلي .

المسئـتقبل للغة العربية الفصحى

الأستاذ هنري فليش
(جامعة بيرت)

(المتوفى سنة 177هـ) وهو تصنيف ينطوي على أهمية تصوى . فكل الادب العربي الاسلامي قد كتب في هذه اللغة البيانية الخاضعة للقواعد ، والمثبتة ، ولكن مع بعض تنازلات توجب عليه مع الزمن ، ان يسلم بها اللسان العربي المتوسط . وكانت اللغة العامية وهي لغة حية ، تسير على سنتها الطبيعية : كانت تتطور . وما الوضع الحاضر سوى استمرار واتساع للوضع اللغوي الاول في عهد الخلفاء : لغة كتابية تقتصر على قواعد كتاب سيويه ولغة محكية عامة كثيرة التنوع . بعد قرون من تطور هذه اللغة الحية .

ولابد للعالم العربي الاسلامي الحاضر ، كسي يرى بجلاء في وضعه اللغوي ، من ان يعرف ما يلي : اولاً ، انه يمكن العيش مع لغة كتابية للثقافة ولهجات متطورة ، ولنا مثل على ذلك من اللغة الالمانية . الا انه ينبغي له ان يسد نقصين خطيرين ، اولهما السعي ، على الاقل من اجل الاستعمال العام ، لاجاد وسيلة تتيج وضع علامة على الحروف الصوتية القصيرة في طريقة الكتابة العربية ، وثانيهما تجديد مبادئ الصرف والنحو القديمة والمعتدة والمستكرهة ، ثم ان اللغة العربية الفصحى الحديثة متأخرة عن زمانها ثلاثة قرون من الواجب اللحاق بها ، اجل ان هناك عملاً قد تم . ولكن يقتضي هذه اللغة ان تتبع تطوراً يكون كتطور جسم عضوي . ولا يمكن بلوغ الغرض الا بواسطة كتاب محدثين ، متشبعين من الاقدمين ، بواسطة كتاب حقيقيين ، واسمعي الثقافة ، يتصورون عالمهم بلغة عربية فصحية صحيحة وحديثة . واخيراً ، ان المستقبل هو اللغة العربية الفصحى الحديثة ، ذلك لان ما للغة الادبية من نفوذ بعيد المدى يقطع الطريق ، الآن والى امد طويل ، على كل محاولة ترمي الى اقامة لهجة ثقافية باللغة العامة . وليس بمجد ان تحتقر اللهجات التي هي من جهة اخرى ، مصدر تعاليم لغوية .

اهدتنا المطبعة الكاثوليكية ببيروت كتباً قيمياً
للاستاذ المستعرب هنري فليش
بالفرنسية حول اللغة الفصحى واللغة العامية ،
نقتبس منه مقدمته شاكرين للأستاذ الكريم دفاعه
عن لغة الضاد التي هي المقوم الجوهرى لوحدة
الشعوب العربية في الحقل الثقافي :
وقد أرفق سيادته هذا البحث بمذكرة حل فيها
اسئلة الاستفتاء :
قال سيادته :

ان الموقف العام الذي يتخذه العالم العربي الاسلامي حيال لهجات بلدانه يتضح كما يلي :
فهذا العالم ليس بمطلع على الامر اطلاقاً صحيحاً اذ
انه لا يعرف ما المقصود بلهجة وما المقصود بلغة
عامة . كما يجهل الدور الذي اضطلعت به اللهجة
واللغة العامة في حياة العرب .

وعليه ، نرى صاحب المقال يعرض اولاً مفاهيم
علم اللغة العام حول هذين الوضعين من اللغة :
اللهجة ، وهي الحالة الطبيعية للغة ما ، واللغة العامة
التي هي امتداد ونمو لهجة فوق اللهجات الاخرى ،
بفضل ظروف خاصة ، لتحل محل لغة علاقة وثقافة ،
وكل ذلك معزز بمثل اربع من اللغات الاوربية الكبرى .
ثم انه يبحث اثر اللهجة واللغة العامة في ثلاثة اوضاع
تاريخية كبرى من حياة العرب اللغوية .
وضع اول : الحالة اللغوية في الجزيرة العربية ،
على ايام الجاهلية .

فنجد لغة عامة للشعر واللهجات .
وضع ثان : المشاكل اللغوية التي اعترضت
العالم العربي الاسلامي ، مباشرة بعد الفتوحات
العظيمة ، حتى منذ موت الخليفة عمر بن الخطاب
(24هـ - 644م) . فتحقق منذ هذا التاريخ فقدان
الاعراب في كلام المستعربين ، مما يشكل بداية اللغة
العامة والضرورة الحيوية لمبادئ في الصرف والنحو .
وضع ثالث : ارساء اللغة الادبية على القواعد
بفضل جهود النحاة ، ويفصح عن ذلك كتاب سيويه

شأن الاسئلة حول اللغة العربية

تلقى المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي عن الاستفتاء الذي وجهه في اواخر سنة 1966 حول اللغة العربية ردودا كثيرة من هيئات رسمية عربية (1) واقليمية ، ومن عدد كبير من العلماء والاساتذة مجتمين وجامعيين عرب وعجم ينسبون الى احد عشر قطرا وينتمون الى 19 كلية مختلفة ومن عدة شخصيات علمية مستقلة

وان الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي اذ تشكر جميع الافاضل الذين اهتموا بالاجابة على الاسئلة وتشكر مختلف الصحف العربية التي عنيت بنشر الاستفتاء لتعبر لهم عن اعتزازها بمغزى الحفاوة الكبيرة التي استقبل بها والتي ان دلت على شيء فاتها تدل على المكانة الرفيعة التي يتبوؤها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الاوساط العلمية والثقافية العربية والاعجوبة بفضل تقديرهم الكريم .

وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب لمعزز وشكورا بصفة خاصة للثقة الغالية التي ابداهها بعضهم ممن يرونه اهلا للتجاح في الاضطلاع بمهمة التخطيط والتوجيه والتنسيق لحركة التعريب في العالم العربي ويرجو الله ان يكون عند حسن ظنهم .

وقبل ان نقضي اليهم ببيان مفصل لمختلف الاجوبة التي توصلنا بها على الاسئلة الخمسة الموضوعة نود ان نرسم لهم صورة اجمالية عن ردود الاستفتاء وعن الخلاصة التي نستخلصها منها وعن وجهة نظر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فيما يخص بعض المشاكل والحلول المقترحة لها .

نظرة اجمالية على الاجوبة

هو وحده يتصل بأغراض ومهمة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ولذلك كان بوجدنا ان لا يغفل هذا الجانب في بعض الاجوبة التي انحصرت اما في الجانب السياسي واما في الجانب الاقتصادي او المالي او الخلقي او الاجتماعي واما في اكثر من جانب مع اغفال الجانب العلمي والثقافي . لكن من حسن الحظ ان الاجوبة المتعرضة للجانب العلمي

المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها في العالم وحلول هذه المشاكل ومشاكل التدريس الجامعي باللغة العربية وحلول هذه المشاكل، هذه كلها مواضيع لها زيادة على جانبها العلمي والثقافي جانب اقتصادي وجانب مالي وجانب سياسي وجانب خلقي او اجتماعي والذي يهنا من هذه الجوانب كلها هو الجانب العلمي والثقافي الذي

الدول العربية لان كلمة « عربية » لا تفيد هذا هيئة عربية محلية خاصة لتلك الدولة وغير مشتركة

(1) نسبة الى « العروبة » ونعني مشتركة ما بين المعنى فان كل هيئة اقليمية في دولة عربية هي بين الدول العربية اي غير « عروبية » .

لتحقيق تعريب كامل للتدريس الجامعي ولذلك يهيب بكل دولة عربية أن تعتمد قدرا مناسباً من المال لهذا العمل الذي ينبغي أن تقوم به داخل كل دولة لجنة اقليمية بالتعاون مع المكتب الدائم لتنسيق التعريب من اجل تحقيق وحدة الاصطلاح العلمي العربي .

أما فيما يخص إصدار معجمين عربيين لغوي وعلمي فهذا مشروع يتضمنه التصميم العشاري الذي خطه المكتب الدائم ونشره بعنوان « منهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي » وللإمانة العامة للمكتب الدائم خطة علمية دقيقة واضحة لأعداد هذين المعجمين الذين يتوقف انجازهما على أن تفي جميع الدول العربية بالتزاماتها نحو المكتب الدائم فتتمده بما تعهدت به من مال وخبراء وكذلك بتمويل مشاريع « التصميم العشاري » .

(2) حل المشكلة الثانية

أيجاد لجنة جامعية من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضعها الاساتذة الى لغة عربية سهلة + اشتراك الجامعات العربية في إيجاد المصطلح العلمي الملائم + قبول بعض المصطلحات العلمية بالفاظها اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحية وضمنها الروسية + الاقتصار على التعريب الحرفي لجميع المصطلحات + نشر معجم للمصطلحات العلمية والفنية الاعجمية مع جميع مقابلاته العربية .

هذه كلها مقترحات وجيبة نتمنى أن يتاح لها أن تتحقق في مستقبل قريب باستثناء القول بالاقتصار على التعريب الحرفي لجميع المصطلحات فان هذا العمل خليك بأن يوسع شقة الخلاف الموجود في المصطلحات العربية بحيث تصير في العالم العربي لغات عربيات بعدد اللغات الاجنبية المنتشرة فيه فتكون مثلاً للجمهورية العربية المتحدة وللعراق والاردن لغة عربية جميع مصطلحاتها الحديثة انجليزية اللفظ وتكون لسوريا ولبنان وتونس والجزائر والمغرب لغة عربية بعض مصطلحاتها الحديثة فرنسي اللفظ وبعضها الآخر اسباني اللفظ ، وهكذا تصبح اللغة العربية الام وقد تفرعت مثل اللاتينية الى لغات اقليمية مختلفة يتفاهم ابناءؤها فيما بينهم بواسطة الترجمة لا قدر الله ، ولذلك يرى المكتب الدائم ان التعريب الحرفي ينبغي أن يقتصر على الالفاظ الدولية للمصطلحات العلمية مثل مصطلحات علوم النبات والحيوان المستعملة بالفاظها اللاتينية في جميع لغات

والثقافي كانت كثيرة وجلها تضمنت تشخيصاً موضوعياً للمشاكل ووصفاً لحلول عملية ومعلومات قيسية سيستفيد منها المكتب الدائم كثيراً في اعماله .

وأول ما نستخلصه من اجوبة الاستفتاء انها رغبا عن اختلافها الكبير بشأن المشاكل التي تحد من انتشار اللغة العربية في العالم وتعرقل التدريس الجامعي بها ورغبا عن اختلافها في وصف الحلول فانها كادت تجمع على عدد من المشاكل قد ترددت في معظم الاجوبة على الاسئلة الخمسة سنوردها مع حلولها المقترحة فيما يلي :

المشاكل

(1) عدم وجود مراجع علمية عربية كافية في مختلف العلوم للتدريس الجامعي

(2) حركة التعريب في العالم العربي تسير سيرا بطيئاً لا يوازي التطور السريع للعلوم والفنون ولا تنتظمها خطة مرسومة وموتوتة الشيء الذي يجعل اللغة العربية تفتقر دائماً الى الكثير من المصطلحات العلمية والفنية .

(3) اختلاف المصطلحات التي تم تعريبها فيما بين الدول العربية .

(4) صعوبة اللغة العربية من حيث التواعد والكتابة .

(5) انعدام المناهج والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية لابنائها وللأجانب .

(6) عدم اهتمام ابناء العرب بنشر لغتهم في الخارج وخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .

الحلول المقترحة

(1) حل المشكلة الاولى

تشجيع تعريب الكتب والمراجع العلمية الجامعية التي تختار على الصعيد العربي من المؤلفات الاعجمية وتشجيع البحث والتأليف في مختلف العلوم باللغة العربية + إصدار معجمين عربيين لغوي وعلمي تعدهما الهيئات العلمية واللغوية في الوطن العربي «

ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ليؤيد كل التأييد تعريب الكتب والمراجع العلمية الاعجمية اذ يرى فيه الوسيلة الوحيدة لتوفير المراجع باللغة العربية لطلاب الجامعات وعاملاً قوياً

العالم ، اما بقية المصطلحات ففي اللغة العربية بفضل الاشتقاق والتوليد والتضمن مجال واسع لخلق الفاظها العربية .

ونبينا يرجع لنشر معجم للمصطلحات العلمية الاعجية مع جميع مقابلاته العربية هذا أيضا من المشاريع التي تدخل في التصميم العشاري للمكتب وقد انجز منه حتى الآن الجزء الاول من « معجم الفقه والقانون » وهو الآن بسبيل اعداد معاجم في الرياضيات وفي الفيزياء والكيمياء تضع امام اللغظين الفرنسي والانجليزي للمصطلح جميع مقابلاته العربية المستعملة او المقترحة من طرف مختلف البلاد العربية .

وجدير بالذكر هنا ان المركز الوطني للتعريب بالرباط سبق له ان نشر تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب معاجم علمية باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية في « الكيمياء » و « الرياضيات » و « الفيزياء » لكنها لم تتضمن سوى مقابل عربي واحد لكل مصطلح علمي اعجمي .

بقي علينا ان نقول ان هذه المشاريع المقترحة كلها مع وجاهتها واهميتها البالغة لن يكون تحقيقها كفيلا بجعل حركة التعريب تسير تطور العلوم والفنون مادة وزمانا ، فان اعمال التعريب ما زالت متخلفة عن الركب تخلفا كبيرا لا يمكن تداركه بغير الوسائل الآلية السريعة وقد خطط المكتب طريقة تستخدم فيها الآلات الكنفرانية لهذا الغرض وهذه الطريقة هي التي كانت موضوع « التصميم العشاري » او « المنهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي » المشار اليه سابقا .

(3) حل المشكلة الثالثة :

بناء الوحدة الثقافية العروبية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وابداد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد + توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية في مؤتمرات علمية تعقد على الصعيد العربي في تعاون مع مجامع القاهرة ودمشق وبغداد وقيام المكتب الدائم لتنسيق التعريب بمهمة التوجيه والتعميم .

لاشك في ان توحيد مناهج التعليم والكتب الدراسية في الوطن العربي شيء كليل بتحقيق الوحدة الثقافية العربية وبوضع حد لاختلاف الاصطلاح العلمي على الاخص وهو عمل لا يمكن ان يقوم به غير الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية .

اما بشأن توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية في مؤتمرات عروبية فقد قام المكتب في سنة 1964 بهذه المحاولة في الجزائر بتعاون مع الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية حيث انعقد مؤتمر شاركت فيه جميع الدول العربية وكان المكتب الدائم قد وزع على الاختصاصيين العرب في العلوم المعاجم التي اصدرها مع الملاحظات الواردة حولها وجاءت الوفود العربية مزودة بهذه الملاحظات وكادت اصول الوحدة تتركز بناء على مشاريع المكتب الدائم ولكن وقعت مجاذبات لا مجال لذكرها هنا .

(4) حل المشكلة الرابعة :

تبسيط قواعد اللغة في مؤتمر عام لعلماء اللغة + عقد حلقات على نطاق الوطن العربي لبحث مسألة تجديد اللغة العربية تحت اشراف المكتب الدائم لتنسيق التعريب + ايجاد طريقة مطبعية عملية لشكل الكلمات .

من توصيات مؤتمر التعريب المنعقد بالرباط في سنة 1961 والمنبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي وضع « كتاب في قواعد اللغة والنحو يراعى فيه ان يكون مبسطا واضحا سهل التناول وان يزود بفهارس دقيقة تمكن الباحث من العثور على ما يريد بأقل مشقة وان ترجع الهيئة التي سيناط بها تحقيق المشروع الى كتب النحو المتداولة القديم منها والحديث وان توجه اهتمامها الى الصعوبات النحوية التي تعترض الكتاب اليوم .. »

ومن توصيات مؤتمر التعريب ايضا في موضوع تيسير الطباعة العربية « الانتفاع بالطريقة التي ابتكرها الاستاذ احمد الاخضر والتي هي احسن ما توصل اليه لحد الآن وتشجيع المطابع الخاصة على الانتفاع بها كذلك لتوفير النفقات والجهود والزمن » .

(5) حل المشكلة الخامسة :

عناية الدول العربية بالكتاب المدرسي وبالمناهج المقررة وباسلوب التعليم + اصدار كتب دراسية موحدة بين الدول العربية من طرف لجان عروبية متخصصة في التأليف والترجمة .

جاء كذلك ضمن توصيات مؤتمر التعريب في موضوع الكتب الدراسية ما يلي :
« تبين المؤتمر من خلال تبادل الآراء ان معظم الكتب الدراسية في مادة اللغة العربية سواء اكانت في

التزمت به من خبراء لوضع المشروع الذي سيتم
للندوة (راجع اللسان العربي عدد 3 ص 276) .

6) حل المشكلة السادسة :

**اهتمام الحكومات العربية وجامعة الدول
العربية بفتح مراكز ثقافية ومعاهد لتعليم اللغة
العربية للاجانب في مختلف بلاد العالم وخاصة في
الاقطار الاسلامية غير العربية + العناية باعداد
المختصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين
بها وبتأليف الكتب ووضع البرامج والاشربة المسجلة
والافلام الصالحة لهذا التعليم + توسيع التبادل
الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان
الاخرى .**

نشر اللغة العربية في مختلف اقطار العالم
وخاصة في البلاد الاسلامية غير العربية من المسائل
التي يوليها المكتب الدائم لتنسيق التعريب اهتماما
كبيرا .

فقد طلب المكتب الدائم من سفارات الدول
الاجنبية بالرباط تزويده بمعلومات دقيقة عن مدى
انتشار اللغة العربية في اقطارها فتوصل منها
باجوبة كثيرة ستعمل على الاستفادة منها ونشرها
في مذكرة خاصة بحول الله .

هذا ومن جهة اخرى فان السيد الامين العام
للمكتب الدائم لتنسيق التعريب الاستاذ عبد العزيز
بنعبد الله قام في سنة 1966 بجولة في الباكستان
وايران للعمل على مد شبكة نفوذ اللغة العربية
كلغة للقرآن ولغة للمسلمين وللحضارة الاسلامية
وقد وجد استجابة كبيرة والتي محاضرات في الجامعات
ومراكز البحوث الاسلامية واتصل بالمسؤولين
لهذه الغاية وتبلورت نتائج هذه الجولة في ضرورة
العمل على تشكيل لجان ثقافية اقليمية في كل قطر
اسلامي على غرار الشعب الوطنية للتعريب
المشكلة في العالم العربي من اجل تركيز التبادل
الثقافي واللغوي بين الشعوب الاسلامية العربية
من خلال اللغة العربية .

وقام السيد الامين العام بجولة ثانية عام 1967
في القاهرة والرياض واقطار الخليج العربي للتعريف
بالتصميم العشاري الذي وضعه المكتب الدائم من
اجل اصدار خمسة معاجم تعيد للغة العربية مكانتها
التاريخية كلفة دولية للعلوم . كما قدم مذكرات الى
بعض الدول العربية من اجل الاسهام في تمويل هذه
المشاريع فوجد تفهما كبيرا .

« النحو او في المطالعة محدودة الموضوعات قليلة
المعلومات متشابهة المادة . وتبين ان ذلك لا يرجع
الى ضعف هذه الكتب وانما الى ضيق المجال
الذهني الذي يعيش فيه التلميذ العربي ، وقلة
الموضوعات التي يتكون منها عالمه الذي يعيش
فيه مما يؤدي ضرورة الى قلة ما يستعمله من
المفردات وما يحتاج للتعبير عنه من الانكار .

« وعلاجا لهذا فان المؤتمر يرى انه لابد من
العمل على توسيع المجال الذهني والعاطفي للطفل
العربي عن طريقة المطبوعات والادوات السمعية
والبصرية .

« ويرى المؤتمر انه لابد من ان تهدف كتب
المطالعة المدرسية الى تقوية روح الوحدة العربية،
اما عن طريق الموضوعات التي تتكلم عن العالم
العربي وبلاده ومناخه واسس وحدته او عن
طريق المختارات الادبية التي تمثل الانتاج الفكري
في شتى البلاد العربية » .

« ويوصي المؤتمر البلاد العربية بمواصلة
البحوث في موضوع تعليم اللغة العربية لغير العرب
حتى تنتهي هذه البحوث الى نتائج ايجابية قابلة
للتطبيق » .

ولتحديد مستوى الكتاب المدرسي العربي
ومقارنته بمستوى الكتاب المدرسي الاوربي طلب
المكتب الدائم لتنسيق التعريب من سفارات جميع
الدول العربية بالرباط وسفارات فرنسا وانجلترا
وايطاليا ان تزوده بكتب الحساب والمطالعة ودروس
الاشياء المقررة رسميا للتعليم الابتدائي في بلادها .
كما وجه الى وزارات التربية في مختلف الاقطار
العربية مذكرة مفصلة وضع فيها اسس العمل
لتنسيق جهود العرب من اجل اعداد الكتاب المدرسي
تمهيدا لعقد ندوة يشارك فيها الخبراء العرب في
التربية والتعليم تبلور خلالها وحدة المصطلح
المدرسي وموازاته للكتاب العالمي في السلك الابتدائي
وتوحيد الكتاب العربي نحوى ومنهاجا ومصطلحا وقد
قامت الجمهورية العربية المتحدة وحدها بتشكيل
لجان جردت الكتب المدرسية المعربة ، كما قام
المكتب الدائم بجرد الكتب الدراسية في كافة اقطار
العالم ووضع قوائم كاملة هي الان جاهزة ولا تنتظر
منذ ثلاث سنوات الا ان تمدنا الدول العربية بما

تلك خلاصة أهم المشاكل المثارة في الاجوبة على اسئلة الاستفتاء مع حلولها المقترحة ووجهات نظر المكتب الدائم لتنسيق التعريب بشأنها . وفيما يلي نتائج الاستفتاء مقسمة الى اربعة اقسام :

- (1) دائرة الاستفتاء
- (2) خلاصة الاجوبة
- (3) ندوة الاستفتاء
- (4) بحوث الاستفتاء .

دائرة الاستفتاء

أقطار الدائرة :

وردت الاجوبة على الاستفتاء من معاهد وهيئات وشخصيات مستقلة تنتمي الى الاقطار التالية :

- الجمهورية العربية المتحدة
- الجمهورية العربية السورية
- الجمهورية اللبنانية
- الجمهورية العراقية
- المملكة الهاشمية الاردنية
- دولة الكويت
- الجمهورية التونسية
- المملكة المغربية
- فرنسا
- هولندا
- الاتحاد السوفياتي

واجاب على اسئلة الاستفتاء بعض المؤسسات الثقافية التالية بصفة رسمية ووردت اجوبة بالاسماء الشخصية للمسؤولين على بقية المؤسسات او بأسماء اساتذتها او المنتخبين اليها وهي :

(أ) المعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية

- (1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (2) المجمع العلمي العراقي (3) الاتحاد العلمي العربي (4) كلية الطب بجامعة دمشق (5) كلية الطب بجامعة الاسكندرية (6) كلية الطب بجامعة عين شمس (7) كلية الصيدلة بجامعة القاهرة (8) كلية العلوم بجامعة عين شمس (9) كلية الهندسة بالقاهرة (10) كلية الزراعة بجامعة عين شمس (11) كلية التجارة بجامعة عين شمس (12) كلية الحقوق بالقاهرة (13) كلية التربية بجامعة دمشق (14) كلية التربية ببغداد (15) كلية التربية بجامعة عين شمس

- (16) كلية المعلمين بجامعة عين شمس (17) كلية البنات بجامعة عين شمس (18) جامعة بيروت (19) جامعة اسبوط (20) الجامعة التونسية (21) جامعة دولة الكويت (22) جامعة السريون بباريس (23) جامعة الدولة في ليد بهولندا .

(ب) الهيئات الرسمية العربية والاقليمية

- (1) الاتحاد البريدي العربي (2) وزارة البريد والبرق والهاتف بالكويت (3) وزارتا التربية العراقية (4) وزارة الثقافة والارشاد القومي بسورية (5) مستشفى دمشق (6) المكتبة العامة بعمان (7) المجلس الاعلى للقضاء بالرباط .

نتائج الاستفتاء

(أ) خلاصة الاجوبة على السؤالين الاول والثاني

ان المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها هي :

- (1) تخلف الدول العربية العلمي والحضاري
- (2) صعوبة اللغة العربية من حيث التواعد والكتابة
- (3) اهمال الدول العربية نشر اللغة في الخارج وخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .
- (4) وجود لغات دارجة اتليبية مختلفة تضايق النصحي
- (5) انعدام الطرق والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية لابنائها ولللاجانب
- (6) عدم وجود مراجع عربية كافية في نواحي العلوم المختلفة
- (7) عدم تشجيع الابتكار العلمي والتأليف باللغة العربية في مختلف فروع العلوم
- (8) عدم تحقيق الوحدة الثقافية بين الاقطار العربية
- (9) محاربة الدول الاستعمارية اللغة العربية لانها اصبحت ترتبط بمفاهيم الحرية

الحلول المقترحة :

- (1) الاهتمام بنهضة البلدان العربية علميا وثقافيا لجعلها في مستوى البلدان المتقدمة .
- (2) تبسيط قواعد اللغة العربية في مؤتمر عام لعلماء اللغة
- (3) اهتمام الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بفتح مراكز ثقافية عربية ومعاهد

- (2) نقص المصطلحات العلمية والفنية العربية
- 3 اختلاف المصطلحات بين الدول العربية
- (4) ضعف الاساتذة والطلاب الجامعيين في اللغة العربية
- (5) تقصير الجامعات في ميدان البحث العلمي
- (6) عدم تعاون الجامعات وحتى كليات الجامعة الواحدة على اختيار المناهج والمراجع والكتب الدراسية

الحلول المقترحة :

- (1) تكوين المكتبة العلمية بترجمة الكتب التي تختار للتدريس من المؤلفات الأجنبية + تشجيع حركة تعريب المراجع العلمية المختارة + عقد حلقات دراسية جامعية لمشكلة المعجم العربي يشترك فيها فقهاء اللغة واساتذة العلوم على مستوى الدول العربية + العمل على اصدار المجلة المتخصصة التي تحتاج اليها الجامعات ومراكز البحث الخ .
- (2) السرعة في عمل تعريب المصطلحات بكيفية موازية لسرعة تطور العلم .
- (3) اصدار كتب دراسية جامعية موحدة بين الدول العربية + اشتراك الجامعات العربية في ايجاد المصطلح العلمي الملائم .
- (4) ايجاد لجنة جامعية من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضمها الاساتذة الى لغة عربية سهلة ومتينة
- (5و6) تنسيق الجهود بين مختلف لجان الجامعات ونشر البحوث المترجمة لتعميم الفائدة

ت) خلاصة الاجوبة على السؤال الخامس

- كيف للعالم العربي ان يتخلص من مشكلة المصطلح العلمي ؟
- (1) اختلاف المصطلحات ينبغي القضاء عليه بالاكثر من عقد المؤتمرات العلمية
 - (2) ينبغي للمصطلحات ان يضعها المتخصصون من اعضاء المجامع العلمية كل حسب اختصاصه ثم تعرض على المجامع اللغوية

- لتعليم اللغة العربية للاجانب في مختلف بلاد العالم وخاصة في الاقطار الاسلامية غير العربية + العناية باعداد المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وبتأليف الكتب ووضع البرامج والاشروطة المسجلة والافلام الصالحة لهذا التعليم + توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى + نقل كل ما نتوهم فيه الجدة من فكرنا وادبنا الى اللغات الاجنبية
- (4) تشديد الرقابة على اجهزة الاعلام من اجل استعمال الفصحى دون العامية + تقريب الشقة بين الفصحى والعاميات
- (5) عناية الدول العربية بالكتاب المدرسي وبالمناهج المقررة وبأسلوب التعليم
- (6و7) تشجيع ترجمة جميع المراجع العلمية الجامعية الى اللغة العربية وتشجيع البحث والتأليف في مختلف العلوم
- (8) بناء الوحدة الثقافية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وايجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد + توحيد المصطلحات العلمية بين البلدان العربية + تنسيق جهود التعريب
- (9) اهتمام الدول العربية بصد التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللغة العربية في الدول الحديثة الاستقلال .

ب) خلاصة الاجوبة على السؤالين الثالث والرابع

- هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي ؟
- اذا كانت صالحة فما هي المشاكل التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول في نظرهم ؟

الجواب على السؤال الثالث :

اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي للعلوم الانسانية وهي صالحة كذلك لتدريس العلوم الحديثة لكن يلزم في هذا التدريس الاستعانة بلغة اجنبية .

الجواب على السؤال الرابع :

- المشاكل التي تعترض الاساتذة هي :
- (1) عدم وجود المراجع العلمية وكتب الدراسة باللغة العربية

لاقرارها مع السرعة في عمل تعريب
المصطلحات

(3) توحيد المصطلحات العربية تحت اشراف
الجامعة العربية وبمعاونة اعضاء المجامع
الثلاثة بالقاهرة ودمشق وبغداد مع تحديد
مدلولها وتوضيح مفهومها العلمي .

(4) تتبع الاساتذة ما تقره المجامع اللغوية من
المصطلحات وتطبيقهم اياها في تدريسهم
وتأليفهم .

(5) قبول المصطلحات العلمية العالمية بالفاظها
اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحية
وضمنها الروسية

6 الاقتصار على التعريب الحرفي للمصطلحات
وتوفير الجهد على المجامع اللغوية

(7) الاكثار من ترجمة امهات الكتب العالمية +
ايجاد لجان متخصصة للتأليف في مختلف
الفروع باللغة العربية + انعقاد لجان دائمة
تابعة لجامعة الدول العربية تضم اساتذة
الجامعات ورجال الصناعة من اجل توحيد

المصطلحات العلمية .

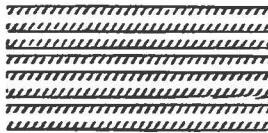
(8) ادخال الالفاظ العلمية التي لا يوجد لها مقابل
في الفصحى مثل مصطلحات اهل الصنائع +
استغلال اللغات الاجنبية التي اخذت من
العربية في القرون الوسطى وبعدها الفاظا
ما زالت فيها حية الى الان بعد ان انعدمت
في اللغة العربية + التنقيب في مؤلفات
القرون الوسطى العربية عن الالفاظ المولدة
التي تخلو منها معاجم اللغة + وضع كلمات
جديدة عن طريق الاشتقاق + تضمين
مفردات قديمة معاني جديدة .

(9) قيام المكتب الدائم بمهمة التوجيه والتعميم .

(10) نشر معجم للمصطلحات الفنية الاجنبية مع
جميع مقابلاته العربية

(11) اصدار قاموس عربي علمي عصري تساهم
فيه جميع الهيئات العلمية بالوطن العربي

(12) عقد حلقات على نطاق الوطن العربي لبحث
مسألة تجديد اللغة العربية تحت اشراف
المكتب الدائم لتنسيق التعريب .



كانت اللغة العربية من مصادر البحث العلمي قريناً!

فلماذا لا تكون مرجعاً اليوم؟

الأستاذ محمد طه النمر

مدير الإدارة الثقافية
(جامعة الدول العربية)

فانه لابد من ملاحظة صلة القطر وتربيته وبعده ، من البلاد العربية وما بين لغته القومية واللغة العربية من تقارب وأوجه ذلك التقارب .

وعلى كل فربما يكون تيسير تعلم اللغة العربية كتابة ونحواً من أهم ما يجب ان يكون في الاعتبار عند وضع خطة تيسير انتشارها .

— نعم — تصلح . ودليلنا على هذا ، انها ربما كانت في القرون الوسطى ، هي اللغة العالمية الاولى وقد ظلت حتى عصر متأخر ، مصدراً هاماً من مصادر العلم والبحث العلمي في اوربا .

— توحيد مصادر البحث والمراجع ثم :

الاتفاق على تسمية واحدة للفن او المادة العلمية في جميع البلاد العربية ، بمعنى ان يكون للعرب في اسرع وقت ممكن : مصطلح علمي واحد لكل فن من فنون المعرفة .

— الاجابة عن هذا السؤال ، وردت بصورة مقتضبة في الرد السابق فلا بد ان تكون هناك مصطلحات علمية واحدة في جميع البلاد العربية ، وذلك لكي يضمن للكتاب العلمي العربي مدرّساً كان ام لا التفهم المطلوب من قبل قارئه ثم سرعة انتشاره بين طالبه ، وحتى لا يكون في قطر او آخر مثله في موضوعه مثل الكتاب المؤلف بلغة اخرى غير العربية .

— العالم مناطق مختلفة . ففي آسيا وافريقيا وحيث توجد جماعات مسلمة او شعوب ذات صلة بالعرب وتاريخهم وثقافتهم ، يكون انتشار اللغة العربية اسهل . واما في امريكا واوربا ، فان المهمة باللغة الصعوبة ، لان لغات تلك الامم لا تمت الى العروبة بأدنى سبب . وهم يعتبرون اللغة العربية في امريكا من اللغات العالمية الصعبة كالروسية والصينية .

وعلى كل فان تعقيد قواعد النحو العربي ، واشتقاقات الالفاظ الكثيرة الى جانب وفرة المفردات من اسباب صعوبة اللغة العربية على الاجنبي ، لاي شعب كان انتسابه ، هذا الى الدقة المطلوبة في نطقها بحيث ربما تكون من هذه الجهة اوسع لغات العالم مخرج حروف وحركات . وهناك عامل ادبي تاريخي ، هو ان الامة العربية قد واجهت في عضورها المتأخرة حالة من الضمور الثقافي والفكري ، فانطفأت شعلة الابداع ، وصار التجديد تقليد القديم ان لم يكن مسخاً له وهكذا قل شأن العرب وشأن العربية ، واصبحت اللغة لا تحمل للعالم ما كانت تفني به من حضارة زاهية وفكر متجدد ، وادب خلاق ولولا ان لغة الاسلام وقرآنه العظيم كانت اللغة العربية لاصبحت العربية اليوم بلهجاتها المختلفة كثيرة التباين والاختلاف في شتى الاقاليم من الوطن العربي .

— اذا كان المقصود بهذا السؤال هو المشاكل التي تعترض انتشار اللغة العربية في الاقطار الاجنبية ،

تفاعس أبناء العربية

هوا مشكل

الركتر عبر الحليم نشر

امين عام الاتحاد العلمي العربي
استاذ بجامعة عين شمس

ان يداوا من حيث بدا هؤلاء ولتاخر سير المدنية
عدة قرون »

5 - ليس المصطلح العلمي مشكلة بالنسبة
للتدريس الجامعي والبحث العلمي ، فالعلم عبارة
عن حقائق يمكن التعبير عنها بأية طريقة ، واذا لم
يمكن ترجمة المصطلح الى العربية ففي مجال التعريب
متسع للجميع . ومن واجب العلماء العرب المحدثين
والمعاصرين ان يعملوا على التدريس باللغة العربية
فورا . وقدنيا قالت العرب جو مطريا واسطرونوميا
ومائيا طقي وما اشبه ونحن نقول الآن : ترمومتر ،
وبارومتر ، والكثرون ، ونيوترون وهكذا فهذه
جميعا الفاظ ومصطلحات أعجبية دخلت العربية ،
ولا ضير في استعمالها . كما أن اسماء المواليد ،
ينبغي أن تكتب باللغة العلمية المصطلح عليها الى
جانب الاسماء المحلية . كذلك تعمل الهيئات المختصة
على نشر معاجم علمية عربية موحدة تكون بين
أيدي الدارسين في العالم العربي كله . وقد نشر
مجمع اللغة العربية ثمانى مجموعات للمصطلحات
العلمية ، كما نشر الاتحاد العلمي مجموعة كبيرة
منها عرضت على المؤتمرات العلمية العربية المختلفة.
ويعمل المجلس الاعلى للبحث العلمي على نشر معجم
علمي عربي موحد .

وكذلك لا ينبغي أن نهمل اللغات الاجنبية
لتابعة المسائل العلمية بلغاتها الاصلية .

1 - ليست هناك مشكلة تعترض سير اللغة
العربية وتحد من انتشارها في العالم سوى تفاعس
ابناء العربية عن النهوض بها ، والعمل على حسن
اعداد الطلاب من ابناء الجيل الصاعد للاضطلاع بنشر
اللغة العربية .

2 - انجع الطرق لانهاض اللغة العربية
حسن تعليمها في المدارس ، وانشاء جيل مقوم
اللسان يجيد النصحى قراءة وكتابة وتذوقا .

3 - نعم تصلح اللغة العربية للتدريس
الجامعي ، وينبغي أن تكون لغة التدريس الجامعي
فورا .

4 - ليست هناك من مشاكل تعترض الاساتذة
للتدريس باللغة العربية ، سوى ضعف القائمين
بالتدريس في اللغة العربية ، وعدم الماهم الاسام
الكافي بمنجزات العرب في المجال العلمي خاصة .
فهذه العلوم المختلفة التي تدرس في الجامعات العربية
باللغات الاجنبية ، كانت تدرس أصلا باللغة العربية ،
وكانت منذ الف عام عربية خالصة ، كما كتبها ابن
الهيثم وابن سينا والبيروني والزهرابي والخازن
وغيرهم من مئات العلماء العرب الذين يقرنون الى
اعاظم العلماء في كل عصر وآن ، والذين كتبوا في
الرياضيات والفلك والهندسة والطب والزراعة
بلغة عربية سليمة . والذين قال عنهم سارتون (الولا
اعمال العلماء العرب لا يضطر علماء النهضة الأوروبية

تطور العربية رهن بتطوير الفكر العلمي عند العرب

ليس في العربية الآن ما يبرر حاجة الباحث

الأستاذ عبد الرزاق محي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي (بغداد)

1 — الاختلاف القائم بين لغة البيت والسوق والحديث الدارج من جهة وبين لغة الكتابة والخطابة من جهة أخرى . فما دام الحديث الدارج يجري بلهجة غير معربة ، وبفردات يكثر فيها المحرف والهجين فسيظل الفرد العربي مواجهاً لصعوبة تعلم الفصحى المعربة وشاعراً بثقل تعلمها .

ان اختلاف اللهجات الناشئة من ام واحدة امر تقتضيه طبيعة كل لغة تتسع او تتباعد اقطارها ، ويستحيل بذلك الغاء جملة الفوارق مهما بذل من جهد ، ولكن وحدة الكتاب المدرسي في التعليم ووحدة وسائل الاعلام الاخرى ستكون — دون شك — من تقارب اللهجات ، وتخفيف الفوارق بينها ، وستساعد بمرور الايام على اילاف الفصحى المعربة .

وبمحض المقارنة بين ما كان عليه الفرد العربي قبل خمسين عاماً وبين ما هو عليه الآن نشهد اللهجات العربية المختلفة وقد اخذت تلتقي على كثير من المفردات والتعابير حتى في الاوساط العامية .

2 — كتابة العربية : وتبدو المشكلة في ضبط حروف المفردة . ذلك ان القارئ المبتدئ والشادي لا يجد لحركة الحرف اداة مكتوبة ضمن الكلمة المكتوبة بحيث ينطبقها مضبوطة بتوجيه من الحركة — كما هو الحال في اللغات الاوربية — ولذلك فالقارئ مضطر ان يهتدي الى حركة غير مكتوبة ، فيتردد بين الحركات المختلفة للحرف .

والحل الضروري في رأيي ان يهتدي الى طريقة تكتب فيها الحركات ضمن حروف الكلمة وبذلك

قبل الاجابة على السؤال الاول اود ان استوضح ماذا يراد من كلمة « العالم » ؟ اهو العالم العربي ام العالم جملة ؟

فان يكن الثاني (وهو ما يقتضيه اطلاق كلمة «العالم») فالجواب عليه :

ان انتشار أي لغة انتشاراً عالمياً يتوقف على أمور كثيرة ، يرتبط أهمها بمركز الامة العلمي والحضاري ، وبمنزلتها الدولية ، وباستشعار امم العالم ضرورة تعلم لغتها للتعامل معها بفهم ما عندها ، والتفاهم معها ، اما للانتفاع بها لديها من علم او فن او الاحتراس من خطرها وسطوتها .

وكون تعلم اللغة وتيسير انتشارها — ومنها العربية — صعباً او ميسراً يأتي في المرحلة الثانية من الاسباب . فاللغة العربية يوم كانت لها دولة ذات شأن وتأثير في العالم تعلمتها امم مختلفة ، وكتبت وتحدثت بها شعوب بعيدة وقريبة ، ولم يحل بينها وبين ذلك صعوبتها وبعدها عنها ، هذا لكان سطوتها وسمو دعوتها ، وتأثر الامم بدينها .

واذن ، فمسبيل انتشار العربية بين امم العالم ان تعود الامة الناطقة بها ذات شأن عالمي يغري الامم الاخرى بتعلمها ، او يضطرها الى تعلمها . وهذا فيما اتوقع واقع مقبل قريباً ان شاء الله .

واذا كان المقصود من كلمة « العالم » العالم العربي وهو ما اظنه مقصوداً في السؤال ومن اللغة العربية « الفصحى المعربة من لهجاتها » فاهم المشاكل في نظري ثلاثة :

يزول كثير من غلط النطق ، ويبسر حفظ المفردة بشكلها الصحيح .

انه بذلك قد تشوه صورة الخط العربي المألوف ، ويباعد على وجه اليقين بيننا وبين الماثور من مخطوطاتنا ومطبوعاتنا ، الا ان علاج هذه المشكلة المستعصية يحتم علينا قبول ذلك ، ويفرض علينا التنازل عن بعض المزايا التي نجتنها الآن من المحافظة على جمال الخط ومن الانتفاع بالاثار المخطوطة .

على انه يمكن اعادة طبع المطبوع قديما بالصورة الخطية الجديدة ، وبذلك نتجنب خسارة الماثور .

علينا أن نوازن بين امرين : التيسير لمشكلة قائمة تتصل باجبالنا المعاصرة والقادمة ، ومزينة جمالية وآثرية لا يستشعرها الا المعاصرون . لقد اختلف شكل الخط العربي مرات متعددة عبر التاريخ ، ولابد ان يكون قد رافق كل تغيير مستويات لبعض المزايا الجمالية والآثرية الا ان ذلك لم يوقف حركة التغيير حيث وجدت له ضرورة ، بل لم نستشعر انه حصل على اثر ذلك كثير اسى او كبرفجة بل لعلنا استشعرنا من الآثار ما يؤكد الارتياح للتغييرات التي حدثت بها استحدثت من صور جمالية جديدة .

3 — مشكلة الاعراب — حركة الآخر — تبقى بعد هذا حركة الاعراب القائمة على آخر الكلمة فان الاهتداء اليها من العرب الخلف الاوائل امر يستدعي العجب ، ويعني فيها وطيعا خاصا ما تزال الحيرة تراود الباحثين بشأنه . وليس لدينا من وسيلة الآن للاهتداء الى ذلك الا تعلم « النحو العربي » ولكن تعلم النحو امر يتطلب جهدا شاقا وانصرافا جديا ربما يعادل تعلم جملة علوم .

وفي رأيي أن تيسير ذلك يكون بالاعتماد على الاكثر من القراءة الصحيحة ، والدربة عليها مستعنيين على ذلك بما قدمت بشأن رسم الكتابة العربية ليستعان بحركة الآخر المكتوبة بهيئة حرف على النطق رفعا ونصبا وجرا . وبالدرية على النطق الصحيح عن طريق شكل الحرف الآخر .

اما التجارب التي استحدثت في تيسير النحو بالغاء بعض ابوابه ، وبإيجاز قسم منه فلم تكشف حتى الآن عن نجاح ، وبقي ما كتب الاقدمون ضرورة لازمة لمن يريد تعلم النحو العربي .

ان حدوث اللحن على السنة الناطقين العرب ليس شيئا جديدا تميز به هذا العصر ، بل ليس شيئا جديدا حتى على العصور الاسلامية الاولى ، ولست اتحاشى ان ازمع ان اللحن قائم قيام اللفظة العربية ، لهذا لا اجد سبيلا لامكانية التخلص من اللحن .

ولست افسر الشذوذ والندور والقلّة الماثورة عن العرب في كتب النحو الا نوعا من الخروج على القواعد العامة ، نتيجة الجهل بها ، وعدم الثاني لكل الناطقين ان يلتزموا القاعدة العامة .

أريد ان اخرج من هذا الى ان ظاهرة اللحن ظاهرة طبيعية كان وسيظل الخلاص منها امرا مستحيلا على مجموع افراد الامة . وان التاريخ الذي حدد فيه ظهور اللحن كان تحديدا لانتشاره وكثرته لا لجرد حدوثه .

4 — اللغة العربية من حيث الوفاء بالافكار وبالخواطر العليا صالحة للتدريس الجامعي من دون شك ، وهي قد كانت كذلك يوم ترجمت اليها علوم الاولين مما لم يكن لها عهد سابق به ، بل انها استطاعت بعد فترة ان تصبح الوعاء الوحيد للمعرفة والمصدر الذي رجعت اليه اللغات الاخرى . والذين يخارهم الشك في صلاح اللغة العربية بصورتها القائمة للدراسة الجامعية يبررون شكهم بانتطاع العربية لفترة طويلة عن مواكبة النهضة العلمية المعاصرة ، وينشوء افكار ومسميات لم تعرفها العربية من قبل ، ولم تأخذ لها مكانا في مراجعها وكتبها .

الدراسة الجامعية تعني — فيما تعني — البحث والتتبع والرجوع الى المصادر والامهات وليس في العربية الآن ما يسد حاجة الاستاذ الباحث والطالب المعقب ولهذا يذهب من يذهب الى عدم صلاح اللغة العربية بصورتها الحاضرة الى الدراسة الجامعية .

والاعتراف بهذا الواقع لابد منه ، وانكاره لا ينفع العربية ولا يقدمها او يجعل منها لغة تفسي بتطلبات العصر بما جد فيه من علوم وفنون .

ولكن الاعتراف بهذا الواقع شيء والرضا عنه والسكوت عليه شيء آخر .

انقيم على هذا الواقع ونقره ونسترسل معه الى ان تصبح لغتنا لغة سوق ومنزل ام نعمل على

تغيير هذا الواقع ، وننتقل بلغتنا الى ان تكون لغة علم ؟

ان عجز اللغة يعني عجز اهلها والناطقين بها ان يبلغوا درجة الوفاء بالاغراض العلمية وبهذا تلقى الثبته عليهم لا على اللغة . ليست لغة الامة الا الصورة التعبيرية لما يجول في افكار ابنائها ، ولما يدخل في نطاق محصول المعرفة عندهم ، وليس بإمكان اي لغة ان تكون شيئاً غير هذا ، وسواء اكانت بالعربية مرونة وسعة ووفاء بالاغراض الجامعية ام لم يكن ، فان ما عليه حال ابنائها من العلم هو الذي يمكنها من الوفاء او يقتصر بها عن الوفاء .

ورأيت في المسألة ما يلي : -

(أ) في الانسانيات :

في الفترة المعاصرة وبعد ترجمة كثير من الآثار الانسانية الاجنبية، وقيام جامعات عربية كثيرة يدرس فيها اساتذة عرب تخصصوا في علوم وفنون مختلفة ، وقدروا على نقل الآراء والافكار من لغاتها الاصلية الى اللغة العربية احسب ان تدريس العلوم الانسانية باللغة العربية امر ممكن من الناحية العلمية وامر واجب من الناحية القومية هذا مع الاستمرار على الانتفاع باللغة الاجنبية والرجوع اليها كلما اقتضت ضرورة .

(ب) في العلوم :

أما في العلوم البحتة فبما انه لم يكتب لها في العربية كتب امهات ولم يترجم فيها الى العربية منها تسط كانه يفي بالبحث العلمي فان التدريس باللغة الاجنبية شيء لازم ، مع الحرص على تعريب العربية لها وتداخلها ، بتأليف كتب ومترجمات توضع تحت يد الطلاب وفي المكتبات تمهيدا لاتامة مكتبة عربية في هذه العلوم .

مشكلة المصطلح :

وفيما يتصل بالمصطلح العلمي فان مشكلته تأتي من ناحيتين :

(أ) عدم كفاية المصطلحات العلمية الموجودة الآن في اللغة العربية لسد حاجات ما جد من آراء ومسميات . وسد هذه الحاجة ضروري لجعل العربية صالحة للتدريس في الجامعات وبخاصة في العلوم . وسبيل ذلك نهضة جدية تشارك فيها الجامعات العلمية والجامع اللغوية فيعمد المتخصصون في الجامع العلمية الى وضع المصطلحات كل بحسب اختصاصه وكما يراه انسب ، ثم تعرض على الجامع اللغوية للاستئثار والمناقشة والتنسيق والانتقاء الى افضل المصطلحات وأكثرها مطابقة واتساقا مع الصيغ العربية ، ثم تعميم تلك المصطلحات على الدوائر العلمية والمعاهد والجامعات شيء من هذا يحدث الآن ، لكن نشاطا اكبر وعملا اوسع لابد ان يعمل في هذا الباب .

(ب) اختلاف المصطلحات بين عالم وآخر وجامعة واخرى ، وعلم وسواه ، وقطر وقطر الامر الذي يحدث البلبلة في المراد من هذه المعاني ، وهذه ظاهرة متوقعة في هذه الفترة من نهضتنا العلمية ، اذ لا تستقر المصطلحات وتأخذ مكانها الا بعد فترة من الزمن ، وبعد تدافع بينها الى ان يأخذ كل مصطلح مستقره في كتب الباحثين . ولو نظرنا الى مصطلحات العلوم والفنون التي نشأت في القرن الثاني الهجري واولائل النهضة العربية لرأينا انها لم تأخذ مكانها من الاستقرار والثبات الا في القرن الرابع .

كل ما نستطيع عمله الآن ان نختصر الوقت غاية ما يمكن لان تأخذ المصطلحات العلمية مكانها من الاستقرار .

اللغة العربية صالحة

ولكن المصطلح الوائمي يتطلب التنسيق

الدكتور أنسور بكير

مدير المكتب الدائم للاتحاد البريدي العربي
(القاهرة)

تسلمنا من حضرة المدير المحترم الدكتور أنسور بكير الخطاب الرقيق الآتسى :
« اننا والحق لنقدر لكم اعمالكم العظيمة في سبيل تنسيق التعريب في العالم العربي وما تبذلونه من جهد لحصر وجهات النظر العربية والاجنبية في مختلف المشاكل التي تجابه جهازكم عند قيامه بدراسة المصطلحات والالفاظ والقضايا العربية — كما نقدر لكم ما تستهدفونه من استفتائكم رجال العلم والمعرفة العرب والمختصين بقضاياهم بغية الحصول على نتائج مؤسسية على دعائم سليمة قوية لربط ماضي العرب المجيد وانارة الطريق الى المستقبل الباسم .
وقد رأينا الاسهام في الاجابة على الاسئلة الخمس بها وسعنا الجهد وما تجمع لنا من خبرات نرجو ان تكون لها نتائج وآثار تنفع بها وطننا العربي الكريم ولفنتنا القوية الثليدة) .
هذا وقد عممنا كتاب سيادتكم على ادارات الاتحاد للمشاركة والاسهام في الاستفتاء والادلاء بها عندها من رأي ومعلومات — وسنبلفكم كل ما يرد اليها فور وصوله .

- 1) من الاشكال اللغوية الصعبة وتركها للمتعمقين في الدراسات اللغوية .
- 2) ادخال الكلمات الاعجمية الضرورية — كما حدث في بدء الفتوحات العربية .
- 3) — اللغة العربية صالحة بلا شك للتدريس الجامعي .
- 4) — ان المشاكل التي تعترض الاساتذة في التدريس الجامعي تتبلور خاصة في مشكلة المصطلحات العلمية بالاضافة الى ميل بعض الفنين الى استخدام اللغة الاجنبية التي تلقوا دراساتهم بها .
- والحل في العلاج لذلك هو :
تنمية الوعي العام الى ضرورة استخدام اللغة القومية واعتبارها على قدم المساواة مع اللغات العلمية الكبرى .
- 5) — فاذا كان المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية

- 1) — ان اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية هي :
1) اختلاف اللهجات .
- 2) وجود مصطلحات اجنبية مستعملة محليا تختلف في كل قطر عن الآخر .
- 3) تعقيد بعض قواعد اللغة بما لا يتمشى مع مقتضيات العصر .
- 4) التردد امام استخدام كلمات اعجمية للدلالة على مدلولات فنية جديدة على اللغة العربية .
- 2) — وانجع الحلول لهذه المشكلات هي :
1) الدعاية الشعبية لتنقية اللهجات المحلية من المصطلحات الاجنبية كلما امكن العثور على مقابل عربي .
- 2) الدعاية في النطاق التعليمي لاستعمال اللغة العربية السهلة بقدر الامكان .
- 3) تنقية قواعد اللغة التي تدرس في المدارس

- (4) ارسال هذه المجموعات الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب لنشرها في العالم العربي على اوسع نطاق - وتقبل ما يبدو من ملاحظات أو انتقادات من كافة الاتجاهات .
- (5) نشر معجم يتضمن الترجمات الاجتهادية للمصطلحات الفنية الاجنبية حتى ولو بدا للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة اجتهادية واحدة .
- (6) سرعة الحركة في هذا المجال لمطالبة سرعة التطور العلمي والفني .
- (7) لجمع اللغة العربية أن يقر بطريقته العلمية المصطلحات التي يرى ضلها نهائيا الى الرصيد الدائم للغة العربية .

- فالمعالج للتخلص من ذلك يكمن في :
- (1) فتح باب الاجتهاد لكل مؤلف في ان يستنبط اصطلاحا عربيا يجده صالحا للحلول محل الاصطلاح الاجنبي .
- (2) استخدام الكلمة الاجنبية ذاتها ما دامت تمثل مدلولاً لا يمكن العثور على مصطلح عربي صالح للحلول محله .
- (3) تكليف كل مؤلف بأن يلحق بمؤلفه مجموعة المصطلحات الجديدة التي استخدمها سواء كانت عربية أم اجنبية مع ايراد تعريف مختصر لكل منها (وهذه هي الطريقة التي اتبعها الاتحاد البريدي العالمي في دراساته الفنية) .

ورد علينا من قسم اللغة العربية بجامعة ليدبهاولندا جواب عن الاستفتاء أبدت فيه الجامعة وجهة نظرها فقالت :

- (1) ان المشاكل القائمة في اللغة العربية هي صعوبة نقل الالفاظ الاوربية بالحروف العربية وعدم استساغة اللغة العربية للمصطلحات غير العربية خاصة في الحقل العلمي وانعدام الالفاظ المركبة في اللغة العربية .
- (2) اما حل مشكلة النقل المذكورة فهو - في نظرها - ادخال الحروف اللاتينية في اللغة العربية .
- (3) اللغة العربية صالحة للتعليم العالي والبحوث الجامعية في حقل العلوم الانسانية اي ان المشاكل المشار اليها في القسم الاول تعرقل هذه الدراسة وتلك البحوث في ميدان العلوم والبحث .
- (4) الاساتذة الهولنديون يجهلون هذه الصعاب التي تعترض اللغة العربية ولا يمكنهم الاسهام في حلها .
- (5) يجب ان تركز الجامعات العربية جهودها بالاعداد السريع لمعجم علمي موحد بالنسبة لجميع الدول العربية ومن الاهمية بكان ايضا احداث مسطرة مناسبة لنقل النصوص اللغوية .

اللغة العربية لا تنقصها القوة الذاتية التي تجعل منها لغة عالمية

جامعة عين شمس (القاهرة)

تلقينا من المراقبة العامة للبحوث والدراسات العليا بجامعة عين شمس خطابا رقيقا أرفقته بإجابات كليات التجارة والتربية والزراعة والطب والعلوم هذا الخطاب : « جامعة عين شمس تهنيء المكتب في سبيل تشخيص امراض اللغة العربية ومحاولة في الرأي فيما يرى المكتب الدائم عرضه عليها » .

كلية التجارة

افادت كلية التجارة انه يقتضي الاجابة على الاستفتاء الذي يجريه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي التمهيد للأسئلة الخمس : فذكرت ان الايضاح الذي سبق الاسئلة اشار الى تاريخ اللغة العربية وسيادتها في الاوساط العلمية والثقافية وانتشارها بقدر ما سبحت وسائل التعارف بين الناس واشارت ضمنا الى التخلف الذي لحقها في ميادين البحث والتطبيق في الوقت الذي تفوقت فيه لغات اخرى كانت من قبل تنقص عن اللغة العربية والكلية تهدف من هذا الاحتياط في افتتاحية اجابة الاستفتاء الى الابانة عن حقائق هامة منها :

الحقيقة الاولى :

ان التساؤل في حد ذاته قد يحمل على التردد في الحكم أو التشكك في الامر المطروح على بساط البحث وهذا ما نستبعده تماما ومن ثم فانها تحمل على التساؤل على انه يقصد به اثاره الامر لتوجيه النظر ويحث الهمة الراكدة وتجميع المفردات وتنسيقها للاستفادة بها .

وليس هذا كله ترددا ولا ارتيابا في صلاحية اللغة العربية لحمل امانة التعليم في كل وقت وفي كل مستوى اذ الصحيح انها اصلح اللغات « هكذا كانت وهكذا ستظل » ويؤيد هذا النظر نص قرآني كريم هو أول التنزيل فالآيات الاولى من صورة العلق لا

تسمح بمجرد التردد في هذا الامر . الا اذا جهلنا كتاب الله وجهلنا أمور الدين جملة .

فقوله تعالى : « اقرا باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم » موجهة الى النبي عليه الصلاة والسلام وبهذا التكوين صار قارئنا عالما بغير صحيفة او قلم .

ثم يلي ذلك مباشرة قوله تعالى : « الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » وهاتان الآيتان للناس كافة ومن ثم كان القلم والكتاب والترصيد (أو المشاهدة أو النظر) هم ادوات التعليم .

والخلاصة : هي ان تفوق اللغة العربية في حمل امانة البحث العلمي والتعليم امر مستقر .

وقد أصبح معلوما للجانب الباحثين « فضلا عن العرب بعد الدراسات المتصلة في القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين أن مخطوطات العرب كما اخبرت بها اقلهم من القرون الاولى للهجرة وفي العصر الوسيط .. لا تزال في مركز الصدارة والتفرد ومن هذا ان اللغة العربية الوحيدة التي تنفرد بحمل معاني القرآن الكريم ويستحال ترجمته الى لغة اخرى ولا يستثنى من هذا التعميم سوى ما يقوم على التجربة وخصائص المواد والطاقت فهذه توقفت عند العرب في القرون الاخيرة ومن ثم تخلفوا في حضارة المادة والطاقة وحسب .

والحقيقة الثانية : ان اللغة كائن حي والمجتمع

كذلك كائن حي وبينهما ترابط وثيق لا محل للاضافة بينهما هنا . فاذا تخلف المجتمع تخلفت اللغة حتما .

واضافت الكلية بانه من العبث محاولة نفخ الروح الوثابة في اللغة العربية ما بقي العرب في ركودهم وترك مواردهم لشعوب لا تتكلم العربية وهكذا تبقى اللغة العربية بمفرداتها المعاصرة ، متناسبة مع موقع الامة العربية من جلة الامم وينتجع على الامة التابعة في شأن تخلف اللغة امران احدهما : الجهل بالتراث او بمعظمه والاخر الفقر في الاضافات المستحدثة التي تصف الجديد من الصناعات والفنون والاوزاع الاجتماعية المناسبة لتقدم الحضارة والمدنية وتظل المراجع العلمية وهي ارقى ادوات التعلم بالقلم حافلة بالمصطلحات والمفردات التي صاغها اصلا غير العرب لتكون رموزا لكل جديد لا يحسن العرب ابداعه .

الحقيقة الثالثة : انه تأسيسا على ما تقدم يتعين القول برفض اليأس من اعادة اللغة العربية مكانتها من التفوق (لا مجرد الصلاحية) وكونها لغة هيثة وغيرها لغة تركيب .

الحقيقة الرابعة : ان عنصر الزمن جوهري : لان المطلوب هو عملية « بعث » لا مجرد اصلاح وتدارك ما فات - وكل حركة سطحية او عملية ستكون محدودة الاثر والسبب في ابراز الحقيقة الرابعة .. هو التحذير من استعجال النتائج .. والتنبيه الى اهمية العمل الدائب وفقا تجمع بين الشمول والمدي الطويل على نحو ما نشير الى بعضه في الاجابة على كل سؤال بدوره .

وبالنسبة للسؤال الاول وهو عن المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بالسرعة في العالم ، اجابت الكلية بالاتي :

١ - ضعف الايمان بصلاحية اللغة العربية عند فريق كبير من المثقفين من ابنائها ومنهم بعض قادة الفكر في كثير من المجالات (كادوات الاعلام واجهزة ومراكز البحث والتعليم) . واذا فقدت اللغة ايمان اهلها بقدراتها كان لزاما ان ينصرف عنها غيرهم .. ومن ثم تراجعت اللغة العربية عن ان تكون لغة عالمية .

ب - تراكم الانتقال التي اطبقت على اللغة العربية في عهود الضعف والتراجع ، من زمن الترك الى زمن التفكك والضياع الذي نزل بالمجتمع العربي مع احداث القرن التاسع عشر . ومن هذه الانتقال

زحف اللغة العامية وتنوع لهجاتها في البلاد العربية ثم كان الاحتلال الاجنبي في اوائل القرن التاسع عشر. للبلاد العربية الهابطة الى مدارك التخلف بعد التفكك فجاءت اللغات الاجنبية واحتلت مراكز الصدارة في الدواوين والمعاهد .. وارتاحت الجاهير الى العامية.. وانتشر وباء العامية حتى شمل البيوت ومن ثم المجتمعات في معظم المستويات حتى الف المثقفون في عصرنا استخدام العامية واصبحت عندهم لغة اصيلة .

ج - فداحة الجهد المطلوب بذله من العالم العربي المتخصص حين يحاول الحاق لغته بلغات قوم درس في معاهدهم وعاشت هذه المعاهد في بيئة علمية واجتماعية متفوقة من النواحي المادية والفنية على بيئة العرب .

واذ تثقل اعباء العالم العربي في هذا الخصوص فانه يؤثر الدعة ويلتزم لغة القوم الذين اخذ عنهم ما اخذ من المعرفة ثم ان هذا العالم ينشر العلم الذي حصله باللغة الميسرة له وهي لغة اجنبية .

وبالنسبة للسؤال الثاني وهو انه اذا كانت توجد مشاكل تعترض سير اللغة فما هي انجح الحلول في نظركم ؟

١ - يسترد المثقفون العرب .. ايمانهم باللغة العربية بالدراسة المبكرة والمتصلة في الوقت ذاته وهذا امر يستلزم وضع المناهج المتصلة والموحدة في البلاد العربية .

ب - تتراجع اللغة العامية عن المراكز غير الشرعية التي احتلتها باجراءات تملكها الدولة في المحل الاول .

تشديد الرقابة على اجهزة الاعلام ومعاهد العلم فلا يؤذن باستخدام العامية في الصحافة (وهذا يحدث من غير شك بمقدار) .

وكذلك استخدامها في الجامعات والمدارس ونحوها .. ويتراجع استخدامها في اجهزة الاعلام الاخرى تدريجيا (كالاذاعة بأنواعها) .

بعد ذلك تبقى الاسواق والمصالح والمرافق الكبرى وهذه تلاق حصينة للعامية . ومن خير الوسائل لتوهين هذه القلاع .. العناية بالبيت العربي واهم دعائمه الام .

ومن ايسر ما يتعين تقريره هنا .. ضرورة

تعليم القرآن الكريم للبنين والبنات جميعا من المراحل المبكرة - مع المتابعة الى اعلى المستويات .

هذا الكتاب وحده هو الجامع للعرب على لسان واحد وهو المانع من تراجع اللغة الفصحى في المجتمع العربي .. وفي هذه الاشارة بدورها ايجاز شديد .. ولكن ما وراءها يتضح بالضرورة لكل مهتم بدراسة اللغة العربية .

السؤال الثالث وهو :

هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي ؟
وقد اجابت عليه الكلية بالآتي :

ليس في اللغة اي تصور يحول بينها وبين الابانة الواضحة عن القصد او الدلالة الدقيقة بالحرف على معنى قائم في الذهن .. او صياغة الرمز الدال على شيء له وجود .. ومن ثم يكون التعليم الجامعي بهذه اللغة واجبا .. وهنا يحسن الاشارة الى تسمين رئيسيين من العلوم : احدها مجموعة العلوم الانسانية وهذه تتفوق فيها اللغة العربية في كل وقت حتى في ازمة التخلف في الحضارة المادية وقسم آخر يتألف من الدراسات النظرية والتطبيقية للمواد والطاقت وخصائصها .. والظواهر الكونية .. وهذه علوم تجمعية او تراكمية ... يضاف اليها كثير من الحقائق العلمية في كل جيل . والذي يضيف المعرفة هو الاقتر على تسميتها . لذلك لا يكون صوابا قصر الدراسة في الجامعات على اللغة العربية في فروع ناشطة دائمة كالطب والهندسة والرياضيات والطبيعة والكيمياء وعلوم النبات والحيوان الخ.

في هذه الدراسات كلها تجب العناية بالتدريس باللغة العربية .. ولكن ستبقى بعض اللغات الاجنبية في منزلة اللغة المساعدة للأسباب السالف ذكرها في المقدمة .

والسؤال الرابع يقول : اذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي فما هي المشاكل التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول في نظركم ؟

واجابت الكلية على ذلك بقولها : ان اهم المشاكل التي تعترض الاساتذ الجامعي في الجيل الحاضر (من زاوية هذا البحث الخاص ما يلي) :

1 - تفوق المراجع الاجنبية بمادتها العلمية والصياغة من حيث الاسلوب وملازمة اللغة .. ومن العسير ان نطالب الاساتذ الذي يخلص في عمله ان يسقط من الحساب .. جملة المراجع الاجنبية التي

تتفق في مستواها مع المستوى العلمي والفني للبيئة التي يعيش فيها المؤلف .

وحين يعتمد الاساتذ العربي على المرجع الاجنبي فانه يتأثر حتما بالاسلوب والمصطلح الذي استحدثه العلماء الاجانب ..

وعن الاساتذ العربي يتلقى الطالب العربي - ب - يزيد من تفاقم هذه المشكلة (وهي اصلا ليست هينة) تلك القطيعة المذهلة بين الجامعات في البلد الواحد بل بين كليات الجامعة الواحدة وغني عن البيان ان التباعد اشد بين جامعات الاتاليم العربية فان وجد التعاون فهو محدود الاثر غير ملتزم بمنهاج وهدف ولا اهمية هذه المشكلة .. تلاحظ مثلا ان كتابا معينا في الاقتصاد او في المحاسبة او في الجراحة او في البترول يقرأ في عشرات الجامعات الاجنبية ويقرأ ايضا في اتاليم كثيرة شرقا وغربا .. اما عندنا في البلاد العربية فالمرجع محلي .. وهذه الحال تمنع من تسخير الموارد وتعبئة الكفايات العلمية لاجرا المراجع الجديرة بالمستويات العالمية .. على ان تكون اساسا باللغة العربية مع الاستعانة بالمصطلح الاجنبي حيثما يتعين ذلك . وللتغلب على هذه الصعاب ، وسائل اهمها ..

1 - العمل على اصدار المراجع العربية الكبرى التي تصلح للعديد من الكليات والجامعات فمثلا مادة (اصول الاقتصاد) تدرس في كلية التجارة وفي كلية الحقوق .. في كل الجامعات .. وتقرأ ايضا في كليات العلوم السياسية وغيرها . ولو ان كتابا واحدا (او عددا من الكتب) صدر عن مجموعة من الاساتذة لكان صالحا للعديد من الكليات والجامعات في كثير من البلاد العربية .

ان مثل هذا التنظيم يفتح الباب امام الاجادة ثم التفوق في الترجمة واختيار النقول وشرحها ثم التأليف .. ويجعل ثمن الكتاب معقولا والجزاء الذي يعود على المؤلفين مناسبا للجهد الذي يبذلونه .

ب - تحتاج الجامعات وكذلك مراكز البحث ومشروعات الصناعة ودوائر الاعمال ، الى المجلة المتخصصة وهذه كبيرة النفقة .. ولكنها اداة العصر .. وهي في يد الاساتذ كأجهزة الرصد .. وترقب سير الاحداث وتعين على تصور الاتجاهات الصحيحة . وحين تكون المجلة العلمية العربية مقروءة في البلاد العربية كلها او معظمها .. فان التكلفة تهبط نسبيا مع الحرص على المستويات في ميادين البحث العلمي ومع المتابعة ايضا .

وبخصوص **المجلة العلمية** يتعين التنبيه الى انها قد أصبحت مؤخرا من أدق **المؤشرات الدالة على مدى التقدم العلمي والمتابعة** ... وحين ننظر الى المجلة البابائية مثلا .. (وتاريخها في الصناعات وفي البحث العلمي التالي للثورة الصناعية.. هو تاريخ قريب بالقياس الى البلاد القديمة) . نقول بأننا حين ننظر الى المجلة البابائية نرى بوضوح علامات التقدم الشامل للفكر والبحث ودقة التعبير .. ولا نزاع في أن المجلة في غرب أوربا وفي الولايات المتحدة وكندا قد سبقت الى التفوق .. وفي هذا الخصوص تفصيلات تبعث على الاسى .. اذ أن هذه الادوات الاجنبية هي الوسيلة الوحيدة (للآن) امام الاستاذ العربي .. لمتابعة العلم بموارد بلاده .. فضلا عن الدراسات الاخرى التي تخص البلاد الاجنبية أو تتناول العلوم والفنون بوجه عام .

السؤال الخامس : المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية .. فكيف للعالم العربي أن يتخلص من هذه المشكلة ؟

الاجابة : هذا صحيح .. ولمواجهة هذا الاشكال الكبير .. وسائل أهمها :

1 — اعادة النظر في اماكن الافادة ببعض الاجهزة العربية القائمة او الهيئات .. ولناخذ مثلا من (مجمع اللغة العربية) ولنتساءل كم من اساتذة الجامعات يتصل به أو ينتفع بالدراسات التي تجري فيه والمطبوعات التي تصدر عنه ؟

ثم نسأل : كم من اساتذة الجامعات يقدم الى لجان المجمع .. ما عندهم من تسميات اجتهدية .. أو من آراء جديرة بالبحث للتمزيج والاقتران أو للاستبعاد ؟ وبالقياص على هذه الهيئات الموقرة .. لنا أن نتساءل عما اذا كانت الجامعات ومراكز البحث العلمي قد افادت من الهيئات الكثيرة القائمة في البلاد العربية أم الحال غير ذلك !

ومن أكثر الهيئات حاجة الى هذه الدراسة بالذات معهد المخطوطات العربية .. مع أن بعث هذه المخطوطات (ولو تباعا في بضع) سيمد المكتبة العربية بكثير من المصطلحات العلمية الدقيقة .. كما حدث بعد دراسة جانب من آثار ابن خلدون ، مثلا : أما المصطلحات المتصلة بالتجربة والتحليل وفلسفة الطبيعية والفنون التطبيقية .. فان الركود يخيم عليها .. والتباعد بين المختصين قائم ..

2 — تنظيم العمل الجماعي في داخل الجامعة الواحدة ، ثم جامعات الاقليم واخيرا فيما بين الجامعات ومراكز البحث العلمي والهيئات النظرية .. وذلك بعقد اجتماعات دورية تعرض فيها المشكلات وتبحث .. وتصدر بشأنها قرارات إما بالاعتداد أو بالأحالة الى جهة اعلى من حيث الاختصاص .

وفيما بين الاقاليم العربية يتعين عقد مؤتمرات دورية متباعدة كل سنة أو كل سنتين مثلا . وفي هذه المؤتمرات ننظر المصطلحات التي اقترتها هيئة اقليمية .. فان اجازها المؤتمر اجيزت على مستوى البلاد العربية جملة ..

3 — توثيق الروابط بين هذه الهيئات المحلية في الاقليم وتلك التي تجمع البلاد العربية من جهة .. وبين المراكز العلمية الاجنبية المشتغلة بدراسة اللغات الشرقية بوجه عام واللغة العربية بوجه خاص .

ومن هذا الاتصال خارج نطاق البلاد العربية .. يكون التمهيد لاجراء المصطلح العلمي العربي عن دائرة البلاد العربية ..

ومن حيث أن هذه البلاد (في حاضرها) لا تزال متخلفة في امور اشرنا اليها في المقدمة .. فسيكون اثر هذا الاتصال بالعالم الخارجي .. محدودا ولكنها بداية .

وعن هذه الاجتماعات الدورية والمؤتمرات .. تصدر مطبوعات جديرة بالناية التامة .

4 — اذا اعتبرنا هذه المطبوعات (المشار اليها في البند السابق مباشرة) مسودات صالحة فانها تكون نواة لمجلة المصطلحات العلمية العربية.. وللمعاجم المتخصصة ولدائرة المعارف المتخصصة أيضا .

وهذه كلها ادوات للبحث العلمي ، وفيرة في اللغات الاجنبية .. نادرة عندنا .. لا بسبب عجز اللغة بل بسبب البطء في الحركة والفرقة بين العرب ..

كلية التربية

كما افادت كلية التربية بما يلي :

ان اللغة العربية لغة حية تستطيع التعبير عن التطورات العلمية والتغيرات الاجتماعية في شتى مناحي الحياة نظرا لما فيها من اتساع في الاشتقاق وغنى في الالفاظ ولكنها اليوم تواجه ظروفا لا دخل للغة العربية فيها تقف حائلا دون قيامها بهذه الوظيفة

اللغة العربية وفي تعليم اللغات الأجنبية الحديثة لتأليف الكتب ووضع البرامج التعليمية والاشروطة والتسجيلات والأفلام وما إلى ذلك .

ج - إنشاء المعاهد التي تقوم بتعليم اللغة العربية وتشجيع الاذاعة بتقديم البرامج لتعليم هذه اللغة باللغة الأجنبية وحث دور النشر على الاهتمام بتوزيع الكتاب العربي .

د - ان تهتم الدول العربية مجتمعة بفتح مراكز للثقافة والوقوف امام التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللغة العربية في الدول الحديثة والحديثة الاستقلال .

هـ - ترجمة الدراسات والبحوث التي تهتم باللغة العربية في ميادين مختلفة الى اللغات الأجنبية لتكون في متناول غير المتكلمين بالعربية ولتكون وسيلة تعارف للثقافة العربية المعاصرة وتجيبوع الدراسة النظرية والمحاولات العملية التي تمت لتيسير كتابة اللغة العربية وتعرض على لجنة لدراستها والوصول فيها الى قرارات نهائية كذلك يحتاج الامر الى عقد مؤتمر للنحو العربي لوضع قواعد تضبط نظام الجبلة المعاصرة .

تجميع المصطلحات العلمية التي ترجمت من المؤلفات والمجلات والجامع وغيرها عن طريق اللجان والمؤتمرات .

اما بالنسبة للتدريس في الجامعات باللغة العربية فان ذلك لا يعجزها فهي كذلك بالفعل في كثير من جامعات الامة العربية .

كما ينبغي أن تباح للاستاذة والطلبة القراءة في ميادينها وفي الادب المعاصر وان تتوفر لهم الفرص للتعبير باللغة العربية .

كلية الزراعة :

وقد أفادت كلية الزراعة بالآتي :

أ - انتشرت اللغات الأجنبية في معظم الدول التي عاشت لمدة طويلة تحت نير الاستعمار ولم تحرر معظم هذه الدول الا حديثا بعد الحركات التحررية الأخيرة .

ب - الحلول ستفرض نفسها لان الدول الصديقة والاسيوية والافريقية ولاسيما الحديثة التحرر منها تستعين بالجمهورية العربية المتحدة من مدرسين وفنيين ومستشارين وهؤلاء كفيون بنشر اللغة .

الاجتماعية الخطيرة ، وربما كانت مسؤولية المشتغلين بها والقائمين عليها اكبر من ان تصور ، فقد استطاعت ان تحل الفكر الانساني جيلا بعد جيل في صناء وعق . فاللغة العربية لا تنقصها القوة الذاتية التي تجعل منها لغة عالمية تتعدى حدود مناطقها من المحيط الى الخليج الى آفاق ابعد وبقاع ارحب ولكن اهل اللغة لم يحاولوا ان يحتقوا لها ذاتيتها التي كانت. ولهذا ترى الكلية ان من المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها مردود الى :

أ - نقص في الأدوات والوسائل مثل الكتب المؤلفة والاشروطة والتسجيلات التي تساعد في تعلم هذه اللغة لغير الناطقين بها .

ب - عدم اهتمام الدول العربية مجتمعة بإنشاء المعاهد والمؤسسات التي تقوم بتعليم اللغة العربية في البلاد الأجنبية وخاصة البلاد التي يسمح تاريخها ودينها بإنشاء مثل هذه المعاهد والمؤسسات.

ج - عدم اهتمام الاذاعة ووسائل الاعلام في تدريس هذه اللغة لاهل تلك البلاد .

د - الكتاب العربي والثقافة العربية لم تنل الاهتمام المطلوب والعناية اللازمة لنشرها في الاسواق العالمية .

هـ - ان اللغة العربية لا تزال حتى اليوم وربما بصورة اشد هذه الايام تلقى تمنا وتصادف حريا من الدول الاستعمارية أو ان اللغة العربية أصبحت ترتبط اليوم بفاهيم الحرية لكل المجتمعات .

و - المحاولات لتذليل صعوبات هذه اللغة وتطويرها وجعلها لغة عالمية متطورة من ناحية طريقة الكتابة والقواعد لا تزال قليلة .

ز - المصطلحات العلمية وخاصة في ميادين العلوم الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية وميادين الفنون التطبيقية لا تزال قليلة ولا يزال كثير من الاساتذة في دور العلم والثقافة يستعملون المصطلحات الأجنبية (لعدم وجود ما يقابلها باللغة العربية) . لكل ما تقدم تقترح الكلية حلا لكل المشكلات ووضع اللغة العربية في مكانتها اللائقة بها بما يأتي :

أ - ان تزداد العناية باعداد المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عن طريق إنشاء المعاهد المتخصصة في هذا المجال .

ب - تأليف لجان من المتخصصين في تعليم

ج - تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي .

د - اهم المشاكل التي تعترض الاساتذة في التدريس والبحث هي قلة المراجع العربية ويجب التوسع في الترجمة والتعريب والتأليف . كما ينبغي العناية بتدريس اللغات الاجنبية لاسيما لطلبة البحوث.

هـ - لابد من عقد لجان تضم مختلف المشتغلين بكل فرع من فروع العلم لتوحيد المصطلحات قبل الانطلاق في طريق الترجمة والتعريب والتأليف .

كلية الطب :

كما افادت كلية الطب بالآتي :

ا - وضع المصطلحات الطبية الكاملة للشيء الذي لم يتمه المجمع اللغوي .

ب - تأليف المراجع المناسبة لمرحلتى البكالوريوس وما بعده .

ج - تكوين مكتبة الخلاصات العلمية للبحوث باللغة العربية .

د - تكوين المكتبة العلمية للترجمة للكتب التي تختار للتدريس من المؤلفات الاجنبية .

هـ - اللغة العربية تصلح للتدريس بالجامعة في المواد ذات التطبيق العملي العام كالطب الشرعي والصحة العامة أما بقية المواد فتري الكلية تأجيل التدريس فيها باللغة العربية لحين توزيع ما تم من مصطلحات عربية على جميع اعضاء هيئة التدريس بالجامعات .

و - تشجيع حركة التعريب للكتب المنتاة مع اختيار المراجعين النقاء من رجال الجامعات .

كلية العلوم :

وانادت كلية العلوم بالآتي :

(1) بأن عدم انتشار اللغة العربية بسرعة في العالم كونها لغة غير عالمية - عدم وجود مراجع عربية كافية في نواحي العلوم المختلفة .

(2) في خصوص انجح الحلول للمشاكل التي تعترض سير اللغة العربية يجب اهتمام الدول العربية بالتعليم والتهوض بالبحوث حتى اذا ما كانت نتائج البحوث لافتة لنظر العالم اضطر للاهتمام بلغة هذه البحوث .

(3) اللغة العربية تصلح للتدريس الجامعي اذا ما توافرت المراجع وخاصة في المراحل الاولى من التعليم الجامعي ثم تمتد الى غيرها من المراحل .

(4) ان المشاكل التي تعترض الاساتذة في تدريس اللغة العربية تكمن في عدم وجود المراجع والقواميس اللازمة .

(5) المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، فكيف يتخلص العالم العربي من هذه المشكلة ؟

الجواب انه لا مانع من ان يذكر الاستاذ المصطلح الاجنبي مع تعريبه حتى يتمكن الطالب من الاطلاع على الكتب والمراجع الاجنبية .

كلية المعلمين :

ويتلخص رد كلية المعلمين في الآتي :

1 - ان اهم عامل يعوق سير اللغة العربية وانتشارها في العالم هو عدم وجود ارساليات تعليمية للدول العربية في دول العالم غير العربي وهذا راجع الى ضعف المركز السياسي الذي فرضه الاستعمار على الدول العربية .

2 - ونظرا لان الدول العربية قد تخلصت من السيادة الاجنبية فان انجح وسيلة لانتشار اللغة العربية في العالم هو قيام الجامعة العربية بافتتاح ارساليات لتعليم اللغة هذا الى جانب السفارات والتفصيلات العربية في سائر بقاع العالم وتزويد هذه الارساليات بالاساتذة والمراجع .

3 - تصلح اللغة العربية للتدريس في الجامعات

4 - والمشكلة التي تعترض التدريس باللغة العربية في الجامعات يمكن التغلب عليها وذلك بتعريب الكتب العلمية والمصطلحات ومثل هذه المشكلة تد صادفت العرب في العصر العباسي ولم ينفوا امامها بل تغلبوا عليها بالتعريب والاشتقاق .

5 - اما عن مشكلة المصطلح العلمي وكيف يمكن جعله عربيا ؟

فالملاحظة ان تعريب المصطلحات العلمية يحتاج الى دقة حتى يؤدي اللفظ العربي ما يقصد من المصطلح الاجنبي ، ويقوم الآن اساتذة الرياضة والعلوم الطبيعية وغيرها بترجمات اجتهدية - وقد تختلف هذه الترجمات من استاذ لاستاذ وقد يؤدي

هذا الى اختلاف في المعنى . لذلك يجب وضع نظام شامل لتوحيد تعريب هذه المصطلحات ، ولاشك ان المجمع اللغوي يقوم بهذه المهمة .

واوصت بقيام هيئة تشرف على التعريب بمعد اجتماعات دورية تستعرض ما وصل اليه الاساتذة والاختصاصيون . وبذلك يمكن التخلص من الخلط في تعريب المصطلحات ومن بطء عمل المجمع اللغوي .

كلية البنات :

أفادت كلية البنات بآراء السادة الاساتذة كما يأتي :

ان عدم انتشار اللغة العربية في العالم والمشاكل التي تواجهها هي عدم وضع طريقة جديدة مبسطة لتدريس اللغة للأجانب وعدم وجود معاهد في البلاد الاجنبية تتبع المراكز الثقافية — طريقة ترتيب الجملة بالوراثة .

وأما عن صلاحية اللغة العربية للتدريس في الجامعة فالكل أجاب على صلاحيتها ولكن البعض تحفظ بقوله انها تصلح للتدريس ولا تصلح للبحث لانها لغة شعوب هذه الدول .

لعدم وجود المراجع العلمية أو القواميس وعدم توافر المراجع المترجمة والبعض اقترح ان يبقى المصطلح باللغة اللاتينية والبعض ابدى ان تبقى اللغة الاجنبية كلفة مساعدة .

وعن المشكلات التي تعترض الاساتذة وكذلك نمو اللغة وانتشارها في العالم فهي مشكلة المعجم العلمي

والمصطلحات وابداء مقررات علمية عربية للمصطلح العلمي ولا يمكن القول بأن اللغة العربية عاجزة عن ان تسير التطور العلمي . فالتاريخ يحدث عما شهدته اللغة العربية على استيعاب كل العلوم والثقافات في حركة الترجمة المشهورة التي عريت تراث العلوم والفكر ومنها الطب والهندسة والفلك والرياضيات وبين ذلك من استقراء تراث علماء العرب في عصر النهضة الانسانية الذين كتبوا مباحثهم ومؤلفاتهم بالعربية امثال : ابن الهيثم ، والخوارزمي ، والبيروني ، وابن سينا والكندي وابن رشد وابن النفيس ، وابن البيطار .

والموضوع يحتاج الى عقد حلقات دراسية جامعة لمشكلة المعجم العربي يشترك فيها فقهاء اللغة واساتذة العلوم على مستوى الدول العربية لدراسة ابعاد المشكلة والنظر في ايجاد حلول حاسمة لمسألة المعاجم اللغوية واشخاص العلماء .

كما ذكرت الدكتورة بنت الشاطيء بأنه سبق ان دعت منظمة اليونسكو الى عقد مؤتمر من الخبراء تعرض عليه حركة تجديد اللغة العربية التي يجب ان تصلح للتعبير عن حاجات الحياة الحديثة وتصلح للتعليم العالي . وكان ذلك عام 1951 وبعد خمسة عشر عاما من ذلك المؤتمر اصبحنا نواجه المشكلة ونرى انه يجب عقد حلقات لدراسة هذه المشكلة ويبحثها على نطاق الوطن العربي افضل من بحثها في مؤتمر دولي والمكتب الدائم لتنسيق التعريب اهل لان يشرف على هذه الحلقات ومتابعة ما تنتهي اليه من مقترحات كيلا يكون مصيرها كمصير مقترحات (مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية الذي عقد في الجزائر سنة 1964) .

جامعة أسيوط تقول :

العيب في الباحثين العرب في اللغة العربية

للككتور عبد الوهاب البرلس
- وكيل الجامعة -

وصلنا من حضرة وكيل جامعة أسيوط الخطاب الآتي :

« اني اشكركم على خطابكم الخاص بالتعريب وأرجو لكم وللمكتب كل توفيق . ويسرني أن أرفق خلاصة لرأيي في هذا الموضوع تاركاً موضوع انتشار اللغة العربية نفسه لمن هو اقدر مني على بحث هذا الموضوع »

والمؤلفات منشور بهذه اللغة مما يدفع اهل العلم للبحث والاطلاع في هذه المراجع ولن يتيسر للتعليم الطبي باللغة العربية ان يسير التقدم العلمي العالمي قبل ان تنتشر حركة التأليف باللغة العربية والترجمة والاختصار من اللغات العلمية العالمية - وخاصة الانجليزية الى اللغة العربية ثم انتقل الاساتذة انفسهم للغات الاجنبية حتى يقرأوا ويترجموا ويؤلفوا ويحضرؤا المؤتمرات ويشاركوا مشاركة فعالة في الشهرة العلمية العالمية .

ج 5 - لعل غيري اقدر على الخوض في هذه المشكلة ولكني أرى انه اذا أخذ بالتوصيصة السابقة فانه يمكن خلال مرحلة الانتقال استعمال المصطلح اللاتيني المتعارف بجانب المصطلح العربي حتى لا يكون هناك خلاف علمي على المدلول .

وعلاوة على ذلك اعتقد ان مجمع اللغة العربية يبذل جهدا كبيرا في التعريب ولعل الجهود توحيد في نطاق جامعة الدول العربية .

ج 3 - تصلح اللغة العربية قطعاً للتعليم الجامعي بل هي اللغة المستعملة في التعليم الجامعي في الجمهورية العربية المتحدة وهناك المئات من المؤلفات والمراجع لطلاب جامعات الجمهورية باللغة العربية وضعها الاساتذة المصريون وتجزئ لوائح الجامعات التعليم بلغة أخرى بعض المقررات حسبما يقرر مجلس الجامعة واللغة الأخرى التي تستعمل في التعليم الجامعي في بعض المجالات هي اللغة الانجليزية وتستعمل فقط في الدراسات الطبية الا ان معظم الشرح العملي في قاعات المرضى يجري أيضاً باللغة العربية ولكن استعمال اللغة الانجليزية وبهذا الشكل المحدود سببه بعض صعوبات المصطلحات كما سيأتي نذكره .

ج 4 - مشاكل استعمال اللغة العربية - في بعض المجالات - للتدريس الجامعي :

يقع العيب في ذلك علينا نحن الباحثين والاساتذة وليس على اللغة فلكي تستعمل اللغة في التدريس وفي العلم يجب ان يكون هنالك رصيد من البحوث

وصوب الاهتمام بتعريب جميع ظواهر الحياة العربية مع رفع مستوى الكتاب العلمي إلى مصاف الإنتاج التقني الإنساني

جامعة الكويت

ب — نرى قبل أن نسعى إلى نشر اللغة العربية على الصعيد العالمي ، أن نبدا بتدعيمها وازدهارها داخل البلاد العربية . ولتحقيق ذلك نقترح ما يلي :

- 1 — اعادة وضع احرف اللغة العربية يكتب الحرف الواحد بأقل عدد ممكن من الاشكال .
- 2 — كتابة الكلمات حسب النطق بها .
- 3 — توحيد طريقة تدريس اللغة في البلاد العربية .

4 — توحيد لغة التخاطب في البلاد العربية . ومحاولة التقريب بين اللهجات العامية واللغة العربية الفصحى .

5 — تجنب التعمر في اللغة وتوخي البساطة والسلاسة في لغة التأليف والنشر ووسائل الاعلام .

6 — العمل على أن يكون التدريس في الجامعات باللغة العربية .

7 — العناية بتعليم الامهات وتوعيتهن لدورهن الهام في توجيه أبنائهن وتنفيرهم من تداول الكلمات غير العربية .

8 — نشر الوعي القومي في البلاد العربية لابراز اهمية ازدهار اللغة في حاضرنا ومستقبلنا .

ثانيا : للعمل على انتشار اللغة العربية خارج البلاد العربية نقترح ما يلي :

- 1 — تأليف كتب مبسطة ومختصرة لتعليم اللغة (على غرار كتب : Teach Yourself

وصلتنا من جامعة الكويت الموقرة الاجوبة عن الاستفتاء والمجلة جاهزة للطبع فلم ندرجها في ندوة الاستفتاء . وهاكم هذه الاجوبة :

1 — اللغة ، باعتبارها اهم مقومات الامة ، كانت هدفا يسعى المستعمرون للبلاد العربية الى النيل منه وتحطيمه . وقد نجح المستعمر الى حد كبير في تحقيق هذا الغرض الخبيث في بعض البلاد العربية . وبذلك خلف في هذه البلاد جانبا كبيرا من المشاكل التي تعترض ازدهار اللغة وانتشارها .

2 — تساؤل الايمان بشاء اللغة العربية لدى كثير من العرب ، وتصور هؤلاء ان العربية قاصرة عن اللحاق بركب الحضارة الحديثة وتطورها .

3 — العيوب الفنية في طريقة كتابة احرف اللغة العربية ، وفي مدى تطابق نطق الكلمة مع الحروف المكتوبة ،، وحاجة الناطق الى تشكيل الكلمة المكتوبة

4 — عجز العرب حتى الآن على الاتفاق على اصلح طريقة لتدريس اللغة العربية وتوحيد هذه الطريقة في البلاد العربية .

5 — صعوبة تفهم أبناء البلد العربي للغة التخاطب لدى أبناء بلد عربي آخر ، لتباين اللهجات المحلية وبُعدها عن اللغة العربية السليمة .

6 — مشكلة المصطلح العلمي ، تبسيطه ، وتوحيده ، وتيسير نشره في معاجم علمية ، والالتزام به عند التدريس بالمدارس والجامعات في البلاد العربية .

تتناسب كل منها مع البلد الذي سينشر فيه الكتاب .
2 — إعادة كتابة المصحف الكريم بأحرف بسيطة ومطابقة لنطق الكلمات ، وتوزيع هذه المصاحف في البلاد الإسلامية .

3 — انشاء مدارس عربية في بعض البلاد الإسلامية والنامية .

4 — الاهتمام بلغة حوار الفيلم العربي سواء في السينما او في التلفزيون ، والعمل على سعة تصديره الى خارج البلاد العربية .

5 — ان تكون اللغة العربية هي لغة التراسل مع الخارج لدى الجهات الحكومية والهيئات والمؤسسات العلمية والشركات .

6 — العمل على الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية لدى هيئة الامم والمحافل الدولية .

ج — نعم تصلح ، وكثير من المناهج العلمية تدرس الآن في بعض الجامعات باللغة العربية .

د — فيما يلي نوجز المشاكل المذكورة ، وتسوق معها مقترحاتنا في حلولاها :

1 — مشكلة المصطلح العلمي ، وسوف نعود الى الكلام عنها عند الاجابة على السؤال الخامس من الاستفتاء .

2 — النقص الواضح في المؤلفات والمراجع العلمية الحديثة ، وفي هذا الصدد نقترح ما يلي :

أ — ان تقوم الجامعة العربية بالتشجيع والإشراف على نشر المؤلفات العلمية الصالحة لتغطية المناهج التي يكون قد سبق توحيدها في البلاد العربية .

ب — أن تسخو الدول في تشجيع حركة تأليف المراجع العلمية وترجمتها وتعريبها .

3 — تنظيم نشر الابحاث العلمية ، ونقترح تركيز هذا النشر في العالم العربي في مجلة دورية واحدة لكل فرع من فروع العلم ، بحيث تتوخى الدقة في فحص ما يقبل للنشر في هذه الدوريات ، ارتفاعا بها الى مستوى الدوريات العالمية ذات السمعة الموثوقة ، وان يذيل كل بحث بخلاصة وافية مكتوبة بثلاث لغات حية غير العربية .

هـ — في عصر النهضة الإسلامية عندما بهر الانتاج العلمي العربي انظار اوروبا والعالم اجمع حتى كاد لالاؤه ان يحجب من ورائه الامجاد السياسية والاقتصادية التي حققتها العرب في هذا العصر ،

اقتترنت الكشوف العلمية العربية بوضع الكثير من المصطلحات العلمية التي كانت في زمنها وما تلاه في زمن النهضة الأوروبية المرجع الاول لعلماء أوروبا ، بل ان منهم من لم يكن يتصور ان لغة من اللغات اللاتينية يمكن ان تكون لغة عالمية تستطيع ان تضارع اللغة العربية في تزويدها للعالم بالمصطلحات التي يتطلبها كل كشف جديد .

ثم حلت النكسة ، ووزح العرب قرونا طويلا تحت اثقال التخلف الاقتصادي والسياسي، وتحت تأثير حاكم الاستعمار ، فكان التخلف العلمي نتيجة حتمية لمثل هذه الظروف . والتدهور الظاهري الذي تعانيه اللغة العربية حاليا في ميدان العلم ومصطلحاته ليس الا اثرا مؤقتا مترتبا على ظروف النكسة ، المنصرمة .

فاللغة في كل عصر هي مرآة صادقة تنعكس عليها ظروف الامة ، انكماشاً او انتشاراً ، تخلفاً او ازدهاراً .

ومشكلة المصطلح العلمي الحديث يجب ان توليها موفور اهتمامنا وعنايتنا . ونقترح بصددها ما يلي :

1 — تشكيل هيئة دائمة على مستوى الجامعة العربية تكون مقرراتها نافذة في جميع الدول العربية .

2 — ان تعقد اللجنة مؤتمرا يضم رجال العلم واللغة للاتفاق على قواعد بسيطة في تعريب المصطلحات العلمية . وفي هذا الصدد نقترح أن يكون منطوق المصطلح العلمي قريبا من منطوق المصطلح العالي ، الا في الحالات التي رسخ فيها مصطلح مبسط (مثل الذرة والنواة ...) وموحدا لدى جميع العرب ، وخاصة اذا كان يرجع الى اصل لغوي عربي واضح الصلة بمعنى المصطلح .

3 — ان تجمع اللجنة المصطلحات العلمية تدبها وحديثها ، وان تصنفها وتأخذ رأي المختصين في تعريبها .

4 — ان تضع اللجنة معجما علميا مصورا شاملا للمصطلحات التي اتفق عليها من قبل المختصين ، وان يكون المعجم مبويا ومفهرسا ، وان يوزع على نطاق واسع .

5 — أن تتابع اللجنة وضع ما يجد من مصطلحات ، وأن تصدر بها نشرات دورية تمهيدا لضمها الى المعجم في طبعاته الجديدة .

العناية بالمعلم والكتاب العربي وسيلة لإخضاع اللغة العربية

فتح معاهد في الخارج وسيلة لنشرها

الأستاذ محمود أبو مرد

وزارة التربية (بغداد)

لذلك تجب العناية الدائمة بالكتاب المدرسي ،
وقد اغفلت بعض الدول العربية هذه الحقيقة مع
الاسف الشديد !!

(3) للبلاد العربية سفارات وقنصليات في شتى
انحاء العالم ، وللجامعة العربية مكاتب موزعة في
بعض البلدان ، والمفروض في الدول العربية
والجامعة أن تنبذ الى الناحية - السيكولوجية -
النفسية والى قيمة انتشار اللغة التي هي اداة
التعبير والتفكير كوسيلة من وسائل الدعاية الناجحة.
فلو قامت هذه السفارات بفتح (معاهد ثقافية) لتعليم
اللغة العربية - وهذا ما نجده في السفارات الاجنبية
في شتى عواصم الدول العربية - لاستطاعت أن
تجلب عددا كبيرا من المثقفين الاجانب الى دراسة
اللغة العربية ، فني (بغداد) مثلا معاهد لتعليم
اللغة الالمانية والفرنسية والانجليزية والروسية وكلها
تابعة لسفارات دولها .

ونحن لا نطمح في نشر اللغة العربية في الدول
الكبيرة ، لانها - في الوقت الحاضر لا تصلح لان تكون
مصدرا للعيش والرزق كبقية اللغات الحية ، ولكننا
نطمح في نشرها بين الطبقات المثقفة في العالم .

اما الدول الاسلامية غير العربية فلها علينا
واجبات : اولها ديني ، وثانيها : حضاري .

اما الواجب الديني فان الدين الاسلامي يقتصر
باللغة العربية ولا يمكن التثقف ومعرفة شعائره وانظمته
ما لم يدرس المسلم اللغة العربية . والدول الاسلامية
غير العربية تفتقر كثيرا الى معرفة حقائق الدين
الاسلامي عن طريق اللغة العربية ، وانا اعرف مثلا :
ان تفسير القرآن في (نيجيريا) يكون باللغة الانجليزية ،
وهذا البلد الذي يزيد عدد المسلمين فيه على (عشرة)

1 - اعتقد بعد تجربة طويلة - بأن مشكلة
اللغة العربية هي مشكلة وجود المعلم اللائق والكتاب
المناسب ، ومهما قيل عن صعوبة اللغة وصعوبة
درسها ، فان تلك الاقوال تصدر اعتباطا بدون دراسة
وفهم لواقع اللغة العربية وخصائصها .

اما المشاكل التي تحد من انتشارها بسرعة في العالم
نبي اهمال الدول العربية ومعها الجامعة العربية
نشر اللغة وتجاهلها الاثر النفساني
- السيكولوجي - في المتعلمين وبخاصة في الدول
الاسلامية غير العربية .

2 - ان انجع الحلول لهذه المشكلة يمكن
ان تلخص فيما يلي :

(1) ضرورة العناية بمعلم اللغة العربية في دور
المعلمين وكليات المعلمين في الدول العربية ، ومن
الواجب ان نعد معلم المدرسة الابتدائية اعدادا خاصا ،
لان بعض الدول العربية لا تهتم بهذا ، ويعتقد
المسؤولون فيها بأن معلم المدرسة الابتدائية يصلح
لكل شيء متجاهلين أن الذي لا يتذوق الادب ولا يطلع
على حضارة العرب الفكرية والعلمية والادبية لا يصلح
لفرس الذوق الادبي في نفوس الناشئة ولا يربي جيلا
حضاريا يعتز بتراثه وبماضيه وحاضره . وجبذا لو
تبنت الجامعة العربية هذه الفكرة والزمّت الدول
العربية باعداد معلم اللغة العربية اعدادا صحيحا
كما تفعل الدول الحية .

(2) الكتاب المدرسي هو الوسيلة للوصول الى
الهدف ، فاذا كانت الوسيلة قديمة هزيلة معقدة ،
ازدادت المشتتة وطال الزمن وبعد الهدف وشتان بين
عربة قديمة وطيارة حديثة تسابق الصوت مع
راحة وأمن وسلامة !!

ملايين لا يعرف من اللغة العربية شيئا ، ومثلـه الباكستان وتركيا وايران والسنفال والصومال الخ.. فحرصا على الدين وعلى عدم التلاعب بمقدساته أصبح من واجب الدول العربية والجامعة الاهتمام بنشر اللغة العربية .

وأما الواجب الحضاري فان نشر الدين الاسلامي وتعليم اللغة العربية يطلع المسلمين غير العرب على حضارة العرب والمسلمين ، وبذلك يزداد شوق ابناء هذه الشعوب الى اللغة والى الدين الاسلامي الذي جمع الشعوب والتبائل وصبها في قالب انساني واحد .

لذلك فان واجب الدول العربية والجامعة العربية الاكثار من فتح هذه (المعاهد الثقافية) في الدول الاسلامية خاصة ، شريطة أن تكون اهدافها علمية بحثا مخافة ابتعاد الناس عنها اذا ما اختلطت بالسياسة وخرجت عن اغراضها !!

وقد قمت أنا وزميلي الاستاذ (سليم حكيم) بتنظيم ثلاث كراسات لتعليم الخط العربي لغير العرب واتبعنا في تنظيمها طريقة (الخط الهندسي) الذي اوجده (اخوان الصفا) واتفقنا مع شركة (تلسون) الانجليزية على طبعتها وتوزيعها وستوزع لأول مرة في (تيجريا) الشمالية قريبا ، وهكذا استطعنا ان ندخل اللغة العربية في قوائم اللغات الحية التي توزع في دول ما وراء البحار .

3 — ان العقبة التي تجعل اللغة العربية غير صالحة — في الوقت الحاضر — للتدريس الجامعي هي : الاستاذ والكتاب .

فجهل بعض الاساتذة باللغة العربية وبالتحدث بلفظة فصحة سليمة بطلاقة ووضوح ، وصعوبة الترجمة بالنسبة لبعضهم ، وسوء طباع الكتب الجامعية وغلاء سعرها بسبب جهل عمال الطباعة ورداءة المطابع في البلاد العربية ، كل هذا يجعل اساتذة الجامعة يتجهون نحو الكتب الاجنبية ويجبرون طلابهم على دراستها وان كانوا ضعفاء في اللغة التي يدرسون بها .

واذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي ، ما هي المشاكل التي تعترض الاساتذة وما هي الحلول في نظركم ؟

4 — ان الحل الوحيد للمشاكل التي تعترض الاساتذة في تدريس التعليم الجامعي هو تأسيس مطبعة كبيرة علمية على حساب الجامعة العربية

وتتشارك فيها بقية الدول العربية ، لان الكتب الطبية والعلمية الدقيقة التي تصلح للتدريس في هذا العصر لا يمكن ترجمتها وطبعها في المطابع العربية الموجودة ، ولو وجدت المطبعة الدقيقة لما رغب كثير من الاساتذة والطلاب في استعمال اللغة الاجنبية !!

والجامعة العربية يجب ان تنتبه الى هذه المشكلة ، ولديها المال الكثير الذي يصرف في امور اخرى ، وحذا لو اترتم هذه الفكرة وكنتم انتم الدافع اليها .

5 — ان مشكلة المصطلحات العلمية الاجنبية واستعمال الغريب (الاعجمي) شغلت كل الباحثين اللغويين منذ نشوء التدوين — عند العرب — في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الهجري مثل : ابو عبيدة (المتوفى سنة 209 هـ) والاصمعي (المتوفى سنة 210 هـ) وابو زيد الانصاري (المتوفى سنة 215 هـ) وغيرهم من علماء اللغة .

وأول غريب بحثوا فيه هو غريب القرآن الكريم، فني القرآن كلمات غريبة من لغات عديدة :

- (1) السريانية : مثل : طه اليم ، الطور ، الريانيون .
- (2) الرومية : مثل : الصراط ، القسطاس ، الفردوس .
- (3) الحبشية : مثل : المشكاة ، كفلين .
- (4) الحورانية : مثل : هيت لك

فذهب بعضهم الى انها من لغات المعجم ، وذهب البعض الآخر الى انها عربية بدليل قوله تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا) .

وهناك أصح المجتهدين الذين يعول عليهم وهو أبو عبيدة (المتوفى سنة 209 هـ) يقول : (والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الحروف اصولها اعجمية كما يقول الفقهاء ، الا انها سقطت الى العرب فأعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ المعجم الى الفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ومن قال اعجمية فهو صادق) .

ونحن لو رجعنا الى آراء العلماء الذين تحدثوا في الغريب والدخيل لذهبنا لمذاهب شتى ، ولكن الاجتهاد مقبول في الماضي والحاضر .

ولعل خير من عالج هذا الموضوع هو اللغوي

والنحوي الشهير (ابن جني) المتوفى سنة 392هـ في كتابه (الخصائص) فقد افرد له بابا خاصا اسماه : (باب : في ان ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) يقول فيه : (هذا موضع شريف ، واكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة والتساند اليه مقو ومجد ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب !

وقال ابو علي : اذا قلت : طاب الخشكتان ، فهذا من كلام العرب لانك باعرايك اياه قد ادخلته في كلام العرب .

ويؤكد هذا عندك ان ما اعرب من اجناس الاعجمية قد اجرته العرب مجرى اصول كلامها ، الا تراهم يصرمون من العلم نحو : آجر وابريسم وفرند وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التعريف ؟؟)

ولم يكتف ابن جني بذلك بل ذكر في الجزء الثاني من كتابه (الخصائص) بابا خاصا اسماه : (باب في شجاعة العربية) ، ويقصد فيه ما يجري في الكلمات العربية من (الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف) لتسهيل اللفظ واداء المعنى .

فالموضوع اذن ، مطروق ومبحوث ومدروس ، وفيه آراء عديدة ، لكن شجاعة اللغة العربية على حد قول ابن جني — تجيز لنا التساهل وعدم التزمّت وتحميل العربية فوق طاقاتها لاشتقاق كلمات لا تعبر عن المعنى العلمي الاصيل الدقيق الذي نريده !!

ونحن ، مثلا ، استعملنا كلمة (قانون) ويقول السيوطي : ان (ابن سيده) قال في كتابه (المحكم) : قانون كل شيء طريقته ومقاييسه ، واراها (دخيلة) . فاذا تركنا كلمة (قانون) هذه الكلمة الدقيقة الدخيلة فأية كلمة عربية اصيلة نستعملها بدلا عنها ؟؟

لذلك فمن واجبنا في مثل هذه الظروف وهذا العصر أن نعتد على (شجاعة العربية) التي اعترف بها اجدادنا الاوائل وفسحوا لنا المجال لزيادة ثورتها ، وعلينا ان ندخل (التلفون والتلفزيون والترنسزتر والمكروب ..)

كما ادخلنا (الدينار والدرهم والبستان والقميص والقنطرة ، والنرجس والكبياء والجاموس والصك والجوهر والدستور ...) وغيرها في لغة العرب ، ولا نكلف انفسنا ورجال المجامع اللغوية بالبحث الطويل العريض الذي قد يخرجنا عن مقاصدنا وغاياتنا ، وبذلك نحل مشكلتنا ونسير مع السائرين !!

- (1) اخوان الصفا ، جمعية دينية سياسية فلسفية نشأت في البصرة في القرن العاشر الميلادي ولها رسائل مشهورة باسم (رسائل اخوان الصفا) .
- (2) شركة توماس نلسون المحدودة Thomas Nelson and Sons Ltd. Books for Overseas
- (3) كتاب (الزهر) للسيوطي ج 1 ص 268 .
- (4) المصدر نفسه .
- (5) كتاب (الخصائص) لابن جني ج 1 ص 357
- (6) ابو عثمان : هو ابو عثمان المازني اللغوي النحوي الشهير المتوفى سنة 249هـ .
- (7) ابو علي : هو ابو علي الفارسي النحوي اللغوي ، وهو استاذ ابن جني .
- (8) الخشكتان : دقيق الحنطة يعجن بالسمن ويسط ويملا بالسكر واللوز والفسق وماء الورد .
- (9) كتاب « الخصائص » ج 2 ص 360 .
- (10) كتاب (الزهر) للسيوطي ج 1 ص 278 .

اللغة العربية الأسس واللغات والكلمات

ولكن ضعفي في عدم نقل المراجع العلمية إليكم .

الأستاذ روكس بن زائد الغريزي

عمان (الأردن)

(2) أما المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية ، فأنجع الحلول في نظرنا هي :

ان خطنا العربي فيه صعوبات ، لاننا لم نضعه أصلا - من عند أنفسنا ، بل هو متطور عن الخط النبطي ، الذي كان شائعا في الجهة الشمالية من الجزيرة العربية ، وليس هو متطورا عن الخط الكوفي كما يظن بعض الباحثين . لان الخط الكوفي أصلا كان خاليا من احرف العلة .

وقد كان لسان هؤلاء النبط الذين اخذنا خطنا عنهم ، قريبا من العربية ، ان لم يكن عربيا مشويا بالعجمة ، وهؤلاء النبط ليسوا نبط العراق والبطائح والنبط اقتبسوا حروفهم من الارميين ، والارميون اقتبسوا خطهم من الفينيقين ،

وقد اتخذ اجدادنا حروف اولئك القوم وكتابتهم ، على الترتيب الذي كان مستعملا عند اولئك الاقوام ، ثم زادوا احرفا لم تكن موجودة فيما اقتبسوا .

اما الخط المسند الذي كان شائعا في اليمن ، فليس له اثر في خطنا العربي ، فقد كانت حروفه تكتب منفصلة ، غير مرتبطة ، وكانوا يمنعون العامة عن تعلم كتابته ، ولم يكن احد يجرؤ على استعمال الخط المسند دون اجازة ، فلما جاء الاسلام ، لم يكن في اليمن نفسها من يعرف قراءة الخط المسند او كتابته ، ولعل اسلوبهم كان صوتيا .

على أي حال ، فان العرب ، لم يقيدوا كل الحروف التي كانوا ينطقون بها يومذاك ، ولا صوروا الحركات المختلفة ، فكانوا يصورون الحروف التي لا صورة لها عند النبط ، وعند الارميين وعند الفينيقين بحروف تقاربها صوتا ، وصنعوا مثل ذلك في الحركات ، معتمدين على التلقين والرواية والسماع ، فضاع من

لقد أصبح عصرنا يتطلب منا النظر في كل شيء ، على ضوء التطورات التي شملت الحياة ، اصولا وفروعا .

ولعل لغتنا الشريفة ، التي قدمت للعالم خير ما قدمته لغة ، من أولى امورنا بالاهتمام . من اجل هذا اتقدم للاجابة على هذه الاسئلة بما هداني الله اليه ، واملته علي الخبرة الطويلة ، في خدمة هذه اللغة التي شرف الله ذكرها فأقول :

(1) اعتقد ان أهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها بسرعة في العالم تتلخص في ما يلي :

أ - في خطنا العربي الذي دعاه - قبل اليوم - البيروني « آفة » لتشابه حروفه ، ولاضطرارنا ان نستخدم لكل حرف ثلاث صور ، ولكونه عاجزا عن تأدية جميع ما ننطق به من أصوات . حتى أصبح أكثر ابناء العروبة عاجزين عن النطق الصحيح بلغتهم .

ب - في النحو العربي ، الذي اخرج قواعد لغتنا عن خدمة اللغة وحول القواعد الى منطق وفلسفة ، وأحيانا الى محركات بيزنطية ، حتى شاع قولهم « اوهي من حجة نحوي » .

ج - في المعاجم محتوى وترتيبها .

د - في معلمي اللغة العربية .

ه - في كتب التدريس المرتجلة .

و - في المناهج التي لما تصل الى درجة النضج بعد .

ز - في اسلوب تعليمنا لهذه اللغة ، الذي لم يتطور .

اللفظ العربي الصحيح ، شيء كثير . ولاسيما من لفظ أولئك الذين ما كان يتاح لهم أن يتلقوا النطق بالحروف من الراسخين في العلم . بل عن أناس لم تخلق حناجرهم وحلوقهم للأصوات العربية ، خاصة والسامية عامة . أو الجامعة بين الحروف السامية واليانثية أو السامية والحامية ، معاً .

* * *

وعجز حروفنا عن تصوير لهجاتنا تماماً ، أفقد لغتنا كثيراً من محاسنها . وعجز ابنائنا عن النطق ببعض الأحرف الأفرنجية ، التي كانت بدون شك موجودة في لغة أسلافنا !..

فليس في حروفنا ما يصور هذه الأحرف الفرنسية : (E. G. J. O. P. U. V.)

وليس هنالك ما يصور الألف المنفخمة في اسم الجلالة (الله) و (الصلاة) ، فهذا الذي نسميه الأثمام ، يجب أن يكون له علامة في الخط تشير إليه .

* * *

وليس من رأيي أن نهجر الخط العربي متجهين إلى الحرف اللاتيني ، لما في ذلك من محاذير ، أقلها :

(1) أننا نتخلى عن مظاهر عزة قومية . ما زال يتر لنا بها الفرس ، وغيرهم من الأمم التي تستعمل خطنا ، حتى المورو في الفلبين ، ومع كل ما في خطنا من صعوبات ، لم يحاول هؤلاء الأقوام تركه ، فهل نكون نحن أقل منهم اعتزازاً بترائنا ؟

صحيح أن الترك العثمانيين هجروا خطنا ، لكن ذلك له أسباب سياسية — في اعتقادي — أكثر من كونه هرباً من صعوبة الخط العربي ومشاكله .

(2) أن أتخلي عن خطنا ، يقطع صلتنا بترائنا القديم !..

(3) إن أهبال خطنا العربي يقضي على اللهجة العربية الصحيحة وهي مزينة من مزايا هذه اللغة الموسيقية الشعرية .

فمن أجل التخلص من مشاكل خطنا ، أرى أن نكتب خطنا مضبوطاً بالحركات ، وضوابط القراءة ، لأن أهبالنا تلك الأمور يجعل خطنا شبيهاً بالاختزال ،

ويفرض على الذي يريد أن يقرأ خطنا العربي ، أن يفهم قبل أن يقرأ ، مع أن المفروض في كل لغة ، أن يقرأ الناس ليفهموا . وهنا لابد لي من إيراد طرفة تروى عن المرحوم (ابراهيم اليازجي) ، يقال : « أن المطران طلب من ابراهيم أن يقرأ فصلاً من الإنجيل في الكنيسة ، — ومن المعلوم أن اليازجي هو الذي نقح للكاتوليك ترجمة الكتاب المقدس — فاعتذر ابراهيم قائلاً : « أريد أن تفصحني ، ليقول الناس أن اليازجي لا يعرف القراءة ؟ لماذا لم تخبرني قبل هذه اللحظة ، لاستعد لما تريدني أن أقرأ ؟ !.. »

* * *

فإذا كان اليازجي يقول هذا القول ، فماذا نتوقع من ابنائنا ، ومن الأجانب الذين يرغبون في تعلم لغتنا ؟

فعلجاً لهذا أرى أن لا تكتب ، ولا تطبع كلمة ، بلا ضبط تام . ألا ترى أن الأجانب إذا كتبوا لم يهملوا من خطهم حركة ، ولا إشارة تشعر بالمعنى الذي إليه يقصدون ؟ ..

ب — انتبهنا من مشكلة الخط وعلاجها ، وننتقدم الآن إلى مشكلة النحو ، وهذه المشكلة ، لا تقل تعقيداً عن مشكلة الخط ، ولعلها تفوقها ، فلقد عقد النحويون نحونا تعقيداً جعله يفقد اللغة جلالها وسحرها ، ويقف عقبة في سبيل انتشارها ، فإذا كان الكسائي يقول :

« أموت وفي نفسي شيء من حتى !.. » فماذا ننتظر نحن الذين قضى علينا زمننا المسرع في كل شيء ، أن ننصرف عن بذل أعمارنا في سبيل تحصيل نحونا .

وقد جاء في كتاب الرد على النحاة ما نصه :

« اني رأيت النحويين قد وضعوا صناعة النحو لتحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانتهم من التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا ، وانتبهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا ، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها ، فتوعرت مسالكها ، ووهنت معانيها ، وانحطت عن رتبة الاتقان حجتها ! » .

وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ : « وقد غالى بعض النحاة في تعقيد صناعة النحو ، وزاد غموضها ، لأسباب خاصة » .

ونكر الجاحظ ، انه سأل الاخفش قائلا : « انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة ، وما بالنا نفهم بعضها ، ولا نفهم اكثرها ، وما لك تقدم بعض العويص ، وتأخر بعض المفهوم ؟ » .

فكان جواب الاخفش : « انا رجل ، لم اضع هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه ، لقلت حاجات الناس فيها . وانها كسبت في هذا التدبير ، اذ كنت السى التكسب قد ذهبت » .

ويرى الاستاذ رشاد دارغوث ، ان علماء النحو الاجانب عقدوا النحو هذا التعقيد للثيل من اللغة العربية التي هي عامل مهم في القومية ! ..

وانا ارى بتحفظ شديد ، ان الاجانب قد عقدوا النحو هذا التعقيد ليقنعوا العرب ان تعاضهم على الاجانب ليس في محله ، ما داموا عاجزين عن فهم لغتهم !

* * *

فلقد اصبح من الواجب علينا ان نواجه مشكلة النحو بجراة ، فنجعل للقرآن الكريم نحوا خاصا به ، ونحذف من النحو هذه الامور :

ا - نحذف باب المنوع من الصرف اطلاقا ، لانه ورد في القرآن الكريم تنوين المنوع من الصرف : « انا اعتدنا للكافرين سلاسل ، واغلالا وسعيرا »

« سورة الدهر ، الآية الرابعة » .

ب - نلغي باب الاشتغال الغاء تاما او على الاقل نكتفي بالمشغول عنه الواجب رفعه ، والمشغول عنه الواجب نصبه .

ج - نلغي باب التنازع .

د - نهمل الاعراب المحلي والاعراب التقديري .

ه - نلغي نون النسوة ونخاطب الذكور والاناث خطبا واحدا .

و - نجعل الوقف كله بالسكون ، فقد ذكر ابن جني في الجزء الاول من كتابه الخصائص ، ان العرب وقفوا على المنصوب بالسكون فقالوا :

« رابت فرح ، ورابت زيد ! »

ز - استعمال العدد من المذكر ومع المؤنث بلفظ واحد ، فماذا يضربنا لو قلنا « ثلاثة رجال ،

وثلاثة نساء ، واربعة عشر رجلا ، واربعة عشر امرأة » وتخلصنا من هذه المشكلة التي كان القرض الاساسي منها تعظيم الرجال او الذكور ، وتفضيلهم على الاناث ، لان هذه التاء - في رأيي - هي تاء تعظيم لا تاء تأنيث . وما دما قد استعملنا تاء التعظيم للمذكر والمؤنث على حد سواء في غير هذا المقام ، كقولنا :

« رجل علامة ، وامرأة علامة ، ورجل رحالة ، وامرأة رحالة » فما الذي يمنعنا من استعمالها في العدد تحاشيا للصعوبة والتعقيد ؟ مع ابقاء تاء التأنيث في (1 و 2) والعد الترتيبي .

س - اما مشكلة عين الفعل المضارع ، فارى ان يصار الى حلها ما دام العرب قد اجازوا في الذي ماضيه مفتوح العين ، وليس ثنائية ولا ثالثة من حروف اللين او الحلق ، اجازوا فيه الكسر والضم ، فلماذا لا نصنع صنيعهم ؟

فلقد قالوا : « ضرب يضرب ويضرب ، شكر يشكر ويشكر ، ونفر ينفر وينفر ، وشم يشتم ويشتم . (كسر عين الكلمة وضما) .

ط - ثم ارى ان نثبت على وجه واحد من الاعراب ، فلا نقول ان هذه الجملة تحتل ستة اوجه من الاعراب (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذه تحتل اربعة اوجه من الاعراب (نعم الرجل علي) .

لقد اضحى من واجبنا ان نفرل قواعدا ، قبل ان تجيء الكارثة ، وهي اعراض ابنائنا عن لغتنا اعراضا كليسا ! لا سمح الله .

* * *

ح - اما مشكلة المعجم العربي ، فلا تقل عما نكرنا من مشاكل الخط ، والنحو . فعلى الرغم مما في طريقة معاجنا من المنافع ، واهمها : - الفائدة التعليمية ، لان الاصل الواحد ، يمكن الذي يريد تعلم العربية ، من معرفة جميع الالفاظ التي هي من اصل واحد ، الامل الذي لا وجود له في اللغة اللاتينية !..

لكن هذه الفائدة تموت اذا علمنا ان معجنا مغلق دون المبتدئين حتى ان بعض العلماء احيانا يعجزون عن استخراج كلمة في معجم مثل اللسان مثلا ، او صحاح الجوهري . كما حصل مع المستشرق الكبير ، المرحوم تليو في المجمع العلمي المصري ، يوم اعترض على اقتراح تقدم به المرحوم الاب انستاس

ماري الكرملی ، بجعل احرف الكلمة كلها اصولا ،
والتنبيه على الاصل في نهاية البحث . فقال الاستاذ
(تليو) : « ان هذا كفر بعقريه السلف! » فطلب منه
الاب الكرملی ، ان يذله على هذه الكلمات في لسان
العرب (تتري ، متة ، فعجز !)

* * *

ونحن اذا اردنا ان نبحث عن اسم (معاوية)
وجب علينا ان نبحث عن فعل (عوى) لنجد ضالتنا !
هذا فضلا عن ان معاجمنا المطولة لا تفيدنا في
البحث عما جد في اللغة من اصطلاحات عصرية ،
فضلا عن خلوها من الاصطلاحات العلمية والفنية .

ان معجمنا لا يساعدنا على تقدير قيمة الوقت ،
فصار من اللازم علينا ان نرتب معاجمنا على اساس
ان الاحرف في الكلمة كلها اصول ، وننبه على الجذر
في نهاية البحث . كما انه يجب علينا خدمة للغة ان
نحذف الكلمات المهجورة من المعاجم التي يفرض
تداولها في المدارس .

وقد آن لنا ان نضع قاموسا استقصائيا يتتبع
الكلمات من الناحية التاريخية ، ومن هنا يتحتم علينا
ان نضع معاجم في لهجاتنا العامية لتكون عوننا لنا في
وضع المعجم الاستقصائي هذا !

* * *

د - هناك نكبة لا تقل عما تقدم ، وهي نكبة
اللغة العربية في معلم اللغة العربية في الصفوف
الابتدائية ، وأحيانا في الصفوف الثانوية ، فقد يكون
المعلم قليل الحصول من اللغة ، ولجا الى التعليم على
انه وسيلة ارتزاق - وما اكثرهم - فهذا يقتل اللغة
العربية قتلا ويثدها في نفوس ابنائنا وأدا ، لانه يفرس
في نفوسهم روح الكراهية لها ، ويجعلهم يتصورون ان
لغتنا طلسم مغلقي ! فيصل الطالب الى الجامعة وهو
ناثم على لغته !

* * *

أذكر اني سمعت معلما في كلية ، يقول للطلاب:
« قاتلكم الله ، وقاتل « أحرنجم » - وهو يعني
اللغة العربية - معكم ، اننا عارف ماذا يمكن ان
تفيدكم أحرنجم في الحياة ! ؟

فاننا نكب الطلاب بمن لا يكتفي بان يكون جاهلا ،
بل يزرع العداء في نفوس الاجيال الناشئة نحو لغتهم،
فقد تمت النكبة !
فاننا قتلنا اللغة العربية في الصفوف الابتدائية
والصفوف المتوسطة والصفوف الثانوية ، فمعنى
هذا ان الجامعة لا تستطيع ان تقوم ذلك الاعوجاج !

* * *

ز — وأسلوب التعليم في بعض البلاد العربية ما زال عتيقا ومنفرا ، فكل فرع من اللغة العربية يدرس على انفراد ، وهذا يجعل موضوع اللغة العربية كالجسم المصاب بمرض (التغيف) كل عضلة وحدها سليمة ، وكل خلية سليمة ، ولكن هذه العضلات والخلاياوالاعصاب، لا تأتمر بأوامر الدماغ، فالجسم سليم شكلا ، لا خير فيه ولا صحة له فعلا !

* * *

(3) أما هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي فعلى الرغم من شهادة المستشرق ناتدياك القائل :

« ان اللغة العربية هي اللغة الخالدة ، او هي احق اللغات بالحياة والبقاء ! » وعلى الرغم من شهادة الاب انستاس ماري الكرمللي المعززة بكتابه الخالد ، (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) انها اعظم اللغات واسمى اللغات واكملها ، وانها قادرة على أن تعبر عن نفسها في كل علم وفي كل فن ، لما ركب فيها من الاشتقاق ، والابدال ، والتصعيد ، والتوليد ، والقياس ، والنحت واللاحاق !

وعلى الرغم من غنى لغتنا الذي لا يكاد يدانيه غنى ، في النواحي العاطفية والانسانية والفقهيّة ، فانها فقيرة الى حد مخيف من الناحية التقنية ، وليس هذا عيبا في طبيعة اللغة يدعونا الى الخجل ، انه عيب الظروف التي فرضت على هذه اللغة وعلى اهلها نومة الخمول اجيالا ، جعل اللغات الحية تتقدم، ولغتنا تجهد ، وليس في مكنتها ان تعوض عن نومتها التي استمرت نحوا من ثمانية قرون ، في سنيين معدودات مهما بذل اهلها مجتهدين من جهود في الترجمة !

* * *

اجل ان هذا ليس عيبها ، بل هو عيب لاضطراب الاوضاع في البلاد العربية واللغة صورة لحالة ابنائها الاجتماعية والدولية ، فلما كنا اصحاب سيادة عالمية ، كان الناس يتعلمون لغتنا ، ولا ينظرون الى الصعوبات بل المشتات التي يلاقونها في هذا السبيل .

ودلينا على ذلك ان القبط يوم خضعوا لحكمنا ، كتبوا كتبهم بالعربية ، ليفهموا قومهم . والكهنة في اسبانيا كتبوا كتبهم بحروف عربية ، واصبحوا كلهم يتكلمون العربية !

أما اليوم ، فنحن ما زلنا نكافح الاستعمار ، ونحن في حاجة الى العالم ، وليس عندنا — في الوقت الحاضر — ما نفرض به سيادتنا على الدنيا ، ليجد الناس انهم في حاجة الى تعلم لغتنا ! .. فاللغة صورة لكائناتها في الدنيا ! ..

مع هذا فقد جريت الجامعة السورية تجربتها الداشنة ، بتعليم الطب باللغة العربية ، واستطاعت ان تجد في اللغة العربية اصطلاحات كثيرة لان العرب قدموا للدنيا في الطب وفي سائر العلوم في القرون الوسطى خدمات برهنت على انه لولا العرب لتأخرت نهضة أوروبا اجيالا !

لان اللغة العربية كانت المصدر الرئيسي الذي اعتمدت عليه أوروبا في القرن السابع عشر ، وكان الذي يريد أن ينهل العلم والمعرفة ، لا مندوحة له عن معرفة اللغة العربية ، لكن اقتصر الطبيب على اللغة العربية وحدها يجعله في عزلة عن تطور العلم !

ومهما تكن لغتنا غنية وصالحة للتدريس في الجامعة ، فان هذا لا يغنينا عن اتقان لغة اجنبية على الاقل مع لغتنا العربية .

والبرهان على أن لغة واحدة لا تكفي في عصرنا الحاضر ، ان الذي يرغب في الحصول على الدكتوراه في أي علم من العلوم في بريطانيا وفي امريكا ، يجب عليه أن يتقن الى جانب لغته الام لغتين من اللغات الحية . فالذي يريد أن يواكب سير العلم ، لا تكفيه لغة واحدة لمتابعة خط اختصاصه ، لا اقول هذه بالنسبة الى اللغة العربية وحدها ، لكنه بالنسبة الى أية لغة في الدنيا اطلاتا .

* * *

ان المراجع العلمية من كتب ومجلات لم تنقل الى اللغة العربية ، فاذا كنا نرضى للعالم العربي ولجامعاته ان تعتمد على ما ينشر في اللغة العربية وحدها ، نكون قد فرضنا على امتنا القوقعة والعزلة المجردة . لان عناصر البحث العلمي مفقودة او هي كالمفقودة في بلادنا ، فليس هنالك مجلات ذات اختصاص ، يكتب فيها جماعة من الحجج في كل موضوع يتصدون له .

وتدريس العلوم يحتاج الى مصادر كثيرة في كل منحنى ، في اللغة التي يدرس فيها العلم ، لان الانتصار على محاضرات الاستاذ ، لا يعني في رأيي سوى تجريد الملكات في حيز ضيق !

وان الذي يطلع على الكتب المؤلفة في البلاط العربية يتولاه الذهول لما يرى بينها من الفروق . حتى الكتب التي يسلخها بعض المؤلفين سلخا ، تشويه تشويها يفوت المنفعة منها .

* * *

يجب علينا ان نقر بأن لغتنا في كثير من النواحي عاجزة عن متابعة العصر ، لاننا نحن ما زلنا نعيش في عقلية قبلية ، يدل على ذلك ما عندنا من قوانين مزدوجة ، فللحضر قانون ولابناء البادية قانون . ولغتنا في الناحية التقنية (التكنولوجية) خالية تماما من اصطلاحات هذه العلوم التي اصبحت تفرض نفسها على الحياة العصرية ، لابد لنا من دراستها في الجامعات الاجنبية ، ولدراستها في الجامعات الاجنبية ، لابد لنا من اتقان لغة اجنبية اتقان تاما .

وقول من يقول ان في استطاعتنا ان ننقل العلوم الى لغتنا ، يكاد يكون حلما من الاحلام ، التي ليس لها ابن سيرين يعبرها . لان تقدم العالم السريع لا يسمح لنا بذلك ، حتى ولو وقفنا جهودنا كلها على هذا الغرض . اجل حتى ولو لم نفكر في مشاكلنا السياسية ، ولا في امورنا الاقتصادية ، ولا قضايانا الاجتماعية ، فان البهر يتولانا ونحن نحاول تلك المحاولة التي ستحظى بالفشل !

لكن مع كل هذه العراقيل والمثبطات ، فلا ارى ان نعود قانعين بالهزيمة ، فلتلق المحاضرات باللغة العربية مع الاعتماد على المصادر والمراجع الاجنبية بلغاتها الاصلية اقول هذا ، لان رجال العلم عندنا في كل مطلب ، جل اعتمادهم على المراجع والمصادر الاجنبية ، وليس في ذلك من عار . بل العار في عدم المضي في هذا السبيل المفيد ، الى ان نتخطى طور الاستعانة ، ونعتمد على نفوسنا !

(4) ان اهم المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين في التدريس والبحث ناجمة عن عدم توافر المراجع في اللغة العربية ، وفي ان اكثر الاساتذة درسوا دروسهم في بلاد اجنبية ، واللغة العربية لا تطاوعهم طوعية كافية ، لانهم يفكرون في اللغة التي تلقوا علومهم فيها . وهذا يجعل اساليب الاساتذة متوعدة ، لعدم وضوح الفكرة في نفوسهم ! فيظن السامع ان التعقيد جاء من طبيعة العلم ، وهو في الواقع ناجم عن عجز الاستاذ وقصوره عن ايصال افكاره الى السامعين ، بلغة عربية سليمة ، لان

دراسته لهذه اللغة ، كانت اصلا مهزولة الاساس مهلهلة الجوانب . وزادت هزالا وهلهلة يوم تلقى علومه في جامعات اجنبية . فتلافيا لهذا الخلل يجب ان يفرض على الاساتذة في الجامعات اتقان اللغة العربية اتقان لا يقل عن اتقانهم اللغة التي تلقوا دروسهم الجامعية بها .

* * *

اذكر اني سمعت محاضرة في احدى الجامعات باللغة العربية ، لدكتور انهى علومه في بلاد اجنبية ، فشعرت مع خيبة الامل ، باشفاق وحزن على الرجل ، لانه كان عاجزا عن ايضاح افكاره باللغة العربية !

ولما وجهت اليه الاسئلة باللغة العربية ارتج عليه ، فكنت أشعر بالحزن العميق من اجل موقفه هذا !...

يقينا ، انه لم ينل شهادة الدكتوراه الا بعد ان برهن على انه يستحقها ، لكن جهله باللغة العربية ، جعله عاجزا عن ايضاح افكاره على الرغم من انه كان يستعمل الاصطلاحات كلها كما وردت باللغة الاجنبية.

* * *

(5) الواقع ان خوفنا من اقتباس المصطلحات العلمية بلفظها اصبغ عندنا عقدة ، لاننا نخاف على سلامة اللغة . وعلى اللغة نفسها ، مع انه ثبت لنا ان القرآن الكريم حفظ هذه اللغة ، لا بل خلدها ، فقد انتصرت على كل المحاولات التي دبرت لها في القديم ، وفي الحديث . ولا خوف عليها من المصطلحات العلمية ، لان اللغة الحية ، كالمعدة السليمة ، يمكنها ان تهضم اي طعام وتنتفع به ، ما لم يكن هذا الطعام سها . وقد استعمل اجدادنا وهم في الميع ادوار مجدهم مصطلحات علمية كثيرة فزادت ثروة اللغة ولم تضرها لا قليلا ، ولا كثيرا . فاصبحت مع الزمن عربية تسير على القياس العربي ، وتطواعة .

فهذه كلمة فلسفة ليست عربية فلما اخذناها وانتفعنا بها وحررناها ، فقلنا تفلسف ، وفلسف الامور الى غير ذلك . فلنقتبس المصطلحات العلمية بلفظها ونضع بازائها ترجمات لها ، لان اقتباس تلك المصطلحات يجعل الامر سهلا علينا ، ويدمجنا في العالم فقد كفانا ما فرض علينا العالم من عزلة وما فرضنا على انفسنا من اعتزال لا خير لنا فيه !..

خلاصة ما أريد أن أقول :

1 — ان خطنا العربي كما قال البيروني في مقدمة كتابه (الصيدنة) آفة يحتاج الى اصلاح ، واول وسائل اصلاحه ان نكتب كل كلمة مضبوطة بالشكل التام . وان نستعمل في صحفنا ومجلاتنا وفي كتب التعليم عندنا وفي رسائلنا الخاصة الشكل الكامل . وعلامات الترقيم . واذا استطعنا ان تقتصر في حروفنا على صورة واحدة من صورته الثلاث فنكون قد اقتصدنا في الوقت وفي النفقات ستة وستين من الوقت والمال الذي نبذله الآن .

2 — ان قواعدنا في حجة الى غريلة وحذف ابواب كاملة ، وتقسيم هذه القواعد الى :
(أ) قواعد خاصة بالقرآن الكريم ولأصحاب الاختصاص .

(ب) قواعد لطلاب المدارس الابتدائية على شرط أن تكون موضوعة بشكل دائري لا على اسلوب التثنية الذي يخرج الطالب من القواعد وهو لا يفهم منها لا قليلا ولا كثيرا .

(ج) قواعد لطلاب المدارس الثانوية توسع فيها دائرة ما درسوه في المدارس الابتدائية توسيعا .
(د) قواعد لطلاب الادب في الجامعات توسع فيه الدائرة ليظل الطالب على صلة بما مر عليه في شتى الدراسات السابقة .

* * *

3 — أن يؤلف لنا قاموسان :

(أ) قاموس للمدارس تعبر فيه كل الاحرف اصولا، يصور احسن تصوير ويطبّع احسن طباعة .

(ب) وقاموس جامع تعتبر فيه كل الاحرف اصولا يشتمل على الاصطلاحات العلمية والفنية ويصور ادق تصوير ويطبّع احسن طباعة ، وتنحى منه الكلمات المهجورة بحيث توضع في قاموس خاص يرجع اليه العلماء كما يرجع الباحثون الى دور الآثار .

4 — الاهتمام بمعلم اللغة العربية اهتماما يجعله يعيش هذه اللغة ليستطيع ان ينقل هيامه باللغة الى طلابه . فمنحه الراتب الذي يشمره بالكرامة والاعتزاز ! ..

5 — تجديد المناهج والكتب المقررة ، والحيولة دون تأميم الكتب لانه تأميم للعقل وتجميد للفكر !

حقا اني اؤثر كلمة (جيولوجيا) على ما فيها من ثقل على ان اقول (علم الهلك) لاني اذا قلت (جيولوجيا) فهم العالم كله ما اريد ، اما اذا قلت (علم الهلك) فلا يفهمها احد .

لقد اصبح من واجب الواجبات على مجامعنا العلمية ان تتخطى الخلافات المحلية ، وان تؤلف لجنة توحد ما تتفق عليه المجامع العلمية من اصطلاحات . ليعرف العربي في اي قطر من الاقطار ، انه يستعمل اصطلاحا يفهمه اخوه العربي — على الاقل — في اية بقعة من دنيا العروبة !

فلو فرضنا ، اننا اقررنا اصطلاحات عربية خاصة باللغة العربية ، فلا اقل من ان تكون مقبولة من العرب كلهم ، وعند كل العرب .

اما ونحن نسير في هذه المناهضة العمياء ، التي تجعل كلامنا يغني على ليلاه ، راضيا بما عنده . فتلك نكبة للغة العربية ، ما بعدها نكبة . لان قيمة المصطلح العلمي هي في تحديد مدلوله ، وليست قيمته كامنة في معناه !

فنحن عندما نصطلح على أن ورقة النقد الفلانية تعدل قيمتها كذا ذهابا ، يسمي اصطلاحنا هذا قيمة اعتبارية لها ، على الرغم من ان قيمتها الحقيقية لا تساوي واحدا على الف من قيمتها الاعتبارية التي فرضناها لها ، وارتضيناها بها .

ويطلب من هذه اللجنة ان توحيد اسلوب الاشتقاق والتسمية ، وتثبت القواعد العامة لذلك .

ويطالب منها ان تصدر وضيفة نشره دورية في كل ما تضع ، وما يجد من المصطلحات العلمية ، وتلزم بهذه المصطلحات البلاد العربية ، هذا اذا كنا نريد — ولا شك في كوننا نريد — ان نخدم اللغة العربية والقومية العربية ، ونسهل نمو اللغة ونيسر انتشارها بسرعة .

كما يطلب من هذه اللجنة ان تسعى لدى وزارات المعارف والجامعات والصحف والمجلات ان تضع في الاستعمال كل ما تقرره المجامع العلمية ، والا فان الجهود والاموال التي تبذل تذهب هدرا . ونظل تلك الاماني الخيرة احلاما طوباوية لا يمكن تحقيقها .

* * *

- كافة .
- 9 — تبادل اساتذة اللغة العربية بين البلاد العربية .
- 10 — تعزيز المكتبة العربية بكتب مترجمة صحيحة ، وكتب بعثت من التراث القديم مبسطة تبسيطا يجعلها سائفة لن يريد المطالعة .
- 11 — الاستعانة بكل ذي خبرة من خارج الجهاز الحكومي ، لانه ليس من المفروض ان اجهزة الحكومة قد ضمت كل نابه في علمه وفي فنه .

6 — استعمال اللغة العربية في التعليم الجامعي ، على شرط أن يكون الطالب الثانوي والجامعي متقنا لغة اجنبية حية مع لفته العربية — على الاقل — ليتمكن من الرجوع الى المصادر الاجنبية، وليتمكن من مواكبة سير العالم وتطوره .

(7) استعمال المصادر العلمية بلفظها الاصلي مع ترجمتها الى العربية .

(8) توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية وتمييزها بواسطة لجنة تنتخب من الجامع العلمية

اشهر دعائم هذه الآراء .

- 1 — القرآن الكريم
 - 2 — نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها
 - 3 — الكتابة العربية المنقحة
 - 4 — الفهرست
 - 5 — وفيات الاعيان
 - 6 — صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي
 - 7 — آراء في اللغة العربية
 - 8 — فلسفة اللغة العربية وتطورها
 - 9 — كتاب الصيدنة
 - 10 — مقدمة ابن خلدون .
 - 11 — حضارة العرب
 - 12 — المزهري في علوم اللغة
 - 13 — كتاب الحيوان
 - 14 — المستشرقون
 - 15 — كتاب تاريخ آداب اللغة العربية
 - 16 — مقدمة الالبازة
 - 17 — الرد على النحاة
 - 18 -- معجم عطية .
- للاب انستاس ماري الكرمللي
- للاب انستاس ماري الكرمللي
- لابن النديم
- لابن خلكان
- فاضل الطائفي
- لرشيد عامر السامرائي
- لجبر ضومط
- للبيروني
- ابن خلدون
- لفوستاف لوبون — ترجمة المرحوم عادل زعيتري .
- لجلال الدين السيوطي ج 1 .
- للجاحظ ج 1
- لعفيفي
- للمرحوم الرافعي
- للمرحوم سليمان البستاني
- لتحقيق شوقي ضيف .

اتحاد الجامعات كـفـيل بـعـم وَصْة المصطلح العلمي العربي

الأستاذ عبد الرحمن بشناق

(الاردن)

متقنة في كل قطر لترعى المصطلحات والعبارات الجديدة في ذلك القطر ، وتكون على صلة متينة بالهيئات المائلة لها في الاقطار العربية الاخرى ، لئلا تستعمل عدة عبارات عربية متشابهة المعنى للتعبير عن مدلول جديد واحد .

(3) — لاشك ان اللغة العربية تصلح للتدريس الجامعي بالنسبة لعدد كبير من مواد التدريس . وتصلح أيضا لتدريس الطب والعلوم الرياضية وغيرها بشرط الاستعانة بلغة اجنبية . اي يجب على الطالب الجامعي العربي ان يجيد لغة اجنبية ليظل على صلة بما يتجدد من معلومات واكتشافات كل يوم ، ولكنه في الوقت ذاته سيستفيد من محاضرات اساتذته فائدة اعمق اذا كانت باللغة العربية ، تتخللها عبارات ومصطلحات اجنبية مما لا يوجد له ترجمه مقبولة في اللغة العربية .

(4) — من المشاكل التي تعترض اساتذة الجامعة انهم في الغالب تلقوا علومهم في جامعات اجنبية ويلفون اجنبية ، ولذلك يصعب عليهم ان يحاضروا باللغة العربية وان يصوغوا الترجمة العربية الصحيحة لما تعلموه .

ومن المشاكل أيضا ، ضعف الطلاب الجامعيين في اللغة العربية ، وهذا الضعف ناجم عن الاساليب العقيمة في تعليم اللغة العربية في معظم المدارس العربية ، اذ يتلقى طالب المدرسة الابتدائية والثانوية معظم علومه باللغة العربية ، ويدرس بالاضافة الى ذلك دروس اللغة والادب كل يوم ، ولكن نسبة ضئيلة من المتعلمين تصل الى مستوى السيطرة التامة على اللغة او المقدرة على قراءتها وكتابتها دون الوقوع في اخطاء جوهريّة .

(1) ان صعوبة اللغة بحد ذاتها والحروف التي تكتب بها من اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية .

اللغة — سامية صعبة على ابناء اللغات اللاسامية من حيث الاصوات والصرف والنحو وهي منعزلة عن واقع الحياة ، حيث تسود العامية في اشكالها المختلفة . فلا يدري الاجنبي هل يتعلم الفصحى ام العامية ، وبأيها يبدأ وأية لهجة عامية يتعلم .

— روح المحافظة المحيطة باللغة الفصحى والتي تقاوم دخول المصطلحات والعبارات الاجنبية التي لا غنى عنها للغة العصرية .

الحروف — اشكال الحروف جديدة على الاجانب بخلاف حروف اللغات الاوروبية والامريكية .

— ثم انعدام صور حرفية لاصوات الضم والفتح والكسر يجعل تحكم الانسان في اللغة صعبا ، ويلاحظ ان كثرة المتعلمين العرب لا يجيدون لغتهم .

(2) — بينما لا نستطيع تغيير طبيعة اللغة العربية الفصحى نستطيع تبسيط طرق تعليمها بحيث تنتشر معرفتها بين نسبة عالية من السكان في كل قطر . ومتى انتشرت معرفة اللغة الفصحى وزاد استعمالها بدون اخطاء اساسية في المدارس والصحف والاذاعة ، فانها ستتخلص بالتدريج من ركودها اي من التصلب او التحجر الناتج عن قلة الاستعمال في الامور اليومية وتصبح لينة سهلة وحية بالمعنى الصحيح ، اي تصبح لغة الكلام والعاطفة والعلم .

ويجدر في الوقت ذاته قيام هيئات علمية غير

المختلفة ونشر البحوث المترجمة لتعميم الفائدة وتنسيق الجهود .

(5) - المصطلح العلمي ليس اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، لكنه مشكلة . والحل في نظري هو قبول المصطلحات العالمية كما تقبلها جميع اللغات الحية . وليس من الحكمة التمسك بتنقاة اللغة العربية من كل شائبة اجنبية اذ كان ذلك التمسك سينتهي باللغة الفصحى الى الجمود والانعزال عن تيارات الحياة المعاصرة .

اذن فالحل هو في تبسيط تعليم اللغة العربية ، وفي نشر التعليم بين ابناء العروبة لتصبح اللغة الفصحى تراثا مشتركا بين الجميع ، لا ثروة محصورة في افراد قلائل . وبهذا تلين اللغة وتتقبل المصطلحات الجديدة وتقرب من الحياة اليومية ، وتصبح صالحة لتدريس كل العلوم في الجامعات . وفي الجامعات نفسها ينبغي وجود لجنة من هيئة التدريس تشرف على ترجمة البحوث التي يضعها الاساتذة الى لغة عربية سهلة متينة ، كما ينبغي الاتصال والتعاون بين لجان الجامعات



الاتصال بحلفاء التطور العلمي العالمي

يستلزم

إتقان لغة أجنبية بجانب اللغة العربية

الدكتور منذر الرقاق

رئيس شعبة الامراض الداخلية في مستشفى دمشق
وعضو المجمع الأمريكي لامراض جهاز الهضم

واذا ما اردنا دراسة الانتاج العلمي باشكله في العالم وجدنا ان جلّه يظهر بلغة انكليزية في كثير من البلدان المتعصبة لقوميتها وبلادها كاليابان واليابان ، والسبب في ذلك ان اللغة الانكليزية تسبح في عصرنا الحاضر بنشر وتعميم التطورات العلمية في ارجاء المعمور كلها .

ان قوميتنا العربية تقضي بالتطور السريع والتقدم الدائم وليس من واسطة علمية عملية تسمح لنا بتحقيق هذه الامنية في العصر الحاضر ، اذ انه فضلا عن عدم وجود انتاج علمي اساسي في العلوم لدى العرب فان علماء العالم قل ان يدركوا التطورات العلمية لبلد ما ان لم يتوفر لهم التعرف اليها بواسطة المجلات العلمية المعديدة ..

الكتب العلمية

وفي شتى العلوم ، وخاصة في الطب ، فان الكتب التي تطبع في اللغات الاتليمية المحلية قليل وهذا ما يخفف من عدد الطباعات التي تحمل في تكرارها اشكال التطور والتجدد على مر الزمن ولهذا تتباين الكتب العلمية مع عجلة التطور وتبقى متخلّفة عن اللحاق بالركب العالمي .. ومن المنطق ان لا تستطيع هذه الكتب العلمية الصادرة بلغة اقليمية تجديد طبعها في كل عام لان استهلاكها محدود طالما ان عالمها صغير فضلا عن ان اكثر هذه الكتب العلمية (وعلى الاخص في بلادنا العربية) مترجمة .. وطالما ان الابداع الشخصي في الانتاج العلمي محدود ..

الوجه الخاص لعالمنا العلمي ..

واذا احببنا ان نتجرد عن عواطفنا وان نواجه الواقع المؤلم فلا بد لنا ان نذكر ان عالمنا العلمي

عندما نقاش مبدأ اختيار اللغة المفضلة في تدريس العلوم في بلادنا العربية فاننا نرغب ونسعى وراء ادراك كافة اوجه التطور العلمي المعديدة التي تعم العالم والتي تعود علينا بالخير والمجد .

وفي هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من علاقات البشرية — وقد امتازت بسرعة التبادل العلمي واشتداد الاحتكاك الاجتماعي نتيجة تطور وسائل النقل في العالم — يجب ان لا نتردد في الاعتراف بأن لغتنا العربية هي اكثر بطنًا من اللغات العلمية العالمية في نقل اشكال هذا التطور العلمي في ارجاء المعمور .

فاللغة صلة الوصل في نشر العلم

وقد تعددت المؤتمرات العلمية في شتى الاختصاصات في السنين العشر الاخيرة وكانت اللغة الانكليزية في جل هذه المؤتمرات هي صلة الوصل الاولى بين مختلف العلماء من مختلف البلدان وتأتي بعدها الافرندية ثم الاسبانية فالالمانية الخ ..

وتبادل اشكال التطور بين مختلف شعوب الارض يتم بشكل سريع اذا ما جمعت لغة عالمية واحدة وسائل التعبير لدى رجال العلم واللغة العملية التي تسيطر على وسائل التعبير لدى العلماء في العالم هي الانكليزية في الوقت الحاضر .

هذا هو واقع اساسي لا يمكن تجاهله او تناسيه فالذي يشترك في المؤتمرات العلمية العالمية يدرك تماما ان للغة الانكليزية النصيب الاوفر والاول في المناقشات العلمية كانت اساسية ام فرعية .

الالكترونية التي تستعملها الولايات المتحدة الامريكية في مستشفياتها العلمية هي اجهزة من صنع ياباني ، وعلى الرغم من وجود عالم طبي وعلمي قائم بذاته في بلاد الشمس فان الاطباء والعلماء يستخدمون اللغة الانكليزية في شرح وتدريس الاشكال العالية من انتاجهم العلمي لانهم يؤمنون بأن هذه اللغة تكتسب سرعة الاتصال مع العالم الخارجي وسهولة النشر في الحثث العلمية العالمية .

ان القومية السلبية هي التي تقضي بالتطور والوطنية الصحيحة هي التي تساعد على اظهار وتوسيع وتطوير كل انتاج علمي لا خنقه وقتله لاعتبارات ذاتية زائلة .. وهذا ما يوضح لنا انسجام شعب كالشعب الياباني مع هذا الواقع العلمي متخطيا كثيرا قيود القومية وشروط الوطنية الضيقة ... فاستعمل اللغة اليابانية في بلده في حدود لا تؤدي تطوره وابداعه ... ومن الضروري للبلاد العربية ان تعود الى نفس الطريقة فلا تكتفي باستعمال اللغة العربية في مجال نشاطاتها العلمية بل تجعل لاحدى اللغات الاجنبية المكان الاول الى جانب اللغة العربية وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لا تخفى عن العالم ما نحمله من تطور وابداع في حقل العلم ، وحتى يستقر لنا عالم علمي لانفسنا لابد لنا ان نربط بهذه القيود .

الشكل المفضل لتدريس العلوم

ولسنا ندعو الى تدريس العلوم باللغة الانجليزية الا انه من الضروري على الاقل ان يتم تدريس النصف تقريبا باللغة الانجليزية والنصف الآخر باللغة العربية وهو ما يسمح للطلاب بعدم الابتعاد عن الجري العلمي السائر في العالم طالما ان اللغة العربية لا تحمل اليه تطورات العلم في كافة اشكالها وفي اوقاتها اللازمة .. اما اللجوء الى الترجمة فهذا حل وسط ضعيف له محذوران : المحذور الاول انه يصعب على الترجمة في اكثر الاحيان ملاحظة تواتر التطور بشكل متناسب ، والمحذور الثاني ان الترجمة تضعف في كثير من الاحيان النص الاصلي ان لم تشوهه على نحو ما نرى في كثير من الكتب العلمية العربية المتداولة ، ولست ارى اهمية لاختيار التعابير الطبية الصحيحة باللغة العربية لانني مقتنع بان هذا ممكن وان هذا لا يحول دون الترجمة وبالتالي دون التدريس باللغة العربية .

محدود وان وسائل الابتكار العلمي لا تعرف التشجيع ان وجدت ، لاننا لا نحسن تقديرها اولا ولان خلقنا وخلقنا لميتعودا بعد على دفع العالم المبدع الى الامام بل ما زلنا نعمل على وضع العثرات كافة في وجهه تحول دون كل ما يقدم لنا .. نسخر منه حين يحترمه العالم ونسعى وراء ابعاده لقتل ابداعه ..

تلك ظاهرة هامة جدا في حياتنا العلمية يشعر بها العلماء في بلادنا العربية .. ولهذا وجدنا ان عددا كبيرا منهم قد لجأ الى بلاد اجنبية ليتابع ابحاثه ودراسته بعد ان لقي الترحيب والتكريم وقد نبذه وطنه وحاربه.

ولا ادل على ذلك من أن طبيبا عربيا قد ألف كتابا علميا تعرض لكثير من النقد والتقييد .. وان السلطات العلمية والثقافية في جل البلاد العربية قد طلبت هذا الكتاب وعيتمته على مكاتبها باستثناء وطن الكاتب الذي تجاهل الكتاب كل التجاهل رغم تقديمه الكتاب عدة مرات للبحث والدراسة .

اننا في الوقت الذي نرجو فيه ان تتطور عاداتنا ونسمو اخلاقنا ونبش لكل نشاط علمي فعال ، لابد ان نتساءل هل من الاجدى ان نقدم انتاجنا العلمي باللغة العربية ام بلغة اجنبية ؟

كيف يتم التعريف بالانتاج العلمي ؟

اظن انه من الضروري ان نعرف العالم بانتاجنا بواسطة اقصر الطرق ، واستعمال اللغة العربية في هذا الانتاج يؤخر كثيرا في هذا التعريف وسيبقى العالم بعيدا عن ادراك اي تطور يمكن ان نقدمه في حقل العلم طالما انه لم يطلع عليه ، ولهذا لابد من اللجوء الى وسيلة تسمح للعالم العلمي ان يقرأ انتاجنا بلغات يستعملها غالبا ، ولنا في اليابان البلد الآسيوي الذي تضارع حضارته ومدنيته البلدان الأوروبية كافة خير مثال ، اذ انه بالاضافة الى استخدامه اللغة اليابانية في بلاده في نشر معارفه ومخترعاته وانتاجه العلمي ، نرى انه يسخر اللغة الانكليزية في كل المجالات لتعريف العالم بتطوره العظيم وقد تم له ذلك بوضوح في السنين العشر الاخيرة واعتقد انه لو اكتفى باستعمال اللغة اليابانية في شرح انتاجه وكشوفه لبقى بعيدا جدا عن العالم ولما حظي بهذا الاجلال العظيم الذي يكتسه العلماء في هذا العصر للتقدم الفني الهائل والتطور العلمي العجيب اللذين قدمتهما اليابان الى مدينتنا الحاضرة ، ويكني ان تعرف ان نصف الاجهزة

دور اللغة في انتشار المعرفة العلمية

وكأوضح مثال على دور اللغة ونوعية اللغة في نشر العلم والمعرفة هو ما اكتسبه كاتب هذه الأسطر من خبرة في الموضوع .. فلقد اعتاد تسجيل ودراسة الحوادث العلمية التي يصادفها في ممارسة الطب منذ أكثر من عشر سنوات ، وهي صفة ملازمة لكثير من أطباء المستشفيات في العالم .. وتقدم هذه الدراسات في مواضيع وإبحاث ومحاضرات في الندوات والمؤتمرات والجلات الطبية في الشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية وتطبع هذه الدراسات وتنتشر بإحدى هذه اللغات الثلاث ..

ومن تقاليد الأوساط العلمية في العالم ان تطلب نسخة من الأبحاث الطبية المنشورة التي تجد فيها أهمية خاصة .. ولهذا فهو يتعلق دائما بطاقات خاصة من دول عديدة في العالم تطلب فيها نسخة من البحث المنشور ومن الطريف جدا ان يذكر انه لم يتلق اي طلب لاي بحث تم نشره باللغة العربية وانه تلقى ما لا ينقص عن خمس طلبات لكل بحث نشر باللغة الفرنسية في حين يتلقى عشرات الطلبات وأحيانا المئات منها لكل بحث نشر باللغة الإنكليزية وهذه الطلبات تصدر عن بلاد عديدة تقع في القارات الخمس من استراليا الى اقاصي أمريكا الجنوبية مارة بآسيا وأفريقيا وأوروبا .. ومن بلاد لا تتكلم أحيانا الإنكليزية وقل أن تستعملها في حياتها الخاصة .

ان هذا الواقع الذي نعيش فيه والذي نشعر به كل يوم يبرهن تماما على ان استعمال اللغة الإنكليزية في الدراسات العلمية في وقتنا الحاضر اجدى بكثير من استعمال اية لغة أخرى لانها الوساطة التي تنقل الى العالم بعض النشأط المتواضع في المجال الطبي العلمي الخاص ببلدنا العربي وهو ما لم يكن متوفرا في السابق ، ولو اكتفينا باستعمال اللغة العربية فقط في التدريس ونشر المعرفة العلمية لما تم هذا التعريف بنشاطنا العلمي على صعيد عالمي واسع .

خاتمة ونتيجة

هذا هو الواقع الاجتماعي لمشكلة علمية أساسية تصادفنا طوال مراحل تطورها ومن الضروري أن نجد لها حلا واضحا يتناسب مع حاجياتنا ويحافظ على قوميتنا..ولسنا ندعو البتة الى طرح اللغة العربية جانبا وتبني لغة أجنبية في تدريس العلوم في جامعاتنا ومعاهدنا .. الا اننا ندعو الى الضرورة القصوى لاشراك لغة أجنبية — ونفضل اللغة الإنكليزية في الوقت الحاضر — في تدريس العلوم ، فيعمد الاساتذة الى انتقاء ما لا يقل عن مادتين من اصل البرنامج تتغيران بتغير العام ، تدرسان باللغة الأجنبية ويسأل الطالب عنها في آخر العام وهو بهذا الأسلوب مضطر الى اتقان الدراسة باللغة الإنكليزية الى جانب متابعته للعلوم في اللغة العربية فيكون قد حظي بمعرفتين وهذا اول الطريق للاتصال بحلقات التطور العلمي في العالم .

للغة العربية طاقات خلاقية ولكن تنقصنا وسائل التنسيق

للكو، احمد شمس الدين الشطي

كلية الطب (مخبر الجين)
جامعة دمشق

حتى في العلوم الحديثة مثل علوم الذرة والفضاء
وما الى ذلك من علوم غير معروفة في السابق .

4و5 — ان اللغة العربية الصالحة في ذاتها
للتدريس والبحث الجامعي تتطلب التوفر على
المصطلح العلمي بوضع معاجم تشرف عليها لجان
محدودة وبدعوة المؤلفين الى استعمال الكلمات المدونة
فيها ، كما هي حتى ولو كان لديهم افضل منها ،
على أن يبين المؤلف في آخر كتابه او في هوامشه نقده
والكلمة المفضلة لديه لتتوفر فيها لجنة المعجم فتقرها
اذا اقتنعت بها في الطبعة الجديدة ، ويقضي ذلك
بأن يطبع المعجم لا اقل من مرة كل ثلاث سنوات .

ويحسن ان توضع المعاجم بالتدريج فيبدأ بوضع
معجم في المصطلحات الطبية وآخر في المصطلحات
الزراعية ، وثالث في المصطلحات العسكرية .

1 — ان أهم المشاكل التي تعترض سير اللغة
العربية والتي تحد من انتشارها بسرعة في العالم هي:
عدم استكمال وسائل التنسيق في التنظيم .

2 — فان انجع الحلول في نظرنا هو العمل
المنظم المستمر المشفوع بحسن النية والاخلاص
للعربية واللغة العربية والاقتناع التام بطاقتها
على استيعاب المصطلحات التي أوجدها التطور
العلمي الحديث وتقدمه المذهل في شتى الميادين .

3 — ان صلاحية اللغة العربية للتدريس
الجامعي لا يشك فيه من اطلع على اللغة العربية
وعرف مدى مرونتها ولا يقول بخلاف ذلك الا جاهل
بالعربية تنقصه الجرأة في محاولة التجربة ، فاذا ما
جرب باذلا بعض الجهد اقتنع بصلاحية هذه اللغة

مستقبل العربية كلفة عالمية رهن بمستقبل العرب

للككتور: عبد السلام العجيلي

(دمشق)

ويكتبونها تصلح للتدريس الجامعي . واللغة العربية أصح من كثير غيرها من اللغات لكثرة مفرداتها ولدقة الفروق بين معاني المفردات المتقاربة منها ، ولرونة التركيب فيها ، ولماضيها الحضاري . ولأنها كذلك لغة جماعة كبيرة من الناس لهم تراثهم الجليل في التاريخ وللأوطان التي يسكنونها قيمة في حاضر العالم ومنزلة كبيرة منتظرة في مستقبله .

4 — العلم المصري سواء كان تدريسيا في الجامعة أو بحثا علميا هو علم غربي البيئة والأصول اجنبي على اللغة العربية ، قد تلقاه الأساتذة والباحث باللغات الأجنبية في الغالبية العظمى من الحالات .

والمشاكل التي تعترض الأساتذة الجامعيين في تعليم العلم والبحث في اللغة العربية مشاكل على نوعين : النوع الأول مشاكل نفسية مصدرها اللغة الأساتذة للغة الأجنبية في تفكيرهم العلمي واقتصران المعطيات العلمية في اذهانهم بالتعبير الاجنبي الذي درسوه فيه ، أيا كانت اللغة الأجنبية تلك الفرنسية أو انكليزية أو المانية أو روسية . هذا الاقتصران وتلك اللفة يؤسسان في نفس الأستاذ الجامعي اقتناعا بعجز اللغة العربية التي تلقى ثقافته العلمية بغيرها ، عن أن تكون وعاء متسعا للمعارف التكنيكية أو البحث العلمي .

وهذه المشاكل النفسية تحتاج في حلها الى إيمان الأساتذة الجامعيين والباحث بآمتهم وبلغتها وبمستقبلها وطبيعي أن الإيمان بالامة لا يحدث في يوم وليلة ، فهو نتيجة للتربية الوطنية الصحيحة . وكذلك الحال في الإيمان باللغة فهو لا يكون بأمر أو قرار رسمي ، بل لابد للاستاذ الجامعي من أن يكون قووي

1 — ان تحديد انتشار اللغة العربية في العالم ليس ناجما عن مشاكل متعلقة باللغة نفسها ، بل عن اسباب متعلقة بالامة العربية ومنزلتها بين امم العالم ومستواها الحضاري في العالم المعاصر . ليس ادل على هذا من ان اللغة العربية انتشرت بسرعة فائقة بعد ظهور الاسلام ونهضة العرب الحضارية التي تلت خروجهم من جزيرتهم . لم تقف امام انتشار اللغة حينئذ أية مشكلة من المشاكل التي تثار الآن كتمقيد النحو والصرف وعسر الكتابة وصعوبة مخارج الحروف .

فمتخلف العرب الحضاري هو المسؤول عن الحد من انتشار اللغة العربية بين الامم التي ليست هذه اللغة لغتها . وحين لا يكون عند العرب ما يغري الشعوب الاخرى بالتفاسه من منابعه ، من معطيات ثقافية وفنية أصيلة ، وحين لا يغزو العرب امم العالم لا بقوتهم ولا بعملهم ، تبقى لغة العرب لغة ثانوية لا يتكلف احد جهدا في تعلمها غير ذوي الفضول ومحبي الغرائب ، مهما كانت اللغة من اليسر أو قرب التناول .

2 — مما اسلفت يتبين ان ليست هناك مشكلة رئيسية ليكون حل لها . ومستقبل اللغة العربية كلفة عالمية رهن بمستقبل اهلها الناطقين بها .

ولا شك أن هناك مشاكل هابشية نستطيع ان نسيها صعوبات لا تخلو من مثلها أية لغة سواء كانت واسعة الانتشار أو قليلته . ومعالجة هذه الصعوبات تيسر تناول اللغة وتعلمها ، ولكنها لا تعطيها القدرة على فرض نفسها كلفة عالمية .

3 — في رأيي ان كل لغة يتكلم بها الناس

الاسماء والافعال ، وذات مخارج الحروف المعروفة والمحددة . غير أن العقبات التي تحول دون هذا الاندماج ليست عقبات لا تذلل ، كما ان اللغة العربية ليست الوحيدة التي اعترضتها هذه العقبات فذللتها .

أولى العقبات وأبسطها معالجة هو عدم احتواء الكتابة العربية حروفا معينة ، وبصورة خاصة بعض الحروف الصوتية ، موجودة في اللغات الغربية مثل حرف V و P و G . وقد عولجت هذه العقبة معالجة معقولة بإجراء تعديلات في التنقيط على الحروف العربية المقاربة في مخرج اللفظ للحروف المفتقدة . ولكن هذه المعالجة لم تدخل في دور التعميم الشامل ، وهذا قصور يمكن تلافيه ويجب تلافيه .

وثمة عقبة أخرى هي التي تتعلق بتعريب المصطلح الاجنبي . وقد لعب التخرج والتصلب دورها في تضخيم هذه اللغة حين اصر بعض المعنيين باللغة العلمية على تعريب كل مصطلح ورفض ما لم يتوافق وزنه وتركيبه مع اوزان الصيغ في اللغة العربية وتركيب الكلمات فيها . ولاشك بأن التنقيب عن كلمات عربية مهيمة ومنسية كان العرب القدماء قد استعملوها في ما يقابل مسمياتها العلمية اليوم ، كبعض مصطلحات التشريح والفلك وعلم النبات ، عمل جليل يغني لغتنا العلمية بمفردات كثيرة نحن في حاجة اليها . الا ان الطوفان المستمر من المصطلحات العلمية الجديدة يجعل الاصرار على اكتشاف كلمة قديمة لكل مصطلح جديد ، او تعريب هذا المصطلح الجديد بكلمة عربية فصيحة ، ثم فرض هذه الكلمة على الاوساط العلمية العربية المتباعدة والمنقطع بعضها عن بعض ، امرا مستحيلا ويضطر العلميين العرب الى قبول المصطلح الاجنبي بأقل ما يمكن من التعديل في لفظه . لقد ترجمت بعض المدارس مثلا كلمة هرمون بكلمة « حائة » ، ونيامين بكلمة « حيامين » ، الا ان الايام واقلام الكتاب اثبتت المصطلحين العلميين كما وردا في شكلها الاجنبي ، ولم يحل ذلك دون اندماجهما باللغة العربية العلمية او أن يصبحا كلمتين شائعتين على السنة العامة من الناس .

ويبدو ان الاشتقاق في المصطلح العلمي وتطويعه لاصول الاشتقاق في اللغة العربية هو اشد العقبات بروزا . فاللغات العربية تقبل كلمات مؤلفة من عدد من الحروف يفوق العشرة او العشرين ، مركبة من

الاطلاع على لغته الام متذوقا لتقنياتها التاريخية المثقلة في تراثها المتوارث طوال اربعة عشر قرنا . اما الايمان بمستقبل الامة فهو نتيجة ملازمة لمعيشة الاستاذ الجامعي لواقع الشعب الذي هو أحد افرادة بالاطلاع على مشاكله وحاجاته والتعرف على امكانياته الكامنة وطاقاته المحدودة . فالاستاذ الجامعي في العالم العربي المعاصر يجب ان لا يكون في عزلة . انه ، لكي يقوم بما عليه ان يقوم به ، يجب ان يكون رائدا وطلبة في بناء الاجيال الجديدة التي تفتقد لها امته بين الامم ، اعني بها الاجيال العلمية .

النوع الثاني من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين في هذا المجال مشاكل واقعية مصدرها اللغة العربية نفسها . فنحن نعرف ونعترف بأن لغتنا لم تصبح بعد لغة علمية متكاملة وان قصور اللغة العربية في هذا المجال يعود الى اسباب تاريخية وانسانية خارجة عن ارادتنا نحن ، وعلينا نحن بارادتنا وتصميمنا ان نحو هذا القصور ونعطيها الصفة التي تنقصها لتصبح مثل غيرها لغة صالحة لتدريس العلوم والبحث فيها . وهذا امر لا يمكن ان يحدث في يوم وليلة ، او ان يقوم به فرد او افراد قلائل . على كل مدرس وباحث ان يأتي بما يقدر عليه في مجاله ، مستمينا ببهود زملائه ، مساهما بقسطه من الجهد والابتكار ، حتى يتأتى للغة العربية ان تصبح اداة وافية في ميدان العلم مثلها هي في ميادين الفكر والادب ومثل كل لغة عالمية يثق اهلها بذاتهم ويحترمون أنفسهم .

5 — المصطلح العلمي قد يكون اسما او فعلا . وهو في هذه الحالة كلمة مكونة من جذر بسيط او عدة جذور مركبة ترجع في اصولها الى اللاتينية او الاغريقية في غالب الاحيان . ويلحق بهذا الجذر او تلك الجذور اضافات وحيدة او متعددة مما يخلق منها كلمات جديدة تخضع في تكوينها الى اصول الصرف والاشتقاق في اللغات العربية . وقد يكون المصطلح العلمي صيغة رياضية او كيميائية معبرا عنها بالارقام والحروف اللاتينية واليونانية ، او كلمات مخترعة مختصرة لجملة مصطلحات علمية ممثلة باوائيل حروف جذور تلك المصطلحات .

وطبيعي ان لا يكون هنا اندماج هذا المصطلح العلمي باللغة العربية الفصيحة ذات الاصول الثابتة في التكوين والاشتقاق ، ذات الاوزان المحدودة لصيغ

المصطلح العلمي على حاله او بقليل من التعديل وترويض اللغة على الوان من الاشتقاق مرنة وان لم تتساهل فيها الكتب القديمة او الاذان المتصلبة .
غير ان كل هذه العقبات ، على جدتها ، لا تنف امام الارادة الصحيحة التي تقتضيها الحاجة الماسة الى فرض اللغة العربية كلفة علمية عن طريق تدريس العلوم الحديثة لابنائها بها وتوسيع مفرداتها بقبول المصطلحات العلمية الجديدة في مفرداتها . ولا يخفى علينا ان لغات كثيرة اشد عسرا في قواعدها وفي طريقة كتابتها من لغتنا قد طوعت للعلم امثل اليابانية والعبرية) فلم تنف دون تفوق ابنائنا في العلوم النظرية او التطبيقية . واذا كان ثمة حائل صحيح دون ان تصبح اللغة العربية لغة علمية ثم لغة عالمية فهو ليس في اللغة نفسها بل هو في تصور الهمة وضعف الثقة بالنفس .

جذور متعددة ، مضافا اليها زوائد كثيرة . اما اللغة العربية فان تحملها للكلمات الكثيرة الحروف عسير ، ولذا يلجأ العربون الى الكلمات المتعددة للتعبير عن المصطلح العلمي الواحد . فنقول فرط التحسس كترجمة Hypersensibilité الا ان هذا يخلق لنا متاعب يصعب التغلب عليها في الاشتقاق الوصفي او الفعلي لمصطلحات مثل هذه . نستطيع ان نقول اكسدة لفعل Oxydation المشتق من اكسد ، ونصرف فعل هذا المصدر بطريقة صحيحة . ولكن المسألة تتعقد حين نريد ترجمة Réoxydation و Désoxydation وتصريف الفعل المناسب لكل منهما . عدا ما هو اكثر تعقيدا من هذين مما تدخل فيه الزوائد اللاتينية واليونانية مثل Ere, ana, dis, Extra-intra ما كان منها بسيطا او مركبا . ويبدو ان الحل في هذه الحالة وامثالها هو قبول

يوجه المكتب الدائم هذا النداء الى جميع رجال الاختصاص في العلوم واللغة العرب :

في اطار المعجم العلمي العام الذي سيصدره المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بناء على منهجه العشاري ، نرجو من سيادتكم موافقتنا في اقرب وقت ممكن بما يعن لكم من مصطلحات تقترحونها في مادة اختصاصكم او ملاحظات على مصطلحات غير موفقة في نظر سيادتكم او ما عثرتم عليه اثناء بحثكم من مصطلحات عربية قديمة تعبر عن مفاهيم علمية جديدة وغير خاف عنكم ان الجامعة العربية قد بعثت بمذكرة خاصة الى جميع وزراء الخارجية العرب تطلب منهم فيها المساهمة في اعداد هذا المعجم ماديا وادبيا .

وان المكتب قد قرر ان يكون معجمه وافيا بجميع المصطلحات المستوعبة لقابلية الحياة لذلك يرى من الضروري الاتصال بجميع الهيئات العلمية واللغوية وبكافة الافراد العلميين .

عالمية اللغة العربية

رهن بقوة العرب في الحقل الدولي

الانزواجية إغاهي دعم للتوازي العلي

الأستاذ فوز الشايب

(دمشق)

كيف دانت للغتنا العربية شعوب الروم والفرس ، فكتب فحولهم بالعربية وخلدوا بها في تاريخ الفكر العربي في ظلال مجد الدولة وقوة السلطان واليوم لا يخفى على أحد كيف انتشرت الفرنسية والانكليزية بين الملايين في افريقيا وآسيا ، واللغة الروسية بين الملايين في اوربا الوسطى والشرقية. وعندما تكون اللغة العربية لغة الدولة العربية الكبرى ذات مئة المليون - نستطيع ان نتصور الكثير والقليل عن مدى ازدهار اللغة وراء سيادة الدولة - وعالميتها .

ثالثا - المستوى الثقافي :

تؤلف قضية المستوى الثقافي في مجتمعنا العربي ، مشكلة اساسية ، اقل القول فيها انها هي التي تفرر مسيرة اللغة ، ومحيرها معا فالمجتمعات التي لا يؤلف فيها جمهورها وعيا ثقافيا معينيا ، تتضاءل فيها الحاجة الى لغة غنية معاصرة لحاجات الانسان ، وينحدر فيها الانتاج الفكري الى مستوى التفاهات ، ويساوم عليه مع خسيس البضاعات ، وفي هذه المجتمعات لا كرامة لمفكر ، ولا رزق ايضا ، وتنعدم الحاجة الى اللغة ، باتعدام الحافز الى التقدم ، والحاجة الى المعاصرة فاللغة القابضة في عقر دارها ، هي قرينة الفكر الضامر في أطماره ، وطبيعي أن اللغة التي لا تبارح دائرتها الصغيرة ، لا تستطيع ان تخطو في العالم الخارجي ، خطوات كثيرة او قليلة .

ان معضلة اللغة في هذه المجتمعات لا يمكن ان تطرح منفصلة عن مادتها الغذائية ، فاللغة لسان الحياة والحاجة ورياط بينهما معا ، فاذا كانت

تعرض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها ثلاثة حوائل ، يؤلف كل منها قضية قائمة بذاتها ، ومترابطة بعضها ببعض ، في الوقت نفسه .

اولا - الحرف العربي :

ان رسم الحرف العربي وان يكن يؤلف حائلا جدبا ، دون بلوغ اللغة العربية مستوياتها العالمية ، وجهايرها الواسعة ، فان تضيته ليست بالمعضلة التي يمكن ان نجد لها حولا سريعة تافهة كأن نعدل عن الحرف العربي ، الى الحرف اللاتيني ، كما فعلت (تركيا اتاتورك) ، او كما يقترح بعض المتحذلقين العرب ، ممن يظنون انهم قد وجدوا الثمرة من جانب الحرف ، للعبث بالتراث العربي ، بدءا من الالف حتى الياء وللتترك ولسواهم ان (يلتئوا) حروفهم فهم ليسوا شيئا من ترائنا .

وقد كتب كثيرون في استحالة (تلتين) الحرف العربي من جهة ، وعدم جدواه من جهة ثانية ، بقطع النظر عن القضية القومية بالذات ، ولست انوي هنا ان اكرر ما قيل وحسبي القول ان الدعوة اللاتينية ، هي تزوير لطرح القضية ، وقد بادت الدعوة ، كما باد سواها من الدعوات الشعبية والاستعمارية المعادية لحقيقة الوجود العربي .

ثانيا - سلطان الدولة :

ان القيمة السياسية لسلطان الدولة ، قضية قومية عربية تعكس ظلالها على واقعنا الثقافي ، ومنذ اقدم الازمنة ، اقترنت ايجاد اللغات بايجاد دولها وانطفات لغات ولهجات بانطفاء الجماعات التي قامت عليها ونطقت بها ، ونحن ادرى الاتوام

العلمي الجامعي ، ويجب أن تستمر العناية بها لتصبح أكثر صلاحا في المستقبل .

والثانية ان لا غنى للمتعلمين وطالبي المزيد من العلم ، عن التثقف بلغة عالمية اساسية يتابعون بها ثقافتهم التي تؤهلهم لمعاصرة كل مستطرف مستحدث ، وليس ذلك من اجل اغناء ثقافتهم مسلليا وفكريا فحسب ، بل من اجل دفع اللغة العربية عن طريق اهلها من العلماء ، لتسير أبدا على الخط الموازي للتقدم العلمي في العالم .

ففي مدى الحقيقة الاولى اؤكد ان اللغة العربية التي استوعبت في عصرها الذهبي علوم الاولين والآخرين ، غير عاجزة عن مثل هذا في عصرنا الراهن ، ما استطاع اهلها الى ذلك سبيلا ، ولا ضير عليها من الانفتاح الكبير ولا خطر ، الا من طرفي التحلق ، والتزمت على السواء .

وان هي صلحت الآن ، للتدريس العلمي ، واستيعاب العلوم الانسانية المختلفة ، فيجب أن يستمر هذا الصلاح بمجهود عربي مشترك تنهض له مؤسسات علمية وعلماء وادباء ورجال تفرغ واختصاص ، وفي مواضيع العلوم المادية الأكثر امتناعا على اللغة كعلوم الطب والهندسة ، والكيمياء وسواها .

فلا يكفي ان تكون كلية الطب في دمشق — مثلا — قد عادت الى تدريس الطب بالعربية منذ اربعين عاما . اذ يجب ان تتفاهم الجامعات العربية اينما كانت وتتعاون فيها بينها على تنفيذ منهج مقرر في تدريس العلوم ، بلغة علمية لا تترك مصطلحاتها لاختيار الاذواق الخاصة والاقاليم المحلية ، والمجهودات الفردية ، بل أن تنهض لها مؤسسة عربية كبرى ، تشرف على تنظيم اشتراك الجامعات العربية كلها في ايجاد المصطلح العلمي الملائم وفي استعماله معا .

وقد وضع صيغة اقتراح مماثل منذ عام 1945 — العلامة الاستاذ مصطفى الشهابي ، رئيس — المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، فطالب بتأزير مجمع اللغة العربية في القاهرة مع جامعة الدول العربية بالاضافة الى اسهام رهط من العلماء والادباء المتفرعين للهمة الثقافية القومية ، فيتألف من هذه الجهات تنظيم يشبه (لجنة عليا) ذات صلاحيات وطاقات مادية كافية ، تشرف على اخراج (معجم للمصطلحات العلمية) ، بطبع ويوزع بمساعدة

الحياة تافهة والحاجة مقصورة على البدائيات ، انعدم الشعور بضرورة تعزيز الرباط بين الحياة والمجتمع ، وتصبح عشرات الكلمات كافية للتداول بديلا عن الالوف .

ففي معالجة مشكلات هذا المستوى الثقافي المتدني ، لا يطرح السؤال : هل اللغة العربية ، متخلفة عن الركب العصري ، بل السؤال : هل اهل اللغة انفسهم هم المتخلفون ، فالمعضلة ، وحلولها ليست في اللغة بل في القوم الذين يتداولونها ، انها قضية (اجتماعية ثقافية) في المقام الاول ويجب أن نعالجها ليس على اساس انها تركيب حروف ، بل تكيف شروط اجتماعية انسانية ، في مكان ما وزمان ما .

وعلى هذا فان معالجة مشكلة اللغة العربية ، ليست بالحصص معالجة اكااديمية ينصرف اليها العلماء والاختصاصيون ، وناحتو الالفاظ ، وناجروا اشكال الحروف ، وان تكن الاكااديمية هنا عملية تقنية ، لابد منها في مرحلة الصياغة والتنظيم والتنسيق .

فاذا قلنا مثلا ان انفتاح الحياة الاجتماعية على حاجات العصر ، وفروض التقدم وتيارات الفكر العالمي ، وان تشجيع الروح العلمية ، وتكريم اهل العلم ، وتيسير نشر الثقافة العامة ، من اسباب اعداد المجتمع وتاهيله لتداول لغة غنية متوسمة ، نقول ايضا ان البدء من القاعدة في مكافحة الامية ، — على مستوى القراءة ، وعلى مستوى التفكير — ايضا — سبب رئيسي أيضا من اسباب تكوين الوعي الاجتماعي الثقافي الذي يستطيع أن يحتضن العلماء والمتقنين ، وينهض بهم ، ويحتل على صعيده وجودهم .. ليعيشوا قادة معه ، لا عالة عليه .

فالقضية هنا حلقات مترابطة من تعليم الامي ، الى تجهيز العالم الاكاديمي ، الى فتح قابلية الجماهير لبذور الوعي الثقافي ، ولرفض شروط الحياة المتخلفة .

اما جوابي عن الاسئلة الثلاثة الاخيرة فخلاصته فيما يلي :

يبدو ان لا خلاف بين الباحثين المعنيين بالموضوع — وقد استنتجت مجلة (المعرفة) في دمشق عددا منهم — حول حقيقتين اساسيتين ، تتفرع عنهما تفاصيل كثيرة :

الاولى ان اللغة العربية صالحة للتدريس

الحكومات العربية ونهياً له أسباب الانتشار الواسع ويتجدد بين الحين والحين ، بالاضافات والتعديلات ، شأنه شأن أي عمل انسيكلوبيدي ، ويكون مرجعاً يقتضي الالتزام به ، دون ان يغلق الباب امام نقده وتعديله .

وفي مدى الحقيقة الثانية فثمة اجماع ايضاً على ضرورة اعداد الطالب العربي في مرحلتي التدريس الاعدادية ، والجامعية ، اعداداً لائقاً لتلقي العلوم باحدى اللغات العالمية الانتشار ، وان هذا الاعداد الثقافي للطالب العربي ، يجب ان يتوازي مع خط تدريس العلوم باللغة العربية ، ليتبادل الخطان باستمرار شرارات الاشتعال ، حتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه اللغة العربية ، لغة علمية واسعة لا تنازع في صلاحها ، تستطيع ان تأخذ كما تستطيع ان تعطي انما يجيء هذا الامر بالتدريج ، وبالتطور الذي ينمي اللغة ، وينمي طاقات المجتمع المتخلف معاً. ولا فضل ابداء بين اللغة والمجتمع في محاولات العلماء والمصلحين ، ساسة وقادة الفكر ورجال علم .

وأما ملاحظاتي الخاصة حول ما اوجزت من آراء الباحثين ، فجماعها :

أولاً : يجب الشروع على الفور في انشاء مجلات علمية اختصاصية ، باللغة العربية ، تدعم (الكتاب الجامعي) ، و(معجم المصطلحات) ايضاً وتجعل معاصرة العلم شأنًا يوميًا من شؤون الكثرة من المتعلمين ، ولعل هذه الهيئة العليا المنوط بها امر اللغة العلمية — لجنة ام مجلساً — تصلح ان تقوم بنفسها ، او توصي الحكومات لاصدار هذه الجلات العلمية الميسرة امام جمهور المثقفين والمتعلمين بأدنى الاسعار ، ان الافراد والهيئات الخاصة كما هو معلوم لدينا عاجزون عن القيام بمثل هذه الاعمال النثرية ، ذات التكاليف الكبيرة ، والجمهور المحدود وسهم الدولة العربية في هذا المشروع سهم رئيسي كلي .

ثانياً — يجب ان تكثر وتتعدد في نطاق الوطن العربي والمهاجر ، والاطوان الآسيوية الافريقية التي تعنى باللغة العربية وتحتفي بها ، مكاتب الجامعة العربية لتنسيق التعريب ، او مراسلون في بعض الامكنة يحلون محل المكاتب ، على ان يكون التراسل بين هذه المكاتب مستمرا وفعالاً ، بالمراسلة أو بطريق عقد المؤتمرات وايفاء الوفود هيئات وافرادا حتى تصبح هذه المكاتب وسائل فعالة لنقل تيارات التعريب

والتنسيق الى الجهاز الاعلى المركزي ، المفروض انه هو الذي يعد العدة لوضع معجم المصطلحات ، فاذا تواصل مكتب تنسيق في الرباط ، مع آخر في دكار ، وآخر في سان باولو ، وآخر في دمشق ، مثلاً للتعاهم حول وضع مصطلح ، وتم الاتفاق بأي سبب من اسباب تبادل الرأي ، كان من ذلك حصاد ثمين يوضع امام اللجنة العليا الناطمة ، واذا حصل خلاف رفع الامر الى المرجع اياه ، ليتوافر عليه باحثون ورجال اختصاص ، للحكم المرجح .

ثالثاً — يجب اشراك الادباء جنباً الى جنب مع العلماء وفقهاء اللغة وعلماء الاجتماع واصحاب الخبرات ، في تقرير المصطلح العلمي ، على نطاق الوحدات الصغيرة ، والوحدة الرئيسية العليا ، اذ من المفروض منه ان ادباء كل امة ، قصاصين ، وشعراء ونقاد ، وباحثين اجتماعيين ، وصحافيين ، قد اسهموا اسهاماً رائعاً بوعي منهم ، او بلا وعي ، وهم يمارسون تجاربهم الفنية بلغة قومهم في تطوير اللغة وتيسيرها وتطعيمها ، ومنحها تلك الطواعية، والعنوية والليونة في استعمال اللفظ والمصطلحات ، انما الاديب الحق ، من احب لفته وفهمها ، وجبل ترابها بتراب ذاته ، وابدع بها غاية ما في طاقة اللغة من ابداع ، ولهذا يجب ان تكون آثار الادباء مراجع لدرس تطور اللغة واستعمال مصطلحاتها وتداولها .

رابعاً — واخيراً فلي كلمة انهيها بكثير من الصراحة لاقول ان المنظمات الرئيسية والفرعية ، على نطاق الحكومات ، والجامعة العربية ، ومكاتب التنسيق ، وسواها ، ومن يوكل اليهم شأن من شؤون اللغة افراداً وهيئات ، يجب ان تخلو من احد اثنين من حائري انفسهم في معركة تطوير اللغة وهما : المتحذلق والمتزمت :

فالمتظرف بالثقافة ، المغرور بها ، الذي بلغ به العلم حد اقتلاع جذوره من مجتمعه وبيئته — واقل اوصافه انه متحذلق — قد يزعم ان العلم لغة انسانية عالمية ، لا وطن لها ولا ضرورة لاحاطتها باطار قومي ، لان العلم لاسرته الشاملة ولانسانيته المطلقة، واقل ما نجابه به هذا الدعي المتحذلق ، هو التأكيد بان تطور العلم ، وما احززه من توسع وتعمق انما بلغ ما بلغه بمشاركة جميع الاقوام ، قديماً وحديثاً، وبلغاتها نفسها ، وكانت التي تعطي العلم تعطي لغتها معه ، وقد اعطى العرب ، نجومًا تسبح في

والثقافي ، لكي تموت موتا تلقائيا بسوء
التفذية . وان تكن سياسته اللغوية مقصورة على
المصلحين ، فهو قاتل حق يريد به باطلا .

حتى في احسن حالات الظن به والاشفاق عليه،
فهو ليس اكثر من زوج مسكين يقتل زوجه حبا بها
وغيره عليها..

واخيرا لقد آن اوان العمل ، بعد ان تجمع
حول المسألة رأي عام مثقف على نطاق عربي ،
يطالب بانشاء مؤسسة عليا ، في مركزها وفروعها ،
في مكاتبها ومراسليها ، لتنشيط حركة
التعريب وتنسيقها ، وضبطها والتأليف
فيها وأن للدول العربية أن تدرك خطورة هذه الدعوة
لتعزيز رابطة الروابط القومية فيما بينها ،
وتأكيد عزمها على الخروج فعلا من نطاق المجتمعات
المتخلفة .

الافلاك اسماء لا يزال العالم حتى اليوم ينطق بها ،
وسيطل ينطق الى الابد ، دون ضمير ولا غضاضة .

أما من يجهل او يتجاهل لغة قومه ، ليتقن
لغة اجنبية ، يتذرع بها في ما يسميه ولاءه الانسانية
العلم ، ضد لغته وقومه ، فلا أقل من القول بأنه
انسان ناقص العلم والانسانية معا .

أما المتزمت الذي يطيب له أن يسخر من العقل
والعصر والناس ، ليزعم أن ما من مصطلح علمي ،
الا ويوجد لفظه المناسب بالعربية ، أو أنه بالأصل
عربي قح .. لأنه منقول عن كذا ، ومحرف عن كذا —
هذا المتزمت يجب ان يكون احد اثنين : إما جاهلا
لا يحق له الانتساب الى العلم ، وحسبه منه التتعمر
والدعوة والحمية الباطلة ، أو متواطئا على حشر
اللغة العربية في نطاق حديدي ، لا تتعداه الى العالم
الخارجي الا راسفة في اغلال ثقيلة قاتلة ، والمبيت
لغة شرا هو من اراد ان يفقر مضمونها اللغوي



اللغة ليست كائنًا مستقلاً بذاته ...

ولكن أداة طيعة في أيدي أبنائها وتقديسها منوط بتقدمهم

الدكتور سليمان قطاية

حلب (سوريا)

فانتشار اللغة العربية على نطاق عالمي واسع،
اذن تتعلق مباشرة بمدى تقدم ابنائها في ميادين
العلوم والفنون ومدى علاقتهم بالأمم الأخرى .
ولكن ثمة عوائق تقف في وجه الاجنبي الذي
يود صادقا تعلم اللغة العربية ، منها :

1 - وجود لغة فصحي ، ولغات دارجة ،
تجعل الاجنبي في حيرة لاختيار النصحي أم الدارجة ،
فاذا درس الاولى اصبح حبيس جدران المعاهد ،
وصديقا مجدا للمتعلمين والمثقفين العرب ، وان درس
الثانية بعد عن مصادر اللغة من كتب ومخطوطات .

2 - وحتى لو درس النصحي فهو يدرس
اللغة القديمة لغة القرآن والمعلقات (وهذا ما يفعله
طلاب معهد اللغات الشرقية في باريس) وهي غير
اللغة الفصحى الحديثة .

3 - مشكلة الخط العربي وعدم ضبطه ضبطا
رقيقا من حيث اللفظ والاحرف الصوتية والتشكيل
والحركات والاملاء ، وكثرة انواع الخطوط العربية
اما صلاحية اللغة العربية للتدريس الجامعي فهي
حقيقة لا جدال فيها، والاسباب التي تدعو البعض الى القول
بعدم صلاحيتها : هي اما عدم الايمان باللغة العربية
لجهايا وتأثير التغلغل الفكري الاستعماري فيه .
او لاسباب اخرى هي الرغبة في السرعة بنشر
التعليم العالي وتأسيسه وسهولة تأمين الاطارات
التقنية والكتب العلمية واعتقد ان هذه الاسباب هي
التي دعت بعض الدول كفرنسا الى تدريس الطب
بالفرنسية ، وهي التي تدعو اللجنة المشرفة على
تأسيس كلية الطب في حلب الى الاعتماد على اللغة
الانكليزية في التدريس .

وعلى كل حال فلا يمكن لنا ان نقول بعدم
صلاحية اللغة العربية كلفة لان الحركة التي قامت

ان انتشار لغة ما ، في اعتقادي ، يتعلق
بانتماء حضارة الامة التي تتكلم تلك اللغة ، وعلاقتها
وتأثيرها على بقية حضارات الامم .

فمنذ انتشرت الحضارة العربية عمت لغتها
جزءا كبيرا من العالم القديم وتعلمها وكتب بها
الاعاجم من كل جنس ولون . ولكن عندما جاءت
عصور الانحطاط وتراجعت الحضارة انحطت اللغة
معا ودالت دولتها .

تلك هي حال اللغات الاوربية فانتشارها جزء
لا يتجزأ من انتشار وتفوق الحضارة الاوربية واليوم
نجد امامنا مثلا واضحا لهذا : فالحضارة الاميريكية
تطفئ على الحضارة الفرنسية فلمس تراجعها
لهذه امام تلك ، وما كتاب ايتياسيل « هل تتكلم
الانكلوفرنسية » سوى مثل واضح على ذلك !

وعلى العكس عندما قام مصطفى كمال اتاتورك
بكتابة اللغة التركية بالاحرف اللاتينية بغية تسهيل
دراستها للاجانب ونشرها على نطاق واسع ، لم
يصل الى هدفه لان الامة التي تتعلم التركية امة
مستضعفة متخلفة .

وعندما تستصل الامة العربية الى درجة التفوق
في التقدم العلمي والفكري فلسوف نرى الاجانب
يقبلون على تعلمها والاخذ عنها كما فعلوا في السابق
مهما كانت صعوبة اللغة وتعقيدها .

ولا اريد من قولي هذا ان التقدم الحضاري هو
السبب الوحيد لانتشار اللغات ، بل ثمة اسباب
اخرى لا تقل اهمية كالعلاقات السياسية والاقتصادية
والجغرافية وصعوبة اللغة نفسها وتبايلتها التعليمية
فرغم تقدم اليابان والصين ، فلا تزال لغة تلك البلاد
قليلة الانتشار ومن اسباب عدم انتشارها صعوبة
تعلمها .

ورأى أن حل هذه المشكلات والعمل على
انتشار اللغة العربية يتلخص في النقاط التالية :

1 - تأليف لجان خاصة من كل بلد عربي وكل
فرع علمي لإصدار معجم في هذا الفرع ، شريطة أن
يسحق كل عضو في نفسه كل شعور انائي فردي أو
شعور قومي أو عقلية قديمة متحجرة ،
واضعين نصب أعينهم خدمة اللغة العربية وابتائيا
متطلعين الى لغة المستقبل (أي لغة وسطى ما بين
الفصحى والعامية) لغة مرنة سهلة ذات اصطلاحات
وتراكيب تنزلق بسهولة في اللغة العلمية الجامعية
اليومية ولو اضطررنا الى اخذ بعض الكلمات
الاجنبية كما هي كتولنا « ريفت » بدلا من داء السكري
لا أن يتطلعوا الى الماضي فقط ليفرضوا على أبناء
المستقبل لغة قاسية متحجرة لم يعد في استطاعتها
ملاءمة العصر ومتطلباته الحاسمة السريعة الدقيقة .

2 - أن تطبق الدول العربية كلها هذه
المصطلحات في مدارسها ومعاهدها بكل جدية وإخلاص

3 - القيام بدراسات لغوية لتبسيط قواعد
النحو والصرف وتقريبها من قواعد اللغات الأجنبية
كل لوحدها على غرار طرائق معهد غوته بالنسبة
للغة الألمانية .

4 - تأسيس معاهد لتدريس اللغة العربية
وآدابها في كل عاصمة اجنبية حيث تتوفر الامكانيات
اللازمة .

وان صعب تحقيق الامر عن طريق الحكومات
فلا بأس من أن تقوم بهذه الجهود المجمع اللغوية
أو الجامعات العلمية أو حتى بعض الافراد المؤمنين
بلغتهم وامكانياتها عن طريق الدعوات الفردية ،
والاجتماعات الدورية ، وهذا اضعف الإيمان .

بها جامعة دمشق منذ عام 1919 حتى اليوم ، ورغم
عجزها عن الوصول الى المستوى المطلوب ، فانها
تجربة قاطعة .

واذا لم نصل الى ما يريده لها أبناء العروبة
فالسبب هو أن دمشق وحدها لا تستطيع أن تتحمل
عبئا ثقيلا كهذا .

ولا اعتقد أن اللغة العربية اضعف من اللغة
الفنلندية أو الفلامنكية أو العبرية في مسيرة العلوم
الحديثة وخدمتها ، فاللغة ليست كائنات
مستقلة بذاته بل هي أداة طيعة في
أيدي ابتائيا ومدى تقدمها يتعلق بمدى
إيمانهم بها وإخلاصهم في العمل على رفعة شأنها .
أما الصعاب التي تعترض طريق الاساتذة فهي في
اعتقادي عائدة إما الى عدم كفاءة المقدم على الترجمة
أو البحث عن المصطلحات الدقيقة . فيقع في أخطاء
تجبر الاساتذة الآخرين على إيجاد مصطلحات أخرى،
ثم تعمل الانانية والفردية عليها فإذا بنا في كلية واحدة
أمام عدة اساتذة كل منهم يطلق اسما مختلفا
لمسمى واحد !

أو أن الدافع القومي المحلي يعمل عمله وهذا ما
حدث مثلا أثناء الوحدة بين سوريا ومصر عندما
اجتمع الفريقان لتوحيد المصطلحات العسكرية .

وأما أن الخلاف السياسي المستحكم بين
الدول العربية يمنع تبادل الآراء عن طريق المنشورات
والزيارات والمؤتمرات ، وخاصة يمنع تطبيق المقررات
التي يتخذها العلماء والاساتذة بشأن اللغة العربية
وتقدمها وثمة فريق من العلماء يغار على لغته لدرجة
أنه لا يقبل أية كلمة لم ترد على لسان العرب في
الجاهلية أو في العصر الوسيط ويفضل الكلمة الثقيلة
المستحيلة الشيوع على الكلمة الغريبة السهلة التي
دخلت اللغة وانتشرت على اللسان .

اللغة العربية صالحة

شريطة تمكن الأستاذ الجامعي بالإضافة إلى لغة أجنبية

الأستاذ فاخر عاقل

(جامعة دمشق)

نحن في كليات العلوم والاداب والتربية وسواها .
ولكن الامر ليس سهلا ولا ميسورا بل لابد له من جهد
وعناء وتنظيم على النحو الذي سأشرحه في جوابي
التالي .

4 — لابد للاستاذ الجامعي العربي من
اقتان لغته العربية اقتانا تاما وكذلك لابد له من اقتان
لغة اجنبية حية يستطيع بواسطتها ان يداوم على
الاتصال بها يجري في العالم في حقل اختصاصه .
وكذلك لابد للاستاذ الجامعي من الاطلاع الدقيق
على تراثه العربي فيها يخص اختصاصه ، ذلك بان
لغتنا القديمة طائفة بكثير من المصطلحات العلمية
التي نجد وراءها الآن وجهلنا بها هو الذي يدفعنا
الى الاعتقاد بعدم وجودها .

ولاشك في أن أهم المشاكل التي تعترض الاستاذ
الجامعي في تدريسه هو المصطلح العلمي أولا وكيفية
التعبير عن الافكار العلمية ثانيا . وعندي أن اللغة
العربية قادرة على النهوض بالمهتين شريطة تمكن
الاستاذ الجامعي من لغته القومية أولا ولغة اجنبية
ما ، ثانيا واختصاصه ثالثا . على أن هذا جميعه لا
يعفيه من الجهد المتواصل والعمل الدائب في الاطلاع
على تراثه القومي وتعامله مع لغته نحوا واشتقاقا
وتصعيدا بحيث يتمكن من ايجاد المصطلح الملائم
والتعبير المناسب .

5 — مشكلة المصطلح العلمي مشكلة
عويصة حقا ولكن تضافر الجبود واجتماع
الاختصاصيين وتواصل اهل الرأي كفيل بتذليلها
جميعا . لقد آن الاوان لكي نقبل مجامعنا اللغوية الى
مجامع علمية وان يجتمع اهل الاختصاص في كل
حقل اجتماعات دورية منظمة بحيث يستطيعون
التذاكر في مشكلاتهم والنظر في ايجاد حلول لها

1 — انتشار لغة ما متصل باهمية المتكلمين
بها واهمية البحوث العلمية التي تنشر بهذه اللغة ،
ومن هنا نرى ان تزايد اهتمام الناس عامة والغربيين
خاصة باللغة العربية انما بدأ بتزايد اهمية المركز
الذي يحتله العرب في عالم اليوم . على أن اللغة
العربية امتياز خاصا وهو كونها لغة القرآن الكريم
مما يجعل لها اهمية خاصة في نظر المسلمين في كافة
انحاء المعمورة . لكن اهل الضاد لم يجدوا حتى
الآن في ايجاد الطرق والوسائل المثلى في تعليم اللغة
العربية لابنائها صفارا وكبارا ، بله الاجانب وغير
العرب . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان النهضة
العربية ما زالت طرية العود والبحوث العلمية
الاصيلة المنشورة باللغة العربية مفتقدة مما يجعل
المهتمين بالعلوم والبحوث العلمية غير حريصين على
تعلم لغتنا وتفهمها .

2 — عندي أن من واجب المربين والمعلمين
العرب أن يجدوا في البحث عن انجع الطرق وخير
الوسائل لتعليم اللغة العربية لابنائها — الصفار
منهم والكبار — أولا وللأجانب ثانيا . ولقد حاولت من
جهتي أن استخلص المفردات الأساسية للغة القراءة
العربية) وحسبت معامل الترابط بين القائمة التي
استحصلت عليها والقائمة التي استحصل عليها
(موشي بريل) من الجامعة العبرية ولكن عملي توقف
لان وسائلتي وامكانياتي لا تسمح لي بمتابعة البحث .

وفي رأيي أن من واجب الدائرة الثقافية في
جامعة الدول العربية أن تعمل على توجيه مثل هذه
البحوث وان تتدبر لها المال والاختصاصيين اللازمين .

3 — اللغة العربية صالحة حتما للتدريس
الجامعي ولنا في جامعة دمشق بالذات خبرة طويلة
في هذا الصدد بداها زملاؤنا في كلية الطب وتابعناها

في جميع مراحلها - ابتدائية واعدادية وثانوية
وجامعية - ان تعنى عناية كافية بتعليم اللغة العربية
من جهة ولغة اجنبية من جهة أخرى بحيث يستطيع
الطالب الجامعي فيما بعد المشاركة في مهمة ايجاد
المصطلحات العلمية وتسهيل تعليم العلوم المختلفة
بلغتنا .

هذا ولا انسى ان اشير الى امر على
جانب كبير من الخطورة الا وهو ضرورة تواصل اهل
الاختصاص الواحد فيما بينهم ، فنحن في سورية مثلا
قد نعرف ما يجري في مصر ولبنان من بحوث ونطلع
على ما يصدر من كتب ومنشورات ولكننا نجهل تماما
ما يجري في قطر مجاور كالعراق وذلك لان الكتاب
المعراشي لا يصل سورية ولا يباع فيها فما بالك بالكتاب
المغربي او التونسي او الليبي ، ولذلك كان من الاهمية
بمكان عظيم ان تستحدث الوسائل اللازمة لمثل هذا
التواصل الضروري وبقطع النظر عن الوسائل
التجارية العادية وما تشترطه من ربح أو رواج.

واقترح المصطلحات العلمية اللازمة وتبنيها على نطاق
عربي شامل . فاذا ما تم ذلك عهد اهل الاختصاص
الذين يجب ان تتوفر فيهم شروط اتقان اللغة
العربية واللغات الاجنبية ومادة الاختصاص ، عمدوا
الى اقتراح المصطلحات المشتقة او المنحوتة او
المكتشفة من تراثنا او المشتقة من اللغات الاجنبية
وعمموا استعمالها في جميع مناشط العلم والبحث
والتعليم وبذلك يتوصلون رويدا الى المصطلحات اللازمة
لهم .

ولعل من الاقتراحات المفيدة مطالبة كل مؤلف
عربي في مادة علمية ان يثبت في آخر كتابه أو بحثه
قائمة بالمصطلحات التي استعمالها أو اقترحها مع
مقابلاتها الاجنبية على الاقل اثبات المقابل الاجنبي
امام المصطلح العربي المقترح على ان يكون ذلك تمهيدا
للتسيق فيما بعد في اجتماعات الاختصاصيين التي
سبق ان اقترحها .

وهنا احب ان الاحظ من واجب المدرسة العربية



للمعرض باللغة العربية يجب

١) توثيق الروابط بين العرب

٢) الاتصال برجل الشئ

٣) تضيق الشقة بين العامة والفصي

الدكتور عبد الكريم الأشة

كلية الآداب (دمشق)

نكسر أحد اطرافها حتى ننفذ من الطوق . على أنني اعتقد ، مع ذلك ، أن نمو تدرنا المادية على أي وجه ، حتى نتمكن من التأثير في حياة العصر السياسية والاقتصادية والفكرية ، يعين لغتنا على أن تنهض وتنتشر وتفرض نفسها على الناس ، على نحو من الانحاء ولكن هذا لا يعني أننا نصل بذلك الى حل مشكلات اللغة ، وتذليل العقبات التي تعترض سيرها ، وتحد من انتشارها ، نستظل لغتنا عاجزة عن أن تكون إحدى لغات حضارة العصر ما لم نهدها لها سبل الإصلاح من الداخل ، حتى ترمز وتسهل وتغني بعمارف العصر ، فتتقوى على أن تخاطب الإنسان المعاصر من أي جنس ، في أي شأن من شؤون الحياة ، خطابا سهلا دقيقا ميسرا غنيا .

١ - أن صعوبة قواعد العربية ، في رأيها ، نحوا وصرفا وإملاء ، وتعقدها واشتباكها عقبة أساسية أولى لا تنكر أبدا ، وإن تغافلت عنها فئة دفنت رأسها في رمال العصور ، ووقفت لكل حركة إصلاحية فيها بالتسفيه حيناً ، وبالتقيص حيناً ، والكيد والتجريح والشغب أحيانا كثيرة . فهؤلاء يفتون علينا - دون أن يشعروا - فرص اللحاق بالقطار في أسرع وقت ، بحجة الحفاظ على كيان اللغة وكيان الفكر العربي وتباسكه وأصالته من خلالها ، كان كل من دعا الى الإصلاح منهم مسبقا بالتفريط في تراثه الحضاري وقيمه العظيمة . على أن هذا الإصلاح ينبغي أن تتولاه حقا أيد موثوقة جريئة عالمة حريصة على ملامح وجودنا التاريخي وأصالته ، وعلى متانة روابطها الفكرية والروحية بترائنا العظيم ، في مناحي حياتنا كلها . ولعل أخطر ما

تلقيت كتابكم ، واحمد لكم انكم اعرتم قضايا اللغة العربية في عصرنا هذا الاهتمام الواسع ، حتى يجعل منها آلة مرنة للفكر العربي الحديث ، قادرة على أن تستجيب لحاجات العصر المادية والفكرية وأن تسعها في بسر وغنى . وأعتقد أن الاسئلة الخمسة التي طرحتها في كتابكم يتصل بعضها ببعض ويتفرع بعضها عن بعض ، فإن ما تعانيه لغتنا خارج الجامعة ، من نقص في التعبير عن حياتنا المادية والفكرية ، وفي تطويرها ، هو ما تعانيه داخل الجامعة ، وان اتسع المدى هناك وضاق هنا . فإذا صلحت اللغة للحياة خارج الجامعة صلحت داخلها . ثم ان ايجاد المصطلح العلمي المناسب للكشوف الحضارية الجديدة ، في ميادينها الانسانية كلها ، ينبغي أن نجد له الحل داخل الجامعة وخارجها على السواء ، فانه من المتعذر ان تنقطع الجامعة عن الحياة الجارية من حولها ، خشية ان تغزلها الحياض وهي الاقوى ، لانها المورد والمصدر - وتتنكر لها ، وتلقي رسالتها الرامية الى توثيق صلتها بحياة المجتمع المتخلف ، لتطويره وتطويرا ناجزا في ميادين الحياة كلها .

ولعل « أهم المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها بسرعة في العالم » تكمن في أنها ، قبل كل شيء ، لغة محلية ، لأنها لغة متخلفة عن ركب الحضارة في هذا العصر ، بعيدة عن منابع التأثير في سياسة العالم واقتصاده وفكره وروحه . على أنني لا أجهل أن تخلف لغتنا بدورها يقصر بنا عن مجاراة هذا الركب والتأثير في مسيرته الكبرى ، فذلك حلقة التأثير والتأثر التي كتب علينا أن

يعطل هذا الإصلاح هو جمود أبرز علماء العرب المعاصرين بلغتهم وتراثها ، وعجزهم عن فهم المرحلة التاريخية الصعبة التي تجتازها أمتهم ، وفهم ثقافتها الحديثة ، لانتقطاعهم عن حياة العصر وعن منابعها الجارية بعيدا عنهم ، فهم يحسبون — لضالة الساحة التي يطولون عليها من نوافذها الضيقة — اننا نضطرب في قلب الحياة ، ونحن في حقيقة الامر ، انما نجول على حواشيتها المظلمة ، ونقوم — على مسرحها الكبير — بدور الجوقة لا غير .

وقد اصطفينا مجموعات من العلماء في مجامعنا العلمية ليقوموا بتمحيص حركات الإصلاح وتغذيتها وتوجيهها من ناحية ، وليسهروا على حركات التعريب والاشتقاق والتوليد ويقوموها ويشقوا لها السبل الصحيحة من ناحية أخرى ، ولكنهم ، لأسباب كثيرة ، وقفوا من ذلك عند حد .

2 — ان حركة التعريب والاشتقاق والتوليد هذه تعنى بتذليل العقبة الأساسية الثانية ، وهي نقص المصطلح العلمي والفني الحديث في لغتنا ، وتنشيطها يعني تنشيط المؤسسات العلمية والفكرية ، على اختلافها ، في انحاء الوطن العربي كله ، لتكوين جيل من العلماء متفتح على حضارة العصر وثقافته النامية من ناحية ، وقادر على البحث والتنقيب في تراثنا القديم كله أدبا ولفة وتاريخا وفلسفة وفقها وعلوما ومعجمات من ناحية أخرى ، حتى تحيي الصالح مما يفي بهذا المصطلح ، أو يعوض عنه تعويضا دقيقا حيا ، أو نشق له من أصول لغتنا وموادها ، أو نصوغ له في آخر الامر صيغة نرضاها ويضمن اليها نظام اللغة الصوتي الذي تخضع له في تصريحها . وينبغي الا نقطع صلتنا بالناس في الوصول الى هذا المصطلح والا نتجاهل الحياة الجارية من حولنا ، وان نرعى لها منطقيا فلا نتسررها على قبول ما لا تقبله أو ما تجاوزته منذ زمن . ثم ينبغي ، من ناحية أخرى ، أن نفيد من الجهود الفردية المبذولة ، عن طريق الصحافة والكتاب والمحاضرة ووسائل الاعلام المختلفة . ثم أن يجرى التنسيق — على مستوى الوطن العربي — بين هذه الاطراف كلها ، وتعمم نتائجه تعميما سريعا تقويه حركة تبادل ثقافي نشيطة بين اقطار الوطن العربي في المشرق والمغرب .

ولعل من المؤلم أن نعجز اليوم ، ولنا مجامعنا وجامعاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا الفكرية الكثيرة ووسائل اعلامنا الحديثة النمية ، عن تحقيق ما حققه افراد الرواد الذين عاشوا في مطلع النهضة الحديثة ، في القرن التاسع عشر (أمثال الطهطاوي والشدياق والبستاني وغيرهم) ، من السعي في خلق اللغة الحديثة الدمثة السهلة الغنية بمصطلحات العلم والثقافة المختلفة ، حتى لكاننا ينقصنا ايمانهم بأمتهم وانفسهم وتراثهم وقدرتهم على البقاء والنمو والتجديد ومواجهة حضارة العصر ، من اوسع الابواب

وتتصل بقضية خلق المصطلح الحضاري الحديث في لغتنا مسألتان :

الاولى : مسألة توثيق الروابط بين أقطار الوطن العربي في المشرق والمغرب . فان هذا بالغ الاهمية في الوصول الى المصطلح المناسب وفي شيوعه واغناؤه وتطويره ، على أن ينهض المكتب الدائم لتنسيق التعريب بمهمة التوجيه والتعميم . ولعل هذا الاتصال الفكري وتعميقه وتوثيق اسبابه أجدى علينا ، آخر الامر ، من دعاوي السياسة ومفارقاتها الكثيرة . ونحن في المشرق ينبغي الا نماري في أننا نكاد نجهل تراث المغرب العربي الفكري والعلمي والادبي ، في القديم والحديث .

فلعل رعايتنا لهذا التراث العظيم في المغرب يزيد من قدرتنا على الاشتقاق والتوليد واختيار المصطلح المناسب لنا جميعا .

والثانية : اتصال رجل اللغة فينا بالشارع ، والكف عن احتقاره إياه ، وعن عده بيئة منحرفة عن تواعد اللياقة اللغوية . فهذا الاتصال ييسر لنا أن نفهم الحياة من حولنا ونقبلها ونأخذ منها ونعطيها ، فانه ينبغي الا ننسى ، في أي حال ، أن الشارع أقرب الى الحياة منا ، وأننا انما نعمل على اغناء حياته وتطويرها . ولن يتيسر لنا ذلك دون أن نتصل به ونقدره قدره ، وسنجد أننا نلقى فيه كنوزا من المعربات الجارية السهلة تغنينا عن نحت مصطلحات جديدة قد لا يكتب لها النصر في معركة الحياة في الشارع من بعد ، وهي المعركة الوحيدة الحاسمة في حياة هذا المصطلح .

ثم ان هذا الاتصال يجعلنا أقدر على اختيار المصطلح المناسب ، وعلى اشتقاقه وتوليده وصياغته ، فلا يرفضه الشارع من بعد .

3 - وقد يعودنا هذا ، بالتالي ، على تضيق
الشقة بين العامية والفصحى - وهي العقبة
الاساسية الثالثة - حتى نصل الى اللغة الوسطى
التي تحفظ قدرة الفصحى وغناها واسلوبها الاصيل
في التركيب والصياغة ، وتصل في الوقت نفسه الى
البساطة والسهولة اللتين نتوخاهما للفتنا . وبهذا
يتيسر لنا امتلاك الشارع من بعد ، وتوجيهه ،
والانفاذ من طاقاته الكبيرة .

* * *

هذه هي ، في رأبي ، اهم العقبات التي تعوق اللغة
العربية عن أن تسع الحياة الحديثة وتغني بها ،

ويزداد اثرها في الناس ، ويمتد انتشارها في العالم ،
ويصلح بها التعليم في الجامعة وخارجها . فاذا ذللت
هذه العقبات - وتلك طريق ينبغي ألا يثنيها طولها
ومشاتها عن النكوص عنها - ونهياً لنا - في الوقت
نفسه - أن ندعم موقفنا من سياسة العالم واقتصاده،
كان لنا ما نرجوه من بعد الاثر وحسن الصنيع في
الحضارة الانسانية عن طريق هذه اللغة التي دعت
تراث البشرية في حقبة طويلة من الزمان ، دون أن
تضيق به أو تعجز عنه .



الضعف في العرب لا في العربية

اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي
وعضو اللجنة الجمعية بالرباط

والاستعمار السياسي ، بقيت آثار الاستعمار الفكري في عقولهم وفي نفوسهم أيضا .

ان الاستعمار الفكري هو اخطر انواع الاستعمار على الاطلاق ، وكان من المؤمل ان يبذل قادة الفكر العربي بعد الاستقلال جهودهم المشرفة لطرد الاستعمار الفكري من عقول وقلوب العرب معا ، ولكن خاب ظن العرب حين رأوا بعض قادة الفكر العربي يرددون ما كان يردده المبشرون والمستشرقون عن العربية ، وما هكذا توردد يا سعد الابل

ان مفردات العربية اضعاف مفردات اية لغة حية ، والعربية قوية رصينة متينة بحمد الله ، ويكتفيها فخرا انها لغة القرآن الكريم - افتعجز بعد ذلك ان تكون لغة العلوم والآداب والفنون ؟ !

يا لسخرية الاقدار ...

ان الضعف ليس في اللغة العربية ، ولكن في نفوس العرب الذين استسلموا دون قيد او شرط للثقافة الغربية باللغات الغربية ، كما ان جهل العرب بلغتهم - ودعنا من بعض الاسماء العربية اللامعة التي تؤمن بتخلف اللغة العربية لانها تجهل هذه اللغة وقابلياتها الفذة - فما علينا الا ان نقلب صفحات المعاجم العربية لننهل منها المصطلحات التي لا ينضب معينها .

3 - اللغة العربية تصلح للتدريس في الجامعات بأنواعها المختلفة .

1 - لا اعتقد ان هناك مشاكل واقعية تعترض سير اللغة العربية وتحد من انتشارها بسرعة في خارج البلاد العربية .

وحين كان العرب اقوياء يسيطرون على العالم ، كانت العربية تسير شرقا وغربا بقوة واندفاع ، وكان من مناخر اكبر مثقفي الغرب - ومنهم احد البابوات - انهم درسوا في معاهد العرب ، واثبتوا اللغة العربية .

ولما قدم الاستعمار بقواته العسكرية الى البلاد العربية ، قدمت معه قوات اشد خطرا من قواته العسكرية ، تلك القوات هي ثقافة الغرب التي زعمت ولا تزال تزعم ، ان العربية ليست صالحة للثقافة العصرية ، وانها متخلفة عن اللغات الحية الاخرى !!!

واذا كان من حق المستعمرين ان يشككوا في العربية ، فما عذر (المستغربين) (1) في متابعة المستعمرين بهذا التشكيك ؟

ان العربية تادت الفكر العالمي قرونا طويلة ، وهي تادرة على ان تقوم بهذا الدور اليوم وغدا ، ولكن العلة الكبرى في نفوس العرب الذين انهـارت معنوياتهم وضعفت قوتهم ، فصدقوا مزاعم المستعمرين دون مبرر .

2 - بعد ان نال العرب حريتهم وطردوا الاستعمار العسكري والاستعمار الاقتصادي

(1) المستغربون : جمع مستغرب ، تقابل مستشرق ، وهو العربي او المسلم الذي يردد مزاعم المستشرق على غير هدى وبصيرة ، وقد وضعنا هذه الكلمة لتؤدي هذا المعنى .

لقد أتى على العرب حين من الدهر ، صدقوا خلاله أن العربية لا تصلح للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية .

ولكن اللغة العربية استحوذت اليوم على التدريس في هذه المدارس بكفاية نادرة ، فكذبت بذلك عمليا مزاعم المبشرين والمستشرقين ومن لف لفهم من المستغربين .

واليوم تستحوذ العربية على التدريس في الجامعات أيضا — حتى جامعات الطب والهندسة في قسم من الدول العربية ..
المهم العمل على توحيد المصطلحات العلمية ، حتى لا يذهب قسم من الجامعات العربية مشرقا ، ويذهب قسم آخر مغربا .

وهنا يأتي دور الجامعة العربية ، التي يجب أن تكون أكثر نشاطا وفعالية ، فتوحد المصطلحات العلمية بإشرافها ومعاونة أعضاء المجامع العربية : مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمجمع العلمي العربي في دمشق ، والمجمع العلمي في بغداد .

ولا ضرب على ذلك مثلا بالمصطلحات العسكرية العربية ، فقد كان الجيش العراقي قبل سنة 1920م يستعمل المصطلحات العسكرية التركية والانكليزية ، أما اليوم ، فليس هناك كلمة واحدة اجنبية في الجيش العراقي .

ومن المعروف ، أن المصطلحات العسكرية هي مصطلحات علمية ، لا تقل شأننا إذا لم تكن أخطر شأننا من المصطلحات العلمية الأخرى .

والمهم هو توحيد هذه المصطلحات في الجيوش العربية ، وقد بدأ العمل من أجل ذلك ، وسيتم ذلك قريبا بإذن الله ، وأول الفيث قطر ثم ينهمر .

4 — لا مشاكل مطلقا تعترض اساتذة الجامعات إذا أصبحوا أكثر حرصا وعلما مما هم عليه الآن ، وأعادوا ثقتهم الكاملة بلغة القرآن الكريم وبأنفسهم أيضا .

المهم أن يتابع الاساتذة المصطلحات العلمية

التي تقرأها المجامع اللغوية والعلمية ويعملوا بأمانة واخلاص وقوة في مجال تطبيقها في تدريسهم وبحوثهم ومؤلفاتهم .

5 — الذين يظنون أن المصطلح العلمي يشكل أهم مشكلة في العربية ، مخطئون كل الخطأ ، أو جبلاء كل الجبل ، أو عملاء كل العمالة ..

كيف استطاع اجدادنا من قبل ، نقل العلوم والفلسفة والتانون الى العربية ؟

كيف — اذن — يمكن أن نهم العربية اليوم بالتصير ؟

التصير في نفوسنا نحن العرب ، لا في العربية .
أن العرب اليوم مدعوون ان يثبتوا وجودهم ، ويطردوا الاستعمار الفكري من عقولهم وقلوبهم معا ، والا فانهم لم يضعوا شيئا بطرد الاستعمار العسكري والاقتصادي والسياسي من بلادهم أكثر من اخراج الاستعمار البغيض من الباب وادخله من باب آخر اوسع وأشد خطرا .

لقد قرأت مؤخرا أن مستشرقنا من الاتحاد السوفياتي صنف معجما عن : اللغة العربية في اللغة الروسية ..

فإذا كانت العربية قد اثرت هذا التأثير الحاكم في اللغة الروسية ، والعربية لم تكن بتجانس شديد مع اللغة الروسية كما كانت مع كثير من اللغات الحية الأخرى ، فما هو مبلغ تأثير هذه اللغة السامية المباركة في اللغات التي كانت بتجانس شديد معها ؟؟

مرة ثانية أو ثالثة ، أن الضعف ليس في اللغة العربية ، ولكن الضعف في نفوسنا نحن العرب مع الاسف الشديد ..

يجب ألا ندافع عن العربية — كما يدعي بعض الانهزاميين من العرب — لأن العربية أقوى من أن يدافع عنها أحد ..

يجب أن نهجم بها بعد أن نعيد الثقة بها وبنفوسنا ، وحينذاك سنجد لها أعظم اللغات وأقواها وأجدرها بالحياة والبقاء .

فعالية اللغة العربية في الحقل العلمي ولكن لا بد من لغة جيدة ثانية في البحث الجامعي

للدكتور فاضل الطائي - بغداد -

شعبها فأعارتها اهتماما يليق بما له من موائد جمة ورعته رعاية يستحقها فأرسلت بعوثها الى الامم التي برزت في العلوم التطبيقية كالدول الاوربية والولايات المتحدة الامريكية آنذاك لدراسة هذا النوع من العلم ، كما أوفدت القليل من بعوثها لدراسة العلوم الاساسية. ولما عادت بعوثها بدأت بصنع الآلات الزراعية الحديثة وبناء المعامل التي تستخدم مواردها الطبيعية ولم يكن التصنيع والبناء بجديدين بل نقلت ما هو معروف في أوروبا وأمريكا الى بلادها وأفادت منه فائدة كبيرة في الحفاظ على دخلها القومي أولا ثم استغلال الايدي العاملة استغلالا يضمن رفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي ، كما صيرت من خاماتها الطبيعية موارد تجارية تدر عليها الربح الكثير ، وخلصت القول بأن اليابان قد اعتمدت في ابدان نهضتها على التقليد والنقل لما كان موجودا في الامم التي سبقتها في المضمار الحضاري المادي . وعندما اطمانت الى مستوى شعبها المعاشي ودخلها القومي تبنيت الاهتمام بالنوع الثاني من العلم ، فتعاون علماءها من النوعين وانطلقت الى العالم بنهضة قوية وفي فترة قصيرة جدا كانت موضع دهشة الامم الاخرى واعجابها . كما انها اسهمت في تطور العلوم اسهاما فعلا فأضافت الى العلم معرفة جديدة لا تقصر عما تضيفه اي امة متقدمة في العالم ، ولعل في نهضة اليابان مثالا نقندي به في نهضة الشعب العربي ، ولا أود في هذا المجال ان انتقص حق العلم الاساسي وبحته ولكن فائدته في الدول المتقدمة اكثرت منها في الدول المتطورة فالخبرة العلمية التي يضيفها العلم الاساسي قد تكون ذات فائدة عملية آتية أو تأتي بفائدة في المستقبل القريب أو البعيد أو قد لا تأتي بفائدة عملية على الاطلاق . اما النوع الآخر من العلم

سأقتصر في هذا البحث على صلاح اللغة العربية في دراسة العلوم الاساسية والعلوم التقنية (التكنولوجيا) وعلى البحوث التي تتعلق بهذين النوعين من العلم . وسوف لا اتطرق الى الآداب والمواضيع الانسانية ، اذ يختلف الامر في المواضيع الاخيرة عن المواضيع العلمية الحديثة ، فالمصادر العربية في الآداب والمواضيع الانسانية اكثر منها في العلوم الاساسية والعلوم التطبيقية ، كما ان اهتمام العالم الحديث بالعلم بنوعيه أكثر منه في الموضوعات الانسانية والآداب ، ويتضح ذلك من المجلات العلمية الدورية التي تنشر باعداد كبيرة جدا لكل فرع من فروع العلم ، اضافة الى ما ينشر من ملخصات في مختلف اللغات ، فعدد المجلات العلمية البارزة في علم الكيمياء والتي تصدر كل شهر لا يقل عن اربعمائة مجلة ، ولا بأقل منه في علم الفيزياء وكذا العلوم الهندسية وربما كان عدد المجلات في الفروع العلمية الاخرى مقاربا لما هو في الكيمياء ، ويعزى الامر الى ما نال العلم من اهتمام كثير من لدن الامم المتحضرة ، ونظرا لما له من علاقة وثيقة في رفع المستوى المعاشي وزيادة الدخل القومي وتيسير سبل الحياة في العالم . بل ليس في وسع امة ان تعيش عيشة محترمة وتضمن استقلالها وتصور كرامتها ما لم تتضلع بالعلم ، العلم بنوعيه الاساسي والتقني ، وربما كان النوع الثاني من العلم وما يتصل به من الامور الفنية في التصنيع والزراعة اجدى وانفع من النوع الاول في النهضة المادية للامة ورفع مستواها المعاشي ، سيما في الامم المتطورة التي تشق طريقها نحو الحضارة الحديثة .

ولقد فطنت اليابان الى منافع هذا النوع من العلم وتأثيره الكبير في رفع الحياة المعاشية لسواد

فيعنى في البحث الذي تكون فائدته العملية مضمونة وأكيدة حيث يعمل على حل المشاكل التي تعترض تقدم الزراعة والصناعة ويزيد من نفعهما ويتولى الموارد الطبيعية المتوافرة في البلد ويستغلها استغلالا صحيحا من شأنه أن يجعل بتطور الأمة ويضمن لها مستوى لائقا ودخلا قوميا محترما . ولعل بـؤادر النهضة الصناعية والزراعية قد لاحت في أفق الدول العربية المتحررة بل وبان ثمارها في الجمهورية العربية المتحدة نظرا لما سارت عليه من تخطيط علمي مضبوط يوازن بين نوعي العلم على ضوء المرحلة التي تمر بها الدولة . وقد بدأت هذه الدول في إضافة المعرفة العلمية الاصلية الى العلم واسهمت في السير في موكبه . وهكذا يتطور العلم وينمو بتكاثر العلماء وتضافر جهودهم في مختلف شعوب العالم .

يوضح لنا التاريخ بأن العلم قد كتب بلغات عديدة على مر العصور وتوالت تلك اللغات على الصدارة وفقا لما اسهم اهلها في التقدم العلمي والحضاري ، او على حد تعبيرنا اليوم من ان اللغات قد تعاقبت في كون الواحدة منها (لغة حية) حسبما كان اهلها . فاللغة تحيا بأهلها وليس بتركيبها وتحظى بالصدارة عندما يكون اهلها قد سبقوا العالم في التطور الحضاري ولعل حاضرا يدل على وجود لغات حية هي ابعد ما تكون عن الحياة من حيث تركيبها ، كما وجدت في الزمان القديم امثال لما ذكرت . فتاريخ العلم قديم ، وقديم جدا ، بل ويكاد تأريخ العلم أن يكون وليد ظهور الانسان على البسيطة ، وهناك أدلة مادية واضحة لا يتطرق اليها الشك على ازدهار العلوم في مصر وما بين النهرين والصين يرجع عهدها الى نحو من أربعة آلاف عام قبل الميلاد كالأهرام والتخطيط وادوات الخزف والزجاج والمعادن في مصر . وتمدين الذهب وبناء بابل ونيروي والحضر وغيرها في العراق (بين النهرين) وآثار الخزف الملون والذهب والانتقان الهندسي في الصين . وقد كتبت المعرفة العلمية بتلك اللغات القديمة كاللغة الصينية واللغة السامرية ، ولا زالت الكتب العلمية الحديثة تنشي على جهود اليونان في بدء العلم الحديث والمنطق العلمي ، وكان لزاما على من اراد ارتشاف العلم والتطلي به ان يتعلم اللغة اليونانية بل ويجيدها . وفي منتصف القرن السابع للميلاد — على وجه التقريب — دخل العرب بلاد مصر فوجدوا كتباً عديدة في مختلف شؤون المعرفة قد كتبت باللغة اليونانية فانكبوا على ترجمتها الى اللغة العربية ليكون العلم بمتناول من يحسن اللغة العربية دون

الرجوع الى اللغة اليونانية كما ان بعملهم هذا قد اضافوا جزءا محترما من العلم الى المكتبة العربية . ولم ينصرم القرن السابع للميلاد حتى ظهر العدد الكبير من الكتب المترجمة ، واستمرت حركة الترجمة والنشر والتأليف وازداد نشاطها في بغداد طوال القرنين السابع والثامن فانجبت عاصمة الرشيد يومئذ عددا كبيرا من قادة الفكر والمعرفة الذين استوعبوا بتفهم عميق ما قدمه اليونان من إضافة الى العلم واضفوا طرائق جديدة في المعرفة العلمية واسلوب البحث العلمي وبذلك قد اسهم العرب في الحفاظ على التراث اليوناني في تطور الاساليب المتبعة للوقوف على الحقائق العلمية والتثبت منها عن طريق اجراء التجارب العملية المضبوطة . اذ لابد لمن يطلع على التراث اليوناني وما اسهم به فلاسفتهم العظام امثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم أن يدرك اسلوبهم في البحث والتتبع ويلمس اعتمادهم الكبير على التأمل الفكري والاستنباط المنطقي المحض في الوصول الى الحقائق بل ولا يفوت المطلع اهتمامهم الوافر في الناحية الفكرية وعنايتهم الضئيلة بالتجارب العملية ، فلقد انف فلاسفة اليونان من استعمال اليد والحواس الاخرى وبالتالي من اجراء التجارب العملية ، بل وشككوا بالحواس نفسها وبكل ما يصل من المعرفة عن طريقها . وقد اجحف بحق العرب من قال انهم نقلوا التراث اليوناني بعد الحفاظ عليه الى اوربا نحسب ، وقد انكر كثيرا من الحقائق من كتب بأن العرب جسر عبرت عليه المعرفة اليونانية الى العالم واكتفى بهذا وحده .

والحقيقة ان العرب قد حافظوا على التراث اليوناني من النسياع واعتدوا عليه و اضافوا اليه الشيء الكثير من المعرفة بل وطوروا اسلوب البحث والوصول الى الحقيقة . وادرك ذلك عدد غير قليل من العلماء الاعاجم وبعض المؤرخين المنصفين امثال سارتون ، وكراوس وهوليارد وسرتلو وغيرهم ، وأوضحوا للعالم دور العرب في تسيير الركب العلمي وابانوا النتاج العلمي الاصيل الذي اضافته العرب الى النتاج اليوناني . فالعلم سلسلة تتألف من حلقات عديدة يرتبط بعضها ببعض الآخر بأواصر قوية مترابطة ويشد بعضها البعض ، ولم تكن هذه السلسلة وقتنا على أمة واحدة او شعب واحد بل ان العلم أمة في طبيعته ، ولكل أمة اسهمت في تطور المعرفة العلمية عدد من حلقات تلك السلسلة الطويلة ، ولا تطول السلسلة الا بازدياد حلقاتها المترابطة ، كذلك شأن العلم والمعرفة العلمية فلولاً

الحضارة قرونا عديدة وأضحت اللغة العربية لغة العلم ورجاله وأعطيا كانت المصدر الرئيسي الذي اعتمدت عليه أوربا في نبضتها في القرن السابع عشر حيث ترجمت الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية وكان على من يستقي العلم من منبعه أن يجيد اللغة العربية وبذلك أصبحت العربية آنذاك إحدى اللغات العلمية . بل وفي الطليعة وبقي حالها كذلك مدة طويلة حتى توالى الأحداث المريعة على البلاد العربية وأغل نجم العرب العلمي فكانت فترة الظلام الحالكة فترة الاستعمار وذيوله من جهل وبؤس وفقر وانشقاق . وقد حاول المستعمرون بل وأوغلوا في قطع الصلة بين حاضر الأمة العربية وماضيها ليتكفوا من هد ما تبقى من تراث العرب بمعول الحضارة المصطنعة التي صيغت وحيت لنا ، وساعدهم في عملهم هذا بعض الشعوبيين الذين نعموا على العرب وحاولوا أرجاع التراث العربي إلى أي شعب كان باستثناء الشعب العربي ، وعندما أفاق العرب في مطلع القرن العشرين لم يجدوا أمامهم من تراثهم شيئا بل كان على من يريد التعرف على التراث العربي أن يجيد لغة أوربية كالألمانية أو الانكليزية أو الفرنسية ، وقد نقل بعض المستشرقين العلوم العربية إلى لغتها ثانية ولا يزال الجزء الأكبر من التراث العربي في اللغات الأجنبية لم ينقل إلى لغته الأصلية بعد . وليس في وسعنا ترجمة تراثنا ما لم نتقن إحدى اللغات التي نقل إليها . أما من الناحية العلمية فقد وجد العرب أنفسهم متخلفين عن الركب العلمي بمراحل عديدة وعلينا أن نسعى سعيا حثيثا بالركب وذلك عن طريق الدراسة في الجامعات والمعاهد التقنية (التكنولوجية) الغربية وأصبح لزاما على من أراد العلم الأساسي أو التقني أن يجيد لغة حية على الأقل . وهنا يقف المرء في حيرة من أمره ، يصرف جهوده في الإنكباب على العلم والبحث بأحدى اللغات الأجنبية الحية ليقصص الفجوة العلمية بيننا وبين الغرب ، أم ينصرف إلى الترجمة ونقل العلم إلى اللغة العربية وفي ذلك خسارة لبعض الجهود إضافة إلى تعذر الأمر . فموقف العرب اليوم يختلف عما كان عليه في القرن السابع للميلاد كما ويختلف التراث اليوناني عن العلوم الحاضرة . فعندما بدأ العرب بترجمة التراث اليوناني كان هذا التراث ثابتا ومستقرا إذ انطقت جذوة العلم والحضارة اليونانية قبل القرن السابع بقرون ولم يبق لهم من ماثرة علمية سوى ما سجل في الكتب القديمة ، كثيرة العدد كانت أم قليلة ، والمهم في الأمر أن العدد محدود وثابت .

وجود التراث اليوناني لابتدا العرب بها بدأ اليونان ولتاخر الركب العلمي وتصرمت السلسلة ، ولولا العرب في حفاظهم على التراث اليوناني وإضافتهم إلى المعرفة اليونانية وتطويرها لبذات أوربا بها بدأ به اليونان وعليهم كذلك إضافة ما أضاف العرب إلى السلسلة العلمية . وقد صدق من قال لولا العرب لتأخر العلم في أوربا قرونا . إذ أن أوربا قد أفادت مما قدمه العرب من التراث اليوناني بجانب ما قدمه العرب أنفسهم من معرفة علمية أصيلة . وقد ترجمه الغربيون جزءا كبيرا من الكتب العربية إلى اللغات الأوروبية سيما العلمية منها ، ولا أكون مبالغا أن قلت أن لجابر ابن حيان ما لا يقل عن خمسين كتابا في اللغات الأوروبية الحديثة كاللغات الألمانية والفرنسية والانكليزية بل وقام بعض المستشرقين بنقل مؤلفات جابر بن حيان وغيره من أعلام العرب إلى اللغة العربية ثانية بعد أن فقدت النسخ الأصلية . ولابد لمن أطلع على كتاب المناظر لابن الهيثم أو كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان أو كتاب تصعيد العطور للكندي أن يحكم بأن الأسلوب التجريبي العلمي في البحث يختلف اختلافا بينا عما اتبعه فلاسفة اليونان . فالتجارب العلمية العملية التي قام بها جابر بن حيان في تحضير بعض المواد — لأول مرة — والتي لا زال الكثير منها يستعمل في المختبرات الحديثة يدل دلالة واضحة على تقن عملي عال وضبط لنسب ومقادير المواد التي استخدمها في تجاربه العلمية ووصف من الصعوبة بمكان أن يصاغ بأحسن منه ، ولا يقلل الكندي في نهجه التجريبي عن ابن حيان في تحديد الفرق بين حمام الماء الساخن وحمام البخار وبأسلوب علمي سليم ولغة سلسلة واضحة ناهيك بما أتى به من إبداع في صنعها واختيار مكان استعمالها ، ومن يقرأ رسالة في الفلسفة — وأخص بالذات — تفسيره لظاهرتي المد والجزر أدرك المرتبة العلمية التي وصل إليها الكندي . وقد برز الحسن بن الهيثم في مختلف فروع المعرفة سيما علم الضوء وبز من تقدمه وعظمت الدنيا بل وعجزت عن أن تنجب مثله من بعده بقرون عديدة . فقد وصل ابن الهيثم السذروة في أواخر القرن العاشر للميلاد ولم يتقدم علم الفيزياء (الطبيعة) عما تم على يده إلا في إبان النهضة الأوروبية الحديثة . وسأكتفي بإبراز مخطط لتشريح العين قد وضعه ابن الهيثم قبل عشرة قرون ليقف القارئ على قطرة من بحره . وهكذا أسهم علماء العرب في سير الركب العلمي العالمي وأضافوا عددا كبيرا من الحلقات في سلسلة العلم وشاركوا في بناء صرح

العلوم الاساسية والتطبيقية ، وفي وسع علماء العرب القيام بالبحث العلمي الاصيل والاسهام في الاضافة الى المعرفة العالمية ، ولقد ابلى بعضهم بلاء حسنا في هذا المضمار ، بل برز قسم كبير منهم في مراحلهم الدراسية العالية في الجامعات والمعاهد الغربية عندما توافرت لديهم وسائل البحث العلمي الاخرى كما ان عدد ما نشر من بحوث علمية اصيلة في البلاد العربية لا يستهان به وفي مختلف شؤون المعرفة . وقد اثبت بعضهم جدارة عالية وكفاءة مرموقة في التعليم العالي والاشراف على البحوث العلمية . الا ان جهودهم ليست منسقة بشكل يضمن افادة البلد منها الى حد كبير ، وسأتولى شرح ذلك في مجال آخر .

(2) المختبرات والاجهزة العلمية : يحتاج البحث العلمي الى مختبرات مجهزة بأحدث الاجهزة والالات لتعيين الباحث في عمله ، فالاجهزة العلمية الحديثة ضرورة من ضرورات البحوث الاصلية وتحتاج الى تبديل مستمر وفقا لتقدم العلوم التقنية في تصميم الاجهزة . فبعد ان كان الباحث يصرف الايام الطوال في التحاليل وتعيين البناء الجزيئي لمركب ما أصبح بمقدور الاجهزة الحديثة القيام بالعمل نفسه خلال ساعات معدودات وبعمل ذاتي تغني الباحث عن صرف وقته في مراقبتها وتشغيلها يدويا . ولا تنحصر فائدة الاجهزة في علم الكيمياء فحسب بل تتعداه الى العلوم التجريبية الاخرى . اما اذا كان استبدال الاجهزة الدقيقة بأخرى حديثة بطيئا فلا بد ان يؤثر ذلك في سير البحث وتباطؤ سرعته وضياع الكثير من وقت الباحث وجهده .

(3) المكتبة العلمية : يحتاج الفرد في بحوثه العلمية الى مكتبة تضم امهات الكتب التي تزخر بالمعلومات التي ثبت صلاحها ، وتحتوي على جميع المجلات العلمية الدورية والمستخلصات العلمية في حقل اختصاصه وعليه ان يجيد لغتين حيتين على الاقل ليتمكن من معرفة ما استجد من الابحاث في العالم . ولا بد للمكتبة العلمية ان يتوافر فيها الاشخاص المعنيون بشؤونها كالمستخلصين والطابعين والمترجمين والمصورين ليعينوا الباحث في عمله ويوفروا له ما ينشر دوريا في فرعته العلمي في مختلف المجلات العلمية العالمية ليتمكن من الرجوع اليها بسرعة وسهولة اذ ليس في مقدور اي باحث ان يتمكن من الوقوف بنفسه على ما ينشر دوريا في العالم وذلك للاعداد الهائلة من المجلات الدورية في كل حقل

لذا كان بإمكان العرب نقل التراث اليوناني الى اللغة العربية — اللغة العلمية آنذاك — في مدة قرنين عندما نشطت حركة الترجمة والتأليف عندهم . أما في الوقت الحاضر فان العلم بنوعيه يسير بسرعة خاطفة وبتعجيل متزايد يوما بعد يوم بحيث يتعذر نقله من لغة الى أخرى ، ولست بمبالغ في القول ان اشرت الى تعذر نقل العلم الى اللغة العربية حتى ولو جند المعنيون في العلم من العرب جميعا لهذه المهمة ويصدق القول على الشعوب المساهمة مساهمة فعالة في البحث العلمي وتطويره ، فبالرغم من نقل بعض المعرفة العلمية عن طريق ترجمة مجلة علمية أو مستخلص علمي من بين مئات المجلات العلمية من لغة حية — في الوقت — الى أخرى مماثلة نجد ان من متطلبات الدراسة العلمية العالمية في أمة متقدمة أن يحسن الطالب لغة واحدة على الاقل بل ولغتين على الاكثر الى جانب لغته الحية ، وعلى سبيل المثال ان من يريد الحصول على درجة الدكتوراه في علم من العلوم في انكلترا أو الولايات المتحدة عليه ان يحسن تتبع العلم بلغتين حيتين غير لغته الانكليزية وفي اغلب الاحيان تكون هاتان اللغتان هما اللغة الالمانية بالدرجة الاولى واحدى اللغتين: الروسية أو الفرنسية بالدرجة الثانية ، وهكذا شأن طلاب العلوم والباحثين في العلم من الامم المتقدمة الاخرى . اذ ليس في وسع من يشتغل في البحوث العلمية المستجدة ان يعتمد على لغة حية واحدة بل عليه ان يتتبع ما كتب في حقل اختصاصه في المجلات العديدة في اللغات الحية الاخرى ليتمكن من متابعة الركب العلمي دون أن ينتظر حتى تصدر ترجمة الابحاث وتنقل الى لغته . هذا ان ترجمت تلك المجلة بالذات من بين مئات المجلات الاخرى التي لا تنقل الى لغته . وهذا شأن العلم ورجاله في الامم المتقدمة فكيف اذن حال طلاب العلم ورجاله في البلاد العربية ، وهل باستطاعتنا ان ننقل ما يستجد من العلم الى اللغة العربية أم يجب علينا اختيار الكتب التي تتضمن معلومات اساسية قد ذكرت في المجلات الدورية العلمية وثبت صلاحها قبل نشرها في الكتب بمدة غير وجيزة .

يتطلب تدريس العلوم والبحث العلمي — في لغة ما — توافر العناصر الاساسية الآتية : —

(1) الافراد العلميون : ان عدد الافراد العلميين في البلاد العربية ليس بقليل اذا ما قورن الحال بكثير من الامم التي شقت طريقها حديثا في مضمار

من حقول العلم ، وبلغات مختلفة .

الى اللغة العربية ليمهد للقارئ العربي الاطلاع على المعلومات العلمية الثابتة .

يحتاج تدريس العلوم في لغة ما الى مصادر عديدة متوافرة في كل حقل من حقول العلم باللغة نفسها ، ليعتمد الطالب الجامعي في الحصول على العلم من مصادره اضافة الى ما يتلقى من محاضرات ، اذ ان الاختصار على المحاضرة فحسب يؤول الى هبوط في المستوى العلمي وتحديد لمعرفة الطالب هذا ان كانت المحاضرات شاملة وكاملة . وهنا نتساءل عن عدد الكتب العلمية الرئيسية المتوافرة في اللغة العربية وهل باستطاعتنا ان نعتمد عليها في التدريس الجامعي ، وهل انها مستوفاة لشروط الترجمة والتأليف ، وهل باستطاعة الطالب الجامعي في العراق ان يفهم المصطلحات التي وضعت في سوريا مثلا . بل اعود الى المرحلة التي تسبق المرحلة الجامعية ودعنا نقرأ ما كتب في العلم للمرحلة الثانوية (الاعدادية) في كل من البلدان العربية ونستعرض المصطلحات العلمية التي اوردتها تلك الكتب لما يقابل مصطلحا ودعنا نقرأ ما كتب في العلم للمرحلة الثانية (الاعدادية) الامر ويتجلى التباين بين مدلول المصطلحات في كل قطر من الاقطار العربية .

ان هذا لا يعني ان نأمن من التثبيت وتثبيت الظروف الملائمة لتدريس العلوم باللغة العربية ، بل علينا ان نعمل على تحقيق هذه الامكانية ونسعى سعيا جديا لوضعها موضع التنفيذ دون ان تضر بالمستوى العلمي في الجامعات العربية ، ولا ارى مانعا من اعتبار الطلبة الجامعيين على المصادر العلمية بلغة اوروبية في الوقت الحاضر رغم القاء المحاضرات باللغة العربية لنطمئن الى ان الطالب قد حظي بنسبة من اللغة الاوروبية يمكنه من متابعة مصادر العلم في تلك اللغة دون عناء . وارى ان نبدا بتعريب العلم على خطوات متسلسلة ومنطقية تضمن تفهم المصطلحات العلمية في جميع الاقطار العربية وتحقيق المستوى العلمي الذي نهدف الى تحقيقه . وربما كان في الطريقة التي سأوردها ما يعين على تحقيق الغرض :

(1) المسح العلمي للمؤلفات العربية القديمة : لقد ألف العرب في عهد ازدهارهم كتباً عديدة اضافة الى ما نقلوه من التراث اليوناني الى اللغة العربية ، وان هذه الكتب اكانت تأليفاً أم ترجمة قد كتبت بلغة عربية أصيلة واحتوت على عدد كبير من المصطلحات

ويؤسفني ان أقول — رغم مرارة الحقيقة — ان جميع المصادر الرئيسية في العلوم من كتب ومجلدات لم تنقل الى اللغة العربية بعد ، وربما نقل النثر الضئيل جدا الى لغتنا . فاذا ما جعلنا الباحث العربي يعتمد على ما يكتب من العلوم باللغة العربية نكون قد حددنا معرفته وضيقنا افقه العلمي ، وهذا ما لا نرتضيه لجيلنا بل من الافضل ان نعلمه لغة اجنبية حية ليتسنى له متابعة المراجع العديدة اولا ثم لتكون له المقدرة على متابعة دراسته العليا وبحوثه خارج البلاد العربية . اضافة الى انعدام وجود المجلات العلمية الدورية والمستخلصات باللغة العربية ، ففي كل بلد من البلدان المتقدمة تصدر هذه المجلات باعداد كبيرة جدا وتشمل جميع فروع العلم وتضم ما استجد من البحوث العلمية للفترة الزمنية المحصورة بين العدد الاخير من المجلد والعدد الذي يسبقه وبذلك يكون الباحث العلمي على صلة وثيقة بما يستجد من البحث العلمي في فرع اختصاصه . ولكي يضمن البلد المتقدم ويهيئ طلابه وعلمائه جميع ما نشر من العلم في لغات غير لغته نرى الاهتمام بالمجلات المستخلصة التي تضم خلاصات لجميع ما نشر في العالم حيث يقوم عدد كبير من يعنون بالعلم على ترجمة وتلخيص البحوث الى لغة البلد نفسها وقد بدت في الآونة الاخيرة حركة ترجمة واسعة النطاق لا تقتصر على المستخلصات فحسب بل تتعداه الى عدد من المجلات العلمية البارزة حيث تترجم المجلات من اللغة الروسية الى الانكليزية والالمانية ، ومن اللغة الانكليزية الى الروسية والالمانية . وارى من الضروري ان تقوم البلاد العربية بترجمة المستخلصات العالمية الى اللغة العربية ولعل بوادر هذه العملية الحميدة قد لاحت في الجمهورية العربية المتحدة ويتولاها مركز الوثائق العلمية .

يتضح مما تقدم بأن عناصر البحث العلمي ليست متوافرة في اللغة العربية سيما الثالث منها والذي هو عماد البحث ومعتمد الباحث ، ولا يقوم بحث علمي دون وجود المجلات العلمية الآتفة الذكر ، وهنا نتساءل عما اذا كان باستطاعة الباحث ان يعتمد على اللغة العربية وحدها .

لا بد لطالب العلم ان يجيد احدى اللغات الاجنبية الحية على الاقل ليتسنى له النمو العلمي في حقل اختصاصه والاسهام في نقل الكتب العلمية الرئيسية

العلمية ، وربما كانت اللغة العربية من أغنى اللغات بالمصطلحات العلمية التي حددت مدلولاتها وحصرت في معان معينة وربما وجد الأوروبيون في أبان نهضتهم العناية الكبير في نقل المصطلحات العربية الى لغاتهم اضافة الى ما نقل منها الى لغتهم بلفظه العربي ولا بد لمن اطلع على الكتب العلمية الاجنبية ان يلمس بعض الكلمات العربية العلمية في تلك الكتب . اضافة الى ان العرب قد وضعوا اسما ومصطلحات لكل ما شاهدوه في الطبيعة في شتى الامصار الواسعة التي مكثوا فيها او نقلوا الحضارة اليها . ويوسفنا الاعتياد على تلك المصطلحات وابرازها في الكتب العربية في الوقت الحاضر الا ان هذا المسح يحتاج الى تعاون بين رجال العلم والمؤرخين ، فرجال العلم من العرب في يومنا هذا منهمكون في اعمالهم العلمية وبحوثهم وجل اعتمادهم على المصادر الاجنبية فحسب ، وهذا ما يتطلبه البحث العلمي . وربما كان عدد المعنيين بالكتب العلمية القديمة قليلا جدا بل قد لا يتجاوز عدد اصابع اليدين وابلى بعضهم بلاء حسنا في هذا المضمار ولعل الدكتور مصطفى نظيف في المقدمة لهؤلاء الرواد فلقد تمكن من ابراز العالم العربي الحسن بن الهيثم على حقيقته واعطاه المكان اللائق به نظرا لكونه رجل علم يفهم ما يكتبه علماء العرب في العلم سيما في حقل اختصاصه ، ولو قرا ابن الهيثم شخص بعيد عن العلم والفيزياء لفاتته اشياء كثيرة وهذا امر طبيعي فاللغوي المحقق والمؤرخ لا يستطيع فهم الحقائق العلمية في كنوز التراث العربي ومقارنته مع المصادر العلمية الحديثة ، وربما كان ما اوردت السبب في تحقيق عدد كبير من المخطوطات اللغوية والادبية والمواضيع الانسانية واغفال تحقيق التراث العلمي العربي . وارى ان يعنى رجال التاريخ واللغة العربية في اعداد المصادر العلمية العربية القديمة ليكون في استطاعة المعنيين بالعلم من ابناء هذه الامة الرجوع الى تراثهم العلمي والعناية به والافادة منه وتعيين المصطلحات العلمية التي وضعها العرب في مختلف صنوف العلم واستعمالها في الترجمة والتأليف بعد تعميمها على البلاد العربية كلها وتشهيتها في معجمات خاصة بها . وهكذا نتمكن من الحصول على عدد غير قليل مما استعمله العلماء العرب في الماضي من مصطلحات علمية لتبنيها ثانية في مؤلفاتنا العربية اما في المواضيع الانسانية والادبية فلا نحتاج الى تعريب كثير نظرا لكثرة ما وضعه العرب من مصطلحات في هذا الباب اولا ، ولنزارة عدد ما استجد من المصطلحات حديثا . اقول بان التراث

العربي غني بالمصطلحات العلمية والانسانية ، التي عرفت قبل ازدهارهم وخلال فترة نهضتهم قبل قرون وباستطاعتنا الاعتياد عليها في تأليف الكتب الحديثة في اللغة العربية . الا ان العرب - بعد سباتهم خلال القرون الماضية وقيام النهضة الأوروبية الحديثة وازدهار العلوم والتقن خلال القرون الثلاثة المنصرمة - لا يملكون المصطلحات التي انت بها الحضارة الأوروبية الحديثة وازديادها يوما بعد يوم وبسرعة كبيرة ، لذا كان لزاما علينا ان نعني بترجمة المصطلحات العلمية الحديثة أو تعريبها ، وبسرعة تناسب وسرعة ما يستجد منها في الوقت الحاضر .

(2) العمل على كتابة المعاجم العربية للمصطلحات العلمية الحديثة : يتطلب هذا الامر الى مسح علمي في الكتب العلمية الحديثة التي كتبت بلغات حية في كل فروع العلم وكذا التقن (التقنولوجيا) ويقع العبء في هذا على عاتق الجامع العلمية واللغوية ونشاطها في العمل ، اذ عليها ان تتعاون مع المؤلفين والمترجمين من رجال العلم العرب وتضع المصطلحات بالسرعة الممكنة ، كما عليها ان تؤلف لجنة تضم ممثلين من جميع الجامع العلمية في البلاد العربية لتوحيد هذه المصطلحات ونشرها في كافة الامصار العربية . ومن الافضل ان يختار مصطلح واحد - لا اكثر - لما يقابله في اللغة الحية . اذ ليس من الاهمية بمكان المفهوم اللغوي للمصطلح بل ان تحديد مدلوله ومعناه اكثر اهمية ، وان اللغات الاجنبية الحية مليئة بالمصطلحات والتسميات التي حددت معانيها العلمية بالدرجة الاولى رغم ان مدلولها اللغوي يختلف عما هو الواقع . وعلى سبيل المثال ان لفظة (اوكسجين) تشير الى عنصر من العناصر المعروفة ومعناها اللغوي ، هو (مولد الحموضة) والحقبة ان عنصر الاوكسجين ليس بمولد الحموضة وذلك لوجود عدد كبير من الحوامض التي يخلو تركيبها من عنصر الاوكسجين ، ولم يستبدل اسم العنصر باسم آخر بل ان الاسم استعمل واخذ مدلوله العلمي رغم اختلاف مدلوله اللغوي . وكذلك الحال في عنصر (الهيدروجين) حيث يعني الاسم لغويا (مولد الماء) والحقبة انه مولد الحموضة حيث يدخل في تركيب جميع الحوامض . ولا اعني بهذا اهمال الجانب اللغوي في ترجمتنا أو تأليفنا بل اقول بأن لا يطول الجدل كثيرا وبمضي الزمن عاجلا ونحن بصدد وضع مصطلح واحد يختلف فيه اللغويون فقها .

(3) توحيد طريقة الاشتقاق والتسمية : لقد وجدت بعض المعجمات التي ألف مؤرخا في بعض

العلمية ، وربما كانت اللغة العربية من أغنى اللغات بالمصطلحات العلمية التي حددت مدلولاتها وحصرت في معان معينة وربما وجد الأوروبيون في أبان نهضتهم العناية الكبير في نقل المصطلحات العربية الى لغاتهم اضافة الى ما نقل منها الى لغتهم بلفظه العربي ولا بد لمن اطلع على الكتب العلمية الاجنبية ان يلمس بعض الكلمات العربية العلمية في تلك الكتب . اضافة الى ان العرب قد وضعوا اسما ومصطلحات لكل ما شاهدوه في الطبيعة في شتى الامصار الواسعة التي مكثوا فيها او نقلوا الحضارة اليها . ويوسفنا الاعتياد على تلك المصطلحات وابرازها في الكتب العربية في الوقت الحاضر الا ان هذا المسح يحتاج الى تعاون بين رجال العلم والمؤرخين ، فرجال العلم من العرب في يومنا هذا منهمكون في اعمالهم العلمية وبحوثهم وجل اعتمادهم على المصادر الاجنبية فحسب ، وهذا ما يتطلبه البحث العلمي . وربما كان عدد المعنيين بالكتب العلمية القديمة قليلا جدا بل قد لا يتجاوز عدد اصابع اليدين وابلى بعضهم بلاء حسنا في هذا المضمار ولعل الدكتور مصطفى نظيف في المقدمة لهؤلاء الرواد فلقد تمكن من ابراز العالم العربي الحسن بن الهيثم على حقيقته واعطاه المكان اللائق به نظرا لكونه رجل علم يفهم ما يكتبه علماء العرب في العلم سيما في حقل اختصاصه ، ولو قرا ابن الهيثم شخص بعيد عن العلم والفيزياء لفاتته اشياء كثيرة وهذا امر طبيعي فاللغوي المحقق والمؤرخ لا يستطيع فهم الحقائق العلمية في كنوز التراث العربي ومقارنته مع المصادر العلمية الحديثة ، وربما كان ما اوردت السبب في تحقيق عدد كبير من المخطوطات اللغوية والادبية والمواضيع الانسانية واغفال تحقيق التراث العلمي العربي . وارى ان يعنى رجال التاريخ واللغة العربية في اعداد المصادر العلمية العربية القديمة ليكون في استطاعة المعنيين بالعلم من ابناء هذه الامة الرجوع الى تراثهم العلمي والعناية به والافادة منه وتعيين المصطلحات العلمية التي وضعها العرب في مختلف صنوف العلم واستعمالها في الترجمة والتأليف بعد تعميمها على البلاد العربية كلها وتشهيتها في معجمات خاصة بها . وهكذا نتمكن من الحصول على عدد غير قليل مما استعمله العلماء العرب في الماضي من مصطلحات علمية لتبنيها ثانية في مؤلفاتنا العربية اما في المواضيع الانسانية والادبية فلا نحتاج الى تعريب كثير نظرا لكثرة ما وضعه العرب من مصطلحات في هذا الباب اولا ، ولنزارة عدد ما استجد من المصطلحات حديثا . اقول بان التراث

عنصر الكلور فلم يكن مكتشفا عند العرب ، فادخلنا الكلمة نفسها في تسمية حمض الهيدروكلوريك .

وهناك قواعد عامة في تسمية الاملاح والتلويحات لا يمكن أن يكون للملح أو للقلبي اسمان اذا ما اتبعت تلك القواعد العامة ، والتزمنا بها . وكذلك الحال في كثير من العمليات الكيميائية ، والمهم في الامر تثبيت القواعد العامة وطرائق الاشتقاق ووضع التسميات وتعميمها في جميع البلدان العربية بعد اقرارها .

(4) اصدار نشرة دورية للمصطلحات العلمية: من الضروري ان تعمل المجامع اللغوية والعلمية ، على نشر ما يتفق عليه من المصطلحات العلمية عن طريق اللجنة المشتركة التي اشترت اليها آفنا دوريا في مجلة تؤازرها جميع البلدان العربية ويلتزم بها المعنيون باللغة والعلم . وبذلك يكون العمل اكثر نفعا واعلم شيوعا حيث على المعنيين بشؤون هذه المجلة ان يعملوا بجد ونشاط ليتكثروا من ملء صحائف المجلة في اوقاتها المعبنة دون تقاعس أو تنكؤ ، وتكون المجلة مرجعا للمؤلفين والمترجمين من العرب اضافة الى انها جزء من المعجم الكبير .

فاذا ما تم توحيد المصطلحات في البلاد العربية كلها جاء التأليف ايسر واعم ، وكانت الترجمة مفهومة في كل ابصار العرب . ويزول التباين الاتليمي في عرض المواضيع العلمية واستعمال المصطلحات .

وختاما اقول بأن على الطالب الجامعي العربي الذي يدرس العلوم ان يجيد لغة حية على الاقل ليتمكن من استقاء العلم من مصادره الكثيرة في تلك اللغة الحية اذ ليس بإمكانه ان يركن الى ما نشر من العلم في اللغة العربية لخاله ما نشر ، وعلينا ان نسعى حثيثا ونجد في العمل على اللحاق بالركب العالمي ، واذا ما تمكن طالب العلم من مراجعة المصادر العلمية بلغة حية بيسر وسهولة ، واستطاع ان يعبر عما يريد بتلك اللغة دون عناء كثير فلا بأس من تدريس العلوم باللغة العربية . وقد اخطأ البعض ممن اراد تدريس العلم باللغة العربية واعتمد عليها فحسب ، او طلب الى طلابه مراجعة المصادر باحدى اللغات الحية دون التثبت من مقدرتهم في تلك اللغة والتأكد من استيعاب ما يقرأون من العلم باللغة نفسها . وختاما اقول علينا ان نعلم طلبية

البلدان العربية قد اتبعت طرائق مختلفة في اشتقاق المصطلحات وعلى سبيل المثال ان حامض الكاربونيك قد سمي بهذا الاسم نفسه تارة واطلق عليه حامض الفحم مرة اخرى . وهنا لابد من القول بأن الكاربون غير الفحم فعندما يريد المرء ان يشتري فحمسا أو يستعمل الكلمة في الامور اليومية العادية للدلالة على الفحم يقول Coal وعندما يريد الدلالة على الماس فيستعمل كلمة Diamond لا كلمة كاربون . اما اذا كان الكلام في موضع الكيمياء أو أي علم آخر فنطلق كلمة (الكاربون) للعنصر نفسه حيث يستوى فيه الفحم والماس لانهما صورتان لعنصر الكاربون . كما استعمل بعضهم اسم (الكلوردريك) بدلا من (الهيدروكلوريك) للدلالة على مركب واحد . وهناك بعض الطرائق المثبتة التي اذا التزمنا بها حالت دون وقوعنا في خطأ من هذا القبيل . فاذا ما اتبعنا طريقة الاشتقاق في تسمية الاحماض فلا مجال لذكر كلمة (الكلوردريك) . ومن البساطة بمكان شرح هذه القاعدة في التسمية .

تقسم الاحماض الى نوعين من حيث احتواؤها وعدمه لعنصر الاوكسجين ، فتكون تسمية الاحماض التي تحتوي على الاوكسجين بذكر اسم اللافلز مشفوعا باضافة (يك) فاذا ما احتوى الحامض على عنصر الكبريت يكون اسمه (حمض الكبريتيك « كبريت .. يك » ، واذا كان اللافلز في حمض ما هو عنصر الكاربون كان اسمه حمض الكاربونيك (كاربون يك) ، واذا احتوى على عنصر الفسفور دعي (بحمض الفوسفوريك) .

اما النوع الآخر من الاحماض فيتألف من عنصري الهيدروجين واللافلز فحسب ولا يحتوي هذا النوع من الاحماض على عنصر الاوكسجين كما هي الحال في النوع الاول . وتكون تسمية هذه الاحماض بذكر لفظة — هيدرو — للدلالة على الهيدروجين ثم اسم اللافلز مشفوعا بلغة — يك — ، فاذا كان اللافلز هو الكلور . يكون اسم الحمض كالآتي :

(هيدرو — كلور — يك) (هيدروكلوريك) ، اما اذا كان اللافلز هو الكبريت يكون اسم الحمض في هذه الحالة — (هيدرو — كبريت — يك) هيدروكبريتيك . نلاحظ من هذه التسمية كلمة عربية وهي الكبريت ، اذ ان هذا العنصر (اللافلز) كان معروفا عند العرب لوجوده حرا في الطبيعة فاستعضنا عن الكلمة اللاتينية بكلمة عربية في تسمية الحمض ، اما

- 2 — كتاب الخواص (مخطوط) — جابر بن حيان الازدي — مكتبة مديرية الآثار العامة العراقية.
3 — An Introduction to the History of Science. George Sarton. Vol. I, p. 520.
4 — Discovery. Vol. 18, N° 6, 1956.
5 — Karl Garbers كتاب تمعيد العطور الكندي
Leibzig Publisher Dentsche Inorgenslandische Gesellschaft, 1948.
6 — كتاب المناظر لابن الهيثم : الفصل الخامس من المقالة الاولى .

العلوم لغة اجنبية حية تعلينا صحيحا ، فاذا ما اطماننا الى مقدرتهم فيها وتمكنهم منها ، وجب ان ندرس العلم باللغة العربية ، ويكون هذا التدريس افضل بعد ان يتم توحيد المصطلحات العلمية في جميع البلاد العربية .

المصادر :

- 1 — رسائل الكندي الفلسفية — تحقيق عبد الهادي ابو ريده — دار الفكر العربي 1950 ص 110 — 131 .

اللغة العربية مرآة ينعكس عليها تخلف العرب ينبغي ان لا يكتفى بهما وحدهما

الدكتور محمد فاضل الجمالي - الجامعة التونسية
(رئيس الحكومة العراقية سابقا)

التي يجب ان يترك امرها للباحثين في شؤون اللغات القديمة المبتنة .

وفي النواحي المادية يظهر التخلف في عدم استطاعة معظم الدول العربية توفير المال الكافي لنشر الثقافة بين الجماهير وتأسيس المطابع الكافية التي تطبع الكتب الراقية وفتح المكتبات الكثيرة وتزويد الشعب بالمادة الغذائية لارواحهم وافكارهم وعواطفهم باللغة العربية الفصحى البسيطة .

وفي النواحي الثقافية يظهر التخلف في عدم تعمقنا في درس حضارتنا وعدم معرفة لغتنا وما تحويه من كنوز فكرية وادبية وعدم تذوقنا بجمال البيان العربي . وفي النواحي الفكرية والروحية يظهر التخلف في عدم اتفاقنا على فلسفة قومية واضحة تجمع الشمل وتسير بنا نحو الاهداف الانسانية العليا فلسفة مؤسسة على الايمان بالله والاخذ بأساليب العلم والديمقراطية في الحياة . فبعضنا يدعو الى العلمانية والبعض يقلد هذه العقائدية الغربية او تلك تقليدا سطحيا . فما لم تكن لنا جذور ثابتة في تربة اوطاننا وحضارتنا وايماننا فسنبقى كريحة في مهب الريح ومن كان هذا شأنه فقد لا يهمه ان تكلم بالعربية او بغيرها من اللغات .

أما انتشار اللغة العربية في العالم فيتطلب من الشعوب العربية ودولها ان تسلك سلوكا ايجابيا جذابا في معاملة الشعوب غير العربية مع كثرة الاتصال بها وتأسيس العلاقات الطيبة معها . اما الشوفينية القومية واما سياسة العنف والاستعلاء فانها مما تنفر الشعوب الاخرى من العروبة والاسلام . ثم ان على الدول العربية والاسلامية ان تبذل بسخاء في سبيل نشر العربية وتسهيل تدريسها وتيسير

1 - ان المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية هي مشاكل التخلف في الحياة على اختلاف مناحيها . فما دامت مشاكل التخلف قائمة فللغة نصيبها من هذا التخلف . اذ ما اللغة سوى مرآة تنعكس فيها حياة الامة بكاملها ما ظهر منها وما بطن .

ففي النواحي النفسية يظهر تخلف الامة في الفردية المفرطة وقلة الارتباط والاتصال بين المفكرين والباحثين . وفي الشعور بالضعف امام الاستاذة الاجانب والانتكال عليهم والاعتزاز بتقليدهم والتفاخر باستعمال لغتهم مع شيء من التهاون وعدم الاحتراس بلغتنا العربية . يقابل الشعور بالضعف هذا عند البعض شعور بالفروخ والازدراء باللغة الاجنبية ومن يستعملها عند البعض الآخر ممن يعتقدون بأن ما ورثناه من تراث ثقافي يغني عن كل ما جاء به الغرب من اباطيل . اذن فلتجهد لغتنا ولننكش على انفسنا .

وفي النواحي السياسية يظهر التخلف في كون العرب مشغولين بقتل بعضهم بعضا . ولا يزال الجرح الذي احدثته نكبة فلسطين يستنزف دماء العرب . اما التراسق والتهائر بين الحكومات العربية فقد اصبح من الامور المحزنة المألوفة . هذا وان بعض البلاد العربية تحن الى الطمأنينة والاستقرار فهي عرضة للانقلابات العسكرية المتكررة . ان ظروفا قاسية كهذه تعيشها الامة العربية لا تسمح بالتفرغ الى الامور الجوهرية في حياة الامة ومنها الاهتمام بمشكلة اللغة العربية . اصف الى هذا كله دعايات اجنبية مفرضة يقوم بها بعض الاجانب من اعداء العروبة والاسلام ممن يدعون الى نشر اللغة العامية كما يحاولون اظهار العربية الفصحى بمظهر اللغة العسيرة المنال غير الملائمة للحياة الجديدة أي انها من اللغات المتحجرة

الكتب والوسائل اللازمة لها ولنا في فرنسا احسن مثال وقدوة من حيث بذلها بسخاء من اجل نشر لغتها وثقافتها في الخارج .

2 — يتضح مما قلناه ان كل ما نقوم به في سبيل القضاء على التخلف فيه خدمة غير مباشرة للغة العربية اما الحلول المباشرة فانجعها في رأيي اجتماع اولي الفكر واصحاب الاختصاصات العلمية المتنوعة في مؤتمرات وندوات تعالج فيها قضايا اللغة والمصطلحات في كل من الاختصاصات ، ونحن نفضل ان تكون الحركة اصلاحية في اللغة حركة صاعدة اي ان تصعد من ذوي الفكر والخبرة انفسهم وتنشأ عنهم اكثر منها نازلة من مراجع حكومية عليا تفرض المصطلحات وتليها املاء على من سيستعملونها . وهذا يتطلب بالطبع جوا من الاستقرار السياسي المؤسس على الروح الديمقراطي مع الحرية الكافية بالحركة والاتصال بين رجال العلم والفكر والادب وايجاد منظمات ثقافية حرة تربط بين ابناء البلاد العربية . وهذا بدوره يتطلب جوا من الصفاء والتفاهم على الاهداف والمعتقدات بين البلاد العربية ، وهذا يتطلب الاسراع بتنقية الجو العربي واحلال الصراحة محل المجاملة والاخاء محل الجفاء .

3 — انه لما يحز في النفس ويجرح الكرامة القومية ان يوجه الى اي عربي سؤال بهذه الصيغة . وكان الاجدر ان يكون السؤال « هل يصلح العرب للبقاء في هذا العصر ام هم اجدر بالفناء ؟ » ترى هل سأل الصهيونيون انفسهم ان كانت اللغة العبرية تصلح للتعليم الجامعي يوم اسسوا الجامعة العبرية في القدس وبدأوا التدريس بالعبرية فيها ؟ وهل سأل البلغار او اليونان او اليابانيون انفسهم مثل هذا السؤال يوم اسسوا جامعاتهم التي بدأت تدرس في لغاتهم ؟ لا شك في انهم لم يسألوا انفسهم مثل هذا السؤال بل انهم بدأوا بالترجمة والنقل والتأليف واتفقوا على اسلوب وضع المصطلحات . اذن فالسؤال غير وارد مبدئيا .

اما فيما يتعلق باللغة العربية فاستطيع الجواب بكل تأكيد بأن في وسعها ان تصبح ادق لغة علمية الى جانب كونها لغة روحية وفلسفية وادبية من الطراز الارفع .

مشكلتنا في العالم العربي اليوم هي ان البعض منا يفهم ان التدريس بالعربية في المستوى الجامعي معناه الاكتفاء بها وحدها وعدم اتقان لغة اجنبية واحدة او اكثر للاستفادة من المراجع العلمية وهذا خطأ فاحش . وقعت فيه بعض المعاهد العلمية في

المشرق العربي فخرجت طلابا اشباه مثقفين يحملون الشهادات العالية . يقابل هذا التطرف معاهد عربية اخرى منيت بالخوف والحذر بما حل بالمشرق العربي فهي تتجنب العربية وتتجنب بعض الاساتذة العرب فيها من استعمال لغتهم القومية في التدريس ان المتخوفين من استعمال اللغة العربية في التدريس الجامعي يخطئون مثل ما يخطئ اولئك الذين يكتبون باللغة العربية وحدها للتعليم الجامعي فانهم جيعا يؤخرون سير التعريب ونمو اللغة العربية .

وفي الحقيقة ان اية دراسة جامعية شاملة تتطلب معرفة لغة اجنبية حية واحدة على الاقل الى جانب اللغة الام . ومعرفة الطالب لهذه اللغة يجب ان تكون بدرجة الاتقان بحيث يستطيع ان يقرأ ويكتب ويعرب عن فكرة فيها بطلاقة ودقة ، اذا تحقق ذلك فما الذي يمنع الاستاذ العربي من ان يدرس في الجامعة بلغته القومية مستعينا بما يحتاج اليه من المصادر والمراجع باللغة الاجنبية ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن المفاهيم في اي من العلوم الانسانية كالدين والفلسفة والقانون والتاريخ والجغرافية والاجتماع والنفس والتربية والتعليم والادب العربي ؟ وهل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن مفاهيم الرياضيات كالحساب والهندسة والجبر ؟ وهلا يمكن تدريس العلوم الاخرى ايضا وشرحها باللغة العربية حتى يحين انجاز المصطلحات في العلوم الطبيعية والتقنية ؟ لا شك في ان معرفة المصطلحات العلمية بصيغتها الدولية ضروري حتى ولو كان الاستاذ يحسن العربية ويستعمل المصطلحات العربية . اما اذا كان الاستاذ اجنبيا فلا خير في ان يدرس بلغته الاجنبية فنحن في حاجة الى الاساتذة الاجانب في هذه المرحلة من نهضتنا .

هذا وان معرفة اللغة الاجنبية والدرس فيها من الامور المتعارفة لدى كل الامم الحية الراقية اليوم . فالفرنسي يقرأ ما انتجه زميله الامريكي او الالماني او الانكليزي ، والانكليزي يقرأ ما انتجه زميله الفرنسي او الالماني او الروسي . وان الاتصال الثقافي بين الامم والشعوب يتطلب اتقان لغة اجنبية ولكن ذلك يجب ان يكون الى جانب اللغة القومية ومغنيا لها وليس على حساب اللغة القومية ومحلها .

نحن مقتنعون ومؤمنون بإمكانية اللغة العربية ان تستوعب كل العلوم والفنون الحديثة وان تهضم كل ما يستجد من افكار ومخترعات، ولذلك فليس

السؤال عن صلاح العربية للتدريس الجامعي بذي موضوع .

4 - ان المشاكل التي تعترض اللغة العربية في التدريس الجامعي تتلخص في نظرنا في « شدة الحذر » أو « الجهل بالعربية » أو « الشعور بالتبعية الثقافية » لجهة اجنبية لدى بعض العرب الذين لا يستعملون لغتهم القومية في التدريس .

لقد اختبرت التدريس في مختلف المستويات التعليمية منذ نحو من خمسين سنة . ويوم بدأت ادرس التربية وعلم النفس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد قبل اربعين سنة لم اجد صعوبة كبرى في نقل المصطلحات من الانكليزية الى العربية ويوم بدأت ادرس التربية وعلم النفس والفلسفة الاخلاقية في دار المعلمين العالية قبل ثلاثين عاما لم اجد صعوبة كبرى في نقل المصطلحات التربوية والفلسفية الى العربية . فما نحتاجه في عالمنا العربي هو ان ينشأ بيننا اساتذة في المعاهد العالية يفارون على لغتهم العربية ويعتزون بها ذلك الى جانب بروزهم في المادة العلمية . ولا يعني ذلك كما اسلفت تساهلهم في الرجوع الى المصادر العلمية باللغات الاجنبية وحمل الطلاب على درسها واستيعابها الى جانب استعمالهم اللغة العربية .

5 - المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية فكيف للعالم العربي ان يتخلص من هذه المشكلة ؟
لقد اشرنا في جوابنا على السؤال الثاني باننا

نفضل الطريقة الصاعدة في اقرار المصطلحات العلمية أي ان يقوم الاساتذة ذوو الاختصاص انفسهم بوضع ما يحتاجون اليه من مصطلحات . اما طريقة ذلك فهي ان يبدأ الاساتذ المختص بالتحري عن اللفظ الذي يحتاج اليه في المصادر قديمها وحديثها شرقيها وغربيها . فان لم يجد المصطلح المطلوب فليقترح هو ما يراه من مصطلح ويتصل بزملاء له يدرسون المادة ذاتها فينتق معهم على الكلمة المفضلة للمعنى المطلوب وهذه هي المرحلة الابتدائية الاولى .

اما المرحلة الثانية فهي ان ينتظم اصحاب الاختصاصات في كل بلد عربي في منظمات تجتمع دوريا وتتفق فيما بينها على المصطلحات المفضلة في ذلك البلد العربي ، وتستعمل هذه المصطلحات عند وضع الكتب المدرسية الجديدة .

والمرحلة الثالثة هي ان يجتمع ممثلون عن البلاد العربية المختلفة في شتى الاختصاصات في مؤتمرات دورية ليتفقوا على قدر المستطاع على توحيد المصطلحات بين البلاد العربية .

هذا ولا يجوز ان يكون اختلاف الراي حول المصطلحات عائقا للسير في عملية التعريب فعجلة التعريب يجب ان تسير والزمن كفيل ببقاء الاصلح من المصطلحات .

والمهم في نظرنا هو الاعتزاز بلغتنا وادراك انها عنوان شخصيتنا القومية وكرامتنا الانسانية لانها تحوي وتحمل ارواحنا وافكارنا وعواطفنا .
والله على ما نقول شهيد



ضرورة تحقيق التفاهل

بين الفكر العربي والفكر الأوربي

مع توصيل الصلح العاللي كطعادة النظر في اجمعهم كعربي

المكتر صفاء وخلصي

كلية التربية (بغداد)

هذه النفقات الطائلة التي تبذلها الدول العربية من العملات الاجنبية الصعبة وغير الصعبة تنفق على سفارة ثقافية عربية نشيطة واحدة في اوربا واخرى في امريكا على ان تؤلف من عناصر كفأة لا تعين على اسس غير اسس الجدارة والاستحقاق .

2 — اما في خصوص المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية فاني اعتقد انني اجبت في السؤال الاول على جانب من هذا السؤال ، ولكنني اضيف هنا الى ما ذكرت ان من جملة المشكلات التي تعترض سير العربية هي مشكلة تعقيد «النحو العربي» الذي يشط عزيمة الكثيرين من المبتدئين — ولا سيما الاوربيين — الذين يحاولون تعلم العربية ، وقد تمت شخصيا بوضع طريقة جديدة لحل هذه المعضلة في ما اسميته « بالنحو المنطقي » الذي نشرت خلاصة خطوطه العريضة في مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد ، وبوسعي ان اضع كتبنا جديدة في النحو العربي على الاسس المذكورة في المقال، لنشرها في العالم اجمع ، لتكون في متناول العرب وغير العرب ممن يرومون ان يبرنوا شفاههم على موسيقى اللغة العربية الساحرة ، وبامكاننا ان نترجم كتب النحو المنطقي هذه الى شتى لغات العالم لكيلا تبقى حجة لاولئك الذين يقولون بانهم يحجمون عن تعلم العربية لصعوبة قواعد لغتها .

3 — ان اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي ، وقد مارست التدريس بها لربع قرن في جامعة لندن وبييل وبغداد فلم اجد مصاعب ذات بال تعترض سبيلي ، ولم اجد فكرة عبرت عنها بلغة اجنبية وعجزت العربية عن التعبير بها بنفس المرونة والقوة فاللغة العربية مطواعة دتيقة وهي في نظري

1 — اللغة رهينة بالاوضاع السياسية ، نعمتي كانت الامة قوية عظيمة متحدة زاد الاقتبال على لغتها وادبها فالمشكلة الاولى مشكلة سياسية ، اما المشكلة الثانية فتتعلق بعدم الدعاية للغتنا ، ففي فترة تصيرة استطاع اليهود احياء اللغة العبرية ، الميتة ويعثها من جديد ، فآخذت تنافس لغتنا التي ازدهرت عبر عصور طوال سحيقة ، وذلك في الكليات والجامعات الاوربية والاميركية التي تقوم بتدريس اللغات الشرقية وفي مراكز تدريس الادب المقارن في شتى ارجاء العالم ، ولقد كان بامكاننا ان نفتتح مدارس لتدريس العربية في مختلف بقاع الدنيا لنشر الثقافة العربية على نحو مايفعل المجلس الثقافي البريطاني British Council والمؤسسات الثقافية الفرنسية والروسية مثلا، وقدمت فترة كانت فيها الباكستان تفكر في جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية لانها لغة الدين الاسلامي السذي قامت على اساسه دولتهم ، فلم نحرك ساكنا ولم نقدم يد المعونة والتشجيع فافلتت الفرصة من ايدينا. اما الحروف العربية فليست بمشكلة على ما يزعم كثير من المنتطعين المتسكين بالقشور ، بل انني اعتقد ان الحروف العربية يجب ان تكون سببا مهما من اسباب انتشار اللغة العربية ، وذلك لجمالها وفرط اعجاب الاوربيين بها وكونها ضربا من ضروب الاختزال الذي يقبل على تعلمه الكثيرون في بلاد الغرب .

ان الدعاية الادبية هي وحدها التي تنقصنا .

اما مؤسساتنا الثقافية في الخارج فهي ككثير من سفاراتنا العربية مع الاسف ضعيفة في تمثيلها للبلاد العربية سياسيا وثقافيا على حد سواء ، وقد آن للجامعة العربية ان تعيد النظر في هذا الامر ، فليت

في المفاضلة بين عشرات الكتب هذه ، رغم ان تاريخ الادب العربي اقدم من تاريخ الادب الانكليزي بما لا يقل عن عشرة قرون .

5 - ان المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، ويمكن التخلص من هذه المشكلة بتشكيل لجان دائمة لوضع المصطلحات وجمعها في معاجم وقواميس واحياء بعض المعاجم التي وضعت في بعض الاقطار العربية ولم يقبض لها الانتشار ، فمثلا هناك « المعجم العسكري » الذي وضعه المرحوم عبد المسيح وزير (وطبع طبعة محدودة) بعد وفاته ، وقد جمع بين دفتيه ما ينوف على الـ 12 000 كلمة وعمل فيه من سنة 1922 الى سنة 1942 ، ومع ذلك فهو مجهول عند الكثيرين من المعنيين بالمصطلحات وتعريبها .

وبوسعنا ان ننقل المصطلحات الاجنبية باحدى طريقتين : اما بترجمتها ، اي نقل معناها ، او بتعريبها اي نقلها لفظا ومعنى ، بعد تحويلها اذا اقتضى الامر - حسب مزاج لغتنا ، ولسنا بدعا بين الامم في هذا الشأن ، فقد فعل الاوروبيون الشيء ذاته في القرون الوسطى يوم كانت العربية هي السائدة كلفة للعالم المتمدن يومذاك ، اذ ترجموا مثلا كلمة « جيب » العربية في المثلثات الى كلمة

Sine المشتقة من لفظة Sinus اللاتينية التي تعني « الجيب » ، ولكنهم اخذوا لفظة « الجبر » حرفيا فقالوا Algebra ، وفعل نفس الشيء اجدادنا يوم نقلوا التراث اليوناني الى العربية ، فقالوا : « الارثماطقي » (الحساب) وجيومطريا (الهندسة) وقاطاغورياس Kategoria (وكانوا يترجمونها احيانا بالقياس) وآنالوطيقا (البرهان) وارطوريقا (الخطابة) وما الى ذلك مما هو مذكور في المظان العربية القديمة .

لا تقل دقة عن الفرنسية ، اللغة التي يعتبرها فريق من العلماء ادق واضبط لغة في الدنيا ، كل ما في الامر وجوب اعادة النظر في معاجمنا وقواميسنا وكتابتها بأسلوب عصري جديد واستكمال نواتجها واخراجها من قالبها الكلاسيكي الذي لم تعد له ضرورة بعد ان انتقلت اللغة العربية من لغة الشعر البحت الى لغة تجمع بين الشعر والنثر معا ، فلا لزوم لجعل القواميس على طريقة القوافي التي لا تنفع غير الشعراء وتعقد الامور بلا طائل .

4 - ان العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي كما قلت ، اما المشكلات التي تعترض الاساتذة فاهمها مشكلة عدم لحاق المترجمين بنقل الكتب الاوربية الحديثة الى العربية في حينها ليحدث تفاعل آني بين الفكر العربي والاوربي وليعطى نشاطا جديدا ، ثم ان الاهتمام باصدار معاجم للمصطلحات العلمية متفق عليها في جميع البلاد العربية يكاد يكون معدوما او في حكم المعدوم ، والى ذلك فان الكتب الجامعية العربية ليست بنفس الوفرة كالكتب الجامعية الاوربية ، حتى في مواد الادب العربي والتاريخ الاسلامي . صحيح ان المصادر كثيرة في هاتين المادتين ، ولكن المؤلفات الجامعية العصرية قليلة او نادرة . خذ مثلا على ذلك « تاريخ الادب العباسي » المادة التي اقوم بتدريسها في جامعة بغداد ، فليس هناك كتاب واحد بمستوى جامعي يعتمد عليه في هذا الموضوع . لماذا يهمل المؤلفون حتى موضوعات تراثهم القومي ؟ هذا ما لا يمكنني فهمه ! ولقد قمت مؤخرا بترجمة النصول التي كتبها البروفسور نكلسن في تاريخ الادب العباسي سدا لجانب من هذا الفراغ ، مع الشروع بتأليف كتاب جديد في الموضوع ، ولكن القضية كان ينبغي ان تبدأ قبل هذا بعهود طويلة ، فانت واجد في تاريخ الادب الانكليزي مثلا عشرات الكتب ، فلا تتولاك الحيرة في البحث عن كتاب في الموضوع قدر ما تتولاك الحيرة

مكررات لفظة مضاعفات

بتجربة ضئيلة أبكرت صلاحيتها
... ولكننا ما زلنا في حاجة إلى لغة أجنبية

للاستاذ عبد العزيز حسين

الكويت .

عن جلّه كل اللغات فيما نعلم ، واللغة العربية ذاتها استغنت عنه في حالة الوقف ، كما أن جميع اللهجات العامية العربية لم تعد تنتهجه ، مما يدل على أنه قد آن الاوان لدراسة امكانية اعادة النظر لمحاولة تخفيف هذا العبء الكبير على متعلم العربية .

ان امام المهتمين بنشر اللغة العربية أن يجدوا حلوًا تسهل لتعلمها أن يكتب كتابة صحيحة وينطق نطقًا صحيحًا دون تلك المعاناة الشاقة التي نجدها اليوم في استعمال الشكل في الكتابة وفي الدراسة المضنية للنحو والصرف ، وهما علمان يقتضي اتقانها بذل جهد كبير يمكن انفاقه فيما هو أجدى على المتعلم.

هذا الى ان المتعلم العربي يقاسي نوعًا من ازدواجية اللغة طرا بالاختلاف بين العامية والفصحى، ورغم علمنا أن هذا الاختلاف ستخف وطائنه بانتشار التعليم حيث ثبت ان العربي المتعلم ينطق لغة اقرب الى الفصحى من الامي ، فاننا لاحظنا ان هناك اختصارًا وحذفًا اجمع عليهما المتعلمون والمثقفون في مخاطبتهم بالعامية المتميزة عن عامية غير المتعلمين ، وهذا يسهل علينا دراسة عملية التطور الطبيعية للغة اذ نعرف من اتجاه المثقفين العرب في النطق ما هو خليق بأن يدرس أمر حذفه أو تخفيفه من قواعد اللغة التي تعوق عملية التعليم ، وتكون هذه الدراسة سبيلًا الى مزيد من تقريب هذه العامية المتميزة الى العربية الفصحى .

وسواء كانت الحلول التي ندرسها لتسهيل تعليم العربية هي في ادماج الشكل في صلب الكلمة بصورة ما ، أو في ايجاد قواعد أخرى لتفسير الكتابة والقراءة أو تبسيط النحو والصرف ، أو في دراسة التطور الطبيعي للغة وما يستدعيه هذا التطور من

1 و 2 — من اهم المشكلات التي يعانيها متعلم العربية مشكلة الكتابة ومشكلة الاعراب . فلقد بدأت العربية رموزًا غير منقوطة وغير مشكلة ، تقرا بالمقارنة والاستنتاج في كثير من حروفها المتشابهة حسب مواقعها من الكلمة أو الجملة ، ثم تطورت بالنقط التي أصبحت اجزاء من الحروف لا غنى عنها . على ما في النقط من تعويق لسرعة الكتابة . وبقي الشكل الذي يحتاج الى معاناة غير يسيرة لازماً لضبط الكلمات ولتجنب المتعلم الوقوع في الأخطاء اللغوية .

ورغم ان من مميزات لغتنا اقتصارها على حروف علة ثلاثة ، فانها لا تستعمل الا في المد الطويل ، وفيما عدا ذلك فان الكلمات العربية مقصورة على الحروف الصامتة التي تجعل القراءة عملية غير ميسرة ، وتجعل لكل كلمة احتمالات نطق متعددة ، لذا فان استعمال الشكل كثيراً ما يكون ضرورة للمتعلم حتى يستطيع النطق بالكلمات حسب المقصود منها ، ولكن استعمال الشكل في الكتابة في الوقت ذاته اجراء يقتضي تمهلاً شديداً في الكتابة لا يتفق مع مستلزمات السرعة المطلوبة فيها .

وقد استبقت اللغة العربية اعراب اواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل مما يقتضي تفهها دقيقاً لقواعد اللغة ودراسة للنحو والصرف ليست باليسيرة .

وحيث ان المعاني تتغير حسب الاعراب فنان الشكل المضبوط ضرورة للنطق الصحيح والفهم الصحيح لتعلم العربية الجديد .

واعراب اواخر الكلمات قد استغنت عنه أو

اختصار وتبسيط أو غير ذلك من الأمور ، فإن من الزم
اللازم ألا يتودنا هذا التغيير إلى التفكير في استعمال
الحروف اللاتينية كما فعل أتاتورك في تركيا ، أو
إدخال تغيير يقضي على صلتنا بتراثنا العظيم ويفصلنا
عن ثروتنا العلمية الضخمة .

إن الحلول التي نرجوها نأمل أن تقترب من أذهان
المفكرين فيها بضرورة استمرار الصلة بين ماضينا
وحاضرنا ومستقبلنا بحيث لا يكون في تطور الكتابة
قطع لصلتنا بذلك الماضي وبحيث يستطيع المتعلم
العربي أن يعود لذلك التراث لينهل منه متى أراد .

3 و 4 و 5 — لقد بدأ معظم التعليم
الجامعي في الوطن العربي في ظل حاكم دخيل ، كما
أن هذا التعليم بمفهومه الجديد دخل البلاد العربية
وهي في غير مكانها المناسب من التقدم العلمي
واستعملت اللغات الأجنبية وسيلة للتعليم لأنها لغات
الحكام ، ولأنها لغات الحضارة الجديدة القادمة من
الغرب .

ولسنا بصدد الحديث عن قرون الظلام التي
عاشتها الأمة العربية تحت مختلف السيطرات
الأجنبية ولا عن التخلف الذي قاسيناه وأسبابه ،
بعد عصور شهدت للعرب علما وفنا وأدبا تعتبر من
الأسس الأولى لقيام حضارة الغرب التي نحاول
اللاحق بها بكل طاقاتنا الحالية ، ولكننا نحب أن
نشير إلى أن مبدأ التشكيك في صلاحية اللغة العربية
لتدريس الجامعي من المخلفات التي تركها لنا
التخلف والسيطرة الأجنبية ، حتى أصبح هذا الشك
شبه يقين عند بعض المثقفين العرب ..

لقد اتنع الغرب الكثيرين منا في يوم من الأيام
أن البلاد العربية لا تصلح للصناعة ولكنها تصلح
لإنتاج المواد الأولية التي يصنعها الغرب ثم يعيد
تصديرها إلينا .

اللغة العربية في نظرنا لغة صالحة كـ
الصلاحية للتدريس الجامعي ، لأنها لغة حضارة ،
مرت بتجربة ضخمة عندما تصدت للتعبير عن كل
خلجات الإنسان بأعق ما تتصدى له لغة من اللغات
ولأنها استوعبت علوم العرب في أوج نهضتهم ،
ولأنها هضمت الإنتاج الفكري لحضارات أخرى
وعبرت عنها فلم تعجز عن التعبير .

وعندما اشتغل علماء العرب بالطب والفلك
والرياضة والجبر والهندسة ، وعندما كتبوا في

المنطق والفلسفة وعندما بحثوا في الموسيقى والفنون
الأخرى المختلفة ، لم تقف العربية عاجزة دون
أن يفوقوا في ذلك ، ودون أن يدونوا أسفارا كان
الغرب في بدء يقظته سريعا إلى الإنادة مما فيها من
كنوز ومن معرفة ، وما زال الكثير الباقي منها شاهدا
على قدرة اللغة العربية على غزو كل جديد والتكيف
للظروف الحضارية المتطورة .

إن أولئك الباحث والعلماء العرب لم يقنوا من
العربية باعتبارها كيانا جامدا ينبذ كل جديد . لقد
علموا أن الاشتقاق في العربية ميزة كبرى تعطيها
مرونة تتسع معبرا لمزيد من القدرة على التعبير عن
كثير مما لم تنص عليه القواميس في لغة العرب ،
وأن التعريب قد استعمله العرب الأوائل كما
استعمله القرآن الكريم . وأن اللغة العربية ليست
من ضيق الصدر بحيث تأبى أن تزيد غنى وثروة بما
تهضمه من مفردات لا تغير من أصلاتها ولا تحيلها
إلى لغة أخرى لا تمت إلى لغة الأجداد إلا بصلة واهية.

إننا في دراسة استعمال اللغة العربية أداة
للتدريس في جامعاتنا نضيق بين التزمّت المفرط الذي
يأبى إدراك الضرورة القاهرة التي نواجهها لتقبل
كثير مما تجمع أمام جامعاتنا من المصطلحات العلمية
الحديثة والذي يأبى إلا أرجاع كل مصطلح مما بلغ
شيوخه إلى أصل قديم نصا وروحا ، وبين التساهل
المفرط الذي يجعل من لغتنا لغة شوهاء بما يقحمه
فيها من مصطلحات وتعبيرات ، غير مدرك إمكانات
لغتنا الواسعة وما يمكن أن تسهم به في هذا المجال.

وعدم اتفاقنا على استعمال اللغة العربية في
جامعاتنا من جهة ، ثم اختلافنا من جهة أخرى على
الأسلوب الذي يجب اتباعه في الترجمة والتعريب
والتوليد ، أنتج مجهودات مبعثرة غير منسقة
للمصطلحات العلمية التي تستعمل في الجامعات
العربية ، واستحدث أكثر من اسم واحد للمصطلح
الواحد مما سيضاعف متاعبنا مستقبلا ، إذ أننا
سوف نعمل على توحيد المصطلحات العربية إلى
جانب تعريب المصطلحات الأجنبية .

وهنا تجدر الإشارة إلى واجبات المجتمع
العربية العربية في هذا الميدان الهام ، وإلى الآمال
المعلقة على المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم
العربي .

إن اتفاق جامعاتنا على استعمال مصطلح

من اول ما يجب ان ندركه اننا ما زلنا متخلفين في ميادين العلم التطبيقي واننا يعوزنا الطويل من الوقت والكثير من الجهد حتى نلحق بالمتقدمين علينا ، وان جل المراجع العلمية قد كتبت بلغات اجنبية ، ومن ثم لابد للمعلم ولطالب العلم من ان يكون قادرا على الاطلاع على تلك المراجع ، وعلينا ان نعى بأن تكون لغة اجنبية واحدة على الاقل سبيلا لطلاب العلم العرب الى المراجع الفنية بالمادة العلمية ، ولذا فانه يلزم ان يواكب اهتمامنا بجعل اللغة العربية اداة التدريس في جامعاتنا ، اهتمامنا باتقان لغة اجنبية حية او اكثر ، واهتمامنا بترجمة المراجع العلمية القيمة الى لغتنا العربية .

واحد سواء كان عربيا او مغربا او مولدا او مترجما يخطو بنا خطوة هامة نحو توحيد ادراك المعارف في المجالات العلمية في الوطن العربي .

هذا وان دعوتنا لاستعمال اللغة العربية اداة للتدريس في الجامعات يجب ان تكون مقرونة باهتمامنا بتحديد مدلولات المصطلحات العلمية وتوضيح مفهوميها العلمي ، والاتفاق على اسلوب موحد للعمل العربي بالنسبة لما طرأ على العربية من هذه المصطلحات ثم بالنسبة لما سيجد عليها منها في المستقبل ...

ودعوتنا هذه يجب ان لا تكون دعوة تعصب تفتش عيوننا عن كثير من الحقائق الواضحة ، فان

عدم التناسق بين العرب

مثار ضعفهم وخاصّة في اللغة

الدكتور محمد سعيد يوسف

كلية الهندسة (القاهرة)

التي يواجهها القائمون على التدريس من عدم وجود مجمع عربي خاص بالاصطلاحات العلمية يكون موحدًا في جميع البلاد العربية .

(5) لقد سبق القول انه من الضروري لضمان انتشار اللغة العربية في العالم أن تنشر أولا في البلاد العربية نفسها خصوصا في المجالات العلمية .

ولحسن الحظ زاد الوعي القومي في البلاد العربية بحيث يمكن أن تجتمع المجالات العلمية المختلفة في صعيد واحد فهناك المؤتمرات العربية للمهندسين والأطباء والمحامين وغيرهم فمن الممكن أن يطلب من هذه الهيئات العمل على إيجاد المصطلحات العلمية الموحدة بحيث تعم في البلاد العربية المختلفة سواء في الدوائر الحكومية أو الأهلية.

هذا وأود أن أذكر أنه قد سبق مثلا لمعهد أبحاث البناء بالجمهورية العربية المتحدة أن قام بتعريب المصطلحات العلمية في مواد هندسية متعددة منها ميكانيكا التربة والخرسانة وهي الآن تحت المراجعة بمعرفة لجان شكلتها وزارة الإسكان بالجمهورية العربية المتحدة .

(1) أن أهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية وانتشارها هو عدم الترابط والتناسق بين البلاد العربية المختلفة مما يضعف قوة العرب في المجالات المختلفة التي منها اللغة .

(2) وعلى ذلك فأنني أرى تنسيق الجهود في البلاد العربية بحيث تظهر الأمة العربية أمة واحدة لها قوتها مما يجبر باقي الدول على احترام كلمتها — ومن مظاهر الاتحاد تنسيق المصطلحات المختلفة في شتى المجالات عن طريق تبادل الرأي بمقصد اجتماعات في البلاد العربية المختلفة أو بتبادل الإنكار والخبرات وعدم اللجوء إلى الخبرات من الأمم الأجنبية إلا في أضيق الحدود .

(3) ما من شك في أن أسهل السبل في التدريس هو أن يكون بلغة الدارس والمدرس خصوصا إذا ما كانت مفردات الدرس جميعها بنفس اللغة وفي يقيني أن اللغة العربية صالحة كل الصلاحية للتدريس بها طالما توفرت جميع المصطلحات العلمية أمام الجميع .

(4) يشمل الرد على السؤال الرابع ما سبق نكره في الرد على الأسئلة السابقة من حيث الحيرة

انتشار اللغة

لحن بحري إسلامي في الرفع الحضاري

الاستاذ زكي نجيب محمود
- القاهرة -

ان معظم جهدنا اليوم بازاء تطوير اللغة العربية منصرف الى متابعة ما يتقدم به العالم الخارجي من علوم وفنون وآداب ، فكلما جاءنا من هناك جديد ، ولم نجد له لفظا عندنا يساويه ، التمسنا سبيلا الى نقله على اية صورة من الصور التي نتفق عليها ، واذا كان هذا هو موقفنا الفكري ، فما الذي يدفع الدارس او المثقف في بلد اجنبي الى دراسة لغتنا ؟ لماذا يتعلمها وهو يدري ان مدى جهدنا هو ان نلحق به ؟

اعود لاؤكد انه لا انتشار للغة الا بمقدار غزارة :لاضافة الفكرية التي تضيفها ، فالى ان يعلن فكرنا الجديد عن نفسه في ارجاء العالم ، علينا ان ننقل الى ذلك العالم كل ما نتوسم فيه الجدة من فكرنا وادبنا ، لعل هذا القليل الذي ننقله يكون فاتحة للكثير الذي ننتجه فينتقله الناقلون عنا ، كما نقلوا عنا بالامس ، وكما ننقل نحن عنهم اليوم .

2 — اعتقد ان الاجابة عن هذا السؤال متضمنة في الاجابة عن السؤال الاول ، ومع ذلك فاني اضيف هنا ضرورة التيسير في قواعد اللغة العربية تيسيرا يزيل عنها التعقيد دون ان يمس جوهرها وخصائصها ، كما اضيف ضرورة التيسير في الاشتقاق وفي التعريب فنجيز كثيرا مما لا نجيزه اليوم ، فضلا عن ضرورة تقريب الشقة بين الفصحى والعواميات (لان العامية تختلف باختلاف الاقطار) حتى يزول الازدواج ، فتزول الحيرة التي تعترض الدارس من غير ابناء اللغة .

3 — اللغة العربية تصلح للتعليم الجامعي كل الصلاحية ، واحب في هذا الصدد ان اذكر النقاط الآتية :

1 — اللغة هي نفسها الفكر ، وبمقدار ما يتسع الفكر عند الانسان يكون اتساع حصيلته اللغوية ، اذ لا وجود لفكرة بغير لفظ يحملها ، كما انه ينبغي الا يكون وجود للفظ اجوف ، بغير فكرة يشير اليها ، وان صاحب اللغة كلما صادفته — في غير لغته — فكرة جديدة واراد نقلها الى لغته دون ان يجد لها في هذه اللغة لفظا يكافئها ، اخطر الى خلق لفظ جديد في لغته — اما اشتقاقا او تقريبا — ليقابل به تلك الفكرة الجديدة .

فاذا بدانا من هذه النقطة الواضحة ، وهي ان اللغة والفكر جانبان لموقف واحد — فلا لغة بغير فكر ولا فكر بغير لغة — انفتح امامنا طريق الاجابة عن السؤال المذكور .

فاهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية ، هي أولا — ان ليس لدى ابنائها اليوم فكر جديد تقدمه الى سائر اجزاء العالم ، بحيث يضطر الدارسون والمثقفون في ارجاء العالم اضطرارا الى الاقبال على لغتنا التماسا لفكرنا الجديد ، الا فلنعلم ان الدارسين والمثقفين — عند غيرنا على السواء — هم صيادو افكار قبل كل شيء ، فاذا عرف العالم ان في لغتنا الجديدة فكرا جديدا ، اقبل الدارسون والمثقفون على لغتنا ابتغاءا ما فيها من فكر جديد فلماذا اضطر العالم الاوروبي في العصور الوسطى — ايام ازدهار الفكر العربي — الى تعلم اللغة العربية والترجمة عنها ؟ انهم كانوا يترنمون بانغامها من حيث هي الفاظ ذات جرس وايقاع ؟ ام كان ذلك لانهم علموا انها مطوية على ثقافة جديدة وفكر جديد ؟ فدرسوها وترجموها لينتفعوا بها جاءت تحمله من مضمون خصب غزير .

(أ) كانت « كل » المواد الدراسية — في المدارس المصرية — الى أوائل هذا القرن ، تدرس باللغة الانجليزية ، ثم عرب بعضها فتيسر تدريسها بالعربية ، ولم يعرب بعضها الآخر — وخصوصا في مجال العلوم — فظل حتى اليوم يدرس باللغة الانجليزية ، واحسب ان لو بقي الحال على ما كان عليه في أوائل القرن ، لظن المعترضون على التعريب بأن تدريس التاريخ والجغرافيا والرياضة وعلم النبات وعلم الحيوان والفلسفة والجيولوجيا وغير ذلك من العلوم التي عربت ، أمر متعذر ، كما يظنون اليوم ان العلوم الباقية بغير تعريب تستعصي على التعريب .

(ب) لابد من التفرقة بين هدفين من أهداف التعليم الجامعي ، أولهما تخريج المهنيين الذين يزاولون مهنتهم في الحياة العامة ، من طب وهندسة وتعليم الخ... وثانيهما تخريج العلماء الذين تقع عليهم تبعة البحث العلمي سواء كان ذلك في مناصب الاستاذية بالجامعات ذاتها ، أو في مراكز البحوث العلمية المتخصصة .

فأما الأولون فهم لا يطلب منهم — بالدرجة الأولى — أن يتابعوا تيارات البحوث العلمية في الخارج ، بلغاتها الأجنبية ، ويكتفيهم ان يتابعوا البحوث الجديدة فيما ينشره مواطنوهم العلماء في الدوريات والمؤلفات العربية ، وأما الآخرون فهم الذين يلزمهم بالضرورة تعلم اللغات الأجنبية ليسهموا في حركة البحث العلمي في أرجاء العالم .

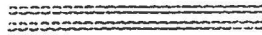
ومعنى هذه التفرقة التي قدمناها انه بينما لا تضطرنا الضرورة لتعليم الآلاف من ابنائها الجامعيين بلغة غير لغتهم ، فإنه في الوقت نفسه شرط ضروري لطلاب الدراسات العليا — ما بعد الدرجة الجامعية — أن يتابعوا دراساتهم مستعينين باللغات الأجنبية .

4 — ان أهم مشكلة تعترض الاساتذة في التدريس الجامعي هي مشكلة المصطلحات العلمية ، اذ لابد من تعريب تلك المصطلحات ، أو ترجمتها (اعني بالترجمة ايجاد لفظ عربي مقابل للفظ الاجنبي ، واعني بالتعريب ايجاد صياغة عربية للكلمة الانرجية ذاتها) .

لكن ينبغي أن يكون هنالك اتفاق بين العلماء العرب على المصطلحات الجديدة في صورتها العربية ، حتى لا تحدث بلبلة للدارسين .

وقد يعترض احيانا بأن المصطلحات العلمية عالية بحكم طريقة بنائها اللغوي ، اذ هي تبني من مقاطع لاتينية تحمل المعنى ، ولا يشق على أي عالم مها كانت لغته أن يالفها لفظا ومعنى ، وهنا نقول انه في أمثال هذه الحالات نلجأ الى التعريب لا الى الترجمة ، بل وقد نلجأ الى الإبقاء على بعض الصيغ العلمية والمعادلات الرياضية المشهورة في العلوم في صورتها الانرجية نفسها .

ولا يجوز على أي حال لاية مشكلة ان تعوق نقل العلوم الى العربية ، لما في ذلك من اثرات للغة ومن نهوض بالحركة الفكرية بمعناها الواسع العريض .



انتشار اللغة العربية

متوقف على نموها الحضاري

الأستاذ كمال حمدي

(القاهرة)

العربية ذاتها من نحو وصرف .. الخ، وهذا يعود بالدرجة الاولى ، الى علماء اللغة الذين نطالبهم بالعمل على تطوير اللغة وتبسيطها للضرورة القصوى التي تتطلبها تلك المرحلة من اتخاذها للاسلوب العلمي الدقيق .

(2) من خلال عرضي للمشاكل التي تعترض سير اللغة العربية أجد ان أهم الحلول تتبلور في النهاية فيما يلي :

1 - العمل من اجل وحدة عربية أكثر نشاطا وفاعلية وخصوبة وشمولا .

ب - في أن تكون ابحاث المفكرين العرب هادفة الى خلق ثقافة علمية أكثر أصالة وتجديدا .. والالتزام الكامل باللغة العربية مع العمل على تطويرها واثرائها بالمفردات العلمية وتطوير اسلوبها للبحث العلمي الدقيق

ت - يمكن الادلاء باقتراح عقد مؤتمر عام لعلماء اللغة لمناقشة اهم الابحاث المقدسة لتبسيط اللغة العربية ، تتبعه مؤتمرات أخرى للمفكرين والمثقفين العرب من اجل مناقشة اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية في الفترة المعاصرة .

(3) لقد حققت اللغة العربية في مجال « الدراسات الانسانية » تقدما فاعالا ، وان كانت ما زالت في حاجة ماسة للتدعيم في مجال الدراسات العلمية الفنية ... فاللغة العربية ما زالت متعثرة في ذلك المجال .

(1) ان مشكلة اللغة العربية هي انعكاس مباشر للمشكلات الحضارية التي يعيشها المجتمع العربي في المرحلة الآتية ، والطريق للنفاذ من تلك الازمة الحضارية واذا اردنا أن نحصر تلك المشكلات في اطار اللغة فقط نجد انها تتلخص في :

اولا - تعدد اللهجات المحلية في الاقطار العربية والمشكلة هنا لا تنحصر في اشكال « ثنائية اللغة » ولكن اذا دققنا النظر في المسألة وجدنا ان اللهجات المحلية - مثلت في طور الانهيار الحضاري للمجتمع العربي - الجزء الحي من اللغة القادر على المعاشة اليومية للتاريخ ، والقادر على التطور والاختصاص ، واذا ادركنا أن المجتمع العربي تعرض لغزو حضاري من لغات مختلفة - وان كانت مشتركة الاصل - نجد أن هذا الجزء الحي من اللغة المتطور المختص ، يتباين ويختلف ، نتيجة لذلك ويشكل ازمة لغوية حادة ، نعاني منها في المرحلة الحاضرة .

ثانيا : ان انتشار اية لغة في العالم متواز مع درجة حضارة الشعوب المتكلمة بها ، ومدى تفاعلها واثرائها للموقف الحضاري العام .. لذا فان انتشار اللغة العربية متوقف على مدى نموها الحضاري ، واصالتنا التي يمكن من خلالها اضافة ابعاد جديدة أصيلة للموقف الحضاري العام ، وهذا ما نلاحظ بداية تفتحه الآن .

ثالثا : لا نفعل بداهة - مشكلة قواعد اللغة

(4) 1 - ما زالت مفردات اللغة العربية في حاجة ماسة الى قاموس علمي عصري يحدد معانيها بدقة .

ب - حركة الترجمة في الوطن العربي ما زالت تاصرة مشتتة ، لا تخضع الى تخطيط علمي مدروس مما ادى الى اتخاذ الكثير الترجمة حرفة مشمرة .. يتعرضون لترجمة امهات الكتب العلمية بترجمات رديئة، ينشأ عنها تعدد الترجمة للمصطلح العلمي الواحد الى التحريف نتيجة لسوء الفهم وهبوط الحصول اللغوي للمترجم ، والغرابة ..

(5) من الضروري أن نضع حدا لفوضى استخدام المصطلحات وترجمتها والاختلاف على معانيها ، وكل المشاكل التي اضافت تطور اللغة العربية وصلاحياتها ... عقبات كبيرة قد نتجت عن اهمالنا للمصطلح

العربي المناسب ، كل الصعوبات التي ظهرت في سبيل قيام لغة عربية حية قد نتجت عن اهمالنا لتنظيم لغة الكتابة العلمية .

وقد ظهرت لا شك - محاولات عديدة لتذليل تلك العقبة ، ولكنها محاولات مشتتة في اطار الوطن العربي ، وهي بهذا تزيد من قوة الاختلاف ، لذا اطالب بالاسراع باصدار قاموس لمفردات اللغة العربية علمي عصري ، يحدد معانيها بدقة علمية ، تساهم فيه جميع الهيئات العلمية بالوطن العربي كافة .. من اجل ايجاد مصطلحات عربية علمية متفق عليها ، وان نجد العبارات العلمية السلسلة الواضحة للمعاني والموضوعات والاشياء والافكار .. كذلك يهم ان نجد مقابلا عربيا لكل المفردات التي تجول في اذهاننا باللفات الاوربية

الوحدة العربية

نقطة انطلاق لتوحيد المصطلح العربي

الأستاذ محمد العربي الخطاينة

(الرباط)

الجهل بها بين المتعلمين في عدد من الاقطار العربية . وقد ضرب الاستعمار الفرنسي الرقعة القياسي في ذلك باضطهاد لغة الضاد في تونس والجزائر والمغرب وانشائه طبقة متعلمة منفصلة عن جذورها جاهلة بلغة قومها وبحضارتهم .

هذه هي المشاكل الجوهرية ، في نظري ، أما تبسيط النحو العربي ، وتوليد المصطلحات ووضع المعاجم الضرورية فكلها مشاكل ثانوية متفرعة عن تلك ومرتبطة بها .

ثانيا :

الحلول الناجمة ، كما أراها ، هي :

(أ) بناء الوحدة الثقافية العربية بأسرع ما يمكن ومعنى الوحدة هو :

— مناهج دراسية واحدة .

— كتب دراسية واحدة .

— مجمع لغوي وعلمي عربي واحد ، وجهود متناسقة ومتآلفة ، مادية وعلمية ، لوضع المعاجم واقرار المصطلحات والألفاظ الجديدة .

(ب) العناية الكبرى بالبحوث العلمية اللغوية وغيرها في الجامعات خاصة .

(ج) ايجاد اساتذة جامعيين ، على مستوى عربي مؤهلين للتدريس والبحث باللغة العربية في جميع الكليات ، وذلك طبق مناهج مخطط تتفق عليه كل الاقطار العربية .

ثالثا :

لاشك أن اللغة العربية تصلح للتدريس والبحث الجامعي ، لأنها لو لم تكن كذلك لما استحدثت ان تحمل اسم لغة ، ولما كانت قادرة ان تنقل عبر قرون عديدة ثقافة علمية وأدبية وفلسفية تعد من المع الثقافات العالية المعروفة ولما استطاعت كذلك

أولا : تعترض سير اللغة العربية مشاكل جوهرية منها :

(أ) تختلف الاقطار العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، واللغة تتأثر حتيا بتخلف الامة وتزدهر وترعرع بتقدم الجماعة التي تتكلم بها .

الم تكن اللغة اليابانية واللغة الروسية متخالفتين منذ نحو مائة عام ، وكانتا قاصرتين الى حد كبير عن التعبير العلمي والتقني الذي ظهر مع الحضارة الصناعية ؟

ولنا امثلة من التاريخ أيضا : فاللغة العربية التي كانت لغة الشعر والتعبير المجرد في الجاهلية والصدر الاول من الاسلام استطاعت ان تطفر طفرة كبيرة ، بسبب الفتوحات والثورة والاحتكاك ، فما لبث أن انفتحت امامها آفاق التقدم والرفق فأصبحت لغة العلم والفلسفة والادب والدواوين (الادارة) . وبمقارنة ذكية يتضح لنا ما حققته اللغة العربية ، كذلك من تقدم ملموس في مدة مائة عام في مطلع النهضة العربية الحديثة .

(ب) تقاعس الحكومات العربية او عجزها عن بناء الوحدة الثقافية التي هي في نظري أس الوحدة السياسية والاقتصادية بين اقطار العرب . وقد بقي دستور الوحدة الثقافية العربية الذي وقعه وزراء التعليم في بغداد منذ سنوات قليلة حبرا على ورق . وما لم تصبح هذه الوحدة الثقافية العربية حقيقة قائمة فسوف يبقى الكلام عن توحيد المصطلحات العلمية ووضع المعاجم والمؤسسات والكتب الدراسية على نحو منسق ، سوف يبقى الكلام عن ذلك ضربا من العبث .

(ج) الاستعمار الفكري الاوربي الذي كان من العوامل التي أضعفت الثقة باللغة العربية وعميت

خامسا :

من الخطأ الظن بأن الجامع اللغوية هي وحدها المسؤولة عن استنباط المصطلحات وتوليد الالفاظ الجديدة . ان الجهود الفردية وجهود ارباب المهمن المختلفة ضرورية في هذا الباب . فالعالم الذي يبحث ويؤلف ويترجم ، والخبير الذي يعمل في مكتبه او معمله والصناع الذين يشغلون في المصانع ، والرياضيون ورجال الفن كلهم يشاركون ، في ميدان اختصاصهم ، في ايجاد الالفاظ والمصطلحات التي تدعو اليها الحاجة . ومهمة الجامع اللغوية ، فضلا عن التوليد والابتكار ، هي الجمع والتنسيق وتبني الالفاظ الصالحة المبتكرة وتصنيفها في معاجم وقواميس .

وليس بخاف على أحد ان معظم الالفاظ التي تستحدث يوميا في اللغات المتقدمة بأوروبا وامريكا تجري على الالسنه وفي الصحف السيارة حينما يبتكرها ذوو الاختصاص في المصنع او المختبر او النادي او المسرح او الرسم .

نعم ، المشكلة ، هي توحيد المصطلحات ولجل ذلك وجد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وعمله في هذا الباب نافع جدا ، والمنهاج الذي اعده لجعل المصطلحات العربية موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة منهاج صالح جدا والمهم هو ان يسند عمل المكتب ، ماديا وعلميا (وسياسيا أيضا) حتى يؤدي واجبه في احسن الظروف والاحوال وحتى لا يعوقه عائق ، وهذا الاسناد حتمي ومستعجل لان عجلة التقدم لا تنتظرنا . وقد عرض المكتب الدائم حاجته ووسائله وبنى تقديراته على اسس علمية وتقنية ، وحدد زمن الانجاز ، وهو زمن ليس بطويل (عشر سنوات) اذا تسناه بهذة التخلف الفكري والاجتماعي التي عاشتها اقطارنا .

ان تقف في وجه استعمار غربي توي تسلط على البلاد العربية اجيالا وحاول القضاء على لغة العرب .

نعم ، ينقصها في الوقت الحاضر ، عديد من الالفاظ والمصطلحات العلمية والتقنية التي ولدت مع حضارة العصر ، وهذا ليس عيبا في اللغة العربية بل هو نقص في ابنائها وقصور وتخلف في شعوبها وليس من المستحيل ولا من الصعب تداركه .

رابعا :

من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين :
(أ) نقص كتب الدراسة والمراجع والمعاجم ، وخاصة في الكليات العلمية .
(ب) تقصير الجامعات نفسها في ميدان البحث العلمي الذي لا يتصور ان تستغنى عنه جامعة عصرية .

وما زلنا نشاهد في المغرب ، مثلا ، مسؤولين ، يؤمنون ان الجامعة ما هي الا مؤسسة غايتهما تكوين الاطارات ، اي تكوين الموظفين واصحاب المهن الحرة .

ولا يخفى ان تشجيع البحوث في الجامعات عامل جوهري في ايجاد المراجع والكتب الدراسية وفي توليد المصطلحات وتعميمها بين الطلاب الجامعيين .

لقد دلت التجربة على ان العلماء الباحثين حينما يؤلفون كتابا او مرجعا علميا لا يعوزهم استنباط المصطلحات او توليدها او تعريبها وهم في ذلك لا ينتظرون ما ستعمله الجامع اللغوية ، بل يعتمدون على علمهم وخبرتهم ومعرفتهم بلغتهم مع لغة اجنبية او اكثر . والآلة على ذلك موفورة لذا فان تشجيع الباحثين والمؤلفين الجامعيين عمل هام من شأنه ان يساعد على اثراء اللغة العربية بما هي في حاجة اليه من الفاظ ومصطلحات ومراجع وادوات علمية وتقنية .

نماء اللغة العربية وانتشارها

كاهنات في القضاء على تخلف العرب في الحقل العلمي

الأستاذ عبد الواحد العلوي

المجلس الأعلى للقضاء (الرباط)

فمما لا ريب فيه ان اللغة وآدابها وسعة صدرها لكل ما يحدث ويجد من فنون وعلوم وصناعات آلية وغيرها يشكل احد القومات التي يبني عليها الشعب وحدته وان كل شعب اصيب بهرض التخلف وتوقفت لغته عن النمو ومسيرة التقدم الحضاري والعمراني قد حيل بينه وبين تقاليده وفقد خصائصه ومميزاته .

لذا كانت اللغة العربية بالنسبة للجاحدين والجامدين عرضة لمحاول الهدم والافساد سلبا وايجابا من عدة نواح ولاسباب مختلفة تتجدد بمرور الزمان بعد ان فقد المسلمون ولا اقول العرب عزهم وسلطانهم في العالم ، لقد اسبىء الى اللغة العربية من طرف اهلها والمتكلمين بها ومن طرف من كان يظن عن حسن نية ان احياها احياء للعنصرية السلائية غفلة منه عن ان اللغة العربية لغة المسلمين جميعا لكونها لغة القرآن ثم من طرف الاستعمار الذي يعلم ان حياته منوطه بموت اهلها ، فالسبب الذي يعوق سير اللغة العربية ويحد من سرعة انتشارها في العالم في الوقت الحاضر هو اننا لم نتمكن بعد من تكوين الجيل الصاعد تكوينا صحيحا يجعله اهلا للسير في طليعة الركب العالمي يساعده عز الامة وسلطانها فاننا ما زلنا لم نتمكن من القضاء على رواسب الاستعمار والتخلف الفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي ولم نستطع لحد الآن التخلص مما غرسه اعداء اللغة العربية بل اعداء الاسلام . فالقرآن لا يدرك سره وتعرف مقاصده الا بمعرفة اللغة العربية والتمكن من اسلوبها والتضلع في علومها فمتى استطاعت العربية السير في طليعة ركب التقدم في كل ميادين العلم وامكنها تكوين الاطر الصحيحة في اللغة العربية وعلومها واساليبها واسرارها تساند هذه الاطر في كل المراحل قوة المال ، وامكنها ان تصلح حالها وان تضع الاسماء لمسمياتها حين اختراعها

اللغة العربية هي في الحقيقة لغة المسلمين جميعا بل يجب ان يسري اثرها الى البشرية جمعاء لان مبادئ العقيدة الاسلامية في اطلها وفروعها موجهة الى الناس كافة ودانت بها امم في مختلف القارات وكان لها الفضل على الانسانية كلها في محيط الحياة الفردية والجماعية ادبيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، عقيدة لا يمكن ادراك حقائقها والوقوف على اسرارها للحكم لها او عليها الا باللغة التي نزلت بها ، الشرقي والمستشرق والغربي والمستغرب كلهم في ذلك سواء ، اما عن التعبير بها عن كل كائن فلتد وقعت التجربة فما عجزت عن التعبير عن كل ما جد وحدث في عنفوان سلطان اهلها وعزة المتكلمين بها عبرت عن مدارك العلماء ومقاصد الدهماء فما وهنت ولا ضعفت ولا قصرت عن بلورة ما جد من العلوم بعد الفتح الاسلامي بمصطلحات علمية وفنية وآلية في ميدان القانون والادب والتاريخ والجغرافية والفلسفة وعلم الكلام والطب وسائر الصناعات وتدبير شؤون الاموال عامة والتنظيمات الحربية والتصميمات الهندسية وغير ذلك بفضل اهلها والمنتمين اليها من غير العرب وهم الكثير فلم تكن مشاكل التعريب عندهم بالامس بأسهل منها عندنا اليوم ولاكنها القوة والسلطان في ذلك الزمان والتخلف والضعف في هذا الاوان اذ اللغة صفة من صفات اهلها والمتكلمين بها تقوى وتعز بعزهم وتذل وتضعف بضعفهم ، فمما لا ريب فيه انه لا يمكن لاهل اللغة العربية ان يرجعوا اليها سلطانها وقوتها الا باسترجاعهم لقوتهم وبوحدة النظر لمعالجة مختلف القضايا مع التكتل ضد كل فكرة تقف امام هذه الوحدة

ولا يزال المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي يسعى جاهدا للوصول الى هذه الغاية بما يقوم به من مجهود جبار .

يجب العمل الآن على تقوية وسائل التوحيد ، توحيد المصطلح العلمي أو التقني عن طريق ما امتازت به اللغة العربية من سعة ووفرة مادة ولا ارى وسيلة احسن لتحقيق هذه الوحدة من احداث هيئة علمية مركبة من اختصاصيين في شتى الشعب العلمية تكون مهمتها اصدار دائرة معارف في اللغة تنشر تباعا في مجلة « اللسان العربي » ليتكون منه « معجم اللغة العربية الموحد الجديد » المستمد من الابداع العربي الجديد وكذلك من المعاجم القديمة التي وقفت عن السير بوقوف اهلها وجهدت جمود انصارها بما اصابهم من ضعف . يجب ان يتم انجاز لهذا المعجم تحت رعاية جميع الامم المعنية بالامر ومن طرف اختصاصيين منقطعين لهذه الرسالة وعن طريق سلم على راسه هيئة عليا يرفع اليها محصول الهيئات الفرعية لتصادق عليه .

واللغة العربية لم تفقد في اي وقت من الاوقات صلاحيتها للتدريس الجامعي ، فالاساتذة الجامعيون في العصر الحاضر يدرسون علوما حديثة باللغة العربية ويتقنون دراستها بحثا وتبيانا وينزلون مجهودا ليس باليسير لتذليل عقبة العثر على المصطلح العلمي والتقني العربي يضاف الى هذا مجهود الجامع العلمية في العالم العربي ، هذه البادرة يعوزها توحيد المصطلح في كل الميادين وهو نقص لا يزول الا عندما يبرز للوجود « المعجم المسلسل الموحد » ان شاء الله . فالمشكل الحقيقي انها هو في عدم وحدة المصطلح لا في كون اللغة العربية صالحة للتدريس او غير صالحة لان صلاحيتها للتدريس الجامعي شيء واقعي .

او تقتبس الفاظا غير عربية بعد صقلها وجعلها ملائمة للنطق العربي السليم في الميدان الالي والصناعي خاصة فتنمو اللغة وتزدهر وتنتشر بين جميع الاوساط العلمية في العالم ، على غرار سلفنا الذي وضع المصطلح لكل ما جد آنذاك من علوم وفنون ، فالمشكل كامن في الاختلاف والتخلف ونقصان التكوين الفكري والعلمي وعدم توحيد المجهود ، ومن حسن الحظ ان الشعوب العربية ادركت ان نماء اللغة العربية ومسايرتها الركب الحضاري منوط بنمائها وان هذا النمو ضمان لسعادتها ومثار ازدهار لعلومها وقوة لميزاتها ، فاذا حصلنا على قوة المال ووحدة العمل امكننا ان نربط الحاضر بالماضي ونضع المعالم للمستقبل الزاهر وان نقوم بنفس الدور الذي قام به السلف وهم في اوج عزهم فابتدعوا اساليب شتى فكان لكل معنى مصطلحه الخاص ووضعت اسماء لمسميات لم تعرفها اللغة العربية من قبل ، فلن نستطيع اللغة العربية استرجاع مجدها الا بالوسائل التي نهجها السلف في الخلق والابداع بالاضافة الى وحدة الفكر ووحدة الاتجاه .

ان داء العمل الفردي او الاتلمي وعدم التكوين الصحيح الشامل العام وعائق الضعف والاختلاف كل تلك عراقيل يجب ان نستأصلها للكرع من ينابيع تراثنا الفياضة ولفتنا الثرية بمعاجمها ووفرة مفرداتها ومطاوعتها في التصعيد والتوليد والاشتقاق والتجوز والابدال والقياس .

وقد منيت اللغة العربية رغم ثرائها باختلاف خطير قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن ، وقبل تغلب لغة قريش على سائر اللغات واللهجات . لذا

اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي ولكن بطء التعريب عرقلته

الاستاذ كيفور ميناجيان
(موسكو)

(ط) لا توجد لغة عربية سهلة وموحدة يفهمها الشعب في كل البلدان العربية . فكل بلد عربي له لغته العامية الخاصة به . ومن يدرس اللغة الفصحى لا يفقه شيئاً من حديث الشعب .

(ك) عدم احترام الاختصاصيين الاجانب في مجال اللغة ، بالصورة اللائقة .

ج 2 - في نظري انجع الحلول لازالة المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية هي التالية :

(ا) الاهتمام بنهضة البلدان العربية نهضة علمية و فنية وثقافية لتكون في مستوى البلدان المتقدمة في العالم .

(ب) يجب توسيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى .

(ج) يجب تقوية الدعاية واجهزتها من اجل نشر اللغة العربية ، وهنا اعتقد انه من الضروري تأسيس صندوق خاص للقيام بالدعاية . واهم الطرق في رأيي هو فتح مراكز ثقافية في البلدان الاخرى (غير العربية) فيها فصول خاصة لتدريس اللغة العربية بالجان ، وغير ذلك من وسائل الجذب . وكذلك اجراء مسابقات في اللغة العربية على مختلف المستويات تكون الجوائز بعثات دراسية في أي بلد من البلدان العربية او غير ذلك من الوسائل ، تجعل المواطنين الاجانب يهتمون باللغة العربية وينجذبون اليها وربما كان من الملائم فتح جامعة عربية متحدة يدرس فيها الاجانب اللغة العربية مجاناً ، بعد النجاح في المسابقات اللغوية .

(د) توحيد المصطلحات العلمية والفنية والهندسية وغيرها بين البلدان العربية وتنفيذ هذا التوحيد بصورة الزامية وليس اختيارية .

ج 1 - هناك عدة اسباب من وجهة نظري (ا) تاخر البلدان التي تستخدم اللغة العربية في العلوم والفنون والهندسة . فاذا ما حلت هذه البلدان مشعل الحضارة والعلوم ، أمكنها ان تحتس على البلدان الاخرى ان تتعلم اللغة العربية لتقتبس ما طاب لها او احتاجت اليه من علوم او فنون تنشر باللغة العربية .

(ب) ضيق مجال التبادل الثقافي بين البلدان العربية والبلدان الاخرى .

(ج) ضعف الدعاية التي تنال للغة العربية في البلدان الاخرى .

(د) قلة عدد الجمعيات اللغوية في البلدان العربية .

(هـ) انني من انصار الاحرف العربية ولكنني اعتقد انها من اسباب عدم انتشار اللغة بين البلدان الاخرى . لان الاكثري الساحقة ممن لا يعرفون اللغة ، يعبرون عن دهشتهم وخوفهم من الاحرف ويعتقدونها احرفاً هيروغليفيه صعبة الكتابة والقراءة .

(و) بعض الصعوبات في اللغة من حيث القراءة والكتابة والقواعد .

(ز) ينقص اللغة العربية بعض النظريات والتواعد اللغوية الموجودة في اللغات الاخرى ليجعلها اكثر مرونة ، وتتنافس مع اللغات الاخرى .

(ح) ليست المصطلحات العربية موحدة في كل البلدان العربية .

فكل بلد يستخدم المصطلح الذي يروقه او يعتبره اصح .

هـ) توسيع العلاقات وزيادة الجوائز والمنح وغير ذلك من وسائل التشجيع في مجال تطوير اللغة ، وبصورة خاصة للعلماء والاختصاصيين الاجانب الذين يقومون بدور ما في نشر ودراسة اللغة العربية .

و) توحيد المصطلحات العلمية والفنية والهندسية وغيرها في كل البلدان لتكون هناك لغة عربية موحدة مائة في المائة .

ز) تكوين لغة عامية موحدة يفهمها كل مواطن عربي في البلدان العربية جمعا .

ن) اجراء اصلاح في اللغة العربية لتنمى مع متطلبات العصر ، وادخال التغييرات والتجديدات الضرورية فيها .

ح) اقامة علاقات وثقى مع العلماء واللغويين والاختصاصيين الاجانب المهتمين باللغة العربية ودراساتها وتعليمها وتقديم المساعدات التي يحتاجون اليها واحترامهم . اتول احترامهم لانني اصطدمت بهذه المشكلة اذ انني كتبت رسالة وبعثت بها الى معهد التعريب والترجمة التابع لجامعة الرباط اطلب فيها مجموعة المصطلحات التي اقراها المعهد لدراساتها وادخالها في معاجمي التي اصدرها في الاتحاد السوفيتي للغة الروسية والعربية . ولكن للأسف (مع ان الرسالة مبعوثة بالطائرة ومسجلة) لم استلم اي جواب . وحدث نفس الشيء مع المجمع العلمي السوري .

ط) جذب اكبر عدد ممكن من المستعربين الاجانب للاشتراك في كل التدابير التي تتخذ في مجال اللغة العربية ونشرها وتطويرها .

ج 3 - نعم ، تصلح اللغة العربية للتدريس في الجامعات بدون اي شك .

ج 4 - المشاكل التي تعترض الاساتذة اثناء التدريس باللغة العربية ، هي فيما يلي :

أ) نقص المصطلحات العلمية والفنية والهندسية وغيرها في المعاجم والمراجع .

ب) نقص في المعاجم والمراجع اللغوية والعلمية والفنية والهندسية .

ج) مرة اخرى اتول عدم وجود وحدة في المصطلحات المذكورة بين البلدان العربية .

د) يتطور العلم بسرعة عجيبة ، ويجب علينا ان نمشى مع هذه السرعة . لكن النتيجة عكس ذلك في مسألة تعريب المصطلحات . اذ ارى ان المصطلح الجديد يجري تعريبه ويدخل في اللغة متأخرا جدا . وحتى تعريبه واقراره بصورة صحيحة من قبل مؤسسة لغوية (تفرض مثلا مجمع اللغة العربية) يقوم كل مؤلف أو استاذ بتعريب المصطلح كما يروق له ، وهو مضطر الى ذلك لانه يحتاج الى هذا المصطلح في مؤلفاته او في الترجمة او في القاء المحاضرات . فتكون النتيجة مؤسسة ، اذ نرى امامنا مجموعة ضخمة من المصطلحات المختلفة قد ظهرت قبل اقرار المصطلح الصحيح ، اكثرها خطأ ، ولكنها تتسرب في اللغة وتشوهها . لذلك يجب تعريب المصطلحات بسرعة فائقة ونشرها ، وادخالها في اللغة بصورة جبرية وليس اختيارية لكيلا تعطي المجال لكل انسان ان يخترع ويبتكر كما طاب له .

د) نرى ان الكتب الدراسية في كل بلد عربي تختلف عن كتب البلد الآخر . وهذا امر سيء ويلحق الضرر من حيث نشر اللغة العربية ، ويجعلها صعبة التدريس في الجامعة . لذلك من الضروري اصدار كتب دراسية ابتداء من السنة الاولى حتى آخر سنة في الجامعة تكون موحدة لكل البلدان العربية .

هـ) اذا صعب ايجاد مكافئ لمصطلح جديد في اللغة العربية ، فلا يجب ان نخاف من ادخال المصطلح الاجنبي بحيث يتفق والاوزان العربية اثناء تعريبه .

ج 5 - نعم ان المصطلح العلمي يشكل اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية . وفي رأيي يمكن التخلص منها بالطرق التالية :

أ) تكوين مؤسسة موحدة لكافة البلدان العربية للتعريب واقرار المصطلحات يشترك فيها اعضاء من علماء اللغة والعلم من كل البلدان العربية ، وان يكون التصويت على اقرار المصطلحات المختلف عليها وفق نظام يراعي التساوي بين جميع البلدان ، أي ان يكون لكل بلد عدد متساو من الاعضاء .

ب) عند تعريب مصطلح واقراره ، يجب دراسة نفس المصطلح في عدة لغات منتشرة ومتطورة ، وليس فقط في لغة واحدة كما يجري في الكثير من الاحوال .

ج) استعارة المصطلحات من كل اللغات الاجنبية بعد اختيار الاصلح منها من حيث السمع

والفنية والهندسية ، في عملية تعريب المصطلحات . واعتقد ان هذا الامر ضروري من الناحية العلمية اذ ان كل مستعرب في كل بلد اجنبي له وجهة نظر ذات طابع خاص ، ويفهم المصطلح بطريقة قد تختلف عند المستعرب في اي بلد اجنبي آخر . وهذا الواتع في رأيي مهم ، وقد يفيد المهتمين والعاملين في هذا الحقل من رجال اللغة ويعطيهم مواد فريدة في نوعها .

وهناك اسباب وطرائق عديدة يمكن سردها ولكنني اعتقد ان المجال ضيق . كما يجب الاشارة الى ان هذا الموضوع موضوع بحث علمي يحتاج الى وقت ودراسة عميقة لم استعد لها . لذلك اكتب هذه الصفحات بسرعة لكي ابعثها الى المكتب الدائم للتعريب ، لآكون قد ساهمت في هذا الاستفتاء ، وقدمت رأيي كمستعرب اجنبي .

والنطق والانسجام مع اللغة العربية وبهذا تدخل مصطلحات من كل اللغات المتطورة وليس فقط الانجليزية كما يجري الآن ، وفي بعض الاحوال النادرة الفرنسية .

(د) تكوين مؤسسة لكافة البلدان العربية لنشر المعاجم الضرورية بسرعة وبكثرة بحيث تشرف على مراجعة المعاجم هذه المؤسسة الموحدة لتعريب واقرار المصطلحات تشرف عليها الاجهزة الحكومية .

(هـ) تكوين هيئة مراقبة حكومية موحدة لتشرف على مراجعة كل المعاجم والمؤلفات العلمية والفنية والهندسية وغيرها وتوحد كل المصطلحات المستعملة .

(و) اشراك اكبر عدد ممكن من المستعربين الاحانب والاختصاصيين في المصطلحات العلمية

تشجيع التأليف في البحث الجامعي

هو الطريق المثلى للنهوض باللغة العربية في الحقل العلمي

الركن الرابع

رئيس قسم الامراض العصبية والنفسية
كلية الطب (جامعة الاسكندرية)

أحيانا يجد الاستاذ صعوبة في التعبير بدقة عما يريد وكثيرا ما يجد الطالب صعوبة في فهم ما يراد منه .

4 — الحل هو الاكثار من تأليف الكتب الجامعية باللغة العربية والاكثار من ترجمة المراجع من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية .

5 — المصطلح العلمي يمكن ترجمته الى اللغة العربية واذا استحال ذلك يمكن استعماله بلغته الاجنبية .

1 — اهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بسرعة في العالم هي عزوف ابناء العروبة عن لغتهم (ام اللغات) .

2 — ان انجع الحلول هو تشجيع العلماء والاساتذة على التأليف باللغة العربية في فروع العلم المختلفة .

3 — ان التعليم الجامعي لا يصلح الا باللغة العربية فنحن في كلية الطب حيث التدريس بالانجليزية،

أصداء الاستفتاء في المغرب

كان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي قد ارسل لطائفة من الكتاب والعلماء والمفكرين في نطاق دراسة مشاكل العربية واوضاعها جلسة اسئلة تدور حول مستقبل اللغة وطريق النهوض بها وغير ذلك . وسيتيم في الآونة الاخيرة معارض للكتاب القانوني والفنهي ، والعسكري ، والاقتصادي والعلمي في كثير من مدن المغرب . كما سبق لمجلة « المعرفة » السورية ان قامت بالقاء عدة اسئلة على الاختصاصيين ومدرسي العلوم بالجامعات في العالم العربي ، وقد نشرت في بعض اعدادها اجوبة اولئك المختصين مما ساعد كثيرا على جس النبض في سير تدريس العلوم بلغة الضاد في البلاد العربية وتبيان مستقبل الدراسات العلمية العالية في الجامعات .

وتقوم « العلم » الآن بالقاء بعض الاسئلة ولو في نطاق ضيق ومحدود على بعض الاساتذة الذين اقاموا على كاهلهم في فترات عصيبة مهمة تعليم العلوم بالعربية في المدارس الحرة . والفترة التي شهدت قيام هذه الرسالة الكبيرة انطلقت من لا شيء ، وكان الاساتذة انفسهم يقدمون خطوة ويؤخرون اخرى . فالراجع معدومة ، والرجال متكونون بلغة فرنسية محض كانت معركة جد شاقة كلفت الجهود المضيئة الى ان استطاع التعليم العلمي العربي في المدارس الحرة في النهاية ان يتحسس طريقه ويقف على رجليه فوق أرض ثابتة .

ولندخل في اجوبة بعض الاساتذة الذين وافونا بها لنعرف الحقيقة منذ البدء :

فلا اسئلة التي وجهناها لهم اربعة كالاتي :

- (1) متم بتدريس العلوم والرياضيات بالعربية في المدارس الحرة ، كيف كانت تجربة تدريس المواد العلمية لأول مرة بالنسبة لكم وللدارس المغربية باللغة العربية ؟
- (2) هل انت التجربة بنتيجة ايجابية ، واستطاع المتخرجون من تلك المدارس ان يتابعوا دراستهم العلمية عند ما انتقلوا الى مدارس متخصصة سواء في المغرب أو الخارج ؟
- (3) بعد تعريب التعليم ازدادت فرص تلقين العلوم بالعربية خصوصا وان الافواج التي تلقت العلوم باللغتين على وشك التخرج وكذلك تعريب بعض الكتب والمصطلحات العلمية وغيرها ، فهل ستلعب هذه المقدمات دورا فعالا في ارساء تعليم علمي عربي بالبلاد ؟
- (4) مارستم تعليم العلوم بالعربية وانتم مطلعون ولا شك على مشاكله . هل تحددون المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام هذه الرسالة ؟

تلاميذنا المكونون بالعربية يضاهون أو يتفوقون على تلاميذ التعليم المكونين بالفرنسية

الاستاذ ادريس عمور
عميد المدرسة العليا للمهندسين

— 1 —

والرياضيات باللغة العربية ، ورغم كوني لست متبحرا في هذه اللغة ولم اكن متضلعا فيها ، فقد تمت باعطاء دروسي الاولى في الرياضيات بالعربية حوالي — 1950

* لقد مارست خلال عدة سنين ، او على الاصح خلال اكثر من عشر سنوا ت ، تعليم الفيزياء والكيمياء

المقررة في الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، بالمعاهد الثانوية (الفرنسية) .

وبعد الاستقلال ، أصبح من الممكن ان نحدث بثانوية مولاي يوسف بالرباط اول قسم معـرب لتحضير البكالوريا الثانية في الرياضيات ، ثم حوالي سنة 1961 اولى سنة تحضيرية عليا معربة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء بالمدرسة المحمدية للمهندسين .

لقد واجهتنا في هذه المرحلة العليا من تعريب المواد العلمية مشاكل عويصة ناتجة عن عدم وجود المراجع الضرورية ، الامر الذي جعلنا نلجأ الى استعمال الحروف اللاتينية للتعبير عن الرموز في الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وسأتكلم بعد حين عن هذه الصعوبات .

— 2 —

✳ لقد كانت لهذه التجربة طبعاً نتائج ايجابية فليس المغاربة من ذوي الذاكرة المحدودة : تذكروا السنتين التجريبتين 1952 ، 1953 وما بعد سنة 1953 : بفضل تعريب المواد العلمية في الطـور الثانوي بالمدارس الحرة استطعنا سواء بالرباط ، أو سلا ، أو الدار البيضاء أو فاس الخ... ان نخلق نوعاً من النشاط في نفوس مجموعة من الشباب كانوا يظنون مستقبلهم مغلقاً عليهم وان انس فلن انسى عزة النفس التي كنت أقرأها على وجوه تلامذتي عندما كانوا يمثلون امامي قائلين : « لقد انجزنا المشكلة الحسابية المطروحة على تلاميذ ثانوية مولاي يوسف ولقد حللناها باللغة العربية لرفاقتنا ..الخ. »

وما اكثر ما واجهناه في طريقنا من عنـساد وتشكيك ! ورغم ذلك فان اقبال التلاميذ ونشاطهم بلغ شأواً كبيراً حوالي سنة 1954 — 1955 الى درجة ان كاد الامر يدفع بنا الى اخفاء برامجنا لـكـوـن المسؤولين عن التعليم آنذاك كانوا يتخوفون من مزاحمة تعليم غير رسمي وان كان لا فرق تماماً بين مستواه ومستوى التعليم الرسمي ، ويلقن باللغة العربية !

وحوالي سنة 1955 ، حصلنا على الفوج الاول من الحاملين لشهادة البكالوريا ، غير الرسميين ، وان شئت فقل (المكونين في الخفاء) (لانه كان على المدارس الحرة في ذلك العهد الا يتعدى تعليمها السنة الثالثة من الطور الثانوي) ، وقد قام الاساتذة الشرقاوي، وابو بكر ، والبكاري وغيرهم ببعض

— 1951 — وربما قبل هذا التاريخ وذلك بمؤسسة لحلو بالدار البيضاء . ولولا مثابرتي وصمودي ، ولولا ايمان مدير المؤسسة المذكورة في نجاحي في هذه المهمة لكنت عجزت عن القيام بها بعد اسبوع من التدريس : نعم ، لقد كان يبدو لي اذ ذاك من قبيل المحال من الناحية العلمية ان ابلغ لمقول تلامذتي فكرتي العلمية باللغة العربية ، حتى أدى بي الحال الى تقديم استقالتي ، غير ان المدير رفضها رفضاً تاماً وصار يشجعني ويقوي عزيمتي . فأصبحت بحض ارادتي واجتهادي أقوم بتعريب مادة الرياضيات اولا ثم الفيزياء وبعد ذلك مادة الكيمياء . ولم تكن اذ ذاك رهن اشارتي أية مراجع في العلوم بالعربية ، مما جعلني اعتد على الارتجال فقط . وكانت النتيجة ان شعرت بهذه الظاهرة : فبدلاً من ان يظهر التلاميذ نوعاً من الضجر ويعسر عليهم الامر من عـدم استطاعتي التعبير بطلاقة اللسان وايجاد اللفاظ العلمية بسهولة . فقد اندمجوا معي في هذه المحاولة واصبحوا بدورهم يبحثون معي عن المصطلحات التي تؤدي المعنى بدقة . ولم يكن ليتسنى ايجاد اللفظ قبل معرفة ما كان يرمي اليه ، وهذا البحث الاجماعي عن المصطلح المناسب كان عاملاً مهماً حمل التلاميذ على الاجتهاد في فهم الدرس النظري والتمارين التطبيقية فهما جيداً .

وقد تمنا بالبحث عن المصطلحات ، وهكذا فبعد مضي شهر ونصف من الحيرة والتردد ، اصبح في استطاعتي — رغم كوني لم اكن احسن اللغة العربية كما ذكرت آنفاً — ان أقوم بتدريس ما كان يبدو لي ذلك من قبيل المحال واعني بذلك مواد العلوم بالعربية.

وطبعاً ، خلال السنة التالية كنت ادرس باللغة العربية بنفس السهولة التي كانت تخولني اياها اللغة الفرنسية ، اقول كنت ادرس باللغة العربية كلا من مواد الرياضيات والفيزياء والكيمياء واخيراً البرامج المقررة في العلوم للسنوات الاولى من التعليم الثانوي .

ولما تمت : بهدارس محمد الخامس بالرباط حجة صديقي الاستاذ الحسين البكاري ، باتشاء السنة الثانية من الطور الثانوي الثاني ثم فتح قسم البكالوريا العصرية الاولى 1953 — 1954 ، لم نجد أية صعوبة ، لان المصطلحات الاساسية كانت هي هي ، ولم تكن لتتغير ، وبهذه الطريقة استطعنا ان نزيل من عقلية التلاميذ المعربين كل مركب نقص وذلك بتلقينهم — باللغة العربية طبعاً — نفس البرامج

فانكم لا محالة ستتمكنون في اقرب الاجال من تعريب
تعليمنا العلمي .

— 4 —

* لقد اشرت فيما سبق الى بعض الصعوبات
التي منها ما هو جسيم ، وهي :

- (1) الرجال الضروريون لهذا التعريب .
- (2) النشاط والايمان والثقة بالتعريب

وهناك صعوبات اخرى على الصعيد التقني
ينبغي التغلب عليها ، وابدأ بالقول الى ان الحلول
التي انادي بها للتغلب على هذه الصعوبات ، هي
حلول املتها علي التجارب : فاذا اردنا القيام بعمل
ناجع ومفيد ، ينبغي ان نتجنب في ميدان تعريب
العلوم كل التعصبات والانفعالات القومية او اللغوية
او غيرها ، فعلينا ان ننسى ان العلوم عالمية يسهم
فيها جميع اقطار المعمور ، فاذا كنا في حاجة الى ان
نتعرف الى ما وصلت اليه الاقطار الاخرى في هذا
المضمار ، علينا ان نعمل ايضا على ان يتمكنوا بدورهم
من التعرف على ما نقوم به نحن الاقطار العربية في
هذا الميدان . ففي الحقل العلمي اذا ، لا توجد بروج
عاجية يستحيل الوصول اليها ، وان اكبر ضرر في
نظري يمكن ان يلحق العرب المختصين في العلوم ، هو
ان يضعوا انفسهم داخل دائرة لا يمكن تجاوزها
والحل كما ذكرت ذلك آنفا : هو استعمال
الحروف اللاتينية في كتب الصيغ المتعلقة بالفيزياء
والكيمياء والرياضيات ، ابتداء من السنة الثالثة من
الطور الثانوي ، وكفى !

وهنا احكي حكايتين اشرح بهما هذا المبدأ
الاساسي او ما اعتبره مبدأ اساسيا :

كنت اقوم بتدريس مادة الرياضيات بقسم
البكالوريا الثانية المعربة في الرياضيات بثانوية مولاي
يوسف وكانت الدروس مفهومة جدا من طرف التلاميذ ،
غير اني كنت اشعر ان هؤلاء كانوا يغارون شيئا ما
من اصدقاتهم بقسم البكالوريا الثانية في الرياضيات
باللغة الفرنسية ، وذلك لان الاولين كانوا محصورين
في دائرة الدروس التي كنت القتها اياها ، اما
الاخرون ، فكانوا يتوفرون على عدة مصادر مهمة ،
وبالاخص على مؤلفات تحتوي على مشاكل حسابية
وتطبيقات منجزة باللغة الفرنسية طبعاً .

واذ ذلك ، تمت بالتجربة الآتية : اخذت
مطبوعات الرموز ومطبوعات الرموز وحدها فقط
وادخلت عليها الحروف اللاتينية وبدلاً من ان اكتب :

الاتصالات مع الاقطار الشقيقة في الشرق . وهكذا
فقد استطعنا الحصول على المصادقة والاعتتراف
ببكالوريا برزت من الخفاء . هذا ومن بين ذلك الفوج ،
فقد دخل للمغرب عدد كبير من الطلبة وهم يمارسون
الآن مهمة التدريس بمعاهدنا .

وبعد سنة 1956 ، استطاع طلبتنا الحاملون
للباكالوريا الثانية في الرياضيات الذهاب الى الخارج
علانية هذه المرة سواء لمصر او الشام .

كما سافر آخرون الى اوربا حيث تلقوا
تكويناً لغوياً في الفرنسية او الالمانية ، مكنهم
من متابعة دراستهم هناك بسهولة وقد رجعوا وهم
يحملون شهادة الليسانس في العلوم او درجة مهندس .

— 3 —

* نعم ، وبدون ادنى شك ! لقد عرفنا في الوقت
الذي لم يكن لدينا الوسائل سوى ايماننا وارادتنا .

سبق لي ان اشرت الى ذلك حيث كنا نقوم
بمفردنا بايجاد المصطلحات الضرورية ، اما الآن ،
فتوجد رهن اشارتنا لهذه الغاية قواميس مختصة ،
وكذلك طريقة منهجية للتعريب ، واكثر من ذلك ،
يمكن لنا الآن تنسيق التعريب بين سائر الاقطار
العربية .

وفي نظري ، فالتعريب في حد ذاته غير صعب ،
فليس هناك الا مشكل ، ومشكل واحد : من يا ترى
سيقوم بالتعريب ؟ ومتى سنتوفر على جميع الاطر
التعليمية القادرة على تدريس جميع المواد العلمية
ليسهل تعريبها ؟

منذ لحظة ، كنت اصرخ صرخة المنتصر : لقد
استطعنا ان نعرب في الوقت الذي لم نكن نتوفر
فيه على الوسائل الضرورية : ولكن كان الامر اذ ذاك
يتعلق بمئات او بالآلاف من التلاميذ ، اما الآن ، فقد
اصبح يتعلق بعشرات الآلاف او بمئات الآلاف من
التلاميذ .

وعليه ، فتعريب التعليم الان امر سهل من حيث
المبدأ اما من حيث التطبيق ، فقد يكاد يكون من قبيل
المستحيل ، وذلك اذا نحن اخذنا بعين الاعتبار
قلة الاطر الضرورية .

ثم هناك في نظري سبب آخر اكثر خطورة وهو
انعدام النشاط وانعدام الثقة في الوصول الى هذا
الهدف ، وعليه فاذا ما انتم استطعتم ان تخلقوا
النشاط وقوة العزيمة كما كان الامر عليه سنة 1953 ،

$$1س + 2ب + 3ج = 0$$

$$كتبت \alpha x^2 + b x + c = 0$$

وبعد مضي شهر واحد ، أصبح تلامذتي يتفهمون على مطبوعات الرموز ، لاسيما وان هذه الرموز تجعل الطالب يساير الدروس مساهمة سحرية وبغاية السهولة .

أما الحكاية الثانية ، فهي كما يلي :

حتى سنتي 1957 — 1958 ، لم يكن أحد يؤمن بصفة معقولة في تعريب قسم البكالوريا الثانية في الرياضيات . وبعد جهود جبارة استطعنا ان نحصل على الموافقة لانشاء هذا القسم .

ولما شعرت ان تلامذتي تعودوا جيدا على استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الصيغ ، طلبت — وحظي طلبي بالقبول — ان يجتازوا نفس الامتحانات

انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب ان يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكوئين بالعربية

الاستاذ العربي حصار
صيدلى ومدرس العلوم

أما بالنسبة للمدارس العربية فقد كانت التجربة طبيعية ، وأنها الشيء الذي وقف حائلا دون جدية وفعالية الدروس هو انعدام وسائل الايضاح ، وهذه المسألة تغلبنا عليها بوسائلنا الخاصة ، فمن جانبي كنت ازود جهتي بالمواد الكيماوية وكان الآخرون من جهتهم يضعون وسائلهم تحت تصرف اقسامهم وهكذا ...

ورغم كل ما ذكرت فقد علقنا آهالا كبيرة على انتصار التعليم العربي العلمي متى استقلت البلاد . وللتدليل على مدى تلك الآمال فقد كنا نحث الطلبة على التوجه الى الشرق وبالاخص سوريا لانها قريبة الينا من حيث التكوين العلمي .

✳ وعن السؤال الثاني حول نتيجة التجربة والانتقال الى متابعة العلوم في مدارس متخصصة بالمغرب والخارج أجاب الاستاذ العربي حصار على أنه يعتبر النتيجة ايجابية الى حد . فقد استطاع فعلا كثير من المتخرجين بالعربية ان يتابعوا دراستهم العلمية في الخارج سواء في الشرق كـ بعض المهندسين وهناك دكتور في الكيمياء على وشك انهاء دراسته وعدة طلبة يتابعون تعليمهم العالي في الفلاحة بالولايات المتحدة وطلبان يدرسان الآن في الجزائر احدهما في كلية الطب والآخر في كلية الصيدلة فترة تدريب

✳ فيما يتعلق بالسؤال الاول على تجربة تدريس المواد العلمية بالعربية لأول مرة بالنسبة لي فقد كانت تقريبا بطريقة الصدفة اذ في سنة 1950 تأسست ثانوية النهضة بسلا وكانت في حاجة اكيدة لاساتذة في تدريس العلوم بالعربية وبديهي أن الواجب كان يدعو اذ ذاك للتلبية والمشاركة في ارساء دعائم النهضة العلمية بالبلاد . ولبيت النداء ، وكانت مهمة صعبة وشاقة لأنني تلقيت تكويني العلمي بلغة اجنبية في مدرسة فرنسية محضة لان اللغة العربية تعتبر حينذاك لغة اجنبية . واستطعت تلبية لرغبة الاستاذ ابي بكر القادري ان اضع امكانياتي في سبيل وضع اللبنة الاولى دون ان انسى انني لم اكن مهيا للمهمة . وتنبع الصعوبات التي واجهتني اذ ذاك في عدم وجود مراجع مدرسية علمية بالعربية سواء في الطبيعيات أو الكيمياء والفيزياء . واضطرت انا والاخوان الاساتذة عمور ، والبكاري والطيب بن عمر ان نعكف على ترجمة الكتب الفرنسية . وكانت تجربة انطلقنا فيها من الصفر وسارت رويدا رويدا الى ما بعد الاستقلال ، وخرجنا من التجربة بنتيجة سارة استطعنا فيها لا اقول الانتصار وانما قهر الصعوبات العديدة . وأؤكد بهذه المناسبة انني خرجت وانما لم باللغة العربية بفضل العكوف والتدريس .

استغرقت شهرين كنت أراقبه اثناءها عن كثب واستطاع ان يقطع شوطا مهما في تدريبه) . وهناك آخرون غابوا عن ذاكرتي .

والمهم أن يتفهم المسؤولون في هذا المضمار مدى خطورة عدم قبول بعض الطلبة المتكويين عربيا في كلية الطب . ان الضرورة تقتضي فتح الباب امام من يريد منهم الانتساب الى هذه الكلية واعود لأؤكد على نقطة هامة وهي تخصيص بعض المدارس بالتجهيزات العلمية التي يحتاج اليها الطلبة . وافراد شعبة متخصصة مزودة بكل الامكانيات المتاحة حتى يتم تكوين نخبة تضطلع بالمهمة وتسير بها الى مبتغاها . اما اذا ظلت الحالة على ما هي عليه فلا شك أننا سوف لا نخرج مثقفينا وانما انصاف مثقفين !

وهناك قصر نظر في بعض الاحكام السريعة التي تطلق على نتائج البكالوريا العلمية بالعربية ، وهي غالبا ما توصف بأنها ضعيفة المستوى ، وهو طبعا حكم خاطيء لان المواد التي تجرى فيها الامتحانات واحدة ما عدا ان واحدة تقع بالعربية والاخرى بالفرنسية . وهذه مسألة لغة لا دخل فيها للحكم على المستوى .. وقد عالجت هذه المشكلة باعطاء المصطلحات اثناء الدرس باللغتين ما دام الطلبة سيضطرون استقبالا الى متابعة دراستهم بلغة اجنبية .

* ثم اجاب الاستاذ حصار عن السؤال الثالث وهو اتاحة الفرص امام تلقين العلوم العربية بعد تعريب التعليم ، فقال بان الفرص فعلا ازدادت بكيفية واسعة وربما ايضا بشكل فوضوي ! ذلك انه لزاما ان تغرد في الجهاز المدرسي شعب علمية تكون في المستوى ، متينة ومتخصصة . وستعود الانواع التي تدرس بالخارج وقد وجدت الميدان مهيئا ومتيسرا بعض الشيء ، فيستفيد منهم التلاميذ . وتكون مناسبة ثمينة لان يلعبوا دورهم المعلق عليهم وهو دور مهم وفاصل حيث سيقفز التعليم العلمي خطوات واسعة الى الامام .

ثم اعطى الاستاذ حصار بعض الامثلة عن المتقدمين للمدرسة العليا للاساتذة وتأسف لهبوط المستوى ، كما انه اطلع على تصحيح بعض المواد لمباراة الدخول للمدرسة فهالته مختلف الاجوبة ، والمستويات ومرد ذلك الى التكوين الضعيف الذي يعطى للطلبة وهو لا يبشر بخير في المستقبل . والذين يتخرجون لا ينهض مستواهم الى الدرجة المطلوبة .

وفيما يخص وضع الكتب العلمية بالعربية فقد تم تأليف واخراج كتب علمية في الرياضيات على الاخص وبعض الكتب في الفيزياء والكيمياء والطبيعية للطور الاول من الثانوي . ولا زالت الشعب العلمية تحتاج اشد الاحتياج الى هذه الكتب . وافتح هنا قوسين - يقول الاستاذ حصار - لاعطي مثالا عن المفتشين الفرنسيين الذين كانوا يضعون كتباً علمية خاصة بالبلاد رغم ان الكتب الفرنسية موجودة بكثرة ويتم توزيعها على التلاميذ بالمجان . وقد وضعت كتب عربية وفق البرامج المغربية ولكن لم تنته الوزارة لهذا العمل رغم ما تتوفر عليه من الامكانيات .

اما اقتراحي لوضع الكتب فأنا الح على وضعها بطريقة علمية منظمة تتوخى الفائدة والصالح العام ، وليس بطرق فوضوية مرتجلة كما وقع بالنسبة للطور الاول من الثانوي . ولا احتاج الى القول بأن المسألة في الاخير تؤول على انها مسألة تجارية .. وهنا ولا شك تبرز مهمة مكتب التعريب .

- 4 -

* اما عن السؤال الاخير الخاص بمشاكل تعليم العلوم بالعربية فهي كثيرة كما قال الاستاذ العربي حصار : احدها في عدم وجود الكتب الملائمة والصالحة من جهة وفي عدم توحيد المصطلح العلمي في المغرب وخارج المغرب رغم ان مكتب التعريب يبذل جهودا كبيرة ولكنها تسير ببطء . فتوحيد المصطلحات العلمية من الاهمية بمكان وتظهر ضرورته كلما تعددت المصطلحات وبات عسيرا على الانسان ان يحصر مصطلحا في معنى بعينه . وهذا التعدد والاختلاف بين البلد والآخر عاق في بعض الاحيان مهمة الاتفاق على قاعدة محددة . وهذا هو الشيء الخطير امام تقدم العلوم في عالمنا العربي .

وختم الاستاذ حصار جوابه بقوله : يعيب كثير من الناس علينا أننا متعصبون للغة العربية ، والحقيقة أننا متعصبون لان العربية لغتنا ، ورغم ما قيل فيها ستبقى اللغة الحية لانها ساييرت وتسير مسيرة العصور المتقدمة . ونقطة الضعف هنا ان يقوم العرب بواجبهم كاملا وعلى احسن حال . وسيظهر الزمن انها لغة صالحة وستبقى صالحة . حقيقة ان العربية ربما اصابتها فتور او حصر الا ان الانسان مهما توانى فانه سينهض من كبوته ويستمر في السير الى الغاية المتوخاة .

الكتب العربية في العلوم أقل مستوى من الكتب العلمية العربية

الأستاذ أحمد الأخضر
جامعة محمد الخامس (الرباط)

— تأليف مراجع من طرف المختصين كان يؤلف كل متخصص في شعبته . فكيف سيكون هذا التأليف أو الوضع بدوره ؟ من المعلوم ان المراجع تنقسم الى قسمين رئيسيين : (1) قسم توضيحي ، مروج للعلوم (2) وقسم البحث المتخصص . ويمكن فيما يخص القسم الاول اعني القسم التوضيحي ان يضطلع به اي كان ، لكن بالنسبة للقسم الثاني اي التخصص ، فالامر صعب لانه ميدان عميق . وهنا يبرز دور الترجمة ومن المهم جدا ان يشجع التأليف والترجمة والنشر .

ثم نفي الأستاذ الأخضر بعد ذلك الراي القائل بأن تقدم البلاد في الميادين الاقتصادية والاجتماعية كنفيل بتقدم التعليم كان التعليم نتيجة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي بينما يقول الأستاذ الأخضر الحقيقة ان التعليم هو محرك التقدم الاقتصادي والاجتماعي وهو الاساس الذي يبنى عليه أي تقدم كيفما كان نوعه . وسأضرب مثالا : هناك اسم عربية غنية تجلب الاختصاصيين والعلماء الاجانب والفنيين لاطلاق الصواريخ ، لماذا ؟ لانهم اكثر ثكاء من العرب ؟ لا لانهم فقط متخصصون اكثر من التخصص في مستوى اعلى . نحن طبعا متخلفون وهذا معناه أننا يجب تدارك هذا التخلف ، والتخلف يقدر بالنسبة للأشياء اي بلا مقياس ، وهذا المقياس هو المستوى الذي توجد عليه الامم الراقية . الا ان الامم الراقية تتقدم بسرعة مذهلة لا يمكن بتاتا ولو مواكبتها ، فلو أردنا تبثيل ذلك فنستقول : ان الدول الراقية تتقدم بسرعة نسبيها (س) فلتدارك تخلفنا يجب ان نتقدم بسرعة (س) بمعامل 2 او 3 او 4 ولكن تقدمنا حسب ما هو عليه التعليم اليوم يسير بسرعة س مقسومة على اثنين ، اذن فلن نتدارك ذلك التخلف ما لم نعمل حينا وبدون تردد على رفع مستوى التعليم .

ثم اجاب عن السؤال الرابع وهو تحديد المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام تعليم العلوم فقال: بصفة عامة تقف امام تقدم اللغة العربية ثلاث مراقيل :

الاولى : مشكلة اصلاح حروف الطباعة بالعربية ، وهذه المشكلة حلت عندها في المغرب

ونشرت جريدة «العلم» بحثا للأستاذ أحمد الأخضر في نطاق الاستفتاء جاء فيه :
انه من السهل البسيط جدا تلقين العلوم بالعربية وبمصطلحات عربية فصيحة في مستوى اية لغة راقية . ولكن دون اغفال الاساس وهو تهية المعدة اي الادوات الفنية للتقنية لتدريس العلوم في نفس المستوى وكرر والح على هذه العبارة « وهي في نفس المستوى » .

تعليم بلا مراجع .. يعتبر ناقصا

ثم اجاب الأستاذ أحمد الأخضر عن السؤال الثالث حول ازدياد فرص تلقين العلوم بالعربية وتدريسها بالعربية بأن هذا امر طبيعي لكن بشروط :
(1) التخصص وهو ان يتخصص كل مغربي في فرع من العلوم يعني ان يتقن تخصصه ثم بعد ذلك ان يفرغ معلوماته في لغته العربية . وبذلك تتوفر على المراجع العلمية التي تعوزنا . ومن المعلوم ان الكتاب المدرسي محدود القائمة فتلاميذ المدارس الحرة الذين يتعلمون الرياضيات والفيزياء والكيمياء والطبيعات بالعربية يفتقرون اولا الى كتاب علمي مدرسي في هذه المواد . واذا كان هناك كتاب في هذه العلوم فانه منخفض المستوى بالنسبة الى الكتب العلمية الاجنبية . وثانيا ، ليست هناك فرصة البتة للتلاميذ لتوسيع او تركيز تلك المعلومات التي يتلقون مبادئها في القسم واعني المجلات والكتب والدوريات العلمية المبسطة في العربية .

ولابد في هذا المجال من القيام بعبء تأليف الكتب المتوالية في اللغة العربية لان تعليمنا بدون مراجع يعتبر ناقصا . واذا نحن استنجدنا بالبلاد العربية فسنجد ان حصيلتها في هذا الميدان هزيلة لان الكتاب المدرسي العربي متخلف عن الكتاب الاوربي بما يتعدى 60٪ واذن فمن اللازم والاكيد اعادة النظر في تأليف الكتب المدرسية وتاليفها يجب ان يراعي بدوره المستوى الذي عليه الكتب في البلاد الاوربية .

(2) عدم توفر المراجع ، فنحن فقيرون جدا في هذا المجال مع انها اساسية فما العمل اذن ؟ يجب القيام بعملين نمورا :

بالمشروع المغربي المعروف الذي تبنته الحكومة وأصبح في يدها من حيث الاستغلال .

الثانية : مشكلة المصطلحات العلمية والتقنية ، وفيما يرجع لهذه النقطة ما زال العالم العربي يتخبط في مسالكها .

أما مشكل المصطلح العلمي في العالم العربي فانه أتى أولا : من عدم التوحيد ، وعدم التوحيد يأتي من عدم التمسك بالفصحي ، وللتدليل على ذلك هذا المثال: فقد وضع باحث لغوي عربي للفظـة الفرنسية La voix لفظـة « حس » شارحا بأن لفظـة « حس » شائعة في بلاده وتعني صوت الحلق ، وهو ما يقابل عندنا في عابيتنا لفظـة « حلق » عندما نقول مثلا : سمعت حلقه ، والكلمة موجودة عند الجاحظ حيث قال : « ان الصقالية لهم حلق جميلة في الغناء » فالحلق أذن عندنا وهي فصيحة ولكن مع ذلك استعملت لفظـة « حس » .

وثانيا : عدم التحري والدقة في الفصحي عند انتقاء الالفاظ ومثال ذلك : لفظـة « اينسبرج » وهي لفظـة المانية بمعنى « جبل منفرد » ترجموا هذه الكلمة « بجبل مفرد » و « جبل منعزل » و « الطود » الخ. والتجاوز أخيرا الى لفظـة « انسبرج » مع ان في « المخصص » لابن سيده كلمة : القرن : هو الجبل المنفرد .

وثالثا : عدم الدقة في فكرة المصطلح ، ونجد مثلا لذلك في لفظـة « ركام » العربية التي لها مصطلحات كثيرة « كالمورين » الفرنسية و « الكاو » الفرنسية و « الأما » و « الطا » كلها تقابل « ركام » الخ، وهناك من يقول بان كلمات كثيرة في الفرنسية لها معان مختلفة وان كان اللفظ واحدا فمثلا : pecu جلد الفرنسية لها معان كجلد الانسان واللييون وغيره وهذا مقبول وموجود في اللغة المتداولة لكنه غير مسموح به البتة في اللغة العلمية ، فلفظـة الجلد الفرنسية وهي لفظـة عامة تطلق على معان مختلفة في العلوم ولكل مفهوم لفظ خاص .

والتواميس تعطي في اللغات الاوربية معنى محددا للكلمة لا يحتل نسخه او تبدله ليحل مكانا آخر .

وكذلك هناك عدم البحث عن الاصل الحقيقي للمصطلح ، ومن الامثلة على ذلك حرف «س» الذي يستعمل في الجبر في بعض المدارس فقد ترجموها عن

حرف « x » الفرنسية التي اخذت بدورها عن « x » الاسبانية التي بدورها ترجمت عن حرف الشين العربية التي تدل على الشيء الذي يبحث عنه . فيجب اذن كتابة ش لا س لان ش معناها شيء ، وس ليس لها معنى .

والمشكل الثاني للمصطلحات وهو أنه يجب الاختناع بان اللغات الاوروبية فقيرة جدا بالنسبة الى وضع المصطلحات العلمية ، لذلك لا تجد غضاضة في الالتجاء الى الاخذ من الالفاظ اللاتينية واليونانية .

والصعوبة الثانية آتية من عدم مسايرتنا للمصطلحات يعني اتنا لا نضع في الحين والتو المقابل العربي للمصطلح الاوروبي وكمثال على ذلك : في المصطلحات العلمية الدولية توضع الفاظ قبل جلب المصطلح وبعده للدلالة على معان موحدة متنوعة وتسمى بالعربية تارة بالمتصدرات والمتطرفات او السوابق واللواحق او الاماميات والخلفيات الخ كـ: sous و infra و hypo من السوابق و ite و ique و euz و ose و sie الخ. من اللواحق . ومن المعلوم ان لكل لفظـة معنى خاصا ، فلو وضع العالم العربي من اول الامر المقابلات العربية لهذه الحروف لما أصبحنا اليوم امام هذه البلبلة المؤسفة سيما وان العلم يتقدم بسرعة فائقة والمصطلحات توضع بسرعة لا تقل عنها . ولا اخفي سرا اذا قلت بأنه توضع اليوم قرابة الخمسين لفظـة جديدة في كل شهر .

ففي ميدان التقنية بالضبط يوجد معجم انجليزي فرنسي متقابل للمصطلحات التقنية خاصة بالمهندسين والهندسة فقط من تأليف « كيتريدج » به 100 ألف مصطلح بينما نجد في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اترها مجمع اللغة العربية في مختلف العلوم ، في القانون والطب والكيمياء والرياضيات والهندسة ، والبيولوجيا وعلم الصحة ، والباكتريا والتشريح وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الطباعة وعلم التصوير وعلم التاريخ ، والفلسفة والموسيقى وكل العلوم نجد 11.334 لفظـة . ولو ازادت مجامعنا ان تضع معجما كالذي اشرنا اليه بالسرعة التي تسير عليها لتطلب منها ذلك قرنا ونصف قرن من الزمان . فهل من يتعظ ؟ وهل من يرى الحقيقة على وجهها الواقعي ؟

« والتينا على الاستاذ الاخضر سؤالا آخر »

ثالثا : - واثناء ذلك - تجريد القواميس العربية وكتب اللغة وتصنيف موادها تصنيفا ترتيبيا حسب المعاني وحسب الحروف .

والعمل الاخير يعني تجريد القواميس وكتب اللغة - وهو العمل الذي سبق وضع المصطلحات وذلك للمحافظة على وحدة اللغة العربية وجعل العربية المعاصرة نكلة للعربية الفصحى حتى لا يتع انفصال بين عربية اليوم وعربية الامس ..

وفي الحقيقة فان التجريد هو نقطة البداية، ونحن مضطرون الى العمل بالاثنتين: وضع المصطلحات والتجريد . لان اللغة تتجدد وتصلح ما فاتها .

ويدهي انه لا يفهم من هذا كله ان مثل هذه الاعمال لا يستطيع شخص واحد ان يقوم بها .

الا ان مما يرتاح اليه الضمير ان المقسرب بجراته في دراسة اللغة العربية على حق وجهها واثارة الفبار عن افكار جامدة ، فانتنا نلاحظ اليوم في العالم العربي حركة ونشاطا في وضع المعاجم وفي التعريب كانت انطلاقا لدعوة المغرب في هذا الميدان . لان المغاربة يشددون على انفسهم كما يشددون على غيرهم غايتهم في ذلك الوصول الى العمل المتقن لا المهلهل . كما انهم ينتقدون ذاتهم ويضعون امامهم الحقائق وان كانت مرة، ولكن شجاعتهم لمجابهة المشاكل لما ينبىء بمستقبل زاهر للغة العربية ولمستوى التعليم العربي » .

اما المشكل الثالث وهو تبسيط النحو ، ففي الحقيقة ليس بمشكل لان اللغات الاوربية عموما ليس لها نحو بمعنى قواعد قياسية . فاللغات الاجنبية لا تكتسب الا بالسماع والممارسة . اما اللغة العربية فلها قواعد منها الثابت ومنها غير الثابت ، والثابت منها اكثر من غير الثابت ، ولها اوزان وتصاريف منطقية ، ولها قوالب قياسية . فهي من هذه الناحية اسهل اللغات ولكن الشيء الذي يشتكي منه اولئك الذين يتهمونها بصعوبة النحو هو ان اللغة العربية لا تعلم في المدارس كما يجب ان تعلم والعيب كله ليس في النحو العربي ولكن : اولا : في الابواب الضرورية للنحو ، وثانيا : في كيفية ومنهج التدريس .

مضمينه اننا نسبع بوضع معاجم وموسوعات ودائرات معارف ولا زالت توضع الى الآن في العالم العربي .

واجاب الاستاذ الاخضر : « لا اعرف في العالم العربي ان هناك دائرة معارف بمعنى الكلمة انتهت العمل منها ولا موسوعة اكتملت او انجزت ، انما هناك شبه دائرات معارف وشبه موسوعات مع عدم اغفال ان احسن موسوعة تظهر الآن هي موسوعة فؤاد افرام البستاني ، التي لم يصدر منها الى يومنا هذا الا خمسة اجزاء من حرف «ا» الى العين او الغين اظن .. ولماذا هذا كله ؟ لان دائرة المعارف او الموسوعة هي مجموعة معاجم مختصة وتامة ، وبما اننا لم نضع الى يومنا هذا معاجم مختصة تامة ، فلا يمكن لاية موسوعة في العلوم ان تكتمل .. وهذا يعني اننا ابتدانا من حيث انتهى الآخرون !

اما اصحاب المعاجم فلم يخرجوا الى حد الآن الا ما يسمى بمضغفات المعاجم .

والحل اذن امام المصطلحات هو :

اولا : للمحافظة على المستوى يجب ترجمة الكتب المدرسية - لا وضعها - ترجمة وافية مخرصة صادقة امينة ومسايرة جملة جملة مدركا مدركا ومفهوما مفهوما بدون الفرار من المصطلحات ولو ادى ذلك الى استعمال المصطلح الاجنبي موقتا للمحافظة على اللون المعاني كما فعلت الامم الاوربية قبلنا اذ ترجمت الكتب المدرسية الفرنسية الى لغاتها بادخال المصطلحات الفرنسية ، وتخرجت افواج في المستوى قامت بتأليف كتبها المدرسية في المستوى ايضا .

ثانيا : وضع المعاجم المختصة في اقرب وقت وبدون تردد . وعرضها على مؤتمرات دورية بالبلاد العربية بعد توزيعها من قبل على الهيئات المختصة.

نجاح التجربة السورية في تعريب التعليم الجامعي

الدكتور عبد الله واثق شهيد

لقد كان القطر السوري الشقيق اسبق الاقطار العربية الى تجربة التعريب العلمي في سلك التعليم العالي ولاسيما في الدراسات الطبية ، وقد نجحت تجربته الى حد كبير يدل عليها الكمية الوافرة من الكتب المؤلفة في مختلف شعب الطب وفروعه وباقي الشعب العلمية، وما زالت سوريا الشقيقة سائرة في هذه الطريق .

وقد وردت على المكتب الدائم للتعريب من الدكتور عبد الله واثق شهيد وزير التعليم العالي في سوريا رسالة توضح اهداف وزارة التعليم العالي في حقل تطوير اللغة العربية وتطويرها ورفع مستواها العلمي واحلالها المكانة المرموقة التي كانت لها في الماضي على الصعيد العالي وهذا نصها :

- وبعد فان من مهام وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية :
- الحفاظ على سلامة اللغة العربية والسهر على صيانتها ، لتقوم بدورها الفعال في جمع شمل الناطقين بها .
- والعمل على تطويرها ودفعها الى مراتب الكمال لتكون في مستوى اللغات الحية التي تنامي متطلبات العصر وحاجاته ، وتستوعب ما ينبثق عنه من علوم وفنون وما يستجد فيه من اختراعات واكتشافات .
- ووضع المصطلحات العلمية الآخذة بالازدياد يوما بعد يوم .
- والسعي الى توحيدها وتنسيقها في الاقطار العربية قاطبة .
- وبذلك يتصل حاضر هذه الامة بماضيها المجيد، فننتقل وهي تحمل مشعل المعركة ليشع على العالم من جديد بما اشع عليه في غابر الزمان .
- ولما كنتم قد سلكتم هذا الطريق قبلنا ، وخطوتم فيه الخطوات الفساح .. نبعث اليكم بكتابنا هذا آملين ان يكون الاتصال بيننا وبينكم وثيقا في هذا المجال ، ورايين ان تقوموا بتزويدنا بما صدر عنكم من معاجم ونشرات في هذا السبيل ، وبامدادنا بمجلتكم الزاهرة - اللسان العربي - لنقتبس من هذه وتلك ما ينير طريقنا ، وبأخذ بيدنا لنصل الى الغاية المنشودة في اقرب فرصة ، واقوم سبيل .
- والجهود عندها تتضافر لتساعد على اختصار الطريق ، واجتياز العقبات ، وبلوغ القصد ، ووحدة الاهداف .
- والفضل للمتقدم كما قيل .

المصطلحات العسكرية

الأستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي
وعضو اللجنة الجمعية بالرباط

توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية (1)

تتكلم الجيوش العربية لغات عربية مختلفة ، لاستعمالها مصطلحات عسكرية مختلفة ، مما يحول دون تعاون هذه الجيوش الشقيقة في السلم والحرب. في أيام السلام ، يصعب على الجيوش العربية ، تبادل المؤلفات العسكرية والخبرات ، لان فهم تلك المؤلفات ، والاستفادة من تلك الخبرات ، يحتاجان الى توحيد المصطلحات العسكرية .

وفي أيام الحرب ، يصعب التفاهم بين الجيوش العربية لنفس السبب ، مما يحول دون تعاونها كما ينبغي في الميدان .

ولا يصح ابدًا السكوت الى الابد عن هذا

التناقض الشنيع في المصطلحات العسكرية المستعملة في الجيوش العربية ، ما دامت هذه الجيوش تتكلم لغة واحدة هي لغة القرآن الكريم .

وهناك محاولات لتوحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية ، ما دامت هذه الجيوش تتكلم وبمعاونة مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق والمجمع العلمي في بغداد .

وحتى تؤتي تلك المحاولات ثمراتها مرتين ، سأحاول عرض قسم من المصطلحات العسكرية في مجلة: « اللسان العربي » الغراء ، لعل المغرب العربي خاصة والبلاد العربية عامة تفيد منها .

والله المعين ، وهو المستعان ، وهو الذي يتولى الخلقين للغة القرآن العظيم بالتأييد والتسديد .

(1) انظر التفاصيل في كتابنا : المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم (1/ 23) - بيروت - دار الفتح - 1966 ، وانظر العدد الرابع من هذه المجلة (154 - 160) .

RANKS

1 - الرتب

Lieutenant 2nd	ملازم ثان
Lieutenant	ملازم
Captain	نقيب
Major	رائد
Lieutenant Colonel	مقدم
Colonel	عقيد
Brigadier	عميد
Major General	لواء
Lieutenant General	فريق
General	فريق اول
Field Marshal	مشير
Soldier	جندي
Lance Corporal	جندي اول
Corporal	عريف
Sergeant	رقيب
Sergeant major	رقيب اول
Warrant officer	نائب ضابط

APPOINTMENTS

2 - المناصب

Acting	نائب
Adjutant	المساعد
Assistant-adjutant	مساعد ضابط ركن الوحدة
Assistant-adjutant and quarter master general	مدير الادارة والميرة
Assistant director of medical service	معاون مدير الامور الطبية
Assistant judicial advisor	معاون القضاء العسكري
Brigade major	مقدم اللواء
Chaplain	الامام (الرجل الديني في الجيش)
Chemical	الكيميائي
Chief engineer	آمر هندسة الفرقة
Chief of staff	رئيس الاركان
Clerk	الكاتب
Commander	القائد
Commander in chief	القائد العام للقوات المسلحة
Commander of administration platoon	آمر فصيل الشؤون الادارية
Chief army supply corp	آمر تموين ونقل الفرقة
Chief army ordnance corp	معاون آمر عينة الفرقة
Chief electrical mechanical engineering	معاون مدير الهندسة
Commander of royal artillery	آمر مدفعية الفرقة
Deputy adjutant quarter master general	معاون مدير الادارة والميرة
Deputy assistant adjutant general	وكيل معاون مدير الادارة

Deputy assistant adjutant and
quarter master general
Deputy assistant provost
marshal
Director
Directorate of canteens and army
clubs
Divisional accountant officer
General staff officer 1st grade
General staff officer 2nd grade
General staff officer 3rd grade
General staff
Intelligence officer
Light mortar team commander
Mechanical transport officer
Mortar platoon commander
Non-commissioned officer
Officer
Officer commanding
Officer commanding of defence
and employment
Officer commanding of divisional
headquarter company
Officer commanding of head-
quarter company
Officer commanding of rifle
company
Officer commanding of support
company
Other ranks
Pay master
Platoon commander
Quarter master
Regimental quarter master
Regimental sergeant major
Section leader
Signal platoon commander
Staff officer administration
Staff officer quarter master

وكيل معاون مدير الادارة والميرة

آمر الشرطة العسكرية للفرقة

المدير

مديرية حوانيت ونوادي الجيش

ضابط حسابات الفرقة

ضابط الركن الاول عمليات

ضابط الركن الثاني عمليات

ضابط الركن الثالث ادارة وميرة .

ضابط ركن استخبارات الفرقة .

ضابط الاستخبارات

آمر مفرزة الهاون (2) عقدة

ضابط النقل الآلي

آمر فصيل الهاون

ضباط الصف

الضابط

الامر

آمر فصيل الدفاع والواجبات

آمر سرية مقر الفرقة

آمر سرية المقر

آمر سرية المشاة

آمر سرية الاسناد

المراتب الاخرى

ضابط الرواتب

آمر الفصيلة

ضابط الاعاشة

نائب ضابط اعاشة

نائب ضابط تعليم

آمر حضيرة

آمر فصيلة المخابرة

ضابط ركن الادارة

ضابط ركن الميرة

3 - الوحدات والتشكيلات والمقرات

Adjutant general directorate
Administration affairs department
Air college
Air force
Air force command
Air technique school
Anti tank platoon
Armour
Armour directorate

مديرية الادارة

دائرة الامور الادارية

كلية الطيران

القوة الجوية

قيادة القوة الجوية

مدرسة الصنائع الجوية

فصيلة مقاومة الدبابات

الدروع

مديرية الدروع

Armour training centre	مركز تدريب الدروع
Army	الجيش
Artillery	جحفل الجيوش
Army group	المدفعية
Artillery directorate	مديرية المدفعية
Artillery school	مدرسة المدفعية
Assault pioneer platoon	فصيلة الصولة
Atomic and technical war-fare school	مدرسة الحرب الذرية الكيماوية
Battalion	الفوج
Battery	البطارية
Branch of exercise and manœuvres	شعبة التمارين والمناورات
Branch of provision and armament	شعبة التجهيز والتسلح
Brigade	اللواء
Brigade group	جحفل اللواء
Cavalry	الخيالة (الفرسان)
Chemical warfare directorate	مديرية الحرب الكيماوي
Company	السرية
Committee	الهيئة
Contract and purchases directorate	مديرية العقود والمبايعات
Corps	الفيلق
Defence council	مجلس الدفاع
Detachment	المفرزة
Directorate	المديرية
Directorate of music	مديرية الموسيقى
Division	الفرقة
Education branch	شعبة الثقافة
Electrical and mechanical engineering directorate	الهندسة الآلية الكهربائية
Engineering	الهندسة
Engineering directorate	مديرية الهندسة
Engineering school	مدرسة الهندسة
Force	القوة
Formation	التشكيل
General operation branch	شعبة العمليات
General plans branch	شعبة الخطط العامة
General staff department	دائرة الأركان العامة
General staff duty	شعبة التنظيم والذاتية
Group	الجحفل
Infantry	المشاة
Infantry directorate	مديرية المشاة
Infantry school	مدرسة المشاة
Infantry traing centre	مركز تدريب المشاة
Information branch	شعبة المعلومات
Judicial adviser office	مديرية القضاء العسكري
Mechanical transport directorate	مديرية النقل الآلي
Medical	الخدمات الطبية

Military accountant general office	مديرية الحسابات العسكرية العامة
Military cassation court	محكمة التمييز العسكرية
Military college	الكلية العسكرية
Military intelligence directorate	مديرية الاستخبارات العسكرية
Military intelligence school	مدرسة الاستخبارات العسكرية
Military operation directorate	مديرية العمليات العسكرية
Military physical training school	مدرسة التدريب الرياضي العسكرية
Military police	الشرطة العسكرية
Military training directorate	مديرية التدريب العسكري
Military security branch	شعبة الامن العسكري
Military works	الاشغال العسكرية
Ministry defence	وزارة الدفاع
Medium machine gun platoon	فصيلة الرشاشات المتوسطة
Naval base	القاعدة البحرية
Office of the chief of general staff	رئاسة اركان الجيش
Office of ministry	سكرتارية الوزارة
Ordinance	العينة
Ordinance courses	دورات العينة
Paratroop	المظلات
Paratroop school	مدرسة المظليين
Physical training branch	شعبة التدريب الرياضي
Platoon	الفصيلة
Production directorate	مديرية الانتاج
Professional training centre	مركز التدريب المهني
Professional training centre for cutting metal	مركز التدريب المهني لقطع المعادن
Provision directorate	مديرية التجهيز
Quarter master directorate	مديرية الميرة
Radar school	مدرسة الرادار
Recruitment	التجنيد
Reserve officer's college	كلية الاحتياط
Section	الحضيرة
Senior officers school	مدرسة الضباط الاقدمين
Signal	المخابرة
Signal directorate	مديرية المخابرة
Signal school	مدرسة المخابرة
Staff college	كلية الاركان
Station command	قيادة موقع
Statistics branch	شعبة الاحصاء
Supply	التموين
Supply and transport	التموين والنقل
Supply and transport directorate	مديرية التموين والنقل
Supply and transport school	مدرسة التموين والنقل
Transport	النقل
Translation and publication branch	شعبة الترجمة والنشر
Troop	الرعييل
Unit	الوحدة
Veterinary	الخدمات البيطرية

مَصْطَلَحَاتُ الرِّيَاضِيَّاتِ اَلْحَدِيثَةِ

الدكتور محمد واصل الظاهر

عميد كلية العلوم بجامعة بغداد

المصطلحات العلمية المقابلة للكلمات المستجدة في العلوم ميسورا .

ولقد انحصر معظم ما اقترته المراجع اللغوية من الاصطلاحات العلمية ، وخاصة في حقول الرياضيات، في الكلمات المستعملة فقط في مبادئ العلوم والرياضيات . كما ان بعض هذه المصطلحات قد جاء ركيكا من الناحية اللغوية وبعيدا عن المعنى الدقيق من الناحية العلمية ، وسبب ذلك ان معظم الباحثين ، من المتخصصين في العلوم والرياضيات ، لا يجيد اللغة العربية اجادة حسنة ، كما ان بعضا منهم يقتنع بالدعوة القائلة بوجود استعمال المصطلحات العلمية كما جاءت في لغتها الاجنبية . وهم بذلك يبتعدون عن روح البحث والتتبع ، وكل هذا مما يؤدي الى ادخال كلمات نائية في اللغة العربية كما هي الحال باستعمال اصطلاح (الهندسة الهيبرولية) بدلا من (الهندسة الهذلولية) مقابل hyperbolic geometry او استعمال كلمة (كونفجريشن) بدلا من (تشكل) مقابل كلمة Configuration . ومن ناحية اخرى ، نجد ان علماء اللغة الذين وضعوا بعض الكلمات العلمية لا يعرفون الرياضيات العليا واصولها وفلسفتها ، ولذلك وردت هذه الكلمات بعيدة عن معانيها الدقيقة كما يظهر ذلك في استعمال كلمة (نهاية) مقابل limit والاصح استعمال كلمة (غاية) ، لانها اقرب الى المعنى . ان اشتراك العالم اللغوي مع المتخصص

للمصطلحات العلمية اهمية بالغة في التعليم والتأليف باللغة العربية . ويواجه المؤلفون العرب في العلوم والرياضيات صعوبات عديدة في ايجاد المصطلحات العربية المقابلة للمفاهيم العلمية الحديثة. ولذلك يرى البعض منهم ان يكون التعليم العالي في العلوم باللغات الاجنبية ، كما يجد بعض آخر افضلية في استعمال المصطلح العلمي كما ورد في لغته الاجنبية الاصلية . ونحن حين ندعو الى صوغ المصطلحات العلمية باللغة العربية ، لا نعني الاستغناء عن اللغات الاجنبية في تتبع التطورات العلمية الحديثة لان ذلك امر ضروري لتقدم الامة ورقبها . فما زال العلماء والباحثون في الدول الراقية يتعلمون لغة او اكثر ليتكفوا من متابعة ما ينشره العلماء في الدول الاخرى وبذلك يقتفون على آخر التطورات في الحقول العلمية

ان النقص الملحوظ في الكتب العلمية المدونة باللغة العربية ، وخاصة في حقول الرياضيات ، لا يعود الى نقص في اساليب التعبير وطرق الاشتقاق في اللغة ، وانما يعود الى قلة المؤلفين العلميين الذين يحسنون قواعد اللغة واساليب التعبير فيها من جهة، وإلى قلة المتعلمين الذين يرغبون في تعلم العلوم والرياضيات من جهة اخرى . ان الصفات المتوافرة في لغتنا العربية من حيث اصول التعبير ومرونة الصياغة وطرق الاشتقاق تجعلها صالحة للتعبير عن ادق المعاني العلمية . ان هذه الثروة الهائلة في صيغ الاشتقاق تجعل امر وضع

(1) نشر في العدد الرابع آب 1966 من مجلة اللسان العربي .

المصطلحات العربية الا اذا حتم المعنى والذوق استعمال الشواذ .

وحين نتقدم بهذه القائمة بالمصطلحات الهندسية الحديثة ، نرجو ان تنقد نقدا دقيقا ليبقى منها ما يتفق مع المنطق الصحيح والمعنى الدقيق والذوق السليم ، ويهمل ما يناقضها وبذلك تعود اللفظة العربية لغة علمية كما كانت في السابق .

Affine geometry	هندسة افينية
Affine coordinates	احداثيات افينية
Affine line	خط افيني
Affine plane	مستوى افيني
Asymptotic triangle	مثلث مثالي
Axiom	بديهية او فرضية او مصادرة
Axiom of Archimedes	مصادرة ارخميدس
Axioms of Congruence	مصادرات التطابق
Axiom of Continuity	مصادرة الاتصال
Axioms of incidence	مصادرات الموقع
Axioms of order	مصادرات الترتيب
Billinear	خطائي
Billinear form	صيغة خطائية
Billinear transformation	تحويل خطائي
Binary operation	عملية اثنائية
Binary relation	علاقة اثنائية
Binormal	عموداني
Cardioid	قلبي
Catenary	مقوس
Class	صنف
Commutative law	قانون الابدال
Compass	الدوار
Completeness	تامة
Configuration	تشكل
Configurational proposition	قضية تشكيلية
Consistency	وئام ، تناسق
Consistent axioms	مصادرات متوائمة او مصادرات متناسقة
Correlation	ترابط
Dual	ثنائي
Dual configurations	تشكلات ثنائية
Duality principle	مبدأ الثنائية
Dual spaces	فضاءات ثنائية
Doubly asymptotic triangle	مثلث مثالي الرأسين
Equivalence	تكافؤ
Equivalence relation	علاقة تكافؤية
Field	حقل
Graph	تخطيط
Graph theory	نظرية التخطيط
Group	مجموعة
Horocycle	سائبة

بالعلوم او الرياضيات في صوغ المصطلحات العلمية لا يؤدي الى الحصول على افضل النتائج . ولئن امكن ذلك في فروع الرياضيات الاولى ، فهو امر غير ممكن في فروع الرياضيات الحديثة نظرا لتعقدها وتعذر فهمها من قبل غير المتخصص . وقد يتوافر بعض المصطلحات في مبادئ العلوم والرياضيات ، اما في فروع الرياضيات العليا فمن النادر العثور على مصطلح في اللغة العربية .

ولذلك فقد حاولنا وضع قائمة بالمصطلحات الرياضية الحديثة لتكون بين ايدي المؤلفين والباحثين من العلماء العرب ، علها تبعث فيهم الرغبة في التعليم والتأليف والترجمة باللغة العربية . وبذلك يعملون على اغناء المكتبة العربية بالنظريات الحديثة . وفي القائمة المرفقة زهاء خمسين مصطلحا في الهندسة الحديثة ، واملنا وطيد ان نتبعها في المستقبل بقوائم أخرى في الهندسة والجبر ونظرية الطقوس وغيرها . ولقد راعينا في صوغ هذه المصطلحات ثلاثة عوامل اساسية هي : دقة المعنى وسلامة اللغة وجمال التعبير . وبعبارة أخرى ، فقد راعينا اعتبارات منطقية ولغوية وذوقية . وقد توخينا ، قدر الامكان ، ان تبقى الروابط اللغوية كما هي في المعنى كالرابطة بين المضاف والمضاف اليه او الصفة والموصوف . ونحن نعتقد بوجوب الرجوع الى المؤلفات العربية القديمة عند وضع مصطلح علمي جديد . ففي الكتب القديمة مصطلحات علمية كثيرة استخدمها الاوائل في بحوثهم ومؤلفاتهم وعلينا ان نعمل على نشرها للمحافظة على الصلة بالماضي ولتجنب التكرار والارتباك وضياح الجهود ولا سيما اذا كانت الفاظ الاوائل ادق واجمل . فقد استعمل الباحثون العرب لفظة (ماخوذة) مقابل كلمة lemma التي تعني نظرية صغيرة ، وهي لفظة جميلة وتؤدي المعنى وعليه نوصي باستعمالها . وكذلك استعملت كلمة (مصادرة) مقابل لفظة axiom ولا نرى بأسا من استعمالها الى جانب كلمتي (بديهية) و (فرضية) لانها مشتقة من (مصدر) وهو اصل المشتقات وكذلك شأن العبارات الواردة في (المصادرات) او (الفرضيات) فانها اصل العلوم الرياضية . ونرى ان ادخال كلمات جديدة الى اللغة العربية يغنيها بثروة جديدة . ففي لفظة (تنسر) المقابلة لكلمة Tensor مطاوعة للفظ والاستقاق مثل كلمتي (راديو) و(تلفون) ، ولذلك لا نرى ما يمنع من استعمالها في اللغة العربية . ومن الضروري التقييد بقواعد اللغة عند وضع

Parabola	شلجي	Hyperbola	هزلول
Parabolic geometry	هندسة شلجية	Hyperbolic geometry	هندسة هزلولية
Parabolic projectivity	اسقاط شلجي	Hyperbolic functions	دوال هزلولية
Parameter	بارامتر	اسقاط هزلولي او اسقاط هزلولية	
Parametric equations	معادلات بارامترية	Hyperbolic projectivity	
Perspective	منظور	Hypercycle	دائبة
Perspective triangles	مثلثات منظورة	Invariant	صامد
Perspectivity	منظورية ، النظر	Invariant line	خط صامد
Polarity	تطبيقية	Invariant point	نقطة صامدة
Projective geometry	هندسة اسقاطية	Knot	عقدة
Projectivity	اسقاط ، اسقاطية	Knot theory	نظرية العقد
Elliptic projectivity	اسقاط اهليلجي	Lemma	ماخوذة
Hyperbolic projectivity	اسقاط هزلولي	Lemniscate	ربطة
Reflection	انعكاس	Lemniscate of Bernoulli	ربطة برنولي
Ring	حلقة	Limit	غاية
Scalar product	حاصل كمي	Limit point	نقطة الغاية
Skew	متخالف	Line	خط
Skew lines	مستقيمات متخالفة	Linear	خطي
Skew planes	مستويات متخالفة	Linear transformation	تحويل خطي
Set	طقم	Loop	عروة
Tensor	تنسور	Loop of a curve	عروة منحنى
Torus	طارة	Matrix	مصنف
Vector	موجه	Adjoint matrix	مصنف مصاحب
Vector product	حاصل موجه	Norm of a matrix	مقياس المصنف
Vector space	فضاء موجه	Null matrix	المصنف الصفرى
Unitary	وحداني	Transpose of a matrix	مدور مصنف
Unique	وحيد	Moebius strip	شريطة ميبوس
Unique point	نقطة وحيدة	Non-Euclidean geometry	هندسة لا اقليدية

لغتنا في خدمة الطب والعلم

للدكتور حبيب صادر

- ♦ بحث علمي في كيفية نقل العلوم الطبية والملمية العصرية الى اللغة العربية وعلاقتها بفلسفة اللغة
- ♦ أسلوب مستخلص من الترجمات القديمة والحديثة .

يعد الدكتور حبيب صادر قاموسا عربيا انجليزيا فرنسيا في علم الطب . وهو يتحدث عن ماضي المصطلحات وعلاقتها بفلسفة اللغة وحاضر هذه المصطلحات وطرق نقلها ومشكل القاموس الطبي العلمي ودقائق المصطلحات الخ..
وللمؤلف في الحقل العلمي مصنفات شتى حول الامراض المعدية وديدان البطن والامراض الداخلية وامراض التغذية وطريقة مبتكرة في شفاء الاسماك المزمن ومرض الزلال .
وقد تفضل الدكتور فاعتطف لنا من هذا المخطوط دراسات مختلفة تعطينا صورة عن جهده القيم ننشره شاكرين :

الدخيل

شبه جزيرة العرب فتولد عنها لغة حمير ، وعدنان ، وقريش التي كتب القرآن الكريم بها فعاشت بفضلها الى يومنا هذا .

ان تطور اللغة العربية لم يحصل دفعة واحدة بل انه تقدم تدريجيا وبعد ازمان متفاوتة . والتطور يرافق عادة انتشار اللغة لذلك لاحظنا ان هذه اللغة قد اتسعت بصورة سريعة بين الجيل السابع والجيل الحادي عشر . اعني عند انتشار الاسلام من نهر الفنج الى الاتلتيك . ويكفي ان نلقي نظرة على حركة الترجمة لتؤكد من عدد الكلمات الجديدة التي دخلت في بناء اللغة العربية واعتبرت دخيلة فيها .

ومن المعلوم ايضا ان اللغات المتجاورة تختلط الفاظها كما تختلط الشعوب المتكلمة بها . فيحصل اخذ ورد بين الفاظ هذه اللغات يتناسب مع حاجة

مقتضية الدخيل في اللغة العربية — واطننا ذات شأن — قد اضافت الى اللغة كلمات جديدة وساعدت على انماؤها سريعا « والدخيل كلمة ادخلت الى كلام العرب وليست منه . القاموس للفيروز ابادي » .

واللغة العربية هي احدى اللغات المتفرعة عن السامية الاصلية المفقودة وقد كثرت الاحداث عن كيفية تفرع اللغات السامية ولا ارى حاجة من تكرارها الآن ، انما المتفق عليه هو ان هذه اللغات قد انتشرت في الشرق الاوسط . فعاشت الفينيقيّة على سواحل البحر المتوسط (شواطئ لبنان وجوارها) وتوسعت العبرانية في فلسطين ، وانتشرت الاشورية فيها بين النهرين وقامت بقربها ايضا اللغتان الكلدانية والسريانية . وامتدت العربية في

شعب الى الآخر . ولقد شاهدنا في الفصول السابقة ما اعطته اللغة العربية وما اخذته من الالفاظ التي يصعب احصاؤها .

وايضا لكي نعلم عما اذا كانت الكلمة دخيلة أم لا ، ينبغي ان نعود الى درس ما صنعه اسلافنا الذين جمعوا اللسان العربي في بادئ الامر . اذ انهم اقتصرنا في مصادرهم على لغة قبائل تميم وقيس وهذيل وبعض كنانة والطائيين وهم العرب الذين كانوا قاطنين قلب البلاد العربية ولم يتصلوا قسطنط بغيرهم من القبائل العربية المقيمة في البلدان المجاورة . فهم لم يأخذوا شيئا مثلا عن لخم او جذام لمجاورتهم للفرعنة والقبط في مصر ولا من قضاة وغسان واياهم لمجاورتهم اهل الشام الذين كانوا يتكلمون باللغة العربية ولا من تغلب لانهم كانوا مجاورين اليونان . ولا من بكر لقريش من الفرس ولا من اهل اليمن لقريش من الحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن ولا من الحجاز لان الذين ضبطوا اللغة حينئذ عرفوا انهم قد خالطوا غيرهم من الامم وتشوهت لغتهم نوعا ما ولا من قريش (رغم انها ارقى السنة العرب) لانهم كانوا تجارا يتجولون من فارس الى الهند الى مصر الخ .. (وقال ابو عمرو بن العلاء ما لسان حمير واقاصي اليمن لساننا ولا عربيتهم عربيتنا فكيف بها على عهد عاد وثمود ؟ (5 . 15 المزهري) . وعلى هذا القياس اعتبروا ان اللغة العربية الاصلية محصورة في الالفاظ التي كانت تتكلم بها قبائل تميم وقيس وهذيل وبعض كنانة . وبعض الطائيين فقط . وما زاد عنها قد يكون دخيلا تطرق اليها من اللغات المجاورة المذكورة .

واذكر فيما يلي مثلا بيبين بوضوح كيف ان لفظة « هيكل » دخلت الى اللغة العربية . وقد نقلت هذا المثل عن كتاب « المعجمية اللسانية » صفحة 94 ، للاب المرمجي الدومنيكي . لكي يطلع القارئ على الطرق العلمية التي يتتبعها اليوم علماء اللغة للتقصي في الكلمات لمعرفة اصولها .

اصل كلمة « هيكل »

« هذه اللفظة من عداد الالفاظ الواردة في اللغات السامية جمعاء ، اي الاكدية ، والعبرية والآرامية والعربية والحبشية . اما المعاجم العربية ، من قديمة وحديثة ، فلا تجد فيها ذكرا لاصلها . انما الواضح انها ليست من الالفاظ المشتقة من الالفاظ ، بل احر بها ان تحسب من الالفاظ الجاهدة .

كان يظن سابقا ان اصلها عبري . ثم لما ظهرت في الرسوم المسارية ، قيل انها اشورية . وفي الحقبة الاولى من دراسة الاشوريات ، حين كان الباحثون يدعون اللغة الشمرية « اكدية » قالوا انها منقولة من هذه اللغة الى الاشورية . بيد انه اذ توصل المحققون الى ان يشتوا بان « الشمرية » لغة قائمة بذاتها ليست من طائفة اللسان السامية ، لكونها لغة مقطعية ، مجاورة ، غير متصرفة — وقد وضعوا لها تدريجيا كتب لغة وصرف ونحو — اتضح اليوم بكل جلاء ان لفظة « هيكل » وضع شمري لا سامي قطعاً . ومن هذه اللغة نقل الى الاكدية ومنها الى العربية ، فالارامية ، فالحبشية ، فالعربية . ودونك اثبات القضية .

اللغة الشمرية ذات كتابة مقطعية مسارية . بيد ان هذا الخط كان في عريق العصور « سوريا » Idéographique وقد تحول ، على مرور الزمان ، من « الصورة » Idéographie الى المقطعية Syllabis الا ان « الصوريات » Idéogrammes لم تضمحل منه بالكلية ، بل بقي منها شيء كثير يتخلل المقاطع ، او يدل على الفاظ ذات معان تامة . من ذلك كلمة (E-Kal) ، فانها مركبة — حسب روح اللسان الشمري ، وخلافا لسروح الساميات من باب الاطلاق — من علامتين ، وهما Kal, E . معنى الاولى « بيت » والثانية « كبير » واذا كانت البيوت الكبرى لسكنى الكبار ، وكان اعظم الاعاظم الالهية والملوك ، خصت هذه اللفظة « ببلات الملك ، ومعبد الاله » .

غير خاف على ذوي الالهام بالشمريات — الاكديات . ان الاكديين — وهم اقدم الساميين — المتوطنين ربوع العراق الجنوبي — اقتبسوا من الشمرين كتابتهم المسارية ، مطبقين اياها على متطلبات — لغتهم السامية . على انهم لم يكتفوا باستعارة الخط ، بل زادوا على ذلك — مما يحدث غالبا بين الشعوب المتجاورة المتمازجة — انهم اخذوا عنهم الالفاظ كثيرة ، وتعبيرات جمة ، جرت على السنين المتكلمين ، واقلام المنشئين ، من ذلك لفظة Ekal واذا كانت الاكدية — خلافا للشمرية — لغة متصرفة ، اضافوا الى الكلمة علامات الاعراب ، فقالوا Ekal-u او Ekalu . ودليله ان علماء اللغة ، من الاكديين القدماء ، نظموا جداول خاصة ، ذات ثلاثة حقول ، في الحقل الاوسط ، وضعوا العلامات الصورية المسارية الشمرية التي دخلت في

لسانهم ، وفي الحقل الايسر ، ذكروا لفظها المقطعي الشمري ، وفي الحقل الايمن ، شرحوها ، او قل ترجموا معناها بما يقابله في لغتهم الاكدية . مما ينجم عنه انه لو كانت اللفظة سامية اكدية ، لما كانوا يحتاجوا الى هذا العمل .

واذا رغبت ان تتحقق من ذلك ، فاعمد الى كتاب تعليم القراءة المسارية ، لصاحبه الاستاذ العلامة فريدريك ديلنج الالماني . فانك ترى (ص 102 ، سطر 232) ، من المقاطعية Syllabaire المعلمة ب (Sb) ان العلامة الصورية (E) يقابلها في الحقل الايسر ، بالشمريّة وفي الحقل الايمن ، باللغة الاكدية ، وبالطريقة المقطعية (bi-i-tu) أي « بيت » كما نجد في صفحة 99 ، سطر 124 ، من المقاطعية المذكورة) ان العلامة الصورية، المرسومة في الحقل الاوسط تنظر ، عن اليسار ، الى الكلمة الشمرية المركبة من مقطعين وهما (Ka-al) وعن اليمين ، الى اللفظة الاكدية ، ذات المقاطع الثلاثة وهي (ra-bu-u) التي يقابلها في الارمية Rabba كبير . وفي الوجه 23 من هذا الكتاب نجد هاتين العلامتين الصورتين مزدوجتين ، مركبة منهما لفظة واحدة ، دالة على معنى واحد ، اي (Ekallu, Palast, tempel) هيكل ، بلاط .

وهاك ما جاء في معجم Bezold البابلي — الاشوري — الالماني — وهو احدث ما وضع في ذا الشأن — فهو اذن مستند لآخر ما حصل من تحقيقات العلماء . فني الصفحة 28 منه تقرا ما يلي وتري Ekallu, st. c. Ekai, Pl. Ekallâti

بعد هذا ، بين هلالين ، وهذه المختصرات Sum. L. W. وهي بالكتابة الكاملة Sumerisch Lehwort وتعريبها ، كلمة شمريّة دخيلة ، في الاكدية . ويعقب ذلك بعض العبارات الدالة على استعمالها في هذا اللسان . بلاط او هيكل الالهة

Ekai ilâni - Palast der Götter

Ekai - maliki Koenigpalast

بلاط الملك

الخلاصة

ويستخلص من تحريات المتخصصين ، ان اللغة الشمرية ليست سامية ، فلا يجوز ان ننظمها في سلك هذه اللسان . كلمة Ekai شمريّة مركبة من علامتين صورتين ، وقد اطلقت عند الشمريين على البلاط والمعد . ادخل الاكديون هذا الوضع الى لسانهم ، دون تغيير ، سوى زيادة علامات الاعراب. التي لا وجود لها في الشمرية . ومن الاكدية انتقل

الى اللغات السامية الاخرى . وفي هذه اللسان لا في الاكدية نفسها ، المضحكة منها الحلقيّات — تحولت الهزة الى هاء ، فاصبحت اللفظة بصورة : هيكل هذه هي الحقيقة العلمية الناصعة ، وما كان في الكتب او الصحف بهذا المعنى ، فهو الحري بالاعتبار والاتباع ، ومن هذا ينكشف وهن الرأي القائل : « ان كلمة « هيكل » سامية الاصل . وهي كذلك او ما يقاربها لفظا ومعنى في الارمية والعربية والحبشية والاشورية ...انتهى »

ان هذا الدخيل في كل اللغات قاطبة قد يعدو اضعاف الجذور الاصلية . وهذا الدخيل ايضا هو الذي يسم غالبا اللغة بمزاياء من الرقي والانحطاط ويجعلها غنية او فقيرة باللفظ والتعبير لذلك نرى ان الذين جمعوا اللغة العربية قد دونوا في القاموس الكلمات العربية الاساسية كما اتخذوها عن القبايل المقيمة في وسط البلاد العربية واعتبروها عربية صحيحة المصدر ثم اعتبروا لغات باتي القبائل العبرية التي كانت مجاورة لغير العرب عربية ايضا لكنها مشكوك في مصدرها واطلقوا عليها اسم الدخيل والعالمي والمولد الخ ..

ان اللغات الانكليزية والفرنسية والالمانية كانت قبل النهضة العلمية الاخيرة كلها خالية من اللفظ الالفاظ العلمية العصرية الحالية ، فكلمة تلفراف وفونوغراف وكهرباء ودينامو واوتوكار ، ترامواي وفوتوغراف الخ .. وما شاكلها من عشرات الالوف التي تملأ الكتب العديدة لهذه اللغات هي ذات اصل يوناني او لاتيني . وهي غريبة الى اقصى درجة الغرابة من الالمانية والانكليزية والفرنسية مثلا وعندما اكتشف التلفراف والتلفون (واللفظتان يونانيتان) ادخلها الانكليز والالمان والفرنسيون والاطاليون ومعظم شعوب العالم الى لغاتهم مستعملين ذات الالفاظ اليونانية . متوخين من ذلك تسهيل التفاهم مع سائر الشعوب . اما نحن فاستعملنا كلمة (برق للتلفراف و(هاتف) للتليفون ، لزيادة التعقيد ليس الا .

ان هذه الالفاظ الدخيلة والغريبة عن الانكليزية او الفرنسية او الالمانية لم تشوه هذه اللغات ولم تكن عيبا او عارا عليها .

بل عدت فخرا تعز به على سواها من لغات العالم . ولم يحتج الالمان او الانكليز على ادخال هذه المصطلحات الجديدة الى لغاتهم . ولم يشعروا ان لغتهم قد تضررت من استعمال هذه الكلمات الجديدة. ان امهات الكتب العربية التي تعد مرجعا عند

تحخيص مفردات اللغة والتي تضاهي الموسوعات العصرية بسعتها مثل المخصص لابن سيده وتاج العروس والمزهر (للسيوطي) . وفقه اللغة وغيرها من الكتب اللغوية العديدة نراها مشحونة بالكلمات الدخيلة غير العربية الاصل .

فلماذا لا يحق لنا نحن اليوم أن نسير على خط سلفنا نصنع مثلهم ؟

وننقل هنا أيضا على سبيل المثال هذه الصفحة من المزهر (للسيوطي) الذي كتب في الجيل الخامس عشر لتوضح أهمية الدخيل في اللغة العربية . ولنلخص لئلا يلد انهودجا من هذه الكلمات الدخيلة الفارسية والرومية التي أصبحت من صميم اللغة العربية — قال : (ص 177) من معرفة المولد :

« وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم والفرق بينه وبين المصنوع ان المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلافه (وفي مختصر العين للزبيدي) المولد من الكلام المحدث . (وفي ديوان الادب) للفارابي يقال هذه عربية وهذه مولدة (ومن امثله) قال في الجهرة الحسان الذي ترمي به هذه السهام الصغار مولد وقال كان الاصمعي يقول النحرير ليس من كلام العرب وهي كلمة مولدة ، وقال الخم القوصرة يجعل فيها التبن لتبيض فيها الدجاجة وهي مولدة (وقال) زعم ابن دريد ان الاصمعي كان يدفع قول الجاهلية انها ولد في الاسلام .

(وقال ابن دريد) تسميتهم الانثى من القروء منة مولد (وقال التبريزي) في تهذيب الاصلاح القافزة مولد (وقال التبريزي) في تهذيب الاصلاح القافزة الشراب (وقال الجوهرى في الصحاح) القحبة كلمة مولدة (وقال) الطنز (السخرية) طنز يطنز فهو طناز واظنه مولدا « او معربا » (وقال) والبرجاس غرض في الهواء يرمي فيه واظنه مولدا « وجزم بذلك صاحب القاموس (وقال) في الصحاح الجعس الرجيع وهو وولد (وقال) زعم ابن دريد ان الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولد وكذا في ذيل الفصيح للموفق عبد اللطيف البغدادي . قال الاصمعي قول الناس المجانسة والتجنيس مولد وليس من كلام العرب ورده صاحب القاموس بأن الاصمعي واضح كتاب الاجناس في اللغة هو اول من جاء بهذا اللقب (وقال ابن دريد) في الجهرة قال الاصمعي المهبوت طائر يرسل على غير هداية واحسبها مولدة (وقال) اخ كلمة تقال عند التأوه واحسبها محدثة (وفي ذيل الفصيح للموفق البغدادي يقال عند التألم اح بحاء

مهلة وانما اخ من كلام العجم (وقال ابن دريد) الكابوس الذي يقع على النائم احسبه مولدا (وقال الجوهرى) في صحاح الطرش اهون الصمم يقال هو مولد والمأش حب وهو معرب او مولد والعفص الذي يتخذ منه الحبر مولد وليس في كلام اهل البادية (وقال) والعجة هذا الطعام الذي يتخذ من البيض اظنه مولدا وجزم به صاحب القاموس (وقال عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح) الفطرة لفظ مولد وكلام العرب مدقة الفطر مع ان القياس لا يدفعه كالفرقة والنغمة لمداد ما يؤخذ من الشيء (وقال) اجمع اهل اللغة على ان التشويش لا اصل له في العربية وانه مولد وخطأوا الليث فيه (قال) وقولهم ستي بمعنى سيدتي مولد ولا يقال ست الا في العدد . وقد قال السيوطي ص 163 من المزهر :

« ذكر امثلة من المعرب قال الثعالبي في فقه اللغة فصل في سيطرة اسماء تفرد بها الفرس دون العرب فاضطرت العرب الى تعريبها أو تركها كما هي « من ذلك الكوز ، الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمر السنجاب القاقم الفك الدلق الخز الديباج التاختج الراختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرملك الجردق السميد السكباج الزيرباج الاسفيذاج الطباهج الفالوذج اللوزينج الجوزينج البغرينج الجلاب السكنجبين الخلنجين الدارصيني الفانل الكروبا الزنجبيل الخولنجان القرقة النرجس البنفسج السريرين الخيري السوسن المرزنجوش الياسمين الخلار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل (ومن اللغة الرومية) الفردوس وهو البستان القسطاس وهو الميزان السجندل المرأة البطاقة رقعة القرسطون الرطسيتون القبان الاضطراب (معروف) القسطناس صلاية الطبيب القسطري والقسطار الجهيز القسطل القبار القبرس (اجود النحاس) القنطار (اثننا عشرة الف أوقية) البطريق القائد الترياق (دواء السموم) القنطرة (معروفة) النقرس والقولنج (مرضان) القيطون (البيت الشتوي) (سأل علي رضي الله عنه شريحا مسألة فأجابه فقال له قالون اي أصبت بالرومية « انتهى ما اورده الثعالبي .

(وقال ابن دريد في الجهرة) الكيمياء ليس من كلام العرب (قال) ودمشق معرب (وفي كتاب المقصور والمدود للاندلسي الهولي في كلام المتكلمين اصل الشيء فان يكن من كلام العرب فهو صحيح في الاشتقاق ووزنه فيعولى (وفيه قطونا) الذي يضاف اليه برز فيقال برز قطونا اعجمي معرب (قال) وكذلك

الكثيرى (وفى المجمل لابن فارس) تاريخ الكتاب كلبة معربة (وفيه الخوان) فيما يقال اسم اعجمي غير اني سمعت ابراهيم بن علي التطان يقول : سئل ثعلب وانا اسمع ايجوز ان يقال ان الخوان انما سمي بذلك لانه يتخون ما عليه اي يتنقص فقال ما يبعد ذلك (وقال) ابن سيده في المحكم يقال للفقير بالسريانية فالفا واعربته العرب فقلت فلح (قال وقانون كل شيء طريقته وقياسه واراها دخيلة) .

وهناك ايضا كلمات غريبة ودخيلة قد استعملها العرب واهملوا اللفظة العربية الاصلية التي كانوا ينطقون بها . مثل لفظة — رصاص — « والرصاص اسم اعجمي معرب » وابسه بالعربية — الصرغان — وبالعجمية — الارزوز — فتحوّلت الى لفظة — رصاص — وحلت محل العربية (166 المزهري) . والسذاب الدخيلة بدلا من العربية . فيجن — والكزيرة تسمى بالعربية التفند . والخيار هو بالعربية التفند ، والابريق كانت بالعربية — الناموره — والتسوت اسمه بالعربية — الفرصاد . واللوبياء دوجران . والبذئجان اسمه بالعربية — الانب — والجاموس هو الناطس . والياسمين هو السجلاط الخ ..

وبناء عليه نرى ان الكلمات الاجنبية الدخيلة اصبحت عربية . والكلمات العربية الاصلية قد اهلكت ونسيها العرب .

واذا حللنا كل اللغات التي عرّفها البشر يجوز ان نجد ان معظم الفاظها هي دخيلة خاصة وانها لم تكن لها في الاصل سوى اصوات بسيطة تحاكي الاصوات الطبيعية . فتطورت من عشرات المفردات البسيطة الى عشرات الالوف من الالفاظ المعنوية وذلك حسبما تقتضيه حاجات هذه الشعوب التي استخدمتها للتفاهم بواسطتها .

ان اللغة العربية هي بحاجة ماسة الى استيعاب العلوم المعاصرة لانها لم تزل لغة حية تماشي تيار سائر اللغات المعاصرة — كالانكليزية والافرنسية والالمانية — وهي تسير بحكم الاضطراب مجارية هذه اللغات ذات الطابع العلمي الحديث .

فلكي تتمكن من السير في تيار هذا السباق العلمي ينبغي ان تفتح ابوابها لتقبل كل الفروع المنبثقة عن العلوم المعاصرة . وان لم تفعل ذلك يتحتم عليها التقتير والانزواء فتلتحق باخواتها الفينيقيّة والحبرية وغيرها من اللغات الميتة .

ويتضح لنا ايضا من مطالعة الفصل التالي لتاريخ الترجمة من اليونانية والسريانية — كم ادخل النقل الذي استمر نحو ثلاثة اجيال من الوف الالفاظ

الدخيلة الى اللغة العربية . وهذه الالفاظ والعلوم هي التي اوصلت لغتنا الى اوج الرقي . فامتازت بها حينئذ على سائر اللغات . وهي ما كانت وصلت قط الى اوج رقيها لو لم يسارع المتكلمون بها حينذاك الى ادخال الكلمات الاجنبية احضان العربية . وظني بهم كانوا ارحب صدرا لقبول الدخيل وابعد نظرا لمستقبل لغتهم ولتقدم ابنائهم منا نحن القائمين على حراستها اليوم . ثم ان هذا الدخيل هو الذي جعلها في ذلك لغة الطب والعلم . فكان كل انسان يتوق الى تحصيل الهندسة او الطب او الجبر او الكيمياء او الطبيعيات او الفلك الخ .. مضطرا لاتقان اللغة العربية كما نحتاج نحن اليوم الى درس لغات اوربا — كالانكليزية او الافرنسية او الالمانية مثلا — لكي نتمكن من دراسة العلوم المارة الذكر .

ان الاوربيين طبعوا الكتب العربية في مطابعهم قبلنا باجبال . فقد طبعوا مثلا تاتسون ابن سينا في روما سنة 1593 باللغة العربية لكي يعلموا اولادهم الطب . ثم مخطوطات ومؤلفات ابن رشد ليلقنوا طلابهم تعاليم ارسطو وسواها من الفلسفة والعلوم اليونانية . وهكذا دواليك الى ان بزغ نور النهضة في اوربا . فقاموا بترجمة كل العلوم المدفونة في المؤلفات العربية الضخمة الى لغتهم اللاتينية ففتقوا كتب حنين بن اسحاق والرازي وابن سينا وابن رشد وغيرها من الوف الكتب ، فاستغنوا عندئذ عن دراسة اللغة العربية . وبدا عصر نهضتهم بابتداء عصر خمولنا .

وبالاختصار فنكرر القول بأنه لولا الدخيل لما تطورت ولا اتسعت ولا ارتقت اي لغة ما من لغات البشر التي باتت على سطح الكرة الارضية .

مشكلة القاموس الطبي والمصطلحات الطبية العربية

ان قضية المصطلحات الطبية بالرغم من درسا المتواصل لم تزل حتى الآن بحثا « مشقتا » لا يتركز على نظام علمي وذلك لان الذين تطرقوا الى درس هذا الموضوع لم ينظروا اليه من جميع وجوهه لكي يحيطوا علما بيسهله ومنيعه . بل كان كل منهم ينظر فقط الى ما يحتاجه من المفردات عند كتابة مقال او تدريس مادة او تأليف كتاب فيلجأ الى معاجم اللغة منتخبا منها بعض المفردات غير عالم بما فيها من اسرار وانظمة تتوحد فيها عشرات الالوف من الكلمات المختلفة اللفظ والقياس .

فمن كتب في التشريح مثلا لا يبالي عندما يكتب مقاله بما يحتاجه من مفردات علم الامراض الباطنية

من المعاجم المصرية رغبة في استفتاء القارئ الكريم
لانه حري بأن يجذب أو ينبذ ما يشاء منها.

فجريا على ما ذكر قد قسمت المصطلحات
الطبية الى اربعة أقسام :

أولا - المصطلحات التي يمكننا أن نفرها
بأكملها باللسان العربي مثل : عظم (os)
وهذا الاسلوب ليس سوى الترجمة . والترجمة اصلح
الطريق لنقل العلوم لا تنطبق الا على العلوم القديمة .
ولسوء الحظ نراها نادرة الاستعمال لان البنية
سحيقة بين الطب الذي تركه لنا اسلافنا وبين الطب
الحديث . فكم من الفروع التي ابتكرت ومن الكشوف
التي ظهرت ومن النظريات التي صدرت ومن الامراض
التي اكتشفت مثل علم الانسجة وعلم البيولوجيا وفن
الجراثيم والاشعة الكهربائية الخ... وغيرها من العلوم
الحديثة التي كانت مجهولة . ولاسيما ان الجراحة
والفسيولوجية كانت حينئذ في طفولتها . فقد نحت
علماء الغرب لهذه العلوم الوف المصطلحات استقوها
من اللغتين اليونانية واللاتينية بعد ان اخذوا ما كان
موجودا في الطب العربي القديم . فاذا اكتينا نحن
بما تركه لنا السلف كنا كمن يعيش في القرون الوسطى
وكان طبنا مهزلة القرن العشرين . في هذا القرن
الذي كثر فيه الاختراعات والكشوف . وكان لابد
لنا من ابتكار الوسائل والطرق اللغوية للتعبير عن
هذه المسميات كما فعل العلماء الذين حلوا مشعل
العلوم المصرية وكتبوا قبلنا في اللغة العربية قديما
او في اللغات الاوربية حديثا .

فبالرغم من مشقة الترجمة وصعوبتها يكون
لزما علينا الا نلجأ لغيرها عند النقل الا بعد ان نكون
قد وفينا الدرس والتنقيب في كتب اللغة . لان الترجمة
كما ذكرنا سابقا هي اصلح الطرق واجملها عند
النقل الى اللغة العربية . وهي تنطبق بصورة خاصة
على اسماء الاعضاء في علم التشريح .

ثانيا - المصطلحات التي يمكننا ان نفسر
جزءا منها فقط في اللسان العربي مثل لفظ -
(ostéite) والجزء الآخر هو اداة يصطلح عليها
اصطلاحا . فلفظة (os) تعني العظم . لكن (ite)
هي اداة تدل على الالتهاب . وهذا النوع من النقل
يغلب حصوله في علم الامراض . وقد وجدت له
صيغ مصدرية وقواعد لغوية تعطينا الوف المصطلحات
لترجمة هذه الالفاظ ضمن قيود تنطبق على اصول
القياس في صيغ اللغة ، وهذا النوع من النقل هو
الاستقاق .

والجراحة والكحالة والطبيعات الخ ... او يلجأ الى
المعجم للبحث عن مصطلحات قلما يطلع على
امهات كتب اللغة مثل المخصص لابن سيده ولسان
العرب وتاج العروس وسواها من المؤلفات التي
تضاهي كل واحدة منها الموسوعات الكبرى . فيهمل
عندئذ ترجمة الكلمات التي ذكرها العرب فيترجم مثلا:
(cachexie) الذبول بكاشكسيا (fausse grossesse)
الرحا بالحمل الكاذب و (misanthrope) القطرب ،
بجملة مريض بالماليخوليا) .. كما جاء في قاموس
شرف بك .

لكن الذي يعالج هذا الموضوع معتبرا جميع
وجوهه يتوصل الى حل القسم الاكبر من هذه
المشكلة دون ان يشوه اللغة بالالفاظ الاعجمية كما
يفعل بعض المجددين غير المطلعين على اسرار اللغة .
وايضا دون ان يعرض اللغة الى نقص هي بريئة منه
كاللغويين الذين يتخوفون التصرف بقواعد اللغوية
ومنطقها لاستيعاب كل صور ومعاني العلوم الحديثة
جريا على طريقة سلفنا امثال ابن سينا والرازي
وسواها .

ولا مشاحة في ان العقبة الوحيدة التي تجابه
الترجم او المؤلف في المواضيع العلمية هي قلقة
المصطلحات العربية التي تقابل الاصطلاحات الاجنبية
وان اسلافنا - ومعاصرينا ايضا - قد عالجوا ارتق هذه الثلثة
اللغوية بشتى الوسائل ورغم كل ما عانوا من الصعاب
لم يتوصلوا الى سد هذا الفراغ بصورة وافية .. وذلك
لانهم لم يتأزروا في العمل بل كان كل فرد منهم يعمل
لوحدته ولا يستنجد بزميله . واننا لم نزل سائرين
على خطاهم . وجميعنا نقر بذلك ايضا . انه يتعذر
حل هذه المعضلة ما لم يتضافر اهل العلم ويؤلفوا
مجعما علميا للنظر في هذا الامر وانه لسوء الحظ قد
غدا من المسير تشكيل هذا المجمع في الوقت الحاضر
ومع ذلك فليس من الصواب ان نقف جامدين
منتظرين . بل ان سنة التطور ترغبننا على السير
الى الامام وان كنا نسير على الخطة السابقة
التي لا تنفي لسد الحاجة . وبماكاننا ان نعد لها
ونحورها جهد المستطاع توخيا لتحسين الاسلوب .
وبما انه قد كتب لي ان اكون في عداد من
تعلموا الطب في اللغات الاجنبية طبعا . رأيت من
الواجب ان انتقل ما تيسر لي نقله من هذا العلم
الى اللغة العربية . فالتجأت عند انتخاب هذه
المصطلحات الى طريقة تختلف نوعا ما عما سبق .
وتعميما للفائدة قد ادرجت ما وجدته مناسبا
لهذه الاصطلاحات في معجم الدكتور شرف وغيره

الترجمة

ان المصطلحات التي يمكننا ان نفسرها باللسان العربي بكاملها يغلب وجودها في علم التشريح مثل :

larynx	حنجرة	estomac	معدة
poumon	رئة	foie	كبد
rein	كلية	rate	طحال
cœur	قلب	os	عظم
aorte	وتين	intestin	معي
urètre	حالب	nerf	عصب
vessie	مثانة	muscle	عضل
sang	دم	artère	شريان
urine	بول	veine	وريد
sérum	مصل	glande	غدة
cerveau, etc...	دماغ الخ	oesophage	مرىء

وذلك لان الاطباء القدماء قد عرفوا اعضاء الجسم وعينوا لها اسماء خاصة وعربية محضة .
لقد ذكرنا سابقا ان النقل على هذا الاسلوب هو احسن الطرق وأصلحها للمحافظة على سلامة اللغة ، لكنني اظن انه قد اهل جدا ، فلو تصفحنا المعاجم الحديثة لما رأينا سوى التزوير اليسير من هذه المفردات العربية الاصل . مع ان الكتب العربية القديمة كالخصص ولسان العرب وتاج العروس وسواها من امهات الكتب مشحونة بالكلمات التي تصلح لترجمة المعاني العلمية الحديثة . فمنها ما يفسر المعنى الحديث تمام التفسير ومنها ما يساعدها مع قليل من التصرف على تفسير الوضع الحديث بصورة واضحة وفيما يلي بعض الامثلة التي توضح لنا وجوه النقص في المعاجم الحديثة ووجوب التنقيب والبحث عن امثال هذه المفردات في الكتب العربية المطولة مثل :

تضاييف — Symbiose

قال الجرجاني : (والتضاييف هو كون الشيتين بحيث يكون تعلق كل منهما سببا لتعلق الآخر به .

والتضاييفان بحيث يكون تعلق كل منهما سببا لتعلق الآخر به) .

وهذا هو المعنى المقصود من اللفظة الانجليزية . فلماذا نستعير لها عندئذ كلمة جديدة مثل (التعايش) كما جاء في معجم الدكتور شرف .

قبحول — Cachexie

هزال — Amaigrissement

ثالثا — المصطلحات التي لا يمكننا ان نفسرها

باللسان العربي بطريقة الترجمة او الاشتقاق ولكن يجوز لنا ان نجد لها كلمة تؤدي أو تشبه بعض الشبه معناها . كما قال ابن سينا : (انتشار) للفظلة (mydriase) و(شهيق) للفظلة (inspiration) وزفير للفظلة (expiration) وهذا النوع من الترجمة يغلب حصوله في الغريزيات والطبيعيات الخ .
ان هذا الاسلوب من النقل يدعى بالمجاز . وهو من اوسع طرق النقل واغناها . وقد شغف العرب باستعماله لميلهم الى الاتساع في الكلام لما فيه من الدقة في التعبير .

رابعا — المصطلحات التي لا يمكننا ان نفسرها

ولا يوجد لها معنى أو لفظ يشبهانها باللغة العربية . مثل (cocaine) كوكايين و (quinine) كينين . فاذا اعترضتنا كلمات مثل هذه ولم نجد لها مقابلا . نضطر عندئذ بحكم الطبع ان نلجأ الى « التعريب » وقد عرب اسلافنا كثيرا من هذه الالفاظ بيد أنهم لم يكونوا مضطرين الى ذلك بقدر اضطرارنا نحن اليوم نظرا لازدياد عدد هذه المصطلحات الى درجة فائقة الحد . فقال ابن سينا قناطير للفظلة (catheter) اليونانية . ثم عربها العامة وقالوا (قسطل) . وليثرغس للفظلة (Léthargie) وهذا النوع من النقل هومن أسوأ الطرق لانه يكثر الدخيل في اللغة . وينبغي الا نلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى . وان الرغبة في التعريب لا يبررها غير الاقرار بعجز الكاتب أو كسله . او وصف اللغة بالتقصير وقلة الرونة وضعف الاشتقاق . وهي وصمة لا تنطبق على لغة غنية بالفاظها مثل اللغة العربية . لكنني لسوء الحظ دهشت لرغبة المؤلفين المعصرين في الميل الشديد الى التعريب في الكتب والمجلات الحديثة وانني لا أنكر انهم مع اندفاعهم الشديد الى التعريب وغلوهم فيه قد ترجموا طائفة كبيرة من المفردات جديرة بان تستعمل .

غير أنني اقر ايضا بأنه لابد لنهضتنا العلمية من اللجوء الى التعريب كما فعل اسلافنا في عصر نهضتهم السابقة .

وخلاصة القول فان هذه الاساليب الاربعة ، من ترجمة ثم اشتقاق ثم مجاز ، ثم تعريب تضمن لنا نقل كل العلوم الى اللغة العربية تمشيا على النمط العلمي الحديث مع المحافظة على سلامة اللغة وتبعها لقواعدها . وفيما يلي امثلة على ذلك .

وجاء في الكشف (الذبول هو انتقاص حجم أجزاء الجسم الأصلية . والهزال هو انتقاص في الأجزاء الزائدة) وهذا معنى اللفظتين الفرنجيتين . وفي معجم شرف بك (كاشكسيا - سوء المزاج - ضعفه - دنف شحوبة - سهومة الخ) .

السمات المتعائدة — Caractères dominants

وفي الكشف أيضا (والتعائد عند الحكماء هو التقابل بين امرين وجوديين بحيث لا يتوقف تعقل كل منهما على تعقل الآخر . ويسميان بالمتعائدين كالحمرة والصفرة) وهذا هو الحد الحديث للكلمة الفرنجية . فلماذا نغير عنها في ذات المقال بعدة الفاظ توقعنا في الالتباس كالمضادة والمتباينة والمتناقضة كما جاء في مقال للدكتور موفق الشطي في نظريات الوراثة بينما اللفظة الفنية مدونة في الكشف قبل ولادة فن الوراثة بسنين عديدة ؟

قطرب — Misanthrope

وفي القاموس (قطرب وسمى به الاطباء نوعا من المايخوليا وهو ما يكون صاحبه فرارا من الناس مجبا للخلوة والمقابر جاف البصر وعلى ساقيه قروح لا تندمل) .

وفي معجم الدكتور شرف اعتزال الناس — معتزل — نفور — باغض الناس — حوشي — متوحش (الخ) هل من داع للاكتثار من المفردات والمعنى مدون في الكشف ؟

قطريبة — Misanthropie

وفي معجم الدكتور شرف (اعتزل الناس — نفور الخ) .

الهلاس — arthritisme النقرس — Goutte

وفي بحر الجواهر (الهلاس هو ان يتعطل الهضم العروتي فلا يتغذى البدن) وفي القاموس (النقرس هو ورم ووجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين) وهذا ما تعنيه اللفظتان الاجنبيتان .

والدكتور شرف ترجم الكلمتين بالنقرس الذي هو احد مظاهر الـ Sieppage حرد —

وفي القاموس (الحرد) . داء في قوائم الابل او في اليدين فيخبط بيديه اذا مشى) وكلمة (Steppage)

انكليزية استعارها الفرنسيون ايضا للدلالة على المشي لن اصابوا بالتهاب الاعصاب في الرجلين من ادهان الخمر او من السفلس تشبيها بمشي الخيل . وهو ان يرفع الماشي ساقه عاليا ثم يخبط الارض بقدمه (لاروس) . وفي معجم شرف بك (اختلاج الحركة في الشلل) فلا ارى حاجة لهذه الجملة والكلمة العربية مدونة بأشهر قواميسها .

الحج — Trépanation الحجاج — Trépan

- وفي القاموس (الحج سبر الشجة بالحجاج . والحج أن يقدح بالحديد العظم حتى يتلطف الدماغ بالدم الى ان ينقلع القطعة التي قد جفت ثم يعالج ذلك حتى يلتئم الجلد .

وفي معجم شرف بك (تريان — ترفين — منقب التحف — محجاج الخ) .

فلماذا نلوذ بالاكثار من المفردات ولفظة محجاج تؤدي المعنى المقصود .

الترغس — Ménorrhagie

وفي شرح اتوال ابقراط لابن القف . من مخطوطة لصاحبها الفيكونت طرازي في دار الكتب الكبرى في بيروت كثرة سيلان الطمث وطول مدته يسمى ترغسا . فهذا اذا صار ترغسا وكثر فيه الدم يضعف الروح) .

وفي معجم شرف بك . زيادة الطمث — نزف طمئي — طمث نزيفي — غزارة الطمث) .

المخابيء — Cul de sac

وقد جاء في كتاب التصريف للجراح ابي القاسم الزهراوي من مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق (ان المخابيء هي قروح تحدث اجوانا غائرة في اللحم يتجمع الصديد بها) وهذا هو القصد من المعنى العلمي وفي معجم شرف بك (الردب) والردب هو الطريق الذي لا ينفذ .

الخزء — Glossotomie

وفي القاموس (خزأ الفصيل خزءا شق لسانه) وفي معجم شرف بك (قطع اللسان ويتره) .

الخيлян — Sirène

وفي قطر المحيط (الخيлян وحش بالبحر نصفه انسان والباقي سمك وهو اسم لا وجود لسماء)

وفي معجم شرف بك . غانية — بنت الماء — جنية البحر — والاسم مأخوذ من الميتولوجيا ومعناه مقدمة امرأة ومؤخرة سمكة) :

دعلجة — Polychromisme مدعلج — Polychrome

وفي القاموس دعلج دعلجة اختلطت الوانه .
وفي معجم شرف بك (1 — كثرة الالوان —

2 — كثير الالوان يصطبغ بالوان كثيرة) .

متقاطع — Convergent

وقد وردت بهذا المعنى في مقالة الحسن بن الحسين بن هيثم في الضوء من مخطوطة رقم 218 ص 14 في المكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين — بيروت .

في معجم شرف بك (متلاق — متقارب — مائل

— أو آل الى مركز واحد) .

التقاطع — Convergence

وفي معجم شرف (تلاق — تقارب الخ..)

انعطاف — Réfraction

وقد وردت بالمخطوطة المارة الذكر .

التذويء — Gangrène تذيأ — Se gangrener

وفي القاموس تذيأ الجرح وغيره تذيؤا تقطع وفسد . أو هو انفصال اللحم عن العظم بذبح أو فساد وهذا هو بالذات المقصود من هذا الفعل .

الفتح — Acromégalie — Acromégallique

وفي القاموس الفتح هو عرض الكف والقدم مع اللين والامتخ هو العريض القدم والكف مع لينهما .

وفي معجم شرف بك . كبير الاطراف . —

اكرومجاليا — كلثمة الخ.

مرغث — Galactagogue

وفي معجم شرف بك مدر اللبن يدره ويفزره .

رغووث — Galactophore

وجاء في القاموس للفيروزآبادي : أرغث ،

أرضعت .

وفي معجم شرف بك (يحتوي لبنا — ناقل اللبن

— اللبن) .

الارغاث — Galactosis

وفي معجم شرف بك (افراز اللبن) .

ذات الرغشاء — Galactophoritis

وفي معجم شرف بك (التهاب قناة لبنية) .

واليكم مثلا آخر يبين سعة اللغة العربية فان كلمة Opération césarienne (العملية

القيصرية) تطلق على عملية فتح البطن الحامل واستخراج الجنين حيا منها عندما تستحيل ولادته طبيعيا اذا كانت الام مصابة بضيق في عظام الحوض . وقد نسبوا هذه العملية الى القيصر لان احدهم القياصرة القديسة امر اطباءه بيقر بطن امراته واستخراج الولد الوحيد حيا خوفا من انقراض نسله لانها كانت مصابة بضيق بالحوض . وفعلوا ذلك واعدموا الام وأحيوا الولد .

وبما ان علماء الفرنج لم يجدوا في لغاتهم الحديثة كلمة تدل على هذا الحدث فقد اضطروا الى الالتجاء لهذه الاتصوفة الخرافية فنسبوا العملية الى القيصر ثم جاراهم بذلك مؤلفونا ونسبوا ان القيصر بذاته كان « خشعة » لان الخشعة هو الولد الذي ييقر عنه بطن امه اذا ماتت وهو حي .

فهذا تعد صريح على لغة الضاد لانه كان ينبغي ان تترجم بكلمة « عملية الخشعة » بدلا من العملية القيصرية .

وكذلك كلمة forceps الآلة التي بواسطتها يستخرج الجنين من الرحم فقد ترجمها مؤلفونا بلفظة متناش وكلاب وغيرهما . بينما يوجد لها كلمة عربية فنية وهي « المسطاة » اسم الآلة من سطا . فقد قال الأصمعي « سطوت على المرأة سطوا » اخرجت الولد من رحمها . قال :

وفي حديث الحسن رحمه الله لا بأس ان يسطو الرجل على المرأة . واعرف ذلك في الأبل « عن المخصص »

وكذلك ايضا الارار — Curette

الار — Curetage

ار — Cureter

قد جاء في المخصص « الجزء السابع » ار الناقية يؤرها ارا . ادخل يده في رحمها وقطع ما ماقية . واسم مايقطع به من الاراروهوشبه الظرره وقيل الارار غصن شوك يضرب به الارض حتى يلين ثم يبله ويذر عليه ملحا مدقوتا فيضرب به رحم الناقية حتى يدميها . وجاء في معجم الدكتور شرف ما يلي :

ملعقة كحت — كاحتة — مجرفة — مجرف — مسحاة .

اللغة اليونانية التي اتخذوها للتعبير عن الاصطلاحات الفنية تخول ادماج كلمتين معا لجعلها كلمة واحدة . اما اللغة العربية فقواعديها لا تسمح لنا ان ندمج على هذا النمط لكن لها مقابل ذلك صيغا مصدرية واشتقاقات تسد بعض الفراغ الناجم عن هذه الطريقة . فأرى مثلا انه يوافق جدا ان يصطلح على هذه الصيغ — لاسيا الذي اهل منها — لترجمة هذه الالفاظ ضمن قيود تنطبق على اصول القياس في صيغ اللغة فنقول :

وزن المصدر فعل — tomie

ان المصدر الذي ياتي على وزن فعل يدل على المعنى البسيط مجردا عن المبالغة . والمصدر المشتق من اسماء الاعضاء على وزن فعل يتضمن معنى الشق في ذلك العضو . فقال العرب . كبده كبدا اصاب كبده . وكوعه كوعا ضربه على كوعه حتى اعوج . ودمغه دمغا شجه حتى بلغت الشجة دماغه . ورأسه رأسا اصاب رأسه . وعانه عينيا اصابه بعينه . واذنه اذنا اصاب اذنه . وذقنه ذقنا اصاب ذقنه . ووثنه اصاب وثنه . وكلبه كليا اصاب كليته . ونخذه فخذا اصاب فخذه . وصدره صدرا اصاب صدره . وظهره ظهرا اصاب ظهره . وفاه فوها فتح فمه . وحشاه حشوا اصاب احشاءه . وفقره فقررا اشتكى فقره من كسر أو مرض الخ. ولفظة tomie اذا اضيف اليها اسم العضو تدل على عملية الشق التي تجرى .

فنقول مثلا للفظه Gastrectomie لفظه (المعد) بدلا من (عملية شق المعدة) . فنكون استعملنا كلمة واحدة خاصة لتسمية هذه العملية مثل اللفظة الفرنجية ، بدلا من ثلاث كلمات قد تستعمل العربية في اللغة لغير هذا المعنى . ولفظة « معد » هي لفظه عربية مشتقة حسب اصول قواعد اللغة ، فنكون اختصرنا عشرات الالوف من المفردات الزائدة وغير المفيدة . ومثال ذلك ايضا :

الدرق	Thyroidotomie	الخصي	Orchidotomie
الراي	Pneumotomie	الرحم	Hystérotomie
الجنب	Pleurotomie	البیض	Ovariectomy
المثن	Cystomie	الجفن	Blepharotomy
الفصد	Phlebotomie	القرح	Irridectomy
الكلي	Néphrotomie	النقر	Vertébrotonomie
الحلب من الحالب	Urétrotomie	العصب	Neurotonomie
الشري	Artériotomie	المعد	Gastrotonomie

كحت — جرف — سحو — سحي .
ومثلها لفظه « الحق » Prolapsus utérin
وفي المخصص ايضا الدحوق « التي تخرج رحمها بعد نتاجها وهو الدحق .

وقد جاء في معجم الدكتور شرف «سقوط الرحم»
بينما لفظه الدحق تؤدي المعنى تهما .

وايضا كلمة « الاخداج » Accouchement prématuré
فان كان ناقص الخلق قبل اخذجت وهي مخدج وان كان لتمام وقت النتاج . وقيل ايضا اخذجت اذا القته قبل وقت النتاج وان كان تام الخلق « المخصص » وترجمها الدكتور شرف « ولادة قبل الاوان » — معجلة — معجال الخ.

الرحا — Frusse grossesse

وقد جاء في قانون ابن سينا الجزء الثاني في كلمة — الرحا — (انه ربما تعرض للمرأة احوال تشبه احوال الحبال من احتباس دم الطمث وتغير اللون وسقوط الشهوة وانضمام فم الرحم ويعرض انتفاخ الثديين وامتلاؤهما . وتحس في بطنها بحركة كحركة الجنين وحجم كحجمه يستقل بالغمز يمنة ويسرة الخ.) وهاكم بعض الامثلة من النقل بواسطة الاشتقاق

الاشتقاق

فهذه الطريقة تساعدنا على ترجمة الاوضاع التي يمكننا ان نفسر جزءا منها فقط باللغة العربية

والجزء الآخر هو اداة اصطلح عليها اصطلاحا مثل : gastrite . فلفظة gastro تعني معدة . لكن ite ليست سوى اداة تدل على التهاب ولا يوجد لدينا اداة تفسر معناها في اللغة العربية . اي ان الفرنج اضافوا الى اسماء الاعضاء في علم التشريح مقاطع أو كلمات اصطلحوا عليها للحصول على الفاظ جديدة . فاضافوا مثلا الى : (gastro) المقطع (ite) عندئذ صارت gastrite للدلالة على التهاب . ثم اضافوا الكلمة (ectomie) فغدت gastrectomie اي استئصال المعدة . ثم algie فغدت gastralgie اي ألم المعدة ثم logie فغدت gastrologie اي علوم المعدة . ثم forme فغدت gastroforme اي بشكل المعدة . ثم oïde فغدت gastroïde اي تشبه المعدة . وهكذا دواليك الى ان بلغت الاصطلاحات الفنية هذا العدد الضخم . وذلك لان

Nevrectomie	تمصاب
Gastrectomie	تمعاد
Entérectomie	تمعاء
Hépatectomie	تكباد
Thyroidectomie	تدراق
Laryngectomie	تفلاص
Pneumotomie	ترياء
Néphrectomie	تكلاء
Hystérectomie	ترحام
Ovariectomie	تبياض
Irridectomie الخ	تقزاح

النقل بواسطة المجاز

أرى أننا لو خذونا حذو علماء الافرنج باستعمال ما قد اهل في لغتنا من المفردات القديمة المدونة المهجورة والتي تدل أيضا بعض الدلالة على معنى الاوضاع المستحدثة والتي عددها ينوف على ما نحتاجه من التعابير العلمية الجديدة لتخلصنا حينذاك من شتى الصعوبات التي تجابهنا عند تعريب الالفاظ الاعجية . ولخلصنا من غرابة استعمالها أيضا . ولسهل علينا الاشتقاق والتصريف وما شاكلها من محسنات اللغة العربية ولاحيينا الكثير مما اوشك أن يموت من لغة اتر بسعتها وغناها كل العالم وعاشت بظلمة علوم عديدة زهاء الالف سنة . واليكم مثلا من الامثلة العديدة للنقل بواسطة المجاز:

اللفظة	اللفظة	اصطلاح الدكتور شرف
المقترحة	الافرنجية	
نطفة	Blastula	بلاستولا
علقة	Gastrula	جسترولا
مضفة	Embryon	جنين او علوق الحيوان
جنين	Foetus	جنين (اجنة)

لقد جاء في سورة المؤمنين ما نصه : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه . فخلقنا العلقه مضفة . فخلقنا المضفة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر الخ) ونرى أيضا ان الجنين يبتدىء خلية واحدة ثم يتحول الى عدة خلايا ثم تنسق هذه الخلايا على جدران البيضة تاركة في الوسط فراغا مملوءا بالمانع الغذائي فتدعى عندئذ بالنظر الى اصطلاح الطب — بلاستولا — اي (الكتلة المبذرة) ثم تندمج البيضة في ذاتها فتأخذ شكل قارورة ذات فوهة ضيقة . حينئذ تدعى (كاسترولا) Gastrula

(وفي المخصص بعجت بطنه أبعجه بعجا . وهو خرق الصفاق وانبدال ما فيه . والانبدال زواله من موضعه) .

ملاحظة : ربما يقول معترض ان هذه الالفاظ لها معان ثانية في اللغة . فالعصب مثلا هو لف الراس بالعصبة . والمعد هو انتزاع الرمح من مركزه الخ . فأقول ان العرب لم يبالوا بذلك فيما اشتقوه . فنرى مما مران الراس هو مصدر يعني الشق وهو اسم للعضو أيضا . والعين هو مصدر يدل على اصابة العين وهو اسم لها وله عدة معان أيضا . والفقر هو مصدر يعني اصابة الفقرة وهو اسم يدل على الفاقة وكذلك الذقن والصدر والظهر والحشو والجنب وغيرها فلا بأس أن ننحو نحوهم لتلافي النقص الذي يثلث اللغة في الحالة الحاضرة .

وزن تفعال — ectomie

ان هذا الوزن هو لمبالغة المصدر وهو أيضا يدل دلالة المصدر بزيادة قوة أو كثرة أو تشبث بالمعنى المصدري . وقد قيل ان هذا البناء مطرد وقيل أيضا انه مقصور على السماع مثل التطواف والتجوال والتلقاء والتبيان . وقد جاءت عدة مفردات على هذا الوزن في كلام العرب منها تعشار وتبراك وتقصار وتكلام وتلقام وتلعاب وتضراب وتمراد وتلقاف وتجناف وتهواء الخ . والنتيجة ان هذا الوزن المصدري يدل على مبالغة الوصف . وقد جاء في المخصص (كما انك قلت في فعلت فعلت حين كثرت الفعل كذلك تولك في الهدر والتهدار وفي اللعب والتلعاب وفي الرد والترداد وفي الصفق والتصفق وفي الجولان والتجوال وفي القتل والتقتال . وليس شيء من هذا مصدر فعلت ولكن لما اردت التكاثر بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلت على فعلت . قال ابو سعيد — اعلم ان سيبويه يجعل التفعال تكثيرا للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي . فيصير التهدار بمنزلة تولك الهدر الكثير والتلعاب هو بمنزل اللعب الكثير) والمقطع اللاتيني . ectomie

يدل أيضا على مبالغة الشق وبالاخرى على استئصال بعض العضو أو كله . وذلك ليس سوى مبالغة في المصدر البسيط الذي هو الفعل . فلو اشتققنا التكباد من الكبد والتبعاد من المعد والتتكاف من النكف نكون فعلنا بموجب القواعد اللغوية وبقينا ضمن دائرة الصرف والنحو . وقياسا على ذلك نقول :

اي معيدة (تصغير المعدة) وبعد ذلك تتصور فيها بعض الاعضاء فتدعى (امبريون — Embryon) اي اثر الكائن الحي . ثم تكمل هذه الاعضاء نوعا ما وتظهر بجلاء ووضوح . فتعطي لكل مضغة شكلا خاصا يميزها عن سواها من سائر المضافات . فتدعى عندئذ (جنين Foetus)

فاستعرت لهذه الاطوار الثلاثة بلاستولا وكاسترولا وامبريون لفظة نطفة . وعلقة . ومضغة . وذلك لوجهين :

أولا ، لان هذه الالفاظ اخذت عن القرآن الكريم فلا شك في عروبتها — . وثانيا لانها تطابق الوضع تماما لان معناها الاصلي يدل دلالة واضحة على معناها المستعار . ان لفظة (بلاستولا) تعني باللاتينية العملة المحدث للتمو . وفي اصطلاح علم الاجنة يراد بها احد اطوار الجنين الاولى . وان لفظة (نطفة)

معناها لغويا الماء القليل . وفي اصطلاح الآية يراد بها احد اطوار الجنين الاولى أيضا . فتكون هذه اللفظة صالحة لترجمة (بلاستولا) لانها تنطبق على معناها لغة واصطلاحا . ومثلها تكون كلمة علقة لللفظة (كاسترولا) . ومضغة لللفظة امبريون . اما هذه الاخيرة فقد ترجمها البعض بكلمة جنين . فكلمة جنين لا يصح استعمالها هنا لانها تقابل لفظة فاتوس المستعملة لما هو اكمل من امبريون والفرق بين الاثنين عظيم لان (امبريون) تطلق على احد اطوار الجنين الاولى حيث يستحيل تمييز الحيوانات اللبونة بعضها عن بعض . ففي هذا الطور يعسر جدا التمييز بين القرد والكلب والثور والانسان مثلا . لكنه عندما ينتهي التطور الى حد نستطيع ان نعرف فيه كل نوع على حدة حينئذ يطلق على المضغة لفظة (فاتوس اي جنين . وقد ترجمها احد المؤلفين أيضا بلفظة (رشيم) .

المعجم المفصل (*)

لأسماء والملابس عند العرب

المؤلف دوزي
تأليف الدكتور أكرم فاضل

(بغداد)

تعنيه كل كلمة لدى نشأتها — مهمة تجعلنا نضع بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقتها كل كلمة في الجزيرة العربية وفي فارس وفي سوريا وفي أفريقيا الخ — وأخيرا ، نناشد هذا القاموس أن يكشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات في جميع الاقطار التي تألفت منها هذه الامبراطورية العربية المترامية الاطراف ، التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا .

انني اتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي اطلبه ، باستناده الدائم على نصوص المؤلفين ، ان يخط لنا ، اذا صح القول ، تاريخ كل كلمة ، وقصة كل جملة . هذا المعجم المفقود الذي يميز بوضوح وجلاء المعاني الخاصة لكل كلمة في قطر معين من الاقطار العربية من المعاني التي كانت تعرب عنها الكلمة في قطر معين آخر : القاموس الذي يجب ان يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء من معناها الخاص لدى كتاب النثر .

وخاتما ، انني احلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العلمية والفنية ، المشروحة شرحا منهجيا .

ولكنني اكرر القول ان الازمنة التي يستطيع ان يؤلف خلالها هذا المعجم ما انفكت بعيدة كل البعد

مهما تكن الخطوات التي خطاها الادب العربي في مجال التقدم والرفق واسعة في هذه الازمنة الاخيرة ، فليس بمقدورنا ان ننكر ان علم اللغة لم يتقدم بنفس الخطوات التي تطعتها العلوم التاريخية والجغرافية . بل ارانا مرغمين على الاعتراف باننا في حلبة علوم اللغة لم نندفع الى ابعد مما اندفع اليه الباحثون في عهد Golius (1) .

فالحقيقة اننا في الحالة الراهنة للعلم ما زلنا غير قادرين على التفكير تفكيرا جديا بوضع معجم عربي شامل .

فان مكنتات اوربا وآسيا وأفريقيا ما تبرح تطوي اضعها على آلاف من المجلدات المخطوطة التي ما انفكت عناوينها مجهولة لدينا . ذلك لان مخطوطات اعرق الكتب كلاسيكية في الادب العربي لم تتناولها حتى يومنا هذا يد التحقيق والتدقيق بالعناية اللازمة ، ولم يعارض بعضها ببعض . وان القيام بطبع خمسين مؤلفا من الطراز الاول لا يعد عملا كبيرا اذا وازناه بالعدد الهائل من الكتب الذي ينتظر بلهفة نشره على الكافة .

وانني اذ اتحدث عن معجم عربي اعني بذلك قاموسا يأخذ على عاتقه — الى جانب اهتمامه ، بكل ما لديه من طاقة ، بالمعنى الدقيق الذي كانت

Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les Arabes, par R. P. A. Dozy (*)

(1) J. Golius (حوالي 1630) ألف مجموعة من منتخبات في الآداب والقرآن منها نصوص للحريري وابي العلاء المعري . واعظم عمل قام به هو تأليفه معجما عربيا لاتينيا . وهذا المعجم يعد بالاضافة الى كتاب النحو لارينيوس من امهات المصادر في علم اللغة العربية (مجلة اللسان العربي ، العدد الثاني ، ص 81 الرباط — المغرب الاقصى) .

مكتبة ليدن - وفي حالة كون هذه المخطوطات تؤلف شطرا من مكتبات أخرى أخذت على عاتقي تنبيه القراء على الدوام . وأرى لزاما علي أن الفت الانظار الى انني بنشري نصوصا لمؤلفين من العصر الوسيط للادب العربي حرصت كل الحرص على ايرادها كما كانت مرسومة في المخطوطات . وان قواعد النحو التي اتبعها هؤلاء المؤلفون تشذ بعيدا عن القواعد التي نحاها نحاة البصرة ونحاة الكوفة ، فوجب علي الا أشوه المؤلفين باعارتهم نحوا لم ينصوه .

لقد شملني M. de Guyangos (2) بلطفه فأعارني بضع مخطوطات من مخطوطاته . وسترون على وجه التخصيص ان النسخة النفيسة لرحلة ابن بطوطة ، التي يكتنيتها هذا العلامة ، هي التي أفادني افادة بالغة لا مثيل لها . وان هذا السفر هو كتاب من النمط الرفيع من عدة وجوه . أما المختصر المترجم من قبل M. Lee ، فانه لا يهينا الا فكرة ضعيفة عن أهمية الكتاب الاصلي .

فأرجو من M. de Guyangos أن يأذن لي بتقديم الشكران اليه ، وازجاء عواطف الاعتراف بالجميل لشخصه الكريم على الاحسان الذي شملني به

وأنا أمل العفو عن بعض الهنات التي وقعت في لغة هذا الكتاب الفرنسية ، اذ يكاد يكون أمرا مستحيلا على اجنبي مثلي أن يتجنبها . ولعله كان اسهل علي أن اكتب الكتاب باللغة اللاتينية ، ولكن الموضوع يتعارض وهذه اللغة ، ذلك لانني لم استعملت هذا اللسان لارغمت ارغاما على تفسير الكلمات العربية بتعابير مستعارة من اللغة الرومانية العتيقة ، هذه اللغة التي لم تعد مدلولاتها معروفة لدينا بصورة دائمة .

عنا . وانتظارا لهذا العهد المرموق ، بوسعنا ان ندفع عجلة علوم اللغة الى الامام بثلاث طرق : الطريقة الاولى تنحصر في تدبيج تعليقات وملاحظات من صميم فقه اللغة على هيئة شرح كتاب لمؤلف من المؤلفين ، او باضافة ملحق بشرح الكلمات التي اوردها المؤلف في كتابه وذلك حين يتدر نشر ذلك الكتاب . وهذا القاموس الصغير هو بمثابة تكملة للمعجم موضوع البحث . وهذا النهج هو الوسيلة المتبعة بصورة عامة حتى هذا اليوم . اما الطريقة الثانية فهي جمع الكلمات التي تؤلف صنفا من الاصناف . واما الطريقة الثالثة فهي الاتمسار على لغة ترن واحد او على لغة قطر واحد . ولكن هذه الطريقة لم تتبع حتى هذه اللحظة .

لن اتوقف هنا لمناقشة مختلف المنافع التي تجنيها كل طريقة من هذه الطرق ، ولكنني سأحلكم فقط على ملاحظة ان الطريقة الثانية ، الطريقة التي كنت اول من اتبعها في هذا الكتاب انصياعا لبرنامج المعهد ، هي التي تنفعنا بغوائد حقيقية ، لاسيما اذا كانت الكلمات المطلوب شرحها تتعلق بالاخلاق والعادات .

اذا فاسمحوا لي بأن أقول كلمة واحدة عن الخطة التي رايت من المحتم اتباعها . فلقد آمنت بأهمية تحقيق الوثائق في عمل له هذه الطبيعة ، وأن اقرب بين شهادات واستشهادات المؤلفين ، وأن اقرن بعضهم ببعض . ولم أجرؤ على المجازفة ، وركوب متن الشطط في متاهات من التخمينات الاشتقاقية ، التي لو عرضها شخص آخر غيري لبدت مقبولة رائعة بارعة ، ولكن هذه الظنون لن تأتي بنتيجة يطمأن اليها مطلقا .

ان المخطوطات التي ذكرتها تعود ملكيتها الى

Gayangos y Arce (Don Pascual) مؤرخ اسباني، ولد في اشبيلية عام 1809 ، ومات في لندن سنة 1897 ، وهو مدرس اللغة العربية في كلية الدراسات الادبية بهدريد ، ومدير التعليم العام ، وأحد أعضاء مجلس الشيوخ ، ومراسل الاكاديمية الفرنسية للفنون .

واذا تركنا جانبا ترجمته الى اللغة القشتالية تاريخ الادب الاسباني لمؤلفه ثيكنر (1851 - 1856) ومنشوراته عن كتب الفروسية او عن كتاب النثر الاسبان لما قبل القرن الخامس عشر ، فان جميع مؤلفاته على وجه التقريب مكتوبة باللغة الانكليزية . وقد وضع دليلا للمخطوطات الاسبانية في المتحف البريطاني (1875 - 1893) وساهم في جمع « وثائق الدولة » التي نشرت بأمر من الحكومة الانكليزية . ولنامنه كتاب « تاريخ السلالات المسلمة في اسبانيا » (1840 - 1842) . (لاروس القرن العشرين)

شربيل ، زربول ، زربون .

ان كلمة شربيل وكلمة زربون لا وجود لهما في القاموس ، وانني لاجهل تمام الجهل اين وجـد سيلفستر دي ساسي - راجع كتابه الموسوم : طرائف عربية (ج1 ص 146) Chrestomathie arabe ان كلمة زربول (!) تعني في الشرق : انعلة ومداسات قديمة ، الامر الذي يعتبر غير مقبول في كل الاحوال .

يقول Diego de Haedo في كتابه (خطط مدينة الجزائر ص4 و ص27 Topografia de Argel) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر : « بعضهن (الاسيا النساء المغربيات) يلبسن نوعا من المداسات (unas servillas) على الطريقة المغربية ، مصنوعة بلطافة واناقة ، من الجلد الملون ، وهن يسميها xerecuilla . ونحن نقرأ في كتاب Höst (اخبار من مراکش ص 117 : Nachrichten non Marokos) جميعهم يلبسون احذية مصنوعة من الجلد المراكشي التي تدعى باسم scherbil شربيل ، وتكون احذية الرجال صفراء ، واما احذية النساء فحمراء . كما نعلم ان مداسات هؤلاء واولئك لا كموب لهما » .

وفي قائمة الكلمات العربية التي انشأها Breitenbach في كتابه : (ص 115 ، Beschreibung der Reyse und Wallfahrt) وهو الرحالة الذي زار الشرق عام 1482 ، نجد ان كلمة Serbul مفسرة بكلمة schuh (مداس) . ويقول D. Jernano de Silesia (ص 905) الذي سبق للمؤلف Habicht ان ذكره في مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب ألف ليلة وليلة ، ان كلمة زربول وجمعها زرابيل ، هي مداس مزود بكعب (Scarpa con tallone; calceus cum tato) وما لم يثبت لي مثبت العكس ، فانني اشعر انني مرغم على الاعتقاد بان الزربول وكذلك الشربيل لا كموب لهما ، وقد نعثر احيانا على صيغة زربون في كتاب ألف ليلة وليلة ، اذ نجد هذه الكلمة مرتين

في الجزء الاول من طبعة ماكناكتن M. Macnaghten وقد تفضل M. Amari فأعلمني ان كلمة Scarbon وجمعها scarben ما زالت مستعملة حتى ايامنا هذه في مالطة .

واعتقد ان كلمة شربيل ماثلة للتعبير الاسباني servilla الذي يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد . والكلمة مشتقة من serva (sierva) ذلك لان الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات . ومن كلمة شربيل تألفت ، في عقيدتي . كلمة زربول ، فان حلول (الزاي) محل (الشين) ليس فيه ما يدعو الى الدهشة والعجب ، وستذكرون ان (و) و (ي) في الشعر العربي يجيئان في قافية واحدة . كما هو الامر في الشعر الالماني . فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بابدال اللام بالنون ، وهما حرفان من نفس السلسلة . وقد قلت ان كلمة servilla مشتقة من كلمة : (خادمة ، امة ، جارية) serva servante وهناك مسألة تدعو الى الملاحظة وامعان النظر فاننا نقرأ في كتابك ليلة وليلة (ط Macnaghten ج 2 ، ص 24) : جعل في رجله زربونا على عادة المالك (siervas) بالاضافة الى اننا نلاحظ في هذا النص ان كلمة زربون مستعملة كاسم جنس جمعي في كتاب ألف ليلة وليلة : للاشارة الى فردتين من الزربون . وقد لاحظت أننا نفس الملاحظة حول كلمة خف (1)

لهذه الكلمة مدلولان ، لانها تستعمل للاشارة الى العمامة بقضها وقضيضها : اي الكلوة ، احد الكلوات ، مع قطعة القماش المنقوفة حولها (وهذه العمامة بتماها تدعى كذلك عمة) وصف مصر ج 18 ، ص 108 ، ابن سعيد ، المذكور لدى فريتاغ ، طرائف عربية وقواعد وتاريخ ، ص 147 (2) ، وكذلك قطعة القماش وحدها ، التي تلف عدة لفات حول الطابوقة (الكلوة) او الطاقيات ، الطواقي . وان التفاصيل التي بمقدورنا ان نجعلها حول العمامة لو شئنا لتبلا سفرا بأكمله ، لذلك سنقتصر هنا على

(1) ان اهل الموصل حتى يومنا هذا يسمي بعضهم هذا الصندل الصبياني بالزغبول وبعضهم بالزربول (المترجم)

(2) ان سيلفستر دي ساسي ، في حديثه في صحيفة العلماء Journal des Savants عن كتاب السيد فريتاغ ، يرى وجوب احلال كلمة عمامة محل كلمة عمة في هذا النص ، ولكن كلمة عمة موجودة في مخطوطة دي غويا (ص 45) وهي صحيحة على العموم ، ومؤيدة بشهادة دي شابرول.

وكان الفقهاء في اسبانيا يلبسون بصورة عامة
العمامة .

وفضلا عن ذلك فان عمامة القضاة اضعف
كثيرا من عمامة العرب الآخرين ، ومن هذا الوضع
كان يسمى واحد منهم (بالتعمم او المعتم او صاحب
عمامة او رب العمامة (1) راجع حول هذا الموضوع
ملاحظة ممتعة للغاية لكاتير (تاريخ السلاطين الممالك
ج 1 ، ص 245 ، 246) .

وان جميع المسلمين ، ولاسيما رجال القضاء
يرون شرفهم في عمامتهم . وعادة اسبال طرف من
قطعة القماش عريقة في التاريخ ، وهي ما تزال
موجودة في ايامنا هذه . وهذا الطرف يحمل اسم
عذبة او ذؤابة (2) ، وهذا الامر شائع الى حد ان
احد الشعراء استعمل تعبير كل حيال عمامة : اي
كل عربي (راجع بيت هذا الشاعر في (طرائف عربية
للسيد كوسيكارتن ، ص 76)

(Chrestomathia arábica de M. Kosegarten, pag.
76)

والعمامة البغدادية كان لها عذبتان (راجع
كاتير ، كتابه النفيس ، ج 1 ق 1 ص 122) .

ويلبس الشرفاء واحفاد الرسول في يومنا هذا
العمامة الخضراء ، وكانوا قديما يعلقون قطعة
خضراء من القماش في العمامة . وفي عام 772 امر
سلطان مصر وسوريا ، الملك الاشرف Schaban
هؤلاء بربط قطعة من القماش خضراء بعمائمهم . (ابن
حبيب ، درة الاسلاك ، مذ 425 ، ص 578 ، 579 ،
السيوطي حسن المحاضرة ، مذ 112 ص 246) .

وتصر مختلف الاشياء في العمامة ، والشرقيون
يستعملونها استعمالهم لجيوبهم . فنحن نقرا في كتاب
ابن اياس اتاريخ مصر ، مذ 267 ، ص 429 :
تغير خاطر السلطان على القاضي عبد الباسط ونقله
من المكان الذي كان بالحوش الى برج من ابراج

ايراد المعلومات الرئيسية ، موجهين نظر القاريء
الراغب في المزيد من التفصيلات الواسعة الى البحث
النفيس الذي كتبه G. Fesquet في كتابه
(Voyage en Orient et suiv.)

رحلة الى الشرق ، ص 182 وما تلا ...
فنبو بلا منازع خير من كتب عن العمامة ، ولكننا
سنحرص كل الحرص في هذا المقال على الاماع الى
استعمال العمامة .

فالعمامة في العادة بيضاء اللون ، ومعمولة من
الشاش الموصل ، ولكنها تعمل كذلك من اقمشة
اخرى ومن الوان متفرقة ، فهي تعمل مثلا من الحرير
الاسود المرصع بالذهب ، او من الكتشير ، او من
الصوف الاحمر او الابيض الخ.

وكان سعيد بن العاص بن امية يتميز بين العرب
القدامى بجمال عمامته (الميداني ، الامثال العربية ،
ج 1 ص 222 ، النويري المعلقة ، مذ 272 ، ص
127) . وكان الرسول يعتم بعمامة كانت معروفة
وكانت تحمل اسم السحاب (le nuage)

وقد اورثها او تنازل عنها لعلی (عيون الآثار ، مذ 240 ،
ص 189) ولعل ابن جبير في كلامه عن (عمامة شرب
رقيق سحابي اللون قد علا كعبتها على راسه كأنها
سحابة مركومة وهي مصفحة بالذهب) قد اشار الى
هذه العمامة البيضاء للرسول (الرحلة مذ 220 ،
ص 82) . وذلك اثناء حديثه عن امير مكة .

وكانت العمامة في اسبانيا وكذلك في المغرب لا
تلبس الا في الحالات النادرة . (ابن سعيد ، النص
السابق) ، ومما لا ريب فيه ان الجيش لم يتخذ هذا
الاكليل لاننا نقرا لدى النويري (تاريخ اسبانيا ، مذ 2
ص 474) : ثم عزم على الغزاة وتقدم اليه هشام
ان يتعمم هو وسائر الجند . ففعل وعقد الويته
وخرجوا في العمائم . وكانوا بها في اقباح زي لمخالفة
العادة .

(1) ان عادة رجال القضاء وهي انهم يمتازون باكليل فخم او عال موجودة في المغرب حسب مخطوطة
هولندية تعالج لعبة الشطرنج :

(Van st Schaerspell, manuscrit hollandais de la Bibliothèque de Hambourg, n° 49, pag. 47)

(2) لا وجود لكلمة ذؤابة بهذا المعنى في القاموس، ولكن المقرئ او بالاحرى ابن سعيد (لدى فريتاغ ،
طرائف عربية نحوية تاريخية ، ص 148) والسيوطي (لدى ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ، ص
267) يستعملونها بهذا المعنى . فنحن نقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مذ دي كايانكوس ، ص 128) :
أتى شيخ على راسه عمامة لها ذؤابة عليه ثياب بيض وعمامته كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة الى
جانب .

القلعة . فلما استقر به دخل عليه الوالي وقال له : ان السلطان قضى بنزع ثيابك ، فعره من ثياب بدنه حتى اخذ عمامته من راسه وتركه . ودخل بأثوابه بين يدي السلطان . وكان قد وشى به عنده ان معه شيئا من السحر . فلما فتشوا عمامته وجدوا فيها قطعة من اديم ووجدوا أوراقا فيها ادعية جليلة وخواتم فضة لا غير . فبعث السلطان يسأله عن تلك القطعة الاديم ما هي ، فقال : هذه من نعل النبي صلى الله عليه وسلم . فباسها السلطان ووضعها على عينيه واعاد اليه ثيابه ونقله الى المكان الذي كان به أولا .

ونجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتكن ج 1 ، ص 212) : « فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته » . وكثيرا ما توضع حافظة النقود في العمامة ولهذا العلة يحرص اللصوص في الشرق على الاستحواذ على عمام السابلة . (راجع كتاب الف ليلة وليلة ، ط مكناتكن ، ج 1 ص 201 ، وتعليق ليسن الف ليلة وليلة ، ج 1 ص 420) .

ولما كانت كلمة عمامة تشير الى قطعة من القماش فارعة الطول يلفها المتعممون حول الرأس ، فلن يبدو امرا مستغريا ان تستعمل العمامة لتكتيف سجين أو اسير . فنحن نقرا في تاريخ : Kattalah-as-Schodjjan (لدى Kosegarten) : طرائف عربية ، ص 69) : ربط السجين بعمامته وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتكن ، ج 1 ص 190) : « اهدبوه وكنثوه بعمامته وجروه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له » يشد الانسان نفسه بشيء توقيا من السقوط ، أو لفرض آخر . فنحن نقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كياتكوس ، ص 4) : فكنت اشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف 20 - لخلق الانسان نفسه أو لخلق سواه . فنحن نجد في رحلة ابن بطوطة مخ ، ص 157) : فدخل الى بيته وربط عمامته بسقف البيت واراد أن يخلق نفسه ، وفي القرطاس Kartas (مخ 17، ص 99) : فجعلوا عمامته في عنقه وشنقوه بها . ونقرا في الكتاب المعنون (حكاية اقامة عشر سنوات في طرابلس بافريقيا ، ص 4) (Narrative of a ten years' residence at Tripoli in Africa, pag. 4)

« ان احد الافارقة يعتقد انه لا سبيل الى تهره عندما يكون معتبا ، ولكن هذه العمامة تكون أحيانا مصدر شؤم له . فالحقيقة ان الانسان يستطيع أن يخلق

بطرف من هذه العمامة التي تحيط بعنق الضحية بأقل من الوقت الذي يستغرقه سحب الحبل المشؤوم لخنقها به ، واعتقد ان تعبير (عمامته في عنقه) نجم من استعمال العمامة في كثير من الاحيان لخلق أحد الرجال (المقريزي . لدى ديساسي ، طرائف عربية ج 2 ، ص 21 من النص) وهذا يعني : ان الرجل دان وخضع واطاع : ذلك لانني ارى ان الناس كانوا يعبرون بلبس العمامة حول العنق انهم قد اعترفوا للسلطان بالسلطة المطلقة بالتصرف في حياتهم ومالهم راجع في موضع آخر كلمة منديل ، واستعانة بهذه التفصيلات سيكون بوسعنا ان ندرك بسهولة حسب عقيدتي ، نصوص المؤلفين العرب ، التي لا تستعمل العمامة استعمالها الاعتيادي ، وبوسعي كذلك ان اضيف اننا نقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ ، ص 228) : وجعلوا العمام في اعناق خيلهم . وهي عادة اهل الهند اذا ارادوا الموت .

ويجب الحذر من التفكير بأن العمامة يمكن ان تكون قد استعملتها النساء . فان هذا الاكليل خاص بالرجال ، وفي الشرق ينحت شكل عمامة على شهادة القبر ، في حالة ضم هذا الجسد رفات شخص من جنس الذكور ، وبهذه الوسيلة يمكننا بسهولة تمييز قبور الرجال من قبور النساء ، ذلك لان باضرحة النساء ينحت اكليل امرأة . (راجع Copin) درع أوروبية ، ص 284 (Le Bouclier de l'Europe) وانظر كذلك (حكاية اقامة عشر سنوات في طرابلس بافريقية ، ص 27) .

اشاح

انظر كلمة وشاح .

أصدة ، أصيدة ، مؤصد ، مؤصدة .

يبدو ان هذه الكلمة لم تكن مستعملة الا في العهود الاسلامية الاولى ، لان علماء اجلاء من العرب لم يكونوا ليعرفوا بالضبط أي نوع من الملابس تدل عليه هذه الكلمة . فنحن نقرا لدى ابن فارس في كتابه (مجلد اللغات ، مخطوطة 485) : الاصدة قميص صغير يلبسه الصبيان . ونقرا كذلك لدى الجوهري : الاصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب .

قال الشاعر :

ومرهك سال امتاعا بأصدة

لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

الصائفة لمصدر من الصيغة الثامنة ، الذي كان في
مقدورهم بل كان واجبا عليهم اضافة اداتهم اليه
ايضا .

ولما كنت لا اعتقد بوجود فارق كبير بين كلمة
Iltimak عند المغاربة وبين Toumak الاثراك
في مدينة الجزائر ، في القرن السادس عشر ، فانتني
سأترجم هنا مقالته : Diego de Haed في كتابه
Topografia de Argel, fol. 2°, col. 2 . عن الكلمة
الاخيرة : « وانهم يسمون جزماتهم —
tumaques (Süs borzequies) وهذه تكون صفراء
ناقعة الصفرة او برتقالية ، او ذات اللون اخرى .
وهناك قلة من الناس تحتذى هذه الاحذية اذا كانت
سوداء او بيضاء .

انتاري او انتاري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .
ويكتب (Meninski et M. Hindoglu) في كتابهما:
(Sammlung der zum Sprechen nöthigsten Wörter
und Redensarten der Turkischen, Neugriechi-
schen und deutschen Sprache, pag. 80)

انتاري

ولكن الفارس آميديه جوبير Amédée Jaubert
في كتابه (النحو التركي ص326) ومستر لين M. Lane
في كتابه (المصريون المحدثون) كتب : انتاري
(Modern Egyptians, tom I, pag. 152) ولما زار
Niebuhr الشرق وكتب كتابه
(Reize naar Arabië, tom I, pag. 152)

كان سكان القاهرة من الطبقة العليا ومن الطبقة
المتوسطة يرتدون الانتاري ، وهو اللباس الذي كانوا
قد استعاروه ولا ريب من الاثراك . ويقول :
كان القوم يلبسون فرق القميص والـ Schakschir
الانتاري ، المبطن بالقماش والذي يعلو الركب
بشبرين تقريبا .

اما اليوم فإن هذا اللباس لم يعد يرتدى من
قبل الرجال في مصر ، ولكن السيدات يستعملنه في
بعض الاحيان . وان انتاريهن هذا يختلف بالرغم
من ذلك مع انتاري الرجال من ناحية الشكل .

واليكم وصفة من قبل M. Lane في كتابه
السابق القيم Loco Laudato : « انه
كالسترة القصيرة يعلو قليلا وسط الجسم وهو يشبه

ويضيف الجوهري : « وتلبسه أيضا صغار
الجواري . وتقول أصدته تأصيذا .

قال كثير :

وتد درعوها وهي ذات مؤصد

مجبوب ولما تلبس الدرع رندها

ولا وجود لكلمة مؤصد في قاموس السيد
فريتاغ (M. Freytag) ولكننا نجد في القاموس
(طبعة كلكتا ، صفحة 340) : الاصد بالضم قميص
صغير للجارية الصغيرة او يلبس تحت الثوب
كالاصيدة والمؤصدة . ويقول التبريزي (في شرح
الحماسة صفحة 223) في معرض حديثه عن البقعة
السماء ذات الاصد عن كلمة اصد ما يلي : فاما
الاصدة فهو ثوب لم تتم خياطته . وقيل هي البقيرة .
وقيل بل هي الصدر .

قال الشاعر :

مثل البرام غدا في اصد خلق

لم يستعن وحوامي الموت تفشاه

وهذا البيت نفسه موجود في هامش الجوهري
مع التعليق التالي : لم يستعن اي لم تخلق عانته .
والبرام القراد . واما حوائم الموت فهي اسباب الموت
وانني متأكد من سرقة هذا البيت من البيت الذي
سبق أن قرأناه : فان كلمتي (لم يستعن) قد استعملتا
كذلك من قبل السارق ، ولكن كما نرى في معنى آخر .
بالاضافة الى اننا نعلم ان خلق العانة عادة متبعة
لدى الرجال المسلمين والنساء المسلمات .

الطاق والجمع الطماقات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد شوه عرب اسبانيا على هذه الشاكلة
الكلمة التركية طوماق . ويترجم بيدرو دي الكالا
Pedro de Alcala في كتابه (مفردات اسبانية
عربية (Vocabulario Español Árabe) الكلمة
الاسبانية Borazegui الطماق ، وجمعها
الطماقات ، ويترجم Calça Casa de borzequies
الى ملابس اللطماق وانني افترض ان العرب قد اضافوا
اداتهم الى الكلمة التركية (الطوماق) وبعد ذلك
اعتبروا ال وكأنها جزء لا يتجزأ من الكلمة ، ويعد
مضي بعض الزمن ، خلعوا على كلمة الطماق الحروف

الى فلسطين صوب الامير المعظم ، ص 208
(Voyage dans la Palestine vers le Grand Emir,
pag. 208)

وهو يصف زي الامراء البدو الشتائي : « ان
بوابيجهم المصنوعة مما تصنع منه الخفاف pantouffles
اي من نفس الجلد المراكشي الاصفر يستعملونها
استعمالنا للاحذية وهم يخلعونها اذا ارادوا الجلوس
او اذا مشوا على الايسرة والساجيد » ويقول
الرحالة نفسه بعد ذلك (ص 211) واصفا طراز
السيدات لدى البدو « ان بوابيجهن صغيرة ومزركشة »
ويقول في مكان آخر (ص 212) متحدنا عن ملابس
الرجال بصورة عامة « ان لهم اقداما حافية داخل
جزماتهم حين يمتطون الجياد ، اما في مخيماتهم فيضعون
كذلك هذه اقدام داخل البوابيج مع هذه البوابيج
التي لها ما لخفافنا من آذان وزوائد وثقوب تكون
من ربطها بالارجل ، وهذه البوابيج ليس لها سوى
نعل خفيف مع حرمانها من الكعوب » ويرى المؤلف
ذاته (ص 213) ان النساء بصورة عامة يدرجن
حافيات اقدام اثناء موسم الصيف ، اما في الشتاء
فيلبسن البوابيج المصنوعة على وجه التقريب على
هيئة بوابيج الرجال » (2) .

ويذكر Von Richter في كتابه
Wandfahrten in morgenlande, pag. 263) بوابيج
(paputschen) النساء الحليات ، ويفسر هذه
الكلمة بكونها (pantouffles) ويبدو ان البوابيج
باتية الاستعمال ايضا في اليمن ذلك لاننا نقرأ في هذا
الكتاب :

Voyage de l'Arabie Heureuse (Amsterdam, 1716,
pag. 208)

تمام الشبه اليك الذي اقتطع منه الجزء الاسفل (1)
ويلبس الناس احيانا هذه السترة القصيرة بدلا من
اليك ، فهو اذا مصنوع من قماش مخطط بالالوان ،
منسوج من الحرير او من القطن ، او بالاحرى من
الشاش الموصلي المنقوش او المحوك من خيوط ملونة
وهو احيانا ابيض اللون خالص البياض ، وله كمان
طويلان وقد فصل على هيئة تسمح له بأن يزرر من
الجهة الامامية ابتداء من الصدر وانتهاء بنهايته .
وعلى وجه العموم فهو مفصل على صورة تدع نصف
الصدر مكشوف (هذا الصدر الذي هو مع ذلك
مستور بالقميص) : ولكن كثيرا من السيدات يرتدين
الانتاري الفضفاض بصورة مفرطة لدى هذا الجزء
من الجسم .

بابوش أو بابوج

ان هذه الكلمة هي كما نعلم من اصل فارسي
(بابوش) قد تسلت الى اللغة العربية كما تغلغل في
اللغة الفرنسية ، واندست في اللغة اليونانية الحديثة.
ويوسعنا ان نستشير فيمن نستشيرهم عن
البوابيج التي تحتذيها نساء اسطنبول الرحالة
الفرنسي تيفنو Thévenot في كتابه (حكاية رحلة الى
المشرق ، ص 56
(Relation d'un voyage fait au Levant, pag. 56)
كما نستطيع مراجعة De Bruyn في كتابه
(Reizen door Klein-Asie, etc. pag. 95, 131) يقول
تيفنو Thévenot (ص 329) في معرض كلامه عن
البدو : بعض هؤلاء البداء لهم بوابيج تشبه خفافنا .
ويقول : دارفيو D'Arvieux في كتابه : رحلة

- (1) « يلك » (اي ثوب) يلتصق عند الحرقفتين ... ثم ينسدل الى القدمين ، وهذا الرداء مقور بحيث انه
لا يغطي النحر ، ولا يثبت في مكانه الا القميص وهو يحوي ازرارا من امامه يتلو بعضها بعضا من
فوق الى ما تحت الحزام ، ويكون مفتوحا من الجانبين من ابتداء الحرقفتين ، والكمال يلاصقان
الذراعين ثم يذهبان متسعين شيئا فشيئا من الكوع ، ويهبطان حتى يعادلا أسفل الثوب ، وقد
ينتهيان عند المعصمين (سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية (49) ص 24 ، (1961) -
كما ان « اليك » لم يبق بطول « اليك » الذي كان شائع الاستعمال من قبل ، اذ أصبح كساه
منتبين عند المعصمين ، ولم يعد مقورا على الصدر بل صار يزرر فوق هذا الجزء من الجسم
ويلتقي به كما في ثياب الاوروبيات . ص 26 - المرجع السابق .
- (2) ويقوم المزد في اقدام النساء مقام الجوارب لانهم يبقينه باتداهن في اثناء جلوسهن على الدواوين
والساجيد ، اما اذا اردن السير في مكان آخر فانهم يلبسن من الاحذية نوعا يقال له البابوج ،
وهو حذاء من الجلد الاصفر طرفه دقيق ملتف الى فوق - سعد الخادم - الازياء الشعبية - المكتبة
الثقافية - ص 25 .

ان ملك اليمن كانت ساقاه وقدماه عارية الا من بابوج على الطريقة التركية » .

ومدينة الجزائر تختلف بوابيجها عن تلك البوابيج التي يستعملها البدو . وذلك بعدم وجود آذان وزوائد وثقوب لديها فهي من حيث النتيجة لا يمكن شدها وربطها .

ويقول دارفيو D'Arvieux في كتابه (Mémoires, tom. V, pag. 281) عن مغاربة هذه المدينة « أنهم يمشون حفاة الاقدام عراة السيقان ولا احذية لهم الا البوابيج التي هي احذية مسطحة مسمرة تحت الاعقاب ، ولا آذان لها ولا زوائد مثل اخفافنا وداستانا « nos pantoufles » ويتحدث بيدودي سان اولون Pidou de St-Olon في كتابه الحالة الراهنة في امبراطورية مراکش ، ص 90 (The present state of the Empire of Morocco, pag. 90)

عن البوابيج التي يلبسها المراكشيون . راجع ايضا الكتاب المعنون : رحلة لافتداء الاسرى ، ص 50 (Voyage for the Redemption of Captives, pag. 50) ويظهر ان البوابيج في مصر كانت تلبس قديما من قبل الرجال ، ايام الحملة الفرنسية ، وان الكونت دي شابرول M. le Comte de Chabrol في كتابه وصف مصر ، ج 18 ، ص 109 (La description de l'Egypte, tom. XVIII, pag. 109) يزودنا في هذا الموضوع بالتفاصيل التالية : « ان الحذاء — — يتألف قبل كل شيء من mest — — ثم من بابوش Babouch من Sarmeh (راجع كلمة سرموچه) . نريد ان نتحدث عن الخفاف المصنوعة من الجلود المراكشية التي يضع المغاربة اقدامهم فيها مدرجة في (الز) . ولدى دخول هؤلاء في شتة مفروشة بالسجاجيد فانهم يخلعون بوابيجهم وكذلك السمره : تأدبا واحتشاما .

وفي ايامنا هذه يبدو ان النساء القاهريات وحدهن قد ظلن لابسات هذه البوابيج : انهن

يلبسنها في بيوتهن حين لا يدرجن على السجاجيد ، وبوابيجهن هذه مديبة كثيرا ومصنوعة من الجلد المراكشي الاصفر (راجع : لين ، المصريون المحدثون ، ص 60)

(M. Lane, Modern Egyptians, tom. I, pa. 60)

على ان النساء برحن يستعملن هذا الحذاء لدى خروجهن من منازلهم . (الرجع السابق . ص 63) . ولعل هذا النوع من الخفاف كان مستعملا لدى نساء مصر في القرن السادس عشر ذلك لاننا على الاقل نقرأ في هذا الكتاب (ملاحظات بلون ، ص 234) (Observations de Belon, pag. 234) ان النساء في مصر يلبسن ايضا البواتين المحددة (1) الكموب على الطريقة التركية (Des bottines ferrées par le talon) وليست المسألة هنا هي مسألة خف ، ذلك لان هذا النوع من الخفاف لم يصل الى علمي انه محدد الكمب (مسر) .

ويلفظ اهل مصر هذه الكلمة على هذه الصورة (بابوج) ذلك لان لين M. Lane يكتب Babog ولدى هذا المؤلف يمثل الحرف G اللاتيني الحرف (ج) العربي (2 ، 3 ، 4) .

باروة جمعها باروات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وان الكلمة اسبانية Alpagarte التي تدل على (صندل) نعل محبل ، مصنوع من القنب او من الحلفاء مشتقة ، على راي احد كبار علماء اللغة العربية وهو ديجو دي اوربا (الكنز ، مدريد ، 1611) Diego de Urrea (apud Cabarruvias, Tesoro, Madrid, 1611) من كلمة ترقق العربية ، الكلمة التي لا وجود لها في قواميسنا ، ولكنها الكلمة التي نجد مثلها في الكلمة الاسبانية Alcoraque

للهولة الاولى تبدو هذه النظرة من التفاهة بمكان ، ومع ذلك فهي الحقيقة التي لا يأتيها الباطل

(1) ذات مسامير .

(2) يبدو ان العكس هو الصحيح . فالمصريون يلفظون الجيم العربي ج . فـ (ج) يقابل لديهم G اللاتيني ويلفظون البابوج (بابوج) تماما كما يكتبها مستر لين (Babog) : المترجم .

(3) لا يلبس المسلمون عامة الجوارب ، ولكن اصحاب اليسار منهم يستعوضون عنها بشيء من الجلد الاصفر يسمونه المزد — سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ص 29 .

(4) ويندر ان يكون لبنت المغني نعل تمشي فيه ، فان اتفق فمركوب يسمى الصرمة تلبسه المرأة عند خروجها من البيت لزيارة جاريتها — المرجع السابق .

(العروة) « . وبوسعنا التوقف على التفاصيل لدى
Rauwolf في كتابه :
(Aigentliche Beschreibung der Raysz, pag. 149)

بجاد

اننا نقرا لدى الجوهري (ج 1 ، مذ 85 ، ص
193) : البجاد كساء مخطط من اكسية الاعراب
ومنه ذو البجادين واسمه عبد الله . ونجد كذلك في
القاموس (ط كلكتا ، ص 341) : وكتتاب كساء
مخطط ومنه عبد الله ذو البجادين دليل النبي صلى
الله عليه وسلم . ويقول كذلك التبريزي في شرحه
للحاسة ص 643: كساء مخطط من اكسية الاعراب.
راجع كذلك :

(Abou-L-ala, apud Reiske ad Tarafam, pag. 62)
ولما كانت المعلومات التي ادلى بها العرب حول هذه
الكلمة شحيحة للغاية ، ونظرا لانني لم اصادف هذه
الكلمة بذاتي في نص بوسعه ان يلقي نورا اسطع
على معنى هذه الكلمة الحقيقي ، فليس بوسعي ان
اقول اكثر من ان الكلمة التي تعني كساء مخطط من تلك
الاكسية التي يرتديها البداءة ، وان عبد الله ابا
الرسول كان يرتدي بجادين ، فسمي بذوي البجادين .

بخنق

يقول الجوهري (ج 2 ، م 85 ، ص 109)
والفيروز ابادي (القاموس ، ط كلكتا ص 1246) ،
البخنق : خرقة تتنعق بها الجارية فتشد طرفيها تحت
حنكها لتقي الخمار من الدهن والدهن من الغبار . وفي
عهدي الميرزي : (وصف مصر ، ج 2 ، مذ 272 ،
ص 258 .

(Description de l'Egypte, tom. 11, man. 372, pag. 358)

يبدو ان البخنق كان يدل على نفس الشيء الذي
نسميه الآن طاقية ، لان هذا المؤلف في المادة المعنونة:
سوق البخانقيين لا يمنحنا من تفاصيل الا عن
الطاقية . وسنجد هذه المادة موسعة ، وهي متممة
للفاية ، مع ترجمة وتعليقات ، في موضوع الطاقية .
ولذلك اكتفي الآن هنا بملاحظة وجوب اضافة
جمع بخنق : بخانق الى القاموس . واذا آمنا بما
يقوله M. Freytag فان كلمة بخنق تشير
كذلك الى :

1 — خرقة توضع على رؤوس الاطفال
لتقيهم من البرد .

لا من بين يديها ولا من خلفها : فكلية قرق جمعها
قرقات ، ولما كانت الكلمة (قرق) تشكل زوجا ، فان
المسيحيين قالوا El-par-korkat ومن هذا المنطلق
تشكلت بعدئذ كلمة Alpargate . وان عرب
اسبانيا كما بوسعنا ان نتصور ، لم يستطيعوا ان
يتعرفوا على (قرق) فهم من كلمة Alpargate
صنعوا باروة وجمعها باروات . ويفسر
Pedro de Alcalá في كتابه (مفردات اسبانية -
عربية) (Vocabulario Español Árabe) كلمة
Alcoraque بأنها باروة . وجمعها باروات . على
ان هذا اللغوي يعطي نفس هذه الكلمة العربية
ترجمة للكلمة الاسبانية Alpargate
(راجع المؤلف نفسه في كلمتي (Calçada Caçada)
ويترجم (الكنز Cobarruvias (Tesoro) كلمة Alpargate
بأنها حذاء مصنوع من الحبال ، يستعمله المغاربة
كثيرا (Los Moriscos)

بت وبتات

يرى الجوهري (ج 1 ، مذ 85 ، ص 105)
كما يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 174) ان (البت
الطيلسان من خز ونحوه) ، ويورد الجوهري بهذا
الصدد الابيات التالية ، التي قيلت في ثوب من نظم
احد المتصوفة ، والتي صاغها في لغة صوفية (وقال
في كساء من صوف) :

(الرجز)

من يك ذا بت فهذا بتي
مقيظ مصيف مشتبي
نسجته من نعجات ست

ولا يخالجنى ادنى شك في ان هذه النعجات
الست ترمز الى الدرجات الست التي يتألف منها
التصوف ، كما يرى بعض العارفين . راجع :
(M. Tholuck, sufismus sive Theophia Persarum
Pantheistica, pag. 329)

يبدو من هذه العبارة اذا ان بوسعنا ان نخلص الى
ان البت كان من صوف او من اديم نعجة . والواقع
اننا نقرا في (Observations de Belon, pag. 411)
ان : « الشارة التي كان يلبسها الدراويش لاطهار
انهم من اتباع دين محمد هي جلد نعجة على اكتافهم:
ولا يلبسون لباسا الا ان يكون جلدا واحدا للنعجة او
لكبش هذا الى اتخاذ شيء يستر المواضع المخجلة

2 - خمار صغير للمرأة ، برقع أو برنس
ولكن من حجم صغير .
ويقول المتنبي :
يقتل العاجز الجبان وقد يعجز
عن قطع بخنق المولود (1).

بدرية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .
ولكن استنادا الى تقرير الكابتن ليون Lyon
في كتابه : (أسفار في افريقيا الشمالية ، ص 6
(Travels in Northern Africa, pag. 6) ان كلمة
بدرية تشير في طرابلس في افريقيا الى صدرية مطرزة
محرومة من الردينين .

بدن

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ، بوصفها
تشير الى ثوب قصير معدوم الكمين . ولكننا نقرا
لدى ابن بطوطة : الرحلة ، مذ دي كايانكوس ، ص 158
(Voyage, man, de M. Gayangos, fol. 158) « واهل
مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس واكثر لباسهم البياض
فترى من ثيابهم أبدانا ناصعة ساطعة » .
(Reisko, pag. 61-62)
راجع كذلك المتريزي ، تاريخ اسبانيا ، مذ
غوته ص 577

(Histoire d'Espagne, man. de Gotha, fol. 577)
وراجع ايضا برحات Burckhardt
(اسفار في البلاد العربية ، ج 1 ص 355)
(Travels in Arabia, tom. I, pag. 355)
وهو يتحدث عن سكان مكة وجدة : « ان ثياب
اشخاص الطبقة الوسطى التي يرتدونها نظيفة تصنع
في الاغلب الاقمع من الشاش الموصلي الهندي الابيض .
دون ان تكون مبطنه بأية بطانة وتدعى بدنا . وهي
تختلف عن الانتاري التي ترتدي في المشرق عادة
بكونها غاية في القصر ولا اكمام لها ، وتكون كذلك على وجه
العموم اقل حرارة ، ويعلمنا الرحالة بعد ذلك (ص

336) ان الرجال عادة لا يرتدون البدن الا في الشتاء ،
وهو مصنوع من خام الهند المخطط ، ويلبسونه بدون
حزام . ونقرا في مكان آخر (ج 2 ص 242) البدن
لا يلبس في المدينة الا نادرا . وهذا اللباس الخاص
بالجزيرة العربية يبدو انه لم يتجاوز حدود هذه البقعة .

برجد

ان هذه الكلمة تشير الى كساء مخطط وغليظ
« يقول الجوهري (ج 1 ، مذ 85 ، ص 194) كما
يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 344) : البرجد كساء
غليظ . ويشبه طرفه في البيت الثامن من معلقته
الطريق التي ارتادها بالطرف النهائي من برجد (كائه)
ظهر برجد (2) وبوسعنا ان نرى تعليق العلامة
(Reiske, pag. 61-62) على هذا الكلام . اذ يقول
الشارح بهذا الصدد : البرجد كساء فيه خطوط .

تاج

ان كلمة تاج بما تعنيه الكلمة الفرنسية
couronne غير داخلية في موضوعنا . ولكن لفظة
تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خاص من أغطية
الرأس للزينة . كما اننا نصادف كذلك هذه الكلمة
بهذا المعنى لدى الكتاب العرب الحديثين .

فحسب رأي الدمشقي Al-dimischki المترجم
من قبل Rasmuseen في كتابه الموسوم (الحوليات
الاسلامية Annales Islamismi, pag. 130 وطبقا
لقول ريتشاردسون Richardson في كلمة تاج ،
واخذا برأي M. Hammer-Purgstall في كتابه
Geschichte des Osman. Reiches, tom. II نستخلص
بأن Haider هو الذي اتخذ التاج (وهي
طاوية من النسيج الاحمر) لنفسه او لانصاره . ولكن
ملا مع رأي Oléarius في كتابه
Voyages en Moscovie, Tartarie et Perse, pag. 814
ومع Kaempfer في كتابه

- (1) يقول عبد الرحمان البرقوقي في شرحه لديوان المتنبي بصدد هذا البيت : البخنق خرقة تنقع بها
الرأس وتشد تحت الحنك (المترجم) .
(2) البيت المشار اليه هو :

أمون كألواح الاران نصاتها
أما البيت الذي يسبقه فهو في وصف ناقته :
وانى لامضي الهم عند احتضاره
على لاجب كائه ظهر برجد
بعوجاء مرقال تروح وتغتدي (المترجم)

التاج . وهاكم كلمات الرحالة : « بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الاسقفي (الطابية) لمن يدعون لدينسا la mitre crulique des Sophis (Mitram Sophorum aulican)

أما مواطنونا فتسمى لديهم هذه العملية : منح وسام الفروسية الفارسي . وقد ادخل شابان في القاعة الثانية : وكان الاول يطمع في احرار رتبة ادارة القصر الملكي في مدينة كسكر ، اما الآخر فيطمع في ادارة مائلة . وهذان المنصبان يتطلبان مديرا حائزا على الانتساب الى تلك الطبقة . ولما عرض اعتقاد الدولة رغبتها وقف كل منهما جامدا في مكانه الى ان فرغ الملك من تأملهما مليا والرضاء عن سمت كل منهما فانتهى الى استجابة طلبيهما . وبعد ذلك خرج من القصر (صحب يساول باشي) رئيس حراس القصر فبادل عمامته بتيجان جماعة الـ Sophis وكان هذا الرئيس يأتي في الدرجة الثانية بعد المارشال . ولدى رجوعه أمر المرشحين أن ينبطحا على بطنيهما ، وأن يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه . وانتظر بعد ذلك طويلا ، وظهر ، بظهر الرجل الخطير ، وهو رافع عصاه طوال الوقت . وطال انتظاره كثيرا للإشارة التي سيشير بها الملك برأسه ، لان الملك كان منغمسا في حديث مع عظماء المملكة ولما حصل أخيرا على هذه الإشارة ضرب قفا كل منهما ضربا شديدا ثلاث عصي ، كل ذلك وهو يتم ببعض العبارات . وعلى هذه الشاكلة قبلهما في بسك الـ Sophis ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين رأسيهما برمز ذلك السلك وأن يشرّبا كل منهما بعنقه باسم صاحب الجلالة الى كافة انواع الوظائف كل حسب استحقاقه . بعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه ، وقد اعتمر رأسه بالزينة ، واطهارا منهما للاعتراف والاعتزاز بالجميل ، قبلما عصا من ضربهما بالعصا . ثم تلد الشخص نفسه كلا منهما خنجرا ، وانصرفا بعد ان أشبعا رغبيتهما .

ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود ، وقد تشفع لهما المارشال ، ليحلا محل اثنين من الـ Sophis أو حرس قصر الملك اللذين انتقلا الى رحمة الله . وجرت المراسيم على نفس الشاكلة في البهو السفلي . وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذي أودعه على أمل التبدل السريع لخوذته بالطاقية النبيلة . ويخيل الي أن في العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن اياس اشارة الى عادة مماثلة.

Amoenitates exoticae, pag. 70-71
Malcolm في كتابه History of Persia, tom I, pag. 503
نرى أن ابن حيدر شاه اسماعيل ، هو الذي تبنى التاج . وقد ورد ذكر البيريه béret, berriton في رحلة

Viagg, tom. I della Persia, pag. 160, Pietro della Valle
البيريه الحمراء التي اسمها تاج ، وهي تقابل الكلمة الفرنسية Taj ويلبسها جنود الميليشيا ou couronne ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم الا في الحالات النادرة ، وفي الاحتفالات الرسمية فقط . يقول Oléarius (ص 813) واصفا التيجان : « انها طاقيات حمراء مشغولة من اثنتي عشرة طية او ثنية ، وهي تكاد تشبه كل الشبه شكل القناني التي يستعملها سكان اقليمى Languedoc, Provence التي لها بطن مسطح وعنق غاية في الطول والضيق » ويتحدث بعد ذلك (ص 814) عن الطاقيات الحمراء ذوات الطيات الاثنتي عشرة تخليدا لذكرى اوليائهم او قديسيهم الاثني عشر . واليك ما نقرا في كتاب Kaempfer (ص 44) : ان الـ Taadsj طاقية عالية ، لها هيئة خاصة ، وهو يستعمل في بلاط فارس . وبه يتوج الملك نفسه ، كما سبق أن قلنا ، أما اعيان المملكة فانهم يتزينون به في اعظم الاعياد الرسمية ، بحضور الملك ، وهو منسوج من الصوف المكث بالذهب ، وتحيط به صفوف من المجوهرات والاحجار الكريمة . ولهذا السبب سماه القوم Tadsji tomâr
تاج تومار ، وهذا المعنى لتومار او طومور يجب ان يضاف الى المعاجم الفارسية ومعنى ذلك Pileus circumligatus لاجل تمييزه عن تاج آخر اشد بساطة منه ، وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية (التي سنتحدث عنها قريبا) ولدى الـ Sopi أو Jesauli وهذا يعني الـ Atrienses أو اكبر حراس القصر الداخلي للملك : وهو احمر ولا زينة له . ودونكم شكله : انه ضيق من الجبهة ولكنه يأخذ في الارتفاع ويمعن في الاتساع ، هو من الاعلى مسطح ولكنه مؤلف من اثنتي عشرة طية ، حسب عدد الاولياء ، ويعلو في وسط قمته شبه ساق الـ ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر .

ويتحدث Kaempfer (ص 341) في عبارة أخرى من كتابه الجليل عن عرف خاص يستعمل فيه

فاننا نقرأ في هذا الكتاب (مذ 367 ، ص 149 ، حوادث عام 803) : « نزل من القلعة هو وبقية النواب وأخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا إلى تبرلنك يطلبون منه الأمان . فلما تمثلوا بين يديه خلع عليهم اقبية مخمل احمر والبسهم تيجانا مذهبة » .

راجع كذلك ابا الفداء في كتابه (الحوليات الاسلامية ، ج 2 ، ص 179) (Annales Muslemici, tom. II, pag. 179) واذا آمنابها يقول مؤرخ أرمني هو Tschamtschean في كتابه (apud Petermann Chrestomathia Armeniaca, pag. 11)

فان هذه العادة ترقى الى عهد سحيق عتيق ، وكانت تمارس في عهد آرام ونيونوس . فنحن نقرأ في هذا الكتاب : « فمنحه تاجا مرصعا بالجواهر والاحجار يزين به راسه ، وكانت هذه المنحة في ذلك العصر دلالة على أعلى درجات المجد والفخار (1) .

جبة وفي اللهجة المصرية جبة

اننا نجد في صحيح البخاري (ج 2 ، مذ 256 ، ورقة 167) بابين عنوان الاول منهما : « باب من لبس جبة ضيقة الكمين في السفر — — — انطلق النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبل فتلقته بباء فتوضأ وغسل في جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرجه يديه من كمينه فكنا ضيقين ، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلها ومسح يديه برأسه وعلى خفيه . كما نجد في باب لبس جبة الصوف في الغزو — — — قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال : أمك ماء ؟ قلت : نعم . فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل . ثم جاء فافرغت عليه الاداة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجها من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه . ثم أهويت لانزع خفيه فقال : دعها فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما — والحديث الاخير يرويه عروة بن المفيرة .

وقد ورد في مجمع الانهر (ط القسطنطينية ، ج 2 ، ص 258) : « روي أن النبي عليه السلام لبس جبة مكفوفة بالحرير » .

ان هذه العبارات ترقى الى العهود الاسلامية الاولى ، ولكن قبل ان نضرب في شعاب هذا البحث ، لا يبدو لي أمرا عقيما ان لاحظ ان الجبة من حيث هيئتها تشابه قليلا او كثيرا أردنتنا الليلية Nos robes de chambre ولكن طراز العصر

السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها ، الخ . ولنبدا بسوريا . ولما كان كوتوفيك Cotovic

قد قال في كتابه (الرحلة Itinerarium ص 485) في معرض حديث عن ثياب الشرقيين بصورة عامة :

« ان الثوب التحتاني المسمى عادة جبة Juba الذي يبطنه معظم القوم ببطانة من القطن ، يلبسه بعضهم مسبلا حتى الاقدام ، ويرتديه بعضهم مسبلا حتى منتصف الساقين ، في حين انه من الجهة الخلفية أقصر قليلا من جهته الامامية » فاننا لا يخالجنا أي ريب في ان العبارة التالية للمؤلف Ranwolf تمس اللباس الذي نتحدث عنه

الآن . فان هذا الرحالة يقرر ، في معرض حديثه عن سكان طرابلس سورية في كتابه (ص 49 Aigentliche beschreibung der Raysz) « وتحت هذا القباء يلبسون ايضا ثوبا آخر — — مصنوعا من الجوخ ، هو في العادة ازرق اللون ، لا سيما لدى الجنود ، وهو أقصر من الجهة الامامية منه من الجهة الخلفية ، وله « كمان » واسعان ، على انه محروم من الياقة » ويقول : Cotovic في كتابه المذكور القيم (Loco Laudato) انه (Collariuscaret) وأرى ان عبارة دانديني Dandini التالية في كتابه (ص 40) « سفر في جبل لبنان Voyage du mont Liban » وهو يتكلم ايضا عن سكان طرابلس سورية ، تخص كذلك الجبة . قال : « ان لهم سترتين . السترة التحتانية وهي الجلاب مع حزام » أما السترة الفوقانية فهي العبارة . ويذكر von Richter في كتابه (Wallbahrten in Morgenlande 123) من بين الالبسة التي اقتناها ، لاجل أن يمضي من بيروت الى قلب سوريا : « جبة حمراء

(1) ان كلمة تاج تعني كذلك نوعا من عمارة الرأس الذي تحمله النساء العربيات والذي نستطيع ان نراجع بشأنه مراجعة مثمرة لبين M. Lane في كتابه (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 424 ، الترجمة الانكليزية the Thousand and one Nights, tom. I, pag. 424 وبهذا المعنى تصادف هذه الكلمة في (Les Extraits du Roman d'Antar) مقتبسات من قصة عنتره العبيسي .

Dshübbeh rouge وهي عبارة عن (redingote) بلا بطانة) .

أما في مصر فقد كانت الجبة كذلك مستعملة ، وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى في أيامنا هذه . فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر ، مذ 2 ص 32) وكانت الخلعة جبة عتابي (1) حمرا وفوقها فرجية . كما نقرأ لدى ابن أبياس (تاريخ مصر، مذ 367 ص 281) : وكان السلطان لابس (كذا) جبة صوف أبيض . وهذه الكلمات نفسها موجودة بعد ذلك (ص 288) . وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط Habbicht ج 3 ص 126) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة : جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل المذب . ولا ريب أن الموضوع هو موضوع الجبة في العبارة التالية للرحالة Hellbrich في كتابه المعنون : (ص 292 Kurtzer und wahrhabetiger Bericht von der Reysz فان هذا الجواب يعرب عن نفسه بهذه الكلمات : « أن هؤلاء القوم بدلا من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) يرتدون سترة طويلة (Leibrock) هي أقصر قليلا من الجهة الامامية منها من الجهة الخلفية ، وهي مصنوعة من الجوخ الاحمر أو الازرق أو السنجابي » .

ويصف الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) على هذا المنوال الجبة فيقول : « الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك ، ويوضع فوق الرداء الاول وهو القفطان . وكما الجبة قصيران بالنسبة لكمي القفطان .

وتبطن الجبة في الشتاء ببطانة من الفرو » . ونقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41 ، كما نقرأ في ترجمته لآلف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 485) : « أن الرداء الاعتيادي القوقاسي هو ثياب طويل من الجوخ الملون كيفما اتفق ، ويسمى الاتراك هذا الثياب الجبة jubbeh ، ويسميه اللغويون gibbeh ولا يصل كما صح هذا الثياب حتى المعصم » . ويسمى لين الجبة ثوبا فوقانيا بالنسبة للقفطان الذي يلبس تحت الجبة La dijibbah ومع ذلك فالقوم يرتدون كذلك فوق الجبة أما بنيشا وأما غرجية وأما عباءة . وبوسعنا رؤية هيئة الجبة في كتاب (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 40 (الشخص الوسطي) .

ويجب علي قبل أن أغادر مصر أن لاحظ كذلك أن جبة رهبان القديس انطوان ، كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الجبة المصرية من حيث أنها لم تكن مفتوحة من الجهة الامامية . وبعد vansleb بين ثياب هؤلاء الرهبان اثنتين من الجباب أو الجلابيب الصوفية السنجابية اللون، المخطتين خياطة غليظة عدا كونهما غير مفتوحتين من الجهة الامامية » راجع(ص 207

(Nouvelle Relation d'un voyage fait en Egypte وكانت الجبة في القديم مستعملة كذلك في مملكة مراكش ، ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين في كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مذ 24 ، ص 9) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الامير يوسف بن تاشفين لعمه ابي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف رفيع (2) ولكنني اكاد اجزم أن هذا اللباس لم

(1) راجع حول كلمة عتابي مسيو كاترمير (تاريخ السلاطين المالكيك ج 1 ق 1 ص 241 وج 2 ق 1 ص 7 . لىرى ان هذا القماش قد استعماراسمه من اسم شارع في بغداد ، كما لاحظ ذلك

M. Gayangos في كتابه تاريخ السلالات المحمدية في اسبانيا ، ج 1 ص 258 .

(2) ان كلمة ملف بكسر الميم وفتح اللام التي ربما كان يلفظها اللافظون (ملف) بسكون اللام ولكن التي تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير في اسبانيا الى الجوخ ، وحتى في ايامنا هذه ما زالت تشير في بلاد البربر الى نفس النوع من هذا القماش (راجع ص 269 Höst (Nachrichten von Marokos

فانه يقول ان (ملف انجليس) يعني الجوخ الانكليزي، و(ملف فلمينك) تعني الجوخ الفلمنكي (الهولندي) ، ويترجم Dombay في كتابه ص 83 (Gramm. ling. Mauro-Arábica)

كلمة ملف الى Pannus وحسب تقرير القبطان Lyon في كتابه (ص 315 Travels in Northern Africa) فان كلمة melf تعني في سخنة (الجوخ) . ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مذ Gayangos ص 128) : وتكسى بالبلد أو الملف ، وفي مكان آخر (ص 151) : وفيهاكرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم . وبعد ذلك (ص 152) : فرأيت شيخا حسن الوجه واللمة عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود (في القسطنطينية) . وفي نفس المرجع : شقة ملف من عمل (تتمة التعليق في الصفحة التالية)

« ان ثياب القوم هنا الفوقانية تختلف قليلا عن ثياب
 غرناطيينكم التي يسمونها Algiubbas
 ويسمونها الاسبان Morlotas
 تستعمل الجبة كذلك في الجزيرة . راجع
 Buckingham (ج 6 ، ص 343)
 Travels in Mesopotamia الذي كتبها Jubba
 وحتى في ايامنا هذه فان الجبة تستعمل في مكة ،
 ويرتدي الناس هذا الرداء فوق البدن ، وهي مصنوعة
 من الجوخ الخفيف ، او من نسيج الحرير الهندي ،
 وفي ايام الحر اللاهبة لا يرتديها الناس قط ، ولكنهم
 يطرحونها على الاكتاف . راجع Burckhardt
 في كتابه ص 225 و 226 ، ج 1
 Travel in Arabia . وفي المدينة حيث
 الفقراء ايضا يرتدون هذا الرداء فان الجبة مصنوعة
 من الجوخ . (المرجع السابق ، ج 2 ص 242) .

يكن يرتديه عرب هذا القطر ، منذ القرن الخامس
 عشر حتى ايامنا هذه . وما زالت الجبة مستعملة
 لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس (راجع
 Panante في كتابه رحلة Viagge ج 2 ،
 ص 1 ، من الترجمة الهولندية) .
 وكانت الجبة مستعملة في اسبانيا ، واليكم ما نقرأ
 لدى المقرئ (تاريخ اسبانيا ، مذ Gotha
 ص 373) وراى ان بليوا في الفصل الذي بين الحر
 والبرد المسمى عندهم الربيع من مصنفهم جباب الخز
 والملحم والحرر — هذا راى الموسيقىار الشهير
 زرياب ، الذي قدم الى اسبانيا في ايام حكم عبد
 الرحمن الثاني (1) .
 ويقول Pierre Martyr في قصة سفارته
 الى مصر ، خلال عام 1501 ، الموجة الى فرديناند
 وايزابيلا ، (ص 104 Legatio Babylonica)

البنات وهو اجود انواعه . وفي موضع آخر (ص 155) قد كسيت حيطانها بالملف الملون . وبعد ذلك (ص
 286) : عليهم جباب الملف الحرر . واخيرا (ص 285) ستور ملف . ويترجم Pedro de Alcala
 في كتابه المعنون (Vocabulario Español Árábigo) كلمة Orilla de paño — (حاشية الملف)
 ونقرأ في معجم السير لابن الخطيب (مذ كايانكوس ، ص 32) الخبر التالي : اشترى ملفا قبلها فانتقصت
 كما يجري في ذلك فدرعها بعد البل فوجدتها انتقصت فطلب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك
 فلم يفهم .

ويلاحظ ان ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التانيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة
 التذكير . ومع ذلك فبوسعنا ان نفترض ان المؤلفين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس
 النساء ، وعلى سبيل المثال في كلمة جبة ، والواقع ان المؤلف نفسه في موضع آخر (المذ ، ص 14) قد
 عد بين الاقمشة التي يرتديها الغرناطيون الملف المصبوغ . وهكذا نرى كلمة ملف في صيغة التذكير .
 وفي مألظة تشير كلمة ملف (Mleff) اليوم الى رداء قمرزي للأطفال : (راجع Vassali
 في كتابه مذ 509 ، Lexicon Melitense)

(1) يرى Ikna (المخطوطة العربية لمعهد البلاد المنخفضة الرقم 72 ، الصفحة 64) ان :
 « الديباج وجمعه الديبابيج سداه ولحمته البرسيم والملحم لحمته غير البرسيم . ويقول (النويري في
 معلمته ، مذ 273 ، ص 96) ان مدينة كانت مشهورة بملحها . كما ذكر ملح خراسان (النويري —
 تاريخ العباسيين ، مذ 2 ، ص 15) .
 ولما كانت كلمة حرير تقابل كلمة soie ، فلا يستبعد ان تشير كلمة محررالى تماش ممزوج
 بالحرير .

وفي مواضع اخرى تعني كلمة محرر (ان الشئ مصنوع من الحرير . راجع Pedro de Alcala
 في كتابه (Vocabulario Español Árábigo) فانه يترجم عبارة Sedeña, cosa de seda
 بكلمة محرر ، ونحن نقرأ في كلام لابن سعيد ينقله المقرئ في (تاريخ اسبانيا مذ Gotha
 ص 40) : ويصنع في غرناطة ، وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالمبلد المختم .
 اما كلمة المختم التي يستعملها هنا ابن سعيد فانه اجدتها كذلك مطبقة على الحرير في عبارة لابن خلدون
 (تاريخ اسبانيا ، مذ 1350 ، ج 4 ، ص 12) : ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم
 بالذهب للباس الخلفاء مختلفة الالوان والصنائع .
 (في باب المرط ان كلمة marlotas هي المرط (المترجم) .

مارمول ، لانني ارى ان العبارة التالية لهذا المؤلف تشير الى هذا اللباس موضوع البحث (ص 112 ج3، Descripción de Africa) : « ان هذه الصايات Las sayas هي هيئة الجباب التركية » (Aljubas turquescas) وأرى ان المؤلف يضيف ما يضيف لتمييزهن عن الجباب الفرناطية المسبلة حتى الاقدام ، والمعمولة من مختلف انواع الحرير ، او المنسوجة من الذهب او المكفنة به ، وترتدي النساء كذلك الجوخ ذا الاكمام الضيقة المطرزة بأسراف بالذهب والحرير .

مصنوع — الحبشة

في مسافا Massava يلفظ الناس جبة (بكر الميم) مثلهم مثل احوالي مصر ، وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملبس (M. Ruppell, Reise in Abyssinien, tom. I, pag. 200) والجبة كذلك شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن نقرا لدى فريزر Fraser في كتابه (Journey into Khorasan, pag. 266) : « عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جبابا واردية شبيهة باردية الرجل ، وهي مصنوعة من نسيج الحرير او من القطن المخطط » ويضيف الرحالة الى ذلك ملاحظة : « ان الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به : وهذه الجبة لها كمان مضغوطان على الرسفين ، ولكنهما واسعا من الجهة العليا ، وهي مفتوحة من الجهة الامامية وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم . كما يمكن طرح هذه الجبة على الجهة الاخرى . ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية le baronne ولكنهما تصنع عادة من الاقمشة الغليظة . والجبة الخراسانية تعمل في معظم الاحيان من الصوف الاسمر او الضارب الى الحمرة . وقد تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جدا ، ذلك لان حياكتها الحكيمة لا تسمح بسهولة لنفاذ المطر فيها ، وهي تقي صاحبها كثيرا من المطر » وبعد ذلك نقرا : « اما الفقراء من الدركة السفلى في الاوضاع فيرتدون جبة قصيرة او قميصا من الصوف » ، ونطالع كذلك : « بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني او الاوزبكي

لم نتحدث حتى الآن عن جبة djobbah ou djibbah الرجال ، ويجب علينا الآن ان نقدم بعض التفاصيل عن جبة النساء . يقول لين عن اليك في كتابه (المصريون المحدثون ج 1 ص 58) : « ان النساء المترفات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل او من الحرير ، وهي عادة مطرزة بالذهب او بالحرير الملون ، والفرق الرئيسي بين هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر انها ليست غاية في الاتساع ، وهذه الحالة بادية على وجه الخصوص في الجهة الامامية ، وطولها طول اليك » (معنى ذلك انها تلامس الارض او انها اطول من ذلك بنحو بوصتين او ثلاث بوصات فهي تكتسي اديم الثرى) وفي الصورة التي يعرضها لين (ج 1 ، ص 57) عن جبة المرأة نرى ان كميتها يكادان يبلغان حد المعصمين . ولم يمض زمن طويل في مصر يوم كان كما الجبة لا يصلان حتى الساعدين . كما نستطيع ان نرى ذلك في مصور اوليفيه : (اللوحة المرقمة 26

(Voyage dans l'Empire Othoman, l'Egypte et la Perse

وفي اطلس La description de l'Egypte (ج2اللوحة293) والواقع اننا نقرا في بحث مسيو الكونت دي شابرول في الصفحة 113 ، الجزء 18 من وصفه لمصر : « الجبة رداء يسبل على ثياب اخرى ، وللجبة رندان غاية في القصر ، وهي مبطنة بالفراء ثناء ، فهي حينئذ تأخذ اسم وجه فروة ouech faroueh ولعل Landini في كتاب (رحلة الى جبل لبنان ص48) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة بنساء طرابلس حين يقول : « بدل ما يدعى Spain او abb عبا ، ترتدي النساء جبة اقصر من جباب الرجال » والحقيقة ان جبة المرأة في الازمنة القديمة تبدو انها كانت كذلك اقصر مما هي عليه الآن ، راجع مصور وصف مصر ، ج 2 اللوحة 266. ويتحدث von Richter في كتابه (ص 212 Walbahrten im Morgenlande

عن جبة نساء بدو سوريا Dshübbeh التي هي عادة بلون الشوكولاته » ويضيف قائلاً : « ان هذا اللون كذلك عزيز على قلوب الرجال » . اما في مصر فيبدو ان السيدات كن يرتدين ايضا جبة عصر

Chiwa (المرجع السابق ، ص 68) وفي ايامنا هذه يستعمل لدى المصريين هذا المثل : « مقل جبهته ونقش لحيته » حين يريدون أن يقولوا ان غلانا قد استعد للقيام باحدى المهمات . راجع (برخارت، الامثال العربية ، ص 367) .

ومن هذه الكلمة العربية جبة استنبط الاسبان واشتق Aljuba, jupa, chupa, jubon
البرتغاليون Aljuba واحدث الايطاليون giuppa واستحدثت giuppone و
الفرنسيون : jupon و jupe

الذي يقتصر على عدة اردية او جبات تعلو الركب قليلا وتربط بحزام ، — — — والقماش الذي تصنع الجبات منه هو امشاج من الحرير والقطن المخططة بخطوط زرقاء وارجوانية وحمراء وخضراء . — — والاتراك يحافظون على زيهم الخاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم في معظم الحالات الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق البستهم التحتانية . « وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون les Guebres (القرة غين؟) راجع فريز ، المرجع السابق ، ص 22) كما بقي استعمالها لدى الاوزبكيين في شيبوا

موسوعة الفقه الإسلامي

(للاستاذ مصطفى الزرقا)

يقوم صديقنا الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا بالاشراف على عمل ضخيم بناء يهدف الى وضع موسوعة للفقه الاسلامي تحت رعاية وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتية وقد زار السيد الامين العام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله مكتب الموسوعة بعاصمة الكويت ولمس الجهد العارم المبذول لهذه الغاية من طرف خبير الموسوعة الاستاذ الزرقا وثلة من رفاته العلماء المحترمين ودار حديث طويل حول الفكرة وامكانيات التعاون مع المكتب الدائم الذي اخذ على عاتقه اصدار معاجم للفقه الاسلامي صدر منها القسم الاول حول الفقه المالكي بالعربية والفرنسية بقلم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، كما صدر جزء من معجم قانوني عام بالعربية والفرنسية واللاتينية .

وقد نوقشت فكرة اخرى يحاول المكتب الدائم تحقيقها واتصل لاجلها منذ نحو سنتين ببعض اساتذة كلية الشريعة بدمشق وهي وضع معلة عامة للفقه المالكي تعقبها موسوعات في المذاهب الاخرى يستند في انجازها على جرد المظان الاساسية وتبويبها وترتيبها على الحروف الابجدية ومقارنتها مع معطيات القانون المعاصر وستكون موسوعة الفقه الاسلامي التي يسهر عليها اخونا الاستاذ الزرقا رائدا ينيير السبيل ويمهده . وهاكم بعض المعلومات عن هذا المشروع الموفق :

منشأ فكرة الموسوعة :

مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

ويأمل المؤتمرون في اسبوع الفقه الاسلامي هذا ان تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الاسلامي يسهل الرجوع الى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فتمية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الاسلامية وفقا للاساليب الحديثة (انظر المجلة الدولية للحقوق المقارنة - العدد 4 من السنة - 3 - الصادر في تشرين الاول سنة 1951) . فهذا الامل الذي دعا الى تحقيقه مؤتمر « اسبوع الفقه الاسلامي الاول في باريس كان هو النواة الاولى لفكرة موسوعة الفقه الاسلامي التي انشئت لها لاول مرة لجنة خاصة في كلية الشريعة بجامعة دمشق سنة 1955 .

لما عقد مؤتمر « اسبوع الفقه الاسلامي » في باريس في بهو كلية الحقوق من جامعة السوربون اول شهر تموز 1951 بدعوة من لجنة الحقوق الشرقية في المجمع الدولي للقانون المقارن ، وظهر من المحاضرات التي القيت في موضوعات شتى من مختلف شعب الحقوق والقانون في الفقه الاسلامي ما في هذا الفقه الاصيل المؤئل من ثروة حقوقية ونظريات قانونية خالدة القية اتخذ المؤتمر قراره التاريخي الذي من جملة ما جاء فيه ما ترجمته الحرفية كما يلي :

(ا) ان مبادئ الفقه الاسلامي لها قية «حقوقية تشريعية» لا يبارى فيها .

(ب) وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الاصول الحقوقية ، هي

غاية الموسوعة :

الحلول ، واعدل الاحكام ، وأمرن القواعد في معالجة مشكلات اختلاف الزمان والمكان والاعراف والحاجات ، بمذاهبه الاجتهادية المتعددة .

غاية الموسوعة صياغة الفقه الاسلامي كما هو في مراجعه الاصلية بأسلوب سهل ، وتبسيط العبارات المعقدة التي تصادف فيه ، دون أن يدخل الكتاب شيئاً من اجتهاداتهم الشخصية ، مع الإشارة الى اختلاف المذاهب والاجتهادات في كل موطن يكون فيه ذلك هاماً ومفيداً ، ثم ترتيب هذه الاحكام الفقهية الشرعية في الموسوعة ترتيباً ابجدياً على حروف المعجم بحسب الحرف الاول وما يليه من الكلمة العنوانية الدالة على الموضوع الفقهي ..

وهذه الموسوعة يقدر لها لتكون وافية كافية ان تبلغ ثلاثين مجلداً فأكثر ولا سيما انها ستشتمل على جميع اقسام الفقه من عبادات ومعاملات وجنايات وعقوبات وقضاء وبيانات وسياسة شرعية واحكام الاسرة المعروفة اليوم باسم « الاحوال الشخصية » من النكاح الى الميراث وما بينهما .

من هذا التعريف الموجز يتضح ما لفكرة الموسوعة الفقهية من شأن عظيم وما سيكون لتنفيذها من اثر عالمي في عالم التشريع والقانون يجعلها من الاعمال المخلدة .

وان دولة الكويت التي تبني اليوم نهضتها بجد وسرعة ونشاط هي الجديرة بأن تجعل من هذا المشروع العلمي الجليل عنواناً مشرقاً ومشرقاً لنهضتها المباركة .

ان دراسة الحقوق وعلم القانون اليوم تتجه الى المقارنة بين الشرائع والنظم ليستفيد الاتجاه التشريعي والاجتهاد القضائي من احسن النظريات الحقوقية ، واقربها الى العدل .

ولاشك ان الفقه الاسلامي الذي هو اغنى فقه عرفه التاريخ البشري في امة من الامم هو اولى بالاطلاع عليه والمقارنة به ، ولا سيما في البينيات العربية التي تربطها به وشيجة النسب ، لانه تراثها المجيد الاصيل العربي الاصول والمنابع ، فضلاً عن غناه الواسع ، وذلك لكي يمكن اتخاذه اساساً للتشريع والاجتهاد القضائي في البلاد العربية والاسلامية .

ولكن باختلاف الزمن وتطور الاساليب والحاجات الثقافية اصبح فقهنا هذا وما فيه من جوهر نفيس وعقريات الاجتهاد ، ونظريات حقوقية محكمة ، ومبادئ قانونية سامية ذات قية خالدة ، كل ذلك فيه اصبح محجوباً عن انظار الحقوقيين والمتشرعين بفلاف من اسلوبه وترتيبه القديم ، وعباراته المعقدة في كثير من كتبه ، وبمراجعته الصعبة المسالك على غير المتخصصين الذين قضوا حياتهم في حرائقه ، ولكن تطور الحياة وحاجاتها وتشعب الثقافة العامة جعلت الزمن اضيق من ان يسمح لباحث ببذل الجزء الكبير منه في المراجعة ، وهذا ما يوجب على ابناء العربية اليوم تعبيد الطريق الى هذا الفقه العالمي الضخم الذي اقام نظام العدل في مشارق الارض ومغاربها نحو اربعة عشر قرناً ، وواجه السوان الحضارات وحل جميع مشكلات الحياة بأحسن

مظاهر الوحدة في لغاتنا المغرب والخليج العربي

للأستاذ محمد العزيز بن عبد الله

1 - عناصر الوحدة

- وجود الفاظ مشتركة بين اللغتين مع اختلاف بسيط في الشكل والاعراب وهاكم أمثلة منها :
- أبو صغار وهو مرض اصفرار العينين والجسم (بوصفير بالمغرب) .
- أح لفظة يخاطب بها الطفل تحذيرا له — من الاقتراب الى نار أو نحوها .
- أخوي لمناداة شخص من أجل مخاطبته في أمر من الأمور (خاصة بالذكور في المغرب) .
- ساس وسيسان لاصل البناء .
- اللي بمعنى التي .
- أم آح دلالة على الحلوى في لغة الاطفال (ماماح في المغرب) .
- أمية أي المئة من الأعداد (مية بالمغرب) .
- أيش بمعنى أي شيء ، وفيها ادماج واختزال .
- البابوج ضرب من النعال وقد اقتبستها عامية الكويت من اللفظ الفارسي بابه بوشي بينما اقتبستها المغرب عن طريق اللفظة الفرنسية babouche الفارسية الاصل فقال بابوشة وهي نادرة الاستعمال (عدا في بعض الحواضر) .
- الباسور (يستعمل الجمع في المغرب وهو البواسير) .
- الباشا (مصدر تركي مشترك) .
- البات الذي يرجع اصله الى الامس من طعام وغيره .
- البحرة وهي المستنقع والغدير (البحيرة بالمغرب)
- البدو سكان البادية الواحد بدوي .
- البراحة الفسحة (يستعمل المغرب اللفظ الفصح وهو البراح) .
- البريرة كثرة الكلام والصخب في الكويتية وهو المعنى الفصح في حين يراد بها العويل الصاخب في الدارجة المغربية (التبرير) .
- البرمة حب صغير يقطر فيه الماء الصافي (الكويت) والبرام وعاء يعجن فيه العجين (البصرة) واستعمل المغرب البرمة بمعناها .
- الفصيح وهو القدر كما في القاموس .
- البسباسة نبات (البسباس بالمغرب) .
- البصل والبساط (البطاطة بالمغرب) والبطيخ والعنبر واللوبياء .
- بغى يعني بمعنى اراد (وتلفظ ببى في الكويت وفي بعض البوادي المغربية) .
- بكرة (بكري في المغرب) .
- البكرة (البقرة في المغرب) .
- البلدة من منازل القمر والبلع كذلك منها سعد بلع (وفي المثل الكويتي اذا طلع البلع الشتاء تطلع وفي المثل المغربي سعد بلع كيجمد الماء في القرع أي الزجاجاة كناية عن البرد القارس خلال هذه المنزلة) .
- البلدية إحدى دوائر الحكومة .
- بلم أي اغلق فمه ومنه بلم أي موكوء الغم .
- بوا : تعبير للأطفال يقصدون به الرغبة في الماء (مبوا بالمغرب) .
- البهلؤل المعنوه واللفظة معروفة أيضا في بغداد

- وتطلق على شخص معروف ببهلول دانة يقول
العامة (حسب صاحب الالفاظ الكويتية ص 54)
انه اخو هرون الرشيد الخليفة العباسي ويظهر لي
ان المقصود هو احمد السبتي ابن هارون الرشيد
الذي اشار اليه ابن عربي الحاتمي في جملة
الاعتقادات وقد ورد ذكره في وفيات الاعيان لابن
خلكان (ج 1 ص 66) وقيل له السبتي لانه كان
يتكسب بيده في يوم السبت ويتفرغ للعبادة بقية
الاسبوع واشار اليه ايضا ابن الجوزي في
شذور العتود وصفوة الصفوة وصاحب كتاب
التواوين .
- ببش اي بأي شيء أو بكم .
- التحسونة الحلاقة (الحسانة بالمغرب) وحسن اي
خلق وفي المثل الكويتي « يتعلم التحسونة بروس
الكرعان (اي يتوخى الامر من غير وجهه) ومن
الامثال البغدادية والمغربية « يتعلم الحجاممة
بروس اليتامى » كناية عن استغلال المستضعفين
— الجاوي نوع من البخور أصله من جاوا احدى
جزر اندونيسيا .
- الجدف بمعنى القىء (الكدف بالمغرب) .
- الجنطة الحقيقية (الشنطة) .
- جاف اي رأى (شاف في المغرب) .
- الحارة : الحي والمحلة .
- الحافي من حفاء الاقدام وهي كناية عن الفقير
المعدم .
- الحب الحنطة والحرمل والحلبة (نباتان) .
- حب بمعنى قبل (خاصة في البادية المغربية) .
- الحريم جماعة النساء .
- حصن عوذ .
- حط وضع .
- حويل ما دار عليه الحويل (حولى بالمغرب) ويقال
ايضا طعام حويل بالمغرب وبغداد اي قديم .
- الخاطر الضيف (مستعمل في بعض البوادي
المغربية) .
- الختمة اي اتمام قراءة القرآن .
- خنز (خنز الطعام اذا فسد) .
- الخنفرة الانف الكبير (انف مخنفر اي انف كبير
بالمغرب) .
- الدرويش اي الفقير أو السالك من الصوفية
(لا يعرف المعنى الاخير بالمغرب) .
- الربعة صندوق تودع فيه اجزاء المصحف (الربعة
في المغرب) .
- الردحة ساحة الرقص (تطلق على الرقص نفسه
بالمغرب) حيث يستعمل الاتباع: الشطحة والردحة
- الريح مرض من امراض البطن .
- الزعتر هو السعتر .
- الزين الحسن الجيد .
- السحتيت صنف من اللؤلؤ دقيق (كل صغير
من الحيوان وخاصة القروود فيقال بالمغرب
قرد سحتيت) .
- السدى مقابل اللحمية .
- السنسلة (بدل السلسلة وفيه تسهيل ملحوظ في
كل العاميات) .
- الشاوي الراعي نسبة الى الشياه (توجد بالمغرب
ناحية تسمى الشاوية تربي فيها الماشية) .
- وذكر ابن خلدون في مقدمته ، ان من كان معاشه
في السائمة مثل الغنم والبقر يسمون شاوية .
- الشاهد السبابة من الاصابع .
- الشايب الشيخ الطاعن في السن .
- الشب مادة معروفة .
- صلح اي حسن رأسه والمصلح الحاسر الراس
يقال له مقرع في العراق (الاصلع بالمغرب) اي الذي
لا ينبت له شعر في رأسه اما المقرع فهو حليق شعر
الرأس) ويقال للقرع الكرع في الكويت .
- الصيني الاناء من الخزف (الاناء من النحاس في
المغرب) .
- الضو بمعنى النار (معناه النور في المغرب) .
- طاب اي شفي من مرضه (طاب اللحم اي نضج
بالمغرب) .
- الطابي هو الطاجن (الطجين بالمغرب) ويقال له
الطاوة ببغداد في حين تطلق الطاوة بالمغرب
على وعاء يشبه الطاجن يكون من معدن) ولعل
للفظ الكويتي مصدرا موحدا مع المصطلح المغربي
لان الطياب هو الطبخ وآلة الطبخ تسمى طيبعا
- الطابي .
- الطار : الدف الكبير (الطر بالمغرب) والطرار

- المكبة غطاء من خوص أو معدن يغطى به صحن الطعام (مكب بالمغرب) .
- الموسدة (الوسادة بالمغرب) .
- المينة اي الميناء (المرسى بالمغرب) .
- النباح عواء الكلب (النبح بالمغرب) .
- النيلة مادة عطارية زرقاء لصبغ الملابس .
- واجد اي كثير (موجود اي بكثرة في المغرب) .
- ودره اي ابعده ونحاه (بمعنى ضيعه بالمغرب) .
- الوزار (الازار بالمغرب) .
- الوسم اول مطر الربيع (لفظ كويتي فصيح لا وجود له بهذا المعنى بالمغرب) .
- الوزرة واحدة الوز وهو البط الكبير .
- الوفرة منطقة فيها مجموعة آبار (الشعر الطويل بالمغرب وهو فصيح) .
- معناه في المغرب الضارب على الطر وهو بمعنى الشحاذ في الكويت .
- الطاسة الكأس من نحاس .
- الطبخة : طبخة من الشاي اي كبة يسيرة تكفي لمرة واحدة .
- الطنا الغيظ يقال اطناني اي اغاظني .
- الطيز الدبر وقد اشار اليه الخفاجي في « شفاء الغليل » كلفظ عامي مبتذل .
- العرضة حفلة الزواج (مطلق دعوة لحفل بالمغرب) .
- العزيمة الدعوة الى مآدبة (العزومة في بعض اقاليم المغرب) .
- العشر المكس على المال (الزكوات والاعشار بالمغرب) .
- العصيد (العصيدة بالمغرب) .
- العمارة ظلة هرمية مثل السقيفة (المحفة بالمغرب) .
- العود المندل او الآلة الموسيقية المعروفة .
- العيال الاولاد الصغار تستعمل لهذا المعنى في شمال المغرب وتطلق ايضا على النساء في بعض الحواضر .
- الغربي الهواء يهب من جهة الغرب .
- الفار والفتر (ما دون الثبر) والفحم .
- الفكع اي الكماء من الفقع في الفصحى (الفقاع بالمغرب) .
- الفلس نقد نحاسي .
- الفوطة المنشفة والمئزر .
- الكحة السعال .
- كخ كلمة نهي عن القرب من شيء قذر .
- كرفسه اذا القاه على الارض .
- محار وعاء صدفي يعيش في داخله حيوان بحري صغير .
- مرفاعة رف معلق (مرفع بالمغرب) .
- المشوم ما يشم من رياحين وغيرها وهو يطلق في الكويت على الريحان خاصة .
- المطهر المرحاض .

2 - نقط الاختلاف

- وقد تستعمل العاميتان نفس الالفاظ اما لدلولين مختلفين بالاضافة الى معنى مشترك مع الفصحى واما لمفهوم مخالف .
- فالادب معناه حسن السلوك ولكن معناه ايضا المرحاض في الكويتية (1) .
- البابر منكر الجميل وفي المغرب الكاسد من بارت السلعة وهي جملة مستعملة ايضا في الكويت والبصرة (ويقال في المغرب ايضا الفتاة البائرة بمعنى العانس) .
- البارة قضيب حديدي (اصلها bar الانجليزية واقتبسها المغرب من الفرنسية barre) .
- الباصج وصف لطعام لا ملح فيه او كلام لا معنى له ، وهي معروفة بالبصرة ولكن يقال ماصخ في بغداد وباسل في المغرب .
- البروة وثيقة تملك بيت او دكان ونحوهما (الرسالة والالوكة بالمغرب وينطق بها البرا جمعاً براوات بس اداة زجر واسكات (وهي اداة استدعاء للهر بالمغرب او دعوة الطفل الى البول) .

(1) اقتبسنا بعض المصطلحات الكويتية من معجم الالفاظ الكويتية للشيخ جلال الحنفي البغدادي (طبعة بغداد 1383 - 1964) .

- بعبع عبارة عن الاستغراب والتشكي من صفة سيئة (شخص يخوف به الاطفال في مصر والمغرب وقد حول في المغرب الى بعو) .
- البغاك الشهقة بمعنى الفواق (الفواق بالمغرب)
- البلوغ الوصول الى الغاية (ومعناه في بغداد والمغرب سن الرشد فيقال بلغ اكتفاء بها عن قولهم بلغ سن الرشد) .
- البنت تطلق على المرأة ولو كانت عجوزا (خاصة بالفتاة في المغرب) .
- البوص اقلام القصب ويرى الدكتور احمد عيسى في المحكم بانها ربما كانت لفظة مصرية قديمة . ويرى الشيخ جلال الحنفي انها تركية بمعنى مكن يريض فيه اللصوص وتستعمل في المغرب بمعنى الكسل عن الحركة والجمود في المكان .
- التلقين اي تلقين الموتى وهو غير معروف عند اهل الكويت ولكنه يعرف في المغرب وفي جزيرة فيلجة ومعناه تلقين الموتى الشهادة بعد دفنهم .
- الجتاية عصابات المرأة (تطلق على القصة من الشعر) .
- الجراقية (بالجيم) وهي المفرقات يلعب بها الصبيان ولعل اصلها فارسي (1) (الحراقيات بالحاء في المغرب وهي اقرب الى المفهوم العربي الفصيح) .
- حرامي لص (يطلق في المغرب على صاحب الحيلة الذي يرتكب اعمالا غير مشروعة) .
- الحسن (بكسرتين) هو الزنجفر (الزنجفور بالمغرب والزنجر ببيغداد) .
- خز (خزر في المغرب) .
- دادة تعني الاخ والاخت والزميل من اللذات (يقصد بها الامة المربية العجوز بالمغرب ولها نفس معنى الداية في الشرق) .
- الزرب الغار في الارض (الزرب والزربية بمعنى حظيرة الغنم بالمغرب) .
- الزمان الرقص (يستعمل بالمغرب في بعض الاقاليم العربية الاصل مثل ناحية زعير والشاوية .
- الزك التغوط (الدبر بالمغرب) .
- الزوان لؤلؤ ناعم (معناه في فارس والعراق دقيق مثل الحنطة) .
- شربات قهوة خفيفة (ماء مخلوط بسكر وماء ورد بالمغرب والعراق) .
- الصر حفظ الشيء في صرة (والعامية المغربية تستعمل الصر بمعنى البرد القارس والصررة بمعنى الكيس وهما من الفصحى) .
- صيف عن الجماعة اي تخلف (صيف في المغرب اصطاف) .
- الطرشة : السفرة (في المغرب واحدة الطرش اي لكمة يصاب الرجل من جرائها بالطرش اي الصمم) .
- الطنجرة نداء الشاة (الطنجير والطنجرة بمعنى القدر في المغرب وهي فصلى) .
- العايل الطفل الهزيل من رضاع امه الحامل (يطلق في المغرب على الطفل عامة، في حين ان المعنى المذكور يعبر عنه بالمغايل بالغين من الغيلة وهي ارضاع الحامل لولدها) .
- العص نهاية العظم الفقري (البعضوص بالمغرب) ونصيصه العصعص والعصعوص .
- العوعو لفظ يفزع به الاطفال (بوعو بالمغرب) .
- الغرر السيلان (الغرر الخطر ومنه بيع الغرر) .
- الغيرة النهم في الاكل (الغيرة بمعناها الفصيح بالمغرب) .
- الفطام عظم يكبس به على اكف الفواص (معناه الفصل بالمغرب) .
- اللبوة اي اللبا وهو اول الحلبة بعد الولادة يستعمل المغرب اللبوة بمعنى انثى الاسد واللبا بمعناه الفصيح) .
- المحاحة صفار البيض (المح بالمغرب وهو فصيح)
- المداس نعل جلدي تلبسه النساء وهو فصيح (لا يعرف بهذا المعنى بالمغرب) .
- المسمار القرنفل (يستعمل بمعناه الفصيح بالمغرب) .
- المشبك حلية لشد الخمار وغيره عند المرأة ، وهو فصيح لا يعرف بالمغرب وكذلك المشجب وهو ما تعلق عليه الملابس .

(1) معجم الالفاظ الكويتية ص 85 .

- مكهوي صاحب القهوة وساتيهي (تهوجي في المغرب وهي من الالفاظ العامية المغربية النادرة التي توجد فيها ياء النسبة التركية) .
- نط اي تفز وهي فصيحة (تطع بالمغرب) .
- اليد بتشديد الدال بمعنى الجد (اليد في المغرب وهي لغة فصيحة) .

* * *

وتستعمل العامية الكويتية الفاظا فصحي مع تحريف في بعض حروفها في حين يستعمل المغرب الشكل الفصيح مثل الجافلة (القافلة) والجـدوم (القدوم) والجربة (القرية) والجي (الكي) والحمش (الحمص) والعكرب (المغرب) والعكل (العقل) والكصر (القصر) وكضب (مقلوب كبض بمعنى قبض) والكلب (القلب) والكر (التمر) والكهوه (القهوة) والكيسرية

(القيصرية للسوق) الكيطان (القيطان) والمكام (المقام) والمكلى (المكلى أو المقلاة) بينما تستعمل الكويت في لهجتها الدارجة كثيرا من الالفاظ العربية الفصحى ليست مزاولة في المغرب (1) بهذا المذلول الاصيل ومن امثلة ذلك البرسيم (الحرير) والتنتكة (وعاء من الصفيح وهي تطلق في المغرب على النعل البالي) ومن غريب ما لسناءه خلال جولتنا للخليج العربي وخاصة الكويت وقطر والبحرين ان هنالك عامية عريقة في الفصحى مثل الدمجانة التي اطلق عليها مجمع اللغة العربية لفظ الدبة وهي قارورة الزيت ونحوه بينما اقتبسها الفرنسيون لنفس الدلالة Dame-Jeanne ففرنسوها اي افرغوها في قالب لاتيني صرف لا يؤذن بأصلها العربي وقد وجدنا في ساحة المتحف الاثري بالكويت خباء عربيا مضروبا استفسرنا عن اسماء بعض اجهزته فكانت كلها عربية .

(1) تستعمل بالمغرب آلاف الكلمات ذات اصل عربي فصيح اشرنا اليها في كتابنا « الاصول العربية والاجنبية في العامية المغربية » .

معجم لأعلام العرب

رسالة الفكر بين الشرق العربي والمغرب العربي في مختلف العصور

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

الشرق ويتم برحلات شيقة خلال آسيا والشرقيين
الادنى والوسط ثم يعود الى المغرب بعد أن يجدد في
ربوع الشرق تبادل عناصر الثقافة العربية المشتركة
ويحقق التزاوج الموصول بين معطيات الجناحين .

وكان الوفد الرسمي يحمل سنويا هدايا لقادة
الشرق في طرابلس ومصر والشام والحجاز واليمن
وجوائز لرجال الفكر في كبريات العواصم علاوة على
المبالغ الطائلة التي توزع على المعوزين وكان الشعب
المغربي يسهم بحظ وافر في الاكتتابات الدورية ويزد
الاقوات (1) الضخمة الدائمة لتركيز هذه البسات
رعيا لحقوق الاخوة المكنة مع الشرق العربي (2) .

وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت في
كثرة الوافدين من علماء الشرق على ملوك المغرب

ان ابلغ الروابط واعمتها قد تحققت بين الشرق
العربي والمغرب العربي على يد رسل الفكر الذين
كانوا يتوجهون من المغرب بالآلاف كل عام الى
اقطار الشرق فيصلون اسانيد الغرب باسانيـد
الشرق ويتبادلون الوان العلوم والفنون ويجددون
الاواصر المتينة التي ما فتئت تتجلى منذ ازيد من الف
عام في الوحدة الفكرية والروحية القائمة بين جناحي
المروية والاسلام .

وكانت لوفود المغرب الى الشرق أهداف
مختلفة : فريق عابر يتجه الى الحجاز عن طريق
طرابلس ومصر للحج فيستفيد من العلماء الذين تجعلهم
الصدفة في طريقه ، وفريق ثان يقصد علماء معلومين
للاخذ عنهم ، وفريق ثالث يستقر ببعض عواصم

(1) تجلى رصد هذه الاوقات كمظهر للوحدة الفكرية بين الشرق والغرب في شيئين : - (أ) نوعية
الوقف فأسس علم الدين سنجر (المتوفى عام 699 هـ) في دمشق وقفا للديوك كما حبس نور الدين محمود
ماوي للحيوان الهرم مثلما لوحظ في مراكش وفاس - (ب) تحبب دور للمهاجرين والطلبة المغاربة في
الشرق من طرف أمراء المغرب أو الشرق فقد انشأ صلاح الدين الايوبي في الاسكندرية عام 577 دارا
للمغاربة (السلوك للمقريزي) ورصد نور الدين ارياعالطلبة المغرب في زاوية المالكية بالجامع الاموي (رحلة
ابن جبير ص 266) وكذلك علاء الدين بن وطية بدمشق عام 802 هـ (الدارس للنعماني ج 2 ص 204) ورباط
الموقف بمكة (جهد المقل لابن المصاوي) .

(2) حبس السلطان محمد بن عبد الله كثيرا من المصنفات على مصر والاسكندرية (الاتحاف لابن
زيدان ج 3 ص 251) كما جلب كتباً من الشرق ورتب لاهل الحجاز واليمن 100 ألف مثقال ذهبي في كل
عام وفك عام 1200 هـ 48 ألف أسير ووجه عام 1199 هـ الى الشرفاء 350 000 ريال (الاستقصا للناصرى
ج 4 ص 115) .

فان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي حاول تحقيق اصلاح زراعي يخفر قنوات وجلب آلات عصرية وتأسيس مصانع قد استقدم فنيين مصريين لمباشرة تصفية السكر في مصنع اكدال (الاتحاف ج3 ص 556) كما شكل جيشا نظاميا عمل تحت قيادة ضابط مصري (كودار تاريخ المغرب ص 141) .

ومعلوم ان مصر تنتمي اصالة الى الفصيلة العربية الافريقية الا ان انتماءها الى آسيا العربية كان اكثر من انتمائها الى افريقية بسبب سهولة انتقال التجارة والثقافة الى مصر من بلاد آسية عن طريق البحر المتوسط في حين كانت تعترضها الصحراء (قصة الحضارة ج 2 ص 43) .

وقد تبلور التأثير الشرقي في المغرب (2) في تسمية الحواضر باسماء شرقية كمدينة حمص في ارباض فاس الجديد (وقد اسسها المرينيون للفرز وهم تركبان ما وراء النهر وردوا من حمص السورية وانخرطوا في الجيش المغربي) ، ومدينة البصرة التي هدمها ابو الفتوح عام 368هـ (البیان لابن عذارى ج 1 ص 330) ومدينة القاهرة (3) بالاطلس والشام الصغير بالريف (4)

ووقف المغرب الى جانب اخوانه العرب في الشرق فدحض افكار الشعوبية التي فضلت العجم على العرب والتي قامت لها سوق نافقة بالاندلس وقد ظهرت رسائل منها رسالة ابن غرسية ورسالة ابن عرس ورسالة ابي عامر بن عبد الرحمن السبكي (كشف الظنون ج 1 ص 417) فبرز قاضي قصر كتامة علي بن احمد بن ابي قوة الازدي المراكشي من بين من برز لدحض ترهات امثال ابن غرسية (الذيل والتكلمة لابن عبدوس ق 5 ص 154) .

واستمد المغرب معظم عناصر تراثه الفكري من علماء الشرق فدخل مذهب الازوازي (5) والمذهب

امثال المنصور السعدي (1) الذي توارد على بلاطه ادباء ومفكرون من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراقين والهند ، وفي الحقل العسكري كان اسطول المغرب الاقصى ايام الموحدين في القسرن السادس الهجري اول اسطول في البحر الابيض المتوسط عندما اتحدت مصر والشام والقدس تحت راية الايوبيين عام 583 هـ فاستصرخ صلاح الدين بالمنصور الموحدي واوفد اليه ابا الحرث عبد الرحمن ابن منقذ الشامي لامداده بمائة وثمانين قطعة جربية لصد الصليبيين .

وكان تبادل السفراء بين الملوك والقادة موصولا في مختلف العصور توطيدا لهذه الوحدة ويطول العد إذا ما حاولنا استعراض نماذج من هذه الوفادات التي لم تكن تحول بينها حدود لانعدام الحواجز السياسية المصطنعة بين الشرق والغرب ، وكان اعظم جواز يقدمه المغربي والمشرقي في الحدود اسلامه وعرويته فكان المواطن المغربي او المشرقي يستقضيان في الحواضر العربية شرقا وغربا دون ميز ويتبوآن هنا وهناك المناصب السياسية فلا تقوم المواطنة الضيقة حائلا قط في هذا المجال .

وكان للادب تنفق في هذه المناسبات كما في رسالة اديب مصر جمال الدين ابن نباتة في الثناء على ملك المغرب على لسان ملك الكتانة وكذلك في رسالة ابي الحسن المريني الموجهة عام 745هـ الى اسماعيل ابن قلاوون والتي عبر فيها عن « عهود موثقة وموالة محققة والود الثابت الاركان .. مؤكدة ان البلاد المصرية والمغربية هي « باتحاد الود متحدة والقلوب والايدي منها منعقدة » فأجابه ملك مصر برسالة بديعة من انشاء خليل الصنوي شارح لامية العجم .

واذا اقتصرنا على العصر العلوي نلاحظ ان هذا التبادل تضاعف في غمرة الاحتلال التركي

- (1) الاعلام للمراكشي ج 1 ص 47
- (2) من جملة ما اقتبس المنصور السعدي من الشرق تعيين شيخ للنساخين في العاصمة ومقدم لتعليم الخط ، وقد قام بهذا المنصب عبد العزيز ابن عبد الله السكتاني بجامع الشرفاء بمراكش كما هي العادة في القاهرة ، وغيرها من بلاد الشرق (درة الحجال ص 378) .
- (3) اشار ابن تينغ في أنس الفقير (ص 86) الى موضع في سكسوية من جبال الاطلس يقال له القاهرة الصالحة السكسونية .
- (4) هو ناحية فشتالة من تطوان الى وادي سبو راجع A. Moulieras - Paris, 1895, T, 2, p. 35
- (5) اول من ادخل الاندلس مذهب الازوازي صمصمة بن سلام الاندلسي وهو فقيه من اصحاب الازوازي مات عام 192هـ ويقال انه دمشقي ، واول من ادخل الحديث للاندلس (جنوة المقتبس للحبيدي طبعة 1952 ص 227) .

ونكر عياض في مداركه ابياتا من شعر ابن حبيب انشدها له ابن الفرضي كتب بها الى اهل المشرق :

احب بلاد الغرب والغرب موطني
الا كل غربي الي حبيب
بليت وابلاني اغترابي ونايه
وطول مقامني بالحجاز اجوب
واهلي باتصى مغرب الشمس دارهم
ومن دونهم بحر احش مهيب

وصفة العراقي بفاس عنوان عن الشرف وعلو
المكانة كما ورد في « الدر النفيس فيمن بفاس
من بني محمد بن نفيس » للوليد العراقي (مخطوط)
وفي ذلك يقول محمد بن عبد السلام بن الطيب القادري:

وقد جرى بفاس ضرب مثل
لغاية الشرف والقدر العلي
لن عليه شبهة تكبرا
بقوله انت عراقي ترى

* * *

وهنا نرتب حسب الحروف الابجدية اعلام
المشرق والمغرب الذين تبادلوا الزيارات في مختلف
العصور وهو انموذج مصغر للحركة العارمة التي
سجلت بين الشرق والغرب :

— ابراهيم بن جعفر بن احمد اللواتي الفاسي
من اهل سبتة توجه الى المشرق سنة 490هـ توفى
عام 513هـ (معجم الصنفى ص 54) .

— ابراهيم بن محمد اللخمي السبتي المعروف
بابن المتقن سمع بالاسكندرية حوالي 570هـ عن ابي
طاهر السلفي (تكملة الصلة لابن البار ص 213) .

الحنفي الى فاس وافريقية ثم المذهب المالكي (2)
(مدارك عياض) ، وانتشرت الشيعة في المغرب قبل
دخول المولى ادريس (البيان ج 2 ص 59) .

وتوالى الدراسات النابعة من المشرق على
الاندلس والمغرب فقرأ عثمان بن المثنى القرطبي
(المتوفى عام 273هـ) على ابي تمام حبيب ابن اوس
شعره (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ج 1 ص
249) واخذ فرج بن سلام القرطبي على عمرو بن بحر
الجاحظ كتاب البيان والتبيين (ابن الفرضي ج 1 ص
286) وادخل قاسم بن ثابت بن حزم مصنفات
الحديث واللغة وهو اول من نقل الى الغرب كتاب
العين (نفس المصدر ص 294) كما نقل عثمان بن ابي
بكر الصنفى المعروف بابن الضابط صاحب الرحلة
الى الشرق كتاب غريب الحديث للخطابي وجلب عبد
الملك بن زهر دواوين من فنون العلم (الذيل والتكملة
ق 5 ص 37) ومحمد بن الفتوح الكناسي المتوفى عام
818هـ مختصر خليل (درة الحجال ج 1 ص 293)
ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن التلمساني الامام
شامل بهرام وشرحه للمختصر وحواشي التفتازاني
على العضد وابن هلال علي ابن الحاجب (شجرة
النور ص 254) وابو الحكم الكرماني رسائل اخوان
الصفا (طبقات الامم ص 71) ومحمد بن حياتي الفقيه
النحوي المتوفى عام 781 المرادي على الفية ابن
مالك لفاس (درة الحجال ج 1 ص 288) .

وقد تردد اسم المغرب وحواضره في شعر
المشاركة فقال البحري يذكر طنجة والسوس :
ان شعري سار في كل بلد
واشتهى رقتي كل احد
اهل فرغانة قد غنوا به
وقرى السوس والطا وسدد
وقرى طنجة والسوس التي
بمغيب الشمس شعري قد ورد
(معجم البلدان ج 6 ص 365)

(2) محمد بن سعيد القيسي (قاضي المولى ادريس من قيس غيلان سمع مالكا وسفيان الثوري (جذوة
الاقتباس ص 13) وابو جيدة الفاسي هو حامل مذهب مالك والشافعي بفاس توفى عام ثلاثمائة ويضع
وستين (السلة ج 3 ص 93) .

ومعلوم انه في عهد السلطان مولاي سليمان العلوي وصل كتاب عبد الله بن سمود الوهابي الى
فاس في شأن مذهب محمد بن عبد الله بن سليمان ، وكان هذا الكتاب قد وجه ايضا الى العراق
والشام ومصر يدعو الناس الى المذهب الجديد ولما وصل الى تونس بعث مفتيها نسخة اخرى منه
الى علماء فاس فتصدى للجواب عنه الشيخ حمدون بن الحاج بأمر من السلطان وعلى لسانه
وذهب بجوابه الامير ابراهيم بن سليمان حين سافر للحج (الاستقصا ج 4 ص 145) .

— ابراهيم بن يوسف بن ادهم القائدي الوهراني المشهور بالحمزي وبابن قرقول ولد بالمرية عام 505 هـ ونشأ بها كان رحالا اديبا بصيرا بالحديث ورجاله انتقل الى سبته عام 564 هـ ثم الى سلا وتوفي بفاس عام 569 هـ (جذوة الاقتباس ص 86 — سلوة الانفاس ج 3 ص 151 — ابن خلكان ج 1 ص 16 تكملة الصلة ص 185) .

— ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني المراكشي المصري من كاتم بصعيد مصر قدم المغرب قبل الاستمالة وسكن مراكش كان شاعرا مغلقا مع صدق البتالة وكان لونه مسودا وله في ذلك اشعار نادرة توفي عام 608 او 609 هـ (تكملة الصلة ص 215) .

— ابراهيم بن خلف بن منصور الفسائسي الدمشقي السنبوري ذكره ابن القطان في شيوخه وانه قدم تونس عام 602 هـ ثم دخل الاندلس فمراكش مغتلا من الاسر وعاد الى مصر فامتحنه ملكها الكامل محمد بن العادل بن ايوب (تكملة الصلة ص 215) .

— ابراهيم بن محمد التازي نزيل وهران شيخ الشيوخ وفريد العصر اخذ بمكة عن تقي الدين بن الفاسي ويتونس عن الحفيد ابن مرزوق واخذ عنه ابن سعد الذي الف في فضائله والشيخ زروق مات عام 866 هـ وقد ولد في تازا (تيل الابتهاج ص 24 وشجرة النور ص 263) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كانه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد في المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كانه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد في المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كانه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد في المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كانه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد في المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كانه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد في المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى الفاسي ضبط بخطه الفاسي مهموزا كانه فر من الاشتراك لقيه ابن رشيد في المدينة المنورة (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 5 ورقة 8 وهو من نقل الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني محافظ المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالرباط) .

— ابو بكر بن مسعود المراكشي شيخ المالكية بدمشق ومفتيها اخذ عن ابن المرحل وسالم السنهوري، مولده عام 984 ووفاته عام 1032 هـ (شجرة النور ص 290) .

— ابو الجبل توفي عام 501 هـ (التشوف في رجال التصوف ص 503) لقي بمصر ابا الفضل عبد الله بن الحسن الجوهرى وكان جزارا اسود اللون مليح الوجه (القرطاس ج 2 ص 99) .

— ابو الحسن المراكشي المالكي عاش في الشام وتوفي عام 625 هـ (الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص 6) .

— ابو الحسن الشاذلي رئيس الطريقة بالشرق من غمارة بشمال المغرب مر بشاذلة واستقر بمصر وقد اخذ عن محمد بن حزم وعبد السلام بن مشيش وحضر مجلسه بتونس ومصر ابن عصفور وابن جماعة وعز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وابن الصلاح وابن الحاجب (شجرة النور ص 186) .

— ابو الحسين ابن ابي الربيع الاشيلي نزيل سبته شيخ بهاء الدين ابن النحاس امام النخبة بمصر وهو صاحب الكافي في الانصاح (كتاب وصل الى الشرق في حياة مؤلفه ونال اعجاب العلماء هناك وقد اشار اليه ابن رشيد) (ملء العيبة مخطوط الاسكوريال ج 3 ورقة 22) .

— ابو حيان اثير الدين البربري النفزي المتوفى بمصر عام 745 هـ (السلوة ج 3 ص 278) .

— ابو القاسم التجاني التونسي اول من قدم تونس من اسرة التجاني صاحب الرحلة مع جيش الموحدين وهو من قبيلة تجان بأقصى المغرب (رحلة التجاني ص 7) .

— ابن الحطئة (وفى الشذرات الحطية وفي النجوم الحطية وهو خطأ) احمد بن عبد الله بن احمد ابن هشام اللخمي الفاسي ولد عام 478 هـ عاش بمصر وتوفي بالقرافة عام 560 هـ (المبر للذهبي ج 4 ص 169 طبعة الكويت 1963) .

المجد ابنة الوزير ابي جعفر عام 601هـ (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ص 594) .

— ابن حمويه تاج الدين السرخسي ورد من الاسكندرية على مراكش فخدم يعقوب المنصور وأخذ عن ابي العباس السبتي واضع فكرة الاحسان كأساس للتصوف (نفع الطيب ج 2 ص 100) .

— ابن دحية ابو الخطاب الاندلسي تجول بالاندلس والمغرب واستقر بالقاهرة في كنف الملك الكامل ثم زار اصبهان وبغداد ونيسابور وشيراز ودمشق والقدس وسبته وأخذ بالقاهرة عن ابي اسحاق ابن احمد ابن الواظ المراكشي توفي بالقاهرة عام 633هـ (الذيل والتكملة) .

— ابن رشيد السبتي أخذ بالقاهرة عام 684 عن اعلام مثل خليل المراغي (درة الحجال ص 138) وعن ذي النون بن الاسعد المصري (ص 144) والزياتب الثلاث (ص 150) ودخل الشام والحرم فأخذ عن عبد العظيم المنذري والحرائي وابن عساكر ثم رجع الى مراكش وفاس حيث توفي عام 721هـ (ص 201) .

— ابن زكري الفاسي دخل مصر وناقش فقهاءها في مسألة شرب الدخان وعقد علماءها مجلسا لمناظرتة في جامع الازهر (السلوة ج 1 ص 83)

— ابن بطوطة الطنجي زار مصر وفارس والهند والصين وجزيرة العرب والساحل الشرقي لافريقيا ثم الاندلس والسودان وقد ولد عام 703هـ ودامت رحلته 28 عاما .

— ابن العربي المعافري (ابو بكر) دفن فاس زار الشرق في عهد المرابطين له تفسير في 80 مجلدا (السلوة ج 3 ص 200) .

— ابن شبرين ابو بكر محمد بن احمد الجذامي السبتي ذكر التجاني في رحلته أنه اجتمع به في تونس حيث وصل عام 703هـ ثم عاد الى سبته عام 704هـ دون ان يحج فانتقل الى غرناطة بعد احتلال سبته فوجه اليه التجاني من المخاطبات ما جمعه في « نفحات النسرين في مخاطبة ابن شبرين » .

— الخطيب ابن مرزوق المغربي ولاء السلطان الاشرف الوظائف العلمية بالقاهرة (نيل الابتهاج ص 274) وكان يقول : « ليس اليوم يوجد من يسند احاديث الصحاح سماعا من باب الاسكندرية الى البرين الى الاندلس غيري » وعندما توجه مجتهد

— ابو الطاهر اسماعيل بن ابراهيم التونسي اشخص الى مراكش ثم عاد الى تلمسان وبها مات عام 608 هـ (التشوف ص 419) .

— ابو عمران الفاسي الفجومي (غفجوم بطن بن زناتة بالمغرب الأقصى) موسى بن عيسى بن ابي حاج اصله من فاس استوطن القيروان وحصلت له بها رئاسة العلم رحل الى بغداد ودرس على ابي بكر الباتلاني وتوفى بالقيروان عام 430هـ (شجرة النور ص 106 والمعبر للذهبي ج 3 ص 172) .

— ابو القاسم بن محمد المغربي السوسي مفتي المالكية بدمشق حدث بالجامع الاموي توفي عام 1038 او 1039هـ (شجرة النور ص 291) .

— ابو القاسم الشريف الادريسي المشهور بالسلاوي تلميذ ابن عرفة له تقييد في التفسير عن ابن عرفة في مجلدين واكمل الاكمال على صحيح مسلم (شجرة النور ص 250) .

— ابو سهل القرشي من المشرق دخل المغرب ونزل برباط تاسطت او تاسط من عمل مراكش فمات بها (التشوف ص 190) .

— ابو المكارم بن الحسين المصري ولاء السلطان ابو يعقوب الموحدى قضاء اشبيلية وعزل قاضيها احمد بن محمد الحومى وذلك عام 579 هـ وفيها ولي ابا الوليد بن رشد قضاء قرطبة (البيان المغرب لابن عذارى ج 3 ص 129 طبعة الرباط) .

— ابن مفتاح ابو محمد القرشي الفاسي تلميذ العالم المفتي رشيد الدين عبد الكريم بن عطاء الله الجذامي الاسكندراني المالكي (ملء العيبة لابن رشيد — مخطوط الاسكوريال ج 6 ورقة 30) .

— ابن ابي البركات (الكمال) المكناسي روى عنه الحافظ ابن حجر اجازة مكتوبة بحديث المصافحة (الاصابة ج 4 حرف الميم) ومعلوم ان ادريس العراقي المغربي كان اخف من ابن حجر كما يقول سيدي عمر الفاسي وقد كان له فضل على محدثي مصر حيث استدرك احاديث على الجامع الكبير للسيوطي تنيف على الخمسة آلاف (سلوة الانفاس ج 1 ص 142) .

— ابن جبير الرحالة ، باع املاكه بفاس ورحل للمرة الثانية الى الشرق عام 567هـ ومات بالاسكندرية عام 614هـ وكان قد اقام قبل في جيان بالاندلس ثم سبته حيث رحل منها بعد وفاة زوجته عاتكة ام

المغرب عبد الله الورياجلي القصري (من القصر الكبير بالمغرب الأقصى) ليأخذ العلم عن ابن مرزوق قال له : « ليس احد اعلم منك فرجع » (دوحة الناشر لابن عسكر ص 26) .

— ابن المواق احمد التجيبي استظهر بمصر الموطا فضرب شيوخ المالكية الطبول على رأسه اشادة وتنويها ، توفي بفاس عام 725 هـ (السلوة ج 3 ص 244) .

— ابن موسى المراكشي الجمال الحافظ لقي بالاسكندرية ابراهيم برهان الدين الشيرازي (الضوء اللامع ج 1 ص 9) .

— احمد البدوي الفاسي ولد بفاس ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس فخرج لاستقباله هـ وعسكره وزار سوريا والعراق سنة 634 هـ دفن بطنطا (شذرات الذهب ج 5 ص 345 — طبقات الشعراني ج 1 ص 158) وهناك صوفي آخر بالمغرب يسمى احمد البدوي بن احمد بن ابي جيدة زويتن تلميذ مولاي العربي الدرقاوي له زاوية ورسائل كبرى توفي عام 1275 هـ (شجرة النور ص 401) .

— احمد اللجائي الفاسي (ابن محمد بن عيسى ابن علي الشهاب) ولد بفاس عام 792 هـ فرض عليه القضاء بفاس ففر الى مكة ثم مصر واخذ بالقاهرة عن المقرئ ورفض تولي القضاء وقد اسر بجزيرة رودس ثم خلاص بمال جبي له من القاهرة ، فعاد اليها ثم سافر عام 843 هـ الى الصحراء فتوفي بالكرور حيث اقرأ التفسير سنة وقد اخذ عنه البرهان اللقاني بالقاهرة (الضوء اللامع للسخاوي ج2 ص164)

— احمد الجزولي (شهاب الدين بن شمس الدين ابن عمر) الدولة آباي الهندي الحنفي المتوفى عام 848 هـ صاحب « البحر الموج والسرراج الوهاج » (فهرس المخطوطات الفارسية لدار الكتب المصرية عام 1963 ق 1 ص 37) .

— احمد الفاسي بن نور الدين بن ابي عبد الله والد التقي محمد الفاسي ولد عام 754 هـ بمكة وسمع بها من العز بن جباعة ومن خليل المالكي والياقصي وبالقاهرة من ابي البقاء السبكي واخذ عن موسى المراكشي وابي الفضل النويري وافتي وحدث وصنف دخل مصر والشام واليمن وصفه ابن حجر بالمهارة في عدة فنون مات بمكة عام 819 هـ ترجمه المقرئ في عقوده (الضوء اللامع ج 2 ص 35) .

— احمد الهنتاني (من هنتاة قبيلة بالاطلس) المعروف بالشماع بن محمد التونسي تلميذ ابن عرفة توفي عام 833 هـ حسب الزركشي او 839 هـ حسب ابن دينار (شجرة النور ص 244) .

— احمد الكومي بن ابي دبوس امير ثائر ولد بالقاهرة وهو حفيد ادريس بن محمد آخر ملوك بني عبد المومن بالمغرب رحل لمراكش لاستخلاص املاك ورثها عن ابيه واظهر العصيان ضد ابي الحسن المريني وقتله عام 749 هـ واسر. فنقل الى فاس ثم سرح ومات بها (الدرر الكامنة ج 1 ص 198) .

— احمد المعافري المعروف بالوقاد درس بالاسكندرية وتوفي بها عام 741 هـ (السلوة ج 3 ص 86) .

— احمد بن عبد الله الازدي المراكشي نزيل القاهرة (الدرر الكامنة) .

— احمد القرطبي المراكشي مولدا (ابو القاسم ابن محمد بن احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي) لقيه ابو الحسن التجيبي ببجاية فسمع عليه فهرسة جده ابي القاسم احمد بن يزيد (ملء العيبة لابن رشيد ج 6 و 55) .

— احمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري رحل الى المشرق ولقي عز الدين بن عبد السلام وهو فقيه اصولي توفي بتونس عام 682 هـ (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 38) .

— احمد الشريشي تاج الدين البكري التيمي ولد بسلا عام 581 ونشأ بمراكش واستوطن الفيوم من مصر وبها توفي عام 641 هـ وقيل في منتصف عام 643 هـ واليه انتقع علم التصوف له قصيدة في السلوك تسمى « انوار السرائر او سرائر الانوار » اخذ عن محمد الفندلاوي ابن الكتاني بفاس وبمصر عن مظفر الازدي المعروف بالمقترح وبالاسكندرية عن علي الابياري وببغداد عن ابي صالح الجيلاني واخذ التصوف عن عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف شجرة النور ص 186) وجهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر لابن المسناوي وقد ذكر الزركلي في الاعلام (ج1 ص 210) انه ولد بشرش عام 583 هـ وتوفي بها عام 640 نقلا عن بغية الوعاة للسيوطي (ص 156) .

لقي بالقاهرة جماعة ومات عام 860هـ (الضوء اللامع ج 2 ص 47) .

— احمد بن عبد القادر الفاسي (ابن ابي الفتح الحسيني المكي الحنبلي) ولد بعد 820هـ امه أم الوفاء ابنة الامام رضى الدين محمد الطبري لقي ابنه فهد دخل القاهرة ومات عام 861هـ (الضوء ج 1 ص 351)

— احمد القيسي الفاسي المعروف بالمتلاعب (الضوء ج 2 ص 265) .

— احمد بن حاتم الفاسي الصنهاجي نزيل القاهرة يعرف بين المصريين بحاتم ولد عام 851هـ بفاس وتحول الى القاهرة عام 873هـ ثم الشام ومكة وامتاز في علم الطب (الضوء ج 1 ص 268) .

— احمد المريني (بن محمد الشهاب) قاضي المالكية بدمشق حيث ادار المارستان وتولى القضاء بالقاهرة مات عام 896هـ (الضوء ج 2 ص 218) .

— احمد السلاوي التونسي تقدم في العربية والفقه لقي ابن عرفة واشتهر في العربية مات عام 873هـ بتونس بالطاعون (الضوء ج 2 ص 263) وهناك عالم آخر هو احمد السلاوي بن محمد بن احمد الدمشقي سبط الشمس محمد بن عمر السلاوي ولد قبل 838هـ عرف بابن الحريري لان والده كان حريريا ولي قضاء بعلبك والمدينة وصفد وغزة، والقدس مات عام 913هـ بدمشق ترجمه ابن حجر في معجمه وانبائه (الضوء ج 2 ص 81) كما هناك عالم آخر هو احمد السلاوي مات عام 853هـ (الضوء ص 263) .

— احمد بن محمد الدقون الخطيب بجامع القرويين شيخ الاسلام اخذ عن اعلام من المشرق والمغرب كالمواق وابن غازي توفي عام 921هـ (شجرة النور ص 276) .

— احمد بن حيدة الاستاذ العالم الرحال اخذ عن علماء فاس والمشرق توفي عام 1009هـ شجرة النور ص 294) .

— احمد زروق الفاسي ولد عام 846هـ اقام بالقاهرة سنة ودرس على السخاوي (الضوء اللامع ج 1 ص 222) وهناك احمد زروق السنوسي قاضي الجماعة بتونس المتوفى عام 1246 (شجرة النور ص 370) وعيون الارب للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 83

— احمد السجلماسي (بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله ابن القاضي العباسي) رحل للمشرق

وقد اشار صاحب التشوف (ص 182) الى ابي علي الشريشي البكاي الذي قدم مراكش من شريش وجال في الشرق عشرين سنة قبل ذلك ونزل بسلا ضيفا لدى علي بن حمدون .

— احمد الصقلي قائد الاسطول الموحيدي اصله من جربة بتونس اسره النصارى واستخلصه صاحب صقلية ثم لحق بتونس واجاز الى مراكش فتلقاه السلطان يوسف بن عبد المومن الموحيدي وقلده قيادة الاسطول (المعبر للذهبي ج 1 ص 457) .

— احمد الشارقي من بلنسية روى بمكة عن كريمة المروزية ودخل العراق وفارس والاهواز ومصر وسكن سبتة وفاس توفي قريبا من 500 هـ (الديباج لابن فرحون طبعة فاس ص 71) .

— ابن ماسويه احمد المعروف بابن الحداد بلنسي رحل الى المشرق عام 452هـ فزار فارس وواسط وبغداد والموصل وخراسان وعاد الى مصر عام 467هـ الى ان تغلب الروم على طليطلة فجاهد مع الامير يوسف حيث وصل الى سبتة ثم طنجة (تكلمة الصلة لابن الابار طبعة الجزائر 1920 ص 28) وهناك ابن حداد آخر هو عبد الرحمن اسماعيل الازدي التونسي رحل الى دمياط واستقر بسبتة وتوفي بمراكش عام 640هـ (تكلمة الصلة ج 3 ص 594) .

— احمد بن حنبل امام المذهب ذكر الزركلي (الاعلام ج 1 ص 192) انه زار المغرب والجزائر ولم يشر الى المصدر الذي استقى منه ذلك واورد ذلك ايضا الاستاذ الخاتاني في « شعراء بغداد » (ج 1 ص 386 حسب الدكتور محسن جمال الدين — اللسان العربي عدد 3 عام 1965) . ولم يثبت ذلك .

— احمد بن موسى الصنهاجي (بن عبد الله الشهاب) المغربي الاصل المنوفي ثم القاهري الشافعي ولد حوالي 780هـ او قبلها اخذ بالقاهرة عن الولي العراقي وابي الفتح البلقيني والهيثمي مات عام 858هـ (الضوء اللامع ج 2 ص 230) وقد ذكر السخاوي ايضا (الضوء ج 2 ص 258) عالما آخر باسم احمد الشهاب المغربي الصنهاجي كان اماما درس بالازهر كما ذكر (ص 243) احمد بن يحيى بن عيسى الشهاب الصنهاجي .

— احمد بن علي الفيلاي عالم صالح كاييه

مرتين ألف رحلة اطنب فيها في المهدي المنتظر قام بالدعوة واستولى على سجلماسة ودرعة ومراكش مولده عام 967هـ توفي قتيلا بأحواز السوس عام 1031هـ واخذ عن السهوري واللقاني وطه الجيزي (شجرة النور ص 298) .

— احمد المقرئ (بن محمد) نزيل فاس ثم القاهرة اخذ عنه الكثير من اهل المشرق والمغرب وله «نفع الطيب» وازهار الرياض وازياء الدجنة والسروض المعطر الانفاس. في ذكر من لقيه من اعلام مراكش وفاس وعرف النشق في اخبار دمشق وشرح مقدمة ابن خلدون تولى الامامة والخطابة بجامع القرويين عام 1022 هـ ورحل للمشرق عام 1027 هـ واتقرا هناك الحديث وتردد على دمشق ومصر حيث توفي عام 1041 (شجرة النور ص 300) .

وقد عاصره مقرئ آخر هو احمد بن محمد المقرئ المعروف بالمحمودي (تسبة لقبيلة بالمغرب) الدمشقي اخذ بالقاهرة عن اللقاني ولد بدمشق عام 983هـ وتوفي ببلط عام 1032 هـ (شجرة النور ص 290).

— احمد اليميني كآدم في السلالة الملكية مالكي من اليمن ولد في حدود 1040 كان لاهله ملك وامارة فلما فتح عليه رفض اهله وساح في الدنيا خرج من بلده عام 1075هـ (سلوة الانفاس ج 2 ص 334) .

— احمد بوخرى من جبل وولات دخل تونس كان آية في الحفظ وسعة الاطلاع تولى القضاء عام 1220هـ (شجرة النور ص 369) .

— احمد بن محمد بن ناصر الدرعي قرا في مصر على ابي الحسن الزعترى رسائل في علم الفلك وكرة العالم توفي عام 1129هـ (الاعلام للزركلي ج 2 ص 161) .

— احمد افندي من ارض الروم ورد على تونس لاول المائة الحادية عشرة على عهد عثمان داي وكان متقنا في العلوم وارتحل الى المغرب الاقصى وافدا على سلطانه احمد الذهبي فوجده يقرئ المطول لسعد الدين التفتازاني بالجامع كل يوم (اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان لابن ابي الضياف ج 7 ص 11) .

— احمد بن عبد الصمد بن ابي عبيدة القرطبي عالم محدث ولد عام 519هـ وتوفي بفاس عام 582هـ (الديباج المذهب ص 51 وسلوة الانفاس ج 3 ص 242)

— احمد الغريبي بن عبد الله رحل الى الشرق عام 1140هـ واخذ عن شيوخ مصر امثال الشيخ احمد العماري وحالم البصري وطار صيته في الحجاز (الاغبطا بتراجم اعلام الرباط لابي جندار) .

— احمد بن الحسين بن علي الامير الزرهوني فقيه مكناسة الزيتون قدم الاسكندرية حوالي 533هـ واقام بها (معجم البلدان ج 4 ص 388) .

— احمد دحلان المكي المتوفى عام 1304 هـ سعى لدى سلطان المغرب مولاي الحسن الاول في طبوع شرح الاحياء وكان مفقودا بالمشرق بأجمعه (فهرس الفهارس ج 1 ص 291) .

— احمد الزياتي (ابو القاسم الرحالة الفاسي) رحل الى الحجاز عام 1169هـ صحبه والده ثم الى الاستانة سفيرا عام 1200 ومصر ودمشق ولقي علماء والف في التاريخ رحلته الكبرى في مجلد والترجمان العرب عن دول المشرق والمغرب في مجلد ضخّم توفي عام 1249هـ .

— احمد الماكودي الفاسي قدم تونس وحصلت له بها شهرة تامة وتقلد الفتيا وتصدر للتدريس اخذ عنه اعلام منهم شيخ الاسلام محمد بيرم الاول توفي عام 1170 (شجرة النور ص 346) .

— احمد بن ادريس الادريسي خاتمة المحققين ولد ببسور قرب فاس وارتحل منها عام 1213هـ الى مصر واخذ بالصعيد عن الشيخ محمود الكردي ومكث بمكة 14 سنة ثم بالصعيد خمس سنين ثم بمكة 12 سنة ثم باليمن تسع سنين وتوفي بها عام 1253 اذعن له علماء اليمن واخذ عن الشيخ محمد بن علي السنوسي . واشهر طريقته باليمن (شجرة النور ص 396) سكن صيبا وكانت لاسرته امارة في تهامة واليمن له كتاب «العقد النفيس» جمعه احد مريديه من كلامه وله «روح السنة» (الاعلام للزركلي ج 1 ص 90) .

— احمد الكاملي الضرير الدرعي قام بجولة في انعام وترك عدة رحلات تفلح في عدة فنون محدث يحفظ صحيح البخاري ومسلم بأسانيدهما وكتب الاخبار والآداب ودواوين الشعراء القدامى والمولدين لقي في الهند داود الكلكتي الذي عمر مائتي سنة توفي بمراكش عام 1315هـ (الاعلام للمراكشي ج 2 ص 244) .

— احمد اللواتي الفاسي (بن محمد بن حسين

ابن علي) المعروف بابن تامتيت سكن اشبيلية رحل الى افريقية والشرق وحدث بمصر (تكلمة الصلة ص 158) .

— اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي المولود عام 404هـ (1013م) في قلعة ابن احمد قرب فاس توفي بالوسينة عام 497هـ (1103م) له شرح على التلمود في عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من اهم كتب التشريع التلمودي وله 320 فتوى في ذلك وهو بالعربية وقد اسس في الوسينة قسرب غرناطة عام 1089م معهدا للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمنونه من كل الجهات وتوجد الاشارة الى الفاسي ونقول عنه في كتاب « المقارنات والمقابلات » .

— اسطراباب ابو الربيع الفاسي اللجائسي تلميذ القرافي هو اول من ادخل مختصر ابن الحاجب في الاصول الى المغرب اخترع اسطرابابا ملصقا في جدار والماء يدير شبكة على الصفيحة لبيان ارتفاع الشمس والكوكب (انس الفقير ص 68) .

— ايوب بن عبد الله الفهري (ابو الصبر) سبتي قدم مراكش رحل الى المشرق واخذ عن عدة علماء واستشهد بوقعة العقاب عام 609هـ (التشوف لابن الزيات ص 431) .

— بدر الدين بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب المراكشي السبتي المغربي اصلا الدمشقي مولدا كان يقرئ صحيح البخاري يوم الجمعة في الجامع الاموي وله حجرة في دار الحديث عينت له الدولة شهريا 1200 قرش صاغا ولم يكن له نظير في حفظ الحديث ورجاله داب على تدريس ثلاثة ارباع قرن وكان يقرأ المطولات (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار ج 1 ص 375)

— الجيلالي بن احمد بن المختار السباعي المغربي ثم المدني ذكر محمد بن عمر السوسي في ذيله على فهرسة الحضيكي أنه لم يكن يوجد في زمانه مثله وقيل انه استظهر القاموس حفظا واتقاناً مات بقرية في مصر اسمها احكاز عام 1213هـ (اتحاف الخل المواطي في مناقب السكياطي وفهرس الفهارس ج 1 ص 217) .

— حسن التطاوني الفقيه قرا عليه المشير محمد الصادق باشا باي تونس الذي ولد عام 1228 (اتحاف اهل الزمان لابن ابي الضياف ج 5 ص 11) .

— الحسن بن عبد الاعلى الكلاعي السفاقي درس في بلاد المصامدة ، واستوطن سبتة فقيه اصولي عارف بالهندسة والحساب والفرائض توفي باغمات عام 505هـ ذكره عياض (تكلمة الصلة لابن البار ج 2 ص 125) .

— الحسن بن عطية التجاني المكناسي المعروف بالونشريسي اخذ عن محمد الصباغ المكناسي وعنه ابن تينغز وابن الاحمر ، له فتاوي ذكر المعيار جملة منها ثم مات عام 781هـ (شجرة النور ص 237) .

— الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي المعروف عند الاوربيين بليون الافريقي رحل الى فاس وبلاد التتار ثم رجع الى الاستانة عن طريق مصر واختطفه القراصنة الطليان قرب جزيرة جربة قيل انه تمسح ثم عاد الى الاسلام بتونس حيث توفي وقد الف بالعربية وترجم للإيطالية كتابه في وصف افريقيا الذي اختصره المستشرق ماسينيون في كتاب سماه « المغرب اوائل القرن السادس عشر » .

— حسين الآدمي نقل الشعراني في طبقاته (ج 2 ص 65) أن أصله من مراكش كان يعيش بمصر حيث اشتهر وتتلذذ عليه الكثير .

— الحسين بن علي ابو علي الفاسي من اهل العلم والفضل اختلف الى الكثير من العلماء (جذوة المقتبس طبعة 1952 ص 181) .

— حسام الدين الجوزي حسين بن قاسم بن احمد المغربي الرحال اخذ عن المنجور وابن القاضي رحل الى المشرق ودخل بلاد الروم والشام ومكة مات غريفا ببحر جدة عام 1011هـ (شجرة النور ص 295)

— خلف بن مسعود الجراوي يعرف بابن امينة مولده ببلييلة بالمغرب الاقصى قدم قرطبة عام 393هـ نقل عنه بها علم كثير واغرى به القاضي ابن ذكوان العامة فذبحوه ابان ثورة الاندلس بالبربر عند قيام المهدي عام 400هـ (الصلة لابن بشكوال ج 1 ص 179 طبعة مجريط 1882) .

— دراس بن اسماعيل الفاسي اول من ادخل مدونة سحنون مدينة فاس وبه اشتهر مذهب مالك توفي بها عام 357هـ رحل الى القيروان (شجرة النور ص 103) وقد اشار صديقنا الاستاذ الكبير عبد الله كتون في النبوغ المغربي (ج 1 ص 50) الى ما يحكى من ان ابا محمد بن ابي زيد القيرواني قدم فاسا لزيارته فوجده قد توفي في ذلك اليوم فحضر جنازته

واقام بقبره ثلاثة ايام وكان ذلك سبب زيارة القبور بفاس عدد تلك الايام الى الان .

وقد ذكر الجزنائي في « جنا زهرة الاس » ونقله ابن عيشون الشراط في « الروض العاطر الانفاس بأخبار الصالحين من اهل فاس » ان بلاد المغرب كانت قبل ان يدخل دراس علم مالك الغالب عليها مذهب الكوفيين كما ذكر الجزنائي ان دراس دخل الاسكندرية والاندلس مجاهدا .

— محمد بن سعيد القيسي قاضي المولى ادريس سمع مالكا وسفيان الثوري (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 13) .

— محمد بن سليمان الجزولي الحسيني شيخ الطريقة الجزولية ذكر عبد الله الغزواني في جواب له انه اخذ عن سيدي عبد العزيز المعجمي بالجامع الازهر عن ابي الحسن الشاذلي (ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتابع طبعة فاس ص 3) ولاحظ صاحب « مرآة المحاسن » ان الجزولي مات عام 870هـ والشاذلي سنة 656هـ فلا يمكن ان يكون الواسطة رجلا واحدا .

— محمد بن سليمان بن داود الجزولي النقيبه رحل الى تونس ومصر توفي عام 863هـ (درة الحجال في غرة اسماء الرجال ج 1 ص 297 طبعة الريس 1934) وقد ولد بجزولة عام 806هـ وانتقل الى مراکش ففاس عام 835هـ ومات بمكة (الضوء اللامع ج 7 ص 259) .

— محمد بن محمد الجزولي الدرعي اخذ في مصر عن نجم الدين العيطي ومحمد المعلمي وفي مكة عن ابي فهد توفي بفاس عام 988هـ (سلوة الانفاس ج 3 ص 284) .

— محمد ابن الفازي بن عبد الله القرطبي رحل الى المشرق فدخل البصرة وادخل الاندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والخبر وعنه اخذ اهل الاندلس الاشعار المشروحة كلها ، مات بطنجة عام 296 (تاريخ ابن الفرضي ص 323) .

— محمد بن طاهر بن احمد الانتصاري الاشبيلي سكن فاسا طويلا في بعض خاناتها وهو ابو بكر الخدب كان رئيس النحويين بالمغرب في زمانه بسلا مدافعة وانهمهم اغراض سيويه له عليه تنبيهات وهي التي بسطها تلميذه ابن خروف في شرحه الكتاب رحل الى المشرق فناظر بمصر كبير النحاة عبد الله

ابن بري وكبير النحاة بدمشق ابا اليمن زيدا بن الحسن الكندي فحكم الحاضرون بان ابا بكر المغربي اعرف منه بالكتاب وبان ابا اليمن انبه نفسه وقد اقرا كتاب سيويه في البصرة (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ص 650) .

— محمد ابن عطية تحدث ابن خلدون في فصل التفسير من مقدمة تاريخه (ق 4 ص 794) عن الاسرائيليات المروية عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام فقال : « فلما رجع الناس الى التحقيق والتحصيل وجاء محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق .

— محمد بن احمد التقي الفاسي (بن علي بن ابي الطيب) مؤرخ عالم بالاصول حافظ للحديث اصله من فاس ومولده ووفاته بمكة دخل اليمن والشام ومصر ذكر المقرئ انه كان يحر علم لم يخلف بالحجاز بعده مثله ومن كتبه « العقد الثمين في تاريخ البلد الامين » (الاعلام للزركلي ج 6 ص 288) .

— محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج عزوز المكناسي أحد الحفاظ والاطباء اخذ عن اعلام المشرق ثم عاد الى مكناس (نيل الابتهاج ص 322) وقيل مات في الشرق (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 593) .

— محمد الطاهر ابن عاشور (بن محمد بن عاشور) وفد سلفه من سلا بالمغرب الاقصى وولي قضاء الجماعة بتونس عام 1267 هـ توفي عام 1284 هـ بعد ان تولى خطة الفتوى عام 1277 هـ ونقابة الاشراف (عيون الارب للشيخ محمد التيفر ج 2 ص 122 تونس 1351) .

— محمد بن التهامي بن عمرو الرباطي علامة متبحر قدم تونس عام 1243 هـ فأكرم وفادته علماء تونس منهم شيخ الاسلام الثالث محمد بيسم وأخذ عنه شيخ الاسلام الاول محمد بن احمد بن الخوجة توفي بمكة عام 1244 هـ (شجرة النور ص 382) .

— محمد ظافر المدني حسن بن حمزة عالم مرشد قرا بالمدينة المنورة ثم ساح عام 1122 فوصل الى المغرب الاقصى واخذ الطريقة الناصرية المغربية واجتمع بالشيخ سيدي احمد التيجاني والشيخ مولاي

العربي الدرقاوي عام 1234هـ ونشر طريقته المعروفة بالطريقة المدنية التي اتسع مجالها في الجزائر وأفريقية وطرابلس توفي عام 1268هـ (شجرة النور ص 383) .

— محمد اغا المكتاسي ولد في حلب عام 1198هـ عاش 110 سنين (الاعلام الشرقية لزكي محمد مجاهد ج 2 ص 43 أو الجزء السابع من « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » .

— محمد التاملاتي (بن محمد) المغربي المالكي ثم الحنفي مفتي القدس ولد بالمغرب الأقصى ومات ببیت المقدس عام 1191هـ وقد افردت ترجمته بالتأليف (فهرس الفهارس ج 1 ص 194) تعلم بالازهر وقام برحلة طويلة ومن مصنفاته المخطوطة « حسن التبيان في معنى مدلول القرآن » و « الصلح بين المجتهدين » و « القهوة والدخان » وكلها في المكتبة الخالدية بالقدس (الاعلام للزركلي ج 7 ص 296) .

— محمد الدرعي الورزازي الحافظ الشهير بالصغير وبالقاضي اشتغل بالتدريس في مصر وكانت له اليد الطولى في الفقه والعلوم العقلية توفي بمصر عام 1138 (الاعلام للزركلي ج 5 ص 38) .

— محمد بن الطبيب الشرقي (1170هـ) اخذ عنه اللغة علماء المغرب والمشرق ولف « المسفر عن خبايا الزهر » والحاشية الكبرى على قاموس الفيروز ابادي في أربعة مجلدات ومنها استمد تلميذه الشيخ مرتضى في كتابه « تاج العروس بشرح القاموس » .

ولد بفاس وتوفي بالمدينة المنورة وهو من شراقة على مرحلة من فاس له اضاءة الرايس مخطوط وموطنة الفصح لموطاة الفصح « مخطوط في مجلدين شرح به نظم فصيح ثعلب لابن المرحسل (الاعلام للزركلي ج 7 ص 47) .

— محمد البستيني (بن احمد بن عبد الرحمن) الفقيه المحقق الرحالة المفتي رحل الى المشرق فدرس بالجزائر وتونس ومصر حيث اخذ عن الامام اللقاني توفي عام 959هـ (درة الحجال ج 1 ص 247) .

— محمد بن يحيى المصري (بن عبد الله بن ابي القسم المحب) يعرف بابن الوجدية نسبة الى وجدة (بالمغرب الأقصى) كان يكتب بخطه ابن الوجدي وكان متفننا مات عام 903هـ (الضوء اللامع ج 10 ص 73)

— محمد الجياتي البغدادي (بن احمد بن جراح

عرف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد روى عن علي الطبري وجلب من توافيه احكام القرآن واصول الفقه والرد على احمد بن حنبل حفظ كتاب البرادعي قبل رحلته واستقر بفاس بعد خروجه من جيان اوائل الموحدين وتوفي بها عام 546هـ (السلوة ج 3 ص 267) وقد درس الفقه بجامع القرويين واقام بفاس مدة ثم تحول الى جيان الى ان قامت الفتنة عام 539 او 540هـ فعاد الى فاس عام 544هـ (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ق 2 ص 583) .

وورد في تكملة الصلة لابن الابار (ج 2 ص 193) ابراهيم بدل جراح وانه ولد عام 470هـ وان استقراره بفاس كان عام 544هـ .

— محمد بن ابراهيم السلوي من طرابلس الغرب ذكره محمد بن النعمان الزالي الفاسي في كتابه « مصباح الظلام في المستفيثين بخير الاتام في اليقظة والنمائم » في جملة من كان يكاثره (مخطوط الاسكوريال رقم 1685 ورقة 29 ، وقف عليه الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني) .

— محمد السلوي (بن محمد بن احمد بن قاسم) ولد عام 714هـ ودرس بتونس وحلب ومات بالاسكندرية عام 803هـ (الضوء اللامع ج 9 ص 29)

— محمد بن ابي الفتح الفاسي (محمد بن احمد) الشافعي مات ببلد كلبرجا من الهند بعد 830هـ ببسير ذكره ابن فهد (الضوء اللامع ج 9 ص 43) ولسه ابن ولد بالهند (الضوء ج 10 ص 189) .

— محمد الزموري (بن محمد بن ابراهيم البخاري) نزيل الحرمين مات عام 839هـ بالمدينة ومن مؤلفاته حسب ابن فهد « مساطع الانوار في استخراج ما في حديث الاسراء من الاسرار » (الضوء ج 8 ص 301)

وهناك محمد الزموري بن محمد بن القاضي الخزرجي المدني ذكره السخاوي ايضا (الضوء ج 9 ص 189) .

— محمد بن يوسف التازي (بن خطاب السيد الشمس) الاصبهاني سمع عن السخاوي بمكة (الضوء ج 10 ص 93) .

— محمد بن عبد الله البياتي المغربي (هذه العائلة موجودة بالمغرب منها اسرة في العرائش اليوم) نزيل قاعة الحنفية عالم بالطب والفراسة مات عام 853هـ (الضوء ج 10 ص 116) .

— محمد الشريف الزكراوي نسبة الى جـده
ابى زكرياء الفاسي نزيل تونس وبها توفي عام 874هـ
وكان ادبيا طبيا ولي المارستان بتونس واقرا العتليات
مع مشاركة في الفقه واعتناء بالتاريخ (الضوء ج 10
ص 123) .

— محمد تقي الدين (بن احمد بن علي) الفاسي:
قال عنه الحافظ ابن حجر « وافقني في السماع بمصر
والشام واليمن وغيرها وكنت اوده واعظمه » توفي
عام 842هـ (نيل الابتهاج ص 318) وذكر عبد الله
عنان انه درس بالجامع الازهر وانه وفد على مصر
بعد ابن خلدون اتاريخ الازهر طبعة 1378 ص 127)
ونكر صاحب شجرة النور (ص 253) انه ولد عام
775هـ وتوفي سنة 833هـ بعد ما تولى قضاء
المالكية بمكة منذ عام 807هـ .

— محمد الغماري الجمال (بن محمد بن عبد
الله) قاضي لبة من اعمال الطائف (الضوء ج 9
ص 128) ولعله من غمارة بشمال المغرب ومثله :

— محمد بن محمد بن علي بن عبد السـرزاق
الشمس الغماري ثم المصري المالكي النحوي ولد
عام 720هـ ولازم ابا حيان وقرأ ببيت المقدس ومكة
والاسكندرية انتهت اليه علوم العربية في زمانه توفي
بالقاهرة عام 802هـ (الضوء ج 9 ص 149) .

ولعله هو محمد بن عمر الغماري (بن علي بن عبد الدار
شمس الدين النحوي ولد عام 720هـ برع في العربية
وتفرد على رأس المائة الثامنة في النحو حسب
السيوطي توفي عام 802هـ (نيل الابتهاج ص 281) .

— محمد بن ابراهيم الغماري القاهري القرافي
(ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن الجمال عبد الله
الشمس) مات عام 853هـ (الضوء ج 6 ص 275) .

— محمد بن موسى بن عائذ الوائوغي الغماري
نزيل مكة منذ عام 780هـ دخل اليمن وكان يحضر
مجلس عبد الرحمن بن ابي الخير الفاسي مات عام
827هـ (الضوء ج 10 ص 55) .

— محمد بن موسى ابو البركات المراكشي الاصل
المكي الشافعي (بن علي بن عبد الصمد بن محمد بن
بن عبد الله الجمال) سبط العفيف الياضي يعرف بابن
موسى ولد عام 789هـ بمكة حيث اُفتى ، لم يكن له
بالحجاز نظير في حفظ المتن والحديث دخل دمشق
والقاهرة والاسكندرية وبعلبك وحلب والقدس وحمص وحماة
واليمن حيث اخذ عن المجد اللغوي وابن خلدون

وابن عرفة والولي العراقي واليهيمني وابن فرحون
كتب على نمط الموضوعات لابن الجوزي ودرس ببعض
مدارس زييد باليمن فامتاز في الحديث ومال اليه
الناصر صاحب اليمن مات عام 823هـ (الضوء ج 10
ص 57) واخوه هو محمد الجمال الجاتاني سافر
الى اليمن عام 823هـ (ص 87) (وعائلة الجاتاني ما
زالت معروفة بالمغرب الاقصى) .

— محمد بن ابراهيم بن محمد البقوري (بقور
بكتاف مشددة بلد بالاندلس) دخل مصر وتوفي بمراكش
عام 707هـ (الديباج 282) .

— محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز
المعروف بالشريف الكركي صاحب عز الدين ابن عبد
السلام وتفقه عليه في مذهب الشافعي واشتغل
عليه الشباب القرافي الذي قال فيه : انه تفرد
بمعرفة ثلاثين علما وحده وشارك الناس في علومهم
ولد بفاس وتوفي بمصر عام 688 او 689هـ (الديباج
ص 286) وقد اقام بالكرك من اعمال الشام وتخصص
في العربية والاصلين والحساب وافق في المذهبين
اليه انتهت الرئاسة بالديار المصرية وكان عليه مدار
الفتيا بها «له شرح على عقيدة المهدي المرشدة »
املء العيبة لابن رشيد مخطوط ج 5 —
اسكوريال رقم 1680 ورقة 67) .

— محمد بن يحيى العجيسي (بن عبد الرحمن
ابن محمد البدر بن الشرف) المغربي الاصل القاهري
درس الفقه بجامع طولون والاشرفية دخل الشام
والقدس مات عام 871هـ (الضوء ج 10 ص 73) .

— محمد الشريف الادريسي المولود في سبتة
عام 494هـ صاحب نزهة المشتاق واستاذ اوربا في
الجغرافيا قال في رسائل البشر انه « طاف بمصر
وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وانجلترا قبل ان
يستدعيه ملك صقلية » (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 34)
وهو اول من اكتشف ان النيل ينبع من بحيرات خط
الاستواء في حين ان الاوربيين لم يكتشفوا ذلك الا منذ
عهد قريب (حضارة العرب لكوستاف لوبون —
الطبعة الفرنسية ص 508) .

وقد ورد في « النخبة الازهرية في تخطيط الكرة
الارضية ص 140) ان الادريسي من اسرة ملكية
مصر وبلاد النوبة ولذا لقبوه بجغرافي النوبة .

— محمد بن علي الادريسي (1293 — 1341هـ)
مؤسس دولة الادارسة في صبيا باليمن اصله من فاس

درس في الازهر حليف عبد العزيز آل سعود (الاعلام للزركلي ج 7 ص 196) .

— محمد بن محمد الانصاري الزنوري نزيل المدينة ولد في زنورة بأقصى المغرب وبها نشأ ثم ارتحل عام 821هـ الى الحجاز وكان عالما في الفقه والعربية (الضوء ج 10 ص 42) .

— محمد بن ابراهيم العبدري الابلي التلمساني استقر بفاس قيل انه اعلم العالم في عصره بفنون العلم دخل آخر المائة السابعة مصر والشام والحجاز والعراق ولقي بمصر ابن دقيق العيد وصفي الدين الهندي والتبريزي وقرا بفاس فنون التعاليم وتضلع في مراكش عن ابن البنا في المعقول والحكمة ونظمه السلطان ابو الحسن المريني في طبقات العلماء بمجلسه وهو استاذ ابن خلدون توفي عام 757هـ (السلوة ج 3 ص 274) وورد في (نيل الابتهاج ص 244) انه اختفى عند خلوف اليهودي شيخ التعاليم لما اكرمه ابو حمو على العمل ودخل مراكش عام 710 ثم صعد الى الجبل عند علي ابن محمد شيخ العسكرة فقرأ عليه ثم عاد الى فاس وقد اخذ عنه المقرئ .

— محمد بن ابي الفضل خروف التونسي شيخ الجعاعة رحل الى المشرق فأسر واعتقه السلطان احمد المريني توفي بفاس عام 966هـ (درة الحجال لابن القاضي ج 1 ص 250) .

— محمد بن سعدون القيرواني بن علي بن بلال (السعادة الابدية لابن الموقت ج 1 ص 63 والاعلام للمراكشي ج 2 ص 308) استقر بأغمت وريكة حيث مات عام 485هـ (التشوف ص 61 وصلة ابن بشكوال ج 2 ص 544 طبعة مجريط 1883) .

— محمد التيفاشي التونسي وفد على عبد المومن ابن علي ملك المغرب ومدحه بقصيدة اولها :
ما هز عطفه بين البيض والاسل

مثل الخليفة عبد المومن بن علي (خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني — قسم شعراء المغرب طبعة تونس 1966 ص 128) .

— محمد السفاقي رحل مع اخويه ابي الطيب ومحرز من تونس الى اغمت وريكة بايفيل (التشوف ص 140) كما رحل الى المغرب من تونس محمد بن محيو الهواري وهو من اهل العلم والعمل (التشوف ص 158) .

— محمد علي المغربي (بن محمد ابن العربي) قدم

بغداد سنة 608هـ وزار الموصل ايضا (محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ج 1 ص 34 المطبعة العثمانية) واخذ عن محمد بن قاسم بن عبد الكريم الفاسي توفي عام 638هـ (المختصر من المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابن الدبيشي طبعة بغداد 1371 ص 102) .

— محمد بن علي المراكشي الاوسي نشأ بسلا وغادرها عام 618هـ دخل بغداد وتكرت والموصل ومصر والاسكندرية وحماة ودمشق واخذ عن شيوخ عدة ثم عاد الى مراكش حيث ولد عام 595هـ وتوفي عام 671هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 162 نقلا عن الذيل والتكملة) .

— محمد بن علي التسولي (بن محمد بن يحيى ولد عام 755هـ وارتحل الى دمشق عام 784هـ في طلب الاداب (الضوء ج 8 ص 212) .

— محمد بن احمد بن ابي شاعر بن الظهير المراكشي درس بدمشق وقدم مصر وحدث عن كريمة بنت عبد الوهاب والسخاوي وسبع باريل وبغداد ولد باريل عام 602هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 195 نقلا عن بغية الوعاة) .

— محمد بن ابي بكر الفاسي القيرواني تولى قضاء القيروان (نيل الابتهاج ص 294) .

— محمد بن موسى بن النعمان شمس الدين المزالي الفاسي نزل مصر كان معظمها بها سمع من البحراني وابن رواج وابن المغيرة ومرتضى ابن العفيف مات قبل وصول ابن رشيد (ملء العيبة — مخطوط الاسكوريال رقم 1680 ج 5 ورقة 80 وقد اورد ابن رشيد قصيدة لبعض اهل الاسكندرية في مدح المزالي) .

— محمد بن سالم السجلهاسي اشار اليه محمد ابن النعمان المزالي الفاسي في كتابه « مصباح اللام في المستفيثين بخير الانام في اليقظة والنام » (مخطوط الاسكوريال رقم 1685 عدد اوراقه 54 (وقف عليه الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني) وقد ذكر المؤلف جملة من لقيهم او كتبهم من المغاربة امثال عبد العظيم ابن علي الدكالي وعلي بن عبدون السبتي واحمد بن محمد اللواتي الفاسي المعروف بابن تاميت واحمد ابن محمد السلاوي .

— محمد بن شعيب الهسكوري الامام المجتهد

رحل للمشرق وأقام بالاسكندرية ثلاثا وعشرين سنة ثم رجع الى تونس (نيل الابتهاج ص 225) .

— محمد العبدري الحاحي أبو القاسم رحل الى المشرق عام 688هـ وكتب رحلة وقف عليها شيوخه بمصر وغيرها ومن جملتهم ابن المنير الاسكندري وأبو الحسن القرافي وشرف الدين الدمياطي وابن دقيق العيد قطب مصر (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 197) .

— محمد بن عمر بن مالك المعافري نزيل الاسكندرية المولود بمدينة فاس عام 548هـ من جملة تلاميذه جمال الدين محمد بن ساطر البوني بالاسكندرية لقيه ابن رشيد وأخذ عنه (ملء العيبة ج 3 ورقة 2) .

— محمد بن إبراهيم السبتي أبو الطيب نزيل قوص أخذ عنه أبو حيان مات عام 695هـ فقيه مالكي متقن (نيل الابتهاج ص 226) .

— محمد بن الحداد الصنهاجي الشاعر المحدث الصوفي المكنى انتقل للمشرق لامر قام عليه فيه الطلبة بخطبة قال فيها بأن الله خلق آدم على صورته (درة الحجال ص 208) .

— محمد بن يوسف شمس الدين الركاكي قدم من المغرب مهر في المعقول ودرس في المنصورية ثم واه نور الدين الاخشائي مدرسة الحجازية وتصدر بالجامع الأزهر ثم درس الفقه بالشيخونية (الدرر الكامنة ونيل الابتهاج ص 271) .

— محمد بن عامر الحمصي رحل الى المشرق واستوطن بخلب والشام وأقرأ هناك ثم عاد الى فاس وبها توفي بعد 570 هـ (السلوة ج 3 ص 267) .

— محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام البغدادي الفاسي نشأ بجبان وأخذ عن اعلام مصر والاسكندرية والقيروان وقفل الى المغرب حوالي 515 هـ يحمل علوما وأقرأ الفقه بالقرويين وتوفي بفاس عام 546هـ (الذيل والتكملة ج 4) .

— محمد بن علي الخروفي الطرابلسي الجزائري من أهل الحديث والفقه والتصوف أخذ عن زروق وأخذ عنه جماعة من الجزائر وقاس وقدم مراكش عام 959هـ سفيراً بين سلطان آل عثمان وبين السلطان أبي عبد الله الشريف السعدي يقصد المهانة وتحرير البلاد توفي بالجزائر عام 963هـ (شجرة النور ص 284) .

— محمد ابن الخضار الكتامي التلمساني السبتي سمع علوم الحديث لابن الصلاح وكان بدمشق عام 634هـ (درة الحجال ص 282) .

— محمد بن إبراهيم ابن الخضري الهنتاسي المراكشي المصري المولد والدار ذكر المقرئ انه كان يحفظ كثيراً من كتب الفقه كالعبدية والرسالة والتلخيص شاعر اشتهر بالجون مع المشاركة التامة حتى في اللغة والطب والهيئة ولي تدريس الفقه بجامع الحاكم والقرانستية والحصنية والحديث بالفاضلية والاعادة بالكاملية والمنصورية مات عام 872هـ (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 125) وقد ولد عام 784هـ بالقاهرة (الفوء اللامع ج 6 ص 262) .

— محمد فتاح الدقاقي الدغمي السلواي قام بتدريس الحديث في المدينة اكثر من عشر سنين وكان معظماً عند ملوك الشرق وخصوصاً السلطان العثماني (الاعلام للمراكشي ج 5 ص 60) نقلاً عن فهرسة الحافى .

— محمد بن عبد الوهاب الدمشقي الحنبلي تلميذ ابن الجوزي ورد على مراكش وسبته وجال في البلاد الاسلامية يعقد فيها مجالس الوعظ وتوفي بمصر عام 657هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 148) نقلاً عن الذيلة والتكملة .

— محمد بن سعيد الرعيني الفاسي المسند رحل الى المشرق وأخذ عن اعلام مشاركة توفي عام 784هـ (السلوة ج 3 ص 278) .

— محمد الرقاء المرادي السبتي الفاسي (ابن ابراهيم بن محمد) الاصولي دخل الاسكندرية والقاهرة ودمشق عام 627هـ ودفن بجبل قاسيون (تكملة الاكمال لابن الصابوني طبعة المجمع العلمي العراقي ص 174 عام 1377هـ) .

— محمد بن محمد بن سليمان الروداني الفاسي ولد عام 1039هـ وصفه في خلاصة الاثر بأنه فرد الدنيا في العلوم كلها ولد بتارودانت حصلت له بعد التطواف على مصر والحجاز والشام وبلاد الروم الرئاسة العظمى التي لم يعهد مثلها لاحد وكان في الحكمة والمنطق والطبيعي والالهى الاستاذ الذي لا يبارى توفي عام 1094هـ (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 334) تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها فكان يبيعها بثمان غال وقد ألف رسالة في وصفها وهي منشورة في الاعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة

مستديرة مسطرة دوائر ورسومها وقد ركبت عليها
أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف
(نشر المثاني للقادري ص 87) وقد ألف مجمع الفوائد
من جامع الأصول ومجمع الزوائد ضم أربعة عشر
كتاباً في الحديث طبع أخيراً بالقاهرة .

— محمد بن سليمان المراكشي الصنهاجي من
شيوخ الإسكندرية ومن المحدثين والمسنديين
بمصر مات عام 717هـ (الأعلام للمراكشي ج 3 ص 248)

— محمد بن أبي بكر الفاسي المصري (بن أحمد
ابن إسماعيل بن عبد الوهاب) نزيل الحجاز يلقب أبوه
بالناظر ولد عام 821هـ في الصعيد بمصر ونشأ في
نواحي أسيوط وارتحل للقاهرة عام 843هـ ثم دمشق
عام 844هـ وعاد إلى مصر (الضوء اللامع ج 7 ص 154)

— محمد بن حسن الشمس الفارقي السلوي
(ابن أبي بكر بن منصور) ربيب الشمس السمرقندي
القطار رحل عن دمشق فعوقب حتى مات عام 903هـ
(الضوء اللامع ج 7 ص 221) .

— محمد بن عبد الحق السبتي (بن إسماعيل
بن أحمد) ذكره ابن حجر في أنبائه ولد عام 783هـ وقدم
القاهرة عام 832هـ مات عام 836هـ ودرس على
الحافظ السخاوي (الضوء ج 7 ص 279) .

— محمد بن أبي بكر البغدادي أصله من قصر
كتابة بالمغرب الأقصى له شيوخ ببغداد ودمشق
والأندلس ومصر وهو صاحب الوترية في المسدح
النبوي وقد ورد على مراكش صدر 655هـ ثم عاد إليها
واقام بها مدة وكان شافعي المذهب نظاراً فيه حسن
المأخذ توفي بتونس لدى تفوله من مراكش للمرة
الثالثة عام 663هـ (الأعلام للمراكشي ج 3 ص 152)

— محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد هبة الله
الفاسي نزيل مكة وشيخ الإقراء على الإطلاق مات بها
عام 868هـ أخذ القراءات عن محمد الصغير شيخ
فاس (الضوء اللامع ج 10 ص 207) .

— محمد بن عبد الصمد التازي نزيل مكة جاور
بها أزيد من عشرين سنة مات عام 805 أو 806هـ
(الضوء ج 8 ص 58) .

— محمد بن عبد الرحمن رضى الدين أبو حامد
الفاسي قام بالأفتاء والتدريس بالقاهرة ولد عام 785هـ
وتوفي عام 824هـ (تيل الابتهاج ص 301) .

— محمد الفاسي (بن حسن بن محمد بن يوسف

جمال الدين (589 — 656 هـ) عالم بالقراءات ولد
بفاس وانتقل إلى مصر ثم أقام بها وتوفي بحلب له
« اللآلي الفريدة » (مخطوط) في شرح الشاطبية
(الأعلام للزركلي ج 6 ص 317 وغاية النهاية ج 2
ص 122) .

— محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي
تلميذ موسى المراكشي مات عام 806هـ بطيبة (الضوء
ج 8 ص 40) له أخوة هم محب المحب ومحمد الرضى
وأبو السرور .

— محمد بن عبد الرحمن المراكشي بن أبي زيد
القسنطيني الخريز ولد عام 739هـ وهو صاحب
« إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم »
(الضوء ج 8 ص 48) وهو من أهل بونة توفي عام
807هـ (درة الحجال ج 1 ص 293) .

— محمد الفاسي دخل تونس قبل طاعسون
1199هـ كان على درجة عليا في تحقيق العلوم أخذ
عنه الشيخ إبراهيم الرياحي (شجرة النور ص 380)

— محمد بن عبد اللطيف بن أبي السرور
الفاسي بن شيخ الحرم عبد الرحمن بن أبي الخير
ولد عام 843هـ بمكة دخل القاهرة والقدس ودمشق
وتونس وفاس ومكناس مرارا وكذلك الهند
(الضوء ج 8 ص 77) .

— محمد بن عبد الرحمن أبو القسم الحبيري
الفاسي الأصل التونسي والد أحمد المعروف بالخلف
جاور بمكة منذ عام 830هـ واستوطن القدس إلى أن مات
عام 859هـ برع في الفقه (الضوء ج 8 ص 36) .

— محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم
التميمي الفاسي الفندلاوي أقام بالمشرق خمسة عشر
عاماً وأخذ عن عشرات الأعلام بالقاهرة وبغداد
والقراة ودمشق والصعيد الأعلى والإسكندرية
والقدس وطرابلس وأفريقية كما تتلمذ بمصر للاختين
ست الكل وست العلم ابنتي عبد الله بن رفاعة
السعدي وفاطمة بنت سعد الخير الأنصارية بالقاهرة
وتقية بنت الخطيب غيث الأرمنازي حدث بالمشرق
والغرب وهو صاحب المستفاد في مناقب العباد
بمدينة فاس مات عام 604هـ (الذيل والتكملة) .

— محمد بن عمر بن نصر الفزازي السلوي
قدم الأندلس ورحل إلى الشرق وروى عن أعلامه
سنة 630هـ (الذيل والتكملة) .

— محمد بن عمر الأنصاري القرطبي يعرف بابن

وولده هذا هو علم المدينة ومسند عصره (فهرس
الفهارس ج 2 ص 225) .

— محمد بن ابراهيم بن يوسف بن حامد تاج
الدين المراكشي ذكر ابن السبكي في طبقاته انه ولد
بعد السبعمئة ونشأ بالقاهرة وقرا على علاء الدين
القونوي اعاد بقبة الشافعي بالقاهرة ثم دخل
دمشق ودرس بالروزية وسمع من الحافظ المزي ثم
ترك التدريس وانتقطع بدار الحديث الاشرفية الى
ان توفي عام 752هـ (الاعلام للمراكشي ج 3 ص 265)
ونكر ابن حجر في الدرر ان اخراجه الى الشام كان
بأمر من الناصر بعد استطالته على القاضي جمال
الدين القزويني (ص 269) وذكر ابن القاضي في درة
الحجال (ج 1 ص 170) انه توفي عام 756هـ وأنه كان
ضريرا وورد في الدارس في تاريخ المدارس (ج 1 ص
458) انه ولد عام 701 هـ وتوفي عام 752 هـ وأنه
ولي تدريس المسروية بدمشق بعده تقي الدين
السبكي .

— محمد بن موفق من بجاية قدم مراكش ومات
بها (التشوف ص 449) .

— محمد بن يحيى الباهلي عرف بابن المسفر
البجائي الامام المحقق قاضي بجاية دخل فاسا سفيرا
توفي عام 743هـ او 744هـ (شجرة النور ص 219)

— محمد بن عبد الكريم الجزائري الفاسي الشيخ
المعبر اخذ عن اعلام مشاركة ومغاربة كعبد القادر
الفاسي واليوسي وسعيد قدورة والاجهري توفي
عام 1102هـ (شجرة النور ص 327) .

— محمد بن سليمان السطي حافظ المغرب وامام
مذهب مالك استاذ ابن خلدون والمقري وابن مرزوق
الجد وابن عرفة اقام بتونس عامين وغرق في اسطول
ابي الحسن المريني في طريق تونس عام 750هـ (شجرة
النور ص 221) .

— محمد بن محمد بن الصباغ المكناسي اخذ
عن الابلي واخذ عنه ابن عرفة وابن خلدون ممن
غرق في الاسطول المريني عام 750 (شجرة النور
ص 221) .

— محمد تاج الدين بن محمد بدر الدين ابن
يوسف المراكشي الاصل الدمشقي المولد والوفاة 1307-
1362) تولى رئاسة الجمهورية السورية في عهد
الاحتلال الفرنسي عام 1941م — 1360هـ واستمر
الى ان توفي (الاعلام للزركلي ج 7 ص 306) .

مفانط نشأ بفاس جال في الاسكندرية ومصر وجلس
بعد موت الشاطبي في مكانه للاقراء ولد عام 558هـ
ومات بالمدينة عام 631هـ (طبقات المفسرين للسيوطي
ص 39) .

— محمد بن محمد بن قدور المراكشي الاصل
الاسكندري الفقيه ذكره احمد بن حنون في رحلته
التي ألفها عام 1270 هـ .

— محمد بن قاسم القيسي شيخ الفنا بفاس
وخاتمة اعلامها اجازه شيخ الاسلام بدمشق ابيو
الطيب محمد المغربي والبدر القرافي واخذ عنه محمد
ابن ابي بكر الدلائي والشهاب المقري ومحمد العربي
الفاسي النخ ولد عام 936هـ وتوفي عام 1012هـ
(شجرة النور ص 295) .

— محمد بن جعفر الكتاني خاتمة المحققين اخذ عنه
الكثير من المشرق والمغرب له « سلوة الانفاس »
رحل الى المشرق وجاور بالمدينة ودخل بيروت
عام 1325 و 1326هـ ثم عاد الى فاس وتوفي بها
عام 1345 هـ (شجرة النور ص 437) .

— محمد بن ابي الفضل العقاد احد الواردين
على احمد المنصور السعدي توفي بالقسطنطينية بعد
990هـ (درة الحجال ج 1 ص 266) .

— محمد الجبيري البعقوبي قيل انه احد اربعة
لم يبلغ مبلغهم في عصره (القرن الثاني عشر الهجري)
وقد رحل الى المشرق واكمه امير مصر (الاعلام
للمراكشي ج 5 ص 88) .

— محمد الحصار المغربي الفاسي اتصل به
الحاتمي بفاس ورحل معه عام 597هـ الى مصر
(المنادي في جامع كرامات الاولياء ج 1 ص 190) .

— محمد بن محمد البناني النفزي الفاسي مفتي
المالكية بمكة المتوفى عام 1245هـ له شرح على
البخاري (فهرس الفهارس ج 1 ص 163) .

محمد يحيى الشنقيطي الولاتي زار تونس عام
1314هـ توفي عام 1330هـ له شرح على البخاري
امتاز بالتبنيه على كل حديث تمسك به مالك في الموطأ
وله شرح على منظومة ابن عاصم في الاصول
(الاعلام الشرقية ج 2 ص 179 وشجرة النور) .

— محمد بن محمد بن عبد الله المغربي الاصل
المدني ولد عام 1119هـ هاجر والده الفاسي الاصل
الى المدينة عام 1125هـ ومات بهاء عام 1141هـ

— محمد بن المنذر المراكشي المتوفى عام 628هـ
نزىل حلب قدم والده الى بغداد وولد هو بها ولقى
مولاي عبد القادر الجيلاني وسافر الى الشام وقرا
على ابن عساكر تاريخه ودرس ببغداد الحديث والفقه
وكان غزير العلم اديبا (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 383)

— محمود بن أبي القاسم الخراساني ورد على
المغرب أيام الناصر الموحدي الذي اجزل صلته وروى
عنه علماء مغاربة .

— مخلوف بن علي البلبالي العالم الرحالة دخل
السودان وتبكتو ومراكش وأقرأ العلوم هناك توفي عام
940هـ (شجرة النور ص 278) .

— مروان بن عبد الملك المعروف بابن سمجون
الطنجي اللواتي سمع بمصر من ابن نفيس وابن منير
(الذيل والتكملة) مات عام 491 اقام في الشرق 17 سنة
يقرر الحديث وكان يقول : « لم ادخل الى المشرق
حتى حفظت اربعة وثلاثين الف بيت من اشعار
الجاهلية » وهو من كبار الفصحاء في طنجة (معجم
البلدان ج 6 ص 62) .

— مفضل العذري ولاه أبو يوسف بن عبد
الحق قضاء الجماعة بفاس وجعل له النظر على
صاحبي الشرطة والحسبة تتلذذ لعز الدين بن عبد
السلام وابن عساكر وابن خلكان وهو أول من سن
بناء المدارس بفاس اذ على يديه أسست المدرسة
القديمة بالحلفاويين بفاس (جذوة الانتباس ص 220)

— موسى بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن سنان
بن عطاء الاغماتي رحل الى المشرق واوغل حتى بلغ
سمرقند ومن شعره :

لعمري الهوى اني وان شطت النوى
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فان كنت في أقصى خراسان ثاوي

فجسمي في شرق وقلبي في غرب
(معجم البلدان ج 2 ص 103)

(راجع ترجمته وشيئا من شعره في خريدة
القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني) (قسم
شعراء المغرب طبقة تونس 1966 ص 302 حيث
ذكر ان موسى هذا رحل الى مصر والحجاز والعراق
والجبال (بن اصبهان وقزوين) وهمذان والري
وخراسان واقام بنيسابور قدم اليها عام 516هـ) .

— ميمون بن ياسين أبو عمر اللبتوني سمع
على الطبري صحيح مسلم (الذيل والتكملة) .

— صالح بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم عم
أبي الحسن بن حرزهم (وهو علي بن اسماعيل شيخ
أبي مدين الفوث) كان اماما بالشام دخل بيت المقدس
حيث لقي الغزالي (الروض لابن عيشون الشُّراط
وانس الفقير طبعة الرباط ص 12 والتشوف ص 71)

— عباس بن احمد بن عباس الزين القرشي المغربي
من الشاوية ومن بني مزورة عرب وطنوا مدينة
فاس ولد عام 837هـ بصحراء تلمسان وكان أبوه
من شيوخ العرب فقرا ببلده وانتقل الى فاس ثم
تلمسان فالاندلس وتونس ثم القاهرة عام 869هـ
فقطنبا كان كثير الاستحضار والحفظ مات عام 889هـ
(الضوء اللامع ج 4 ص 19) .

— عبد الرحمن الفاسي نزىل الاسكندرية عمر
مائة واربعين سنة (نشر المثاني للقادري ج 2 ص 245)

— عبد الرحمن بن خلدون الفيلسوف المؤرخ
الاجتماعي المتوفى عام 808هـ وقد تولى خطا سامية
في تونس وفاس وتلمسان والقاهرة وقضى شطرا من
حياته في المغرب .

— عبد الرحمن الجامعي (بن محمد) دخل
تسطنطينة واخذ عن عالمها احمد البوني ودخل تونس
وتصدى للتدريس له تأليف في فتح قلعة وهـران
ورحلة في الدولة الحسينية ولد عام 1087هـ (شجرة
النور ص 351) .

— عبد الرحيم بن احمد بن العجوز الفاسسي
السبتي شيخ الفتيا لازم ابن أبي زيد واخذ عن دراس
ابن اسماعيل والاصيلي ولد عام 340هـ ومات عام
413هـ (شجرة النور) .

— عبد الرحمن الزاهد أصله من المغرب رحل
الى المشرق واستقر اخيرا بالمسجد الأقصى وبه مات
عام 603 (التشوف لابن الزيات ص 455) .

— عبد الرحمن بن احمد المكناسي الادرسي
نزىل مكة العارف بالله ولد بمكناسة الزيتون ثم رحل
الى مصر والشام وبلاد الروم واليمن مات عام
1085هـ (جامع كرامات الاولياء للتبهاني ج 2 ص 162
طبعة مصر عام 1381هـ — 1962م) .

— عبد الرحمن بن أبي السرور الفاسي ولد
عام 810هـ بمكة ورحل الى القاهرة عام 833هـ حيث
مات في نفس السنة — (الضوء اللامع ج 4 ص 134)

— عبد الرحيم بن احمد الزموري شهر بالمغروب

تلميذ محمد بن علي السائوسي مات عام 1305 بمدينة ابن غازي (شجرة النور ص 407) .

— عبد الرحيم بن احمد القنائي ابن حجبون اصله من سبتة قدم مصر ومات عام 592هـ كان شيخ وقته وامام عصره احسن المحاضرة للسيوطي ج 1 ص 245) .

— عبد العزيز التونسي تلميذ ابي عمران الفاسي استقر باغمات وتوفي بها عام 486هـ كان له تلامذة في الاطلس واخذ بعض السادة الفقه عنه فسادوا في بلادهم كفضاة وشهود وطلباء (التشوف ص 70 وصلة ابن بشكوال ج 1 ص 369) .

— عبد السلام التونسي صاحب عمه عبد العزيز التونسي المذكور الى اغمات وعاد الى تلمسان حيث دفن بالعباد برابطة التونسي (التشوف ص 88 والبستان لابن مريم ص 122) .

— عبد الرحمن بن اسماعيل الازدي التونسي المعروف بابن الحداد رحل الى دمياط ثم استقر بسبتة ودخل الاندلس وولي قضاء شلب وتوفي بمراكش عام 640هـ (تكلمة الصاه لابن الابار ج 3 ص 594) .

— عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الامام الحافظ حامل لواء المذهب شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام ابي عمران العبدوسي الفاسي نزىل تونس كان اذا اقرا المدونة يتطرق الى اصحاب مالك فينزل الى علماء الاقطار من المصريين والافريقيين والمغاربة والاندلسيين وائمة الاسلام وكان ابن اخيه عبد الله ينهج هذه الطرق بجامع القرويين وقد نهجها بمصر فتعجبوا من حفته توفي بتونس عام 837هـ (نبيل الابتهاج ص 157) .

— عبد العزيز بن عبد الواحد المكناسي (بن محمد بن موسى) شيخ القراء بالمدينة زار حلب ودمشق عام 951هـ وتوفي بالمدينة له شعر وارجيز في 28 علما (الاعلام للزركلي ج 4 ص 146) .

— عبد الكريم الفاسي الملقب بالزريع قامت على اكتافه نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر في القرن الثاني عشر الهجري وقد صنع الواح القشاني لتغطية جدران العمارات وتوجد الآن نماذج من ذلك في دار الآثار العربية بمصر (تيمور في كتابه التصوير عند العرب) .

— عبد الله بن غلب بن تمام الهمداني اصله من نكور سكن سبتة واحد عصره علما وفضلا رحل الى

الاندلس والقيروان ومصر وربما العراق وتفنن في علوم جمة وكان حافظا شاعرا نظارا (الديباج ص 143) ووصفه الذهبي ببفتي اهل سبتة وزاهدهم وعالمهم وذكر انه كان فصيحاً مفوها قليل النظير (العبر في خبر من غير ج 3 ص 181 طبعة الكويت 1961) .

— عبد الله بن محمد الخياط الهاروشي الفاسي رحل الى مصر توفي بتونس عام 1175هـ (شجرة النور ص 354) .

— عبد الله او عبيد الله ابو الحكم بن المظفر ابن عبد الله الميرني المغربي كان طبيب المارستان بالعراق وهذا المارستان كان يحمله اربعون جملا في المعسكر ايام السلطان محمود السلجوقي (خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب ص 289 وفيات الاعيان لابن خلكان ج 2 ص 307) .

— عبد الله بن ذي النون ابن محمد بن علي ابن عبد الله عالي السند خرج من الربة بعد تغلب العدو على مرسية ثم توجه الى ماله ثم فاس فسبته ولد عام 505هـ وتوفي بسبتة سنة 591هـ (شجرة النور ص 160) .

— عبد الله المراكشي (بن احمد بن محمد) شيخ زاوية عمر المجود استغل بها شائعا وتصوف مات ببلد الخليل عام 895هـ (الضوء اللامع ج 5 ص 13) .

— عبد الله بن محمد الورد المراكشي له رحلة الى المشرق سمع الحديث من جماعة وله سند صحيح الا انه ليس من اهل العلم اجاز لابن القاضي ولد عام 940هـ (درة الحجال ج 2 ص 342) .

— عبد الله بن ابي القاسم بن محمد الثعلبي الفاسي المولد الجزائري المنزل (درة الحجال ج 2 ص 347) .

— عبد الله بن محمد بن علي السكتاني السوسي رحل الى المشرق ورجع بعلم جم للقيروان ولازم بها التدريس ثم تولى بعناية علي باشا مشيخة المدرسة العاشورية توفي بتونس في حدود 1169هـ (شجرة النور ص 345) وقد فاق اقرانه وكان اديبا شاعرا (عيون الارب عن نشأ بالملكة التونسية من عالم اديب للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 20 تونس 1351) .

— عبد الله بن علي بن احمد بن علي اللخمي سبط ابن عبد البر من اهل شاطبة ولي قضاء اغمات بالمغرب وحدث بها توفي باغمات وهو يتولى قضاءها

المشرق وبه مارس مهنة الطب زمنا طويلا وتولى
رياسة الاطباء ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (الاعلام
للمراكشي ج 3 ص 63) .

— عبد المهيمن الحضرمي السبتي المولد التونسي
القرار من تلامذة لسان الدين بن الخطيب وابن
خلدون والمقري توفى عام 749هـ (شجرة النور ص
221) .

— عبد القادر التبين الاندلسي التطواني انتقل
عام 540هـ من غرناطة الى سبتة ثم تطوان عام 542هـ
وتوفي بها عام 566هـ قرا على ابي الوليد بن رشد
وكان من رفقاء القاضي عياض والمفسر ابن عطية
في الدراسة وله مراسلات مع الفزالي (تاريخ تطوان
للاستاذ محمد داود ج 1 ص 74 طبعة تطوان 1379)

— عبد القادر الفاسي بن عبد اللطيف الاصغر
ابو صالح بن السراج المكي الحنبلي قاضي الحرمين
ولد عام 842هـ قرا بالقاهرة توفى عام 898هـ
(الضوء اللامع ج 4 ص 273) .

— عبد الواحد المراكشي صاحب « المعجب في
تلخيص اخبار المغرب » عاش بالمشرق حيث ألف كتابه
المذكور واقام بمصر عام 619 (المعجب ص 161) .

— عبد الوهاب الشعراني صاحب لطائف المنن
والطبقات من ذرية السلطان احمد بتلمسان ولد عام
899هـ ورحل الى مصر عام 911هـ أخذ عن السيوطي
توفي عام 973هـ .

— عبد الوهاب بن يوسف التصري المعروف بابن
رشيق (بالصرف وتشديد الياء) ولد سنة 587هـ بقصر
عبد الكريم بالمغرب الاقصى وتوفي عام 650هـ
بسفح جبل المقطم بالقاهرة اخذ عن بلديه عبد الجليل
صاحب شعب الايمان وكان متصدرا بالجامع العتيق
بمصر لقي احمد بن محمد بن هابيل العبدي المعروف
بالاشقر بالقصر الكبير (تكلمة اكمال الاكمال لابن
الصابوني المتوفى عام 680هـ طبعة بغداد 1377هـ —
1957م ص 162) .

— عبد الوهاب التازي رحل الى المشرق
 واجتمع بالشيخين محمد بن ابي زيان الغندوسي
ومحمد بن سالم الحفناوي الشافعي امام الصوفية
واستاذ الطريقة الخلوتية والشيخ محمود الكردي
والشيخ البرناوي توفي عام 1206هـ (شجرة النور
ص 372) .

— عثمان بن سعيد التينلي (ابن عبد الرحمن

عام 532هـ والصحيح حسب معجم مشيخة ابن بشكوال
انه مات عام 533هـ (تكلمة الصلة لابن البار ج 3
ص 466) .

— عبد الله بن احمد الزموري (ابن سعيد بن
يحيى بن معاوية) الحافظ المؤرخ الاديب شارح الشفا
وصل الى بلاد ولاتن من السودان واقرا أهلها كان
حيا عام 888هـ (نيل الابتهاج ص 133) .

— عبد الله بن ابراهيم الاصيلي نسبة الى
اصيلا كما جزم به ابن الطيب الشرقي محشى
القاموس وايدى مرتضى في التاج ولي قضاء سرقسطة
وقام بالشورى في قرطبة وغيرها وصنف كتاب
« الآثار والدلائل في خلاف مالك وابي حنيفة
والشافعي » توفي عام 372هـ (النبوغ المغربي — عبد
الله كنون ج 1 ص 51) وحلاه ابن مخلوف في شجرة
النور (ص 100) برئيس علماء الاندلس وذكر انه
اقام بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاما وتوفى عام 392هـ
واكد الزركلي في الاعلام (ج 4 ص 187) انه دخل بغداد
سنة 351هـ وذكر الحافظ الذهبي (العبر في خبر
من غير ج 3 ص 52) وابن الفريسي (تاريخ علماء
الاندلس ص 208) انه من اصيلة ولاحظ ياقوت ان اصيلا ولد
بالاندلس ربما كان من اعمال طليطلة وتعال
الدارقطني لم ار مثله وورد في الديباج (ص 142) ان
اصله من شذونة رحل الى اصيلا ونشأ بها ثم اتجه
الى المشرق مارا بافريقية ومصر والعراق والحرمين
ومات بالاندلس واكد الحميدي (جذوة المقتبس ص 239)
ان الاصيلي رحل مع دراس بن اسماعيل الفاسي
الى مصر .

— عبد الله بن ابي عبد الله الجمال السوسي
المصري كان اعجوبة الدهر في صناعة الاشياء
الدقيقة حتى كان يصنع بيده ورقا مات بمصر عام
903هـ وذكره المقريزي في عقود (الضوء اللامع ج 5
ص 57) .

— عبد الله بن فارس بن احمد الجمال الطاهي
البرنوسي التازي قدم مصر وتحول الى مكة وتولى
القضاء بالحجاز خمس عشرة سنة ومات عام 894هـ
وقد توفي والده فارس بمصر عام 869هـ (الضوء
اللامع ج 5 ص 41) .

— عبد الله التواتي بن عمر المدني مات بالقاهرة
عام سبع (اي وتسعمائة) كان يتردد الى مصر والشام
(الضوء اللامع ج 5 ص 40) .

— عبد الملك بن زهر طبيب الموحدون رحل الى

ابن احمد بن تولو) تقي الدين ابو عمرو تينملي المولد (اي من مدينة تينمل بالاطلس) المالكي المصري سمع بالمغرب ومصر ودمشق توفي عام 605هـ كان اديبا نحويا لغويا ، ومن نظمه :

يا أهل مصر رأيت أيدىكم
عن بسطها بالنوال متبضة
فهمذ عذمت الغداء عندكم
أكلت كتبتي كأنني أرضة
نذرة الحجال ج 2 ص 419.

— العربي بن المهدي الزرهوني ابو حامد (ابن القاضي العربي العزوزي) نزيل لبنان اختصر سلوة الانفاس وطبع منه جزءا (دليل المؤرخ ابن سودة ج 1 ص 68) .

— علي بن منصور المزيدي المعروف بابي الشكاوي رحل الى المشرق ولقي فيه مشايخ له زاوية بشالة بالرباط توفي عام 1004هـ (ممتع الاسماع)

— علي بن عبد الواحد بن محمد السجلماسي الجزائري فقيه حنفي ولد بتافلايت ونشأ بسجلماسة وأقام بمصر مدة واستقر بفاس فنصب مفتيا في الجبل الاخضر وتوفي بالجزائر (خلاصة الاثر ج 3 ص 173 وصفوة من انتشر (ص 135) والاعلام للزركلي ج 5 ص 124 حيث ذكر أنه توفي عام 1057هـ (1647م) .

— علي بلحاج ابن البقال الاغصاي رحل الى المشرق وجال في اقطاره نحو 16 سنة ولقي فيه المشايخ ثم رجع الى المغرب وفد على السلطان الغالب مرتين وخرج الى لقائه بظاهر فاس توفي عام 981هـ

— علي الفاسي بالاسكندرية ذكره ابن مريم في البستان (ص 121) في ترجمة عبد الله المجاصي الشهير بالبكاء .

— علي بن ميمون الحسني أصله من بني ابي زرا مغامرة ترغة تولى القضاء في شفشاون أيام علي ابن راشد الأكبر انصرف الى الشرق وقد طبقت علومه الآفاق وانكر على المشاركة جميع ما أحدثوه من البدع وأماتوه من السنن وله « بيان غربة الاسلام بواسطتي صنفين من المتفقهة والمتفكرة من اهل مصر والشام وما يليهما من بلاد الاعجام » وشرح الجرومية بالتوحيد الخالص توفي بالشام (المعجب للمراكشي ص 25) وكان لابن ميمون اتصال بطائفة من الفقهاء يعرفون بأهل الخواطر طريقهم معرفة الخواطر والكلام عليها وعرضها على الشيخ بحيث يدور كلامهم

على توليم قال لي خاطر كذا ثم يميزون في تلك الخواطر وكانوا يجتمعون بمسجد في حومة برزخ بعدوة الاندلس بفاس ثم انقروا (مرآة المحاسن للفاسي ص 236) وقد ترك لنا موازنة رائعة بين اقطار العروبة في الاصال العلمية ومناهج التحقيق الفكري حيث أكد أنه ما رأى احفظ من اهل فاس لنصوص كل علم وذكر منها الحساب والمنطق والطب وذكر انه ما رأى مثلهم في ذلك لا في بجاية ولا في تونس ولا في الشام والحجاز ومصر (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) .

— علي الحوالي ابن احمد التجيبي ولد بهراکش ونشأ بها وتوفي بالشام عام 637هـ وكان يلقي نواتين تنزل في التفسير منزلة اصول الفقه في الاحكام وكان اعلم الناس بالمنطق والطبيعات والالهيات كان ينقض النجاة لابن سينا عروة عروة (نيل الابتهاج ص 187) ذكر الحافظ الذهبي ان له تفسيراً فيه عجائب وكان ابن تيمية يحض عليه ويقول تصوفه على طريقة الفلاسفة (طبقات المفسرين للسيوطي ص 22) .

— علي بن سعيد الرجراجي صاحب منهاج التحصيل في شرح المدونة كان ماهرا في العربية والاصلين لقي بالشرق جماعة من اهل العلم منهم ابو موسى الجزولي (نيل الابتهاج ص 186) .

— علي بن محمد بن علي بن هذيل الاصيلي المقرئ الزاهد أصله من أصيلا وهو من بلنسية اسمع الحديث نيفا وستين سنة وهو آخر من حدث عن ابي داود بالاندلس (اي داود المؤيدي زوج امه) توفي عام 564هـ (معجم اصحاب الصدفى طبعة مجريط 1885 ص 284) .

— علي بن حنين بن احمد بن ابي بكر ولد بقرطبة عام 477هـ استوطن فاسا وسمع من الغزالي اكثر الموطأ وجال في العراق والحجاز والشام ومصر وطرابلس وعاد الى فاس عام 503هـ واشترى فيها دارا وبني مسجدا وتزوج ، توفي بها عام 569هـ بعد ان درس بها 66 سنة (السلوة ج 3 ص 349 والذيل والتكملة ق 5 ص 151) .

— علي بن محمد العربي نور الدين السقاط الفاسي المصري أخذ عنه جماعة من المشرق والمغرب منهم الشيخ الامير توفي عام 1183 (شجرة النور ص 340) .

— علي بن احمد بن سليمان بن عمر النور الفاسي الاصل الديروطي الشافعي قرا على السخاوي (الضوء اللامع ج 5 ص 167) .

— علي بن يقطان السبتي الطبيب الشاعر
الاديب الذي رحل الى مصر عام 544هـ ثم الى اليمن
والعراق (القنطي ص 160 وخريدة القصر للعباد
الاصفهاني ص 344 حيث اورد له نثنا من الشعر) .

— عمر بن عبد الله المصودي ابو حفص ابن
قاضي الطائف المغربي الاصل المالكي ثم الشافعي امام
قرية أبي الاخيلة ولد عام 820هـ بالطائف (الضوء
اللامع ج 6 ص 98) .

— عمر بن مودود الفارسي جال في هذان ومرو
والشام ومصر والاندلس وورد على مراکش على
الرشد الموحدي فحظي عنده واجرى له ثلاثمائة
درهم وسبعة قناطير ونصف قنطار من الحواري كل
شهر عدا الاكسية والهدايا والتحف (الذيل والتكملة)
وتحدث ابن البار في تكملة الصلة (ج 2 ص 411) عن
مودود بن عمر بن مودود الذي ولد بسلماس وهو
من ابناء الملوك وانتقل الى المغرب حوالي 680هـ وكان
من اهل التصوف والتحقق .

— عمر بن حياء بن قيس الحرائسي الاصيلي
(جامع كرامات الاولياء للنبهاني ج 2 ص 55) .

— عمر بن الطوير السوسي المراكشي شهر
بمصر والحجاز بأبي الخطاب السوسي تفقه بهراکش
كان مستبحرا في العلوم توفي عام 622هـ (الذيل
والتكملة) .

— عمر السمرقندي مدفون قرب ضريح سيدي
عبد العزيز الدباغ بهراکش (اظهار الكمال للعباس
ابن ابراهيم المراكشي ج 1 ص 33) .

— ابو الهدي عيسى بن يحيى بن احمد بن محمد
ابن مسعود السبتي ضياء الدين الشيخ الصوفي
نزىل مصر سمع بالاسكندرية والقاهرة وصفه ابو
حيان بأنه محدث حافظ لقيه ابن رشيد واخذ عنه
بالقاهرة عام 684هـ (ملء العيبة ج 3 ورقة 95) .

ووردت ترجمته في اعيان العصر للمنفسي
(مخطوط الاسكوريال رقم 1722 ج 7 ورقة 127)
حيث ذكر انه ولد عام 613هـ وقدم القاهرة واستوطنها
في الصبا توفي عام 696هـ وقد ترجم الصدي ايضا
(ورقة 119) لعيسى بن احمد بن محمد بن مسعود
ابن خلف ضياء الدين وهو شخص واحد ذكره مرتين
(وقف عليه الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني) وذكر ابن
القاضي انه لقي السهروردي بككة وان من شعره
قوله :

ولدت لعام من ثلاث وعشرة
وستمنا من هجرة لحمد
تطوئت قدما بالحجاز وانني
لمصر مواليها وسبتة مولدي
درة الحجال ج 2 ص 407

— عيسى المراكشي مفتي مراکش لقيه محمد بن
محمد بن سليمان الروداني وذكره في فهرسة مشايخه
مات عام 1061هـ (جامع كرامات الاولياء للنبهاني ج 2
ص 430) .

— عيسى بن سليمان الرفروفي من تادلا اخذ
عن الشافعي والطروش بالاسكندرية (التشوف
ص 46)

— غالب بن علي بن محمد اللخمي ابو تمام
الشتوري طبيب من اهل غرناطة رحل الى المشرق
وقرا الطب بالقاهرة وزاول العلاج وولي الحسبة
بفاس وتوفى بسبتة عند حركة السلطان ابي الحسن
المريني (جذوة الاقتباس ص 313) .

ويوجد علي بن غالب بن خلف ترجمه ابن
الزيات استوطن قصر كتامة وصار امام
المصوفية له كتاب اليقين لا نظير له في التصوف كان من
المحدثين شيخ وقته توفي عام 568هـ ودفن بالقصر
(الذيل والتكملة ق 5 ص 208) .

— قاسم بن علي بن محمد بن علي الشرف
ابو القسم التتلي الفاسي ولد عام 743هـ بمالقة
واجاز له لسان الدين بن الخطيب ، مات بالقاهرة
عام 811هـ بالبيمارستان (الضوء اللامع ج 6 ص 183)
لقيه السخاوي وحدث به ابن حجر (نبيل الابتهاج
ص 215) .

— سالم بن ابراهيم الصنهاجي المغربي الدمشقي
المالكي شيخ المدرسة الشراييسية ولد عام 777هـ
(الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص 22) .

— سالم بن ابراهيم بن عبد الرحمن الصدي
ابن حركال ش سرقسطي استوطن مدينة فاس ثم
رحل الى المشرق توفي بمصر (معجم الصدي ص
306 والذيل والتكملة ق 4 ص 2) .

— سليمان بن احمد الطنجي اصله من طنجة
له رحلة الى الشرق تحقق بعلم القراءات اقام بالمرية
ومات بها قبل 440هـ (جذوة المقتبس ص 208) .

— سعيد الدكالي نزيل مكة كان عالما فقيها حيا بعد 890هـ (نيل الابتهاج ص 107) .

— سعيد ابو جمعة الماغوسي فقيه اديب اخذ عن علماء مصر والحجاز والشام وقسنطينة ولد بعد 950 هـ له مشاركة في العلوم (درة الحجال ج 2 ص 475) .

— سقين عبد الرحمن ارتحل الى المشرق عام 909هـ ودخل بلاد السودان اخذ عن زروق واحمد الزرقاق والغزواني والقلقشندي وزكرياء الانصاري والسخاوي بمصر وابن فهد بمكة وكلهم عن ابن حجر وتلميذه هو المرابي آخر المحدثين بفاس (سلوة الانفاس ج 2 ص 160) .

— شمس الدين السلاوي عامل خاتناه خاتون دفن بالصالحية (الدارس في تاريخ المدارس ج 2 ص 109) .

— شقراق (ابن) السبتي الشاعر ذكره العماد الاصبهاني في الخريدة (ص 345) قائلا بأنه كان يعيش بمصر عام 573هـ وأنه مدح عبد المومن الموحي بقصيدة مطلعها :

قنوا عيسكم في حضرة الملك الاتقى

وقضوا بلثم الترب من ريعه حقا

— شقرون (ابن) : الفاسي كان وكيلًا للمغاربة بالقاهرة عام 1898م يحفظ تركاتهم وكان آنذاك بمصر ما بين 1200 و1500 مغربي (الوثائق المغربية ج 11 عام 1907) .

— يحيى بن عبد الرحمن الزرمانى العجيسى عالم بالنحو من فقهاء المالكية ولد في عجيسة من قبائل البربر نشأ في بجاية ورحل الى المغرب عام 804هـ وأقرا بالقاهرة ومات بها له شرح الفية ابن مالك في أربعة مجلدات او ثلاثة (الضوء ج 10 ص 231) .

— يحيى ابو زكرياء الدكالي الحافظ قدم فاسا وسبته صاحب ابن دقيق العيد كثيرا (درة الحجال ج 2 ص 489) .

— يحيى بن موسى الرهوني الحافظ الاديب المنطقي استوطن القاهرة وتولى التدريس بالمنصورة والخانقاه الشيوخونية توفى عام 774 (الدرة ج 2 ص 490) .

— يحيى بن يوسف بن علي بن محمد المكناسي ولد بمكناسة عام 788هـ وقدم القاهرة حوالى

ثمانمائة وبلغ عشرة واتمام بالشام سنين بعد أن دخل الاندلس وافريقية وزار المدينة (الضوء ج 10 ص 265) .

— اليمان بن غاطمة المرباط شاعر مغربي اورده العماد الاصبهاني في قسم المغرب الاقصى من خريدته (ص 167) وذكر له قصيدة مطلعها .

سل مستهما قد شفه السقم
لا يرقد الليل من فكر ومن قلق

— يحيى بن خلف الصدفي السبتي أصله من بصرة المغرب رحل الى المشرق وحدث كثيرا ودخل الاندلس مجاهدا وتاجرا وتوفى بسبته (تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي ج 2 ص 61) .

— يعقوب بن يوسف رجل صالح ورد على المكلا عاصمة حضرموت عام 553هـ (1158م) وكانت آنذاك قرية للصيادين يقصدونها كل عام في مواسم معينة (مجلة العربي عدد 79 ص 71) ولعل له علاقة باسطورة ابي يعقوب يوسف الموحي التي ذكره .

— يعقوب بن عبد الله الخاقاني الفاسي خرج من فاس بسبب الفتنة بين السعيد وابن ابي سعيد عام 817هـ (الضوء ج 10 ص 284) .

— يعقوب بن عبد الرحمان بن اظوال الفاسي المعروف بابن المعلم البشغري ولد عام 824هـ تولى قضاء الجماعة بفاس وتازة حج واقام بدمشق مدة ثم بالقاهرة والاسكندرية وكان يعرف كثيرا من العلوم توفي في طريق العودة عام 877هـ (الضوء ج 10 ص 285)

— يوسف الموحي : يقال بأنه كان يتعبد بحمة مولاي يعقوب بفاس قبل انتقاله الى الشام وأنه تتلمذ للشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي وذكر صاحب شرح الصدور في مناقب الشيخ ابي يعزى يلنور ان السلطان الاكل عند العامة هو ابو يعقوب صاحب الحمة (سلوة الانفاس ج 3 ص 217) الذي تقل عن ابن بطوطة ان ضريحه ببغروت بالكرك وأنه دخل دمشق ايام نور الدين وهذا لا يصح لان ابا يعقوب دفن بتينل كبا في الانيس ووفيات ابن خلكان الذي اكد في ترجمة ابي يوسف يعقوب الموحي نجل ابي يعقوب انه دخل المشرق على ما قيل وساح مستخفيا ومات خاملا وقيل رجع الى مراکش وأتكر المقري ذلك في النفع في ترجمة السرخسي تاج الدين بن حموية .

— يوسف بدر الدين بن عبد الرحمن البيهقي محدث من فقهاء الشافعية أصله من مراكش ولد في بيبان بمصر استوطن دمشق وتوفي بها (الإعلام للزركلي ج 9 ص 314 — فهرس الفهارس ج 2 ص 454) .

— يوسف بن أحمد بن الحسن المعروف بالحكيم أصله من الإندلس نزل مراكش حيث مات عام 605هـ وهو من أكابر أصحاب أبي العباس السبتي المراكشي (التشوف ص 417) وابن الموقست في السعادة ج 1 ص 118) .

— يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد دخل سجلماسة ومدينة فاس ثم عاد إلى القلعة عام 513هـ انتصر للغزالي عند ما أفتي فقهاء المغرب بإحراق كتب أبي حامد تلبية لطلب السلطان (التشوف ص 72)

— يوسف بن موسى السبتي الفاسي الحافظ روى البخاري عن الزبيدي توفي في آخر المائة السابعة (درة الحجال ج 2 ص 496) .

— يوسف بن يحيى بن إسحاق أبو الحجاج السبتي نزيل حلب يعرف في سبتة بابن سمعون كان طبيباً من أهل فاس قرأ ببلاده الحكمة فساد فيها (القنطري ص 256) .

— يونس بن طرية القصري (قصر كتامة) تولى قضاء طرابلس الغرب وولي التدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة عام 641هـ (الذيل والتكملة) .

— يونس الفاسي الطبيب كان يدرس الطب بالعربية في مدينة سالرن بإيطاليا (اللسان العربي ج 5 — الدكتور الطاهر أحمد مكي) .



التصميم المشاري لموسوعة المغرب العربي

(1) العصر الحجري — (2) البربري — (3) الفينيقي — (4) الروماني — (5) الوندالي — (6) البيزنطي — (7) العربي — (8) الاستعماري — (9) الاستقلال .

يترجم لكل شخص ترجمة جامعة مركزة وذلك بالاهتمام خاصة بتاريخ وولادة ووفاة ومكان ازدياد العلم المترجم له .. والبيئة التي عاش بها ومصنفاته وشيوخه وتلاميذه ومختلف نشاطاته مع التنصيص على المراجع وتوضع صورته اذا امكن لان قيمة الابحاث تتبلور في اصلتها وشمولها .

(ج) الاشياء المغربية :

1 — الاعلام الجغرافية ، الاقطار والجبال والانهار والبحيرات والسهول والمدن والقرى والمواقع بغاية التوسع والتدقيق . يوصف كل منها وصفا دقيقا جامعا ويذيل بالمصادر وتوضع المقابلات اذا كثرت اسماء المكان الواحد مثل Jemmapes وعزابة ، ومداوره الرومانية ومداوروش العربية و Montesquieu الفرنسية . وجبل الاطلس الآن ودرن في القديم . فتتبع الترجمة للكلمة الاصلية وتذكر الكلمات الاخرى في مواعدها الابجدية مع الاحالة على الكلمة الاصلية .

كان نقول : « الاطلس اهم مجموعة جبلية بديار المغرب .. الخ »

ثم درن : انظر : اطلس

وتوضع تحقيقات المسيمات الجغرافية الاسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربي مع مقابله الانرجي . واذا جاء دور المقابل الانرجي الابجدي ثبت ويحال على اللفظ العربي الذي طرقت به المادة طرقتا ثانيا .

— ان العمل الموسوعي الذي يضطلع به الآن المكتب الدائم في المغرب العربي يندرج ضمن اختصاصات المكتب الدائم للتعريب الذي يعمل على توفير كل ما يمكن ان يلقي اضواء كشافة باللغة العربية على المظاهر الحضارية والاسلامية .

وقد قرر مؤتمر وزراء التربية العرب الذي انعقد سنة 1964 في بغداد وضع دائرة معارف عربية .. فكان عمل المكتب اسهاما لمساندة الجامعة العربية في نشاطها الموسوعي العام ، وهو يرمي الى هذه البادرة والعمل على توحيد جهود اقطار المغرب الكبير الاربعة من اجل وضع موسوعة موحدة تهتم بكل المظاهر الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومختلف المجالات الحضارية الاخرى .

وذلك على النحو الآتي ، الذي هو نتيجة جلسات عمل عقدت في كل من المغرب على مستوى اللجان وفي تونس والجزائر وليبيا على مستوى الافراد العلميين حددت خلالها مواضيع هذه الموسوعة كما يلي :

1 — مواضيع الموسوعة :

(أ) المنطقة — المغرب بالتعريف التاريخي الحضاري يبدأ من الاسكندرية وينتهي بالاطلنتيك وجبال البرانس وينحدر جنوبا الى بلاد صنباجة السودانية ، شمالا الى جوانب من ايطاليا وفرنسا .

ثم ان الفاطميين فتحوا جهات من اوربا وافريقيا وآسيا ، فمعرفة ذلك من مشمولات الموسوعة طبعا .

(ب) الاشخاص المغاربة — من رجال حرب وبحر وسياسة وملك وعلم وادب وفن وتعليم في عاصمة العصور الآتية :

(د) العشائر المغربية :

البربرية والرومانية والعربية .

(هـ) اللهجات المغربية :

من الاندلسية الى الليبية . يثبت اللفظ وامامه نقله الحرمني اللاتيني ويبين معناه الثابت أو المتطور بالشواهد . وتذكر مختلف معانيه بحسب الامكنة . مثلا « بحال اند = مغ - مثل - تو - اظن اعتقد ، يبدو لي انه -

وتذكر مفردات الحضارة مثل موسيقى ، طعام ، مسكن ، لباس ، رقص ، قصبة ، عاشوراء ويبين مدلولها اللغوي والعلمي والحضاري وتذيل بالصادر وتقسم حسب الجهات .

وتثبت المصطلحات الخطية (كتابة - حروف - كوفي - نسخي) والنحوية (ضمير - صائت - صامت - فعل - اسم) وتبين احوالها واطوارها بالمغرب على اصول النحو المقارن القار والتطوري واللهجات المقارنة واذا وردت نسبة لهجة : فاسية - رباطية - تامازيغت - اندلسية - مالطية - توصرية الخ ... تثبت وتدرس وتذيل بالصادر .

وتنشر اهم المفردات الخاصة بالمغرب سواء كانت عربية الاصل ثابتة المعنى أو متحرفة المعنى مثل مزن (جنوب الجزائر) = مطر : أو شتا (تونسية) بمعنى مطر أو كانت بربرية (الكرومة - الفكرون) أو فينيقية (فنيق - بنيقة) أو لاطينية (فلوس بشر - برشني - قنارو) أو فارسية (بازار ، سمسار - سمية ، زركشنة - راهوار الخ...) أو تركية أو اسبانية أو فرنسية أو ايطالية أو سودانية الخ ..

(و) العلوم المغربية :

من علوم دينية ودخيلة وفلسفية وتصوفية . فيذكر العلم حسب ترتيبه الابجدي (تاريخ - تفسير - تجديد - طبيعة - كيمياء - نبات - حيوان - جيولوجيا - طيران - انواع الخ ..

ويبين نشأته وتطوره بالمغرب ويذكر اعلامه ويحال على تراجمهم في امكنتها الابجدية .

كقولنا : التفسير علم يقصد به فهم القرآن الكريم . نشأ بالمغرب في القرن الثاني ، افنتح بابه ابن سلام القيرواني . وله المدارس الآتية واعلامها

بالاندلس .. بالمغرب الاقصى - بالجزائر - بتونس - بصقلية - بليبيا الخ..)

(ز) المعمار والآثار : يذكر كل معلم معماري : قصر ، معبد ، كنيسة ، جامع ، سور ، ثكنة ، رباط ، الخ.. باستيفاء .

ويترجم له وتذيل الترجمة بالصادر سواء كان المعلم موجودا قائما ، أو اثريا ، أو مذكورا فقط : مثلا : البلازة - قصر البحر - الزيتونة - جامع عقبة الخ..)

وكذلك المواضع الاثرية من بربرية وفينيقية ورومانية ووندالية وبيزنطية وعربية واندلسية وتركية .

(ح) الادب المغربي - يترجم للادب المغربي :

1 - في انواعه : ملحمة ، موشح ، زجل ، قسيم ، ملزومة ، عرف ، مسدس .

2 - في لغاته : بربرية ، بونيقية ، لاطينية ، عربية تركية الخ..

3 - في امكانه : اندلس - صقلية - مالطة - جزائر الخ ..

4 - في رجاله مع الاحالة على امكانهم الابجدية..

5 - في اغراضه: تاريخ - تفسير - نقد وصف

6 - في مقارناته تائرا أو تائيرا .

(ط) الفنون المغربية :

(الرسم ، النحت ، الموسيقى ، الرقص ، الفولكلور التمثيل الخ ...)

(2) مصادر الموسوعة - وهي :

(أ) كتب التاريخ بأية لغة .

(ب) كتب التراجم .

(ج) المجلات الاختصاصية .

(د) المعاجم على اختلافها ، ولاسيما دائرة المعارف الاسلامية .

(هـ) الوثائق والمستندات :

وفيا يتعلق بالوثائق وجمعها وترتيبها فانه يمكن الاستفادة مما هيء من طرف الوثائقين في اوربا امثال (برسون) (Pearson) استاذ البيولوجرافية

الاسلامية بجامعة اكسفورد صاحب الفهرس الاسلامي (Index Islamicus) الذي رتب فيه مضمون خمسمائة مجلة استشراقية من تاريخ 1905 الى 1965 مما صدر بالانجليزية عن العالم وفي ضمنه المغرب . ويعمل الآن نحو عشرين خبيراً للقيام بنفس العمل من 1964 الى الآن في عموم الدوريات العربية من مجلات وصحف .

والدكتور فرانك (Frank) في المانيا والدكتور (بالبيس) محافظ مكتبة مجلس العلوم بايطاليا . وكذلك الاتصال بالمسؤولين في كـلـ المواسم الغربية التي كانت لها روابط ثقافية ، واقتصادية وسياسية مع المغرب العربي في مختلف العصور ، لنبحث عن الوثائق والمستندات المتجمعة هناك لاضافتها الى الذخائر النفيسة التي ترخـر بها الخزائن الخاصة والعامة بالمغرب .

وكذلك بمساعدات وزارات مختصة كالداخلية والتربية والاعراف وغيرها بتجنيد ممثلها الاقليميين والمحليين على جمع المعلومات التي تفيد في الموضوع بالنسبة لكل قرية ولكل قبيلة .

وقد فتح المكتب الدائم بمقره بشارع المرابطين تسماً خاصاً للموسوعة ركز فيه آلاف الجزرات التي وضعها حول المصادر بمختلف اللغات .

(3) المسطرة :

ومن عناصر المسطرة المتفق عليها امكان تخصيص رقم لكل موضوع في الموسوعة نفسها يحال عليه عند الحاجة مثال ذلك كلمة اطباء تدرج كجزء اجمالي في الموسوعة تستعرض فيه اسماء اطباء المغرب الأقصى مثلاً بالرقم فقط على الشكل الآتي :

اطباء هم : رقم 200 — 320 — 560 — 780 — ويكون كل رقم محال عليه يرمز الى علم من اعلام الاطباء كابن رشد وابن زهر وابن باجة الخ .. وهكذا في الفلسفة والتصوف والموسيقى وباقي الشعب العلمية والفنية .

أما في خصوص المعتمد في العلم كابن سينا مثلاً الملقب بأبي علي فانه يمكن ان يذكر في ابن + س ثم يذكر في أبو علي = ابن سينا كما يذكر في قسم ثالث هو المشار اليه سابقاً نظراً لمشاركة ابن سينا في الطب والفلسفة والفلك مثلاً .

تكوين لجنة لدراسة الفهرس العام الذي تكفل المكتب الدائم بوضعه في جزائيات — حول الاعلام والمدن والقبائل والقرى والمواضيع الحضارية الأخرى — تشمل المراجع الفرنسية والانجليزية والاسبانية والالمانية علاوة على غيرها من اجل دراسة كل موضوع دراسة استقصائية .

... تكوين لجنتين اخرين احدهما للترجمة تتكون من اعضاء يتقنون لغات مختلفة .. مهمتهم تعريب الوثائق التي يعمل المكتب الدائم على جمعها عن طريق التصوير الفتغرافي ، ولجنة للمراجعة مهمتها مراجعة ما انتهى من تدوينه الباحث ومقابلته مع المراجع الاساسية .

يعهد بتحرير المواضيع الى كل من انس في نفسه القدرة على ذلك من علماء وباحثين وسيصدر كل بحث باسم صاحبه بعد المصادقة على فحواه من اللجنة المختصة بالمراجعة .

وسيؤدى لكل مشارك في تحرير الموسوعة مبلغ من المال يحدد بقية السطور المصادق على نشرها وتؤدى هذه القية بمجرد صدور كل نشرة — من نشرات الموسوعة ويختلف المبلغ تبعاً للبحث المغرب او الموضوع .

طريقة العمل بالنسبة للشعب الاربع للمغرب العربي :

تعمل كل شعبة في نطاقها الخاص ويعمل المكتب الدائم في مرحلة ثانية على جمع الحصيلات الموسوعية الاقليمية من اجل وضع معلمة موحدة تكون هي نفسها نقطة انطلاق اساسية للموسوعة العربية الكبرى .
تؤلف امانة دائمة للموسوعة مركبة من نواب عن جميع البلاد المغربية .

ومن أعضاء مراسلين من كافة البلاد العربية والمستشرقين .

وتكون للامانة صلة وثيقة مع الجامعة العربية وهياة اليونسكو للمساعدة الفنية والمالية .

(4) الاشواط التي قطعتها الموسوعة بعد سنتين من حياتها :

توصل المكتب الدائم لحد الآن بالكثير من الابحاث والدراسات التي التزم اصحابها فيما يخص — حرف الالف — كما توصل من وزارة الداخلية

ونحن نشعر يوميا بأن آفاقا جديدة تتفتح أمامنا
تلقى أضواء جديدة حول نقاط هامة من تاريخنا
والكل يقدر ما يتطلبه استكمال دراسة المراجع المختلفة
بشتى اللغات من نفس طويل ، وعمل موصول لتتبع
كل ما كتب عنا في مختلف القارات .

ومهما يكن الأمد الذي ستستغرقه عملية
استكمال المصادر فإن التصميم الذي وضعه المكتب
الدائم لانجاز موسوعة المغرب الاتصى كنموذج
للموسوعات الاتلمبية الأخرى فى المغرب العربى هو
عشر سنوات 1967 - 1977 على أن شعبية
تونس قد أعدت معظم عملها بحيث سوف لا ينتهى
هذا الأمد حتى تكون العناصر متوفرة لاستخلاص
مادة الموسوعة الموحدة للمغرب العربى .

بدراسات مستفيضة عامة حول معظم الاتاليم ، وكنا
قد واعدنا بالعمل على اصدار نشرة أولى تعقبها
سلسلة من النشرات كاجزاء للتسم الاول — من
الموسوعة على نسق المنهاج الذى تسلكه الآن بعض
الموسوعات او المعاجم فى تجزئة العمل على هذا
القرار ، غير أن كثيرا من اعضاء الموسوعة يطلبون
منا بالحاح امدادهم بقائمة كاملة للمصادر المتعلقة
بالابحاث التى التزموا بها فرأى المكتب الدائم ضمانا
لما يتحراه من دقة فى الموضوع أن يوفر للباحثين هاته
الشروط الاساسية ، فأتجه الى استكمال المصادر
لان الموسوعة هى المصادر ، ولأن اصالة الابحاث
ترتكز على مدى الاستقرار لهاته المظان ، فلهذا فضل
المكتب أن يستغرق وقتا أطول مما كان قد قرره لذلك
من أجل انجاز هذا العمل التمهيدى الجوهري ، مع
الامل أن يتمكن فى اقرب وقت ممكن من أجل الوفاء
بعمده على اكمل وجه .



أسرار الضمائر

الأستاذ عبدالحق فاضل

خطورة الموضوع :

تبدو صيغ الضمائر وكأن كلا منها عنصر بسيط لا يقبل التجزئة ، كالجوهر الفرد : الذرة . لكن الذرة جزؤها أخيرا ، وأي تجزئة مثيرة لا غبطة . كذلك الضمائر يمكن إخضاعها لتجزئة لا تقل إثارة ولغطا ، في عالم اللغة . ويخيل لنا أن تفجير الضمائر ، الذي نحن بسبيله الآن ، سوف ينسف من عالم اللغة مساحة أكبر مما نسفته القنبيلتان الذريتان من مساحة اليابان ، وأعمق مدى ، وأكثر تشعبا وانتشارا في مختلف الجهات .

كنا تطرقنا الى موضوع الضمائر في كلمة بعنوان « لمحات من التائيل اللغوي » — في العدد البارح من « اللسان العربي » — غير أن الموضوع من الخطورة والغربة والامتاع بحيث وجدنا تلك « اللمحات » التي لا تشفي الغليل أبعث للتعطش الى مواصلة البحث والاستزادة منه تعمقا واستقصاء . وكلما تمادينا فيه تمعنا زادت النفس له تفتحاً وعليه اتبالا ، وزادنا البحث عطاء وحسن جزاء .. كأنه النجم السخي من الذهب كلما أوغلت فيه حفرا زادك مكافأة .

وإذا بالبحث في الضمائر يتكشف لنا عن اسرار عجيبة حقا ، ويمزق الحجب عن مخبات لا نرانا مغالين إذا قلنا انها مذهلة .

ما خرافة نون الوقاية ؟ .. ما سر التثنية والجمع السالم ؟ .. من أين جاءت حركات الاعراب ؟ .. ولام التعريف ؟ .. والتثوين ؟ .. كيف تميزت الأريات دون

الساميات بأفعال الكينونة في الجملة الاسمية ؟ .. بل من أين نبعت الضمائر واسماء الاشارة .. في الأريات؟

هذه الاسئلة جميعها — نعم جميعها — يعطينا درس الضمائر العربية الجواب الشافي عنها — وعن غيرها — لأول مرة في تاريخ علم اللغة .

وإذا بهذه الضمائر السحرية تضرب بأصولها بعيدا في ماضي اللغة ، وتمتد فروعا وتتغلغل بعيدا في مختلف أرجاء جسم اللغة كأنها العروق الدموية تمتد بنسج الحياة .. حتى لا تكاد تخلو جملة في العربية ، أو بناتها الساميات ، والأريات ، من أثر لتلك الضمائر أو بقية من رواسبها .

وإذا بالحقائق المتفجرة التي تجبهنا بها دراسة الضمائر تزلزل اللغات وتذرو الكثير من قواعد علم اللغة وبديهياته التسليمية ، في الريح .. وتفتح لنا آفاقا من المعرفة وطرائق البحث لم تكن يبال أنسان .

وصفوة القول ان موضوع الضمائر هذا أخطر موضوع لغوي عرض لنا حتى الآن ، ولعله أخطر موضوع لغوي على الإطلاق .

وها نحن نزجي القول الى القاري الكريم في هذا البحث الطويل العريض بما يمكن من إيجاز ومسا — ينبغي من إيضاح وتعليل .

عناصر الضمائر :

إذا نحن استقرينا الضمائر وتناولناها بالتحليل وجدناها — منفصلها ومتصلها — تتألف من عناصر أولية ثلاثة هي : الهمزة (أ) ، والنون (نا) ، والتاء (تا).

هذه الهمزة المضمومة ان بعض المغاربة كذلك يستعملونها الى جانب الهمزة المفتوحة ، وطالما سمعنا العساس (حارس العمارة) ينادي ولده بأعلى صوته : أو ابراهيم ، كما في الانكليزية O. Ibrahim والفرنسية تما : O. Ibrahim

وأما في الفارسية فهي (أى — ay) العربية بذاتها ، المرخمة من (ايا) .
ومن النداء بالهمزة نشأ الاستفهام بها ايضا : (؟)

لغة الاشارات :

وقد كنا نوهدنا — في المقال السابق — بأن العلماء يعتقدون ان البشر بدأ التخاطب بالاشارة . وقد وجدوا قبائل في بعض القارات ما زالوا الى اوائل هذا القرن يتخاطبون بالاشارات حتى لتتعطل عندهم لغة الكلام في الليل ما لم يجدوا ضوءا يستأنفون فيه مطارحة الاشارات . ولعل ببعض هذه القبائل ما زال على ذلك حتى اليوم .

كذلك يعمد الطفل الاصم الى الاشارات يعبر بها عما يريد وما يكره قبل ان يفتن ذووه احيانا الى انه اصم .

على أن الطفل السوي ايضا يفعل ذلك قبل ان يبدأ الكلام النطقي . بل لقد وجدوا حتى القروء تعمد الى الاشارات تعبر بها عن بعض ما تريد .

لهذا يبدو لنا أن الانسان العربي مزج لغة الصوت بلغة الضوء فاخذ يقول (أ) لينبه الآخرين اليه ويشير الى نفسه يعني : (أنا) ، أو يقول (آ) مشيرا الى مخاطبه يعني : (أنت) ، أو مشيرا الى شخص آخر أو شيء ما يعني : (هذا ، ذاك ، هو ..)

الضمير العام

ومع توالي الاجيال رسخت الهمزة في الازهان بهذا المعنى ، أي بهذه المعاني جميعها : أنا ، أنت ، أنتم ، هذا ، ذاك ، هو ، هي ، هم .. مما أدى الى ترك اشارة اليد . وقد ساعد على ذلك من غير شك حلول الظلام كل ليلة ، فاستغنى الانسان عن اشارة اليد اضطرارا واكتفى بالصوت : آ . وباعتبار أدق ان الانسان استعمل صوت (آ) ضميرا عاما لاداء جميع معاني الضمائر واسماء الاشارة .

أما الحروف الاخرى التي نجدها في بعض الضمائر فليست بالاثيلة فيها ، وانما هي زائدة أو مبدلة . فالحاء في (نحن) زائدة حشرت بين النونين ، والهاء في (هو) ، هما) وغيرهما مبدلة من الهمزة ، والميم في (هم ، انتما) وغيرهما مبدل من النون ، والكاف في (عندك) ، رايتكم) وغيرهما مبدل من التاء . وسوف يتوضح هذا شيئا فشيئا مع استرسالنا في الحديث ، فلا حاجة بنا الى التوكيد عليه والتبسط فيه الآن قبل التحدث عن الضمائر نفسها ، ولا سيما أننا كنا قد خضنا في الموضوع بعض الخوض في المقال الآنف الذكر .

الهمزة

إذا فوجيء الانسان بها يثيره — وخصوصا ما يوجعه — كوخزة أو لسعة ، صاح تلقائيا : (آ) . ويمكننا ان نسوي هذا الصوت « همزة التنبيه » .

وقد لاحظ الانسان الاقدم انه اذا صاح (آ) انتبه له الآخرون ، كما لاحظ انه يتنبه هو أيضا اذا سمع احدا يقول (آ) . ففطن بعد زمن لا نعرف مداه الى أن بوسعه ان يستعمل همزة التنبيه هذه (اراديا) بمعنى « التنبيه » أي استلفات نظر الغير اليه . لهذا نعتقد انها استعملت أولا للنداء ، فما النداء الا تنبيه .

ومن همزة التنبيه تطورت (هاء) التنبيه التي عرفها النحاة وصدق حدسهم في تسميتها ومعرفتها وظيفتها ، في مثل : هذا ، ها انتم ..

النداء :

ان همزة النداء ما زالت موجودة في العربية ، بنفسها كما لفظها الناطق الاول : (آ) ، أو مبدلة ياء : (يا) . والواقع ان الحرفين كليهما مستعملان في الفصحى للنداء منفردين ومجتمعين : آ ، ا ، يا ، ايا . وهذه الاخيرة وردت مرخمة بصيغة : (اي) ايضا .

وان كانت همزة النداء قد زالت من الدارجات في المشرق وحلت محلها الصيغة اليائية (يا) فانها ما زالت مستعملة في المغرب ، وكان أول ما سمعناها في الدار البيضاء من رجل ينادي صاحبها له على الطوار الآخر من الشارع : آ احمد .

على أن اختلاف عادات النطق من تغيير حركات اللفظة أو حروفها جعل بعضهم ينطقها (أو — 0) كما في بعض اللغات الاوربية . ومما يدل على عروية

رواسب التنبيه والإشارة :

ويلاحظ ان الانسان ما زال في كل مكان على ما يظهر ، يشنع الكلام في كثير من الاحيان باشارة يده الى نفسه أو مخاطبه أو غيرها مع قوله : أنا ، أو أنت ، أو هو .. خصوصا في حالات التأكيد والانفعال . والانفعال هو الذي يرد الأدمي الى عهده الأولى من تصرفاته الفطرية البدائية ، مما يؤيد ان الانسان قد مارس لغة الإشارة دهورا مديدة ، حتى أصبحت فيها يبدو غريزية فيه .

ومن عجب ان الأدمي العربي لم يحتفظ بأشارة اليد وحدها مع الكلام بل انه ما زال يحتفظ بأداة التنبيه نفسها مع الضمائر نفسها بالإضافة الى اسم الإشارة أيضا ، في بعض التعبيرات مثل : ها انا ذا ، ها أنتم أولاء ، ها هي ذي ..

وان كانت (ها) تؤدي معنى خاصا في هذه الامثلة فانها فقدت وظيفتها تماما في اسماء الإشارة مثل : هذي ، هؤلاء .. ففي وسعنا أن نقول : ذي ، أولاء .. دون حاجة الى هاء التنبيه ، وخصوصا ان اسماء الإشارة الدالة على البعيد مجردة فعلا من هاء الهاء مثل : ذلك ، تلك ، أولئك .

فواضح ان أداة التنبيه وإشارة اليد كليهما من رواسب العهود اللغوية الأولى ، وان اسم الإشارة وحده يغني عنهما .

ضمائر الهمزة :

أصبحت الهمزة ضميرا عاما كالذي قلنا ، ثم أخذت تتطور لفظا ومعنى حتى ندر وجودها بمعنى الضمير في العربية ، وانما نجدتها اقرب الى صورتها البدائية الأولى وبمعناها الضميري في بعض الإعجيات ، وتهنأ منها هنا الآريات :

نجدتها تعني (أنا) في الانكليزية بصيغة (آي - I) ، وفي الاسبانية بصيغة (يو - yo) ، في بعض اللهجات وبصيغة (جو - jo) في الفصحى ، وبصيغة (جه - je) في الفرنسية . أما في الإيطالية فتطلق بكسرة تليها ضمة (ايو - io) ، وربما كانت منها (ايكو - ego) باللاتينية . وهذا الضمير في الصينية - ويا للعجب : (وو - wo) !

ونجد الهمزة تعني (هو) في الفارسية بصيغة (او - ō) وفي التركية بصيغة (او - o)

ونجدها في الانكليزية بمعنى نحن (وي - we) وبمعنى أنتم (يو - you) (تقابلها في الفرنسية (فو - vous))

أما في اللغة الام - العربية - فلم تبق الهمزة ضميرا أو شبه ضمير الا في أوائل الضمائر : أنا ، أنت ، أنتما ، الخ .. وأوائل بعض الافعال كصيغة المضارع المتكلم (افعل) ، وصيغ الامر : (افعل ، افعلي ، الخ) .. وبعض صيغ الافعال المزيدة مثل : انفعل ، افتعل ، استفعل . وقد يستبعد القارئ ان هاته الهمزات هي همزة التنبيه البدائية ، فلنترك هذا الآن حتى يأتي أوانه وبرهانه .

لكن الهمزة انما تظالعنا كثيرا في العربية بعد ان انتقلت هاءا . وبسبب اختلاف الجماعات في نطق الحركات فتحتا وضمًا وكسرا نطقها بعضهم (ها) وبعضهم (هو) وبعضهم (هي) .. وهي موجودة بهذه الصور الثلاث في العربية ، منفصلة ومتصلة .

ففي حالة الانفصال نجد (ها) أداة للتنبيه في مثل : هاؤم اقرؤوا كتابه ، ها أنتم أولاء ، هاذا (هذا) .. وكأنها أفضى تماديهم في استعمالها على هذا النحو لغرض التنبيه الى اهمال استعمالها ضميرا منفصلا .

ونجد (هو) ضميرا للغائب في العربية مقابل (أو) في الفارسية . أي ان هذه الصيغة الهمزية الفارسية اعرق ، أو أفصح ، أو أعرب ، أو ما شئت ان تقول .. وتوجد (هو) في الانكليزية بنفس النطق (هو - who) بمعنى : الذي .

وأما صيغة (هي) فتخصصت في العربية بالانثى . ونعتقد انها كانت تعني الذكر أول الامر ، بدليل أنها ما زالت تعني الذكر في الانكليزية (هي - he) أي : هو ! يضاف الى ذلك انها ما زالت في العربية أيضا تعني الذكر ضميرا متصلا اذا سبقتها الياء مثل : اليهي (اليه) ، فيهي (فيه) .. وفي الإضافة من قبيل : في دارهي (داره) .

وأما في حالة الاتصال فنجد الصيغ الثلاث (ها ، هو ، هي) في العربية في مثل : منها ، عندهو (عنده) ، عليهي (عليه) .

النون

يطالعنا النون في الضمائر العربية : أنا ، نحن ، أنت (للمخاطب والمخاطبة) ، أنتما ، أنتم ، أنتن ، هن .

ونراه ضميرا متصلا لجميع المتكلم في مثل :
نظرنا ، دارنا ، نفعل ..

أما في الاعجبيات فنجد مثلا في اللاتينية (نوس) —
(nos) : نحن = في الفرنسية (نوس) — (nous)
وينطق (نو) . أما في الصينية فهو (ني) — (ni)
بمعنى أنت .

وفي الفارسية نجد النون في كثير من الضمائر
أيضا منها (آن) : هو ، لغير العاقل أو (ذلك) للعاقل
وغيره .. وفي (آنان) : هم ، أولئك .. وفي (من) —
(man) : أنا .. وفي (أند — and) : هم ،
(ضميرا متصلا) ..

أما منشأ هذا النون في اللغة فلا نعرفه على
وجه اليقين ، لكننا نخاله من انفاء الطفل حين يقول :
دادادا .. تاتاتا .. نانانا .. وغير ذلك .
ويبدو أنه اتفق قدوم شخص عند قول أحد
الأطفال : ماما .. وقول غيره : بابا .. وقول ثالث :
دادا .. وقول رابع : نانا .. فتخصصت الأولى مع الزمن
بمعنى الأم ، والثانية بمعنى الأب ، والثالثة بمعنى
الاخ (بلغة العراق مثلا ، وهي تنطق بالفارسية :
داداش) .

أما (نانا) فلعلها استعملت بمعنى بعض
الأشخاص أو الأقارب أول الأمر مثل بابا ، وماما .
غير أن الطفل لا يحسن التمييز بين الأشياء المتماثلة
بل كثيرا ما يعمم اللفظ على المدلولات المتقاربة في ذهنه ،
فقد يدعو كل الطيور دجاجة ، أو كل الثمار عنباً ،
وهكذا . وقد اتفق أنني دخلت حائوتا قبل بضعة
أيام فإذا طفل تحمله أمه على ذراعها يمد يده الصغيرة
إلى وجهي قائلاً : بابا ! .. ربما لأنه وجدني أشبه
أباه في شيء ما ، أو لأن كل رجل عنده بابا . لهذا
كان من السهل ، بل من المفروض ، أن يعمم
الإنسان الأقدم في احتساب طفولة اللغة — لفظاً
يعني ضميراً أو شخصاً من الأقارب ، على جميع
الضمائر والأقارب . هذا بالإضافة إلى فقره اللغوي
الذي يجعله يستعمل اللفظة في عدة معان .

والذي يجعلنا نظن أن النون قد استعمل بمعنى
بعض الأقارب قبل استعماله ضميراً عاماً ، أو
بالإضافة إلى استعماله ضميراً عاماً ، هو أننا نجده
ما يزال حتى اليوم مستعملاً بصيغته البدائية الطفلية (نانا)
بمعنى زوجة الأب بلغة الموصل وبمعنى الوالدة
بصيغة (نينه — nenah) بالمصرية و (ننه —
nameh) بالفارسية .

ومهما يكن فقد استعمل النون كذلك ضميراً عاماً
كهزة التنبيه ، منذ سحق الاحتباب ، وتفرقت صيغة
المختلفة في مختلف الضمائر العربية ، مفتوحاً
ومضموماً ومكسوراً .

أما مفتوحاً فنجد في (أنا) وفي أول (نحن) .
ويجىء (نا) ضميراً متصلاً بالاسم والفعل والحرف مثل :
دارنا ، قصدنا ، لنا .

ويجىء مضموماً في آخر (نحن) ، وفي أول بعض
صيغ الأفعال مثل : نقدم ، نعطي ..

نون الوقاية :

ويجىء النون مكسوراً بصورة (ني) مفعولاً به في
مثل : يسمعني ، انتظروني ، دعاني ..

وقد ظن النحاة أن الضمير في هذه الأمثلة
ونحوها هو الياء وحدها ، لأنهم وجدوها وحدها
ضميراً في مثل : داري ، يدي ، عندي ..

وأما النون هنا فإخضعوه لأحد تأويلاتهم
المشهورة فقالوا أن الغرض منه وقاية آخر الفعل من
الكسر ، كأنها كسر آخر للفعل أمر مناقض لنواميس
الوجود ، فلم يجد الأعراب الأقدمون مناصاً من
تجنبه في كلامهم .

أن الاسم العرب يكون مفتوحاً أو مضموماً أو
مكسوراً حسب موقعه من الأعراب كما هو معروف ،
فلو كان الحفاظ على حركة آخر الكلمة من القداسة
بحيث توهبوا لكان ذلك شأنه في الاسم أيضاً لا في
الفعل وحده وفي هذه الحالة فقط . ذلك أن إضافة
الاسم إلى هذه الياء نفسها في مثل (داري ، يدي)
تسبب كسر آخر الاسم في جميع حالات الأعراب أي أنها
تلغي سائر الحركات الأخرى ، ومنها حتى السكون
عند الوقف لأن الوقف في هذه الحالة يكون على الياء .

يقال : جاء أبي ، ورأيت أبي ، ونظرت إلى
أبي . فلو كان نون (أسموني ، وانتظروني ، وسمعوني)
أنما أتحموه غيراً على آخر الفعل من الكسر ، لكان
حقاً عليهم أن يفاووا على آخر الاسم أيضاً فيقولوا
بنفس الطريقة : جاء أبوني ، ورأيت أبائي ، ونظرت
إلى أبيني .. أو أبي (هنا سيان) .

وإن هم من الوقاية ونونها في الحديث المشهور :
«أو مخرجي هم» ؟ ولو كانت الجملة فعلية لكان
نصها «أو يخرجونني هم» ؟ فلماذا يظنون — النحاة —

أن (يخرجون) تحتاج الى وقاية و (مخرجون) لا تحتاج الى وقاية ؟

جماع امر النحويين في هذا وامثاله انها هو ما يسمى بالتعليل بعد الوقوع ، لاتهم طبقوا نظرية « ليس في الامكان ابداع مما كان » على اللغة فظنوا كل شيء فيها ينطوي على حكمة بالغة فاجهدوا انفسهم في التفتيش عنها و ابرازها للعيان .

على اننا مهما خالفناهم في هذا او غيره فان ذلك لا ينقص من تقديرنا لهم واكبارنا لجهودهم في تحري الحقيقة بحسب علمهم ووسعهم في ذلك الزمان يوم شقوا طريقا بركا في ارض وعرة لم يطرقتها احد قبلهم .

واذا اراد القارئ برهانا ملموسا على ما قلنا ذكرنا له ان (ني) يظهر ضميرا في الداريجة السورية (واللبنانية) ملحقا بحرف الجر مثل فيني (= هي) ، وفي اللبنانية ايضا في مثل : بني (= بي) . وعسى القارئ ان يكون قد سمع فيروز ترتل (ما أدري شويفي) . ونجد برهانا آخر في الانكليزية التي ورد فيها هذا الضمير بصورة (هي) في قولهم : aid me ايدني !

والنحويون اعلم اهل الارض بالمفارقات في قواعد اللغة . ولا يسعنا هنا الا ان نذكرهم بوحدة فقط من تلك المفارقات هي ان العرب قد عبروا عن الجمع الذكور بصيغة الفردة الانثى حيث قالوا بكامل وعيهم وسلامة عقلم : جاءت الرجال !

وان هذه (التقليمة) لتكني وحدها لنسف كل تمنطقات النحويين ، وليقولوا في تبريرها ما يقولون . وهي (تقليمة) بالنسبة الى النحويين انفسهم ، اما بلغة طريقتنا في البحث اللغوي فترجمتها ان هذا التعبير اشارة مختلفة من عهد استعمال القاء ضميرا عاما قبل ان تخصص بال مؤنثة المفردة .

من اجل ما تقدم نعتقد ان ضمير المتكلم في «متى اضع العمامة تعرفوني» هو النون ، وان الياء اللاحقة به ليست الا حركة نطقية جعلته (ني) في (صدقوني) كما جعلته (نا) في (علمنا) كما جعلته (نو) في (تساعد ونؤيد) ..

واما ضمير الاضافة الى المتكلم في مثل (كتابي، يدي) فائله الهمزة (اي) ، وهذه ائلا (ت) .

اببدال النون ميما :

اببدال الحروف ظاهرة لغوية تعتور مختلف الالفاظ في جميع اللغات ، وقد راينا ان الهمزة ابدلت ياءا . وهاءا . وطبيعي ان لا يسلم نون الضمير ايضا من هذه الملمة .

ويغلب على ظننا ان كل ميم تجده في احدى الضمائر العربية مبدل من النون ، ولعل الامر كذلك في الآريات ايضا بوجه عام .

ففي الفارسية نجد ان (ما) تعني : نحن ، وائلا (نا) بدليل ان قولك في الفارسية (بنظر ما) يعني بالدقة (بنظرنا) اي : في راينا .

وفي الانكليزية نجد ان ضمير المتكلم الفرد في حالة الاضافة هو (ماي - my) ، وفي حالة المفعولية (مي - me) . وعبارة : aid me (= ايدني) التي ذكرناها آنفا ترينا بوضوح كاف ان ضمير (مي - me) في الانكليزية هو نفس ضمير (ني) في العربية ، بنفس معناه .

وفي الفارسية (من - man) يعني : انا ، وائله فيما نظن (من) بالعربية ومعناه (الذي) للعامل ، وائله (تن) .

واما (مان - man) بالانكليزية فيعني الانسان او الرجل . واذا شاء القارئ ان يظن ان هذه الصيغة الانكليزية متأثرة من الضمائر ايضا فلن نعارضه في ذلك ، بل اننا نشجعه عليه ، لاننا مثله لم نسلم من هذا الظن ، ولاسيما ان نفس الكلمة في العربية (من) تعني كما قلنا (الذي) للعامل ، اي لجنس الانسان ، واستعمالها في الفارسية بمعنى (انا) وفي الانكليزية بمعنى (انسان ، رجل) ، ثم في الفرنسية (مون - mon) بمعنى ضمير المتكلم المضاف اليه يدل على انها كانت ضميرا عاما اطلق على مختلف الاشخاص .

ونرجح ان استعمال الانكليز (مان - man) بمعنى الانسان والرجل قد بداه العرب في معرفتهم من قديم عهودهم . يدل على ذلك قول المعجم العربي ان (من) تأتي « نكرة موصوفة نحو مررت بمن معجب لك ، كما لو قلت برجل معجب لك » !

وقد ثنوها فقالوا : منان انتبا ، وجمعوها جمع المؤنث السالم فقالوا : منات هن ؟ .. وجمع المذكر السالم ، ومنه البيت :

اتوا ليلا فقلت منون انتم ؟

فقالوا الجن ، قلت عموا ظلما

وظاهرة ابدال النون ميما في الضمائر منشؤها
العربية ايضا ، ونجدها في ضمائر عربية مختلفة مثل
(انتما) وائلها (انتنا) ، و(هم) وائلها (هن) وهكذا ..

يؤيد ذلك لنا ضمير (هم) بالذات ، لان العراقيين
ينطقونه بفتح الميم وتشديده {hummah}
مثل نطق ضمير (هن) في الفصحى .

ويؤيد ذلك ايضا على نحو اوضح واقطع ان
القوم في ديار الشام ما زالوا ينطقون الميم نونا
اثيلا في مثل : اخوكم وبيتكم ، فانهم يقولون : اخوكن
وبيتكسن .. وبدلا من ضمير (هم) يقولون (هن) مع
فتح النون المشدد . والاصح ان نقول ان الفصحى هي
التي تقول (هم) بدلا من (هن) .

التاء

لسنا نعرف عن اثل (تا) اكثر مما عرفنا عن
اثل (تا) ، فالارجح عندنا انها مثلها من قول الطفل :
تاتانا .. فجزاه الله عن البشرية خيرا .

وقد استعملوها ضميرا عاما كالنون والمهزة .
وما زالت موجودة في العربية منفصلة وبصيغتها الاولى
(تا) كاسم اشارة ، وتثنيتهما (تان) ، ومنها : تي ،
تيك ، تلك . وقد ابدلت ذالا فنتج منها ذا ، ذو ، ذي .
وتوجد كذلك ضميرا متصلا مفتوحا في (فعلت)
للمخاطب ، ومضموما في (فعلت) للمتكلم ، ومكسورا
في (فعلت) للمخاطبة ، وساكنة في (فعلت) للغائبة ..
كما توجد في ضمائر اخرى . وتوجد في اول الفعل
المضارع للمخاطبين عموميا والغائبات عموميا : تكرم
(انت ، هي) ، تكزمان (انتما ، هما الغائبتان) ،
تكرمون ، تكرمين .

وانما توجد التاء ضميرا (منفصلا) بصيغتها
البداية الاولى (تا) في الصينية بمعنى هو . وتوجد
بصيغة (تو - tu) بمعنى انت ، في الفارسية
والفرنسية والاطالية جميعا . وهي تنطق (ذو -
thou) بالسكسونية ، و (ذاو -
thou) بالانكليزية ، بنفس المعنى .

تركيب الضمائر

المشهور ان الالفاظ السامية منفردة ، لا مركبة
كالالفاظ الآرية . اما ما ورد مركبا - اي منحوتا

بتعبير النحويين - من الالفاظ التطورية الجاهلية مثل
عشمي وحضرمي ، فقليل جدا . واما الالفاظ المركبة
الآخري مثل : بسمل وحوتل ودمعز (قال ادام الله
عزك) وامثالها فاسلامية نحتها القوم بدافع الحاجة
فهي ليست تطورية بالمعنى الجاهلي العفوي وانما هي
تطويرية اشبه بالعمل الذي تضطلع به الجامع الآن
من وضع الالفاظ للمعاني الجديدة استجابة للحاجة
الحضارية المعاصرة .

وخلو العربية من التركيب يعد عند علماء اللغة
من اهم خصائصها وخصائص بناتها الساميات
المميزة لها عن الآريات التي دابت على تركيب اللفظة
الواحدة من لفظتين أو أكثر .

لكننا نكتشف التركيب اللغوي في العربية قديما ،
اثيلا جدا .. في الضمائر .

بل ان معظم الضمائر العربية مركب من
عنصرين أو أكثر . حتى (هو) مركب من (او ، آ) ،
(هي) من (اي ، آ) ، بدليل ان العرب ينطقونها اليوم
بفتح الواو والياء مشددين ، كما كان ينطقها بعض
القبائل العربية الجاهلية ايضا ، مما يدل على ائالة
هذا النطق .. هذا بالاضافة الى فتح الواو والياء في
الفصحى بدون تشديد .

أنت

ان النموذج المثالي للضمير المركب هو (أنت) ،
لانه يجمع الضمائر العنصرية الثلاثة (آ ، نا ، تا)
بصورتها الاولى دون ابدال احد حروفها ، ودون زيادة
مثل (انتما) أو نقصان مثل (انا) .

ونجد هذه العناصر الثلاثة بنفس هذا الترتيب
في الفرنسية : (أنت - ent) ضميرا متصلا
بالفعل المضارع بمعنى (هم) في مثل : marchent
يمشون) . ونجده في الفارسية
بصيغة (أند) بالمعنى الفرنسي تقريبا في مثل (بلعيده
اند) : بلعوا .

نشوء التركيب

لدينا الآن سؤال : كيف ، ولماذا وقع التركيب في
الضمائر ؟

نحسب الإجابة على هذا السؤال ممكنة ومقنعة
الى حد غير قليل .

والذي نعتقد أن الضمائر العنصرية الثلاثة الأولى — آ ، نا ، تا — لم تظهر الى الوجود في وقت واحد ولا في بقعة واحدة ، وانما ولد بعضها قبل بعض في اماكن مختلفة من المعربة . فلما التقى الفريق الذي استعمل الهمزة بالفريق الذي استعمل النون مثلاً جرى خلط الاثنين فنجم منها ضمير (آ — نا) ببد الهمزة والنون اول الامر . ومن عجب أن هذه الصيغة البدائية الاولى ما زالت حية تنطق في جنوبي العراق بمعنى ضمير المتكلم : أنا .. فصدق أو لا تصدق أنهم ينطقونها (آنا) ! ولا ندري من أي القبائل العربية القديمة تخلف هذا النطق . وأما في اواسط العراق فقد تطور هذا الضمير قليلاً فصار ينطق بكسر النون ولو أن الفتحة على الهمزة ما تزال مديدة ، أي : (آني) بلغة بغداد وما حوالها . وأما في الشمال أي الموصل وما حوالها فينطقونها بالصيغة الحديثة أي القرشية (أنا) كما ينطقها معظم العرب اليوم في الدارجات .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّمِيرَ الْمَرْكَبَ (آ — نا) كَانَ ضَمِيرًا عَامًا يَسْتَعْمَلُ فِي مُخْتَلَفِ الْمَعَانِي أَنَّهُ يَوْجَدُ فِي الْفَارْسِيَّةِ بِصِيغَةِ (آن) بِمَعْنَى (هُوَ) لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، أَوْ (ذَلِكَ) لِلْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ .

وكذلك نجد آثار (أنا) في ضمائر عربية مختلفة المعاني : أنت ، انتما ، انتم ، انتن .

ويبدو أن قبلاً ثالثاً ممن يستعملون التاء ضميراً عاماً قد خالط الناطقين بضمير (آنا) فظهر من احتكاكهم الضمير (آناتا) . ودأبت اللسان على صقل هذه التركيبية وهندمتها حتى أصبحت (أنت) ! وقد سبق أن اتضح لنا أن هذا الضمير هو الآخر قد استعمل بمعانٍ مختلفة ، أي ضميراً عاماً .

وبعد اختلاطات أخرى كثيرة ومعقدة نشأت بقية الضمائر ، ولاسيما ضمائر التثنية والجمع : أنتما ، انتم ، انتن ، هما ، هم ، هن .

بواعث التركيب :

ويلوح أن عدة عوامل قد تضافرت على تركيب الضمائر أي خلطها عند اختلاط الناطقين بها . ولعل أهم هذه العوامل هو أكثرها بداهة وبساطة ، وهو عدم فهم هذا الفريق لغة ذاك عند اللقاء ، مع رغبتهما

(*) اللسان العربي — عدد 4 ، حاشية ص 8 .

ولا يحسن القارئ أن تأويلنا هذا ضرب من (شطحات) خيال مغامر ، فإن لدينا على هذا القول لبرهاناً من صميم واقعنا العربي المعاصر ! وذلك أن لدى العرب — في هذا القرن العشرين — مشكلة لغوية مماثلة .. لم يجدوا لحلها وسيلة أنجع من تلك الوسيلة البدائية العتيقة .. الإثيلة . تلك هي رغبته في التفاهم على ما هم فيه مختلفون من أسماء الأشهر الميلادية مثلاً . فأهل المعربة والهلال الخصيب يذكرون هذه الأشهر بأسمائها العربية القديمة — البابلية : كانون الثاني ، شباط ، آذار ، نيسان ..

أما عرب الشمال الأفريقي — من القناة الى المحيط — فيذكرونها بأسماء أوربية .

فلما اختلط الفريقان (ثقافياً) على صعيد واحد — من المطبوعات — صارت المجلات مثلاً تسجل تاريخ صدور كل عدد منها باللغتين ، فتقول : شهر (نيسان — أبريل) .. لكي يفهم عنها قراء الطائفتين . وكذلك صارت تفعل الإذاعات العربية ، ولاسيما الصادر منها عن عواصم أجنبية .. بالضبط كما قال الأعرابون الأوائل (آ — نا) ليفهم عنهم المتكلمون بالضميرين !

ولما كانت الاقطار العربية في الشمال الأفريقي تختلف فيما بينها في نطق أسماء الأشهر الميلادية الأوربية أيضاً فقد اضطربنا — شخصياً — إلى أن نفعل ما هو أدهى من ذلك ، يوم ذكرنا اسم الشهر في إحدى المناسبات بثلاث لغات : (غشت — آب — أغسطس) ! (*) ..

فهل يحق لنا — أو يحق لي شخصياً على الأقل — بعد أن اقتربت هذه التركيبية ، أن استغرب تركيبة : آ — نا — تا (أنت) ؟

ولعل من أسباب تركيب الضمائر أيضاً أن بعضها استعمل بمعنى غير معنى الضمير ، كالهمزة

التي استعملوها كما قلنا للتنبيه والنداء والاشارة .
وعلى هذا يحتمل ان الهمزة في (آ - نا) كانت تعني
التنبيه فأضيف اليها النون ليؤدي معنى الضمير ، كما
هي الحال في تركيبة : هاذا (هذا) ، حيث تؤدي الهاء
معنى التنبيه و (ذا) معنى الاشارة .

كذلك يجوز ان نضيف الى السببين الانفيين
سببا ثالثا لتركيب الضمائر هو (التكرار) للتعبير عن
الجمع ، كما كنا ذكرنا عند حديثنا عن ضمير (نحن)
الذي قلنا انه مركب من (انا - انا) وربما من (نا - نا)،
ثم دخلت الحاء بينهما تنغيما .. (في المقال السابق) .

وقد يكون الغرض من التكرار هو التأكيد كالذي
نجده صريحا في اداة النداء (آيا) التي هي في الواقع
(أ ، يا) ، وكل من جزأها يغني وحده غناء الآخر ، ثم
صار التخصص بمعنى القريب والبعيد .
وقد ادى التركيب احيانا الى تكرار نفس
الضمير بهمان مختلفة مثل (اي اي) وهي تركيبة من :
اي ، آ ، يا .. وكلها اثلها : آ .

ونعيد الآن ما سبق ان نوهنا به من اننا لا نقصد
ان ثلاث طوائف من البشر كل منها يتكلم بأحد
الضمائر قد اجتمعت في مكان واحد في وقت واحد
فالتقت الضمائر العنصرية البسيطة في ضمائر مركبة ،
لكن الاغلب ان ذلك قد جرى بالتعاقب في أكثر من
مكان . وان استعراض ضمير مطول مثل : أنتما (أ ،
ن ، تو ، ما) ليساعدنا على ادراك هذه الحقيقة .
ولعل النصف الاول من هذا الضمير (ان) قد نشأ
على حدة في مكان ، و (تأ) قد نشأ على حدة في مكان
آخر ، بدليل وجوده وحده في مثل (نظر تأ) ، ولعل
النون قد أبدل ميما في مكان ثالث .. هذا عدا الاماكن
الآخري التي غيرت حركات (آ ، نا ، تا ، نا) حتى
كان الحاصل النهائي (انتما) .

تحليل الضمائر

فما دامت الضمائر مركبة فان خير ما نفعله بها
لنتمكن من حل طلاسمها والنفوذ الى اسرارها هو ان
نخضعها للتحليل فنردها الى عناصرها البسيطة ،
البداية الثلاثة ، التي لا تقبل التجزئة لان كلا منها لا
يزيد في النطق على مقطع واحد : آ ، نا ، تا .

واليك تحليل الضمائر المنفصلة :

أنا = آ + نا .

نحن = نا + ح (زائدة) + نو (اثلها : نا) .

أنت = آ + ن (نا) + تا .

أنت = آ + ن (نا) + تي (نا) .

أنتما = آ + ن (نا) + تو (نا) + ما (نا) .

انتم = آ + ن (نا) + تو (نا) + م (ما ، نا) .

انتن = آ + ن (نا) + تو (نا) + (نا) .

هو = او (آ) + آ .

هي = اي (آ) + آ .

هما = او (آ) + ما (نا) .

هم = او (آ) + م (ما ، نا) .

هن = او (آ) + نا .

وأما الضمائر المتصلة فهكذا تحليلها في الفعل

الماضي :

ذهبت (أنا) = ذهب + تو (تا) .

ذهبتا = ذهب + نا .

ذهبت (المخاطب) = ذهب + تا .

ذهبت (المخاطبة) = ذهب + تي (تا) .

ذهبتما = ذهب + تو (تا) + ما (نا) .

ذهبتن = ذهب + تو (تا) + م (ن ، نا) .

ذهبتن = ذهب + تو (تا) + نا .

ذهب = ذهب + آ .

ذهبا = ذهب + (آ) .

ذهبوا = ذهب + او (آ) .

ذهبت (هي) = ذهب + آ + ت (تا) .

ذهبتا = ذهب + آ + تا .

ذهبتن = ذهب + نا .

وأما في الفعل المضارع فهكذا تحليلها :

أفعل (أنا) = آ + فعل + او (آ) .

نفعل = نا + فعل + او (آ) .

تفعل (أنت ، هي) = تا + فعل + او (آ) .

تفعلين = تا + فعل + اي (آ) + نا .

تفعلان (أنتما ، هما) = تا + فعل + آ + ني (نا) .

تفعلون = تا + فعل + او (آ) + (نا) .

تفعلن = تا + فعل + نا .

يفعل = يا (آ) + فعل + او (آ) .

يفعلان = يا (آ) + فعل + (آ) + ني (نا) .

يفعلون = يا (آ) + فعل + او (آ) + نا .

يفعلن = يا (آ) + فعل + نا .

أما أفعال الأمر فتسبقها الهمزة دائما ان كان
الأمر مباشرا اي موجها الى المخاطب ، وأما أمر

المتكلم والغائب بواسطة اللام فخارج عن موضوعنا الآن :

- افعل (انت) = اي (أ) + فعل .
 افعللي = اي (أ) + فعل + اي (أ) .
 افعلنا = اي (أ) + فعل + آ .
 افعلوا = اي (أ) + فعل + او (أ) .
 افعلن = اي (أ) + فعل + نا .

ولئن كانت همزة الامر مكسورة هنا فهي مضمومة في مثل : انظر ، انظري . وعندئذ يكون تحليلها : انظر = او (أ) + نظر .. الخ

وقد جزموا آخر فعل الامر فلم تظهر عليه حركة، من باب الاستعجال رغبة منهم في سرعة انفاذ الامر ، ربما منذ عهود الغاب بأخطارها ووحشيتها . فمن أجل ذلك حذف النون من أواخر صيغ المضارع المنتهية به مثل : تفعلين ، تفعلان ، تفعلون . فبدلاً من القول (اهرين ، اسمعان ، اضربون) قالوا : (اهربي ، اسعيا ، اضربوا) ، استعجالاً أو عنفاً . ولعل النون كان موجوداً في هذه الأفعال أول الامر ، ثم زال . وأما صيغة (تفعل انت) فقد كان تخفيفها عند الامر بحذف الضمة من آخرها فحصب ، كما يجري عليها عند الوقت أيضاً .

وأما صيغة (افعلن انتن) فلم يحذف نونها لكيلا تلتبس الصيغة بالمفرد المذكر (افعل انت) ، وإن كان عامل تجنب اللبس لم ينجح في مواطن أخرى . لكن ربما كانت بعض المشاكل الغابية قد نجمت من مثل هذا الالتباس فاضطروا الى الاحتفاظ بالنون .

وأما ابقاء النون في صيغة أمر المخاطب (افعلن) فيظهر كأنه مناقض لهذه القاعدة ، إلا أن قليلاً من التمعن يرينا أن التأكيد ، لا الاستعجال ، هو المقصود في هذه الصيغة . فمن أجل هذا أسماه النحويون نون التوكيد . وقد جاء هذا التوكيد على درجتين : خفيفة بتشكين نون (افعلن) ، وشديدة بتشديده .

وأما الضمائر المتصلة بالاسماء اضافة وبالحروف جراً فيمكن تحليلها على هذا المنوال :

عندي = عند + اي (أ) .

عندنا = عند + نا .

عندك = عند + آ + ك (انها : نا ، بدليل ان التاء ما زالت في الفارسية تقوم مقام هذا الكاف مثل : كتابت = كتابك .. وبدليل استعمال التاء عند

العرب أنفسهم في الفعل مقابل الكاف في الاسم مثل : ذهبت ، مقابل : ذهابك ، وذهبتا مقابل ذهابكما .. عندكما = عند + كو (تو ، قا) + ما (نا) .. الخ وقد تتشابه الضمائر في أول الفعل كالياء في : يفعل ، يفعلان ، يفعلون ، يفعلن .. وكالتاء في : تفعل (انت ، هي) ، تفعلان (انتها ، هما) ، تفعلون ، تفعلن.

ومهما يكن فإن النحاة لم يعتبروها ضمائر متصلة ، ولا سيما أنهم وجدوا لحسن حفظهم ضمائر غير متشابهة في أواخر الأفعال ، كل واحد منها له لفظ خاص ومدلول معين . لكن جابهتهم مشكلة فقدان مثل هذه الضمائر المتميزة في بعض الأفعال مثل : افعل (أنا) ، تفعل (انت ، هي) ، فعل (هو) .. فكان منهم أن حلوا المشكلة بقولهم أن فاعل الفعل ضمير (مستتر) تقديره : أنا ، أو انت ، أو هو ، أو هي .. ولم يخطر لهم ، والحق معهم في ذلك الزمان ، أن الهمزة والتاء والياء والنون في أول الفعل ، وان الفتحة والضمة والكسرة في آخره ، أن هي الا بقايا متكررة ، لكن غير مستترة ، تمثل ضمائر مندرسة ، كتقطعة من فك يجدونها في كهف قبتاريخي ليستدلوا بها على آدمي كهفي قديم .

تخصص الضمائر

لا شك أن الاعراب الغابي قد خالجه سرور كثير يوم اكتشف أو تعلم (أ) ، فصار يستعملها للتعبير عن شؤون مختلفة ماكان يعرف سابقاً كيف يعبر عنها. ومثل ذلك أو ما يقاربه يمكن أن يقال عن كل من (نا) و (قا) ، لانتنا نعتقد كما قلنا أن كل رهط من أهل المعربة كان أول الامر يستعمل واحداً من هذه الضمائر الثلاثة اهتدى اليه حسب ظروفه الزمكانية . ولعل فرح كل رهط منهم بكلمته السحرية تلك ، التي فتحت له عالماً جديداً شائقاً من التفاهم والتكاشف ما كان يقل عن فرح الانسان الحديث عندما اكتشف التلفزيون !

غير أنه - الانسان القديم - اضطر الى استعمال الواحد الذي يملكه من هذه الضمائر الثلاثة الجذرية بمعنى الضمير العام كالذي أوضحناه ، أي للدلالة على كل الاشخاص والاشياء واسماء الاشارة والموصولات وادوات النداء والاستفهام (أ ؟) والايجاب (اي) .. وشؤون أخرى . وسبب ذلك طبعاً هو فقره اللغوي المدقع قبل اهتدائه الى الفاظ أخرى يستعمل كل واحد منها لواحد من تلك المعاني الكثيرة .. اشبه

وثمة عامل ثالث هو اختلاف نطق الحركات
فتحاً وضماً وكسراً كما تقدم بنا ، فتنحصت كل
حركة بضمير ، وأبسط مثال على ذلك وأوضحه التاء
في : فعلت بالفتح (انت المخاطب) ، وفعلت بالضم (أنا)
وفعلت بالكسر (انت المخاطبة) ، وفعلت بالتسكين (هي)
بل ان مجرد الاختلاف في اطالة الحركة او
تقصيرها قد يسبب احداث ضمير جديد ، مثل : سمع
وسمعا ، ومثل : ذهبن وذهبننا ، ومثل : يذهب
ويذهبوا (في حالة الجزم) .

تباين الضمائر

على ان الجماعات العربية لم تتفق قط في
تخصيص الضمائر وتحديد وظيفة كل صيغة منها ، الا
في الفصحى ، اي بعد جمع مفردات اللغة وتثبيتها في
المعاجم . واما في الدارجات فلم تتفق حتى هذه الساعة

ففي المغرب يقولون (تفعل) وهم يقصدون
(افعل) . نعم انهم يقولون (أنا نفغي) أي : أنا اريد . فلما
إذا ارادوا جمع المتكلم قالوا : نبغيو ، نقولو ، نمشيو .
وفي سوريا وغيرها يقولون (افتي) وهم يقصدون
المخاطبة الذكر ، هذا بالإضافة الى قولهم (هن) بمعنى
(هم) . والعرب عموماً ما عادوا يفرقون بين التأنيث
والتذكير في هذا الضمير ، غير أنهم على عكس
السوريين يقولون (هم) بمعنى (هن) .

وأما المصريون فيستعملون الميم بدل الواو في
مثل : راحوا ، اكتبوا ، ناموا ... ينطقونها : راحم ،
اكتبم ، نامم .

وأما العراقيون فهم على العكس من ذلك
يستعملون الواو بدل الميم في مثل : انتم ، رحتم ،
جيتم .. ينطقونها : اتتو ، رحتوا ، جيتوا . كذلك يقول
العراقيون (تسمعا) بمعنى (تسمعنه) بلفظة بغداد ،
وبمعنى (تسمعها) بلفظة الموصل ، وهذه الأخيرة لفة
بر الشام .

وجميع العرب فيما يظهر صاروا يعاملون المثني
معاملة الجمع . الآن ، في مثل : قالوا ، يأمرون ، اسمعوا .
اسمعا .. فينطقونها : قالوا ، يأمرون ، اسمعوا .

ولابد ان امثال هذه الاختلافات . والتطويعات
كانت أكثر تنوعاً وأكبر عدداً في غابر الزمان ،
قبل ظهور الفصحى المشتركة .

وبسبب كثرة الهجرات القديمة من المعربة الى
الاراضي المجاورة وما يليها ، من مختلف القبائل ،

بالراعي الذي يملك من دنياه عصاه يحمل عليها متاعه
عند المسير ، ويتوكأ عليها عند التصعيد في الأكام ،
ويركزها في الأرض ليستظل تحتها بعباعته عند الهجرة ،
ويهبس بها على غنمه .. وله فيها مأرب أخرى .

وإذا عدنا الى المقارنة مع انساننا المعاصر قلنا
ان عربي الغابة استعمل الضمير العام شبيهها
باستعمال الانسان الحديث تلفونه السحري الذي فتح
له افقاً رائعاً من التواصل والتفاهم حتى ان
أكثر الذين حصلوا على جهاز التلفون لأول مرة ، ان
لم نقل كلهم ، جعلوا يحدثون به هذا وذاك من اقاربهم
وأصدقائهم ومعارفهم لا لضرورة ولكن لمجرد التمتع
بهذه البدعة الحضارية (اللغوية) ! ومن الطبيعي ان
هذا الانسان الحديث ، الساحر ، المسحور ، استعمل
التلفون اول الامر لمختلف انواع مخابراته ، القريب
منها والبعيد ، قبل اهتدائه الى الحضار (الجهاز
الذي يخاطب به الرئيس رؤوسه وهم في حجراتهم
كأنها يستحضرهم به) ، واللاسلكي والمشبوات
(التليفزيون) ، والمحذار (الرادار) ، التي أصبح
يستخدم كلا منها للغرض الملائم ، كما استخدم جده
العربي كلمة (آ) لمختلف الأغراض قبل أن يكشف :
أنا ، أنت ، تيك ، ذاك ..

وتخصص الضمائر من أحسن الامثلة للتخصص
التطوري في اللغة ان لم يكن احسنها . تستعمل
كلمة في معنى عام ، ثم يظهر لها مرادف فيتخصص أحد
المرادفين بجزء من ذلك المعنى العام . وكلما ظهر
مرادف آخر تخصص بجزء منه . فإذا تمت معاني
الاجزاء كلها وظهر مرادف جديد ، لم يجد له معنى
سائبا يتخصص به فيبقى مرادفاً ، وما أكثر الامثلة
على ذلك . ومن التخصص مثلاً : تيك وتلك ، فهما
صيغتان مختلفتان مبنى متفقتان معنى ، لكن القوم
مغ انهم قد استوفوا أسماء الاشارة فخصوا كل
واحد منها بلفظة تدل عليه ولم تعد بهم حاجة الى
آخر ، خصصوا من باب الترف اللغوي صيغة (تلك)
بالانثى البعيدة و(تيك) بالانثى المتوسطة .. على قول
النحاة .

ان أهم العوامل التي ساعدت على تكاثر
الضمائر وتنوع صيغها هو (الاختلاط) الذي انضى
الى التركيب كالذي قلنا .

وثمة عامل آخر هو (الإبدال) اي تغيير بعض
حروف الضمير ، مثل ضمير (هن) الذي قلنا انهم
إبدلوا نونه ميماً فصار (هم) وتخصص كل منهما
بمعنى .

جانب عروض التجارة ما لا نظير له اليوم في أية عاصمة كبرى من (عروض) الادب شعرا وخطباً ومواعظ ومفاخرات ومناجزات ، وكلما لديهم من افاتين منتجات الكلمة في الادب مع مختلف شؤون السياسة والاجتماع والدين .

وقد كان من الاسلام ان اضفى على تلك (الفصحى) العربية صبغة رسمية لظهوره في بؤرة اشعاعها (مكة) ولنزول القرآن بها على الاخص ، محفظه المسلمون في جميع انحاء الارض العربية ، وتعلمه حتى الصبيان الذين استقامت السنتهم عليه الى ان شبوا وشابوا . ثم جاءت العناية باللغة جزءاً من العناية بالدين فتناولوها جميعاً وتدوينها ودرسها وتحقيقها وتنسيقها وتقنين قواعد صرف ونحو .. حتى ثبتت القواعد والانفاظ ومنها الضمائر على النحو الذي وعته لنا المعاجم وكتب اللغة .

وقد أدى ذلك الى امرين : احدهما وقف حركة ذلك التطور اللغوي الجاهلي العفوي واحلال تطور ثقافي حضاري في محله اقرب الى العمدية والتناسق. والثاني ان الجماعين والمدونين اللغويين ائنفوا من كل ما لم يعدوه فصيحاً من لغات القوم الكثيرة ولاسيما لغات من سموهم النبط ونحوهم ، وبذلك توحّدت اللغة وثبتت .. فكان ذلك خسارة كبرى لمدارس اللغة وبركة كبرى للثقافة والادب .

صيغ المجهول

وكان من اشكال الاختصاص الكثيرة المتنوعة ان بعض الضمائر ، المتصلة في اوائل الافعال ، قد تخصصت بمعنى الفعل المبني للمجهول . ويلوح لنا ان اول ظهور صيغ المجهولية كان في الفعل المضارع ، فقد قال بعضهم مثلاً : ارى ، نسمع ، يضربون — بفتح اول الفعل ، ونطقها آخرون بضمه ، فتخصصت الصورة الثانية مع الزمن بمعنى المجهولية .

أما نطق بعض الفتحات ضمات فليس بالمستغرب في العصور الاولى ما دام بعض العرب يمارسه حتى اليوم . فالسوريون وغيرهم من بعض العرب ينطقون اسم (بغداد) بضم الباء بدلاً من فتحها . بل ان بعض العامة واشباه العامة من العراقيين انفسهم ينطقون اسم وطنهم (العراق) بضم العين !

وبعد ان استقر معنى المجهولية لهذه الصيغة الجديدة في الفعل المضارع صيغ منها الفعل الماضي على طريقة تصريف الافعال المبنية للمعلوم ، فقالوا

وفي مختلف الظروف والاقوات ، كان من الطبيعي أن نجد الضمائر العربية في الاعجيبات أيضاً مختلفة المعاني أحياناً ومختلفة المباني أحياناً . وبعبارة أخرى ان كلا من الضمائر الآرية يمثل احدى القبائل العربية القديمة ، كما ان اختلاف العرب اليوم في مباني الضمائر أو معانيها يعني ان كلا منها يمثل احدى القبائل العربية القديمة (باستثناء ما طرأ عليها بعد ذلك من تطور طبعاً) .

ولنأخذ اهم الضمائر واكملها من الناحية التركيبية لانه المركب المشترك الاصفر ، وهو (انت) فهو في العربية — الباقية — ضمير المخاطب الفرد الذكر . وهذا الضمير رأيناه يطالعنا في الفرنسية بنصفه وينفس ترتيب حروفه بصيغة (- ent) ضميراً متصلاً بالمضارع للجمع مثل accident : يؤيدون ، كما رأيناه في الفارسية بصيغة (اند) وهو يستعمل بالمعنى الفرنسي في حالتي الماضي والمضارع معاً مثل : مكيدند (مكوا ، والمك هو المص) ، وميكند (يمكون ، يمحون) . وتكون همزة الضمير (اند) اظهر في مثل صيغة : مكيد اند (مكوا ، مصوا) ، في زمن مضى) .

كذلك يختلف معنى ضمير (هو) في الانكليزية عنه في العربية . فقد وجدناه فيها بنفس اللفظ (هو — who) لكن بمعنى : الذي . كذلك صيغة (هي — he) التي قلنا انها تعني في الانكليزية (هو) . وسوف يبر بنا الكثير من النماذج الماثلة حين نستعرض الضمائر في العربية وبعض الآريات تحت عنوان (معان أخرى) ، ونطلع على ما بينها من توافق وتباين.

توحيد الضمائر

وعندما ظهر الاسلام كانت اللغة العربية تحتل مرحلة تطورية معينة لها خطورة خاصة ، حيث كان الشعر السائر والامثال المتداولة المتبادلة والخلطة في الاسواق ونحوها قد اخذت تبلور لغة (فصحى) مشتركة بين مختلف القبائل والبطون ، غير لغة التخاطب المحلي أو القبلي . وكانت تلك الفصحى تتألف بوجه عام من لغات بعض القبائل التي كانوا يعدونها افصح العرب من سعد وهذيل وتميم .. وكانت تغلب عليها — أي الفصحى — مسحة قرشية بوجه عام ، لاجتماع العرب سنوياً بمكة في (معرض دولي) يشارك فيه العرب من كل صوب باسم (سوق عكاظ) . وقتل من المعارض الدولية اليوم ما يعني بالاداب وفنونها عناية سوق عكاظ بها . فقد كان القوم يتبادلون فيها السى

آخر يلائمه في ظروفه الجديدة ليلاً به أيامه ، ومثل ذلك ما فعلته غلاصم الإنسان اذ أصبحت تحتكر الجراثيم وتكافحها لتخفيف وطأتها عن الجسم .

شين النفي :

ولعل أحسن نموذج للزائد اللغوي المعاصر ، في الدارجات العربية ، هو حرف الشين الملازم للنفي في الجملة المغربية والمصرية : مش ناسي ، ما عرفتشي..

واثل هذا الشين هو كلمة (شيء) لحقت أولاً بالفعل المتعدي النفي لغرض التأكيد فقالوا : ما عرفتشي ، ما قال شي ، ما اكلوا شي ..

وهذا ما لا يزال سائر العرب يقولونه ولكنهم يقصدون معنى (شيء) حقيقة أي : لا أعرف شيئاً ، ما قال شيئاً ، ما اكلوا شيئاً ..

أما في المغربية والمصرية فالمقصود بتلك التعابير وإمثالها مجرد النفي أي : لا أعرف ، ما قال ، ما اكلوا . وبعبارة أخرى أن هذا الشين قد فقد معناه تماماً في الدارجتين المصرية والمغربية وأصبح (زائداً لغوياً) .

فكيف حدث هذا ؟ الواضح أن كثرة استعمال كلمة (شيء) مع الفعل المتعدي النفي لغرض التأكيد جعلتها تلتصق به وتعم كل تعابير النفي ولو لم يقصد بها التوكيد .. ثم تعم ثانية فتشمل حتى الفعل اللازم الذي لا يجوز ذكر (شيء) معه بصفته مفعولاً به ، مثل : ما جاشي ، ما يروحشي ، ما يمشيش ، ما يصحش .. ثم تعم مرة ثالثة لتشمل جميع حالات النفي حتى في التعابير التي لا فعل فيها ، وعندئذ تلتصق (شيء) بالحروف وغيرها في التعابير غير الفعلية : مش أنا ، مش عارف ، ما عندناش ، مالوش دعوة . وتختلف استعمالات الشين قليلاً في المغربية عنها في المصرية ، وليس هنا مجال التوسع في ذلك .

وبعد أن فقدت كلمة (شيء) معناها على هذا الوجه اضطروا — الناطقون بالشين — إلى استخدام كلمة أخرى تقوم مقامها في اللغة لتؤدي معناها في مختلف مطالب الحياة فوقع اختيارهم على كلمة (حاجة) بمعنى الشيء . فإذا قال الحجازي : ما شاف شي ، قال المصري ما شافشي حاجة (= ما شاف شي + حاجة) .

للمجهول (فعل) بضم الفاء من قولهم (يفعل) بضم الياء .. بينما نعتقد فيما يخص صيغ المعلوم أن صيغة الفعل الماضي أسبق إلى الظهور من صيغ المضارع والأمر .. وليس هنا مكان لتعليل ذلك .

ونكتفي بالذي قلنا عن صيغة المجهول الآن تاركين الصيغ الاشتقاقية الأخرى : انفعل ، تفاعل ، تفعل ، افتعل .. إلى فطنة القارئ .

حركات الاعراب

الزائد اللغوي :

يظهر أن كل نوع من أنواع التطور يترك وراءه مخلفات من الرواسب . ومن نماذج رواسب التطور في عالم الأحياء أرجل صغيرة خفية لثعبان البوابة تحت الجلد لا تبين ولا تعمل ، وغلاصم للإنسان يقول التطوريون أنها من رواسب مرحلة الحياة المائية .

وما أكثر الرواسب في حياة البشر الاجتماعية في كل بيئة متطورة مما يسمى بالتقاليد والعرف والعادات تخلفت من آثار سابقة ، أشبه ببقايا الماء في الحفر يتركها وراءه السيل المذهب .

واللغة — كأننا حياً متطوراً — لا تشذ في هذا الباب عما يجري في عالم الأحيائيات وعالم الاجتماعيات ، ولا سيما أن اللغة كيان حي من جهة واجتماعي من جهة . ومن الرواسب اللغوية زوائد متخلفة من عهد تطوري كانت لها فيه وظيفتها ، ثم تقلبت الأحوال ففقدت وظيفتها أو اعتاضت عنها بغيرها . وأشهر نموذج لهذا في العربية (ما) الزائدة بعد (إذا) . وهي تكون زائدة كذلك عند وقوعها بعد : حين ، وكى ، وحيث ، وغيرها .. لأن معانيها لا تتغير إذا أضيفت إليها (ما) فصارت : حينما ، كيما ، حيثما ..

وإذا اعتبرنا أصل وظيفة (ما) هو الموصولية بمعنى (الذي) لغير العاقل ، فهي في هذه الشواهد قد فقدت هذا المعنى تماماً وبقيت بلا معنى . على أنها في شواهد أخرى قد استعاضت عن معناها المفقود بمعان جديدة في مثل : لما ، طالما ، ما دام ..

وهذا عين ما يجري في عالم الأحياء ، فبعض الرواسب التطورية ، أي الأعضاء الأثرية ، تفقد عملها تماماً كأرجل ثعبان البوابة ، وبعضها تستبدل وظيفته جديدة بوظيفتها المفقودة ، كالموظف المحال على التقاعد يفقد عمله المألوف فيجد لنفسه عملاً

الاولى (= الرجل + او) ، وفي الحالة الثانية (= الرجل + آ) ، وفي الحالة الثالثة (الرجل + اي) .

واذا شق على القارئ العزيز هذا التخريج كان علينا أن نذكره بالانفعال التي سبق أن حللناها على هذا الوجه :

انفعلوا = اي + فعل + او .

انفعلا = اي + فعل + آ .

انفعلي = اي + فعل + اي .

فالضمائر هنا من الوضوح بحيث لا يمكن انكارها ، او اغفالها .

والضمة التي تلحق بالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل لا تختلف عن الضمة اللاحقة بالفعل . وليس اعون لنا من التحليل في ايضاح الامر ، فلنعد اليه لننظر من خلاله الى الحركات الاعرابية الثلاث في العبارات التالية في الاسم والفعل معا :

الضمة ، في مثل : ينتصر الحق (= ينتصر + او + الحق + او) .

والفتحة ، في مثل : سمع النداء (= سمع + آ + النداء + آ) .

والكسرة ، في مثل : اعتصمي بالصبر (= اعتصم + اي + بالصبر + اي) .

اي ان نفس الضمير الذي التصق بالفعل قد التصق بالاسم في الامثلة الثلاثة .

الذي يؤيد هذا تأييدا ممتعا هو وجود حركة الضمة في اواخر الالفاظ البابلية من الانفعال والاسماء على السواء . فقد كانوا يقولون — من الانفعال مثلا :

سخنو (sahanu) : سخن .
قلفو (qalafu) : قلف (قشر) .
صرمو (saramu) : صرم (قطع) .

ومن الاسماء :

ايدو (idu) : يد .
ملاحو (mallahu) : ملاح .
تريتو (tarbitu) : تربة .
حرتو (hirtu) : حربة .

وهنا تجابهنا نقطة مهمة . ان الفعل لا يعتبر كلاما منفيدا بذاته ما لم يقترن بالاسم الذي وقع الفعل منه او عليه (في حالة المجهولية) ، فاذا غاب ذلك الاسم جاء بنائبه الضمير ليبدل عليه . لذلك كان من

واذا كان الشين تد سميناه (الزائد اللغوي) فان كلمة (حاجة) يمكننا تسميتها (العوض اللغوي) وهو الكلمة التي تحل محل كلمة فقدت وظيفتها . وهذا العوض اللغوي ان لم يكن مرادفا لسلفه فلا بد من سلب معناه واعطائه معنى سلفه ، وعندئذ ينبغي أن يحل محله بدوره عوض لغوي آخر ليؤدي معناه السليب .

على أن (شي) تظهر في الدارجة السورية في مثل تولهم : اعطيني شي كتاب أدبي ، أو : تعرف شي طبيب اسنان ؟ ولعل القارئ قد سمع نصري شمس الدين يعني : « لو بتحاكيني شي مرة يمكن تحييني » ! والظاهر أن (شي) في هذه التعابير تعمل كأداة تنكير بمعنى (واحد) ، اي : لو بتحاكيني مرة (واحدة) . اي ان (شي) هنا لم تتعطل عن العمل بل ابدلت به غيره .

وفي المغرب (كل شي) — وينطقونها كلمة واحدة (كلشي) — تعني : كله ، أو كلهم ، أو كلنا .. فاذا ارادوا ان يقولوا (كلنا نريد) قالوا : كلشي نيفيو .

وفي العراق يوجد الشين في (كلشي) — بكسر اللام مشددا — بمعنى (جدا) ، في مثل : كلشي زين : جيد جدا .

الضمير الزائد :

اظننا بعد هذا التمهيد المطنب نستطيع أن نقتحم الموضوع الوعر الذي نريد اليه ، فنقول ان ما جرى على كلمة (شيء) قد جرى ما يشبهه على الهمزة الضمير . لقد تعددت وظائف الهمزة كالذي رأينا وكثر التوكؤ عليها في الكلام فاضافوها الى الانفعال في اولها أو في آخرها ، حتى لقد اضيفت الى الفعل الواحد في بعض الحالات في اوله وفي آخره معا مثل : اذهب (= اي + ذهب + آ) و : انفعلي (= اي + فعل + اي) .. بل لقد اضافوها حتى الى نفسها في مثل (ايا) للنداء (= آ + آ) .. وفي مثل اياي (= اي + آ + آ) ! ..

فالذي نعتقد ان حركات الاعراب ليست الا روااسب تطويرية من الهمزة في مختلف حالاتها النطقية : آ ، او ، اي .

واليك هذه التعابير نوردها على طريقة التحويلين : جاء الرجل ، ورأيت الرجل ، ونظرت الى الرجل . فاذا نحن حللنا كلمة الرجل وجدنا انها في الحالة

الطبيعي ان تتصل الضمائر بالافعال ويظهر بعضها على صورة فتحة أو ضمة أو كسرة . غير ان الاسم لا يحتاج الى ذكر الضمير معه لان الضمير ما هو الا نائب الاسم ، يذكر عند غيابه ليبدل عليه . اما عند وجود الاسم فالاسم هو الذي يدل على نفسه . فكيف ظهر معه الضمير اذن ، والتصق به ؟

قالوا بصيغة الامر : اذهب آ ، اذهب او ، اذهب اي .. لكي يعرف السامع من هو المقصود بفعل الذهاب . فلماذا قالوا : الرجل آ ، الرجل او ، الرجل اي ؟ كيف انتقل هذا الضمير من الفعل الى الاسم ؟

الذي نظنه هو انهم كما استعملوا الضمير مع الفعل ليخبر عن فاعله (المسند اليه) استعملوا الضمير مبتدأ مؤخرًا ، فقالوا : صغير او ، مريض او ، جائع او ... بمعنى صغير هو ، مريض هو ، جائع هو .. مثلاً قالوا في الفعل : سخن او ، صرم او - في البابلية .

وقد تكرر ذلك فيما يظهر الى حد انه صار عادة نطقية فلتصق الضمير بالاسم على هذا النحو وامثاله ، ثم عم فشمّل جميع الاسماء مبتدأ وخبراً بدون تمييز . وقد رأينا كيف جرى ما هو اكبر من ذلك على شين التنفي الذي لصق بالافعال المتعدية اولاً ثم شمل جميع الافعال ثم جميع حالات التنفي .

وواضح ان ظاهرة تحريك اواخر الالفاظ تد نشأت لدى الفريق الذي كان الضمير عنده هو الهمزة . وهنا تجلبنا الظاهرة اللغوية الاخرى التي عرضت لنا اكثر من مرة في مراحل هذا الحديث ونعني بها ظاهرة اختلاف القوم في نطق الحركات . فقد كان من اختلافهم في نطق الهمزة ان كانت عند بعضهم (آ) وعند بعضهم (اي) وعند بعضهم (او - o) وعند بعضهم (او - ū)

وقد رأينا الضمة في المفردات البابلية التي اوردناها آنفاً . اما الفتحة فنجدتها في السريانية الشرقية - العراقية بوجه عام - التي تنطق فيها الاسماء البابلية الالفظة الذكر هكذا : ايدا (ida) ملوحا (maloha) تريبثا (tarbitha) حروتا (hirouta) . واما في السريانية الغربية - الشامية بوجه عام - فتنتطق بحركة آخر الاسم بين الفتحة والضمة ، اي مزقونة بالتعبير السرياني ، هكذا : ايدو (ido) ، ملوحو

(maloho) ، تريبثو (tarbitho) حروتو (hirouto) . غير ان الافعال السريانية قد تخلص بعضها من هذه الحركة وبقيت ظاهرة على بعضها مثل : شرمو (sharmo) : شرم او صرم ، فرو (fro) : فرا (قطع) .

ومن عجب اننا نجد الضمة علامة اعراب في الاسماء الاغريقية واللاتينية لكن متبوعة بالسين ، ففي اللاتينية تنطق ضمة مستقيمة كالأكدية ، مثل : calamus (قلم) Antonius (انطونيوس) . اما في الاغريقية فتنتطق الضمة مزقونة كما في السريانية : kalamos و iogos (كلمة) . وهي تنطق في الايطالية كالسريانية تماماً اي بدون السين مثل : gatto (قط ، هر) ، و Antonio

ويجوز ان تكون هذه الزقنة الايطالية منحذرة من لهجة لاتينية قديمة ، كما يجوز ان تكون ترخيماً من اللاتينية المعروفة بحذف السين ، كالذي حدث للسين في الفرنسية حيث اهلوا نطقه ترخيماً بالرغم من انهم لا يزالون يكتبونه في مثل : suis, les, des

ولا ندري هل بنا حاجة الى القول الآن ان الهمزة نفسها في الامثلة السابقة كلها قد ذابت واختفت ولم يبق الا حركتها اثرًا يدل عليها . فان الهمزة كما هو معلوم اكثر الحروف تعرضاً للتخفيف او الذوبان . واذا كان بعض اللهجات العربية ومنها الفصحى تعترف بهمزة صلبة لا تحذف في اول الكلمة سماها النحاة همزة القطع فان بعض العرب كانوا يصلون - اي يحذفون - حتى همزات القطع ، وما زال المغاربة يحذفونها عند قراءة القرآن في مثل (له ما في السماوات وما في الارض) يقرؤونها (فلرض) بكسر الفاء وفتح اللام كأنها كلمة واحدة من وزن دهمشق ، و(والآخرة) يقرؤونها (والآخرة) من وزن عباقرة .

والذي يظهر من المفردات التي استعرضناها من اللغات البابلية والارمية والاغريقية واللاتينية ان كل فئة من ابناء المعربة كانت تنطق باحدى هاتيه الحركات المستقيمة او المائلة ، لكن تلك الحركات التقت وتخالطت وتفاعلت في المعربة - ذلك المسبك اللغوي الكبير - فأخضعها ذلك للقاعدة اللغوية الاخرى التي نوهنا بها اكثر من مرة ايضاً وهي قاعدة التخصص . فالظاهر انه نشأ جيل من العرب في زمان ما ، في مكان ما ، ينطق ابناؤه بمختلف الحركات في وقت واحد بدون تمييز . ومع مرور الزمن اخذت تلك الحركات المختلفة تبحث لنفسها عن عمل تختص

به حتى استقرت كل واحدة منها فأصبحت تدل على مجموعة من حالات الاعراب الكثيرة .

وكانت اقواها الضمة فيما يظهر ، اي ان الجماعات التي كانت تنطق بالضمة كانت اكثر عددا أو أعز جانباً من الجماعات الأخرى ، فالتصقت ضمتهم بالاسم في جميع الحالات الاعتيادية المهمة من الكلام سواء في الجمل الاسمية والفعلية : الشمس طالعة ، يهرب الغزال .. اي في الجمل التي تتكون من كلمتين (مسند اليه ومسند) . حتى المفعول به ما زال يرفع اذا تألفت الجملة منه ومن الفعل (في حالة الفعل المبني للمجهول) . اما اذا اجتمع الاسم الاصلي (الفاعل) مع اسم آخر في الجملة الفعلية فان الفتحة هي التي تتولى الاسم الطارئ ، من المفعولات ، والحال ، والظرف ..

وبتعبير آخر ان الرفع اختص بالمسند اليه في الجملة فاعلا كان أو مفعولا به ! فاذا ظهر معه في الجملة الفعلية اسم آخر أو أكثر انبرت له ظاهرة لغوية ثالثة هي قاعدة (تجنب اللبس) لتعمل عملها فيه واذا بالفتحة تتخصص بجميع الاسماء عدا المسند اليه وخبره ، اي جميع حالات المفعولية وما اليها . ومن التعميم والتجوز المبالغ فيه ان نسمي ذلك تخصصا فان حالات النصب في العربية من الكثرة والتنوع بحيث يصعب وصفها او تحديد معناها بتعبير واحد . وانما تبدو اقرب الى التخصص حالة الجر التي انحصرت في الاضافة وبضعة حروف .

ونعود لنستدرك فنقول انه ليس حتما ان تكون الحركات الثلاث قد تخصصت في وقت واحد ، فمن المحتمل ان بعضها قد تخصصت قبل بعض . كما ان وجود حركة واحدة في البابلية والارمية لا يدل على ان ظاهرة الاعراب بالحركات الثلاث لم تكن قد نضجت وتبلورت في المعربة عند هجرة الاكديين — البابليين القدماء — والارميين ، ولكنها ربما لم تكن قد عمت جميع العربيين ، او كانت قد عمت ثم اخذت تزول عند بعض العرب ولا سيما من جاور الاعاجم منهم وخالطهم .

والواقع ان الماثورات الوثائقية تدل على العكس من ذلك ان ظاهرة الاعراب كانت موجودة على اتمها في المعربة منذ عهد سحيق ، لان الاكديّة نفسها وكذلك سائر الساميات القديمة — كانت في عهدها الاولى خاضعة للاعراب بالحركات الثلاث . وما الحركة الواحدة في البابلية الحديثة والارمية الا مرحلة

تطورية متأخرة تمثل وشك الاعراب على الاندثار . فهي تمثل نهاية عهد الاعراب لا بدايته .

ومما يدل على قدم الاعراب في العربية وجوده في بعض الآريّات على وجه يقارب الاعراب العربي ، ولاسيما اللغتين الاوربيتين القديمتين : الاغريقية واللاتينية . وما يزال الاعراب موجودا في بعض اللغات الاوربية المعاصرة كالروسية والالمانية والايطالية . والفروض على كل حال ان الآريين عموما قد غادروا المعربة قبل الساميين عموما ، بزمن طويل.

تدريس النحو

وانه لمن العبث الاستمرار في تعليم قواعد اللغة العربية على الطريقة التفصيلية الماثورة ، التي جعلت علم النحو اصعب العلوم على التلميذ وابغضها الى نفسه الهشة وذهنه الجديد .

فالمصواب عندنا ان الاسم — المعرب — يكون مرفوعا في جميع الحالات الاساسية اي حين يكون عماد الجملة او خبرا له ، الا اذا نصبته (ان) واخواتها. والذي نعنيه هو ان (ان) تنصب الاسم ولا ترفع الخبر ، لان الخبر مرفوع اصلا ! اما (كان) واخواتها فلا ترفع ولا تنصب ، وانما هي كبقية الافعال لها فاعل . وكونها افعالا ناقصة لا يغير من الامر شيئا . فاذا قلنا : (اصبح الجو باردا) كان (الجو) فاعلا لفعل (اصبح) ، واما (باردا) فقد نصب لتمييزه عن الفاعل فحسب ، مثل نصب المفعول به وغيره في : ضرب زيد عمرا ، وصيرت الحرارة الماء بخارا ، واتقبل السكان مترنحا يمينا طورا وشمالا احيانا ففر الصبيان خوفاً ، واعطى بكر خالد صدقة صاعا تمرا . واعطي (بصيفة المجهول) خالد صدقة صاعا تمرا ..

فبعد ان يقال للتلميذ ان الاسم المعرب يكون مرفوعا اذا كان عماد الجملة او خبرا له (بصرف النظر عن كونه فاعلا او مفعولا به) ، يقال له ان الاسم يكون مكسورا اذا وقع مضافا اليه او مجرورا بأحد الحروف المعروفة . وفيما عدا حالتها الرفع والجر هاتين يكون الاسم منصوبا في ذلك الخليط الكبير من الحالات الاعرابية الأخرى .. ومنها حتى حالات الجر التي حذف منها حرف الجر نفسه ، اي حين يكون منصوبا بنزع الخافض على تعبير النحاة .

وبعد ان يتعلم التلميذ ذلك ويتكّن منه ، لا بأس ان يعلموه ما شاعوا من التفصيلات اذا هو اراد التخصص في اللغة وآدابها .

الفعل (ذهبوا) ، ولما كانت هذه الصيغة تشبه قولهم (ذهبوا) بمعنى الجمع فقد انبرت قاعدة تجنب اللبس وأفسحت المجال لضمير (أ) الذي كان ينطق به بعض الاعربين فيما يظهر فراجت صيغة (ذهب) بفتح الباء للفرد و(ذهبوا) بفتحها ومدها للاثنتين .

وهذا كله عن صيغة الماضي ، فأما المضارع فقد استأثر فيه ضمير (أو) بجميع صيغ الفرد هذه : اذهب أنا (= اذهب + أو) ، تذهب أنت ، يذهب ، تذهب هي .. وصيغة الجمع : تذهب .

وبدلاً من التحدث عن كل ضمير على حدة نؤثر أن نعرض الضمائر المنفصلة كلها لنظر القارئ الكريم مع ما يقابلها من الضمائر المتصلة في صيغ الماضي والمضارع وأمر المخاطبين ، تاركين له التمعن فيها وملاحظة ما يجري منها على قاعدة وما يجري منها على مصادفات الاعتباط التطوري :

أنا : ذهبت ، اذهب
نحن : ذهبنا ، نذهب
أنت : ذهبت ، تذهب ، اذهب
أنت : ذهبت ، تذهبين ، اذهبي
أنتما : ذهبتما ، تذهبان ، اذهبا
انتم : ذهبتم ، تذهبون ، اذهبوا
انتن : ذهبتن ، تذهبن ، اذهبن
هو : ذهب ، يذهب
هي : ذهبت ، تذهب
هما : ذهباً ، يذهبان
هما : ذهبتا ، تذهبان
هم : ذهبوا ، يذهبون
هن : ذهبن ، يذهبن .

التشبية والجمع

القرائن اللغوية تنبئ أن الاعربين عمدوا إلى تكرار اللفظة للدلالة على الجمع ، وقد سبق أن قلنا أن ضمير (نحن) مركب أثلاً من تكرار (أنا) ، وأن بعض اللغات ما زالت تجمع الأسماء بتكرارها كما في الإندونيسية (سودارا سودارا = صديق صديق ، أي : اصدقاء) .

وقد وجدنا كلمة عجيبية تؤيد هذه الفكرة وتخرجها من طور النظرية إلى ما يقرب من اليقين ، وهي (آنان) الفارسية وتعني : أولئك ، هم . ومفردها (آن) : هو لغير العاقل ، ذلك للعاقل وغيره ، كما قلنا قبل . وواضح أن (آنان) ما هي إلا تكرار (آن).

ماذا ستكون النتيجة ؟ النتيجة ستكون أن يخسر التلميذ العلم بالقواعد النحوية العقيمة ويربح المقدرة على الكلام الصحيح بغير عناء . فإذا قيل له لماذا نصبت (سيفاً) في قوله : إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ؟ أجاب لأنه لا مرفوع ولا مجرور ! ولا عليه أن يجهل أنه مفعول به أو تمييز أو حال أو ما يسمونه خبر كان . فإن المقصود هو أن يتعلم كيف يصوغ الكلام الصحيح . وذلك فيما نطن خير من أن ندهمه - التلميذ المسكين الأنف الذكر - بتلك القواعد النحوية العسيرة فيخسر تعلم القواعد النحوية والمقدرة على الكلام الصحيح معاً ، كما هو شأن أربعة أخماس حملة الدكتوراه والليسانس من خريجي الجامعات العربية .. على أقل تقدير .

الضمائر المتصلة

يظهر أن الاعربين استعملوا الضمائر منفصلة أول الأمر فقالوا : ذهب أنتما ، ذهب انتم ، ذهب هن .. ثم التصقت الضمائر بالافعال فقيل في حالة الفاعلية : ذهبتما ، ذهبتن ، ذهبن . والواقع أن بعض الضمائر المتصلة ليست إلا اختزالاً للضمائر المنفصلة كما في هذه النماذج ، أو إعادة لها بنصها كضمير (هو) في قولهم في حالة المفعولية : رأيتهم (رأيتهم) ، وكضمير (هما) في : رأيتهما ، و(هن) في : رأيتهن . ولعل بعض الأقدمين الحقوا ضمير (هم) مثلاً بالفعل فقالوا (نام هم) بدلاً من (ناموا) ، لكن هاء (هم) خففت مع الزمن فنشأ النطق المصري الذي نوهنا به : (عرفم ، نامم ، راحم) أي النطق اليعرسي المدرس فيما يبدو ، ويمثله النطق المصري الراهن . وبعد تخفيف آخر زال الهم أيضاً وبقيت الضممة وحدها فنشأ نطق الفصحى : عرفو ، نامو ، راحو .

ومهما يكن فإن قاعدة الحاق الضمير بالافعال مختزلاً أو معاداً قد اختلت ، ففي قولهم (رأيتهم) كان ينبغي أن يعيدوا ضمير (هي) فيقولوا (رأيت هي) ، أو يختزلوه فيقولوا (رأيتي) ، لكننا لا نجد إحدى هاتين الصورتين في لغتنا في الماضي أو المضارع ، وإنما نجد الثانية منهما في صيغة الأمر (اذهبي) ، لكن هذه مخففة من (تذهبين) لا من (ذهبي) .

كذلك ضمير (هو) الذي استعملوه متصلاً في حالة المفعولية مثل (رأيتهم) لا نجده متصلاً في حالة الفاعلية فلم يقولوا (ذهبوا) ، بل (ذهب) . وأغلب الظن أن هاء (هو) قد ذابت تخفيفاً فصار

وبعبارة تحليلية أوضح ان (آنان) = آن+آن، وان هذا التكرار لم يكن المقصود به سوى الجمع . اي ان أصل معناه كان (هو هو) بمعنى هم ، أو (ذلك ذلك) بمعنى أولئك .

لكن بما أن (آن) وحدها تعني الفرد و(آنان) تعني الجمع فقد وقع في وهم الاجيال اللاحقة التي ورثت صيغة (آنان) ان (آن) الثانية تعني أداة الجمع. لذلك لما تطور الضمير (آن) فصار ينطق (اين) بمعنى هذا ، لم يجمعوه بطريقة التكرار على (اين اين) ، بل اضافوا اليه (آن) الثانية بصفتها أداة جمع فقالوا (اينان) : هؤلاء (= اين + آن) .

وبعد ان رسخت مكانة (آن) كأداة للجمع شملت جميع الاسماء اول الامر عند الناطقين بها فيما نظن . ثم ظهر قوم نطقوها (هان) و (ها) .

وبعد الاختلاط والتعايش تخصصت (آن) في الفارسية بجمع ذوات الروح من حيوان وانسان وكواكب ، وقد كانت الكواكب تمثل ارواحا وآلهة عند القدماء كما هو معلوم . وتخصصت (ها) بجمع الجهادات أولا ، ثم اخذت تنافس (آن) أخيرا في جمع العاقل ايضا ، في الفارسية الحديثة . وأما صيغة (هان) فقد صارت في الفارسية تعني التحذير اي التنبيه ، وسوف نطالعنا ثانية مع أثلا (آن) في مجال حيوي آخر . فلنتركها وشأنها الان .

ووفاتنا لنظريتنا في امومة العربية نعتقد ان استخدام (آن) أداة للجمع نشأ في المعربة أولا . فأول دليل على هذا هو أن (آن) ما زالت في المعربة أداة (التثنية) وهي ادنى الجمع . بل انها ما زالت باقية في جمع الكثير من الاسماء العربية ، كالاخ والصبي والفلام والفارس والتدويم والقضيب والحمل والذئب.. فهذه الاسماء كالكثير سواها ما زالت تجمع على : اخوان وصبيان وغللمان وفرسان وندمان وقضبان وحلجان وذؤبان . والنسوان جمع ضاعت فردته في اطواء الزمان .

ويكثر هذا الجمع على الاخص فيما يدل على الانسان من الصفات التي وردت على وزن (افعل) كالابيض والاسود والاطرش ، فهي تجمع على بياض وسودان وطرشان .

ولئن كانت لأداة الجمع هذه صيغة واحدة في الفارسية هي (آن) فما زالت لدينا منها في المعربة خمس صور : آن ، اين (بفتح الهمزة) ، أون (بضمها)

اين (بكسرهما) ، أون (بفتحها) .. نجدها في قولهم : سيادان ، صيادين (اثنين) ، صيادون ، صيادين (جمع) ، يرضون . وقد تخصصت الصيغتان الاوليان بالتثنية كما هو غني عن البيان ، والثالثة والرابعة بالجمع ، والاخيرة بجمع المضارع المقصور .

والظاهر ان جميع الاسماء كانت تجمع وتثنى في العربية بالالف والنون اول الامر ، ثم اراد الاعربي ان يخص التثنية بتعبير خاص بها يميزها عن حالتي الافراد والجمع ، وربما كان ذلك لاسباب اجتماعية بقصد الدلالة على (الزوجين) من الذكر والانثى عندما أصبحت للحياة العائلية اهمية خاصة عنده . وقد ساعده على هذا التمييز بين التثنية والجمع ظهور صيغ جديدة ، فاخصص الصيغة الاصلية (آن) بالتثنية وترك الصيغة الطارئة (اون) للجمع .

ولئن كانت (آن) أداة تثنية للعاقل وغيره فالذي نعتقد ان (اون) ايضا كانت أداة لجمع العاقل وغيره، وما زالت شواهد من جمع الجهادات على طريقة جمع المذكر السالم تطالعنا في العربية في مثل جمع البرة — بضم ففتح — على برون وبرين — والسنة على سنون وسنين ، والارض على ارضون وارضين، والمئة على مئون ومئيين .

ثم انه لما كثرت صيغ جمع التكسير عند مختلف القبائل والبطون وراجت أخذت (اون) تتخصص بجمع العاقل .

ويلاحظ ان صيغ (افعل) التي تجمع بالالف والنون (كالسودان والبيضان والعرجان) تدل على الانسان ، فاما اذا اريد بها غيره فهي تجمع على سود وبيض وعرج . وهذا احد مظاهر تخصص ضمير (آن) بالانسان ، ونحسبه يفسر لنا كيف تخصص في الفارسية بذوي الروح اول الامر ، ثم تخصص بالانسان وحده في اللغة الحديثة .

ولم تظهر في التثنية صيغ تكسير ، او ظهرت واندرجت ، فبقيت التثنية كلها سالمة ، للذكر والانثى، والعاقل وغيره .

التأنيث وجمعه

أداة التأنيث في الاكدية هي التاء يلحقونها بالاسم المذكر . فمثلا (بعلو) تصبح (بعلتو) . وهذا عين ما نجده في العربية : (الرؤ) مؤنثة (المرأتو) ، و (الهرؤ) مؤنثة (الهرتو) ، وهكذا . وأما قولنا رأيت المرا والمرأة،

بافتحة على كليهما ، فشبيه بنطق السريان الشرقيين : بعلا وبعلتا .

وقد ظهرت هذه التاء فيما يبدو من اضافة ضمير (ت) الى الاسماء ، وهو الذي نجده ضميرا متصلا بالفعل الماضي (فعلت هي) للدلالة على معنى التأنيث أيضا ، (فعلت = فعل + ات) .

وكان بعض العرب يخففون تاء (المرأة والهرة) فينطقونها اثنى بالهاء او الفتحة القصيرة ، فصارت هي القاعدة عند الوقف عموما . لكن بعضهم ينطق التاء حتى عند الوقف ، وقد سمعت محاضرة ذات مرة من اذاعة بيروت كان المحاضر يقول في اثنائها (الجامعت ، الكليات ، الحريت) . وهذي هي طريقة الفرس في نطق معظم الالفاظ المؤنثة المقتبسة من العربية مثل : دولت ، امانت ، مشروطيت . وهي كذلك طريقة الفرنسيين في مثل : ce (هذا) ومؤنثها : cette (هذه) ، و fils (ابن) ومؤنثها : fille (بنت) . اما الايطاليون فينطقونها فتحة في آخر الاسماء المؤنثة مثل gatto (هر) ومؤنثها gatta (هرة) ، ومثل bravo (بارع) ، او مرحى للذكر) ، و brava (بارعة) ، او مرحى للانثى) .

وقد تحير النحاة العرب في امر علامة التأنيث هذه هل هي التاء ام الهاء . واخذ بعضهم ومنهم الفيروزبادي في قاموسه بنظرية الهاء . لكن الذي يبدو لنا مما تقدم انها التاء ، اي ضمير (ات) ذابت همزته وبقيت الفتحة على ما قبله دليلا عليها .

واما جمع المؤنث السالم بالالف والتاء فالاعلم انه ناشى من مد فتحة ما قبل التاء ، مثل : ذئبت ، شجرت ، حركت .. كان بعضهم ينطقها بالمد : ذئبات ، شجرات ، حركات .

وعادة اطالة الحركات عند بعض العرب ما زلنا نجدها في المغرب ، فان حميد ، مدير ، بالتى .. ينطقها اكثرهم : حاميد ، مودير ، باللاتى .. وما اكثر ما تسمع من بعضهم : والله العاظيم .

ويبدو من هذا الباب نطق المصريين ببعض اسماء الاناث مثل : زينات ونعمات ، بدلا من زينت ونعمت .. وقولهم : دمك شربات ، ونعتقد ان اثلها (شربت) كما ينطقها العراقيون ، وتعني الاشربة الحلوة ، وفصيحتها (شربة) .

فلما التقى النطقان — نطق المؤنث بالمد وبالقصر — تخصصت الفتحة القصيرة بالقرء والطويلة بالجمع .

التنوين

تنوين الاسماء يعد عند النحاة اشارة تمكنها من الاسمية ، واول مشكلة يثيرها لهم تفجير الضمائر في هذا الصدد هي ان الافعال ايضا تنون كالاسماء ، وان تحليل قولهم بصيغة امر المفرد (اذهبن) يكشف انه (= اذهب + ان) .. كما ان قولهم رجلن (رجلا) (= رجل + ان) ! ومثل ذلك يقال في : « لنسفنن بالناصية » . ومن تشديد النون نشأت صيغ اخرى مثل : لاعذبنه او لياثيني بنبا عظيم .

ويبدو ان التنوين كان اكثر شيوعا في الافعال مما وصل الينا من ماثورات العرب . وما زال الجنوبيون من اهل العراق يكثر من تنوين الفعل في مثل : اصبن ، واصومن (= اصب ، واصوم) .. ومنها الاغنية الشعبية العراقية المشهورة : ما اكر اقولن آه خوف الفضيحة (= ما اقدر اقولن آه..) وواضح ان هذا مجرد لهجة ، وليس المقصود بها التوكيد كما هي الحال في الامثلة السابقة .

ولعل من دلائل شيوع التنوين في الافعال قديما تنوين الفعل المضارع في السكونية : bringan (يجلب) ، و beatan (يضرب) ، و sceawian (يرى) ، وتنطق (شاويان) ولعلها من العربية : شاف يشوف .

والذي نظنه ان بعض العرب كانوا يلحقون بالالفاظ ضمير (آن) بالاضافة الى اولئك الذين كانوا يلحقون بها ضمير (آ) . فان مسح هذا فهو سبب نشوء التنوين ، والا فلا مناص لنا من ان نفترض انهم الحقوا الهمزة اولا ثم الحقوا بها النون ثانيا . لكننا نرجح الاحتمال الاول .

وعندما التقى التنوين بحركات الاعراب تخصص التنوين بالتذكير وبقيت الحركات غير المنونة لحالات التعريف بوجه عام . ولعل من هذا القبيل ضمير (آن — an) الذي تخصص في الانكليزية بالتذكير مع الاسماء البدواة بالهمزة .

فعلى هذا يكون تحليل الاسم المنون هكذا : واتفا = واقف + آن . واقف (بالضم) = واقف + اون .

واقف (بالكسر) = واقف + اين .

اما الانفعال فالتنوين فيها يعني التوكيد بوجه عام . الا انه بالنظر لكثرة الضمائر المتصلة لم يمكن تخصيص صيغة منونة لكل منها لان الحركات لا تزيد على الثلاث ؛ لهذا صار قولك (لتذهبن) بفتح الباء وتشديد النون - يعني المخاطب والغائبة ؛ وبضم الباء يعني المخاطبين والمخاطبات ؛ وبكسرها يعني المخاطبة . وهذا شبيه بما رأيناه من (تخصص) كل واحدة من حركات الاعراب الثلاث بعدد من حالات الاعراب في الاسماء . اما صيغة (لتذهبان) فيكون توكيدها بتشديد النون ؛ واما الیذهبن) فهي توكيدية بالتخفيف او التشديد .

ويلاحظ ان النون يحذف من الاسم النون عند الوقوف فمن اجل ذلك كتبوا الفتحة المنونة الفاء اي كتبوها كما ينطقونها في حالة الوقوف عليها . ولم يكتبوا الضمة المنونة واوا ولا الكسرة المنونة ياء لان الوقوف عليها يكون بالسكون اي يحذف النون والحركة التي قبله . ومعنى هذا انهم لم يرسوا التنوين في الكتابة الى ان ظهرت علامات شكل الحركات في العربية فصاروا يرسون التنوين حركة مضاعفة اي فتحين او ضمتين او كسرتين .

التعريف

لم يقتصر استعمال الضميرين (آ ، وآن) على الحالات الآتية الذكر ، وانما استعمالا للتعريف ايضا !

اما (آن) فتطالعنا بنصها اداة تلحق الاسم لتعريفه في لغات اليمن المدرسة . و(آن) هذه قد صادفناها اكثر من مرة كاسم اشارة واداة جمع في الفارسية ، واداة تثنية وجمع وتنكير في العربية ، واداة تنكير في الانكليزية ..

والظاهر ان معنى الاشارة هو الذي اعطاها معنى التعريف ، يؤيد ذلك لنا ان (آن) التي هي اداة تعريف في اللينيات القديما ما زالت تستعمل في الفارسية كاسم اشارة . وهذا دليل واهن في الواقع لان الضمائر استعملت بمعان شتى ومنها ضمير (آن) نفسه . غير اننا نلاحظ ان اللاتينية ليست فيها اداة خاصة للتعريف لان الاسم يعتبر فيها معرفة بذاته كالفارسية وبعض الساميات القديمة ، لكن اللاتين استعملوا في حالات التوكيد ادوات الاشارة مع الاسماء بمعنى التعريف .

يقول الايراني اليوم (آن قلم) بمعنى : ذلك القلم . فكذلك جدنا ساكن الغاب اذا قال (آن شجره) - اي هذه الشجرة او تلك الشجرة - يكون قد عرفها لمخاطبه من بين الاشجار الاخرى . ومع الزمن اصبح قوله (آن شجرة) يدل على الشجرة المقصودة ولو كانت غائبة عن العيان . ودأبت الاجيال على ذلك حتى صارت (آن) اداة للتعريف .

وقد ابدل بعض الاعربين الهمزة هاءا فنطقوها (هان) ، ويظهر الضمير على هذه الصورة اداة للتعريف في العبرية القديمة ؛ ربما موروثا عن امها الكنعانية .

وقد نطقها آخرون من العرب مرخمة (ها) كما يتضح من اكايب بعض اللغات العربية البائدة كاللحيانية والثمودية والصفوية (نسبة الى روابي الصفا التي اكتشفت فيها بعض الاكايب منقوشة على الحجر ، بسورية) ، فقد ورد في هذه اللغات مثلا: ه و ع ل (الوعل) ، ه ج م ل (الجلل) ، ه د ر (الدار) ه ب ي ت (البيت) .

ويحتمل ايضا ان (ها) لم تتكون ترخيما من (هان) بل ابدالا من الهمزة (آ) .

ولا نؤثر الانسياق مع الاحتمالات الآن لكثرةها وتشعبها ، فان جذور الضمائر وفروعها من التشابك والتعقيد بحيث يتعذر احيانا ان نستل احدها من بين اخوانه دون مساس بسواه .

وايضا كان اثل (ها) فقد كانت اداة تعريف في تلك اللغات البائدة ، وقد رسموها هاءا مجردة : (ه) ، ويقلب على ظننا انهم كانوا ينطقونها بالمد (ها) في هذه الالفاظ وامثالها - او في بعض تلك اللغات على الاقل - لان القوم لم يكونوا يستعملون حروف المد في كتاباتهم ، فقد كانوا مثلا يكتبون (در) ليقرووها (دار) كالذي رأينا ، و(ميت) ليقرووها (مناة) ، و(يغث) ليقرووها (يغوث) ، و(عم) ليقرووها (عام) اي سنة .

فهذا يشجعنا على القول ان من المحتمل ان (ه ج م ل) كانوا ينطقونها (ها جل) - مثلما نكتب نحن : هذه ، ولكن ، وطه .. لنقراها : ها ذهي ، ولاكن ، وطاها . على ان هذا مجرد احتمال . وانما يمكننا التأكد اذا اكتشف شعر موزون من تلك اللغات يساعدنا وزنه على معرفة حركة الهاء اطويلة هي ام قصيرة .

والظاهر ان الصيغتين (ها ، وهان) قد اندستا كادتين للتعريف لكن بقي من مخلفاتهما (هان) في الفارسية للتحذير او التنبيه ، و (ها) في العربية للتنبيه ، و(هاه) للوعيد ، وياله من تنبيه وتحذير .

قلنا ان اللاتينية كانت تستعمل الاشارة احيانا للتعريف ، واليك منها هذه الصيغ الهائية الثلاث : hoc, hic, haec (والكاف هنا مبدل من التاء كما لا حاجة بنا الى ان نقول) .

لقد افترضنا ان جدنا نزيل الغاب — طيب الله ثراه — قال (آن شجرة) بمعنى (هذه الشجرة) ثم بمعنى (الشجرة) . منها تنبص لغة (امن امبر) امصيام في امسفر) المشهورة ، التي سموها طمطمائية حبير ، لتقص علينا حكاية اخرى مفادها ان ميم (ام) التعريف هنا مبدل من نون (آن) التعريف القدمى .

ولعل هذا ابدال قد جرى عن طريق هذه الحروف الثلاثة (ب،م،ف) واهل القراءات اعلم الناس بان النون الساكن ينطق ميما قبل الحرفين الاولين في مثل : من بعد ما تبين لهم الهدى ، و : من ما رزقناهم (حتى انها لتكتب : ميا) . وينطق النون قريبا من الميم قبل الحرف الثالث (الفاء) في مثل : ينفقون ..

فمن اجل هذا يكتب الاوريون النون ميما كما ينطقونه في امثال هذه الاحوال : ambition و sympathy, و immortal, و symphony

وايا كانت الطريقة التي يكتب بها الاوريون فان النون والميم من حروف التناوب او التبادل ، اي ان مخرجيهما متقاربان فلذلك يكرر ابدال احدهما بالآخر

وبعد كل هذا لا تثريب علينا اذا نحن استنتجنا ان هذه اللغة الميمية الحميرية قد انحدرت من لغة نونية سابقة كانت تقول : انشجرة ، انفيل ، انمكان ، انبيت ، امن انبر انصيام في انسفر !

وقد بقي من تلك اللغة النونية ان بدو الهلال الخصيب ، وربما غيرهم ايضا ، ما زالوا يقولون (بيت انعامر) على حين ان الحضر ينطقونها : بيت العامر ، و(رجال انزين) والحضر ينطقونها : رجال الزين ، و(ليل انطويل) والحضر ينطقونها : ليل الطويل . وما زلت اذكر بدويا سمعته منذ ثلاثين عاما يذكر اسم الارجنتين : البلد الذي كان اخوه قد هاجر اليه في صباه ، فينطقه (عرج انتين) على اساس ان اثل الاسم (عرق التين) !

ولا ندري هل من (آن) ام من (ام) نبطت (ال) التعريف عندنا . لكننا نرجح انها من (ان) لان نطق الحروف الشمسية بعد (ال) اشبه بنطقها بعد (ان) منه بعد (ام) ..

ومهما يكن فان (ال) هي التي راجت ودامت اداة للتعريف حتى هذه اللحظة ، لا في المعربة وسائر الاقطار العربية فقط لكن في اوربا وامريكا ايضا ، نعني في اللغات المنحدرة من اللاتينية ، الايطالية والفرنسية والاسبانية .. حيث يظهر اللام اداة للتعريف في عدة صور : los, les, lo, le, la, il

اما في اللاتينية نفسها فقد ذكرنا من اسماء الاشارة التي استعملت للتعريف : haec و hic و hoc ، ونضيف اليها الآن هذه الصيغ اللامية الثلاث : illud, elle, illa : (= ال + او + د ، تا) .. ونضيف اليها ايضا بهذه المناسبة هذه الصيغ الاخرى : istud, iste, ista : وسيأتي الحديث عن عروبة هذه الصيغ الثلاث الاخيرة عند الكلام على (ظهور السين) .

ومعنى هذا ان لام التعريف قد استعملت في اللاتينية بمعنى الاشارة ايضا ، مما يؤيد ما قلناه آنفا من ان التعريف اصله الاشارة . وقد استعملوا اللام بمعنى الضمير كذلك مثل : elle (هو)، illi, illae (هم) .

والامر شبيه بهذا في بنات اللاتينية فبالاضافة الى استعمال اللام للتعريف في الامثلة السالفة نجده في الفرنسية مثلاً ضميراً بصيغة ال (هو) ، و elle (هي) .. كما نجده اداة (اشارة) بصيغة la (هناك) . وعدا هذا تستعمل ادوات التعريف تلك مع صيغ لامية اخرى كضمائر في بعض الحالات كما في قولهم montrez le moi أرني اياه .

وقياسا على ما تقدم بنا من الكلام عن الضمائر من اوله يمكننا ان نستنبط من هذا الآن ان كل هذه الصيغ، وغيرها ، قد كانت موجودة في العربية بهذه المعاني وبمعان اخرى على الاغلب ، ثم اندثر ما اندثر وبقي ما بقي .

وما دنا بصدد الحديث عن التعريف وادواته نقول ان الانكليزية قد اختارت لغرض التعريف احد اسماء الاشارة ايضا ، وهو : ذي (the) ولما كان اثل التنوين هو (آن) واثل التعريف

كذلك هو (آن) فمن السهل علينا أن نتصور أن التعريف والتذكير كانا شيئا واحداً أول الأمر ، ولا سيما أن (آن) التعريف اليمينية تلحق الاسماء كالتنوين عندنا بينما (آن - an) التذكير الانكليزية على العكس تسبق الاسم ، كالتعريف عندنا .

ولدينا الآن مثل حي على اختلاط التعريف بالتذكير ، وفي لغة واحدة ، هي الدارجة المغربية .. فهم يقولون : اشترت واحد الفروج (= اشترت ديكاً) ، وتوصلت بواحد الرسالة (= تلقيت رسالة) ، والمغرب عقد واحد الاتفاقيات الاقتصادية المهمة مع الدول العربية (عقد المغرب اتفاقيات اقتصادية..)

ها هنا اقترن الجمع بالامفراد والتأنيث بالتذكير علاوة على اقتران التعريف بالتذكير . ونتيجة الخلطة في هذه التعبيرات وامثالها هي التذكير ، أي أن لام التعريف عاقل عن العمل .. زائد لغوي .

أما البدوي الذي ذكرنا أنه يقول (بيت انعام ، ورجال أنزين ، وليل أنطويل) فالذي يلوح أنه يريد في واقع الامر أن يقول : (بيت عامر ، ورجال زين ، وليل طويل) أي أنه يقصد التنوين ، وأن الحضري يترجم كلامه إلى (بيت العامر ، ورجال الزين ، وليل الطويل) . ولعل هذا يفسر لنا كيف انتقل النون من آخر الاسم إلى أوله .

على أن البدوي نفسه يستعمل (ان) للتعريف أيضاً وفي أول الاسم ، على لغة (عرج انتين) ..

ظهور السين

ظهور السين في الضمائر حدث خطير يمثل بداية مرحلة توسعية في اللغة . ولا ندري بالدقة ما سبب ذلك الانهماك به حتى تعددت وظائفه وتنوعت كانما هو واحد من الضمائر البدائية الاصلية .

وكان أول ما لفت هذا السين نظرنا في الاسماء اللاتينية مثل : calamus (قلم) و oceanus (بحر) . ثم عرفنا السين في الاسماء الاغريقية التي وردت فيها هاتان الكلمتان بصيغة : kalamos و okeanos . وقد تطرق إلى وهما أولاً ، أن الضمة التي تسبق السين في امثال هذه الالفاظ قد جاءت من الاكديّة التي قلنا أن الفاظها تنتهي بالضمة

بوجه عام . لكن إذا كانت الضمة مقتبسة من الاكديّة فكيف ظهر معها السين نفسه ؟ سؤال طالما تحيرنا في جوابه .

وعندما درسنا الضمائر بهذه الطريقة الرئيسية (※) لمقارنة تبين لنا أن السين أيضاً من العربية ، ولو أن تأثيره التطوري في العربية ضعيف إذا هو قيس بتأثيره في الآريات وتكوين خصائصها وتواعد نحوها .

ونرجح أن هذا السين ليس بالحرف الاثني عشر (آ ، نا ، تا) ، ولا هو بالحرف الزائد كالحاء في (نحن) ، وإنما هو مبدل من التاء ، أي أن (أوس - us) في اللاتينية = او (آ) + س (ت ، تا) . وبعبارة أوضح أن (أوس - us) اثلها (أوت) !

والصاق الضمائر بالالفاظ - تصديراً أو تذييلاً - امر لم يعد يحتاج فيها نظن إلى برهان ، فهي ظاهرة قد عرفناها والفناها بعد الذي رأينا من امثلة كثيرة . وقد رأينا ضمير (أت) يلتحق بالاسم أداة للتأنيث ، و (آت) - بالمد - أداة لجمع المؤنث السالم .

ومثل ذلك فعلوا بضمير (أوت) الذي الحقوه ببعض الاسماء دلالة على المصدرية مثل : كهنوت وجبروت . ومن يدري لعل gelidus, calamus, genius و camelus في اللاتينية إنما هي من قول بعض العرب البائدة : جملوت وجنبوت (جني) وقلموت وجليدوت .. بل لعلهم نطقوها جملوس وجنبوس وقلموس وجليدونس ، أيضاً .. ثم اندثروا واندثرت معهم لهجتهم لولا ظهورها في اللاتينية والاغريقية .

وكما نجد ضمير (ات) في العربية مفتوح الهمزة في (اخوات) ومضمومها في (ملكوت) نجده مكسورها أيضاً في (عفريت نفريت) ، زادوه في (العفر والنفس) توكيداً للمعنى وتقوية لوقعه في النفس .

أن تبادل التاء والسين ليس بدعا في العربية ، فمنه : التهو والسهو ، خات بالمهد وخاس ، الترتل في القراءة والترسل .. ومنه أيضاً النسات والناس ، والاكيات والاكياس (من الكياسة) ، وقد قال شاعرهم :

لا ببارك الله بنى السملاة
عمرو بن يربوع شرار التات
ليسوا باخيار ولا اكيات !

(※) نقصد بالترسييس البحث عن الارساس - جمع رس - أي الجذور الاولى من اللفظ . ولنا كلمة عن الموضوع بعنوان « علم الترسييس » في مكان آخر من هذا العدد من « اللسان العربي » .

جدا من المعنى العربي : الذات ، الجوهر ، العنصر ، الخلاصة ..

والحقيقة ان الكلمة تعني الضمير والكينونة والوجود بالعربية ايضا في صورة (ايس) الباقية لدينا في (ليس) ! وما نقول هذا من عند نفسنا وانما هو امر معروف لدى اهل الصنعة ، وقديما قال لغويناس الكبير الفراهيدي - الخليل بن احمد - ان (ليس) اصلها (لا ايس) مستشهدا بقول العرب : « اثنني به من حيث ايس ولا ايس ، أي من حيث هو ولا هو .. » اي من حيث يوجد ولا يوجد ، او من حيث يكون ولا يكون . وتوله : « من حيث هو ولا هو » يدل على ان (ايس) ضمير فعلا . يؤيد ذلك ان كان بحاجة السى تأييد أنه ورد في الفارسية بصورة (ايش) ضميرا متصلا بمعنى (هو) ايضا . وجمعه (ايشان) ينبىء انه كان في الاصل (ايش) كائنه العربي (ايس) .

وظائف السين

ويتوزع السين على كثير من الالفاظ الاوربية، يتصدرها حيناً من قبيل (se) التي تسبق بعض الافعال في الفرنسية - وغيرها - بمعنى نفس او ذات مثل : se lever : يرفع نفسه (= ينهض) ، و s'appeler : ينادي نفسه (= يسمي ، يدعى) .. ويذيلها حيناً كالسين الذي يلتحق بآخر الاسماء علامة للجمع في الفرنسية والانكليزية والاسبانية .

ويحتل السين مكانة خاصة غريبة في الجلالة الانكليزية ، فهو يلتحق بالفاعل علامة جمع او بالفعل علامة افراد ! المهم ان هذا السين لابد منه في الجلالة الفعلية المضارعة فان لم يظهر على الاسم ظهر على الفعل ليؤدي في كل من الحالتين وظيفة مناقضة للآخرى . تقول : The girls play : الصبايا يلعبن . فاذا اردت ان تقول الصبية تلعب ، حيث لا يمكن استعمال السين للجمع اضطررت الى سحبه من آخر الاسم الى آخر الفعل فتقول The girl plays كذلك الحال في قولك The girls have played : لعبت الصبايا ، و The girl has played : لعبت الصبية . وكذلك الحال في الجلالة الاسمية ايضا حيث تقول The girls are playing : الصبايا لاعبات ، و The girl is playing : الصبية لاعبة .. كأنها السين هو ملح الارض

ونزعة ابدال التاء سينا تظهر في اللاتينية نفسها ، بل هي قاعدة مطردة في بعض الحالات ، مثل : nation التي تنطق تاؤها سينا بالفرنسية وشينا بالانكليزية ، و negotiation التي تنطق بشينين في الانكليزية ، وتكتب négociation لتتطابق بشينين بالفرنسية .

يضاف الى ذلك ان ضمير (أتا - attā) الذي يعني بالاكدي (انت) ينطق بالايطالية (essa) بمعنى (هي) ، و esso بمعنى (هو) .

اس - us

على ما تقدم لا نستغرب اذا وجدنا هذا ابدال بين الحرفين قد وقع في العربية نفسها قبل انتقال الضمير الى اللاتينية . فالواقع أننا نجد بعض الاسماء العربية قد زيد فيها (اس ، واوس ، وايس) مثل : القسطاس والمعيطوس (= التامة الخلق من ابل والنساء) ، والدربيس (= الداهية والشيخ والعجوز الفانية) .. تقابلها في اللاتينية اسماء اضيف اليها هذا الضمير بصورة الثلاث هذه ، مثل : habitas (مقدرة) ، و justus (عادل) ، واثلهما القسطاس الآتفة الذكر) ، و carnis (لحم) .

ويطالعنا هذا الضمير في العربية بصيغته السينية الثلاث واضحا صريحا في كلمة واحدة هي (الاس) - بفتح الهمزة وضمها وكسرها ! - بمعنى الاصل والاساس . واستعماله بهذا المعنى لا يثير عجبنا لان اطلاق الضمير العام على الامور الجوهرية (الاساسية) مألوف في اللغات . وقد اطلق المتصوفة العرب ضمير (هو) على ذات الله ، وطالما رددوا في انكارهم : ياهو ، ياهو ..

وكذلك فعل الاكديون من قبل يوم اطلقوا ضمير (ايا - Ea) على (الماء العذب) اكبر آلهتهم، ونفس الكلمة (ea) تعني باللاتينية ضمير الغائبة وتنطق بالعربية (هي) ! وواضح ان اللفظة انما كانت قد اطلقت على الاله البابلي الكبير عندما كانت تعني عندهم الضمير العام ، او ضمير الغائب الذكر كما في الانكليزية (هي - he) هو .

ومن صور (الاس) نجد في الايطالية ضميري essa (هي) و esso (هو) اللذين سبق ذكرهما . ومن صور (الاس) في اللاتينية : esse - بتشديد السين ايضا - بمعنى : يكون . ومنها في اللغات الاوربية الحديثة essence بمعنى قريب

بالنسبة الى الجملة الانكليزية لا غنى عنه في طعام
سائق ، اي عبارة سليمة .

وهذا الفعل المساعد (is) الذي يظهر في
الجملة الانكليزية الاسمية يذكرنا بنظيره (اس) في
الفارسية الشيرازية الذي يؤدي نفس المعنى
في الجملة الاسمية مثل : هوا سرداس (= الهواء
سرد ، اي : الجو بارد) .

فعل الكينونة

هنا نطل علينا برأسها ظاهرة لغوية خطيرة
تجيبنا على هذا السؤال الذي طالما ألح على أذهان
اللغويين فلم يجدوا له جوابا : كيف حدث أن أصبحت
الجملة الاسمية في الآريات تعتمد على فعل الكينونة ،
خلافًا للساميات ؟

في الآريات لا يقولون : انا هنا ، بل يقولون :
انا اكون هنا . ولا يقولون : الغائب معذور ، والرجال
توأمون ، وأنتم الناس أيها الشعراء .. وانما يقولون :
الغائب (يكون) معذورا ، والرجال (يكونون) توأمين ،
وأنتم (تكونون) الناس أيها الشعراء .

وبتعبير آخر لا توجد في الآريات جملة اسمية ،
لأنهم يدخلون في الجملة الاسمية هذا الذي يسمونه
الفعل المساعد بمعنى (كائن) أو (يكون) ليستقر
التعبير ويستوي عندهم .

أفليس عجيبا جدا أن تكون هذه الخصلة اللغوية
التي تعد في طليعة الخصائص التي يذكرها علماء
اللغة بين الخصال التي تتميز بها اللغات الآرية
عن العربية وبقية الساميات — اليس عجيبا جدا أن
تكون منحدره من ارومة عربية صمبية ؟

إذا تحرينا فعل الكينونة للغائب في الآريات
— الانكليزية والفرنسية والفارسية — وجدنا أنه
من (الاس) الذي مر بنا حديثه . وهو يطالعنا بصورة
(est) في الفرنسية ، و(است) في الفارسية الرسمية ،
و (اس) في فارسية شيراز ، و (is) في الانكليزية .
وهذه الأخيرة علاقتها واضحة لفظا ومعنى
باللاتينية (esse) — يكون — ومن ثم
بالعربية (اس) .

وإما صيغة (است) في الفرنسية والفارسية
فيدهشنا أن نجدها في العربية أيضا (الاست) بمعنى
الاساس والاصل ، اي انها متطورة من (الاس) بنفس
معناه . وبعبارة أخرى ان (است — est)

في الفارسية والفرنسية ليست تطورا آريا لكلمة
(الاس) وانما هي اقتباس مباشر من التطوير العربي ،
وان كل ما فعلته الآريات هو أنها تشبعت بهذه الكلمة
بصيغتها (الاس والاست) حتى جعلتها لازمة للجملة
الاسمية مثل لزوم الشين الذي تشبعت به اللهجة
المصرية والمغربية في حالات النفي .

ومعنا يكن فائنا نجد الصيغتين (اس و است)
كثيبيها في الفارسية بمعنى الكينونة للغائب ، فهم
يقولون : (كتاب مفيد است) بالفصحى الرسمية ،
و(كتاب مفيد اس) بلهجة شيراز . وكنا نظن لفظة
شيراز هذه عامية مخففة من الفصحى ، غير أننا
حسنا نرجح أن لفظة شيراز أثيلة مستقلة أي أنها
من (الاس) مثل (is) الانكليزية و (esse)
اللاتينية ، كما ان (است) الفارسية ونظيرتها
(est) الفرنسية أثلها (الاست) .

وجدير بالذكر ان همزة (اس واست) تكون في
الفارسية همزة وصل في مثل (كتاب مفيداس ، أو
مفيداست) فأنهم ينطقونها : مفيدس ، ومفيدست .
وانما تكون همزة قطع في مثل : أن عمارت
مدرسه است ، اي : تلك العبارة مدرسة .

وإذا اتخذنا هذا منطلقا لدراسة نشوء
فعل الكينونة في الآريات نجد في هذه العبارة مثلا ان
(اس ، واست) كانا ضميرين يلحقان بالالفاظ
الفارسية بمعنى (هو) . ويؤكد لنا ذلك ان (اس)
ما زال ضميرا متصلا بهذا المعنى في الفارسية
بصورة (اش) الذي قلنا ان ائله (أيس) العربي .

لكن فعل الكينونة ، أو ضمير الكينونة —
والانفصل ان نسميه أداة الكينونة —
تسهيلا للتعبير ودفعاً لكل التباس — نعم ان أداة
الكينونة تختلف صيغها باختلاف حالات الأفراد
والجمع لكل من المتكلم والمخاطب والغائب ، اي ان كل
واحد من الضمائر المنفصلة له أداة الكينونة الخاصة
به : وهي في الفارسية نفس الضمائر المتصلة
بالانفعال في مختلف تلك الحالات .

الكينونة في الفارسية

ولعل الفارسية أقدر اللغات الآرية على
إرشادنا الى كيفية نشوء أدوات الكينونة . وإيضاحا
للفكرة ندرج فيما يلي الضمائر المنفصلة في الفارسية
يلي كلا منها نظيره المتصل (الذي هو في الجملة
الفعلية ضمير متصل وفي الجملة الاسمية أداة
كينونة) :

راينا في متشكرم ، متشكرهم .. (شاكر أنا ،
شاكرون نحن ..)

وكانت النتيجة ان الضمائر المتصلة التصقت
بالاسم كما التصقت بالفعل ،
واصبحت ضرورية لتركيب الجملة الاسمية ولو لم
يكن المعنى بحاجة الى وجودها ، عند ذكر الشخص
المقصود بها . اي انها فقدت وظيفتها واكتسبت وظيفة
أخرى رمزية اشبه بوظيفة شين النفي . ويتعبر
أوضح قليلا ان أداة الكينونة بالنسبة الى المتكلم العربي
ليست الا (زائدا لغويا) بقي مستعملا في الآريات بحكم
العادة والاستمرارية . فنحن نقول (الكتاب مفيد) دون
ان نشعر ان هذا التعبير ينقصه شيء ليم أو يستقر .
لكن المتكلم الإيراني لا يشعر باستواء التعبير وراحة
النفس ما لم يضيف ضمير الكينونة (است) ، فعندها
يقول (كتاب مفيد است) ويتنفس الصعداء .. شأن
المصري الذي يشعر بعدم الارتياح اذا قال (مالي
دعوة) ، وانما يستقر الامر في نصابه عندما يقول
(ماليش دعوة) . وهذا شأن سائر الناطقين بالشيخ
طبعاً من مغاربة وغيرهم ، ان كان هناك غيرهم أيضاً.

فاذا كان القارئ الكريم يتفق معنا في القول
بان ادوات الكينونة انما هي ضمائر في الاثـمـل
— ونحسب الأدلة السالفة كافية لاتناعه بذلك —
فلا بد ان ذلك يستتبع اتفاقه معنا كذلك على ان
العبارات الآتية الذكر : الغائب معذور ، والرجال
قوامون ، وانتم الناس .. لا تعني في الآريات :
الغائب يكون معذورا ، والرجال يكونون قوامين ،
وانتم تكونون الناس .. كالذي يظن نحاتهم وانما
الصحيح ان معناها الحقيقي الاثلي : الغائب هو
معذور ، والرجال هم قوامون ، وانتم انتم الناس ..
وهذا يصدق على الآريات الاوربية التي يقع
ضمير الكينونة فيها بين المبتدأ والخبر ، واما في
الفارسية التي يقع فيها ضمير الكينونة عادة بعد
الخبر فتكون ترجمة العبارات المذكورة بالنسبة اليها
هكذا : الغائب معذور هو ، الرجال قوامون هم ،
انتم الناس انتم ..

وانما سموها أفعالا لانهم وجدوا لها صورا
للماضي غير صيغ المضارع والمستقبل فتوهوا ان
اختلاف الصور ضرب من الصرف ! ومع هذا
شعر نحاتهم — النحاة الانكليز مثلا — انها ليست أفعالا
بالمعنى الصحيح فسموها أفعالا مساعدة .

وصفوة القول انها ضمائر انقلبـت شبه أفعال .

المتصل (والكينونة)

أنا :	من	أم
نحن :	ما	أيم
انت :	تو	اي
انتم :	ثما	ايد
هو :	او	أست (اس)
هم :	ايشان	أند

ففي الجملة الفعلية نقول :

رغم ، رفته أم	ذهبت (انا)
رغتم ، رفته ايم	ذهبنا
رغتي ، رفته اي	ذهبت (انت)
رغيت ، رفته ايد	ذهبتهم
رغت ، رفته أست	ذهب
رغيت ، رفته أند	ذهبوا

وفي الجملة الاسمية نقول :

متشكرم	شاكر أنا
متشكرهم	شاكرون نحن
متشكري	شاكر أنت
متشكرهم	شاكرون انتم
متشكر است	شاكر هو
متشكرند	شاكرون هم

ويلاحظ ان الضمير المنفصل لا يستعمل عادة
في الجملة الفعلية عند وجود الضمير المتصل الذي
يؤدي معناه ، فلا يقال : نحن كتبنا ، وهم ذهبوا
الا في حالة التأكيد . وانما نقول عادة : كتبنا ، وذهبوا ،
ورأيتنا ..

وليس هذا قاصرا على العربية بل الامر كذلك
في الفارسية واللاتينية وغيرهما من اللغات التي
توجد فيها ضمائر واضحة متميزة ، متصلة بالافعال .

ان بعض اللغات لا توجد فيها ضمائر متصلة
اصلا كالانكليزية التي توجد كل الضمائر فيها منفصلة .
اما العربية فقد اخذت بنظام وصل الضمائر بالافعال
لتدل السامع على من يخبر عنه الفعل . لكن الضمائر
لا تتصل بالاسماء العربية . واما في الفارسية فتتصل
الضمائر بالاسم أيضا ، اي الصفة ،
— لتؤدي نفس الوظيفة —
اي لتدل السامع على من تخبر عنه الصفة ، كما

اي أنها ضمائر فقدت ضميريتها ، ثم أصبحت أفعالا بلا فعلية .. لها من الفعل تصريفه الزمني وليس لها دلالتة على عمل شيء .

ان اداة الكينونة شيء لا هو بالضمير حقيقة ولا هو بالفعل واقعا - خنتى . او هي شيء بين الفعل والضمير : ائبه بالحيوان النباتي .. كالحيوان يتحرك ويصيد ، وكالنبات ثابت في الارض لا يملك انتالا من موضعه .

الكينونة في سائر الآريات :

على أن نشوء ادوات الكينونة من الضمائر في سائر الآريات ليس بمثل هذا الوضوح والاطراد الذي شهدناه في الفارسية . فان ادوات الكينونة فيها - في الانكليزية والفرنسية والاطالية مثلا - ليست هي الضمائر المتصلة نفسها ، وانما هي ضمائر اخرى اختيرت ، بطريق الانتخاب الطبيعي في التطور ، من الصيغ الكثيرة المتنوعة التي تولد بعضها من بعض بسبب تبلبل الالسنه واختلاف اللهجات .

وسبب ذلك هو اما ان اللغة ليست فيها ضمائر متصلة كالانكليزية ، واما ان الضمائر المتصلة فيها ليست من الوضوح والكفاءة بحيث تستطيع وحدها أداء المعنى بمجرد ذكرها مع الفعل كما هي الحال في الفرنسية التي اصبح فيها الضمير المتصل بالفعل مجرد علامة لا تغني عن ذكر الضمير المنفصل معها للدلالة على الشخص المقصود هل هو المتكلم ام المخاطب ام الغائب ، الفرد ام الجمع ، ولو ان كل واحدة من هاته الحالات لها ضميرها المتصل الخاص بها . وبعبارة اخرى ان الضمير المتصل قد اصبح في الفرنسية (زائدا لغويا) هو الآخر . فمن اجل هذا استعملوا ضمائر اخرى لاداء معنى الكينونة في الجلة الاسمية .

وندرج فيما يلي ادوات الكينونة في الانكليزية المستعملة مع مختلف الضمائر :

اننا : am = آ + م (نا) .
نحن : are = آ + ر (زائدة ، او مبدلة من اللام : نا) .
انت : art = آ + ر (كذا) + ت (تا) .
انتم : are (آنفا) .
هو : is = اي (آ) + ز (ت ، تا) .
هي : are (آنفا) .

واما في الفرنسية فان ادوات الكينونة كما يلي :

اننا : suis = سو (تو ، تا) + اي (آ) + س (تا) .

نحن : sommes = سو (تو ، تا) + م (نا) + اي (آ) + س (تا) .

انت : es = اس = اي (آ) + س (تا) .
انتم : ettes = اي (آ) + ت (تا) + اي (آ) + س (تا) .

هو : est = است = (آ) + س (تا) + ت (تا) .
هي : هي
هم : sont = سو (تو ، تا) + ن (نا) + ت (تا) .

فعل التملك

ونضيف الى حديثنا هذا عن (أفعال) الكينونة كلمة عن (أفعال) مساعدة شبيهة بها في الآريات وقد ترجموا اسمها الى العربية : (أفعال التملك) ، لكننا نؤثر ان نسميها (ادوات العندية) لان ترجمة هذه الأفعال ليست (انا املك ، انت تملك) ولكن (عندي ، عندك) ...

والآريون يضيفون هذه الادوات الى الفعل لتزمينه اي لتحديد زمنه . وهي على اختلافها في الآريات تنتمي اثلا الى الضمائر أيضا ..

وهي في الفارسية نفس الضمائر المتصلة . وهذا معناه ان الضمائر المتصلة تؤدي في الفارسية ثلاث وظائف : الاولى تعيين فاعل الفعل ، والثانية اداء معنى الكينونة في الجلة الاسمية ، والثالثة ترمين الفعل .

اما في الآريات الاخرى - ولناخذ منها الانكليزية والفرنسية - فان ادوات العندية ضمائر خاصة بوظيفة ترمين الفعل ، وانما سموها أفعالا كأدوات الكينونة لان صيغها تختلف كذلك باختلاف زمان الفعل .

وندرج فيما يلي ادوات الترمين في الانكليزية مع مختلف الضمائر في حالة المضارع :

انا ، نحن انتم ، هم : have = ها (آ) + و (آ) .

انت : hast = ها (آ) + س (ت ، تا) + ت (تا) .

هو } has = ها (ā) + س (t ، تا) .
هي }

وأما في الفرنسية فأدوات التزمين للمضارع كما يلي :

أنا : ai = ā

نحن : avons = ā + وو (ā) + ن (na) +

س (t ، تا) .

أنت : es = ā

أنتم : avez = ā + وي (ā) + ز (t ، تا)

هو : a = ā

هي : ont = ā + ن (na) + ت (ta) .

هم :

اختلافها عن العربية :

والذي نتوهمه بعد كل الذي رأيناه من نشوء الضمائر وتطوراتها وهجراتها ان ظاهرتي التزمين والتكنين هاتين ليستا من صنع الآريات وانما هي من نتاج المصهر اليعربي . ولا نقصد (ادوات) التزمين والتكنين نفسها ، فان هذه الادوات وغيرها قد فرغنا من اثبات عروبيتها ، لكننا انما نقصد الآن عروبية ظاهرتي التزمين والتكنين كقاعدتين لغويتين .

لقد رأينا ان هذه الآريات انما تتفق في وجود هاتين القاعدتين فيها لكنها تتباين في الطريقة وتختلف في الادوات التي تستعملها لهذا الغرض — مما يدل على وحدة اصولها مع تعدد فروعها . اي ان الآريات قد اقتبست الفكرة (القاعدة) من منبع واحد .

وما دامت الادوات نفسها عربية فلنا ان نظن ان هذا المنبع الواحد الذي صدرت عنه (القاعدة) هو العربية ايضا .

والظاهر ان الاعربين الاقدمين كانوا يستعملون ادوات التزمين والتكنين لكن كل طائفة منهم استعملت ضمائرها الخاصة بها .

وقد خضعت هذه الادوات التزمينية والتكنينية لما خضعت له سائر الضمائر والمفردات اللغوية من تشابه وتباين وتحريف لفظ وتحوير معنى بنتيجة تطورات الاختلاط والتنقل .

وقد هاجر من المعربة نفر من كل طائفة من

تلك الطوائف ، في اوقات مختلفة وحملوا معهم آثارا من كل ذلك بقي منها ما بقي في الآريات . أما في المعربة نفسها فقد اندرس ما اندرس من تلك اللهجات اما لان اصحابها قد غادروا المعربة كلهم ، واما لان من بقي منهم فيها قد اندمج في المجموعة اللغوية التي خلفتها لنا الاحقاب . ولا سيما ان نزعة الابداز والتركيز اخذت تظهر في المعربة وتمكن من السنة اصحابها فأسقطوا الادوات التوكيدية اي التي يتوكأ عليها المتكلم في كلامه ، ومن جراء ذلك سماها الانكليز مثلا بالانفعال المساعدة (Auxiliary Verbs) كالذي تلقنا .

ولعل حركات الاعراب التي رأينا أننا من بقايا الضمائر كانت قد استعملت في العربية اول الامر للتزمين او التكنين او كليهما في حقبة ما ثم تغيرت وظيفتها . ويلاحظ ان حركات الاعراب داخلية في الجملة العربية ، اي انها توجد في داخل الجملة فقط ، اما اذا وقعت احداها في آخر الجملة فحكها ان تحذف او تخفف ، وذلك بحذف حركة آخرها ان كانت متحركة وحذف النون منها مع الحركة التي تسبقه ان كانت منونة (عدا الفتحة التي تبقى بعد حذف النون) .

وما هذا الحذف الا امتداد لنزعة الابداز التي قضت على ادوات التزمين والتكنين وغيرهما في العربية على ما يظهر .. بيننا اللغات الاخرى التي كانت تحرك أواخر الكلمات كانت تحتفظ بالحركة عادة حتى عند الوقف كالأكدية التي كانت تضم أواخر الالفاظ والارمية الغربية التي ترتفها والارمية الشرقية التي تفتحها — كالذي مر بنا حديثه .

على أن بعض الاعربين كانوا قد استقطوا حركات الاعراب ايضا بوجه عام ، ثم صار ذلك شأن العرب اجمعين في لغاتهم الدارجة اليوم ، وهذا امتداد آخر لنزعة الابداز ، وقد ساعدت عليه مخالطة الاعاجم ايضا . ولولا الاسلام والقرآن وما جرى بسببها من جمع وتدوين ووضع قواعد لما عرفنا اليوم شيئا عن هذه النصحي التي ننفق ما ننفق من جهد في تعلم درجتها ونحوها ، بل لانفقنا مثل هذا الجهد في تعلم الدارجة المحلية بدلا منها ، ولضاع علينا كل التراث الجاهلي وكل ما قام عليه من تراث .

ولئن كانت العربية قد تخلصت من هذه الرواسب اللغوية التطورية — التكنينية والتزمينية — التي احتفظ بها ابناء عمومنا الآريون ، فان حركات الاعراب ليست هي الاخرى الا روايب تطورية

يستطيع أحد أن يتعلمه كاملا من قواعد الصرف والنحو على حالها الحاضرة ، التي يتطلب التخصص فيها من الزمن ما يكفي للتخصص في الطب أو الذرة .

وعسى ألا يتوهم متوهم أننا بهذا نقضي على لغتنا أو نهدم حياضها ، وإنما تعتد قواعدنا وصعوبة تعلمها مع ضيق وقت التلميذ هو الذي سيفضي إلى انحلال اللغة وضياعها كالذي أصاب اللاتينية . ولا سبيل لنا إلى المحافظة عليها وانتقاذ ما يمكن انتقاذه منها إلا بتيسيرها . وقد تحدث الكثيرون فيما ينبغي نبذه أو تعديله من قواعدنا فلا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه .

إيجاز العربية

نزعة التركيز والإيجاز في العربية قد اعترضت سبيلنا غير مرة في حديثنا هذا عن الضمائر واسرارها فما مأتاها ؟

يبدو أن هذا التركيز في المعاني الكبيرة يوجبونها العبارات الصغيرة كأنها حبوب الطعام المركز للرحلات القطبية أو الفضائية — يبدو أنه امتداد لنزعة عربية قديمة العهد ، نجد آثارها في اسقاطهم بعض أدوات الكلام التي تعتبر ضرورية في التعبيرات الاعجمية بوجه عام . من ذلك مثلا قولك : لا أحب الرجل الذي يهزل وقت الجد (بدلا من : لا أحب الرجل الذي يهزل وقت الجد) ، وقولك : ذهبوا يجاهدون (بدلا من : ذهبوا كي يجاهدوا) ، وقولك : شرعت أقرأ (بدلا من : شرعت أن أقرأ) ..

أن اسقاط الذي وكى و أن ، يجعل الكلام في العربية أفصح وأوقع إلا أنه لا يجوز في الانكليزية مثلا.

فلا عجب أن اسقط العرب أدوات التكنين والتزمين وهي أشبه بالزوائد اللغوية منها بأي شيء آخر .

ومهما يكن فإن هذه الخصلة — نزعة الإيجاز — طارئة في العربية ، بدليل أنها لا توجد في الآريات المنسلخة منها باعتبار أن هذه الرواسيب والزوائد التي نجدها في الآريات ترجع بائنها إلى العربية نفسها كما قلنا .

وهذا معناه فيما يخيل لنا أن الآريات قد انتشبت من الاعرية منذ عهود سحيقة أي منذ الهجرات الأولى حين أخذت المعرية بالجفاف على أثر انحصار الجليد عن أوربا . وكانت اللغة الاعرية عهدئذ على حالتها الطبيعية الاعتيادية الأولى . غير أن الجفاف وتحول

مشابهة في المعربية ، وما تزال آثار منها مختلفة في بعض اللغات الأوروبية كالألمانية والإيطالية والروسية.. لكن بدرجات متفاوتة وطرائق متباينة .

والنتيجة النهائية التي حصلت بيدنا الآن هي أن بعض اللغات احتفظت بالتزمين والتكنين وتخلصت من الأعراب كالفارسية والانكليزية .. وبعضها احتفظت بالأعراب وتخلصت من التزمين والتكنين كنصحنات العربية .. وبعضها احتفظت بالتكنين والتزمين بالإضافة إلى حركات الأعراب كالألمانية .. وبعضها تخلصت من هذه الرواسيب جميعا كالفانتا الدارجة بوجه عام وبعض اللهجات العربية القديمة .

الفصحى

وإذا سألنا الآن أيها نفضل ؟ لم نتردد في إثارة فصاحتنا . ولا نحب الدخول في جدال طويل بهذا الشأن. فربما كان سبب إثارتنا إياها عاطفيا محتا لأنها لغتنا التي ألفنا القراءة والكتابة بها ولسراوتها بالقياس إلى مستوى العاميات . وربما كان سبب إثارتنا لها ما تمتاز به حقاً من رصانة ودقة وعمق ومرونة وتركيز .. وذخيرة هائلة من المفردات والتعابير .. عدا ما فيها من أسرار الاشتقاق وروائعها .

أما الأعراب فلا نعهده من سينات الفصحى ولاسيما أن الإقمتين قد خففوا وطأته لنا بالتخلي عنه في أواخر الكلام أي بالوقوف على السكون . أما وجود الحركات من داخل الجملة فالأغلب أنه لابناني الاقتصاد في اللفظ لأن الأوروبيين انفسهم لا يجدون مناصاً عند التقاء ساكنين من تحريك أولهما أو ما قبله بكسرة خفيفة كالذي نفعله نحن في دارجائنا .. حتى أن ضرورة التحريك هذه قد جعلت بعض القدامى من اللغويين العرب يظنون أن حركات الأعراب إنما نجت في المعربية من هذه الضرورة .

لكن هذا لا يمنعنا من القول أن بعض قواعد الأعراب والبناء بحاجة إلى شيء من تعديل وتنسيق وتنقية من الشوائب والشواذ . وقد حقق نحائنا الرواد الأوائل من ذلك ما يستأهلون عليه الثناء والتقدير حين نفوا الكثير من بدوات اللهجات الخاصة ونبذوا بعض النواشز آخذين بالاعم الأغلب .

وأحبنا الآن بحاجة إلى إعادة الكرة لنتم نحائنا المعاصرون ما بداه أسلافهم فيجاروا ضرورات العصر تنسيقاً وتعديلاً وتيسيراً . فإن تنوع العلوم اليوم جعل وقت التلميذ أثمن من أن ينفقه فيما لم

- أنت : thou = ذو (تو ، تا) .
 أنتم : you = يو (او ، آ) .
 هو : he = (اي ، آ) .
 هي : she = شي (تي : تا) .
 هو ، هي (الغير العاقل) : it = اي (آ) + ت (تا) .
 هم : they + ذي (تي ، تا) .
 وأما في الفرنسية فهي :

- أنا : je = بي (اي ، آ) .
 نحن : nous = نو (تا) + س (ت ، تا) .
 أنت : tu = تو (تا) .
 أنتم : vous = يو (او ، آ - كالانكليزية) +
 س (ت ، تا) .
 هو : il = اي (آ) + ل (ن ، نا) (راجع
 لام التعريف آنفا) .
 هي : elle = اي (آ) + ل (ن ، نا) .
 هم : ils = اي (آ) + ل (ن ، نا) + س (تا)
 هن : elles = اي (آ) + ل (ن ، نا) + س
 (تا) .

وهي في الإيطالية :

- أنا : io = اي (آ) + يو (او ، آ) .
 نحن : noi = نو (تا) + اي (آ) .
 أنت : tu = تو (تا) .
 أنتم : voi = يو (آ) + اي (آ) .
 هو : esso = اي (آ) + سو (تو ، تا) .
 هي : essa = اي (آ) + سا (تا) .
 هم : loro = لو (تو ، نا) + رو (لعل
 ائلهما : لو ، نو ، نا) .

أسماء الإشارة

قلنا أن (الهزة) استعملت ضميرا عاما واسم
 إشارة . وقد كان من جراء استعمالها أداة تنبيه
 بصيغة (ها) ان فقدت معناها للإشارة ، غير أنها
 لصقت ببعض أسماء الإشارة مثل : هذا ، هذه ،
 هؤلاء — فقلما يقول المحدثون : ذا ، ذه ، هؤلاء .
 حتى في الفصحى .

وأما (النون) فلا نراه في العربية اسما للإشارة
 او جزءا من أسماء الإشارة المتعارفة ، لكننا نجده
 في بعض الأسماء التي (تشير) الى الزمان أو المكان
 الحاضرين مثل : هنا (= او + نا) ، وهي

الجنة المعربية الى صحراء قاحلة محترقة محترقة جبلا
 بعد جبل ، وما استتبع ذلك من قسوة الطبيعة ومشاكل
 العيش وأخطاره وغزواته ومفاجئاته جعلت القوم
 أبيل الى الاقتصاد في الكلام ولاسيما في الحالات التي
 تتطلب المسارعة والمبادرة الى عمل أو قتال أو فرار .
 لهذا نجد البدوي يتكلم نتلا ، فاذا هو حدثك عن
 شيء مهما يكن تافها أو بعيدا عن الاثارة كقوله مثلا :
 شربت الماء ، أو سأنام ، أو طارت الجرادة ، أو مات
 جدي قبل ستين سنة .. تلحظ انه يقول ذلك بالفاظ
 قوية اللحن يقذفها من فمه قذف الحجارة من القلاع ،
 وببيرة اثبه بلهجة الامر منها بلهجة الخبر ، كأنها
 هي الإيمارات العسكرية الفورية في ساحة المعركة ،
 وكأنها هو يقول : شب الحريق ، هاهو العدو ،
 اضرب ، اركب ، أسرع ..

هذا ما يعن لنا الآن في تعليل خصلة الإيجاز
 التي تنسم بها العربية ، نذكره بتحفظ ، وقد يكشف
 لنا البحث عن تعليل أوجه منه في المستقبل . والله اعلم !

الضمائر الارية

جميع الضمائر المنفصلة ، في حالة المنند
 اليه — نعم جميعها — يمكن ارجاعها في الفارسية
 والانكليزية والفرنسية والإيطالية ، الى عناصرها
 الاولى من العربية . ومثل هذا يقال بشأن الكثير من
 الضمائر الاخرى في لغات آريات اخريات ، وغير آريات
 بله الحاميات والساميات .

فأما في الفارسية فهي :

- أنا : من = ما (نا) + ن (نا) .
 نحن : ما = (تا) .
 أنت : تو = (تا) .

أنتم : شما = شو (تو ، تا) + ما (نا) (وكانها
 من التاء والميم في قولك بالعربية : نظرتما) .

- هم : آنان = آن (آ) + نا (نا) + آن (آ) + نا (نا) .
 هم : ایشان = ايش (اي ، آ) + ش (س ،
 تا) + آن (آ) + نا (نا) .
 هم : آنها = آ + نا (نا) + ها (آ) .

وأما في الانكليزية فهي :

- أنا : I (آي) = آ .
 نحن : we = اي (آ) .

تصوير هجسات الضمير وخلجات الذهن — كان هو نفسه يعاني فقرا لغويا كبيرا ، فما اكتفى باستعمال كل واحد من الضمائر القليلة التي يملكها ضميرا عاما واسم اشارة ، وانما استعملها بالاضافة الى ذلك في اشتات من المعاني الاخرى التي عرضت له على طريقة الراعي التي نوهنا بها ، في استعمال عصاه ..

وقد دام ذلك احتقانا مديدة فيما يبدو ، لان تعدد المعاني التي استعملت فيها الصيغة الواحدة لم يقتصر على الضمائر البدائية العنصرية (آ ، نا ، تا) وانما شمل صيغها المتطورة ثم المركبة ، التي لا بد انهما لم تنشأ الا بعد مرور اجيال كثيرة . حتى ان ضمير (انت) الذي اعتبرناه اكمل صور تركيب الضمائر قد استعمل ضميرا عاما كالضمائر البدائية ، ثم استعمل في معان اخرى غير الضمير والاشارة ، كما سنذكر بعد .. مما يدل على ان طفولة اللغة قد استغرقت زمنا طويلا ، وانها لم تتقدم الا ببطء شديد .

وبعض هذه المعاني قريب من معاني الاشارة والضمير كالذي راينا وبعضها بعيد عنها لا صلة له بها كالذي سنرى . وما كنا لنقدم على القول ان هذه المعاني البعيدة ترجع في اثلها الى الضمائر لولا ان ضيغها يقود بعضها الى بعض من حيث المعنى او المبني ، ولولا ما مر بنا من كثرة تخططات الاعرب الاقدم التي تستدر الرثاء من جهة وتشبثاته الجريئة التي تستحق العطف والاعجاب من جهة اخرى .

ولابد ان كثرة اخطائه في نطق الالفاظ على غير وجهها واستعمالها في غير معانيها قد سبب له الكثير من سوء التفاهم وضرب الهراوات : الا ان لهذه الاخطاء المباركة فضلا كبيرا في خلق صيغ جديدة ، ساعد التركيب اللغوي على تكثيرها ، فاستعملت في معان جديدة او تخصصت في معان قديمة .. كالذي مرت بنا شواهد متنوعة منه .

الهمزة

وقد راينا ان الهمزة استعملت للتنبيه اولا ، ثم للدعاء ، ثم للضمير ، ثم للاستفهام والايجاب .

ومن توليداتنا — عدا كل ذلك — واو العطف الذي كان اولا (او) كما لا يزال العرب ينطقونه في الدارجات ، ثم ظهرت منه صيغة (و) فتخصصت بعطف الجمع كما تخصصت (او) — بفتح الهمزة — بعطف الشك كما يسميه النحاة . وينطقها بعضهم في المراق

بالانكليزية : here (بإبدال النون راء) .. ومثل الآن (= آ + نا) ، ومنها : الاوان ، والفعل آن اونا (= تمهل) و : آن اينا (= حان) . وهي بالانكليزية now (مقلوب الاون) بمعنى : الآن .

وانما يختص النون بمعنى الاشارة في الفارسية ، على هذا النحو :

اين : هذا .

آن : ذلك .

اينان : هؤلاء (للعائل) .

اينها : هؤلاء (لغيره) .

آنان : اولئك (للعائل) .

آنها : اولئك (لغيره) .

غير ان (التاء) هي الضمير الخصب الذي اختص بمعنى الاشارة في صيغ شتى ولاسيما في العربية والانكليزية :

ونجدها في العربية بابلط صورها واقدمها (تا) بمعنى هذه ، ومنها : (تي) بنفس المعنى .. وتثنى على : قان وقين . ومنها تيك ، وهاتيك ثم تلك .

وقد ابدلت التاء ذالا فنشأت صيغة (ذا) واختصت بالذكر ، و (ذي) واختصت بالانثى ، ومنها (ذه) بنفس المعنى .

وتعتمد الانكليزية كل الاعتماد على هذه الاداة الاشارية الذاتية فتصوغ منها جميع اسماء الاشارة فيها ، مثل اعتماد الفارسية على الاداة النونية . يقول الانكليز :

this : هذا .

that : ذاك

these : هؤلاء

those : اولئك .

واما الفرنسية فقد اتخذت التاء مادة لاسماء الاشارة فيها لكن بعد ابدالها سينا وهي : ça و ce, و cet, و cette, و ces, ، يختلف حالات الامراد والجمع والتذكير والتانيث . وهذا برهان آخر على ما سبق ان قلناه من ان (السين) في الضمائر الآرية يرجع في اثلها الى (التاء) .

واما في الإيطالية فنذكر صيغة cosi : كذا.

معان اخرى

جدنا المعربي الذي بدا مشروع تشييد هذا الصرح الباذخ لاروع اللغات واغناها واقدرها على

- o : او (حرف العطف) — بالاطالية .
or : أو — بالانكليزية .
ou : أو — بالفرنسية .
ou : اين — بالفرنسية .
oui : نعم — بالفرنسية .

النون

نجد النون بصيغته البدائية في الفارسية بمعنى (لا) في مثل (نا مرئي) أي لا مرئي ، غير مرئي ، ومثل :
نا معقول ..

ولا يستغرب استعمال الضمير (نا) بمعنى النفي ولا سيما اذا تذكرنا ان ضمير الهمزة قد استعمل بمعنى الايجاب في عدة لغات ، وبمعنى النفي في السكسونية وربما في غيرها أيضا . ويؤيد ذلك ان (ان) — بكسر فسكون — تعني النفي في العربية أيضا مثل : ان هو الا وحى يوحى .

ولها في الفارسية صيغة أخرى هي (نه) وتقابلها في العربية : ما ، ولا . والظاهر ان هاتين الصيغتين العربيتين متطورتان من صيغة (نا) التي اندرست في العربية بمعنى النفي وبقيت بصيغتها المديدة والقصيرة في الفارسية . ومما يدل على عروية (نه) انهم اشتقوا منها فعل (نهي نها) .

وهي تظهر في بعض الآريات بصيغة no و non ومن الجدير بالذكر ان العراقيين ينطقونها (مو — mū) في نفي الاسماء والضمائر مثل : مو آتي ، مو احمد ، مو تعبان .. اي : ما أنا ، ليس احمد ، ليس تعبان (او غير تعبان) . وهم ينطقونها (ما) في نفي الاعمال مثل : ما يجي ، ما يخالف (اي لابأس) .

التاء

بالإضافة الى المعاني الضميرية والاشارة التي نشأت من (تا) كالذي سبق ذكره ، نشأت منها من المعاني الأخرى صيغة (حتى) بمعنى : أيضا ، والى ، وكى ..

وان خامر قارئنا العزيز شيء من الريب في ان (حتى) ما هي الا (تا) قد قُتِمت بالحاء فلا بد انه ليس من المغاربة ، لان (تا) بصيغتها الاولى هذه تعني بلغة المغرب : الى ، وايضا ، مثل (حتى) . فهم يقولون : (تا تشوف) : الى ان ترى ، و (تا انا) : انا ايضا . غير ان الفرس يستعملون (تا) بالمعنيين : الى ، وكى (للتعليل) .

(يا) في مثل قولهم : يا هذا يا هذا ، اي : اما هذا واما هذا . وكذلك هي في الفارسية ، بنفس المعنى : يا اين يا اين .

وينطقها بعض العراقيين (لو) في مثل : تريد هذا لو هذا ؟

ومن واو العطف نشأت (الفاء) للترتيب والتعقيب ولا عجب في قلب الواو فاء ، فان (اين) التي ينطقها الكيرون من العرب في دارجاتهم (وين) انقلب واوها فاءا عند المصريين والمغاربة فنطقوها (فين) .

ولئن كانت الهمزة المكسورة (اي) تعني الايجاب مع القسم في مثل (اي والله) في الفصحى فانها تعني مجرد الايجاب (نعم) بالسورية والعراقية وغيرها . لكنها تظهر بشكلها البدائي الاقدم في المصرية بمعنى نعم : آ ..

اما المغاربة فينطقونها : ايه (iyyah) وربما منها نشأت الصيغة المصرية الأخرى : ايوه . ونذكر بالمناسبة انها تنطق بالارمنية : آيو (āyo) !

ومن الهمزة ايضا صيغت (اي) بفتح وسكون — وهي حرف التفسير ، و(اي) بتشديد الياء — ولها في المعجم عدة معان .

فاذا انتقلنا الى الآريات نجد للهمزة في بعضها صوراً كثيرة منها التالية :

- α : قط ، ابدأ — بالسكسونية (ومعان أخرى) .
- α : أداة تنكير تسبق الاسم — بالانكليزية .
- α : علامة تانيث — بالاطالية (ولعلها مخففة من تاء التانيث العربية) .
- α : الى (حرف الجر) — بالاطالية .
- α : عنده (أداة تزمين) — بالاطالية والفرنسية .
- α : الى — بالفرنسية والاطالية .
- αγ : نعم — بالانكليزية .
- αio : يقول نعم — باللاتينية .
- αγ : (اي) : يا (للنداء) — بالفارسية .
- αγα : (آيا) : هل ؟ — بالفارسية .
- αγο : نعم — بالارمنية .
- o : واو العطف — بالاطالية .
- o : أداة جمع الاناث — بالاطالية .
- i : أداة جمع الذكور — بالاطالية .
- o : أداة نداء — بالانكليزية والفرنسية .
- o : عندي — بالاطالية .
- o : علامة تنكير تلحق الاسم — بالاطالية .

أما الانكليز فيستعملونها بالمعنيين المغربيين في صورتين : to (الى) ، و too (أيضا) .

وقد استعملت التاء في العربية بمعنى الموصولية، وعرفوها باللام فصارت (التي) (=الـ + تي) : ومنها : اللتان ، واللتين ، والتتيا ، واللاتي ..

* * *

ولنستعرض فيما يلي بعض الصيغ المتطورة من الضمائر التي استعملت في غير معاني الضمائر واسماء الاشارة : لاعطاء فكرة اجمالية عن تعدد معانيها .

آن :

اراد غابي معربي من اهل الضمير (آن) ان يحدث صاحبه عن الوقت الحاضر فلم يجد غير هذه اللفظة التي كان يستعملها لمختلف المعاني ، فقال (آن) بمعنى : هذا الزمان . وقد استعملنا بمعنى المكان الحاضر أيضا ، اي هذا المكان . لكنها تطورت بهذا المعنى الاخير فصارت لها بضع صور بقي لنا منها في العربية (هنا) ، و(هنا) من وزن كنا وحتى — بمعنى هناك . ووردت كذلك بصيغة (هني) بفتح الهاء وكسر التون . ولعلها قد كانت لها صيغ أخرى .

لكنها بقيت بصيغتها الاولى (آن) بمعنى الزمان ، ومنها الآن والاولان ، وتظهر في الانكليزية كما تلتنا بصيغة : now . وقد قبلوا في العربية فعل (آن يثن) فصار (آني يأتي) .

كذلك ابدل الاعربون همزتها حاءا فصارت (حان حين) ومنها (الحين) بفتح الحاء او كسرها ، وقد تخصص الفتح بمعنى الاجل . وتظهر في الانكليزية بصيغة when (حينما) وهي من السكونية : hawenne

ومن مخلفات عهود التخبط التطوري بقيت لنا صيغة (آني) — زنة حتى — بثلاث معان : الزمان (حينما) ، والمكان (حيثما) والنحو (كيفما) . وتستعمل كذلك للاستفهام بهذه المعاني : متى ، اين ، من اين ، كيف ؟ وصيغة (آني) هذه تكاد تندثر الآن لقلة استعمال المعاصرين لها ، بدافع تجنب اللبس في قراءتها على الاخص .

ومن صورها (اين) للكان خاصة ، و(ايان) للزمان خاصة ، وقد كادت هذه الاخيرة تندرس هي الاخرى لشيوع صيغة (متى) .

وبينما استعمل اليمينيون القدامى صيغة (آن) في آخر الاسم للتعريف استعملها الانكليز بنفسها en في اول الاسم للتكثير !

ونشأت منها في العربية صيغتها (ان) المشددة بفتح الهمزة وكسرها وصيغتا (ان) المخففة بفتح الهمزة وكسرها أيضا .

ونلاحظ على صيغة (ان) المكسورة الخفيفة ان لها معنيين : الشرطية والنفي . وتأتي (ان) هذه زائدا لغويا كقول شاعرهم : ما ان اتيت بشيء انت تكرهه .

ولضمير (ان) على مختلف وجوه نطقه حالات لغوية ونحوية كثيرة لا نريد التوغل فيها وانما نكتفي باستلثات النظر اليها والتوصية بمراجعتها في المعاجم للاطلاع على انواعيل التطور اللغوي .

ومن استعمالات (آن) أيضا انها الحقت بالاسم توجبها لمعناه احيانا لتكسبه معنى الفاعلية ، في مثل : عطشان ، انسان ، رحمان ، سلطان .. او معنى المصدرة في مثل شكران ، وبهتان ، وغفران ، وسلطان أيضا ..

وندرج فيما يلي بعض الصور التي تقيسها ضمير (آن) في الآريات :

en : اداة تنكير تسبق الاسم المهموز — بالانكليزية ، كما تقدم .

en : في — بالفرنسية .

in : في — بالانكليزية .

in : اداة نفي الصفة ، وتذكرنا بنظيرتها العربية (ان) ، ومنها im و un — بالانكليزية، وما يقارب ذلك بالفرنسية (وهي تستعمل مثل:نا، الفارسية) — مثل : inflexible : لا ينثني، و impossible غير ممكن .

on : على (حرف الجر) — بالانكليزية
ian : اداة نسبة الى البلد مثل : Indian, Arabian — بالانكليزية .

ien : للذكر و ienne للأنثى : اداة نسبة الى البلد بالفرنسية مثل : indien : هندي، و indienne هندية .

one : واحد — بالانكليزية (واثلا : an آثنا)
un : للذكر و une للأنثى : اداة تنكير تسبق الاسم، وتعني كذلك: واحد — بالفرنسية .

ذا :

اثلها كما قلنا (تا) التي تعني (هذي) . وقد اختصت صيغتا (تا ، و تي) بالانثى وكذلك (ذي) ومنها (ذه) . اما صيغة (ذا) فاختصت بالذكر ، وقد بقيت صيغة جادة بهذا المعنى .

لكنها تكون معرفة بمعنى صاحب ، اي انها تنطق (ذا . ذو . ذي) حسب موقعها من الاعراب مثل : ذا النون . وذو النون ، وذي النون . وهي تطالعنا نسي الفرنسية بصيغ : des, du, de بمعنى الاضافة ايضا لكن بعكس المعنى . اي ان (ذا يزن) تعني في العربية صاحب يزن ، بينما Jeanne d'Arc تعني في الفرنسية : جان التابعة لآرك ، اي ان (آرك) هو (صاحب جان) .

وقد انثوا (ذا) فصارت (ذات) وجمعها (ذوات)، غير ان المثنى يأتي شاذاً بصيغة (ذواتان) وكأنه تثنية للجمع ، بدلا من (ذاتان) . ومنها الاية : ذواتا أفنان .

(وذات) هذه استعملوها ايضا كلمة واحدة بذاتها وثاتها ، اي باعتبار التاء جزءا منها لا اداة تثبت . فصارت بهذا الاستعمال تعني النفس أو الجوهر مثل : ذات الشيء ، ومنها (الذوات) باصطلاح المتأخرين : اعيان الناس والشخصيات البارزة فيهم . غير ان تثنيها (ذاتان) ، اي على القياس .

وقد استعملوا (ذو) بمعنى الموصولية ومنها القول المشهور : ويثري ذو حفرت وذو طويت . وليراجع القارئ الكريم تفصيلات معاني (ذو) واستعمالاتها في المعجم . لكننا نكتفي هنا بالقول ان العرب عرفوها باللام فنشأت : الذي (= ال + ذي) . والاعلم انهم قالوا ايضا (الذا ، والذو) اول الامر ، ثم اهلست هاتان الصيغتان . وصارت (الذي) تجمع على (الذين) في حالات الاعراب جميعها ، اما (الذون) فلم يأتنا منها في المأثورات الجاهلية الا شذرات قليلة عدوها شاذة ، من لغة : نحن الذون صباحوا الصباحا .

وتظهر (ذي) بصيغة (si) بمعنى (بلى) في الفرنسية ، وبمعنى (تعم) في الإيطالية .

وأما (إذا) فهي في الفرنسية (si) ايضا ، وفي الإيطالية (se) ، وفي التركية (ايسه — ise)

وأما في الانكليزية فبالاضافة الى صيغ الضمائر والاشارة التي وجدناها آنفا وصيغة (the) بمعنى لام التعريف ، نجد صورة though و although ولو .

انت :

بالاضافة الى ظهور هذه الصيغة في العربية بالمعاني الضميرية التي رأيناها ، وفي الفارسية بمعنى الضمير واداة التزمين والتكنين بصيغة (اند) ، وفي الفرنسية اداة تكنين بصيغة (sont) واداة تزمين بصيغة (ont) وضميرا متصلا بصيغة (ent) - نجدتها في الآريات بمعان اخرى . منها :

and : حرف العطف — بالانكليزية .

ante : اداة تسبق الاسم بمعنى قبل او سابق
مثل : antediluvian قبل الطوفان ، و
antecedent : سلف ، سالف — بالانكليزية
والفرنسية . وهي من اللاتينية .

anti : اداة تسبق الاسم بمعنى الضد والمعاكس
مثل antidote ضد السم (= ترياق) — بالانكليزية
والفرنسية . وهي من اللاتينية ايضا .

ختام :

هذا قليل حقا من كثير جدا . فعلى الرغم مما جاء في حديثنا هذا من تفضيلات لعل القارئ وجدها مسئمة ، وشواهد لابد انه رآها كثيرة — نؤكد له اننا اهللنا تفصيلات ومقارنات وضمائر والفاظا من مولدات الضمائر كثيرة اخرى .. اما رغبة في تخفيف الوطأة عن قارئنا واما لتعذر عرضها دون ما ينبغي لها من شرح وبرهان مما يأتي دوره من الحديث في آخره .

ولايضاح هذه النقطة نقول اننا تكلمنا على (الضمير العام) مثلا في اول البحث لكي نتمكن من تفهم ما سيليه من الامور القائمة عليه .

لكننا لم نستشهد من الضمائر العامة الا بالهزة والا بالقليل من حالاتها . وتركنا الباقي الكثير من الشواهد اضطرارا لاننا لم نكن قد تقدمنا بعد في البحث الى الحد الذي يمكننا من فهمها وقبولها وهضمها . فمن اجل ذلك جاء كلامنا عن الضمير العام مبسرا ، هزيلا . وقس على ذلك .

اما حين تثبت دعائم دراسة الضمائر على هذه الطريقة ، ويقتنع الباحثون اللغويون بها ، فسيمكن الدخول في الموضوع رأسا دون اضاععة وقت أو كلام في البرهنة ومحاولة الاقتناع ، كالذي فعلنا من السير مع صديقنا القارئ يدا بيد وخطوة بخطوة — مما تقتضيه جدة الموضوع على القارئ والكاتب جميعا .

ونود أن نسجل بهذه المناسبة أن هذه التفسيرات والتخريجات التي مرت بنا أنها ازجيناها على أنها بعض الاحتمالات الممكنة ، لا على أنها فيصل الخطاب .

ان الذي اردنا اليه بالدرجة الاولى هو ان نبسط طريقة للبحث لا ان نقرر حقائق نهائية لا تقبل جدالا . ذلك اننا ادرجنا من الاحتمالات المتعددة التي تتراوح على المخيلة في كل مرحلة من مراحل البحث ما تراءى لنا أهم وأقوم او اقرب الى جادة المنطق من سواه .

واننا لندعو اخانا القارئ الى التمعن في هذه الضمائر وحالاتها وتفاعلاتها ، ونحن واثقون انه واعد بنفسه احتمالات أخرى ، ولعل بعضها اقرب الى السداد من بعض هاته الاحتمالات والاستنباطات التي سقناها . وما نقول هذا مجاملة للقارئ لاننا في الواقع كثيرا ما نصح بعض آرائنا حين تعين لنا افكار أخرى ، او نطلع من الشواهد او الحقائق على جديد ، او نتذكر من الامر منسيا .

غير ان الذي مربنا — على اختصاره ، بنظرنا — كان كافيا لان يرينا كيف ان دراسة الضمائر قادرة على تغيير وجه اللغة واعطائها ملامح جديدة تثير الدهشة حقا .

انها تعزق أرض اللغة عزقا ، وتبتعث من احشائها ما لم يكن متوقعا من دفائن ومجبولات .

ولا تقف دراسة الضمائر عند اهميتها الذاتية هذه، فان لها كذلك لاهية مفتاحية في الدراسات اللغوية عموما ، فهي خليفة ان تعيننا حتى على حل بعض

المعضلات التي لا صلة لها بالضمائر . لان ما طرأ على الضمائر من تطورات وما رافقها من ملابسات وما تسرب منها مع الهجرات البشرية الى مختلف اللغات في مختلف الجهات — ينطبق على اللغة كلها ، ومن ثم ينير لنا نهجا جديدا في البحث اللغوي عامة ويساعدنا على تصحيح نهوج قديمة .

لقد توهم اللغويون من عرب ومستعربين قديما ، ومستشرقين حديثا، على دراسة العربية وافنوا اعمارا في اماطة الاقنعة عن اسرارها . وعلى الرغم من النتائج القيمة التي ظفروا بها قديما وحديثا ، صمدت امامهم في العربية وغيرها طلاسمة عنيدة استعصت على كل محاولة : التكوين ، التعريف ، الاعراب ، الجمع ، التركيب .. وامثالها من الموضوعات التي حوموا حولها ما حوموا ، فاقتربوا من حقيقتها حينما وابتعدوا حينما ، ولم يصلوا ابدا .

فعلينهم منذ اليوم بالضمائر . انها مفتاح الكثير من الاقفال اللغوية . اما (التريسي) فهو من اللغة بابها الكبير .

وكما صنفوا الكتب في العربية عن (الحروف) سوف يصنفون الكتب في العربية وغيرها عن (الضمائر) وسيجدون في العربية وغيرها عددا كبيرا من الموصولات والحروف والكواسع والرواسن ومختلف الروابط والادوات والاشتقاقات .. ترجع في اثلها البعيد او القريب الى الضمائر البدائية .. التي نبتت بذرتها الاولى وازدهرت في الغابة العربية .

(نزير المغرب العربي) — عبد الحق فاضل



تحديات في وجه الفكر العربي المعاصر

الأستاذ أنور الجندى
(القاهرة)

المختلفة في الفكر العربي وما القى اليه من ثقافات فرنسية وانجليزية وأمريكية ، أو إسلامية عربية صادرة عن فهم فقهي أو تصوفي ، أو متصل بمدارس المرسلين ، أو الجامعات ، أو الأزهر ، أو دار العلوم ، أو ما يتصل بالدعوات إلى الفرعونية أو البربرية أو الفينيقية أو الخلاف بين الأديان ، كل هذه الدعوات التي عاشتها الفترة السالفة «فترة الفعل ورد الفعل» بالاستجابة أو التحدي بين الاستعمار والتغريب وبين الأمة وفكرها في مقاومة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب « كانت في أغلبها ردا مرحليا لهجوم مركز مقصود من النفوذ الغربي الاستعماري الذي بعث الخلافت القديسة ، وأحيا الشبهات المدفونة ، وأعاد اذاعتها والهب النفوس بالاتصال بها أو معارضتها .

ولقد كان على هذه الأمة أن تنظر في يقظة وحرص إلى كل هذه الدعوات وتفهم بواعثها وغاياتها ومصادرها ، فإلى جوار كتابات المثات من المؤمنين بأمته وفكرها ، فإن هناك عشرات من كتابات الكتاب قد انطلقت لتعبر عن غرض ذاتي من حقد أو خصومة أو كراهية أو ولاء ، دون أن تعتمد أساسا على مفهوم علمي .

كل هذا كان في حاجة إلى دراسة ونظر ومراجعة كان علينا أن نكشف للمثقفين بعد أن انتهت هذه المرحلة أن النفوذ الاستعماري لم يكن يهدف من هذه المعركة الضخمة إلا خلق البلبلة والتفرقة والتزييق الفكري والروحي للأمة العربية عن طريق الفكر والثقافة ، ذلك أن الوحدة كانت ولا تزال هي الخطر الأساسي الذي يواجه الاستعمار ، ووحدة الأمة لا تتم إلا في ضوء وحدة فكر . وما دامت الأمة العربية ممزقة إلى عشرات المذاهب والدعوات والعقائد فاتها

الحق أن الفكر العربي المعاصر يعيش « اليوم » في ضوء التاريخ ، وأنا في خلال هذه المرحلة من اليقظة الفكرية العربية الباهرة نستطيع أن ننطلق بحرية لتقييم المرحلة الماضية من حياتنا الفكرية ، حيث بدأ بوضوح « الخط الفاصل » بين عصر وعصر ..

بين عصر الاحتلال والنفوذ الاستعماري والمقاومة والدفاع . وبين عصر الحرية والبناء والنهضة والعدل الاجتماعي وامتلاك الإرادة وبروز الشخصية العربية ، والتقدم نحو الصناعة والآلة والقوة الحربية والتكنيك والعلم والصاروخ ، فقد امتلكت الأمة العربية ارادتها وبرزت في التاريخ المعاصر كقوة فعالة قادرة على مواجهة بقايا النفوذ الاستعماري ، وبقايا الاستعمار الفكري والاقتصادي التي تحاول أن تستبقى من نفوذها ما ليس باقيا . ونحن اليوم في ظل النهضة العربية المصرية التي تنتشر جناحيها مظفرة ، نستطيع أن نقيم بحرية كاملة وعلى أساس علمي شامل ، مرحلة تكاملت وانفصلت وأصبحت خاضعة لتقف أمام التاريخ موقف المراجعة . هذه الفترة التي بدأت في العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين .

في هذه الفترة ، وفي ظل التيارات الضخمة المتعددة التي انطلقت من كل مكان ، سواء منها ما ارتبط بالفكر العربي أو بدعوات الشعبوية والتغريب ، أو ما تخذت به أوربا العالم العربي من دعوات ومذاهب مادية أو روحية ، إقليمية ضيقة ، أو قومية أو شرقية أو إسلامية أو طائفية سواء منها ما يرمي إلى التحلل من الدين أو التحلل من قيد اللغة العربية الفصحى ، أو بناء التصور العربي بعيدا عن الإسلام أو عن الدين جملة ، أو فضل الإسلام عن القومية ، هذا الصراع بين المدارس

ستظل ممزقة لا تتجمع على وحدة حقيقية .

ولقد كان علينا أن نعيش هذه المرحلة من عالمنا العربي ، وفكرنا العربي من خلال دراسة « الاسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب » .

* * *

وقد استطارت الشبهات في مختلف مجالات الثقافة العربية الاسلامية فشملت الاسلام ورسول الاسلام والقرآن والفكر العربي والحضارة العربية الاسلامية وقيم الفكر العربي والسنة واللغة العربية والتشريع الاسلامي والادب العربي والتاريخ. استطارت هذه الشبهات منذ بدا الاحتلال والنفوذ الغربي وسيطر على العالم الاسلامي والامة العربية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ، والقضاء على المقومات الاساسية التي كان مصدرها الفكر العربي الاسلامي، والتي كانت ولا تزال تحمل طابع المقاومة لكل دخيل وغاز ، مع الجري في نفس الوقت على سنة الاسلام والفكر الاسلامي الاساسية في التفتح على الثقافات المختلفة مع الحركة والابحائية والنمو . ولم تكن سيطرة الاستعمار الاوربي على العالم الاسلامي الا حلقة من معركة طويلة ممتدة بدأت في القرن الخامس الهجري (القرن 11م) بالحروب الصليبية ، حيث استطاع الفرنجة اقامة مملكة على الشريط الساحلي للشام استمرت حوالي قرنين من الزمان ، وقد قاومها العرب المسلمون مقاومة فعالة مستمرة حتى قضى عليها . وكان لهذه المعركة دوافع مختلفة ابرزها ذلك الصراع بين فكر الشرق وفكر الغرب ، بالإضافة الى دوافع الاقتصاد وما التمسته هذه الحروب من شعار لها وهو الدفاع عن بيت المقدس وتخليصه من ايدي المسلمين والعرب .

وانتهت الحروب الصليبية بهزيمة الغرب ولكنها امدته بقوة جديدة ، فقد أولع المغلوب بتقليد الغالب فنقل حضارته وثقافته ، ونظمه وتقاليده ، وبدأ في ترجمة ذلك التراث الضخم والانتفاع به على النحو الذي هيا لعصر النهضة الادبية فجره الذي استطاع أن يسيطر من بعد على العالم الاسلامي الذي كان قد أصيب بالجمود والضعف وأقتل أبوابه متخلياً عن ابرز مقوماته الفكرية وهي القدرة على الحركة واليقظة والقوة وحماية الثغور والتجدد ، حتى بدأت يقظة العالم الاسلامي منذ داخله ، ومن أعياق الامة العربية بالدعوة الى التوحيد كوسيلة لتحرير الفكر الاسلامي من شبهات الجمود والتقليد .

ولعل أبرز الاتهامات التي توجه اليها ان يقظة العالم الاسلامي والامة العربية انما جاءت نتيجة للبعثات التبشيرية والحلة الفرنسية ، ونحن نرى ومعنا كل الأدلة على أن اليقظة الفكرية قد سبقت هذا الغزو الغربي بأمد طويل ، بدعوة التوحيد التي كانت تستهدف التحرر من زيف التقليد وأن هذه الدعوة بدأت قبل وصول الحلة الفرنسية والبعثات التبشيرية الاوربية بمائة عام على الأقل .

وقد كانت يقظة الفكر العربي منصبية على تأكيد الحقائق الاساسية للفكر العربي الاسلامي وهو ما قامت عليه الحضارة العربية الاسلامية التي عم ضياؤها العالم كله واستمرت تؤثر فيه الى اليوم ، وهي في خلاصتها تتمثل في مبادئ محددة صريحة : أبرزها كرامة الانسان وحرية ، وامتزاج الروحية بالمادية ، وسيادة العقل (قل هاتوا برهانكم) مع تجدد الفكر بالغربة واتصاف القشور والاجتهاد والمواعاة مع التطور والزمن والبيئة ، وحمل لواء الحضارة والزيادة فيها . وحماية الوطن والحضارة والتسلح واليقظة للعدو ، والمقاومة واعتبار الدفاع عن الوطن دفاعاً عن العرض وتغليب السلام والاخوة والمحبة والدعوة الى العدل الاجتماعي ومساواة الاجناس والمفاضلة بالعمل والتضامن والشورى .

وقد غاضت هذه الاسس في ظل امتداد الحكم العثماني وجموده في مراحلها الاخيرة ، وفي خلال فترة الجمود التي حلت بالعالم العربي الاسلامي ، وكان ابرز ما سيطر على فكر الامة العربية في هذه المرحلة فقدان الثقة بالنفس والاحساس بالهوان وكانت الدعوة الى « التوحيد » علامة على اليقظة، ومعنى هذا ان يقظة الفكر العربي الاسلامي قد انبعثت من أعماقه ومصدرت عن فهم صادق لضرورة استعادته دوره في الصدارة ، وكانت تلك سنة الفكر العربي الاسلامي منذ فجره ، ينهض ويتحرك ثم تدخل اليه عوامل الانحراف ثم يستعبد كيانه ويجدد مفاهيمه، ويعاود الحركة .

* * *

ومن هنا كانت محاولة الغرب في السيطرة على العالم الاسلامي والامة العربية ، مرة اخرى ، مزودا هذه المرة بسلاح جديد ، هو سلاح القضاء على مقومات الفكر العربي الاسلامي اساسا بوصفها القوة التي هزمت في الحروب الصليبية وردته على اعقابها، ومن هنا كانت معركة الاسلام والثقافة العربية « اساسا » في تأكيد سيطرته على العالم الاسلامي

القضاء على كل عوامل الوحدة أو الالتقاء ومن هنا يقول القس سيمون أن الوحدة تجمع آمال الشعوب السمر ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية ، ولذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لان التبشير يعمل على سلب حركة الوحدة من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها .

ومن هنا كانت الدعوة الدائبة على خلق الفوارق بين اجزاء الوطن العربي بمفارقة مناهج التعليم والثقافة ، وبالإبقاء على الفوارق بين البدو والحضر ، وتعزيز اللهجات ، وإثارة النزعات القبلية والمذهبية ، وقد اشار الى هذا المعنى (موريس برنو) حين قال: ظهر لي أن معظم الضعف في الشرق ينبعث من تخلفه في مضمار تنظيم نفسه وتوحيد كلمته .

وقد اشار الدكتور كرستيان سنوك هرجزنج الهولندي الذي امضى سبعة عشر عاما في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا ، واستطاع ان يدرس قضايا الاسلام وتواجه مشاكل النفوذ الهولندي مع 35 مليونا من المسلمين في (اندونيسيا) . وساح في البلاد الاسلامية خلال ربع قرن يراقب الحركات الاسلامية . قال : ان البشرين ما يزالون يتوقعون انضمام كل الاديان اليهم ، اما بالنسبة للاسلام فلا تتحقق احلامهم ، لان الدين الاسلامي سيظل دينا قويا نشيطا ، ذلك أن للاسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل اطوارها ، شخصية عمومية ، وفردية اجتماعية ، ومن الحق ان الاسلام في القرن الماضي تعرى من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوربية عليه ، ونتج عن ذلك أن الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله ، وقد استنتج الباحثون أن القضايا المادية في الاسلام ، تؤدي الى سقوط الاسلام نفسه ، ولكني لا اوافقهم على هذا الرأي ، واذا كان الاسلام قادرا على احتمال ذلك التغيير ، فانه يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه أن يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته والمسلمون لا يقصدون أن يغيروا دينهم وقد احتاطوا اعظم الاحتياط لهذا الامر الذي ادركه كل المبشرين المتنورين في أرض الاسلام ، ولا اعتقد أن الدين الاسلامي يسقط امام الاديان الاخرى ، لان المسلم محتاط اشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغريب ، وقد يرى أن تدبئه بدين سابق ، خطوة الى الوراء ، وقد تغفلت الافكار الاوربية في كل جهة من الاراضي الاسلامية ولكن لم يجد فيها الشعور

والامة العربية وثبتت قوائم سلطانه وامتداده .

وهدف « التغريب » في تقدير دعاية هو « وحدة الثقافة العالمية » وهي عبارة خلاصة المظهر ، براءة الصورة ، ولكنها تخفي في اعماقها التعصب ضد الثقافات الانسانية وشبهها ومحاولة صهرها في بوتقة الثقافة الغربية ، وقد كانت « الثقافة العربية الاسلامية » التي تتميز بطابعها الواضح البارز المعالم اهم الثقافات التي حرص التغريب على تذويبها والقضاء عليها وقد يسمى التغريب بالدعوة النسي التمدين والتحضير للامم المختلفة ، او رسالة الرجل الابيض الى العالم الملون ، ولكن الهدف الكامن في اعمال الدعوة هو سوق الناس جميعا الى السواء والعبودية لسيادة الفكر الغربي واحلال قيمه ومفاهيمه محل القيم الفكرية الثقافية التي يدين بها الشرق والعالم الاسلامي والعرب وافريقيا وهي قيم ومفاهيم تختلف في جوهرها عن قيم الفكر الغربي ومفاهيمه ، وهناك عشرات من الابعاء الواضحة الدلالة سواء من الثقافة الفرنسية أو البريطانية أو غيرها من ثقافات الفكر الغربي بشقيه .

والهدف من التغريب كما صورته دهاة الاستعمار والنفوذ الغربي يتمثل في انشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الاسلامية بل الشرقية ، وابعاد العناصر التي تمثل الثقافة الاسلامية عن مراكز التوجيه وبذلك يستغنى عن مواجهة الشعور الديني بالعداوة السافرة » ومن هنا كانت محاولة اثارة قضايا التشكيك وبعث اليأس واذاعة روح القصور والحيرة والقلق في محاولة لدفع الفكر العربي المعاصر مجال التبعية والانتقياد للروح الغربية ، والقضاء على المثل الاعلى للشخصية العربية الاسلامية ، وخلق جو من فقدان الثقة بقيم القرآن والاسلام واللغة العربية والتاريخ والتراث ، واحتقاره واثارة الشبهات حوله .

وقد حرص التغريب على القضاء اساسا على « الوحدة » : وحدة الفكر ووحدة الامة وتمزيق الشعوب والامم من خلال اثارة الدعوات القديسة المدفوعة ، واثارة الخلافات المذهبية والدينية والسياسية والفكرية والقبلية ، هذه الخلافات التي قضى عليها الفكر الاسلامي العربي في (توحيد) المفاهيم والاذواق والمشاعر والعقليات . وكانت عبارات كل السياسيين الغربيين المعنيين ببقاء النفوذ الاجنبي تشير الى ضرورة ابقاء العرب والمسلمين بلا وزن ولا تأثير ، وذلك عن طريق

انما كانت امتدادا للحضارة الرومانية التي هوت في القرن الرابع الميلادي وان المرحلة بين الحضارتين قد اطلق عليها فترة القرون الوسطى المظلمة .

والحق ان فترة القرون الوسطى كانت فترة ظلام وانحطاط بالنسبة للغرب وحده اما بالنسبة للعالم الاسلامي فقد كانت مرحلة هامة في التاريخ الانساني كله ، بظهور الاسلام وتوسعه في خلال قرن واحد من الزمان من حدود الصين شرقا الى حدود فرنسا غربا . وزحفه على اوروبا نفسها حتى كاد يطوقها لولا توقف هذا التمدن بمعركة بلاط الشهداء عام 732م.

فقد قام المسلمون والعرب في ظلمات بربرية القرون الوسطى (الاوربية) باشغال مصباح الحضارة والمدنية ومن ثم برزت نهضة فكرية وحضارة امتدت الف عام . فقد كانت اوريا عبارة عن ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين ، يفاخرون بانهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وطال عهد الجهالة في اوريا ولم يبين منها بعض الميل للعلم الا في القرن الحادي عشر ، وبعبارة اصح في القرن الثاني عشر ، ثم طرقت ابواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون اليه (وهذه عبارة جوستاف لوبون) ، ولم يدخل العلم اوريا في الحروب الصليبية بل دخل بواسطة الاندلس وصقلية وايطاليا وفي سنة 1130م (القرن الخامس الهجري) انشئت مدرسة للترجمة في طليطلة اخذت تترجم الى اللاتينية اشهر مؤلفات العرب وعظم نجاح هذه الترجمات وعرف الغرب عالما جديدا ، والحق انه « ما عرفت القرون الوسطى المدنية الا بعد ان مرت على لسان اتباع محمد » كما قال لوبون .

ومن القضايا التي بدا فيها الغبن والعقوق واضحا لمكانة الفكر العربي في الحضارة الحديثة ، انكار فضل العرب والمسلمين على المنهج العلمي في البحث الذي يقوم عليه الفكر الانساني اليوم ، والادعاء بان هذا المنهج من ابتداء الفكر الغربي وحده ، والحقيقة المؤكدة ان العرب والمسلمين عرفوا المنهج العلمي وقدموه ووضعوا قواعده واسسه وطبقوها تطبيقا منصفا في كل ما اتصل بهم من قضايا الفكر ، وان الفكر العربي الاسلامي قد استمد هذا المنهج اساسا من القرآن الذي اصر على تقديم البرهان « قل هاتوا برهانكم » ومن ثم نشأ في مجال الفكر العربي ما يسمى بالبحث عن الدليل والنهي عن التقليد وعدم الثقة بالنص الا بعد مطابقته للعقل واطرار مصدره ، وقد وصل الفكر العربي الاسلامي في ذلك الى غاية النضج والقوة ، وعندما ترجمت آثار اليونان

الغربي مركزا ، ولهذا اتجرا على القول بان المسلمين سيستمرون في دينهم مهما اتخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين ولا يمكن ان يقع انحطاط تدريجي في الاسلام لانه توجد بواعث خارجة تمنعه من الانحطاط قوي لم يضعف ، وقد قتلت فيه الانشغاقات الداخلية ، وزد على ذلك فان الاسلام يربح اكثر من غيره تابعين له من الوثنية « ومع هذا الرأي الذي يبديه احد اقطاب حركة التغريب فان هذه الحركة لم توقف .

وقد استغلت حركة التغريب قوى التبشير والاستشراق والشعبوية لقتل المقومات التي تحاول ان تجاهد نفوذها او تحطم قوائمه ، وقد اصطنعت في هذه المعركة اساليب غاية في المرونة والذكاء والمكر والدهاء والبراعة ، وكان لابد للقوى البليطة ان تكشف هذه الاساليب وما ادت اليه من مؤامرات في مجال تشكيل العرب والمسلمين في دينهم وفكرهم ومعتقداتهم وتاريخهم ولغتهم ، واثارة الشبهات حولها جميعا ، وهي شبهات تتجدد مع الزمن ولا تنتهي ، وتصطبغ كل ساعة بلون جديد ، ولكنها في صميمها تتمثل في الشبهات الاساسية التي اثارها كرومر في مصر وليوتي في المغرب والتي ردها دائما زويمر ورينان ودنلوب وغيرهم .

وقد عنى عشرات من اعلام الباحثين بدراسة هذه القضايا منفصلة خلال مراحل اثارتهما ، ودراية اخطاء المستشرقين وكتاب الغرب في هذه المسألة او تلك ، غير ان هذه الشبهات والرد عليها لم تقدم كوحدة كاملة قبل هذه الدراسة .

ولقد كان النفوذ الاجنبي يفهم انه يستطيع حين يطبق في العالم الاسلامي والامة العربية منهج التغريب ان يجد في ذلك وسيلة للقضاء على مقومات الفكر العربي الاسلامي ، غير ان الذي حدث كان عكس ذلك تماما ، فقد افاد من ذلك الاحتكاك قوة ، وجدد نفسه واصطنع المناهج الحديثة في ابراز معالمه ، واستطاع ان يبعث من اعماقه قوة قادرة على الحركة ، ومن خلال النفوذ الاستعماري المسيطر عسكريا وثقافيا لم يتوقف الفكر العربي عن التجدد والحركة ، وكانت قضيتة الكبرى هي الدفاع عن مقوماته ، ازاء تلك الحملة الضخمة التي وجهت اليه ، واستطاع في نفس الوقت ان يفتح على الفكر الانساني فيهضام ويسخ منه ما يزيده قوة وحياة . ولقد كان من ابرز عوامل الغبن والعقوق في الفكر الغربي ان اصر على انه ليس متصلا بالفكر الغربي وان الحضارة الغربية الحديثة التي برزت في اوائل القرن الرابع عشر الميلادي

(2) محاولة اسقاط نفوذ الفكر العربي الاسلامي المستمد من القرآن والاسلام وحياة النبي محمد ، هذا النفوذ الذي استطاع في خلال قرن من الزمان بدافع من مقوماته أن يسيطر على عالم ضخم واسع ، وان هذا الفكر قادر على الانبعاث مرة اخرى في جولة جديدة اذا عاد الى تمثيل مفاهيمه الانسانية وقيمته الاصيلية والى التماس القوة العسكرية والصناعية وتمكينه من الحصول على مقومات التكنولوجيا .

ومن هنا كان الخطر الذي يواجه الغرب والحضارة الغربية ، الذي توسع بالاستعمار وسيطر على اغلب مناطق العالم الاسلامي والامة العربية وامتنص مقدراتها الاقتصادية ، وحاول أن يذبحها في بوتقة النفوذ الغربي الفكري والاجتماعي ، هذا الخطر يتمثل في قدرة الامة العربية التي هي القوة الصاعدة للدفاع عن مقومات الفكر العربي الاسلامي وحمايته والكشف عنه ، كمقدمة لمرحلة تالية هي التعرف بهذا الفكر وهذه الثقافة كقوة دافعة للانسانية وتحريرها من الاستعباد والترفقة العنصرية وبناء الكيان الانساني بناءا يجعله قادرا على حمل امانة الحضارة وانتزاعها من براثن الاباحة والتحلل ، وتحرير العقل الانساني من الالحاد والوثنية .

في ظل المفاهيم تبدو اهمية مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب في مجال الاسلام والثقافة الغربية كوسيلة الى تحرير الفكر العربي الاسلامي ودفعه الى الامام ليكون قادرا على حمل امانة اليقظة والنهضة الثورية العربية التي تزدهر اليوم في قلب الامة العربية ، وتمتد الى مختلف اجزائه بل وتعمدها الى اطراف العالم الاسلامي ، هذه النهضة التي تحمل لواء امانة الفكر العربي الاسلامي ومقوماته مع السيطرة على عوالم القوة العسكرية والصناعية والتكنولوجيا ، لاقامة مجتمع جديد قادر على العمل لاعادة هذه الامة وهذه الثقافة الى مكانها الحق ، مكان الصدارة والتفاعل وتقديم جوهر الفكر العربي الاسلامي الى الانسانية .

والاغريق - تفتحا من الفكر الاسلامي وقدرة على الاستيعاب والانتفاع بآثار الفكر الانساني - لم يأخذها المفكرون المسلمون قضايا مسلما بها ولكن ناقشوها وراجعوها وقبلوا منها ورفضوا ، ثم اضافوا اليها اضافات حية مهدت لفنون التطور التي بلغت من بعد . ومن وثائق اعلام الفكر العربي الاسلامي : ابن الهيثم والبيروني والقاضي عياض وجابر بن حيان والجاحظ وابن حزم ، يتكشف هذا المعنى واضحا في اكمال منهج البحث العلمي على اساس : قصر البحث العلمي على المشاهدة والتجربة وجمع المشاهدات ونتائج التجربة وربطها وتبويبها ، وتمحيص هذه النتائج وربط تلك الحقائق على النحو الذي يجعلها تصبح قانونا طبيعيا او نظرية علمية واستنباط النتائج التي تفضي اليها وبحث صحة تلك النتائج وتأكيد مطابقتها للواقع .

* * *

وقد استطاع الفكر العربي الاسلامي الحديث في مجال الدفاع عن مقوماته أن يؤكد هذه الحقائق ومن ثم فقد التزم بها بعض العلماء الغربيين المنصفين . ونبع تيار جديد من النظرة المحايدة والمنصفة للفكر العربي الاسلامي ، غير أن هذا التيار ما زال ضعيفا ، ازاء القوى الغازية الضخمة المتسلطة على الفكر العربي ، مؤيدة بسلطان النفوذ الاستعماري الذي كان يحاول ان يحقق هدفين :

1) انتزاع الفكر العربي الاسلامي من العالم الاسلامي والامة العربية وذلك بالتشكيك فيه واثارة الشبهات حوله كوسيلة لفرض منطق فكره ومقومات ثقافته ، وبذلك تسيطر الثقافة الغربية وتصر في بوبقتها مختلف الثقافات ، وفي مقدمتها الثقافة العربية الاسلامية التي تختلف اساسا في جذورها ومقوماتها عن الثقافة الغربية المستمدة من الوثنية اليونانية والشرعية الرومانية والمسيحية الغربية .

الشعر العربي الأصيل

للاستاذ عبد الله بركي حلاق

صاحب مجلة الضاد
وعضو لجنة الشعر في المجلس الأعلى
(القاهرة)

ويمضي الاستاذ كرم في تعريف الشعر ، فيبين ان الاوزان والقوافي مدينة للنغم ، باتباعها على رقرق ، وبنائها على اهزوجة ، وان النغم جاد به شعور مضطرب ضاق به الصدر ، فانتفجت عنه شفتان تعينان على جلوه بمقدار ما تفسح له موهبة الفن ، وملكة الابداع .

اما شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الفني حسن فقال ان « الشعر شعور » وراح يؤيد قوله بادلة قوية وبراهين لا تنحصر .

فالشعر شعور ما في ذلك ريب ، والشعر موهبة سامية واحساس مرهف ونغم حلو وايقاع منسجم ومن جميل اصيل . وما كان أبو الفرج الاصبهاني عابثا — كما يقول كرم ملحم كرم — حين جمع الشاعر والمغني في « اغانيه » فهذا حليف ذاك ، وفي الصوت الشجي من قوة البث والفتنة ، ما يعدل قصيدة مكتنزة للحمية باهرة الإضواء .

ونكر المرحوم جرجي زيدان في كتابه (آداب اللغة العربية) « ان الشعر والغناء من اصل واحد عند جميع الامم ، والشعر وضع اولا للتغني به وانشاده للالهة والملوك . فالليونان والرومان يقولون حتى الان : (غنى شعرا) . وليس نظم شعرا . أو صنع شعرا . والعرب يقولون : انشد الشعر أي غناه . وقضى اليونان اجيالا لا يقولون الشعر الا انشادا . ولعل العرب كانوا كذلك في اقدم احوالهم ، فنبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الاعشى قبل الاسلام . فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ، ولذلك سموه صناجة العرب .

الشعر صوت القلب ، ولسان العاطفة ، والرسول الوفي الامين ، الناطق بما يجيش في حنايا الصدور من احاسيس ومشاعر ، وبما يختلج في خبايا الضمائر من مطامح وافكار .

ولقد تعرض كثير من رجال الفكر والادب لتعريف الشعر ، فحددوا معناه ومبناه ، وبينوا مفاهيمه وقيمه ، وما يجب ان يكون عليه من وضوح واشراق ، ومن جزالة ومثانة وسمو فكرة ، كما عرفوا الشعراء تعريفاصدا فقال ثلثي : الشعراء هم الكهنة الذين يتلقون وحيا خفيا . هم المرايا التي تعكس الظلال الماردة يلقيها المستقبل على الحاضر . وهم الالفاظ التي تفصح عما لا يفقه . هم الابواق التي تدعو للمعركة ولا تحس بما تلهب في النفوس من حماسة . هم القوة التي تحرك الاشياء ولا يحركها شيء . هم شراع العالم الذين لم يعترف بهم انسان .

ولن نحاول هنا ، ان نعدد كل ما قاله اولئك الرجال ، بل نقف عند كلمتين في تعريف الشعر قالهما اثنان من كبار ادبائنا المحدثين ، ونعني بهما الكاتب اللبناني المعروف المغفور له كرم ملحم كرم والاستاذ محمد عبد الفني حسن شاعر الاهرام وعضو لجنة الشعر والنثر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة . قال كرم رحمه الله من كلمة عنوانها « الشعر غناء » : « ما تثلث الشاعر في انشاده وابداعه الا تجل لي الصدوح بتغريده الفاتن وشدوه الرخيم ، فكأنهما عديلان في رسالة يؤديانها باريحية صادقة وسخاء مطبوع . وما الشعر الا غناء ، الانبرات شجية ، انتفضت بها العاطفة في ثورة لاهبة فانتبسطت في الاذان الرهاف ، تقلق منها الحس الواعي ، وتوقظ الهوى الدفين » .

وعندما حرمت عليه ليلى ، هام على وجهه في الصحراء . وهناك لقي غزالة طوقها بذراعيه وخاطبها بقوله :

وعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيق

وللعرب قصائد خالدة في الوصف والفخر والحماسة والغزل والشكوى والعتاب والثناء جرت على السنة كثير من شعرائنا الاقدمين ، صحيحة موزونة قبل أن يستنبط الخليل بن احمد الفراهيدي علم العروض وتعد المعلقة في طبيعة هذه القصائد الباقية على الزمن .

وجاء الخليل ، وقضى حياته في داب ونصب ، حتى تمكن من وضع علم العروض ، على قواعد ثابتة ، واصول متكاملة ، تصونه من العبث ، وتبعده عن الاضطراب ، وتقيه لواكب الاجيال العربية القادمة ، مقياسا دقيقا يجنب طلابه الزلل والخطأ ، ويساعدهم على صوغ مشاعرهم ، وفق وحدة موسيقية متناسقة الجرس والاقطاع .

وذهب الخليل ، وبقي علم العروض اساسا يبنى عليه كبار شعراء العرب خرائدهم وابكارهم ، لا يعيرونه ، ولا يشذون عنه ، ولا يخرجون على احكامه ، ولا يفكرون في ايجاد طريقة جديدة تقوم مقامه ، ليقينهم ان طريقة الخليل ، هي الطريقة المثلى ، وان قيثارته صالحة لكل زمان ، وقادرة على التعبير بصدق ويسروا انسجام ، عن كل ما يجول في الذهن من افكار وخواطر ، وعن كل ما يكنه القلب من احساس وخلاجات وانفعالات .

بيد أن فئة من حملة الاقلام عندنا ، يرون غير هذا الرأي ، ويدعون الى التحرر من ضوابط هذا العلم ومقاييسه ، زاعمين ان هذه الضوابط والمقاييس ، تقيد الفكر ، وتقلل العواطف ، وتحد من طاقة الخيال على التحليق في آفاق التجديد والابتكار . ولهذا طلوعوا علينا ببذعة « الشعر المثنوي » .

وهب بعض الفياري على العلم واللغة ، يناهضون هذه البذعة الدخيلة على النصحى ، ويحضون على التمسك بعمود الشعر ، ويثبتون بالذليل قاطع ، ان الشعر المثنوي للوزن والقافية لا يعد شعرا وانما هو كلمات رصف بعضها بجانب بعضها الآخر ، رصفا متباينا متنافرا . وفي مقدور راصفي هذه الكلمات ، أن يضعوا بينها ما يشاءون من

والذي نراه ، ان للحب اثرا بارزا ودورا مهما ، في ايقاظ الشعور ، وشحن الذاكرة ، وصقل المواهب ، وتفتيح العيون على آفاق الخلق والابتكار . فالحب للشاعر كاللدى للازهار ، يغذيها وينعشها ويزيدها شذا وجالا . ولاشك ان لكل شاعر عروسا توحى اليه الشعر ، فيستمد من الوجوه الموضيئة والقامات الرشيقة مادة غزلية تعرب عن وجدده وهيامه .

ولا يستوحى الشاعر مادة الهامه من حب المرأة نحسب ، ولكنه يستوحى من حب الوطن وهو اشرف الحب ، ومن حب الطبيعة ، وحب العدل والاحسان ، وحب الكرامة والبطولة والفداء .

ولقد عرف الشعر منذ زمن بعيد ، وجرى على السنة العرب في العصر الجاهلي . وكثيرا ما كان ينشده العربي غفو خاطر فيجىء سليما بليغا رغم بساطته .

ومن الامثلة على ذلك ، ان اعرابيا ركب بعيره وتصد خباء محبوبته . ولما ترجل ودخل الخباء اقترب البعير من ناقة الحببية وبدا وكأنه يداعبها فنظر اليهما الاعرابي وقال على البديهة :

واحبها وتجنبي ويحب ناقتها بعيري

وقد ابداع شعراء الجاهلية في صوغ الشعر فقال عنقرة في معلقته مخاطبا ابنة عمه عيلة :

ولقد ذكرتكم والرماح نواهل

مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها

لمعت كبقارق ثفرك المتبسّم

وقال فيها أيضا :

احبك يا ظلوم فانت عندي

مكان الروح في جسد الجبان

وانني لا اتول مكان روحي

أخاف عليك بادرة الطعان

اما قيس بن الملوّح الملقب بمجنون ليلى ، فقد عاش

في العصر الاموي وقال اجل اشعار الحب فاسمعه

يخاطب قلبه بهذين البيتين اللذين يعدهما كثير من الناقدين اروع ما قيل في الغزل :

ليس وعدتني يا قلب انني

اذا ما تبت عن ليلى تتوب

فها انا ثابت عن حب ليلى

فما لك كلما ذكرت تذوب

نقاط وعلامات تعجب واستفهام ، وان يطلقوا عليها ما يحبون من أسماء أما الشعر بمفهومه الصحيح ، وبدياجته المشرقة ، وينغمته الموسيقية المتلألئة ، فهو بعيد عنها ، وبراء منها .

وكأنني بأصحاب تلك البدعة ، قد تضعفوا وتراجعوا أمام صيحات الحق والمنطق ، فعادوا الى قوتهم ، وانطوا على انفسهم فيها ، ولم نعد نلمس لهم نشاطا يذكر ، في ميدان نثرهم الذي يأبون الا ان يسموه شعرا .

وما كادت تنحسر تلك الموجة عن الشعر العربي الاصيل ، حتى رأينا موجة غريبة ثانية ، تتلاطم على صخور ادبنا المعاصر ، ثم تتكسر وترتد الى شاطئه اللامتناهي ، وتتلاشى على رماله الذهبية تماما كما تلاشت موجة اللغة العامية ، التي نادى باستعمالها بدلا من الفصحى ، عدد من المبشرين باليسر والسهولة ، والناشرين من كل صعب وعسير .. على حد تعبيرهم .

لقد طلّع علينا أحد المتحذلقين المغالين في التجديد ، بنظرية غريبة عجيبة لتعلم الشعر ونظمه فذهب الى ان علم العروض بأسلوبه القديم ، وقواعده المعتقد ، ينفر طالبه ويبعدهم عن حظيرته ويحدوهم الى التخلي عن دراسته ، وفي انفسهم غصص تمتد من زيد الى عبيد ، ثم لا تلبث ان تصبح عقدة مستحكة متوارثة تنتقل بالممارسة الوجدانية . حتى تصل الى المدرس ، والى واضع كتاب العروض .

ويمضي هذا المتحذلق المجدد في حملته ، فيضع الخليل ابن احمد الفراهيدي على المشرحة ويحمل البضع بيد ، والهمول بيد ، محاولا أن يجري لعروضه عملية جراحية ، يستأصل فيها الزخافات والعلل وكل ما يقع تحت بصره من زوائد لا حاجة لها في فهمه واعتقاده ، وان يدك بعد ذلك ، كثيرا من المفاهيم العروضية ، ليقينه ان عروض الخليل ضيقة الافر ، تجنح الى التوصل والترقيع ، وتفرق في التعقيدات الشكلية المضطربة .

وأخيرا ، وبعد ان يقسو على الخليل ، ويغالي في ذم عروضه ، يقول : ان الحل الوحيد في تجنب المزالق الخليلية ، يكن في اعتبار التفعيلة اساسا في البناء الشعري ، فبذلك يصبح في مقدور الناس ان يبتدعوا العشرات والعشرات من البحور الاخرى من النمط العمودي وغير العمودي ..

هذه طريقة بعض دعاة التجديد ، وهي طريقة عقبة سقيمة تخالف العلم والذوق والمنطق وتجعل كل متأذب ينظم على هواه ، ومتى نظم المرء على هواه ، اضطرب الشعر ، وصار الامر فوضى ..

مسخوا الشعر ثم قالوا جديد أجديد يا ويحكم وهو رث الجديد المعنى وليس جديدا ذلك المنطق الخسيس الغث

والذي نراه ، ان الشعر الجدير بهذا الاسم ، هو الشعر الحافل بالابداع والعاطفة والمستند الى عمود الشعر والى قواعد اللغة ، وانه ليس في الشعر قديم وحديث ، بل هو شعر اولا شعر . فالمتنبى لا يزال اعظم شعرائنا واكثرهم ابداعا رغم مرور ألف سنة على وفاته . وكذلك نستطيع أن نقول عن البحتري وابي تمام وابي فراس الحمداني وعن كثير من شعرائنا القدامى والحديثين .

وفي الموسوعة البريطانية التي صدرت في عام 1961 فصل مسهب عن الوزن ، وفصل آخر عن الثقافية ومما جاء في هذين الفصلين قولها : « ان قوانين الثقافية قد تصعب احيانا كغيرها من القيود الفنية ولكنه ما من دليل قط على أن الجمال المطبوع الذي تجلبه الثقافية الى الشعر يفقد اثره على الاذن الانسانية او يتعرض لخطر من الاخطار ممن يحاول أن يستبدل به النبرات او النغمات أو مجرد الايقاع » .

ويقول الشاعر اليوت « انه لشاعر ردىء ذلك الذي يرحب بالشعر المرسل ويحسبه انطلاقا من النظم » .

وحين تصدى شاعر عبقر الاستاذ شفيق معلوف لمعالجة الادب الجديد ، اشار الى أن طائفة من الادباء الحديثين تأثروا بالاساليب الانكلو - امريكية التجديدية كالصورية IMAGIST والشعر الحر ، كما أنهم تأثروا بالمدرسة الفرنسية السريالية التي رفع عليها سنة 1924 اندريه برتون ، والتي تمت بما فيها من غرابة وتجهم وشذوذ وانحراف عن المنطق ، الى الشعراء جيرار ده نرفال ، ورامبو ، ولتريامون وابو لينير وشعراء المدرسة الراديبة .

واستطرد شاعر عبقر قائلا : من هذا الخليط المتأرجح بين الرمزية والسريالية ، انبثق انصار الحديث ، هدفهم نشر الشعر الحر ، وتطويع الشعر العربي للاغراض الحديثة ، والخروج بأساليبه على

النمط التقليدي ، فسلكوا بذلك سبلا غريبة على
اللسان العربي ، لم يعهد مثلها تاريخنا الادبي في
الشذوذ والانحراف عن قابلية الشعوب العربية
ومناهجها .

وسئل الاستاذ رشيد سليم الخوري الملقب
بالشاعر القروي عن رايه في هذا النوع من الشعر
فاجاب :

هذا الشعر الذي يروجون له اليوم ، ان هو الا
صورة خنافية ، بيتلزية مشوهة للنفس السوية .
ولسوء الحظ نرى ان هذه الاتيسة الغربية المسيخة
قد المت بسائر الفنون الجميلة من موسيقى ورسم
ورقص ، حتى لا يسع متبني البنية الروحية
والعقلية الذين لم تزلهم الكوارث ، الا ان يقفوا موقف
المتفرج من هذه المسخر يضحكون حيناً ويتجهمون
طوراً ويكفون تارة .

ثم يقول الشاعر القروي : ان الشاعر الاصيل
يعجبك شعره بأي شكل عروضي صحيح جاء . اما
الشويعر الفضولي المتطفل ، فمهما تفنن في اشكال
مؤوسه واقداحه ، لا يمكنه ان يناولك الا ما هو شبيه
بزيت الخروع واضرابه من الاشرية » .

وفي دراسة ممتعة عن الشعر يقول شاعر
الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن : ان الشعر
العربي الاصيل ، مما لا يسيفه الذين يجدون الماء
الزلال مرا في افواههم .

وعندما يتحدثون عن المدرسة الشعرية التي
يسمونها الناس : مدرسة شعراء الديباجة والصياغة
يقول : « ومتى كانت الديباجة المشرقة ، والصياغة
الانيقة الموثقة عيبا في الشعر ، ونقصا في الشاعر ، الا
في زمان احتفل الناس فيه بالركاكة وانشغلوا بالتفاحة
ومعطوا الى درك العجز عن التعبير الناصع الوضوء؟

اننا نقرأ في الشعر الذي يسمونه جديدا ، او
مجددا ، كلاما مرصوصا على غير طريقة ، مخطوطا
على غير خطة ، لا تجد له النفس طعما سائفا ، ولا
معنى واضحا ، ولا بيتا يؤثر ، ولا شطرة تحفظ ،
ولا مثلا يسير ، كأنه ولد ليكون ميتا ، او تذف به من
بطن قائله ليكون موعودا . ولو أنك تساءلت : بأي ذنب
مثل هذا الموعود ، لجاءك الجواب حاضرا بأنه قتل
بيد صاحبه ...

فلا مرحبا بشعر لا يدري اذا كان نظما ام نثرا
ولا يعرف — على سبيل اليقين — اذا كان غثاء
نفس ، ام هزيلان حس ؟

ومرحبا — والف مرحبا — بشعر تقرؤه فتجده
سوي الطبع ، مستقيم البناء ، شريف المعنى وضئ
العبرة ، دفاق الشهور .

وبعد هذا الوصف ، ينتهي شاعر الاهرام ، الى
تحديد معنى مدرسة شعراء الديباجة والصياغة
فيقول : هي المدرسة التي لا أرضى في الشعر عنها
بديلا ، وهي المدرسة التي وصلت ما بين ماضي
الشعر العربي وحاضره ، لانها تأخذ اروع ما في القديم
وأصح ما في الحديث واعقله وارصنه ، وتخرج من
ذلك شعرا لا هو بالقديم المقلد ، ولا هو بالجديد المتهور
ولكنه مزاج معتدل . فيه الفكر الجديد بطرافته وفيه
القديم بعراقته .

وفي مهرجان الشعر الدوري الثالث الذي اقيم
في دمشق ، ابتداء من يوم السبت 23 ايلول 1961
الى يوم الاربعاء 27 من الشهر نفسه تصدى كثير من
الشعراء والخطباء للشعر المطلق والمرسل فقال بعضهم
انه نثر مخلع على السطور ، وقال بعضهم الآخر :

انه كلام عادي ، لا يستطيع ان يسمى شعرا ،
لخلوه من الوحدة الموسيقية والايقاع الفني ، ولبعده
عن عمود الشعر المرتكز على الوزن والقافية .
وكان اول من اثار هذا الموضوع وتعرض للخارجين على
التفصيلات والقوافي هو الشاعر الكبير الاستاذ صالح
جودت فاسمه يخاطب البحري برأيته الرائعة :

نرد زمانك يا « بحتري
ونعلي مكانك يا منبر
ونتلو من الشعر ما يستطاب
ونسمع منه الذي يسكر
ونحمي القريض من العابثين
به : ونقدس ما اهدروا
يقولون جاعوا بشعر جديد
يجب القديم الذي تكبر
تفاعيله يزديها الاطار
ومبناه تنكزه الابحر
اجل ، ليس يوزن سقطة الحجارة
بل يوزن الدر والجوهر
وما الشطرتان سوى المقتتين
وناقده احداهما اعور

وقام اصحاب الموجة الجديدة ، او الشعراء
المجددون ، كما يطيب لهم ان يسموا انفسهم ، قاموا
يسفهمون هذا الرأي ، ويعلمون ان الشعر يجب ان
يكون حرا طليقا ، لا يتقيد بوزن ، ولا يرتبط بقافية ،

فالمهم أن يعبر الشاعر عما يريد أن يعبر عنه من عواطف وخلجات وانفعالات وأن يلبس المعنى الثوب اللفظي الذي يختاره له بدون أن يعتمد على قاعده عروضية ، أو يسلك الطريق الذي سلكه تلاميذ الخليل ، منصدر الاسلام الى اليوم .

وثار النقاش بين الفريقين ، واحتدم الجدل . وكثر الاخذ والرد ، وامتلات اعمدة الصحف بأراء المؤيدين والمعارضين ، ووقف كبار شعراء المهرجان في الصف القائل بضرورة المحافظة على عمود الشعر وأورد كل منهم براهين قوية تثبت ان الشعر المتكرر للوزن والقافية ، لا يعد شعرا ، وانما هو مجرد كلمات رصف بعضها بجانب بعضها الآخر رصفا متباينا متنافرا ، وفي مقدور راصفي هذه الكلمات ، ان يطلتوا عليها ما يشاعون من اسماء . أما الشعر بدبياجته المشرقة ، ونغمته الموسيقية العذبة المتناسقة فهو بعيد عنها ، وبراء منها .

ونحب ان نورد على هذه الصفحات ، بعض ما قاله شعراء المهرجان في هذا الصدد ، ثم نبين رأينا بوضوح واخلاص . فقد سألت جريدة « الايام » شاعر الشباب الاستاذ عادل الغضبان عن رأيه في حركة الشعر الجديد فأجاب : « يخيل الي أنه لو بعث الخليل بن احمد ، لكان اول الغاضبين من حركة الشعر الجديد . فبعض هذا الشعر في تفعيلاته المتنافرة ، قد خرج عن قطب الدائرة الذي وضعه الخليل ، تلك الدائرة التي تجعل من اثتلاف التفعيلات في البحر الواحد ، وحدة موسيقية ملتفة الجرس والايقاع » .

ووجه السؤال نفسه الى الشاعر الكبير الاستاذ محمود غنيم فقال لسائله : « ان كنت تريد بالتجديد ، الخلق ، والابداع ، ومسايرة العصر الذي نعيش فيه ، مع المحافظة على عمود الشعر ، فان هذا امر من أوجب الواجبات . والشعر ما لم يتوفر فيه عنصر التجديد ، فهو غث قديم بال ، يسمعه النائم فلا يستيقظ ، ويسمعه الصاحي فينام . وأما ان كنت تريد بالتجديد ، هذا الذي تطالعنا به الصحف احيانا ، مما يسميه أصحابه شعرا وهو غير معتمد على وزن أو قافية ، فاسمح لي الا اشاركك أو اشارك أصحابه في اطلاق اسم الشعر عليه ، ان هذا الذي تعنيه ضرب من الكلام ، فان جادت اخیلته ، ونبضت صورته بالحياة ، فهو بالنثر الفني أشبه . وان لم يكن كذلك ، فلك ان تسميه لغوا أو عبثا أو هذرا . وعندى أن هذا الشعر يوؤد يوم يولد » .

وحين سئل الشاعر الاستاذ حامد حسن ، عن رأيه في هذه الحركة الشعرية الجديدة اجاب : « لا اسمي هذه الظاهرة حركة جديدة ، وانما من باب الدقة في التعبير ، وتسمية الاشياء بأسمائها ، يجب ان ندعوها بالمؤامرة الجديدة على الشعر العربي والاسلوب العربي والامة العربية . فاي ادب ، وأي حركة في هذه الكلمات الحائرة المتفككة ، التي لا يربطها رابط من وزن ، او قافية ، او فكرة او موسيقى ؟ ما اسهل الشعر على طريقة هؤلاء وأبسطه ؟ انه لا يكف أي جهد ولا أية مشقة . انه مجرد كلمات فارغة ليس الا » .

وعندنا ان الشعر الحقيقي الرصين ، يحتاج الى مقومات لا غنى له عنها ، وأهم هذه المقومات هي الروح الشاعرية المستقرة في هيكل لفظي متكامل البنیان . ولكي يكون الهيكل متينا ثابتا ، لابد من تبايه على اساس متين راسخ يصونه من العبث والضياغ ، ويبقيه لمواكب الاجيال القادمة على جדותه وروائه . وهذا الاساس انما هو الوزن الذي يضع كل كلمة في الموضع الملائم للمعنى ، تماما كما يضع الجوهري الماهر ، الحجرة الكريمة في المكان المعد لها من العقد الثمين .

وما يقال عن الوزن ، يقال عن القافية . فللقافية وقعها الموسيقي في اذن السامع ، واثرها العميق في نفسه وحسه . والمقطوعة الخالية من الوزن والقافية ، تعتبر مقطوعة شعرية ، لانها لم تبني على الاساس الذي بنيت عليه جميع قصائد الشعراء المتفوقين من قدامى ومحدثين .

ونحن حين نقول ذلك ، لا نزعم ان الالفاظ المتقاة الموزونة هي الشعر بمعناه ومبناه ، ولكننا نعود فنؤكد ، ان للعاطفة والالهام ، اعظم الاثر في القصيدة ، فهما من هذه الناحية بمثابة الروح للجسد ، الذي يجب ان يكون سليما قويا متناسقا الاعضاء .

بقي ان نبين ، ان الشعر الجديد في نظرنا ، هو الشعر الحافل بالمعاني الجديدة ، وبالصور المبتكرة ، ولو تنوعت فيه التفعيلات وتعددت القوافي . وتديبا استنبط شعراء الاندلس الموشحات ، وتفننوا في سبك الالفاظ وابداع المعاني وتنويع البحور . وقد استقبل العرب نتائجهم بالاكبار والاعجاب ، لان اولئك الشعراء لم يخالفوا قواعد العروض ، ولا محوا ما رسمه الاقدمون ، بل نهجوا النهج اللغوي الفني السوي ، وطلوعا على الفصحى ، بآيات بينات فيها اللون زاهية

القروي وفرحات وغيرهم من عباقرة القريض فأطربوا
الزمان ، وارضوا العروبة ، وضمنوا الخلود .

ولسنا نشك بأنه سيعزف على هذه القيثارة
نفسها ، كل من يجيء بعدنا من شعراء يحرصون على
قدسية علم لم يأت اعتباطا ، ولم يرتجل ارتجالا ،
وانما جاء نتيجة تفكير عميق ، وحساب دقيق ،
ودراسات طويلة ، وتجارب ناجحة ، ولهذا بقي
منذ اكثر من الف عام على جدته وروائه ، وسيبقى
الى الابد ، كقرص الشمس المتألق في علباء السماء ،
لا تطفئه ريح ، ولا يؤثر فيه نقد ، ولا تتوى على اخفاء
جماله يدان .

فعلينا اذن ، ان نحرص على تراثنا الادبي ،
حرصنا على اقدس مقدساتنا ، وان نحفظ بأساليب
شعرنا الاصيل الجميل النبيل ، وان ننأى به عن مواطن
الضعف والركاكة والاسفاف ، وعن هذه البذعة
الدخيلة التي يروج لها بعض المتشاعرين ، الذين
يريدون ان يخالفوا ليعرقوا والسلام .

خلابة ، من الوصف الصادق ، والفزل الرقيق ،
والشوق الملح ، والحنين النياض ، ، والحماسة
القومية ، والفخر النابض بالعزة والكرامة . فكانوا
رواد التجديد الشائق المستحب ، يوم كان العالم
العربي تائها في ادغال الامية والجهالة المطبقة .

والحق ، ان الوزن للاسماع بمثابة النور
للابصار . اما كثرة التفعيلات ، او تبديلها ، او اختراع
ما يشبهها ، او الاستغناء عنها ، كل هذه الامور ،
لا تزهف حسا ، ولا تولد افكارا ، ولا تخلق شعرا ،
فالشعر موهبة يصقلها العلم ، وتغذيها الممارسة ،
وتزيدها تجارب الحياة قوة وابداعا ، وفي وسع الشاعر
الموهوب ، ان يعزف على قيثارة الشعر العربي المؤلفة
من ستة عشر وترا ، ما يطيب له من نغمات عذبة
والحان ساحرة اخاذة .

على هذه القيثارة المحكمة الصنع ، الرخيصة
الصوت ، ذات الاوتار الطيبة الخيرة التي استنبطها
الخليل ، عزف ابو الطيب المتنبي وابو العلاء المعري ،
وابو ماضي ، وشوقي وحافظ ومطران والشاعر



معركة الفصحى والعامية في الصين توحيد اللهجات الاقليمية لمراكبة الركب العالمى

للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله

نالعاميات كانت مختلفة تبعا لاختلاف القوميات البالغ عددها خمسين (عددها السياسي لا يتجاوز احدى وعشرين قومية) .

وقد تكونت اللغة الصينية الحديثة من ثلاثة عناصر : الكتابة القديمة والعامية المستعملة واللغة الدخيلة وعناصرها الضئيلة تستند من اليابانية والانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية بسبب تعاقب التأثيرات الاستعمارية على هذه المنطقة في مختلف العصور وقد دخلت الى الصينية الفاظ عربية عن طريق الانجليزية مثل اريكة وصافا اي متكا من الصوف Sofa (1) بينما اثرت الهندية عن طريق النحلة البوذية .

وقد انطبعت مسطرة العمل بطابع شيوعي تجلى في منهاج التوحيد المكون من ثلاثة مقومات .

(1) مقاومة النظام الرجعي في تطوير اللغة بتركيز كل تطوير على الوعي الوحدوي الجماهيري

(2) توحيد اللغة على اساس التقريب بين الجماهير وتوحيد الثقافات الاقليمية .

(3) اتخاذ اللهجات المحلية وخاصة الشمالية اساسا للفصحى مع اقتباس اصول النحو مما وضعه العلماء المحدثون في كتاباتهم بعد الثورة كمتاللات ماوتسي تونغ المختارة .

بعد اقتبال رئيس الاكاديمية العلمية الصينية للسيد الامين العام للمكتب الدائم للتعريب خلال رحلته الى الصين الشعبية في العام الماضي انعقدت جلسات عمل مع اعضاء في الاكاديمية الصينية لدرس المناهج والاساليب التي يسلكها اللغويون الصينيون لحل مشاكل اللغة والكتابة والحروف وتوحيد اللهجات الجهوية وتحقيق التوازي بين اللغة الصينية الحديثة واللغات العلمية المعاصرة وقد طلبنا من السيد الامين العام الافضاء بارتساماته حول هذا العمل الضخم فقال :

ان ابتداء اللغة الكتابية الصينية يرجع تاريخه الى ما بين الفين وثلاثة آلاف من السنين والغاية التي يستهدفها علماء اللغة الآن والتي يتكون منذ حواريعة عقود من السنين على انجازها هي توحيد اللهجات ومفرداتها والقواعد النحوية وتمكينها من مواكبة ركب الحضارة . ومعلوم ان الفصحى الصينية انبثقت عن العامية بعكس ما وقع للغة العربية وكان لغويو الصين قد طلبوا منذ نحو مائة سنة بالاستعاضة عن العامية وتوحيد اساليبها فلم يتأت للمشروع ان يحقق الا ابتداء من عام 1919 حيث شرع في وضع اساس اللغة الحديثة على اساس اللهجات الدارجة وكان الضابط الاساسي لهذه العملية هو ضمان التقارب والتواكب بين لغة العلماء ولهجات الشعب

(1) بالاضافة الى التأثير العربي عن طريق التجار المسلمين الذين اثروا في المجتمع الصيني عامة وفي الاوساط الصينية الاسلامية خاصة .

الخطوط للاستعاضة عنها بحروف الفبتائية وعددها خمسة وعشرون حرفا (في اللغة الصينية 3000 من الخطوط الاساسية اي اول الكلمات المفردة)

ومعلوم ان طريقة الخط هي عبارة عن الرسوم الصينية الحرفية التي سيستعاض عنها بالحروف اللاتينية .

3، توحيد اللغة وتعميم الفصحى الحديثة

مسطرة تأليف المعجم :

وقع الشروع في تأليف المعجم الجديد عام 1955 (بينما يرجع تاريخ اصدار المعجم القديم الى عام 1927) بعنوان « معجم مفردات اللغة الصينية الحديثة » تحت اشراف مكتب تحرير المعجم التابع لكلية بحوث اللغة الصينية الملحقة باكاديمية العلوم الصينية وهو معجم وسيط اساس مصطلحاته اللغة الفصحى الحديثة وهو خاص بالابتدائي والثانوي :

(1) الكلمات وهي مجموعة خطوط ليس لها معنى خاص ، فالخط المرسوم هكذا : 人 معناه الشعب ولكن معناه العام هو الانسان في اللغة القديمة وقد احتفظ به .

(2) المفردات : تقتبس من نشرات وكتب حركة التحرير وخاصة مصنفات ماوتسي تونغ في المستوى المتوسط فقط ولاختيار هذه المفردات ضابطان اثنان يرجع احدهما لتأثير الافكار البروليتارية السياسية الحالية التي هي مظهر للملامح الطبقة مثل الكومونات الشعبية Communes rurales والقفزة الكبرى والفرق الانتاجية والآخرى لفصح النظام القديم بدافع اختيار نقدي على ضوء افكار ماوتسي تونغ فلهذا حمل اللغويون على « قاموس اللغة الوطنية » الذي صدر عام 1933 بدعوى امتلائه بالفاظ مقتبسة من نظام تشانغ كاي شيك لا يوجد من بينها كلمات مثل المقاومة والانقاذ الوطني فمقياس توحيد اللغة يكن اذن في نظر اللغويين الصينيين المعاصرين فيما يجب ان تعكسه المفردات الجديدة من روح زمنية اي منبثقة عن مبادئ ماوتسي تونغ وعلى هذا الاساس وحده يتم انتقاء المصطلحات والامثال السائرة في العاميات الحديثة وكذلك الجمل التي يضاف اليها شرح للالفاظ الدخيلة المختارة .

والعمل التنسيقي الحالي يسير على نهج محكم ففي عام 1956 تأسس مكتب التحرير لتعميم الفصحى المشتركة يشتغل فيه نحو ستة عشر شابا جامعييا

وتد تحقق الان تعميم عناصر اللغة الحديثة باستقصاء دراسة العاميات القومية للبحث عن ضابط التقريب بين الدارجة والفصحى فصدرت بحوث في النحو والبلاغة وخاصة المصطلحات التي يتبلور اختيارها في وضع معجم في شكل اداة طيبة بيد الشعب .

المعجم الصيني الموحد

وخلال الجلسات التي عقدناها في الاكاديمية قدم عضوان في بعض المراكز الجمعية احدهما وهو الاستاذ ليوجيان Liu Jian بحثا حول اللغة الصينية والآخر وهو الاستاذ موهان Mou Heng عرضا حول المعجم مع الاجابة عن كل الاسئلة والملاحظات التي كنا نبدىها بين الفينة والاخرى : ونحن نلخص هذين العرضين فيما يلي :

ان وضع معجم صيني يثير مشاكل معقدة تندرج في ثلاثة اقسام :

(1) سبب تأليف المعجم الموحد هو تطوير اللغة ضمن الاصلاح الثقافي العام استجابة لمقتضيات الوحدة الثقافية بين عناصر الشعب الصيني فالوحدة يجب ان تتم طبقا للوازم العصر ومقتضياته وللأوضاع المتجددة في الصين في حقل الاشتراكية والعلوم والتكنولوجيا المعصرية ماضاعف المفردات الحديثة وابطل استعمال مصطلحات قديمة، نعم تتوفر للغة الصينية على مفردات غزيرة غير انها لا تستجيب لمطالب المجتمع الجديد فلذلك استعيرت مفردات قديمة صالحة وتولدت اخرى حديثة اصبح الشعب يستعملها في مجال التقنيات فتنوعت بذلك معطيات الفصحى الصينية بترجمة مصطلحات التكنولوجيا الغربية الحديثة مثل بينيسيلين Penicilline أصبحت تسمى تشين مي سو ومعناها عنصر القضاء على السم والالتهاب وهناك طريق ثان هو نصف ترجمة معنوية ونصف لفظية مثل tracteur بالفرنسية أو tora بالروسية صارت طورا - تي Tora-ti اي ماكينة .

(2) العامل الثاني لتركيز اللغة هو النهوض بالثقافة الاشتراكية على ضوء النهضة الاقتصادية القائمة ونظرا لكثرة الحروف لم يمكن طبع معجم مرتب عليها لهذا رتب معجم جديد على خطوط الكلمة وقد طبع عام 1955 باسم « قاموس الصين الجديدة » في 7000 كلمة في جزء واحد مبسط يجعل في متناول الطلبة والباحثين والعمال ، وقد وقع العدول عن

مالكون للأرض يؤجرون فدائينهم للفلاحين في مقابل صاروا يعرفون الآن بأنهم مالكون لا يشتغلون وانما يعيشون على حساب الفلاحين .

وللتعبير عن الموت مثلاً يقال الوفاة وهي موت المحترم سياسياً في حين ان الموت يعبر بها عن وفاة المحترمين من خصوم الاشتراكية .

فاللفظ أصبح محط انعكاس لا للمفهوم العلمي او التاريخي او الحضاري وانما هو مرآة الاتجاه الادبولوجي الجديد .

ويستند اللغويون خاصة على ما يسمونه بحكمة الجماهير فالكلمة الأخيرة هي نظرياً للشعب في اختيار اللفظ الصالح .

وهناك لجنة للتبادل مكونة من ثلاثة اعضاء تختارهم اللجان او الفرق الثلاث المذكورة والتبادل هنا معناه اعادة النظر في الجازات وارجاعها الى رئيس كل لجنة للتحييم فتعاد الجازة الى صاحبها الاول للتحرير وابداء الرأي من جديد وبعد التصحيح الثاني للجازات ترجع كل جازة الى الرئيس العام للفرق الثلاث زيادة في التحييم ثم تعاد الى واضعها للمرة الثانية لتصحيحها على ضوء التوجيه الجديد وهو التوجيه الناتج عن اتصالات ماوتسي تونغ القائلة بأن القاموس له هدف واحد هو الجماهير فينبغي ان يكون عملياً واقعياً مفيداً للشعب اذا اريدت له الحياة فلماذا تكمل العمليات السابقة بطبع كل الجازات في الورق المهترق (ستنسيل) لتوزع على الجماهير من رجال التعليم والجامعة وغير الاميين من العمال والجنود .

أما مفردات العلوم التكنولوجية فانها تعرض في نهاية الامر على انظار مؤسسات البحوث العلمية لقرارها .

وهكذا يرى لغويو المذهب الصيني الجديد ان اللفظ الحضاري العام يخلقه الشعب ويقره الشعب اما المصطلح العلمي فان انتقائه راجع للاختصاصيين واذا كانت الفكرة طيبة في اساسها لانها تبني قابلية حياة اللفظ على مدى تغلغله في المجتمع واقتبال الجماهير عليه فان الايغال في ذلك قد يؤدي الى نوع من الشكليات المصطنعة والحل الوسط الذي نرتبه هو ان العامة اي اللفظ المتغلغل في احشاء الشعب يجب ان يحسب له حساب في تطعيم الفصحى لما ينتج عن التلقائية الجماهيرية احياناً من روعة فطرية وعمق جبلي ، ولكن اتخاذ ذلك اساساً للعمل قد يؤدي الى فوضى لا داعي لها .

مع عدد قليل من الخبراء القدامى الذين سبق ان ساهموا في وضع المعجم الاول وهناك ايضا خبراء لكل مادة يقومون باختيار ما يتصل باختصاصهم وكلهم طلاب يتخصصون في اللغة بكلية الاداب ويتلقون تكويناً فنياً دقيقاً للاضطلاع بمهنتهم ويقوم هؤلاء المدربون باختيار المواد الأولية المستعملة من :

(ا) المصادر الادبية وخاصة المقالات والابحاث النموذجية الاشتراكية .

(ب) مواد العلوم الاجتماعية مثل كتب مدرسية ابتدائية وثانوية وقراءات مبسطة .

(ج) معارف تكنولوجية .

أما المواد الثانوية فيقتبسونها من المعاجم القديمة كقاموس اللغة الجديدة المطبوع اول عهد التحرير بالاضافة الى المواد الحية المأخوذة من اعماق جماهير الشعب ومن حياته اليومية وعاداته وميوله ومفاهيمه وتعابيرهِ التلقائية عنها .

وقد انيط هذا العمل الضخم بثلاث فرق جمعت خلال عام واحد 700 000 جازة (اي بطاقات) اساسية ثم خلال عشر السنوات التالية الى عام 1966 جردت 900 000 جازة اضافية من المقالات الصحفية والمجلات .

أما اختيار المفردات فانه عملية معقدة تتطلب تحليلاً عملياً للمفيد وغير المفيد وقد اختير خمسون ألف مفرد من سبعمائة ألف ثم نتج عن فحص ثمان اذق انتقاء ثلاثة آلاف مصطلح اضيف اليها ستة آلاف اختيرت من التسعمائة ألف وهذه الارقام تقريبية .

ولا يتم الاختيار للمصطلحات الاصلح الا بعد جدال عنيف بين الاعضاء الذين ينتمون لمختلف الاقاليم والقوميات ويمثلون مختلف الاتجاهات وذلك حول مقاييس الاختيار اي موضوعيته او الى الانسياق مع الايدبولوجية البروليتارية كقياس للحكم لللفظ او عليه غير ان الاتجاه العام السائد هو ضرورة انعكاس السياسة الاشتراكية والمفاهيم الايدبولوجية في تركيز الثقافة الجديدة عن طريق مصطلحات جديدة فالمصطلح المختار وتعريفه يتاثران بمقتضيات المجتمع الطبقي القائم فالروح مثلاً تعرف بانها كلمة خرافية وبأن رسالة الماركسية التي لا تومن بالاله هي فصح خرافة الروح وقداسة الاديان .

وهاك مثلين آخرين للتدليل على مدى تاثير اللغة وتطورها بالعامل السياسي ذلك ان ملاك الاراضي الذين عرفهم القاموس الوطني القديم بأنهم

لغز القرآن

الأستاذ محمد هاجية الأكرشي
مطرا لجميع العالين الخواص
بغداد -

علي لها ، في الحمد ، دين غريم
سلام أخيد بالجمال هيوم
من اللفظ منسوق البيان رخيرم
كما هز عطف الزهر روح نسيم
صفاء مضيء الصفحتين يثيم
منافث سحر في الملاح صميم
ورم سحر لفظ بالحياة زعيم
نفى صوت مطراب الحنين بغوم
شفاه رؤوم تد هفت لفطيم

*

وطيب مذاق ، واختلاف طعموم
ترقرق عذبا ؟ أم رحيق كروم ؟
يزيد على الايام حسن رسوم
مصنى ، وروى طبع كل حكيم

*

وضفن بدا من قاسط وزنيم
باعظم مبعوث وخير زعيم
ورضاضها در وزهر نجوم
لازكى نفوس في اعز اروم
محوت على معنى اغر عظيم
وعز بمعطاء الحياة كريم

سلام .. ومن حيث ، أي رؤوم ؟
سلام على «أم اللغات» ، على المدى
مشوق الى الجرس الرقيق ، ومنصم
تراقص مفتر المباسم حرفه
اذا قلت : «در» قلت : بعض صفاتها
وان قلت : «سحر» ، قلت فاق استراقه
دع السحر ، من سود العيون تروده ،
صفا وترا ، حلو الارائين ، مثلما
ورف ، كما رقت باطيف قبله

1 «أم لغات العالمين» بلاغة ،
بيانك ؟ أم نبع من الخلد كوثر
تجاوز اعناق الدهور ، وحسنه
سقى كل لماح البيان زلاله

يقولون : «بنت البید» ، قلت : شفاء ،
أجل ، بنت بيد .. شرف الله قدرها
ثراها الطهور الجعد ، للعين ائيد ،
ومنزلها الضحيان ، دار كرامة
تنزل «قرآن» بها .. ما تلوته
تكرم بالوحى الامين مبینة

تلا منه بالرواء « محمد » ،
سرى ينغم الاتفاق مسكا وعنبيرا

✱

يقولون : « سيف » ، قلت : سيف بلاغة
له في نواحي الخافقين بوارق
وفتح ... هداياه البشائر والسنا ،
فتوح بلاغات اللسان خوالد ،
وقد وسعت دينا ، ودنيا ، ودولة
وصاغت كعرق التبر أسنى حضارة
على كل طمّاح الذوائب .. اسمعت
وفي حيث حلت .. معشب ، ومبءاء
وتامت شعوبا ، فاستقلت بدنها
واغنت بها الدنيا عباقرة النهى
ستبقى على رغم العدا ذات مؤدد

✱

لدى لك ، يا روح الجمال وسره ،
حببتك حبا .. يعلم الله أنه
ولو سامني دهري بحبيك ، لامتدت

وأتى به الدنيا اريج شميم
ويحيى من الأرواح كل رميم

سماوية الانفاس ذات رنيم
تضيء تلوبا جللت بسديم ،
وعيش ربيع دائم ووسيم
وما حظ فتح السيف غير هشيم
وراء حدود للفلا وتخوم
تحلت بأداب سميت وعلوم
صداها ، ورنيت في ريا وحزوم
ينفض بها النوار ختم لطيم
كما استحلت الصهباء روح خذيم (1)
بأحلى ثبير ماتع ونظيم
على ذاهب من دهرها ومقيم

لفات الورى من حادث وقديم
أعز من ابنى صونه وحميمي
هواك حياتي حسبة ونعيمي

(1) الخنيم : السكران .

منهاج لتنسيق

التقريب في العالم العربي

التصميم العشري

في نطاق التصميم العشري الذي اختطه المكتب الدائم لتنسيق التعريب من أجل استكمال سلسلة معاجمه في ظرف عشر سنوات قد امضى المكتب منذ انشائه أربع سنوات في تحضير معاجم لتعريب بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاشغال العمومية والفقه والقانون الخ. وهو يعتزم اتمام اعماله المعجبة اثناء السنوات الست الباقية لجعل المصطلحات العربية موازية ومساوية للمصطلحات الغربية الحديثة .

وذلك هو موضوع هذا « المنهاج لتنسيق التعريب في العالم العربي » .

تمهيد

ان تدارك النقص الذي تعانيه اللغة العربية في اداء كثير من المفاهيم الانسانية بصفة عامة ، وفي التعبير عن المدركات العلمية والتقنية بصفة خاصة قد اصبح بلا نزاع ضرورة حتمية يؤمن بها الجميع ولا يزال العاملون في مختلف البلاد العربية منذ القرن الماضي يسعون في سبيل القيام بها ما وسعهم السعي، ولكن من دون خطة مرسومة ولا طريقة محددة ولا منهاج معلوم ، بل كل يعمل على شاكلته وفي عزله ليسد بعض ما يواجهه من فراغ .

ولا يسع احدا ان ينكر ان هذه الجهود رغما عن تشتها وتنوعها وعدم منهاجيتها قد آتت بنتائج حسنة قيمة في حد ذاتها، لكن قيمة هذه الثروة النفسية التي اكتسبتها لغتنا تتضاءل امام ضخامة الزمان الذي استغرقته تلك الجهود في جمعها وان جدوى هذه الحيلة الضخمة من المصطلحات الجديدة والكلمات المستحدثة لتكاد تتلاشى ازاء السرعة التي تتقدم بها العلوم والفنون وتسير بها الحضارة الانسانية في هذا العصر .

اجل ، ان لغة الضاد صارت في مطلع هذا القرن بفضل اولئك العاملين أقدر منها في القرن الماضي على

إبانة مقاصد الناطقين بها ثم أصبحت في منتصف القرن العشرين أكثر اقتدارا منها في الربع الاول من هذا القرن ، فحينما نستعرض مثلا المصطلحات العلمية والفنية التي اقراها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الثلاثين عاما التي مرت على تأسيسه وحينما نتمعن النظر في قواعد اللغة التي أعدها هذا المجمع لعمل المعربين وسائر اللغويين فاننا لا نملك الا ان ننحني اعجابا واكبارا لهمة رجاله وكفاءتهم وغيرتهم على لغتنا القومية ، فانهم رغبا عن محاربتهم النقص في واجبتين معا: وضع المصطلحات الجديدة من ناحية وسن القواعد لوضعها من ناحية أخرى ، ورغما عن قلة الوسائل المادية المتيسرة لديهم وعدم تفرغهم للعمل فانهم رغبا عن ذلك كله قد تمكنوا من توفير الاداة اللازمة لعمل التعريب من قواعد للوضع والاستتاق والنحت والتركيب والجمع الخ. مثلما وفقوا الى وضع المقابل العربي لكثير من المصطلحات العلمية والفنية الاعجية .

وقد تعززت اعمال هذا المجمع بأعمال مؤتمرات وهيئات علمية ومهنية مختلفة وبأعمال افراد من الشخصيات العلمية ذوي الثقافة المزدوجة من امثال

الضعف وهذه القوة في الخطورة . فالكمل يعلم أن لغتنا تشكو فقرا مدقعا من ناحية وطغيان ثروة باذخة من ناحية أخرى لكن لا احد يستطيع أن يقدر ولو على وجه التقريب قيمة الثروة ولا مدى الفقر ، وما دما لا نعرف عن طريق احصاء علمي دقيق ما عند لغتنا وما ينقصها فاننا نظلمها ظلما صريحا عندما نعد الى وضع الفاظ جديدة أو احداث معان جديدة للكلمات موجودة لتقابل بها المصطلحات العلمية والتقنية والفاظ الحضارة التي نفترض خلو لغتنا مما يتقابلها في حين أن افتراضنا لا يقوم الا على الحدس وانه لمن المؤسف حقا أن نعد الى وضع الفاظ أو عبارات جديدة لمصطلحات موجودة في كتب اللغة قبل هذا العصر . وكثيرا ما يحدث ذلك بسبب اثارنا الطريق السهل في مجال البحث كما يتضح من المثال التالي الذي نوردته على سبيل البيان فحسب فاللفظ الفرنسي « Contrepoids » يعني « ما يعادل به ثقل غيره » ويقابله في اللغة العربية لفظ « رجازة » (وزان كتابة) الذي شرحه ابن سيدة في « المخصص » بقوله « الرجازة كساء يجعل فيه احجار ويلقى بأحد جانبي الهودج اذا مال ليعتدل وجمعه رجايز » واللفظ الفرنسي مصطلح تقني موضوعه الصناعة المكنية فبماذا قابله ارباب هذا العالم من اخواننا العرب ؟ لقد عربه أبو شعيشع في كتابه « هندسة السيارات » وكذلك عباس حلمي ومحمد عبد العزيز ندا في كتابهما « علم اصول صناعة السيارات » بد « اثقال اتران » وترجمه محمد النجاري بك في معجمه « قاموس فرنساوي عربي » بد « ثقالة » و « ثقل » و « موازنة » أما بولو اليسوعي فقد اكتفى في ترجمته بابراد الشرح التالي : « ثقل موازن لغيره » .

ومهما كان الامر فان لهؤلاء المترجمين فضلل الاجتهاد ولهم كامل العذر في عدم اهدائهم الى لفظ « رجازة » الذي لا يقع العثر على امثاله الا بمحض الصدفة لانه لا يوجد كتاب يضم بين دفتيه الفاظ اللغة العربية مبوبة حسب معانيها تبويبا موضوعيا ملائما لمعقولة هذا العصر وذوقه ، يسهل على الباحث ان يعثر فيه على الالفاظ المؤدية للمعاني التي تجول في خاطره ويتوقف في التعبير عنها كتاب يمكن اعتباره معجما للمعاني كاملا ومحيطا بكل ما في اللغة العربية من الالفاظ والمعاني ، بحيث يسوغ لنا عندما لا نجد فيه اللفظ الصالح لمقابلة مصطلح اجنبي أو المؤدي لمعنى معين أن نجزم بأن اللغة العربية خلو منه ، فيمكن حينذاك وضع لفظ جديد .

استاس الكرمللي والدكتور امين معلوف ومصطفى الشهابي وعبد الرحمن الكواكبي و خليل شيبوب فازدادت بذلك ضخامة حصيلة المصطلحات الموضوعية . لكن هذه الحصيلة كلها ليست سوى غرفة من بحر بالنسبة الى مجموع مصطلحات العلوم الحديثة التي تزداد بنسبة 100 مصطلح جديد في كل يوم حسبما ورد في احد تقارير منظمة اليونسكو الاممية .

ولا مندوحة عن الاعتراف بأن تلك الطريقة المعنوية غير المحدد موضوعها ولا شكلها ولا زمانها وانتى سار عليها حتى الآن عمل التعريب في العالم العربي لا يمكنها ان تكفل حاجة العرب اللغوية ولن يتسنى لها ان تسد خصاصة لغة الضاد في يوم من الايام مما تضاعفت الجهود واشتد نشـاط المترجمين والمربين والواضعين ، فان تخلف اللغة العربية لن يتدارك بغير خطة علمية وتقنية مرسومة بأحكام اهدافها محددة بدقة وتفصيل ووسائلها العلمية معينة بوضوح خطة صالحة لتكون اطارا لجميع ما يجري من أعمال في ميدان التعريب وما يبذل من جهود في اصلاح اللغة .

ان التخطيط لازم لعمل التعريب وهو بالتالي ضروري للقيام بمهمة التنسيق المنوطة « بالكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي » ما دام التنسيق يعني جعل العمل يسير على نسق محدد نحو غاية معينة وهذا بالذات هو موضوع التخطيط لذلك رأى هذا المكتب لزاما عليه أن يرسم لعمله منهجا يحيط بجميع ما يبذله من جهود ويصدر عنه من منجزات وفي نطاقه يجري التعاون مع جميع الهيئات والمؤسسات اللغوية والافراد المعنيين بشؤون التعريب في كل البلاد العربية .

وهذا المنهج الذي استقر عليه رأي أسرة المكتب الدائم بعد طول البحث ينقسم الى قسمين :

- (1) الاعمال العلمية .
- (2) الوسائل التقنية والعملية .

القسم الاول — الاعمال العلمية

(1) جرد الفاظ اللغة العربية وتبويبها حسب معانيها

تبل وصف الدواء لابد من تشخيص الداء وتشخيص الداء لابد من فحص المريض واستبانة مواطن ضعفه ومواطن قوته، وفحص مريضتنا اللغة العربية لم يتم به احد حتى الآن بكيفية علمية كفيلة بتحديد مواطن ضعفها ومواطن قوتها بالضبط وكفيلة بتعيين درجة هذا

عمل لازم لتكملة العمل الاول الذي قلنا اننا نهدف به الى معرفة ما عند اللغة العربية وما ينتقصها ، فان المعجم العربي للمعاني الذي تحدثنا عنه لن يكون بوسعه ان يطلعنا الا على ما عند اللغة العربية اما ما ينتقصها فلن يتبين الا بمقارنة ما عندها في كل موضوع بها عند غيرها في نفس الموضوع ، ولذلك يتعين جرد دائرة المعارف الفرنسية ودائرة المعارف الانجليزية وتصنيف مادتيهما حسب التوبيع المتبع في اعداد المعجم العربي للمعاني لتسهيل المقارنة .

* * *

(ت) جمع المصطلحات المعربة
معاجم العربيات - مساعد العرب
يتلخص هذا العمل في تجميع كل ما عرب حتى الآن في مختلف البلاد العربية من مصطلحات علمية وتقنية والفاظ حضارية وغيرها مع الالفاظ الفرنسية والانجليزية المقابلة لها وترتيبها حسب الحروف الهجائية ترتيبات ثلاثة في معاجم ثلاثية اللغة :
(1) باعتبار اللفظ الفرنسي في صورة معجم فرنسي انجليزي - عربي .
(2) باعتبار اللفظ الانجليزي في صورة معجم انجليزي - فرنسي - عربي .
(3) باعتبار اللفظ العربي في صورة معجم عربي - فرنسي انجليزي .
وهذه المعاجم الثلاثية اللغة ستكون مادتها عامة تشمل مصطلحات مختلف العلوم والفنون وغيرها مع الاشارة بجانب كل مصطلح الى العلم او الفن الذي ينتمي اليه وسيوضع امام كل مصطلح اعجمي جميع ما يقابله من الالفاظ العربية المستعملة في مختلف البلاد العربية على غرار النهج الذي سلكناه في معجم الفقه والقانون الفرنسي - العربي الذي صدر منه اخيرا الجزء الاول (A - B)
وسيطق على هذه المعاجم الثلاثة اسم « مساعد العرب » .

وبهذا العمل سيتم تدوين حصيلة التعريب كاملة وتيسر الامادة منها للمعنيين بشؤون التعريب والترجمة ويتسنى للباشرين وضع المصطلحات ان يعملوا وهم على بينة من امرهم فلا تتكرر الجهود وتعدد لتعريب مصطلح قد تم تعريبه من قبل .
وقد انجز المكتب الدائم بالتعاون مع مصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير قسما هاما من هذا العمل فان المصلحة المذكورة انشأت جزائرية

واعداد هذا الكتاب هو من الاعمال العلمية التي يتضمنها هذا المنهاج ويدخل فيه باسم « معجم عربي للمعاني » وسنتحدث فيها يلي عن الطريقة العلمية التي ستتبع في اعداده اما الوسيلة التقنية والاداة العملية فسنعرض لهما في القسم الثاني من هذا التخطيط .

معجم عربي للمعاني

سيشتمل هذا المعجم على جميع الفاظ اللغة العربية التي ستجرد من مختلف كتب اللغة سواء منها القديمة او الحديثة وسواء منها معاجم الالفاظ او معاجم المعاني، وسترتب فيه باعتبار مواضيع معانيها حسب توبيع قويم صالح للتطبيق على كل لغة حية راقية في هذا العصر .

وسيفتار لكل لفظ أوفى الشروح وانصحها ويجعل امامه بقدر الامكان ما يقابله من الفاظ في اللغتين الفرنسية والانجليزية .

وهذا المعجم الذي سيكون مرآة ناصعة تتجلى فيها بغاية الوضوح مواطن الضعف ومواطن القوة في لغة الضاد سيساعد لا على تدارك النقص الموجود في اللغة العربية فحسب بل وعلى امداد اللغتين الفرنسية والانجليزية بما ينتقصها من المفاهيم الانسانية التي تنفرد بها لغة القرآن وفي ذلك استجابة لرغبة المكتب الدائم الحريص على ان يسهم في العمل على توحيد المفاهيم الانسانية على الصعيد العالمي في اطار التبادل الفكري بين الشرق والغرب . ومن المراجع الرئيسية التي ستعتمد في تحضير هذا المعجم نذكر « لسان العرب » و « تاج العروس » و « اساس البلاغة » و « الصحاح » و مقاييس اللغة » و « متن اللغة » و « المعجم الوسيط » و « اقرب الموارد » و « المخصص » و « فقه اللغة » و « الفاظ » ابن السكيت و « الالفاظ الكتابية » للهمداني ودائرة معارف لاروس الكبرى ومعجم اللغة الفرنسية لبول روبير ودائرة المعارف البريطانية .

* * *

(ب) جرد الفاظ اللغتين الفرنسية والانجليزية وتبويبها حسب معانيها

معجم فرنسي - انجليزي للمعاني
جرد المفاهيم الانسانية من خلال الالفاظ التي تشتمل عليها المعاجم الفرنسية والانجليزية الحديثة

تشتمل على نحو مائتي ألف جزارة تضم مصطلحات علمية وتقنية وحضارية مختلفة بالفرنسية والعربية والانجليزية جردتها من مختلف الكتب والمعاجم والمجلات الجمعية ونشرات الهيئات الثقافية في مختلف البلاد العربية التي أهداها بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب وتشكل هذه المجموعة معجما فرنسيا عربيا ضخما يمتاز بكونه يضع أمام المصطلح الاعجمي جميع مقابلاته العربية المستعملة في مختلف البلاد العربية .

ومن هذه الجزارة التي تتضخم يوما عن يوم بها يدها به عمل الجرد المتصل أمكن استخراج مادة معجم الفقه والقانون الذي صدر منه الجزء الاول .

* * *

ث) ترتيب المعربات العلمية والفنية حسب مواضعها

تستخرج من « مساعد العرب » المذكور اعلاه مصطلحات كل علم وفن لترتب على حدة في معاجم علمية ثلاثية اللغة كذلك مرفقة بشروحها في اللغات الثلاث فيتألف منها مثلا « معجم الرياضيات » و « معجم الفيزياء » و « معجم الكيمياء » و « معجم المصطلحات المكنية والصناعية » و « معجم المصطلحات الاقتصادية والمالية » و « معجم الفقه والقانون » و « المعجم الطبي » و « المعجم الحضاري » الخ..

وعند انجاز كل معجم من هذه المعاجم يعرض على خبراء العالم العربي قصد اقرار مصطلحاته بكيفية نهائية وذلك حسب الطريقة المبينة في الفصل « ح » من هذا المنهاج .

* * *

ج) جرد المصطلحات غير المعربة

تجرد المصطلحات الفرنسية والانجليزية التي بقيت بدون مقابل عربي في معاجم فرنسية انجليزية مختصة نعني أن كل معجم منها يختص بعلم أو فن أو موضوع معين يستقل به ، وينبغي لهذه المعاجم أن تتضمن ازاء كل مصطلح شرحه العلمي بلغته وأن تضيف الى الشرحين الاعجميين شرحا عربيا بقدر الامكان .

وبعد تمام العمل في هذه المعاجم تعرض على لجان عربية مختصة لتضع لمصطلحاتها الاعجمية مقابلات عربية ، ولتقرر شروحها العلمية .

* * *

ح) تأليف معجم اللغة العربية

بعد توحيد جميع المصطلحات المعربة واقرارها بصيغة نهائية تخاف الفاظها وشروحها العربية الى مادة المعاجم اللغوية بعد تهذيب هذه المادة وتفتيحها ليتكون منها المعجم العربي الجديد الذي سيمتاز بشموله وبوضوح الشرح ودقته وكفايته وملاءمته لذوق العصر وعقليته بقدر الامكان .

ومن مميزات هذا المعجم يمكننا ان نذكر على سبيل البيان نحبس لا على سبيل الحصر :

— خلوده من الكلمات الاضداد وهي كثيرة في اللغة العربية وذلك بتغليب احد المعنيين على ضده وقصر مدلول الكلمة عليه ، فلا يشرح فعل « جل » مثلا بـ « عظم » و « حتر » أو « دق » معا بل ينبغي أن يقصر على معنى « عظم » الغالب على مادة « جل » كلها وخصوصا أن « الجليل » من أسماء الله الحسنى، وأنه لا يستعمل في عصرنا هذا أي لفظ من مشتقات هذه المادة بمعنى « حتر » أو « دق » ويستبعد جدا أن يستعمل في المستقبل ، وكذلك يمكننا أن نقول عن فعل « اسر الشيء : أخفاه + وأعلمه + و « رتا الشيء : شده + وأرخاه » وأخفى الشيء : أظهره + وكتبه : « باع الشيء : باعه + واشتراه » وشري الشيء : اشتراه + وباعه » الخ .. ونجيب المعارضين المحتجين بقطع الصلة بين ماضي العربية ومستقبلها بأن هذه الصلة ستبقى محكمة بفضل المعاجم القديمة التي ينبغي أن تبقى مرجعا يستعان به على فهم الآثار الأدبية والتاريخية .

— اجتناب الدور والتسلسل في شرح الكلمات فلا يجتزأ في تفسير اللفظ بإيراد احد مرادفاته حتى اذا انتقل الباحث الى مادة المرادف ليحصل على مدلول اللفظ الاول يحيله هو الآخر على اللفظ الاول أو على لفظ ثالث مثلها يلاحظ على « المعجم الوسيط » الذي شرح كلمة « المبرغ » بـ « المشرط » وشرح « المشرط » بـ « المبضع » وشرح « المبضع » بـ « المشرط » .

— الاقتال بقدر الامكان من معاني الكلمات المشتركة بحذف معانيها الغربية أو النادر استعمالها بها مما لا تحتاج اليه اللغة العربية لوجود الفاظ أخرى تؤديه مثل أن يعمد في شرح كلمة « راموز » التي تعني حسب معاجم اللغة « النموذج » و « الاصل » و « البحر » الى حذف « البحر » من مدلولها فتبقى دالة على « الاصل » و « النموذج » فحسب .

* * *

خ) توحيد المصطلحات واتقرارها في العالم العربي

لتوحيد المصطلحات المعربة وتعريب بقية المصطلحات واتقرارها في العالم العربي بصفة نهائية تلتزم الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب من الامانة العامة لجامعة الدول العربية عند انتهاء العمل في المعاجم العلمية المذكورة سابقا ان تعمل على تأليف لجان علمية عربية مشتركة بين البلاد العربية) وذلك بأن تطلب من حكومة كل دولة عربية ان تعين عالما أو أكثر لتمثيلها في كل لجنة مختصة ببحث مصطلحات علم من العلوم ، ثم تجتمع هذه اللجان تحت اشراف الامانة العامة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب وبعد فراغها تبلغ الادارة الثقافية للجامعة نتائج اعمال هذه اللجان الى جميع الحكومات العربية مع التوصية بالعمل على ان لا تستعمل في بلادها غير المصطلحات التي اقترحتها اللجان العربية .

القسم الثاني - الوسائل التقنية والعملية

1 - الخبراء :

لا يمكن القيام بالاعمال العلمية المبينة في القسم الاول من هذا المنهاج الا بمساعدة خبراء عرب ، وأقل ما يلزم لاعداد مصطلحات كل علم ثلاثة اخصائيين يتقنون اللغة العربية مع احدى اللغتين الفرنسية أو الانجليزية .

وسيكون عملهم علميا محضا يتلخص في مقابلة المصطلحات الاعجمية بنظيراتها العربية والعكس وفي مقابلة المصطلحات الفرنسية بالمصطلحات الانجليزية والعكس واعداد شروحاتها العلمية باللغات الثلاث ، ايا التصنيف والترتيب فينجز بواسطة آلات المكنغرافية.

2 - المكنغرافية

ان المشاريع العلمية التي يشتمل عليها هذا المنهاج عمل عظيم وانجازها كلها بالجهود الانسانية يقتضي استخدام جيش من العلماء والمساعدين مدة قد تطول عشرات السنين ، ولذلك فكر اعضاء اسرة المكتب في استعمال الآلات المكنغرافية فاتصلوا برجال ادارة مؤسسة « IBM » ومؤسسة « Bull » وعرضوا عليهم هذه المشاريع وبحثوا معهم الطريقة التقنية التي ينبغي ان تتبع لتحقيقها واستخلصوا من بحثهم انه يمكن اعداد الاعمال العلمية المشتمل

عليها هذا المنهاج في آن واحد يعني ان الجهد الواحد المصروف في اعداد عمل واحد من هذه الاعمال يمكن استغلاله لاعداد سائر الاعمال الاخرى ، بفضل جزازات المكنغرافية التي هيأت لها اسرة المكتب نظاما يكفل تحقيق جميع اغراض هذا المنهاج .

وتتلخص طريقة العمل في أن تقوم إحدى هاتين المؤسستين بجرد جميع المفردات المشتمل عليها معجم لاروس الكبير في جزازات المكنغرافية وباصدار الامر الى الدماغ الالكتروني أو الفاكورة (كما يريد أن يسميها الأستاذ عبد الحق فاضل) لترتيبها ترتيبا هجائيا وترتيبها موضوعيا أي حسب العلم الذي تنتمي اليه ثم لتقابلها بالمصطلحات الانجليزية والعربية التي يمد بها المكتب الدائم ثم لترتب هذه المصطلحات المضافة ترتيبا هجائيا حسب الالفاظ الانجليزية وحسب الالفاظ العربية ثم لتعزل المصطلحات المعربة عن المصطلحات غير المعربة ثم لتفصل المعربات فتميز الموحد من الراجع من المختلف فيه ثم لتمييزها حسب مصادر وضعها وحسب مراجعها .

ويقوم المكتب الدائم بجرد جميع مفردات المعاجم وكتب اللغة العربية وامداد آلات المكنغرافية بها لترتيبها حسب مواضعها على نظام المعجم العربي للمعاني المذكورة في فصل « الاعمال العلمية » ، ولترتيبها أيضا ترتيبا هجائيا لتأليف المعجم العربي الجديد .

وبعد تمام جمع مادة الاعمال العلمية المذكورة في الفصل السابق كلها وادخالها في المكنغرافية تستخرج منها بطريقة آلية المعاجم كلها تباعا الواحد تلو الآخر مطبوعة على نحو يمكن من تقديمها الى المطبعة بدون تغيير كبير .

3 - المال :

لقد اتضح للمكتب من مخابراته مع مؤسسة « IBM » التي قامت العمل في جرد الفاظ لاروس فقط بأن انجاز هذه المشاريع العلمية سيستغرق ما يقرب من خمس سنوات تؤدي خلالها اجرة شهرية عن كراء آلات المكنغرافية وأجور الآليين ، اذ ان جرد الفاظ لاروس وحده سيستغرق ثمانية عشر شهرا من عمل مستخدم آلي واحد على أساس اشتغاله بكيفية متصلة طوال ثمانين ساعات في اليوم مدة خمسة أيام في الاسبوع .

لذلك فان تحقيق هذه المشاريع العلمية سيكلف نفقات كبيرة لا تيل للمكتب بها الا اذا وفيت جميع الدول

مال ولذلك فانه يأمل أن يقدر أبناء العروبة هذه المشاريع التي يتقرر بها مصير اللغة العربية حتى تدرها كما يأمل أن تتفهم جميع الدول العربية واجباتها في هذا السبيل بكامل الوعي ويرجو على الاخص أن تقدر الحكومات العربية مسؤوليتها بشأن العمل على انجاز هذه المشاريع العلمية الحيوية بالنسبة للغة القومية .

وسيكون المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي سعيدا اذا توفر لديه المال والخبراء لتحقيق المشاريع ، اما اذا لم تتح له وسائل العمل فنحسبه انه قدم الى الشعوب العربية خطة علمية وتنفيذية لتحقيق امنية من اعلى امانيتها القومية .

العربية بالتزاماتها فانت له ما بقي في نعمتها من الاقساط السنوية التي تعهدت بها ثم امدته زيادة عليها بمقادير مالية تخصص لانجاز الاعمال العلمية المذكورة .

* * *

خلاصة :

ان المكتب الدائم لتنسيق التعريب بتخطيطه هذا المنهاج لعمله قد وضع خطة للنهوض باللغة العربية ورفعها الى مستوى اللغات الراقية في هذا العصر ، لكنه لن يمكنه ان ينجز شيئا من هذه الاعمال بدون

الجامعة العربية وتمويل التصميم العشاري

توصلنا من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بتاريخ 27-12-1966 بخطاب موجه للسيد الامين العام ورد فيه انه في خصوص « مشروع التصميم العشاري للتعريب لا يسع الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية الا ان تشد على يديكم مهنة اياكم على ما تبذلون من جهود مشكورة في خدمة لغتنا راجية لكم اضطراد النجاح والتوفيق كما نوافق من جهتنا على المبادئ التي ضمنتموها مشروعمك المشار اليه باعتباره الوسيلة المثلى في رابنا لاية خطة عملية تفتح في موضوع التعريب او توحيد المصطلحات العلمية » .

وقد وجهت الجامعة العربية في هذا الصدد مذكرة الى وزراء الخارجية العرب جاء فيها :

تهدي الامانة العامة لجامعة الدول العربية اطيب تحياتنا الى وزارة خارجية ... والخاصة بمذكرتها رقم 46 في 1-1-1967 بشأن تأييد المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالمغرب ، وتشرف بالافادة بان هذا المكتب بصدد وضع معجم عام باللغة العربية واللغتين الفرنسية والانجليزية في نطاق التصميم العشري ، يكلف مبالغ لا تستطيع ميزانية المكتب - بصورتها الراهنة - تحملها .

لذلك تأمل الامانة العامة تأييد دولتكم الموقرة لهذا المشروع ومعاونة المكتب على تحقيقه علما بان للمكتب المذكور مجلسا تنفيذيا مشكلا من جميع السادة سراء الدول العربية بالرباط وهو الذي يتولى اقرار ميزانياته والاشراف على اعماله . وتنتهز الامانة العامة هذه الفرصة للاعراب عن فائق احترامها .

المكتب الدائم ينظم :

الموسم العلمي لسنة 1967

عليها الموسم العلمي والاستفتاء العام حول مشاكل اللغة العربية بينها وجهت الحكومات العربية الاخرى عشرات الابحاث والمحاضرات ، وقد سبق للمكتب ان ترك الاختيار للدول العربية بين بعث اساتذة ار ارسال ابحاث للمشاركة في الموسم .

وقد تركت معارض الكتاب العلمي التي نظمتها المكتب الدائم بمناسبة هذا الموسم اصدااء كثيرة في الصحافة منها ما كتبه جريدة العلم على لسان مراسلها بالدار البيضاء حول معرض الكتاب الاقتصادي حيث قالت :

معرض « الكتاب الاقتصادي » الذي يقيمه المكتب الدائم للتعريب بالمعرض الدولي بالدار البيضاء شهادة صادقة تجسد قدرة اللغة العربية على مسايرة البحوث العلمية بكل دقائقها وملاحقة التطور الفكري بكل ابعاده .

وهذا المعرض ايضا عنوان بارز للجهود الجبارة، وللنشاط المتواصل ، الذي يقوم به المكتب الدائم للتعريب في العالم العربي من اجل تثبيت كيان الامة العربية الاقتصادي والعلمي والثقافي والاجتماعي ، في اطار لغتها الحاذقة تعبيراً وعملاً .

ومما يلفت الانتباه ان رواق « الكتاب الاقتصادي » يلاقي - يوماً بعد يوم - اقبالا منقطع النظير ويحوز اعجاباً متزايداً من جميع زوار المعرض الدولي - على اختلاف جنسياتهم وميولاتهم ولغاتهم - لما يمتاز به من كثرة المصنفات المترجمة والمؤلفة التي تتناول بطريقة الاستقراء والاستنتاج والقياس الحديثة مختلف الابحاث الاقتصادية المتعلقة بالفلاحة والتجارة والاحصاء ، وهندسة السيارات ، والجيولوجيا ، والدراسات البنكية . هذا بالإضافة الى المجالات الاكاديمية القاهرية والبغدادية والدمشقية - التي تعزز بابحاثها تلك المؤلفات المذكورة - والمصطلحات العلمية الجديدة التي اقترتها المجامع العربية .

في نطاق الموسم العلمي الذي نظمه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بين 16 ابريل و15 مايو 1967 اقيمت اربعة معارض للكتب العلمية العربية .

1 - معرض الكتاب العسكري بدار الفكر بالرباط .

2 - معرض الكتاب الاقتصادي بالقاعة الكبرى للمعرض الدولي بالدار البيضاء ، من 27 ابريل الى 21 مايو .

3 - معرض الكتاب العلمي العربي بقاعة المكتبة العامة بتطوان .

4 - معرض كتاب الفقه والقانون بقاعة كلية الشريعة بفاس وهي تابعة لجامعة القرويين .

وفي اطار هذا الموسم بعثت الملكة العربية السعودية الاستاذ محمد عثمان الصالح استاذ بجامعة الرياض للحضور باسم بلاده في هذا الموسم الثقافي، وقد استمرت زيارته للمغرب نحو من شهر وقف خلالها على مختلف نشاطات المكتب ، واجرى عدة محادثات مع السيد الامين العام ومع رجال الصحافة والاذاعة حول نشاط العربية السعودية في الحقل الفكري ، كما بعثت الجمهورية -السينغالية بدورها السيد عامر صب الاستاذ بالمعهد الاصلي للدراسات الزنجية ، وقد استمرت زيارته للمغرب اكثر من اسبوع اتصل خلالها بمختلف اجهزة الاعلام المغربية ووقف فيها على عدة نشاطات فكرية وثقافية وكان حضوره للموسم العلمي العربي مظهراً للطابع الاسلامي العام الذي يمتاز به حركة التعريب المرتكزة على لغة القرآن التي هي لغة ستمائة مليون من سكان العالم .

وقد عينت الحكومة اللبنانية لتمثيلها في هذا الموسم الدكتور جبور عبد النور الاستاذ في جامعة بيروت كما عينت وزارة التعليم العالي بدمشق الاساتذة سعيد الافغاني وانطوان ايوب وخير الدين حتي الذين قاموا بابحاث ودراسات في نطاق الفكرة التي ارتكز

هذا ومما تجدر الإشارة إليه ان نظام العرض كان رائعا الى حد بعيد .

وكتبت نفس الجريدة تعليقا على معرض «الكتاب العسكري» بقلم احد محرري صفحاتها الادبية جاء فيه :

ان معرض الكتاب العسكري الذي نظمه المكتب الدائم للتعريب في دار الفكر بالرباط هو واحد من أربعة معارض منظمة في البيضاء والرباط وفاس وتطوان وقد امتاز معرض الكتاب العسكري الى جانب اهميته من حيث انه الاول من نوعه في معارض الكتب العربية . امتاز بهذا السيل الكبير من الكتب التي ظفرت بها المكتبة العربية وخصوصا في ميادين الاختصاص ، فالزائر للمعرض يأخذ باهتمامه عناوين الكتب والنشرات والمعاجم والمسلسلات التي تبدأ من علوم الذرة والفيزياء وعلوم البحر والمواصلات الى علوم الفضاء والصواريخ والتانقات ناهيك بالكتب المخصصة لسائر المعدات والاجهزة الحربية من دبابات ومدافع وطائرات وبنادق وغواصات ومصفحات ومختلف الفرق الآلية الخفيفة أو الثقيلة ووسط هذا الخضم كتب عن ادارة المعارك والاستراتيجية الحربية وكتب عن الجيوش، ومعاركها، وانتصاراتها ومواقعها ، وعن قادة الحروب ، واثار الحروب في الحضارات وكذلك الجيوش المحترفة ، والفروق المشهورة ، وبعض الخطط الحربية التي كللت بالنصر سواء في الصحراء أو فوق المحيطات ، أو في الجو ، ثم هناك مذكرات الجنرالات المرموقين واصداء عن معاركهم ومعاهداتهم ، والجيوش التي قادوها الى النصر . وغير هذا كثير مما لا يدخل تحت حصر .

ويضم المعرض العسكري العربي في جناح الكتب دون المجلات مائة وثمانين كتابا مختلفة الاحجام والاتجاه ومقسمة الى خمسة اقسام رئيسية هي :

- (1) الهندسة العسكرية .
- (2) الاسلحة والمعدات الحربية .
- (3) الفضاء والعلوم النووية .
- (4) الاستراتيجية .
- (5) الجيش .

وهذه الكتب صدر اغلبها في سوريا والجمهورية العربية المتحدة ولبنان ، كما ان بعضها مترجم عن الانجليزية خصوصا ما يتعلق بشؤون الفضاء ، والطائرات التي تسبق الصوت والصواريخ والغواصات

والقنابل الذرية والهيدروجينية وسلاح الجو . وقد ضم المعرض الى جانب الكتب الحديثة كتباً اخرى قديمة تشهد للكتاب العربي بالسبق في هذا الميدان .

وفي وسط المعرض نصبت مائدة كبيرة عليها بعض المعاجم الخاصة بالالفاظ الحربية والعسكرية « انجليزية عربية » .

وفي قاعة اخرى عرضت المجلات التي تهتم بالشؤون الحربية والدفاعية والقوات المسلحة والامن تصدر بالمغرب وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية والاردن .

ومن هذه المجلات « القوات المسلحة السعودية » و « الجندي » و « المجلة العسكرية » و « الركن » من الاردن ، و « الجندي » و « المدعي » و « الركن » من العراق و « الجندي » و الجيش الشعبي » و « الشرطة » من سوريا .

ومن المغرب « الشرطة » و « القوات المسلحة الملكية » .

ومن الجمهورية العربية المتحدة (الامن العام) وكتب كثيرة عن قوانين البوليس والمباحث الجنائية .

وهذه المجلات تمتاز بمواضيعها واللوانها واشكالها المتعددة التي تخطف الابصار . وفي باب المعرض نصدت رايات هي رايات المغرب عبر العصور .

وقبل ان يخرج الزائر من المعرض يرسم على شفتيه بسمة الثقة في ان الكتاب العربي المتخصص يشق طريقه نحو هدفه ، حقيقة ان المعرض لم يحتو على كل ما ظهر بالعربية في هذا الضرب من التأليف وحقيقة انه ليس الا قطرة من بحر ، فانه على اي حال قد اسهم في صمت وتواضع في تعريف القارئ العربي بالاشواط التي قطعتها العربية في العصر النووي » .

وفي اطار الموسم العلمي نظمت المندوبيات الاقليمية للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ندوات علمية شتى تناولت مختلف القضايا اللغوية التي تهم العالم العربي اليوم .

ففي مدينة تطوان قامت المندوبية الاقليمية التابعة للمكتب الدائم بتنظيم ندوة علمية حول تجربة تعريب القضاء والقانون اشترك فيها الاساتذة : الدكتور علوش رئيس المحكمة الاقليمية والاستاذ الكرناي نقيب المحامين بتطوان ، والمحامي الاستاذ

محمد الفاسي الفهري، واشرف عليها المندوب الاتليمي للمكتب الاستاذ عبد الله العمراني .

وقد حضر الندوة رجال الفكر ورجال السلطة ورجال القضاء والقانون .

وقد عالجت الندوة التجربة التي قام بها المغرب والعالم العربي في تعريب القضاء والقانون ، كما نوهت بالجهود التي يقوم بها المكتب الدائم للتعريب في هذا الصدد ، وذلك عن طريق اصداره للمعاجم القانونية والفقهاء المختلفة التي استفاد منها رجال القانون المغربي والعرب عموما في الحقبة الاخيرة .

وفي الرباط نظمت ندوة علمية بدار الفكر شارك فيها الاساتذة الدكتور المهدي بنعبود ، والدكتور عز الدين العراقي والاستاذ العربي حصار والدكتور حمزة الكتاني والاستاذ محمد الطيب الفيلالي وقد افتتحها الملحق الثقافي للمكتب بكلمة قصيرة بين فيها الاسباب التي جعلت المكتب يحصر الموسم في الدائرة العلمية الدقيقة ويهتم بالناحية الفنية من الكتاب العربي و اشار بالخصوص الى ان الندوات التي تنظم بالرباط وفاس وتطوان تدخل في نطاق توضيح الاستفتاء اللغوي الذي ينظمه المكتب منذ اواخر السنة الماضية وبين ان المكتب لم يثر هذا الاستفتاء ارتيابا منه في فعالية اللغة العربية ودورها العالمي الملحوظ ، ولكن للبحث عن المشاكل - اذا كانت هناك مشاكل - تحول دون تطوير لغة الضاد وجعلها لغة دولية في الحقل العلمي والتقني لا في الحقل السياسي فحسب .

وذكر ان الاستفتاء كان ناجحا الى ابعد حدود النجاح حيث شاركت فيه كافة المجمع اللغوية والعلمية والجامعات وثلة بارزة من الافراد العلميين بما يربو عن سبعين جوابا ستنتشر خلاصتها في اواخر هذا الموسم في مذكرة تلخيصية يصدرها المكتب كما ان النصوص كلها مع التعاليق ستصدر في عدد خاص من مجلة « اللسان العربي » .

وذكر في الاخير ان المعجم العلمي الذي سيصدره المكتب بعدد من اللغات سيكون مرآة حية تنعكس عليها آراء الشعوب العربية والبيئات العلمية معا في اختيار اللفظ الصالح المستوعب للحياة . ثم تناول الكلمة الدكتور المهدي بنعبود فتحدث عن فعالية اللغة العلمية في الحقل العلمي وخاصة في الطب وفروعه المختلفة وبين الطريقة التي اعتدتها اوربا في الخروج من التخلف اللغوي حتى حققت تقدمها

العلمي المنشود ، وركز بامثلة حية على ان الازدهار الفكري تابع لارادة الشعوب وما المصطلحات كما يقول الاستاذ - الا قضية رموز واتفاقات . فلا ينبغي أن تكون عائقا لتقدم العرب العلمي ، وقد كان عرضه يتسم بغزارة المادة والحكمة القوية . اما الاستاذ الصيدلي العربي حصار فتحدث عن حيوية العربية كما شاهدها وجربها ورغم كونه لم يسبق له ان زاول دراسته الحديثة (الكيمياء والفيزياء والطبيعية والرياضيات) بالعربية فانه استطاع ان يساعد في تجربة التعريب العلمي في التعليم الحر منذ ما يزيد عن 18 سنة تلك التجربة التي نجحت الى حد بعيد واتى بمثال حي ناطق وهو الدكتور حمزة الكتاني الذي كان من بين اعضاء الندوة والذي يعتبر نموذجا للتجربة المذكورة : درس بالعربية في جميع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي واستطاع ان يحصل على الدكتوراه في الكيمياء من كلية العلوم بباريس .

وتناول الكلمة بعده ايضا الدكتور عز الدين العراقي من اطباء مستشفى ابن سينا الذي بين ان تعريب الطب ليس مسألة صعبة اذا ما عريت العلوم والحق بالخصوص على وجوب تربية النشء العربي على التفكير العلمي مبينا ان مجرد تعريب المصطلحات لا يخرج بنا عن دائرة التخلف في حقل العلوم والكشوف الحديثة .

وفي الاخير تكلم الاستاذ محمد الفيلالي احد اعضاء شعبة الاقتصاد العاملة في حظيرة المكتب فركز حديثه بالخصوص على المعجم العلمي العام الذي سيصدره المكتب معتمدا الآلة الميكانيكوغرافية وان هذا المعجم يستطيع ان يحل مشكلة المصطلح العلمي ويتقضي على البلبلة الواقعة في وضعه بين اقطار العالم العربي .

هذا ومن المعلوم ان الاذاعة والتلفزة والصحافة شاركت في نطاق هذا الموسم بنشر نتائج الاستفتاء الذي نظمه المكتب الدائم للتعريب بداية هذه السنة على مستوى العالم العربي حول مختلف قضايا اللغة العربية ، كما نظمت التلفزة على الخصوص ندوتين شارك فيهما نخبة من رجال الفكر المغربية حول التقدم العلمي العالمي واللغة العربية .

وقد دشنت المندوبية العامة لشمال شرق المغرب للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بفاس معرض الكتاب الفقهي والقانوني وحضر هذه الحفلة

المعرض ولاحظوا اهية الكتب القانونية والفقهية المعروضة في الرفوف .

واستأثر باهتمام الحاضرين منشور معلق في مدخل المعرض يقول : « قرر المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في باريس بين 2 و 7 يولييه 1951 ، وذلك باجماع الاعضاء ، انه نتج بوضوح ان مبادئ الفقه الاسلامي ممتاز بقيمة لا ينازع فيها احد ، وان اختلاف المدارس الفقهية داخل هذه المجموعة القانونية ينم عن وجود ثروة رائعة من المفاهيم القانونية والتجربة تسمح للفقه الاسلامي بتلبية جميع الحاجيات التي يفرضها التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية » . وترأس الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في اختتام مهرجان تدشين معرض الكتاب الفقهي والقانوني جلسة عمل ضمت الشخصيات المثقفة في فاس جدد في بدايتها اشادته بدور جامعة القرويين في رفع مشعل اللغة العربية ، واعطى خلاصة عن الجهود المبذولة من لدن المكتب الدائم من اجل احلال اللغة العربية مكانتها العالمية اللائقة بها ..

الامين العام للمكتب الدائم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله وشخصيات علمية وادارية وقضائية كثيرة . وقد افتتح الاحتفال الاستاذ محمد السلسوي المندوب العام لشمال المغرب الشرقي بكلمة رحب فيها بالحاضرين واعطى بيانا عن تنظيم المعرض ومدته والمهرجانات الثقافية التي ستعظم عند نهايته . وتحدث بعد ذلك الاستاذ محمد العلمي المحقق الثقافي للمكتب الدائم عن المعارض المنظمة للكتاب العربي وعن استفتاء مكتب التعريب حول فعالية اللغة العربية .

ثم ارتجل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب حديثا هاما تناول فيه التخطيطات التي اتخذها المكتب في خطوته الجديدة في التعريب . وأشار بتفصيل لمغزى اقامة هذا المعرض بفاس ، واطنب في الدور الذي لعبته المدينة لارساء صرح الحضارة العربية . وحلل في الاخير خطوات المكتب ومشروعاته والتوفيق الذي حالف اعماله في الشرق العربي . وقام الحاضرون بعد حفلة التدشين بزيارة لمرافق

الشعب الوطنية للتعريب

في بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيصة العلمية التي تنتهي اليها الجهود في ذلك البلد)

كما اوصى المؤتمر الثاني لوزراء المعارف والتربية العرب - بغداد فبراير 1964 ، بان تعمل الدول الاعضاء على تنفيذ توصيات التعريب الانف الذكر (وخاصة تلك التوصية المتعلقة بانشاء شعب وطنية في البلاد العربية للتعريب والتي وافق عليها مجلس جامعة الدول العربية في دورة مارس - ابريل من عام 1963) .

هذا ، ولما كان انشاء مثل هذه الشعب يساعد مكتب التعريب بالرباط على تأدية رسالته بالصورة المتوخاة ، والسير به قدما من اجل تحقيق الاهداف القومية المرجوة من وراء انشائه ، فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) لجامعة الدول العربية ، تأمل ان تتفضل الوزارة الموقرة بافادتها ما تم بشأن هذا الموضوع البالغ الاهمية والذي يتصل اتصالا مباشرا بالنهضة العلمية العربية الراهنة .

وتنتهز الامانة العامة هذه الفرصة للاعتراف عن فائق احترامها .

تهدي الامانة العامة (الادارة الثقافية) لجامعة الدول العربية اطيب تحياتها الى وزارة خارجية - والحاذا بمذكرتها في 1-1-1967 رقم 17-14 ج 4 بشأن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي - الرباط ، تتشرف الامانة العامة (الادارة الثقافية) ان تذكر ، ان مجلس الجامعة كان قد اتخذ القرار رقم 1896 - ابريل 1963 ، (توصي اللجنة الدول العربية ان تعنى عناية فائقة بموضوع التعريب وان تعمل الدول التي لم تنشئ بعد لجانا وطنية للتعريب على تكوين هذه اللجان في اقرب وقت ممكن . واللجنة اذ تشيد بالجهد العظيم الذي تبذله الدول العربية في مجال التعريب ، توصي بان يلقي مكتب التعريب بالرباط كل عون وتأيد منها حتى يعمم التعريب بين ابناء الامة العربية) هذا ، وكان مؤتمر التعريب الذي عقد بالمغرب بدعوة من حكومتها في ابريل / نيسان 1961 ، والذي انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، قد اوصى بما يلي :

(يوصي المؤتمر بان تنشأ شعبية وطنية للتعريب في كل بلد عربي تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب

رحلة الأمين العام إلى الشرق الأقصى والأوسط من أجل

توسيع شبكة نفوذ اللغة العربية في العالم

بالرباط بصفتهم أعضاء يمثلون حكوماتهم الموقرة في المجلس التنفيذي للمكتب الدائم ويفضل مستأدة جامعة الدول العربية الموقرة والمجامع اللغوية بالقاهرة ودمشق وبغداد والمجالس العليا للعلوم والفنون والآداب والاتحاد العلمي العربي ، ومختلف الاتحادات والهيئات العلمية العربية والانفراد العلميين الذين لا يدخرون وسعا في امداد المكتب بكل ما من شأنه أن يساعد على بلورة عمله التنسيق الهام .

وانني لاغتني هذه الفرصة لاجدد شكوري واعجابي بالجهود التي تبذلها المجامع اللغوية العربية في صمت وأناة من أجل اقرار المصطلح العلمي وتوحيد تحت راية جامعة الدول العربية كما أتود بعمل المجالس العليا البناء في نشر وإشاعة نتائج هذا العمل الذي هو ركيزة أساسية لاحتلال اللغة العربية المكان اللائق بها في الحقل الأممي ، ومجالات الحضارة والعلوم .

لقد كان لزيارتي اثر عميق في الاقطار التي تشرفت بالمقام فيها والاتصال برجالاتها ، حيث عقدت ندوات صحفية وإذاعية عديدة ، وأرتجلت محاضرات واحاديث مهدت لها دائما بعروض ضافية عن مقومات الحضارة الإسلامية وفي طليعتها لغة القرآن التي تعتبر الاداة الفعالة لبلورة كل وحدة فكرية ، وثقافية بين جميع الناطقين او المتكلمين بلغة القرآن .

وقبل القيام باتصالاتي ابيت الا عقد جلسة مع حضرة عميد السلك الدبلوماسي العربي في كراتشي السيد الكيلاني بصفته ممثلا لكل رؤساء البعثات العربية لاشرح لسيادته الغاية من زيارتي والفكرة الأساسية التي كانت محور احاديثي هي أن التاريخ

أدلى السيد الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ببيانات حول رحلته إلى الشرق الأوسط وآسيا حيث تحدثت الصحافة بأسهاب عن اطوار جولاته وقد توصل من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية برسالة شكر بشأن ما قام به من لقاء محاضرات واحاديث في كراتشي ولاهور واسلاماباد حول اللغة العربية وأهميتها باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة حضارة عالمية إذ أن هذا المجهود الطيب هو من صميم رسالة الجامعة العربية التي عملت على جعل العربية لغة عمل في اليونسكو .

قال سيادة الأمين العام للمكتب الدائم :

ان الغاية من رحلتي التي استغرقت زهاء شهر (من 16 شتبر إلى 12 أكتوبر 1966) إلى الصين ، وإيران ، والباكستان بدعوة من حكومتي ببيكن وكراتشي ، هي العمل على مد شبكة نفوذ اللغة العربية في كل انحاء العالم . وهاته الرحلة انما هي حلقة أولى من سلسلة تهدف إلى تركيز لغة الضاد في جميع انحاء المعمور كلفة أصبحت لها مكانة مرموقة في المحافل الدولية بما تتضمنه من مقدرات ثرية وإمكانات رائعة .

وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي الذي انيطت به من طرف الدول العربية وجامعتها الموقرة تلك الرسالة الخالدة الهادفة إلى العمل على تبسيط اللغة العربية ، وتنسيق مصطلحاتها ونشرها على أوسع نطاق في كل انحاء العالم ليحضر بأهمية هذه المسؤولية التي طوق بها ، والتي ينكب منذ أربع سنوات على وضع اللبنة الأولى لتحقيقها بالتعاون مع اصحاب المعالي سفراء الدول العربية

اللغات الشرقية، وأقسام الترجمة بالعين وقد أعجبت باتقان المخرجين من هذه المعاهد للغة العربية ، وطلاقتهم في التعبير بها ، مما حداني الى تسجيل اعجابي ، والمطالبة بمزيد من الحصص والمعاهد للدراسة العربية كوسيلة لتوثيق عرى التبادل الفكري بين جميع دول العالم .

* * *

أما الباكستان التي يبلغ عدد سكانها مائة مليون نسمة ، فهي أول دولة إسلامية ، وجهت حكومتها الدعوة إلينا من أجل القيام برحلة في ربوعها .

وكان أول اتصالاتي برئيس جامعة كراتشي الدكتور القرشي وزير التربية سابقا ضمن ثلة من عمداء الكليات، واساتذتها وتبذلت العروض بيننا حول الهدف من زيارتي ووسائل العمل ، فاتفقنا مبدئيا على تشكيل لجنة اقليمية تمثل فيها كل الهيئات العلمية واللغوية في الباكستان على غرار الشعب الوطنية للتعريب المكونة في كل العواصم العربية والتابعة للمكتب الدائم ، وتنحصر مهمتها الاولى في تبادل الرأي حول المعاجم المعدة من طرف المكتب الدائم بالعربية والفرنسية والانجليزية والمجهود المصطلحي المبذول من طرف الباكستان في هذا الحقل ، ومعلوم ان الباكستان كادت تختار اللغة العربية كلغة رسمية عام 1950 لولا ان بعض الدول العربية كانت مشغولة آنذاك في مشاكلها الداخلية مما ترك الباكستان في مهب الريح بين تأثير اللغة الانجليزية ، وتجاذب اللهجتين الاردوية والبنغالية . ومن حسن الحظ ان حكومة الباكستان المؤقتة قد قررت الاستغناء عن الانجليزية سنة 1972 ، والاستعاضة عنها رسميا بالاردوية في الباكستان الغربية والبنغالية في الباكستان الشرقية وهما يحتويان على سبعين في المائة من اللغة العربية .

وكانت زيارتي الثانية لمركز تطوير اللغة الاردوية الذي يعمل على جمع المصطلحات العربية الدخيلة في الاردوية من أجل تركيز هذا الاقتباس على أسس علمية والتعرف الى مدى شبكة التأثير اللغوي العربي، وقد جمع المركز ثمان مائة ألف جزالة ، وسيصدر معجما في اثني عشر مجلدا ، صدرت منه لحد الآن نماذج مبسطة . وقد لمسنا روح الاجلال والتقدير التي تزكي كل الباكستانيين ازاء لغة القرآن ، ولغة الحضارة المشتركة ، وهذا المركز يدعم جزائره بالنصوص المستخلصة من الكتب العلمية والادبية في

يجب أن يعيد نفسه بتمكين اللغة العربية من تطعيم اللغات الإقليمية الإسلامية ، كالاردية ، والبنغالية ، والايرائية ، والتركية ، وغيرها في مقابل تطعيمات تنبثق عن هاته اللغات وتستفيد منها لغة الضاد، كما كان الحال في صدر الاسلام وان مرحلة المخاض التي يجتازها العالم المتمدن الآن في اقتباسه مصطلحاته العلمية والتقنية من اللغات الحية يجعل المسلمين في جميع انحاء العالم ، اشد حاجة الى تنسيق جهودهم من أجل تبادل النظر ، والمصطلح العلمي لا يمكن أن يفتقد في هاته اللغات الإسلامية التي لعبت دورا في بلورة الحضارات الغنية لاقامة المصطلح التقني الحديث .

واذا كنا في حاجة الى اقتباس الدخيل الانجليزي او الفرنسي او الالماني او الروسي فيجب الا يتم ذلك الا اذا شعرنا بعد التمحيص والتحري بعدم وجود مقابل علمي صحيح في اللغات الإسلامية ، اذ ان مفهوم التعريب نفسه ، انها هو ادخال المصطلح الاجنبي ، وافراغه في قالب عربي حيث أن روح التسامح الإسلامية التي تشمل حتى الميادين الروحية لا يمكن الا أن تعزز هذا النوع من التبادل الانساني في المجالات التقنية والكشوف العلمية المتوافرة

فاللغة العربية قد قامت بدور هام في العلوم خلال العصور الوسطى وانها مستعدة اليوم أيضا للاخذ والعطاء ارتكازا على الاصل فكان اول عمل تمت به اذن هو التعرف الى ما يجري في بعض الاقطار التي تواجه نفس المشاكل التي نواجهها فعمدت جلسات دراسية في الصين ، مع ممثلي اكاديمية اللغات الصينية من أجل الاطلاع على المبادرات ، والاهمال التي يقوم بها مكتب المعجم الصيني الموحد التابع لأكاديمية اللغات منذ سنة 1927 من أجل القضاء على اختلاف اللهجات في هذا الصقع من العالم الاسيوي الافريقي . وقد استمرت هذه الدراسة ازيد من ثماني ساعات تبذلت فيها الآراء ، حول مسطرة الانجاز المعجمي ، وسيتبلور هذا التبادل في تقرير خاص يقدمه المكتب الدائم للمجامع والهيئات اللغوية، كبحث أول تعقبه سلسلة ابحاث عن مسطرة العمل في المجامع والاكاديميات في جميع انحاء العالم .

وقد كلل هذا التبادل بمقابلة دامت ساعتين مع نائب رئيس مجلس الشعب الصيني، بصفته رئيسا لأكاديمية العلوم الصينية ، ورئيسا لكتاب وادباء الصين وكانت الغاية من هذا الاتصال ، العمل على توسيع دراسة اللغة العربية في كليات ومعاهد

مختلف العصور كبرهان حي على مدى تأثير اللغة الام
لغة القرآن في الاردوية .

وانتهى اليوم الاول من الرحلة بحفلة استقبال
اقامتها الرابطة الثقافية الباكستانية العربية بحضور
كبار العلماء والادباء ورجال الفكر ، وبعض اعضاء
السلك الدبلوماسي العربي ورئيس جمعية العلاقات
الدولية في فندق العاصمة ، وقد خطب رئيس الرابطة
وكاتبها العام ، ووضحا اهداف الجمعية الرامية الى
توثيق الروابط مع العالم العربي ، واجبت عن هذه
المواطف بكلمة طويلة شرحت فيها اهداف زيارتي
واعمال المكتب الدائم ، واقترحت اسس العمل
والتبادل .

وفي يوم سابع اكتوبر انتقلت بواسطة الطائرة
الى لاهور عاصمة الفكر في الباكستان فزرت الفرع
الاسلامي بجامعة بنجاب حيث القى رئيسها الشيخ
علاء الدين الصديقي رئيس المجلس الاستشاري
التشريعي لحكومة الباكستان خطاب ترحيب حارا
اشاد فيه بلغة القرآن كأساس لوحدة الفكر الاسلامي،
وبالنسبة ارتجلت محاضرة امام فوج من الطلاب
والطالبات والاساتذة حول اسس الحضارة المشتركة،
والطرق الناجعة لتجديد الوعي الاسلامي عن طريق
لغة الضاد ، كلفة موحدة بين الاقطار الاسلامية
بالاضافة الى اللغات الاسلامية
الاقليمية المقبسة او المطعمة باللغة العربية ، وقد
اشددت بصفتي استاذًا سابقًا في جامعة القرويين ،
واستاذًا بدار الحديث الحسنية بالدور الذي قامت به
جامعة القرويين كاولى جامعات العالم التي لا تزال
قائمة حتى الآن وكذلك بجامعة الزيتونة بتونس
والازهر بالقاهرة .

وتعرضت للشخصيات العلمية العجيبة التي
ركزت العلوم الاسلامية من طريق لغة الضاد كابي
حنيفة ، والبخاري ، ومسلم ، والفخر الرازي ،
والفارابي ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، وغيرهم ممن
لا يحصون كثرة ، والذين كانوا يعتزون باللغة العربية
ولغة القرآن ، ولغة العلوم والحضارة وقد دخلت
صدفة الى الجامع ، فسمعت الخطيب يتحدث
بالاردوية مشيدا بنشاط المكتب الدائم ومقدم امينه
العام ، والامل المعلق على هذه الزيارة من اجل مد
شبكة نفوذ لغة الضاد ، وتركيز التبادل الفكري
واللغوي .

وقد رجا مني حضرة الخطيب ، وهو شبيخ

الاسلام علاء الدين الصديقي ، أن أوجه كلمة
توجيهية الى الجمهور بعد الانتهاء من الصلاة ، فكان
لهذا الخطاب صدى عبق في نفوسهم ظل بعده
العناق والتحيات تترى زهاء ربع ساعة .

ثم ارتجلت حديثا في مركز الدعوة الاسلامية الذي
حضر اعضاؤه للاستماع الى كلمتي حول الاساليب
الصحيحة المجدية للدعوة الى الاسلام ، والطرق
الناجعة لدرء الشبهات الموجهة ضد الاسلام ،
وللتوفيق بين الفكر الصريح ، والشرع الصحيح دعما
للوفاق الانساني وتركيزا لمبادئ الحنيفية السمحة
التي هي دين كل عصر ومصر .

وكانت الامسية موعدا لمأدبة عشاء من طرف
السيد وزير التربية الوطنية .

وفي اليوم الثامن من اكتوبر ررت الكلية الشرقية
بلاهور ، ومكتبها وتبذلت خطابات ، واحاديث حول
نفس الموضوع

ثم زرت معهد الثقافة الاسلامية حيث قابلني
اساتذته واعضاؤه ، وهم من عليّة العلماء عارضين
امام نظري نماذج لنحو ثمانين مؤلفا حول الاسلام
باللغتين الانجليزية والاردوية .

وبعد الظهر اقامت جمعية حماية الاسلام حفلة
استقبال حضرها زهاء مائة استاذ يمثلون ثلاث كليات
تشرف عليها الجمعية منها كلية اللغات الشرقية التي
تضم ثلاثة آلاف طالب وطالبة وكانت رائعية
تبذلت خلالها الخطب وارتجلنا حديثا طويلا
حول مقومات الحضارة الاسلامية وأسس الدين
الاسلامي الصحيح الموافق لروح العصر ثم عرجنا
باسهاب على رسالة المكتب الدائم فكان التجاوب كاملا.

وفي المساء اقامت الجامعة النعيمية وهي جامعة
اسست على غرار المدرسة النظامية النيسابورية
للدراسات والعلوم الاسلامية ، مأدبة عشاء حضرها
كبار العلماء ، ورجال الصحافة ومثلبوا الاذاعية
تبذلت خلالها الخطب ، وشرفت بتعليق حمالة
تكريمية ، واجريت مقابلة مع ممثلي الاذاعة حول
بعض القضايا الاسلامية العامة ، ومشاكل الوحدة
اللغوية .

وانتقلت بالطائرة الى راول باندي ثم العاصمة
الجديدة اسلاماباد وكان احتفال وزارة الخارجية
الباكستانية رائعا حيث اقامت هذه الوزارة مأدبة
عشاء في قصر الضيافة الذي نزلت به في هذه المدينة

وكذلك في كراتشي واستدعي لهذا الحفل كبار الممّاء والشخصيات العلمية وكبار موظفي وزارتي الخارجية والتعليم ، وكان الحديث طويلا مفيدا حول اهداف المكتب الدائم ومقومات الحضارة الاسلامية المشتركة وامكانيات التبادل الثقافي بين العالم الاسلامي والعالم العربي وشرحت الفكرة باسهاب الى المسؤولين وقد اقيمت هذه المائدة عتب حفلة استقبال اقامها نادي المثقفين في الساعة الخامسة ارتجلت خلالها محاضرة باللغة الفرنسية كان ترجمان وزارة الخارجية ينقلها الى الانجليزية وكان محور الحديث مع هذه النخبة من المفكرين الشباب هو فعالية الوعي الاسلامي ومقومات الحضارة الاسلامية ووسائل التوفيق بين حضارتنا المشتركة والحضارة الحديثة مما يدعم اندماج العالم الاسلامي في الحضرة الانسانية معززا بقوة جديدة .

وقد صفق الحاضرون لكل المبادرات التي عبرنا عنها والقي جناب رئيس النادي بحماس بالغ كلمة بالانجليزية حيا فيها ما ساه بالرسالة الخالدة التي حملها المكتب الدائم الى الباكستان لدعم الوحدة الفكرية والثقافية بين نصف مليار من المسلمين من جهة وبين هاته المجموعة الاسلامية والعالم الحديث من جهة اخرى عن طريق اللغة العربية لغة القرآن والحضارة والعلوم واللغات الاسلامية الاقليمية ، وقد شعروا بالمجهود الجبار الذي تبذله الدول العربية ومجامعها وهيئاتها العلمية لارساء لغة الضاد على قواعد تجعل منها لغة دولية تركيزا للاتجاه الجديد الذي جعل من العربية اليوم لغة التخاطب والعمل في المحافل الدولية ، وقد نشرت الصحف الباكستانية بالاردوية والانجليزية مقتطفات ضافية من حديثنا تردد صداها في المقابلة التي شرفني بها معالي كاتب الدولة في الشؤون الخارجية بالنيابة عن السيد الوزير المتغيب وقد استعرضنا مع السيد كاتب الدولة كل عناصر هذا الموضوع فأنضى سيادته بتصريح عبر فيه عن كامل ارتياحه لما ابديناه من عواطف وعبرنا عنه من افكار ورددت الصحف صدى هذا الحديث الذي كلل سلسلة اتصالاتنا بالهيئات الرسمية وغير الرسمية في الباكستان .

وقد ائت وزارة الخارجية الا ان تنظم لنا ندوة صحافية استدعت ممثلي الوكالات والصحف والاذاعة اجبنا خلالها عن مختلف الاسئلة بعد عرض مفصل عن الغاية من الزيارة ..

وقد قمنا في ايران بنفس العمل فاتصلنا بالسيد رئيس جامعة طهران وكان سيادته مصحوبا ببعض مساعديه من اساتذة كلية العلوم المهتمين بالمصطلحات العلمية، واتضح بعد استعراض الجهود المبذولة في حقل المصطلحات العلمية في الاقطار العربية من جهة وايران من جهة اخرى ان مكاسبنا المشتركة المتبلورة في التبادل التاريخي للتعليم بين اللغتين يجب ان تركز من جديد في مرحلة المخاض التي يجتازها العالم اليوم لاسيما وان الايرانية تحتوي على نسبة 5٪ من العربية التي تضم هي الاخرى مات المصطلحات الفارسية الاصل لاسيما في الحقل الحضاري واتفقتنا على امكن تكوين شعبة على غرار الشعب المشكلة في العواصم العربية من أجل امداد المكتب بمعلومات دقيقة عن الجهود العلمي الذي تبذله ايران في الحقل المصطلحي والمجال الثقافي بكيفية عامة وادى الاتصال بالسيد عميد كلية المعقول والمنقول الى نفس النتائج وتؤكد هذا الاتجاه عندما قابلنا سعادة كاتب الدولة في التربية الوطنية وكنا على ميعاد غير محدد مع معالي وزير التربية نفسه الذي اضطر الى الغياب في ذلك اليوم ، وقد دار الحديث حول وضع اللغة العربية الآن في ايران وحصصها في الاسلاك الدراسية ونوايا الحكومة في المستقبل تلك الحكومة التي تقدر اللغة العربية كلفة القرآن وكقوم جوهرى لتوطيد الوحدة الفكرية وبعد الاتصال بالسيد نائب رئيس مجلس الشيوخ الاستاذ عباس مسعود اجتمعت برجال الصحافة من ممثلي الجرائد العربية والايرانية والانجليزية والفرنسية وكانت الاسئلة تترى حول نشاط المكتب الدائم وتطور الفكر الثقافي العربي واسس التبادل الفكري في المستقبل بالإضافة الى اسئلة خاصة حول الادب والثقافة الحديثة في المغرب الأقصى

وافترقنا في كل من البلدين الباكستان وايران على اساس تقديم مشروع الى وزير الخارجية في اسلام اباد وطهران يعدده المكتب الدائم لوضع اسس التعاون الثقافي والتبادل اللغوي عن طريق لجنة خاصة تشكل لهاته الغاية .

وكان ضمن برنامج رحلتي التعرّيج على تركيا الا أن غياب معظم المسؤولين فيها رفقة فخامة رئيس الجمهورية في زيارته للباكستان حدانا الى تأخير هاته الزيارة الى مستقبل نرجو ان يكون قريبا حتى نستطيع وضع الاسس الاولى لتبادل مجدد بين كافة اصقاع العالم العربي والاسلامي .

وقد كانت ارساماتنا جد مشجعة وحرارة الاستقبال وصدق التجاوب من بواعث الامل في مستقبل وحدوي تستفيد منه الانسانية والسلام العالمي لان الحضارة الاسلامية هي حضارة ينبوعها وعي صادق بالاخاء الانساني الذي يجب ان تتسم بها كل عائلات الامية .

وقد تركت هذه الرحلة صدى كبيرا في الصحافة الشرقية اذ كتبت مختلف الصحف الصينية والبرانية والباكستانية (بالاردوية والانجليزية) تعليقات ضافية عن المكتب الدائم ونشاطات امينه العام . وقد خصصت مجلة « الاخاء » الفراء افتتاحيتها (عدد 87) للحديث عن هذه الرحلة فكتبت تقول :

تطالع في هذا العدد الحديث القيم الذي ادلى به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، اثناء زيارته لايران تبدي في الحديث الذي ادلى به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله لجلتنا الجهود المثمرة الخيرة التي يقوم بها صفوة من العاملين من اجل البحث عن الحقيقة ، وتوفير اللقاءات المثمرة ، تلك الجهود التي لا تقف عند حدود ولا تخدم مصالح معينة ، وانما تهدف لتعزيز الروابط بين البلدان الشقيقة المجاورة ، والاستفادة من التطورات العلمية والادبية في كل من هذه البلاد .

والاستاذ بنعبد الله ، حينما كان يتحدث عن كل ذلك كانت تحدوه الروح الاسلامية النابعة من قلب مؤمن مخلص ، والنظرة العلمية العميقة التي تبحث عن الحقيقة في كل مكان مهما تباعدت الاصقاع وامتدت المسافات . وذلك لربط وجهات النظر في حقل مقومات الوحدة الفكرية بين كبار المسؤولين في العالم العربي والعالم الاسلامي .

ولعل حسن الاستقبال الذي لاقاه الاستاذ بنعبد الله في كل مكان زاره وخاصة في ايران والذي انعكس في حديثه هذا ، ليدل دلالة واضحة على ان بلادنا لا تألوا جهدا في السير في نفس الطريق هذا ، وهي تنطلق خلف رائدها الاول جلاله الشاهنشاه المعظم ، لارساء البناء الحضاري الاسلامي ، وبالتالي للتعاون مع جميع الامم على اساس المحبة والتعاون والاحترام المتبادل ، جزيا على الطريق الطويلة للحضارة الفارسية التي اشعت على مدى التاريخ .

وقد اشار سعادة الاستاذ بنعبد الله الى هذه النقطة بالذات عند حديثه عن المبادرة الشاهنشاهية في محاربة الامية على المستوى العالمي ، بقوله :

« ان المبادرة الشاهنشاهية الكريمة لمكافحة الامية انها هي حلقة من تلك الحلقات الرائعة التي انبعثت عن حكمة فارس والتي ما زالت الى الآن تطعم الفكر الانساني الحديث . وقد لمست ولمس كل عربي عن كتب الروح الاسلامية الفياضة التي يتمتع بها جلالته الشاهنشاه والتي كنا نسمع عنها ، ولكننا شاهدنا مظهرها من نصاعتها واشراقها واشعاعها » .

واليكم هذا الحديث :

زار ايران في اواخر الشهر الماضي الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي والاستاذ في جامعة القرويين وجامعة محمد الخامس ودار الحديث .

وقد زار سعادته مكاتب الاخاء ، فاغتنم مندوبنا الفرصة وسأله عن المهمة التي يهدف اليها من زيارة ايران .

قال الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله : لابد لي ان اتحدث اليكم قبل كل شيء عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، لان مهمتي تعتمد اعتمادا كبيرا على العمل من اجل اهداف هذا المكتب .

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي اسس عام 1960 بعد انعقاد مؤتمر التعريب في الرباط ، ذلك المؤتمر الذي دعا اليه صاحب الجلالة المرحوم محمد الخامس ، على اثر عودته من الدول العربية حيث لاحظ اختلاف المصطلحات العلمية بين هذه الاقطار . فكانت هذه المبادرة المغربية الهادفة الى تنسيق جهود العالم العربي والعالم الاسلامي وكل المناطق الناطقة بلغة الضاد اقرار وحدة كاملة شاملة في شتى نواحي الفكر وهكذا بدأ المكتب الدائم يعمل من اجل تحقيق وحدة الفكر ووحدة الثقافة في العالمين العربي والاسلامي عن طريق توحيد لغة القرآن ، والعمل من اجل احلالها المقام اللائق بها في العالم المعاصر . وقد اصبحت اللغة العربية لغة عمل في كثير من المحافل الدولية . الا ان الجهود التي يبذلها العالم العربي في حقل المصطلح العلمي هي جهود مبشرة دعنا الى وضع معاجم موحدة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية في شتى الشعب العلمية والتقنية وقد صدر منها حتى الآن معاجم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والاشغال العامة والسياحة والفقه والقانون ومصطلحات السيارات ومصطلحات مصانع التقنية الخ .. كل هذا بتعاون بين الجامع العربية والهيئات والمجالس العلمية في البلاد العربية .

والفكرية والروحية بين 600 مليون من المسلمين في العالم . وسوف لا يقتصر عمل المكتب على العالم العربي والاسلامي فحسب بل سيشمل أيضا كل انحاء العالم المتمدن ، ولهذه الغاية قمت بأول جولة استطلاعية في الصين الشعبية تلبية لدعوة من حكومتها وذلك من أجل العمل على نشر اللغة العربية في الاصقاع الصينية وتوزيع حصصها الدراسية في المعاهد والجامعات في مختلف أرجاء الصين ، وقد اجريت حديثا طويلا دام اكثر من ساعتين مع السيد نائب رئيس البرلمان الصيني بصفته رئيسا لمكتب ادباء الصين ورئيسا لأكاديمية العلوم واللغات . وستكون هذه خطوة أولى للقيام بنفس العمل في روسيا وأمريكا وأوروبا من أجل تركيز اللغة العربية ، كلفة دولية ، وتوسيع شبكة نفوذها في العالم الحديث.

ثم وجه مندوبنا للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله السؤال التالي :

س - قلتم انه يوجد بين الادبين الفارسي والعربي نقاط تبادل وامتزاج ، يمكن الاستفادة منها الآن ، فما هي هذه النقاط في رأيكم ؟

ج - من الناحية العلمية يمكن ان يؤثر الادب الفارسي على الادب العربي ، أما من الناحية الادبية فهناك نسبة هامة من اللغة العربية في الفارسية وبالعكس مات من الالفاظ الفارسية في العربية ، والمهم اليوم أن نغتنم هذه الفترة التي تتخض خلالها اللغة العلمية في كل من العالم العربي والاسلامي وخاصة في فارس وتركيا وباكستان من أجل تبادل الجهود المتخضة عن تجارب علمية قامت بها كل هذه الدول في حقل المصطلح العلمي وستكون هذه القاعدة الاساسية نقطة انطلاق رصينة من أجل تركيز الوحدة الاسلامية في جميع مناحي الفكر والحضارة والعلم .

وبعد استجواب الاستاذ عن مؤلفاته واللغات التي يتقنها طرحت المجلة على سيادته السؤال الآتي :

س - متى بدأت الحركة الادبية في المغرب وما هو اتجاهها ؟

ج - الحركة الادبية في المغرب بدأت تزدهر وتتخذ اتجاهها حديثا الى جانب اصالتها كمظهر حضاري لامة حملت مشعل اللغة العربية والثقافة العربية خلال اربعة قرون عندما كان العالم الاسلامي

وبعد تحقيق هذه الفترة من الوحدة اللغوية والفكرية بين اجزاء العالم العربي ندخل الآن السى مرحلة ثانية ، هي ادراج بقية اقطار العالم الاسلامي في هذا العمل الوجدوي الفكري . وكان ذلك هو موضوع الجولة التي قمت بها في الباكستان وايران وتركيا ، حيث اتصلت ، وخاصة في القطرين الاولين بوزراء او نواب كتاب الدولة في الخارجية ورؤساء الجامعات وقادة الفكر في شتى المناحي الثقافية والتقنية والعلمية ، وقد قضيت اسبوعا كاملا في الباكستان القيت خلاله عدة محاضرات في الاندية الادبية والمراكز الاسلامية وتبلورت فكرة اساسية ، هي امتداد للمسطرة المتبعة في العالم العربي ، الا وهي العمل من أجل تشكيل لجنة يختار اعضاؤها من الجامعات والمراكز اللغوية والادبية المختلفة على غرار الشعب الوطنية للتعريب الموجودة في كل عاصمة عربية . ولا نقصد من التعريب ادخال المصطلحات العربية في كل اللغات المسلمة الاقليمية ، وانما نقصد كما هو التعريف اللغوي لهذه الكلمة الاقتباس من الفارسية والباكستانية والبنغالية والتركية وحتى اللغات الحديثة واعطاء هذه الكلمات قالبا عربيا ، فهو ان تبادل وتزاوج بين الفكر الفارسي والفكر العربي في الحقلين اللغوي والثقافي ويهدف الى الاستفادة من الجهود الجبارة التي يبذلها رجالات الفكر في فارس من أجل بلورة اللغة الفارسية وافادتها بالجهود الذي يبذله العالم العربي في الحقل اللغوي العلمي . وبهذا يمكننا ان نعيد تاريخنا الماجد يوم كانت هذه اللغات تتبادل مصطلحاتها وقد نستغني بهذه الوحدة اللغوية وتبادل المصطلح بين اجزاء العالم الاسلامي عن الاقتباس من كثير من اللغات الاجنبية غير الاسلامية .

وقد اتصلنا أيضا بالمسؤولين في جامعة طهران وكلية العلوم العقلية والنقلية بها وكذلك بمعمالي كاتب الدولة في التربية والتعليم الدكتور شريف ، لربط وجهات النظر في هذا الحقل الهام من مقومات وحدتنا الفكرية بين كبار المسؤولين في العالم العربي والعالم الاسلامي وخاصة في باكستان وايران والدول العربية. وقد لمست استجابة كاملة عند كل المسؤولين في مختلف الاقطار الاسلامية التي اتصلت بتقاداتها وخاصة منها بلاد الصومال التي اجريت مع وزير التربية حديثا يهدف الى وضع نفس الاسس الوجدوية ، وسأحاول الاتصال في جولات مختلفة بباقي اجزاء العالم الاسلامي ترصيصا لهذه الوحدة اللغوية

س — هل لنا ان نعرف الهدف من زيارتكم لهذه الدول ؟

ج — كانت الغاية الجوهرية من تأسيس المكتب الدائم المنبثق عن مؤتمر التعريب الذي انعقد بالرباط بين ثالث وسابع ابريل 1961 تحت رعاية جلالة الملك الحسن الثاني تتلخص خاصة في السهر على تطوير اللغة العربية وتزويدها بما يتطلبه العصر الحديث من مقتضيات تساعد لغة الضاد على مسيرة اللغات الحية وعلى استرجاع مكانتها في الحقل العلمي واحتلال المقام المرموق الذي ينتظرها في المحافل الدولية .

وقد رتب المكتب الدائم لضمان ذلك تصميمات واسعة برز بعضها للوجود وسيعملن عن البعض الآخر في تصميم عشاري (سيطلع عليه الخبراء في الشهور المقبلة بعد مصادقة المجلس التنفيذي المكون من سفراء الدول العربية بالرباط عليه) .

وتحن نهدف من وراء هذا الى تحقيق تحول وفعالية اللغة العربية وذلك على اربع مراحل :

المرحلة الاولى : استغرقتنا فيها ثلاث السنوات الماضية بجد وترتيب كل المصطلحات الرائجة في العالم العربي الآن (ويمكن للباحثين ان يشاهدوا نتيجة هذا العمل الضخم . لا فيها اصدره المكتب الدائم من معاجم فحسب . بل في الجزائيات التي تعد بعشرات الآلاف في مختلف شعب العلوم والتقنيات والآداب والحضارة) .

اما المراحل الثانية والثالثة والرابعة فانني ارجى الحديث عنها الى فرصة اخرى الى ان تصادق عليها جامعة الدول العربية والمجلس التنفيذي للمكتب الدائم .

وقد توخينا لتحقيق ما نصبو اليه من شمول اللغة العربية اصدار معاجمنا بلغات ثلاث هي العربية والانجليزية والفرنسية ، لانها هي اللغات السائدة في العالم العربي خاصة والاسلامي عامة ، لا سيما في افريقيا وآسيا .

فلهذا لا تقتصر مهمة المكتب الدائم على ضمان فعالية اللغة العربية بالنسبة لمائة مليون من العرب فقط ، ولكن بالنسبة لكافة الناطقين بلغة الضاد حيث ما وجدوا ، سواء بالمجر في امريكا ، وفي فيانمي الصحراء الافريقية والاسيوية وعددهم ينيف على نصف مليار .

كله خاضعا للخلافة العثمانية ولم يتخلف عند ذلك الا المغرب الأقصى الذي احتفظ باستقلاله وسيادته طوال اكثر من 1000 عام ولهذا امتازت ثقافتنا ونظرتنا الحديثة الى الادب والحضارة بنوع من الاصاله عززتها تطعيمات شرقية رصينة وثقافة غربية علمية عن كثير من النخب الفكرية في هذه البلاد للطابع الاساسي الذي رسم ثقافتنا المعاصرة هو ان طابع يتسم بهذه الفسيفساء من الحضارات المختلفة ، ونجد ايضا في الفن المغربي صورة ناصعة لهذه الفذلة الجامعة والتي نجد فيها الى جانب الفن البربري والفن الاندلسي والفن القوطي السمات الجوهرية للفن الفارسي الرائع ، كما نجد في مختلف مظاهر حضارتنا ومصطلحاتنا التقليدية الفاظا فارسية تشهد بذلك الاخاء وبذلك الوحدة التي ارتكزت في المغرب الأقصى وفارس منذ ازيد من 1000 عام والتي نعمل الآن على ترخيصها ضمن وحدة كاملة تشمل جميع مظاهر الحضارة المعاصرة .

س — ما راىكم بدعوة جلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي لمكافحة الامية ؟

ج — الواقع ان هذه دعوة نبيلة سامية وهي تهدف الى استئصال شأفة هذا الداء من جذوره العميقة ، وهي بادرة شاهانية كريمة ليست الاولى من نوعها وانما هي حلقة من تلك الحلقات الرائعة التي انبثقت عن حكمة فارس والتي ما زالت الى الآن تطعم الفكر الانساني الحديث ، وحذا لو نفذت هذه الفكرة الشاهانية السامية في كل اقطار العالم لتؤدي حتما للقضاء على الامية على اساس التخلف عند كثير من الامم .

ثم استطرد الاستاذ بنعبد الله قائلا : والواقع انني اعجبت اعجابا بالغا بصاحب الجلالة وخاصة خلال رحلته الأخيرة الى الديار المغربية حيث لمست ولمس كل مغربي عن كتب تلك الروح الاسلامية الفياضة التي كنا نسمع عنها ولكننا شاهدنا مظهرها من نصاعتها واشراقها واشعاعها .

وفي المغرب كتبت جريدة «العلم» الغراء تقول :

نشرنا في الصفحة الثقافية خبر سفر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب الدائم للتعريب في رحلة عبر آسيا يزور خلالها ايران والباكستان وتركيا والصين الشعبية في مهمة اناطته بها الجامعة العربية ، وقبل مغادرته الرباط اجرينا معه الاستجواب التالي :

ونحن نعمل على أن تصل معاجمتنا الى كافة هاته الاصقاع ، وان تصل اصداء نشاطنا الى كل انحاء العالم حتى يطلع العرب وغير العرب من المستشرقين والمهتمين بالابحاث اللغوية على المسطرة المنطقية التي ننهجها للسير بلغة الضاد في اقرب الاماد الى غايتها المنشودة .

ولذلك انشأنا اركانا اذاعية ببعض اللغات الغربية علاوة على العربية ، وفتحنا صفحات « اللسان العربي » لكل بحث يصدر عن لغة الضاد بأية لغة اخرى .

فالجولة التي ساقوم بها الى الشرق الاوسط والاقصى بدعوة من دول شقيقة وصديقة ابتداء من 16 شتمبر الى 12 اكتوبر ، تهدف الى التعرف على مدى اهتمام هاته الدول باللغة العربية كلفة للقرآن والحضارة الاسلامية ، وعن الحصص المخصصة لها بالمناهج الدراسية والجامعية حتى تتجمع لديننا العناصر التي ستشكل مقوما من المقومات التي تركز دولية اللغة العربية وفعاليتها في الحقل الاممي .

وقد وجهنا مذكرات لوزراء التربية في العالم العربي والاسلامي والى عدد من رجال الفكر العرب

والمستشرقين من المهتمين بالدراسات اللغوية ، وذلك في شكل استفتاء حول المشاكل التي قد تصطدم بها اللغة العربية لضمان بلورتها في الحقل العلمي والتقني وسيفتح هذا الاستفتاء عهدا عمليا جديدا للتعرف على المشاكل ، والبحث عن الحلول الناجعة لها .

أما في خصوص زيارتي للصين الشعبية فالغاية الاساسية هي التعرف الى الجهود الذي تبذله الاكاديمية الصينية في حقل المصطلحات العلمية ، منذ سنة 1927 حيث شكلت لجانا كثيرة للخبراء في مختلف شعب العلوم ، من اجل وضع قاموس صيني يبلغ عدد مجلداته المائة .

واللغة الصينية، وان كانت لغة لها مشاكلها الخاصة ، فيها يتعلق بالحروف (الصورية) التي تعد بالآلاف الا ان لبعض مشاكلها شبا بالمشاكل التي نواجهها في بلورة المصطلح العلمي العربي الحديث وخاصة بالنسبة للمعجم العربي العام الذي نعد العدة لاصداره في نهاية التصميم السداسي للمكتب الدائم للتعريب .

— نرجو للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله جولة موفقة ومزيда من النجاح للغتنا العربية .



السيد الأمين العام في الخليج العربي

الدائم فوجهت مذكرة الى الدول العربية للاسهام في تمويله والعمل على انجازه .

وبمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع لاتحاد المحامين العرب في القاهرة آنذاك ابرق السيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي الى رئيس المؤتمر ببرقية جاء فيها :

يسعدنا ان نحبي باسم المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي مؤتمركم الموقر ونؤكد لحضرتكم ان المكتب الدائم الذي يكرس جهوده لتوحيد المصطلحات العربية وفي ضمنها المصطلحات القانونية يهيب بكم الى اغتنام هذه الفرصة للعمل على تحقيق هذا الهدف السامي الذي يعتبر من مقومات الوحدة الفكرية بين اجزاء العالم العربي والمكتب الدائم الشرف في ان يجعل نفسه رهن اشارة المؤتمر .

هذا وقد علقت بعض الصحف العربية بالقاهرة على زيارة السيد الامين العام ناقلة اخبار نشاطاته واتصالاته بالدوائر المسؤولة ، فكتب مراسل جريدة الجمهورية القاهرة الاستاذ اسعد حسني (بتاريخ 2 مارس 1967) يقول :

في اطار التعاون الثقافي بين اجزاء الوطن العربي .. قررت الجامعة العربية ان تعهد الى مكتبها الدائم لتنسيق التعريب بالعمل على استكمال وضع سلسلة من المعاجم اللغوية التي بدأ خبراء التعريب في العالم العربي قبل اربع سنوات بالتحضير لها .. وذلك باللغات العربية والفرنسية والانجليزية ، وفي مدة اقصاها ست سنوات اخرى على ان تكون هذه المعاجم شاملة لكافة المصطلحات المعجمية الموازية والمتساوية في اللغات الثلاث ، فيما يختص بالاداب

في نطاق المهام المنوطة بالسيد الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، توصل في يناير 1967 بدعوة من حكومة الكويت لزيارة البلد الشقيق ، واجراء اتصالات مع رجال الفكر والثقافة والتعليم هناك ، وبالفعل لبى السيد الامين العام الدعوة التي اعقبتها دعوات الى القاهرة والرياض وقطر والبحرين .

وقد وصل الى القاهرة يوم السبت 25 فبراير 1967 اذ حل ضيفا على حكومة الجمهورية العربية المتحدة صحبة مساعده السيد المندوب العام للمكتب في الدار البيضاء ، واجرى اتصالات مع المسؤولين في وزارتي التربية والتعليم العالي لتسوية المسائل المعلقة ، وانعقد جمع بمقر الجامعة العربية حضره السيد الامين العام المساعد والمدير العام للإدارة الثقافية كما حضره السيد رئيس البعثة الدبلوماسية المغربية بالقاهرة ، وقد التى السيد الامين العام عرضا عن الوضع الحالي للمكتب الدائم من الناحيتين القانونية والمالية ، وتم الاتفاق على مسطرة تعضد نشاط المكتب وتضمن رسالته التنسيقية في العالم العربي .

هذا وقد استقبل السيد الامين العام للمكتب الدائم من طرف مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي كلمة الترحيب التي القاها بهذه المناسبة رئيس المجمع الدكتور طه حسين اشاد بالمكتب الدائم مباركاً أعماله ومثنيًا على جهوده ومهيبًا برجاله أن يولوا أياذهم المشكورة لصالح العروبة ولغة الضاد.

وقد أبت جامعة الدول العربية في هذه الفترة إلا أن تعزز التصميم العشاري الذي وضعه المكتب

يطلعنا الا على ما عند اللغة العربية . اما ما ينقصها فلن يتبين الا بمقارنة ما عندنا في كل موضوع بما عند غيرنا في نفس الموضوع .

ولذلك يتعين لكي نضع المعجم المنشود جرد دائرتي المعارف الفرنسية والانجليزية .. وتصنيف مادتيهما حسب التوبيع المتبع في اعداد المعجم العربي لتسهيل المقارنة » .

هذا وقد غادر السيد الامين القاهرة يوم الثلاثاء 28 فبراير بعد زيارة لها دامت ثلاثة ايام عقد خلالها آخر جلسة قبل سفره الى الكويت مع معالي وزير التربية محمد يوسف السيد وصادف الحال وجود فضيلة الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي والامين العام للسياسة الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ونوقشت في هذا الاجتماع قضايا التعريب المعلقة بين المكتب الدائم والجمهورية العربية المتحدة ، كما تحدث السيد رئيس المجمع العراقي عن نشاط المكتب والروابط المكنية مع المجمع العربي الموقر .

وفي نفس اليوم حل السيد الامين العام بالكويت حيث استقبل من طرف سعادة وزير التربية السيد صالح عبد الملك الصالح في مكتبه ، وقد درست بهذه المناسبة قضايا تتصل باسهام الكويت في ميزانية المكتب وتشكيل شعبة كويتية للتعريب تابعة للمكتب الدائم وتمويل التصميم العشاري .

وقد تضمن برنامج زيارة الامين العام للكويت الاتصال ببعض اعضاء الحكومة الكويتية كوزراء الارشاد والمالية والتجارة والتخطيط الذين اجري معهم محادثات حول تمويل دولة الكويت لقسم من التصميم كما اتصل برجال الصحافة والشخصيات العلمية من بينها الدكتور احمد زكي مدير مجلة « العربي » وعضو مجمع اللغة العربية واجري مع مدير الاذاعة الوطنية حديثا اذاعته المحطة المركزية ، وقد اقامت رابطة ادباء الكويت حفلة تكريمية للامين العام كما وشحته جامعة الكويت بالشارة الجامعية .

وقد رحب جهاز الصحافة والاذاعة الكويتية بالسيد الامين العام ونقل اصداء رحلته ، وبعد انتهاء مقام السيد الامين العام بالكويت توجه الى البحرين حيث استقبل من طرف سمو وزير المعارف ومن طرف المدير العام للتعليم واقام فخامة امير البحرين مائدة عشاء تكريما له في قصره الفخم حضرها عدد من رجال الدولة ودار حديث طويل حول المشروع وتمويله.

والعلوم والرياضيات والفقه والقانون .. وقد تقرر اعتماد مبلغ مائة الف جنيه بصفة مبدئية لاصدار هذه المعاجم وذلك علاوة على مرتبات العلماء والخبراء الذين سيعملون في هذا المشروع ، اذ ستصرف لهم من الدول التي ينتسبون اليها ..

وقد اجتمع السيد عبد العزيز بنعبد الله ، الامين العام لمكتب التعريب بالسيد « يوسف السيد » وزير التربية والدكتور « محمد حسن » وكيل وزارة التعليم العالي لدراسة خطة العمل ، كما بحث مع السيد « الدرديري اسماعيل » الامين العام المساعد للجامعة العربية وسائل التمويل التي يحتاجها اصدار هذه المعاجم في المدة المحددة لها .. وذلك بمناسبة سفره اليوم في جولة يزور فيها عواصم الدول العربية للتعريف بالمشروع في الدوائر الحكومية والشعبية .

وشرح السيد « بنعبد الله » في حديث ادلى به الى « الجمهورية » تفاصيل هذا المشروع بقوله : « ان الهدف الرئيسي من اصدار هذه المعاجم ، هو تدارك النقص الذي تعانيه لغتنا العربية في اداء كثير من المفاهيم الانسانية بصفة عامة ، وفي التعبير عن المصطلحات العلمية بصفة خاصة » وقال : « ان العاملين في الحقل الثقافي والعلمي في البلاد العربية ، عملوا في حدود امكانياتهم على سد هذا النقص ، ولكن من دون ان تكون هناك خطة مدروسة ولا منهاج معلوم لذلك فان شعب التعريب في كل قطر عربي عملت على تجميع الحصيلات العلمية والثقافية والمصطلحات اللغوية واخذت تبعث بها الى المكتب الدائم.. ولكن رغم قيمة هذه الثروة النفيسة التي اكتسبتها لغتنا العربية من هذه الجهود .. فانها تكاد تتلاشى ازاء التطور والسرعة اللذين تتقدم بهما العلوم والآداب وتسير بهما الحضارة الانسانية في هذا العصر .

وختم السيد « بنعبد الله » حديثه قائلا :

لهذا تقرر وضع معاجم عربية للمعاني .. ووضع ما يماثلها من المعاجم في اللغتين الفرنسية والانجليزية.

« ان جرد المفاهيم الانسانية من خلال الالفاظ التي تشتمل عليها المعاجم الفرنسية والانجليزية الحديثة عمل لازم لتكملة الفصل الاول الذي نههدف من ورائه الى معرفة ما عند اللغة العربية وما ينقصها فان المعجم العربي للمعاني لن يكون بوسعه ان

فشاركت تلك الدول العربية مع الجامعة العربية واستندت اليها الامانة العامة لهذا المكتب الذي أصبح يعمل على الصعيد العربي تحت اشراف الجامعة العربية ومما يمتاز به هذا المكتب ويضفي على نشاطه نوعا من الحرية والرونة ان له مجلسا تنفيذيا مكونا من سفراء الدول العربية بالمغرب منتدبين من حكوماتهم وهم الذين يقررون الميزانية ويشرفون مع الامانة العامة على اعمال المكتب .

وعلى سؤال حول دور المكتب الدائم في حقل الثقافة والترجمة اجاب سيادته بقوله :

— المكتب الدائم يعمل على تنسيق جهود الدول العربية في حقل الثقافة والترجمة والتعريب وقد تقرر تشكيل شعبة وطنية للتعريب في كل قطر عربي تتبع النشاط الثقافي واللغوي الاقليمي لتوافي به المكتب الدائم الذي يعمل على تركيزه تحقيقا للوحدة الفكرية بين اجزاء العالم العربي .

وعن منجزات المكتب في السنوات الاربع الماضية قال سيادته :

— لقد اصدر المكتب الدائم عدة معاجم باللغات العربية والانجليزية والفرنسية في الكيمياء والعلوم والفيزياء والرياضيات والاشغال العمومية والسياحة والفقه والقانون وغير ذلك من نشرات لمحاربة الدخيل الاجنبي في العالم العربي وتفصيح اللهجات العامية في كل قطر عربي وتوسيع نطاق استعمال اللغة العربية في العالم الاسلامي وقد تمت لهذه الغاية في العام الماضي زيارة للباكستان وايران حيث يعمل المكتب على تشكيل لجان ثقافية .

وسأله مندوبنا عن مشاريع المكتب ومخططاته المستقبلية فأجاب سيادته بقوله :

— لقد وضع المكتب الدائم تصميما عشرينيا أي تخطيطا لعشر سنوات يتضمن خمسة مشاريع منها معجم عام باللغات يستكمل كل المفاهيم الحضارية المعاصرة وقد وضع المكتب حتى الآن ثلاثمائة الف بطاقة تحمل المصطلح الفرنسي أو الانجليزي مع مقابلاته المستعملة في كل قطر عربي وهنا تتجلى اهمية الدور الذي تقوم به الشعبة الوطنية للتعريب لانه عن طريقها يتأتى للمكتب اسماع صوت كل قطر عربي والتعريف بجهوده الفكري وضمان اسهامه في الوضع اللغوي، وستبني بعض الدول العربية هذه المشاريع فتصدر باسمها .. وقد تقدم المكتب بهذا الرجاء الى المغرب

وفي قطر أيضا استقبل السيد الامين العام من طرف سمو وزير المعارف والمدير العام لنفس الغاية . وارتجل السيد الامين العام بطلباً من هيئة العلماء محاضرة بالمعهد الديني اعقبها مناقشة طويلة وختم مقام السيد الامين العام في اقطار الخليج العربي بمأدبة غداء اقامتها وزارة المعارف القطرية تكريماً له .

وكان مشروع المكتب الدائم عناية الجميع كما كانت المبادرة الطيبة التي صدرت عن جلالة الملك الراحل محمد الخامس بتنظيم مؤتمر التعريب وتأسيس المكتب الدائم مثار اعجاب كل الذين تتبعوا عن كتب مآثر جلالته الخالدة وكان اسمه مقرونا في كل مكان بآيات التقدير والاحلال ، وكذلك اسم صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الذي يرعى المكتب بكامل العناية .

وقبل عودة السيد الامين العام من الخليج العربي عرج على الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية اذ أجرى اتصالات شتى مع رجال الفكر في مقدمتهم معالي وزير التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية الذي تفضل فشمّل المكتب ومشاريعه بكامل العناية والتقدير ، وفي المدينة المنورة اتصل مندوب جريدة المدينة بالسيد الامين العام واجرى معه حديثا مسهيا حول مهام المكتب الدائم واهدافه ومنجزاته تقدمه فيها يلي :

خلال موسم الحج التقى مندوبنا احمد محمد مجلى بسعادة السيد عبد العزيز بنعبد الله الاستاذ بجامعة القرويين بفاس (وهي اقدم جامعة في العالم حيث تأسست عام 245 هـ) والاستاذ بجامعة محمد الخامس ودار الحديث بالرباط وهو أمين عام المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي .

وقد تحدث سيادته الى مندوبنا فقال :

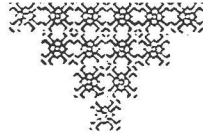
— جئت في مهمة الى الرياض بعد ان زرت عواصم عربية كالتاهرة والكويت وقطر والبحرين من اجل التعريف بالمكتب الدائم والاتصال بوزارات التربية والاعلام والمالية في هذه الاقطار .. وسأتصل بمعالي وزير المعارف السعودي الموقر والمسؤولين بالرياض لدراسة وتنسيق تخطيطات المكتب ومعلوم ان المكتب الدائم قد انبثق عن مؤتمر التعريب الذي انعقد بالرباط عام 1961 بدعوة من جلالة الراحل محمد الخامس بعد زيارته للديار الشرقية حيث لاحظ جلالته اختلاف المصطلح العلمي واقليلية الجهد اللغوي

وأخيرا أعرب الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي عن انطباعاته عن المملكة فقال :

— لقد راعني بما لمست من مجهود جبار في تطوير المملكة العربية السعودية بقيادة عاهلها الهمام جلالة الملك فيصل المعظم حيث يحس الزائر في كل سنة بمظهر جديد لهذا الانبعاث ونحن نعتبر الحرمين الشريفين وطننا الأول قبل مسقط رأسنا ومهبط الوحي وموطن الرسول عليه السلام وماوى الأيمان .

وبزيارة العربية السعودية ، انتهت رحلة السيد الأمين العام للمكتب الدائم الى الشرق العربي تلك الرحلة التي حقق المكتب الدائم من ورائها فكرة اللقاء المباشر مع المسؤولين عن التعريب والتعليم في البلاد العربية والتي اقترت التصميم العشوائي الذي اعده المكتب الدائم لمشاريعه في عشر السنوات القادمة .

ودول الخليج العربي وحكومة الرياض فتوبل اقتراحه بحماس وتشجيع وقد ساعد المغرب المكتب الدائم لحد الآن بما قدره مائتا ألف دولار امريكي كما دفعت الاردن والكويت والعراق وسوريا وليبيا جزءا من اقتساطها في الميزانية وقد التزمت بعض الدول الباقية بدفع كامل اقتساطها عن السنوات الماضية على اثر زيارة الأمين العام لها واشعارها باهمية وفعالية هذا العمل التنسيقي الذي يركز لغة الضاد ويحلها المكانة اللائقة بها في الحقل الدولي واذا كانت اللغة العربية قد اصبحت اليوم لغة رسمية في محافل دولية كالليونسكو والمنظمة الزراعية العالمية فان المكتب يعمل على تركيز هذه اللغة من الناحية العلمية حتى تصبح ايضا لغة العلم والحضارة .



مهرجان رائع من أجل أحياء ذكرى فلسطين

في المهرجان الذي نظمه مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في المغرب بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لتقسيم فلسطين العربية شارك الملحق الثقافي السيد محمد العلمي نيابة عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في هذا المهرجان بكلمة هذا نصها :

اصحاب السعادة السادة السفراء
سادتي سيداتي اخواني

انه لشرف عظيم أن أحضر هذا المهرجان العربي الذي يقام تخليدا لذكرى فلسطين العربية المسلمة ، وانه ليشرفني أيضا أن أمثل فيه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي .

هذا المكتب الذي انشئ بالمغرب سنة 1961 بدافع شعور قادة العرب وروادهم بوجود لم الشعب العربي وتدعيم وحدة الفكر ، التي طوحت بها الاهواء وحاول الاستعمار ان يذهب بها في طرق ملتوية لا يعرف معها العرب الطريق الذي يجب أن يسلكوها لتخليد عزمهم وارجاع دولتهم وجعلهم أمة واحدة كما كانت يوم أن قال الله تعالى في كتابه العزيز «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» .

ان المكتب الدائم للتعريب يرى ان مساهمته في احياء ذكرى فلسطين وتخليد ايامها والدعوة الى تحريرها من الامور الهامة التي تدخل في نطاق العمل التنسيقي الذي يقوم به على الصعيد العربي ، ولذلك لا يعد تجاوزا لاختصاصاته اذا ما قام في الماضي - قبل ان يتكون فرع منظمة التحرير الفلسطينية - بالمغرب - بتنظيم اسابيع لفلسطين الخالدة يجمع فيها سفراء الدول العرب وعلماءهم وادباءهم من اجل المساهمة في هاته الاسابيع بالمحاضرات والندوات والمعارض للكتاب الفلسطيني في جميع انواعه وشعبه. واليوم وبعد ان تكون هذا الفرع الذي نرجو له النجاح والتوفيق رأى المكتب استمرارا لعمله الاول

ان يشارك في هذا المهرجان ويقول كلمته بين الكلمات يعبر فيها عن شعور اعضائه قاطبة ويتحضر لبقاء الحال كما كانت عليه بل لتأزمها من جديد في فلسطين، هذا الجزء العربي المقتصب الذي شاء الاستعمار أن يجمع فيه قوى الشر من كل صنف ويجعل منه اوكارا للجور والطغيان والفتك بآبناء العروبة والاسلام الابرياء لا لشيء الا لارضاء الاهواء والمطامع الاستعمارية والابتلاء على النفوذ الاجنبي في هاتمة الديار العربية .

وان المكتب كمنظمة ثقافية عليا تعمل على الصعيد العربي ليسعده ان يرى اليوم الذي ترفرف فيه راية النصر العربية الخفاقة من جديد في فلسطين مثلما ترفرف على باقي الشعوب العربية الاخرى ، ولذلك فهو فخور بأن يجدد العهد على توجيه الدعوات المتكررة الى ابناء العروبة والاسلام في كل مكان ليناصروا اشقاءهم في هذا الجزء المقتصب ويقرروا الخطط العملية التي تسير بالقضية الى حل عاجل مشرف تنفذ منه العروبة والاسلام ويقضي على الاستعمار واذا نابه ، وما ذلك على ابناء العروبة والاسلام اذا ما قويت عزائمهم واتحدت قلوبهم ببعيد، ذلك لان نبيهم العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، يرى حقا انه لن يغلب من امته اثنا عشر الفا صابرة محتسبة ، فما بالك والشعوب العربية تقدر بنحو مائة مليون والشعوب الاسلامية عامة تناهز ربع سكان المعمور . أفلا يتوى عزمنا ونوالي المعركة حتى النصر (ان ينصركم الله فلا غالب لكم . ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) صدق الله العظيم . والسلام عليكم ورحمة الله .

ارتسامات عن اللسان العربي في مجاهل أسكيا

دكتور عادل عبد السلام
(جامعة دمشق)

مما دفعني لسؤاله عن مصدر معرفته للنبات ، فأجابني بأنه يعرفه عن طريق أحد التجار العرب الذي قرأ له مرة موضوعا عن اللغة العربية والمصطلحات العلمية والنباتية من كتاب (كذا !!!) يطبع كل سنة مرة اسمه (اللسان العربي) ويصدر في بلد عربي يقع مكان غروب الشمس على البحر الكبير . ومن هذا الكتاب قرأ له التاجر العربي اسم النبات بالعربية والفرنسية.

ومضت الأيام وعدت إلى وطني ، ولم يتسن لي الوقت أو تسنح الفرصة للسؤال عن (اللسان العربي) حتى هذه الساعة ، رغم تسجيلي ما جرى لي مع التوباي في مذكراتي ، ووضعى ملاحظة تذكرني بضرورة البحث عن (اللسان العربي) .

واليوم وكما اشرت اعلاه وقعت يدي على العدد الرابع من مجلة اللسان العربي الصادر في ربيع الثاني 1386 ، غشت 1966 . وها أنا اكتب اليكم هذه الرسالة بعد ان طالعت عددا من مقالات المجلة ، ولي امل بالحصول على الاعداد التي اصدرتموها حتى الآن منذ بدء ظهور مجلتكم ، بما فيها العدد الرابع لانه يحز في نفسي ان احرم منه صاحبه الذي نسيه سهوا ، وذلك لفناه بالابحاث الرفيعة المستوى في مجالات اللغة العربية والتعريب . كما سيسعدني جدا حصولي على ما يمكنكم ارساله لي مما صدر عن مكتبكم الدائم من معاجم باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، وغيرها من المعاجم والكتب والمطبوعات والنشرات المختلفة خاصة وانني شديد الاهتمام بـ « اللغة الجغرافية » في اللغة العربية .

محيا فيكم نشاطكم وجهودكم في رفع شأن اللغة والثقافة والحضارة العربية ، ارفع اليكم وإلى كل عامل في طريقكم ونهجكم اطيب تحية وسلام .

بعث الدكتور عادل عبد السلام استاذ الجغرافيا بكلية الآداب في جامعة دمشق رسالة يشرح فيها ارتسامات حول مجلة « اللسان العربي » في قبائل التوبو بمغاور جبال تيبتي ، ومما جاء فيها :

كان ذلك من قبيل الصدفة ، عند ما وقعت عيني لأول مرة على مجلة « اللسان العربي » . كما كان ذلك من قبيل السهو ، عندما تركها احدهم على منضدة عملي في الجامعة . وبالرغم من كثرة الأوراق المقدسة امامي تنتظرنى لاريحها من جلسنها المملة ، لم اتمالك نفسي من الانتفاض على المجلة التي نسيها صاحبها . وما امسكت بها بين يدي حتى عدت بالذاكرة إلى صيف 1965 ، عندما كنت في قلب تيبتي عضوا في بعثة جغرافية علمية ألمانية . فهاهنا في ذلك المكان المهجور والمنقطع عن العالم والحضارة ، وبين افراد قبائل التوبو سمعت لأول مرة باسم (اللسان العربي) . والاطرف من هذا هو ان اسمع ذلك من توباي (نسبة الى التوبو) لا يعرف الكتابة او القراءة البتة ، لكنه يتقن لغته الاصلية وكذلك العربية ويلم بالفرنسية . فني احدى رحلتي العلمية في شعاب ومغاور جبال تيبتي الموحشة حيث كان هذا التوباي ومساعد آخر في رفقتي ، وصلنا الى واد عميق تغطت ارضه ببساط من النباتات المختلفة . ولما كان عمل البعثة جغرافيا متشعبا فانني اخذت بجمع عينات من كل نوع من النباتات . وكان رفيق رحلتي التوباي يساعدني في التعرف على اسمائها باللغة التوبايية ، واقوم بوضع ما يقابلها في اللغات اللاتينية او الفرنسية او العربية . وفي هذه الاثناء وخلال استفساري عن بعض الاسماء ذكر لي رفيقي التوباي اسم احد النباتات باللغات الثلاث التي يعرفها فاستغربت ذلك منه ، لمعرفتي بندرة ذلك النبات وصعوبة معرفة اسمه ان لم يكن المرء واسع الاطلاع في مجال العلوم الطبيعية،

حركة التعريب في المغرب العربي

والاستاذ في جامعة
دمشق .

وكان أهم ما في هذه المعركة استعداد الشعب الجزائري بالذات لان يكون صداها الاول ذلك لان الانسان اذا لم يكن هو راغبا في الشيء فان أية قوة في العالم لا تستطيع ارغامه على قبوله .

وهكذا فقد وجدت اللغة العربية نفسها تنساب الى الذات الجزائرية انسيابا عجيبا يتلقى فيه ماضي الامة العربية وحضارتها التي اشعت في العالم طوال عشرة قرون .

وساهمت الجامعة العربية في ذلك مساهمة فعالة فأسست في الرباط « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في المغرب (1) العربي الكبير » وأخذ هذا المكتب يصدر النشرات والمجلات والكتب طارحا فيها بكل قوة وثقل تعريب كل ما هو اجنبي حتى ان المراقبين يتوقعون أن تكون اللغة العربية أكثر ازدهارا منها في المشرق العربي وذلك خلال العشر سنوات القادمة .

وقد اطلعت مؤخرا على دراسة كتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب ، أجرى فيها مقارنة بين العاميتين في بلاد المغرب وبلاد الشام .

ومن مظاهر الاختلاف بين العاميتين في المنطقتين العربيتين ان العامية المغربية تحتفظ بالهمزة في بعض الاحوال مثل ابليس وامير وابريق بينما تسقط في بلاد

تقوم في المغرب العربي الآن حركة واسعة لاعادة اللغة العربية الى سابق مجدها وعزها . فنشأت في مختلف البلدان هناك نواد وجمعيات ومعاهد وحملات اعلامية واسعة لتعود اللغة العربية وتصبح هي السائدة على كل شيء .

ولقد حاول الاستعمار طوال الاعوام التي مارس فيها سلطته واستعباده لارض الوطن العربي ان يزيل معالم هذه اللغة العظيمة فيطمس تراثها ويهيل التراب على آثارها ..

وكانت الجزائر هي ابرز دول المغرب العربي في التمسك بلغة الآباء والاجداد ، وما ان خرجت الثورة الجزائرية العظيمة من ميدان المعركة منتصرة مظفرة بعد ان استماتت واستبسلت لتعيد للارض الجزائرية حريتها وعروبيتها ، وتراثها حتى اخذت تخوض الآن معركة جديدة هي في الواقع اشد ضراوة واقسى شجاعة من اجل خلق ما وزعه المستعمر في الارض والنفس والذات الجزائرية من ثقافة مشوهة ولغة دخيلة لا تبت الى واقع الانسان العربي في المغرب بصلة .

وانجد الشعب العربي الجزائر الشقيقة فارسل لها البعثات تلو البعثات ومجموعات من المعلمين والمعلمات والعلماء والخبراء مشاركا اياها في معركتها الجديدة باعادة الضياء والعظمة لجد اللغة العربية وآثارها وتراثها .

(1) في العالم العربي كله لا في المغرب العربي فقط .

قبل الحماية الفرنسية ! ولا يخفى ما في هذا الادعاء من التهافت الرخيص .

وفي النشرة التربوية التي تصدرها وزارة التربية الوطنية في الجزائر جاء في احدى افتتاحياتها بعض التوجيه في هذا الخصوص للمعلمين العرب الذين وفدوا الى الجزائر لتعليم ابنائها طلبة منهم التخلي عن لهجاتهم المحلية التي لا يفقه الطالب الجزائري منها شيئا ، وقالت في ختام الافتتاحية: اننا نقترح على اخواننا الوافدين من المعلمين العرب بعض الحلول التي تساعد على اجتياز هذه العقبة وتساعد التلاميذ في نفس الوقت على تعلم اللغة العربية .

1 - ان يستعمل الفصحى - في اغلب الاحيان - وسيلة للتعليم .

2 - ان يستعمل المعلم الوافد بعض الكلمات الجزائرية المحلية مثل « ما كان شي : ماكاش » بدلا من «ماكو » - «مافيش » او « ما في » و - كاس بدلا من - كلاس - او كباية او كباة - وهلم جرا .

3 - من بين الكلمات الجزائرية المحلية ما هو عربي فصيح ، مثل كلمة كاس السابق ذكرها وكلمة سروال ولا بأس - الخ .

ولذا على المعلم ان يستعمل هذه الكلمات عند الحاجة اليها وعليه ان يبتعد عن الكلمات المحلية الشائعة والمستعملة في قطره لانها تعسر الطريق ولا تيسره .

وهكذا كانت عشرات النشرات التي تصدر في الجزائر تلح الحاحا عظيما على تعليم اللغة الفصحى بالذات دون ان يتسرب لها كلمات من اللهجات العامية العربية المختلفة وهذا يعني ان الجيل العربي الجزائري الجديد سوف يفتح عيونه على لغته العربية وهي في احلى اريدتها وحللها لغة فصيحة نقية من الشوائب ، وبالتالي فان الاعوام القليلة القادمة سوف تشهد انبعاث اللغة العربية الفصحى على لسان العرب المغاربة فيسبقون بذلك عرب المشاركة ويعود للغة العربية مجدها الغابر في شق دربها من جديد لتحل محل اللغات الدخيلة على المغرب العربي الكبير .

الشام فيقال بدل امير « مير » وابليس « بليس » او « ييليس » في المغرب وابريق « بريق » .

تتحول التاء في الشام الى سين « مثل : حديس وخبيس ومؤنس بدل حديث وخبيث ومؤنث بينهما تنقلب الى تاء في المغرب كما تبدل الذال زايا في الشام « ذوق » زوق وكذب « كزب » واذا : « ازا » في حين يحتفظ اللفظ الدارج المغربي بأصالته العربية وتنوب العين مناب الجيم الارامية في الشام مثل عدف بدل جدف « من قذف الارامية » في حين تنقلب بالمغرب قانا في هذه الحالة « قذف » وهي اقرب هنا الى الارامية رغم عدم تاثر المغرب بهذه اللهجة نظرا لكون المغرب اقتبسها مباشرة من الفصحى .

ويتابع الاستاذ بنعبد الله بايراد امثلة الاختلاف فيقول : وتتحول الميم في الشام نتيجة للتاثير الارامي كذلك الى نون في آخر الضمير المتصل في جميع المخاطب والغائب المذكرين مثل ضريكن بدل ضريكم ، وضرين عوض ضريهم ، وتسقط الهاء من الضمير المتصل للغائب والغائبة في حالتي الافراد والجمع ضربوا « ضربه » ضربهن بينما لا تسقط في اللهجة المغربية الا في الحالة الاولى « ضربوا - ضربها » .

وفي العامية المغربية تزيد الكاف او التاء فنقول تياكل او كياكل بينما تزيد العامية المصرية الحاء فتقول حايل « اي رايح ياكل » ولعل الحرفين الزائدين وهما التاء والكاف في العامية المغربية من ادوات الخطاب وهما انت وانتك كأننا نستشهد المستمع على ما يفعل الشخص المتحدث عنه فنقول : انت تراه ياكل وانت تراك تاكل وانتك تراه ياكل وانتك تراك تاكل فاختصر الخطاب في الحرفين الاخيرين وتزيد العامية احيانا العين فنقول « غايل » ولعل اصلها راء « راياكل » اي رآه ياكل بمعنى رآه وتراه او يراه ياكل .. وتدخل بعض اللغات السامية .. كالفارسية الباء على الاسماء فنقول بهارستان بدل مارستان ويقال بأن أصل الباب بيت .

وقد أكد دوزي في مقدمة مستدركه على المعاجم العربية : ان العربية الفصحى هي اساس اللهجة المتفرعة عنها بينما زعم برونو في خصوص المغرب ان اللهجات الحضرية واقل منها اللهجات البدوية - لم تقتبس ما يستحق الذكر من العربية الفصحى

معجم الفصحى

في العامية المغربية

الأستاذ أنور الجندي

ويقول : يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيل
العاميات العربية وتوحيدها فقد تعددت اللهجات في
الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى ، وخفت اوجه الخلاف
بما استوثق اذ ذاك من صلات في الاسواق الاقليمية
والمبادلات التجارية والمصاهرات ، ولقد لعبت
دورا هاما في انتقاء اجود اللغات فنسقت واجتنت
افضل لغات العرب ، وحاول بعض العلماء تفصيل
اللهجات العامية (مثل الاستاذ عبد القادر المغربي)
ويرجع عدم نجاحهم الى عدم اتخاذ مسطرة منطقية
فعالة جماعية ، مصادق عليها من مجموع الدول
العربية ، لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب
القواعد العامة ، تبعا لاختلاف التأثيرات القبلية
العربية او التأثيرات اللغوية الدخيلة .

وللاستاذ بنعبد الله ابحاث مختلفة متعددة ،
نشر كثيرا منها في المجلات العلمية المغربية ، وقد
قرأت اولها في مجلة « رسالة المغرب » (1946) التي
كان يرأس تحريرها الاستاذ عبد الكريم غلاب مدير تحرير
جريدة العلم كبرى الصحف المغربية اليوم . وقد
كشفت هذه الابحاث عن اتجاه كاتبنا نحو احياء
التراث والتحقيق العلمي في مجال الادب والتاريخ معا ،
في دراسات عن تراث ابن خلدون ، وتراث المغرب
الفلسفي ، ومؤرخي الدولة العلوية ، ومراكز
المغرب الثقافية ، والمعاهدات بين المغرب واروبا في
العصور الوسطى .

واعظم ما لفت نظري دراسته « مظاهر
الحضارة المغربية » وهو بحث مطول بدأ في نشره
عام 1952 ، ثم أصبح من بعد مؤلفا ضخما من
مؤلفاته ، استكمل بدراسة اخرى (معطيات الحضارة
المغربية) ، ثم « الفن المغربي في مختلف العصور » ثم

طلعت علينا « دار الارشاد » بمؤلف جديد قيم
من انتاج الاستاذ انور الجندي المعروف بضلوعه
وعبق بحوثه وهو « مفكرون وادباء » ترجم فيه
لتسعة وثلاثين من كبار رجال الفكر في العالم العربي فافرد
بحثا للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، ونحن ننشر
ما يتصل بالتعريب والمكتب الدائم من هذا البحث
شاكرين للاستاذ الكريم مجهوده الفياض للتعريف
بمقومات الوحدة الفكرية في العالم العربي ودحض
ترهات التعريب والمغربين .

قال حفظه الله :

عبد العزيز بنعبد الله هو المشرف على
مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها المكتب الدائم
لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وله دراسات
اللغوية المتعددة ، ولقد كان علي أن اذكر عمله
الضخم الذي يقوم به ، وهو معجم الضخم عن
الفصحى في العامية المغربية ، ويحتوي آلاف الالفاظ
ذات الاصل العربي ، وقد ارفقه بدراسة مقارنة
لتطور استعمال تلك الالفاظ ووجوه اشتقاقها ، مع
موازنة ذلك بالتأثيرات اللغوية التركية والفارسية
واليونانية واللاتينية والفرنسية والاسبانية . وقد
حمل عبد العزيز بنعبد الله منذ وقت بعيد لواء
الدعوة الى تفصيل العامية في العالم العربي ، وأجرى
مقارنات بين عامية المغرب وعامية الشام من ناحية
وعامية المغرب وعامية مصر من ناحية اخرى .

وفي دراسة لمنهجه يقول : ان اغلب الاصول
والقواعد الاسلامية مشتركة بين الفصحى والعامية
المغربية ، حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل
والترخيم والنحت ، وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة
تجعلها في بعض الاحيان اكثر ايفالا في القلب والتسهيل

ومن هنا كان اهتمامي بكتابه عن تاريخ المغرب في العصر الحديث والفترة المعاصرة ، الذي تحدث فيه عن تاريخ المغرب منذ قيام الدولة العلوية وتجديد وحدة المغرب الى العصر الحديث ، موليا اهتمامه للعصر الاسماعيلى ثم الاستعمار الفرنسى بالجزائر والمتاومة المغربية المسلحة ، والكفاح السياسى لهذه الحماية ، ودور الملك محمد الخامس والشعب فى المقاومة وقد اهتم المؤرخ بحركة الامير عبد الكريم الخطابي فى الريف ، ومضى فى دراسته مفصلا تطور الحضارة والفن ، وموارد الدولة ، ونظم البلديات والتعليم ، والمحاكم الاهلية . ثم رسم صورة رائعة للمقاومة والمطالبة بالاستقلال وقيام الكتلة الوطنية ملتفة حول الملك محمد الخامس .

ولعل أروع ما فى هذه الدراسة ، ذلك المعجم التاريخى عن أهم الاحداث والاعلام والامكن ، الذى يبدو جم الفائدة للباحث من خارج نطاق المغرب حيث تبدو بعض الكلمات ولها طابع فريد معين .

وبعد ما توسع المؤلف الجليل فى ايراد جوانب من المعجم التاريخى الذى ضمه الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى كتاب تاريخ المغرب ، والذي تناول فيه اكثر من ثلاثمائة مادة أكد أنه أتى بذلك ليدل على منهج البحث العلمى، الذى يبرز دائما فى دراسات عبد العزيز بنعبد الله ، مما يدل على تنوع دراساته ، تعمقها واشتمالها على ابحاث التراث واللغة والتاريخ والحضارة .

« التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية) » وأضاف اليه «تاريخ المغرب فى دراسة مقارنة للنصوص العربية والاجنبية» ثم « جغرافية المغرب » ثم « الطب والاطباء بالمغرب » من هذه المجلدات السبع تكونت موسوعة ضخمة ، تعد من المراجع الاساسية للحضارة المغربية ، ولا عجب فالاستاذ عبد العزيز هو استاذ الحضارة والفن بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالاضافة الى ادارة المكتب الدائم للتعريب. فهذا عمل تخصص فيه منذ عشرين عاما ، فاذا عرفنا أنه من مواليد عام 1923 ، وأنه أحرز اللسانس فى الآداب والحقوق عام 1946 ، ثم درس العلوم الاسلامية على مجموعة من كبار العلماء بالرباط عجبنا لهذا الذكاء والنبوغ .

ولقد لفت نظري الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بصورة باهرة ، فى خلال اعداد دراستي عن الفكر والثقافة فى المغرب العربى بأقطاره الاربعة فى فترة الاحتلال الفرنسى لهذه الاقطار حتى عام 1954 تقريبا ، لفت نظري بانتاجه الضخم الواسع المنوع ومنهجه العلمى ، وله الى هذه الموسوعة عن الحضارة المغربية آثار اخرى منها « الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب » و « الاسلام فى تطور » او الاسلام فى طريق التقدم كتبه باللغة الفرنسية ، وله بالفرنسية أيضا « الفن المغربى »

رسالة المغرب اللغوية

(للاستاذ عبد الكريم غلاب)

العربية وتبكيها من التعبير عن افق المصطلحات العلمية .

مجهود الاستاذ الاخضر ينضاف الى الجهود التي يبذلها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في مكتب تنسيق التعريب لاجراء معاجم الحضارة والى الجهود التي بذلت في المركز الوطني للتعريب لاجراء مشروعات معاجم الكيمياء والرياضيات ، وبهذه الجهود جميعا يساهم المغرب في عمل علمي كبير هو ايجاد الاداة التعبيرية للعلوم حتى لا تظل اللغة العربية قاصرة وعالة على اللغات الاجنبية .

من هذه الجهود احب ان استنتج ان اللغة العربية سهلة ميسورة للتعبير في الميدان العلمي ، وان استخدام العربية كلفة تلقين في العلوم الكونية لن ينزل بمستوى تعليم هذه العلوم ، بل سيرتفع بها لانها ستصبح قريبة الى ذهن كل تلميذ يصل اليها عن طريق اللغة العربية التي هي اقرب الى فهمه من اية لغة يتعلمها في المدرسة . فمن الواضح ان احياء الكلمة له دلالة في تفهم المعنى ، والكلمة العربية بالنسبة للعربي موحية - كما ان الكلمة الفرنسية بالنسبة للفرنسي موحية كذلك - والايحاء يختصر المسافة للفهم . ولذلك فاقرب طريق الى تكوين الاجيال تكوينا علميا هي تعريب تعليم المواد العلمية . ووجود مثل هذه المعاجم يسهل مهمة الاساتذة والتلاميذ والطلاب في نفس الوقت .

اننا نفخر ونحن نرقب هذه الجهود المضنية لاجاد المعاجم والقواميس العلمية ، ونعتبر من رسالة المغرب ان ينهض علماء منه اتسموا بالروح العلمي وبصبر الصابرين ونضال المناضلين ليضعوا لغة العلم بين ايدي الاجيال الحاضرة والمقبلة .

نشرت جريدة « العلم » الفراء (22-5-1967) كلمة لديرها الاستاذ عبد الكريم غلاب حول فعالية اللغة العربية جاء فيه :

في منزل الاخ الاستاذ احمد الاخضر استمعت اليوم الى حديثه عن تدرج التفكير في احياء اللغة العربية عنده ، ثم دخلت مكتبه ، فوجدت نفسي امام مخبر علمي ليس عماده الكتب المصنوفة والاقلام المبرية ، ولكن عماده صناديق الجذاذات والقواميس المفتوحة هنا وهناك والكلمات البعثرة في كل ركن من المكتب تنتظر تصحيحا او توضيحا او تفسيراً .

وفي جولة قصيرة تمت بها في هذا المكتب الصغير تبينت اني امام عالم كباوي لا امام باحث لغوي ، فالكلمات عند الاستاذ الاخضر مادة خام كأنها مأخوذة من عالم الطبيعة ، ثم تأخذ تكتسي مظاهرها التعبيرية كما تكتسي المادة مظاهرها الوجودية لتستوي اخيرا في عالم التعبير كلمة لها دلالتها المحدودة كما تصبح المادة صالحة الاستعمال بعد ان تمر بمراحل التكوين الطبيعي .

ومن خلال هذا العمل ادركت ان الاستاذ الاخضر يقوم بعمل جليل وخطير هو تطوير اللغة العربية للتعبير في المجال العلمي وقد اختار الآن فرع طبقات الارض ليخرج عنه معجم « المتقابل » يسجل فيه الالفاظ العلمية المستعملة في ابحاث طبقات الارض وباللغات العربية والفرنسية والانجليزية .

لقد بذلت جهود في هذا الميدان من قبل ، ولكن سعة افق الاستاذ الاخضر واستعداده للبحث وصبره على مكاره البحث العلمي ومعرفته بأصول اللغات ترشح عمله ليكون على راس كل الجهود التي بذلت في الشرق العربي حتى الآن لاغناء اللغة